

أو

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

تأليف

القاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي
المتوفى ٩٨٢ هـ

تحقيق

خالد عبد الغني محفوظ

الجزء السابع

المحتوى:

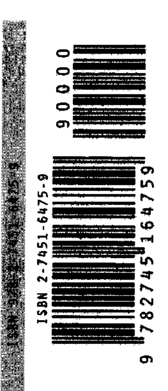
أول سورة سبأ - آخر سورة الطور



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: **THE EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN**	**تفسير أبي السعود** :	**الكتاب**
Classification:	Exegesis of The Qur'an	: تفسير قرآن	**التصنيف**
Author	: Al-qāḍi Abu al-Suʿūd al-ʿImādi	:أبو السعود محمد بن محمد العمادي	**المؤلف**
Editor	: Ḥālid Abdul-Ǧani Maḥfūẓ	: خالد عبد الغني محفوظ	**المحقق**
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	: دار الكتب العلميـــة - بيروت	**الناشر**
Pages	: 4160 (8 volumes)	: 4160 (8 أجزاء)	**عدد الصفحات**
Size	: 17*24	: 17*24	**قياس الصفحات**
Year	: 2010	: 2010	**سنة الطباعة**
Printed in	: Lebanon	: لبنـــان	**بلد الطباعة**
Edition	: 1st	: الأولى (لونان)	**الطبعة**





سورةُ سبأ

مكيةٌ وقيلَ إلَّا ﴿ويرَى الذينَ أُوتوا العلمَ﴾ [سبأ:٦] الآيةَ وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

﴿الحمدُ لله الذي له ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ﴾ أي له تعالى خَلقًا ومُلكًا وتصرُّفًا بالإيجادِ والإعدام والإحياءِ والإماتةِ جميعُ ما وُجد فيهما داخلًا في حقيقتِهما أو خارجًا عنهما مُتمكِّنًا فيهما فكأنَّه قيل: له جميعُ المخلوقاتِ كما مرَّ في آية الكُرسيِّ، ووصفُه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليقُ الحمدِ المُعرَّف بلام الحقيقة بالاسم الجليلِ من اختصاصِ جميعِ أفراده به تعالى على ما بُيِّنَ في فاتحة الكتاب ببيان تفرُّدِه تعالى واستقلاله بما يُوجب ذلك وكونِ كلِّ ما سواه من الموجودات التي من جُملتها الإنسان تحت ملكوتِه تعالى ليس لها في حدِّ ذاتها استحقاقُ الوجود فضلًا عمَّا عداه من صفاتها بل كلُّ ذلك نعمٌ فائضة عليها من جهته عزَّ وجلَّ فما هذا شأنُه

فهو بمعزلٍ من استحقاقِ الحمد الذي مداره الجميل الصَّادرُ عن القادر بالاختيار فظهر اختصاصُ جميعِ أفرادِه به تعالى.

وقولُه تعالى: ﴿وله الحمدُ في الآخرةِ﴾ بيانٌ لاختصاص الحمد الأُخرويِّ به تعالى إثرَ بيانِ اختصاص الدُّنيويِّ به على أنَّ الجارَّ متعلِّق إمَّا بنفس الحمد أو بما تعلَّق به الخبرُ من الاستقرارِ، وإطلاقُه عن ذكرِ ما يُشعر بالمحمودِ عليه ليس للاكتفاءِ بذكر كونه في الآخرةِ عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدُّنيا عن ذكر كونِ الحمد أيضًا فيها بل ليعمَّ النِّعمَ الأُخرويَّةَ كما في قوله تعالى: ﴿الحمدُ لله الذي صدقَنا وعده وأورثنا الأرضَ نتبوأُ من الجنَّةِ﴾ [سورة الزمر، الآية ٧٤] وقوله تعالى: ﴿الذي أحلَّنا دارَ المُقامةِ من فضلِه﴾ [سورة فاطر، الآية ٣٥] الآيةَ، وما يكون ذريعةً إلى نيلِها من النِّعمِ الدُّنيويَّةِ كما في قوله تعالى: ﴿الحمدُ لله الذي هَدانا لهذا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٣] أي لِما جزاؤه هذا من الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

والفرق بين الحمدينِ مع كون نعمتَيْ الدُّنيا والآخرةِ بطريق التَّفضلِ أنَّ الأوَّلَ على نهج العبادة والثَّانِي على وجه التَّلذذِ والاغتباطِ. وقد ورد في الخبرِ أنَّهم يُلهمون التَّسبيحَ كما يُلهمون النَّفسَ ﴿وهو الحكيمُ﴾ الذي أحكم أمورَ الدين والدُّنيا ودبَّرها حسبما تقتضيه الحكمةُ ﴿الخبيرُ﴾ ببواطن الأشياءِ ومكنوناتِها.

وقوله تعالى: ﴿يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ﴾ إلخ، تفصيلٌ لبعض ما يحيط به علمُه من الأمور التي نِيطتْ بها مصالحهم الدُّنيويةُ والدِّينيةُ أي يعلم ما يدخل فيها من الغيثِ والكُنوزِ والدَّفائنِ والأموات ونحوها ﴿وما يخرج منها﴾ كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها ﴿وما ينزلُ من السَّماءِ﴾ كالملائكةِ والكتبِ والمقاديرِ ونحوِها. وقرئ[1] وما نُنزِّل بالتَّشديدِ ونونِ العظمةِ ﴿وما يعرجُ فيها﴾ كالملائكةِ وأعمالِ العبادِ والأبخرةِ والأدْخنةِ ﴿وهو الرَّحيمُ﴾ للحامدينَ على ما ذُكر من نِعَمِه ﴿الغفورُ﴾ للمفرِّطين في ذلك بلُطفِه وكرمِه.

﴿وقال الذين كفرُوا لا تأتينا السَّاعةُ﴾ أرادوا بضمير المُتكلِّم جنسَ البشر قاطبةً لا أنفسَهم أو معاصريهم فقط كما أرادُوا بنفيِ إتيانها نفيَ وجودِها بالكُلِّيةِ لا عدمَ حضورِها مع تحقُّقها في نفس الأمر وإنما عبَّروا عنه بذلك لأنَّهم كانوا يُوعدون بإتيانها ولأنَّ وجود الأمور الزَّمانيةِ المُستقبلةِ لا سيَّما أجزاءُ الزَّمانِ لا يكون إلا بالإتيانِ والحضورِ،

---

(١) قرأ بها: علي بن أبي طالب.
ينظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٢٥٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٩).

وقيل: هو استبطاءٌ لإتيانها الموعودِ بطريق الهُزءِ والسُّخريةِ كقولهم: متى هذا الوعدُ ﴿قُلْ بَلَى﴾ ردٌّ لكلامِهم وإثباتٌ لِما نفَوه على معنى ليسَ الأمرُ إلاَّ إتيانَها.

وقولُه تعالى: ﴿وربِّي لتأتينَّكم﴾ تأكيدٌ له على أتمِّ الوجوهِ وأكملِها. وقرئ ليأتينَّكم على تأويل السَّاعةِ باليَّومِ أو الوقتِ وقوله تعالى: ﴿عالمِ الغيبِ﴾ إلخ، إيداد للتَّأكيدِ وتسديدٌ له إثرَ تسديدٍ وكَسر لسَورةِ نكيرِهم واستبعادهم فإنَّ تعقيب القسم بجلائل نُعوت المُقسَم بهِ على الإطلاق يُؤذنُ بفخامة شأنِ المُقسَم عليه وقوَّةِ ثباته وصحَّتِه لما أنَّ ذلك في حكم الاستشهادِ على الأمرِ ولا ريب في أن المستشهدَ به كلَّما كان أجلَّ وأعلى كانتِ الشَّهادةُ آكدَ وأقوى والمستشهدُ عليه أحقَّ بالثُّبوتِ وأولى لا سيَّما إذا خُصَّ بالذِّكرِ من النُّعوتِ ما له تعلُّقٌ خاصٌّ بالمُقسَمِ عليه كما نحنُ فيهِ فإنَّ وصفَه بعلم الغيب الذي هو أشهرُ أفرادِه وأدخلُها في الخفاء هو المقسمُ عليهِ تنبيه لهم على علَّةِ الحكم وكونه ممَّا لا يحومُ حوله شائبةُ ريبٍ ما، وفائدة الأمر بهذه المرتبة من اليمين ألا يبقى للمعاندينَ عذرٌ ما أصلًا فإنَّهم كانوا يعرفون أمانتَه ونزاهتَه عن وصمةِ الكذب فضلًا عن اليمين الفاجرةِ وإنَّما لم يُصدِّقُوه مكابرةً. وقرئ (علاَّمُ الغيبِ)[1] و(عالمُ الغيبِ)[2] وعالمُ الغُيوبِ بالرَّفع على المدحِ.

﴿لا يعزُبُ عنه﴾ أي لا يبعدُ. وقرئ بكسرِ[3] الزَّاي ﴿مثقالُ ذرَّةٍ﴾ مقدارُ أصغرِ نملةٍ ﴿في السَّمواتِ ولا في الأرضِ﴾ أي كائنةٌ فيهما ﴿ولا أصغرُ من ذلك﴾ أي من مثقالِ ذرَّةٍ ﴿ولا أكبرُ﴾ أي منه. ورفعُهما على الابتداءِ والخبرُ قوله تعالى: ﴿إلَّا في

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن وثاب، والأعمش، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٥)، والتيسير للداني ص (١٧٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠١)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٧٥).

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، ورويس، وسلام، والجحدري، وقعنب، وأبو جعفر، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩١)، وحجز ص (٥٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٧٥)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٩).

(٣) قرأ بها: الكسائي، ويحيى بن وثاب، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٣٩)، والتيسير للداني ص (١٢٢)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٠)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٢)، وحجز ص (٥٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٥).

كتابٍ مُبين﴾ هو اللَّوحُ المحفوظُ. والجملةُ مؤكِّدةٌ لنفي العُزوبِ. وقرئ ولا أصغرَ ولا أكبرَ[١] بفتحِ الرَّاءِ على نفي الجنسِ ولا يجوزُ أن يُعطفَ المرفوعُ على (مثقالُ) ولا المفتوحُ على ذرَّةٍ بأنَّه فتح في حيز الجرِّ لامتناع الصَّرفِ لما أنَّ الاستثناءَ يمنعه إلا أنْ يُجعلَ الضَّميرُ في عنه للغيب ويُجعلَ المثبتُ في اللَّوحِ خارجًا عنه لبروزه للمطالعينَ له فيكون المعنى لا ينفصلُ عن الغيب شيءٌ إلا مسطورًا في اللَّوحِ.

﴿ليجزي الذين آمنُوا وعملوا الصَّالحاتِ﴾ علَّةٌ لقوله تعالى: ﴿لتأتينَّكم﴾ وبيان لما يقتضي إتيانها ﴿أولئك﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ من حيثُ اتِّصافُه بما في حيِّزِ الصِّلةِ، وما فيه من معنى البُعد للإيذانِ ببُعدِ منزلتِهم في الفضلِ والشَّرفِ أي أولئك الموصوفون بالصِّفاتِ الجليلةِ ﴿لهُم﴾ بسبب ذلك ﴿مغفرةٌ﴾ لما فَرَطَ منهم من بعض فَرَطاتٍ قلَّما يخلُو عنها البشرُ ﴿ورزقٌ كريمٌ﴾ لا تعبَ فيه ولا منَّ عليه.

﴿والذين سَعَوا في آياتِنا﴾ بالقدحِ فيها وصدِّ النَّاسِ عن التَّصديقِ بها ﴿مُعاجزين﴾ أي مسابقين كي يفوتونَا وقرئ[٢] مُعجزين أي مُثبِّطينَ عن الإيمانِ مَن أراده ﴿أولئك لهم عذابٌ﴾ الكلام فيه كالذي مرَّ آنِفًا ومِن في قوله تعالى: ﴿مِن رجزٍ﴾ [للبيانِ][٣] قال قَتَادةُ رضي الله عنه: الرِّجزُ سوءُ العذابِ وقولُه تعالى: ﴿أليمٌ﴾ بالرَّفع صفة عذاب أي أولئك السَّاعُون لهم عذابٌ من جنس سوء العذاب شديدُ الإيلامِ. وقرئ[٤] أليم بالجرِّ صفة لرجزٍ ﴿ويرى الذينَ أُوتوا العلم﴾ أي يعلم أولُو العلم من أصحابِ رسولِ الله ﷺ ومَن شايعهم من عُلماءِ الأمَّةِ أو مَن آمنَ من علماء أهلِ الكتابِ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، والأعمش، وقتادة، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٩).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، والجحدري، وأبو السمال.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٨)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٦٦)، والتيسير للداني ص (١٥٨)، وحجز ص (٥٨٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٦)، والكشف للقيسي (٢/ ١٢٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٧).

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، واليزيدي، والحسن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠١، ٢٠٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٩).

كعبدِ اللّهِ بنِ سَلاَم وكعبٍ وأضرابِهما رضي الله عنهم ﴿الذي أُنزل إليك من ربِّك﴾ أي القرآنَ ﴿هو الحقَّ﴾ بالنَّصبِ على أنَّه مفعول ثانٍ ليَرى، والمفعولُ الأوَّلُ هو الموصول الثَّانِي وهو ضميرُ الفصلِ. وقرئ[١] بالرَّفع على الابتداءِ والخبرِ، والجملةُ هو المفعولُ الثَّاني ليَرى. وقولُه تعالى: ﴿ويَرى﴾ إلخ، مستأنفٌ مسوقٌ للاستشهادِ بأولي العلم على الجَهَلةِ السَّاعينَ في الآياتِ. وقيل: منصوبٌ عطفًا على يجزيَ أي وليعلمَ أولو العلم عند مجيءِ السَّاعةِ مُعاينةً أنَّه الحقُّ حسبما علمُوه الآنَ بُرهانًا ويحتجُّوا به على المكذِّبين.

وقد جُوِّز أنْ يُرادَ بأولي العلم مَن لم يؤمنْ من الأحبار أي ليعلمُوا يومئذٍ أنَّه هو الحقُّ فيزدادوا حسرةً وغمًّا ﴿ويهدي﴾ عطف على الحقَّ عطف الفعل على الاسم لأنَّه في تأويله كما في قوله تعالى: ﴿صافاتٍ ويقبضنَ﴾ [سورة الملك، الآية ١٩] أي وقابضاتٍ كأنَّه قيل: ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل إليك الحقَّ وهاديًا ﴿إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ﴾ الذي هو التَّوحيدُ والتَّدرعُ بلباس التَّقوى. وقيل: مستأنف وقيل: حالٌ من الذي أُنزل على إضمارِ مبتدأ أي وهو يهدي كما في قول من قال: [المتقارب]

.... نجوت وأرهنهم[٢] مالكا[٣]

﴿وقال الذين كفرُوا﴾ هم كفَّارُ قُريشٍ قالوا مخاطبًا بعضُهم لبعضٍ: ﴿هل ندلُّكم على رجلٍ﴾ يعنون به النَّبيَّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وإنَّما قصدُوا بالتَّنكيرِ الهزو والسُّخريةَ قاتلهم الله تعالى ﴿يُنبئكم﴾ أي يُحدِّثكم بعجبٍ عُجابٍ. وقرئ (ينبئكم)[٤]

---

(١) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٩)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٦٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٠)، والمعاني للفراء (٢/ ٨٥٢).

(٢) في خ: أرضهم.

(٣) عجز بيت وصدره:
فلمَّا خشيتُ أظافيرهُم ....
والبيت لعبد الله بن همَّام السلولي في: إصلاح المنطق (ص ٢٣١، ٢٤٩)، والشعر والشعراء (٢/ ٦٥٥)، وخزانة الأدب (٩/ ٣٦)، والدرر (٤/ ١٥)، ولسان العرب (١٣/ ١٨٨) (رهن)، ومعاهد التنصيص (١/ ٢٨٥)، والمقاصد النحوية (٣/ ١٩٠)، ولهمام بن مرة في: تاج العروس (رهن)، وبلا نسبة في: الجنى الداني ص (١٦٤)، ورصف المباني ص (٤٢٠)، وشرح الأشموني (١/ ٢٥٦)، وشرح ابن عقيل (ص ٣٤٠)، والمقرب (١/ ١٥٥)، وهمع الهوامع (١/ ٢٤٦).

(٤) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٥٩).

من الإنباءِ ﴿إذا مُزِّقتُم كلَّ ممزقٍ﴾ أي إذا متم ومُزِّقتْ أجسادُكم كلَّ تمزيقٍ وفُرِّقت كلَّ تفريقٍ بحيث صرتُم تُرابًا ورُفاتًا ﴿إنكم لفي خَلْقٍ جديدٍ﴾ أي مستقرُّون فيه عدل إليه عن الجملة الفعليَّةِ الدَّالَّةِ على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقًا جديدًا للإشباع في الاستبعادِ والتَّعجيبِ وكذلك تقديم الظَّرفِ والعامل فيه ما دلَّ عليه المذكورُ لا نفسه لما أنَّ ما بعد إنَّ لا يعمل فيما قبلَها. وجديدٍ فعيلٌ بمعنى فاعلٍ من جَدَّ فهو جديدٌ وقلَّ فهو قليلٌ وقيل: بمعنى مفعولٍ من جدَّ النَّسَّاجُ الثوبَ إذا قطعه ثمَّ شاع ﴿أفترى على الله كذبًا﴾ فيما قاله ﴿أم به جِنَّةٌ﴾ أي جنونٌ يوهمه ذلك ويُلقيه على لسانِه.

والاستدلالُ بهذا التَّرديدِ على أنَّ بين الصِّدقِ والكذب واسطةً هو ما لا يكون من الإخبار عن بصيرةٍ بين الفساد لظهور كون الافتراء أخصَّ من الكذبِ ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذابِ والضَّلال البعيدِ﴾ جوابٌ من جهة الله تعالى عن ترديدِهم الوارد على طريقةِ الاستفهام بالإضرابِ عن شقَّيهِ وإبطالِهما وإثباتِ قسم ثالثٍ كاشفٍ عن حقيقةِ الحال ناع عليهم سوءَ حالهم وابتلاءهم بما قالُوا في حقِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كأنَّه قيل: ليس الأمرُ كما زعمُوا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضَّلالِ عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقةً وفيما يؤدِّي إليه ذلك من العذابِ ولذلك يقولون ما يقولون. وتقديمُ العذاب على ما يُوجبه ويستتبعه للمسارعةِ إلى بيانِ ما يسوءهم ويفتُّ في أعضادِهم والإشعارِ بغاية سُرعة ترتُّبِه عليه كأنَّه يُسابقه فيسبقه.

ووصفُ الضَّلالِ بالبُعد الذي هو وصف الضَّالِ للمبالغة. ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهم للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ [على أنَّ علَّةَ ما ارتكبُوه][(١)] واجترءوا عليه من الشَّناعةِ الفظيعةِ كفرُهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب، ولولاه لما فعلُوا ذلك خوفًا من غائلتِه وقوله تعالى ﴿أفلم يَرَوا إلى ما بينَ أيديهم وما خلفَهم من السَّماءِ والأرضِ﴾ استئنافٌ مسوق لتهويلِ ما اجترءوا عليه من تكذيبِ آياتِ الله تعالى واستعظامِ ما قالُوا في حقِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأنَّه من العظائم الموجبة لنزول أشدِّ العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريثٍ وتأخير. والفاءُ للعطفِ على مقدَّرٍ يقتضيه المقامُ.

وقوله تعالى ﴿إنْ نَشَأْ﴾ إلخ، بيانٌ لما يُنبئ عنه ذكرُ إحاطتِهما بهم من المحذورِ

---

(١) سقط في خ.

المتوقَّع من جهتهما وفيه تنبيهٌ على أنَّه لم يبقَ من أسباب وقوعِه إلا تعلُّقُ المشيئةِ به أي أفعلُوا ما فعلُوا من المنكر الهائلِ المستتبع للعُقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاطَ بهم من جميع جوانبهم بحيثُ لا مفرَّ لهم عنه ولا محيصَ إنْ نَشَأْ جريًا على موجب جناياتِهم ﴿نخسفْ بهم الأرضَ﴾ كما خسفناها بقارونَ ﴿أو نُسقط عليهم كِسفًا﴾ أي قِطعًا ﴿من السَّماءِ﴾ كما أسقطناها على أصحابِ الأَيْكةِ لاستيجابهم ذلك بما ارتكبُوه من الجرائم. وقيل: هو تذكيرٌ بما يُعاينونَهُ ممَّا يدلُّ على كمال قُدرتِه وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتِهم البعث حتى جعلُوه افتراء وهُزؤًا وتهديدًا عليها، والمعنى أعمُوا فلم ينظروا إلى ما أحاطَ بجوانبهم من السَّماءِ والأرضِ ولم يتفكَّروا أهمْ أشدُّ خلقًا أم هي وإنْ نَشَأْ نخسف بهم الأرض أو نُسقط عليهم كِسفًا من السماء لتكذيبِهم بالآياتِ بعد ظهورِ البيِّنات فتأمَّلْ وكن على الحقِّ المُبين. وقرئ[(١)] يَخسف ويَسقط بالياء لقوله تعالى: ﴿أفترى على الله﴾ [سورة سبأ، الآية ٨] وكِسْفًا بسكون السِّينِ ﴿إنَّ في ذلكَ﴾ أي فيما ذُكر من السَّماء والأرضِ من حيث إحاطتُهما بالنَّاظرِ من جميع الجوانب أو فيما تُلي من الوحي النَّاطقِ بما ذُكر ﴿لآيةً﴾ واضحةً ﴿لكلِّ عبدٍ منيب﴾ شأنُه الإنابةُ إلى ربِّه فإنه إذا تأمَّلَ فيهما أو في الوحي المذكورِ ينزجرُ عن تعاطي القبائحِ وينيبُ إليه تعالى وفيه حثٌّ بليغٌ على التَّوبةِ والإنابة وقد أكدَّ ذلك بقولِه تعالى:

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن وثاب، وعيسى، والأعمش، وابن مصرف، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٧)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٢)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٧٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٩).

عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

﴿ولقد آتينَا داودَ منا فضلًا﴾ أي آتيناه لحسن إنابتِه وصحَّةِ توبته فضلًا على سائر الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ أي نوعًا من الفضل وهو ما ذُكر بعد فإنَّه معجزةٌ خاصة به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أو على سائر النَّاسِ فيندرج فيه النُّبوةُ والكتاب والمُلك والصَّوتُ الحسن فتنكيره للتَّفخيمِ ومنَّا لتأكيدِ فخامتِه الذَّاتيةِ بفخامته الإضافيَّةِ كما في قوله تعالى: ﴿وآتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾ [الكهف: ٦٥]. وتقديمُه على المفعولِ الصَّريحِ للاهتمام بالمقدَّم والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ فإنَّ ما حقُّه التَّقديمُ إذا أُخِّرَ تبقى النَّفسُ مترقبةً له فإذا وردها يتمكَّن عندها فضلَ تمكُّنٍ ﴿يا جبالُ أَوِّبي معه﴾ من التَّأويبِ أي رجِّعي معه التَّسبيحَ أو النَّوحةَ على الذَّنبِ وذلك إمَّا بأنْ يخلقَ الله تعالى فيها صوتًا مثلَ صوتِه كما خلق الكلام في الشَّجرةِ أو بأنْ يتمثَّلَ له ذلك.

وقرئَ أُوبي[1] من الأَوْبِ أي ارْجِعي معه في التَّسبيحِ كلما رجعَ فيه وكان كلَّما سبَّح عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يُسمع من الجبال ما يُسمع من المسبِّحِ معجزةً له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وقيل: كان ينوحُ على ذنبه بترجيعٍ وتحزينٍ وكانتِ الجبالُ تُسْاعِدُه على نَوحِه بأصدائها والطَّيرُ بأصواتِها. وهو بدل من آتينا بإضمار قلنا أو من فضلًا بإضمار قولنا.

﴿والطَّيرَ﴾ بالنَّصبِ عطفًا على فضلًا بمعنى وسخَّرنا له الطَّيرَ لأنَّ إيتاءَها إيَّاهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ تسخيرها له فلا حاجة إلى إضمارِه كما نُقل عن الكِسائيِّ ولا إلى تقدير مضافٍ أي تسبيح الطَّيرِ كما نُقل عنه في رواية. وقيل: عطفًا على محلِّ الجبالِ

---

(١) قرأ بها: الحسن، وابن عباس، وقتادة، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والبحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥٥).

وفيه من التَّكلُّفِ لفظًا ومعنى ما لا يخفى. وقرئ[١] بالرَّفعِ عطفًا على لفظها تشبيهًا للحركة البنائيَّةِ العارضة بالحركةِ الإعرابيَّةِ. وقد جُوِّزَ انتصابُه على أنَّه مفعول معه، والأول هو الوجهُ. وفي تنزيل الجبال والطَّيرِ منزلةَ العُقلاءِ المُطيعين لأمره تعالى المُذعنينَ لحكمه المشعر بأنَّه ما من حيوانٍ وجمادٍ[٢] وصامتٍ وناطقٍ إلا وهو منقادٌ لمشيئته غير ممتنع على إرادته من الفخامة المُعربةِ عن غاية عظمةِ شأنِه تعالى وكمال كبرياءِ سلطانِه ما لا يخفى على أولي الألباب.

﴿وألنَّا له الحديدَ﴾ أي جعلناه ليِّنًا في نفسه كالشَّمعِ يُصرِّفه في يدِه كيف يشاءُ من غير إحماءٍ بنارٍ ولا ضربٍ بمطرقةٍ أو جعلناه بالنِّسبةِ إلى قوَّتِه التي آتيناها إيَّاهُ ليِّنًا كالشَّمع بالنسبة إلى سائرِ القُوى البشريَّةِ ﴿أنِ اعملْ﴾ أمرناه أنِ اعمل على أنَّ «أنْ» مصدريةٌ حُذف عنها الباءُ وفي حملها على المفسِّرةِ تكلُّفٌ لا يخفى ﴿سابغاتٍ﴾ واسعاتٍ. وقرئ[٣] صابغاتٍ وهي الدُّروعُ الواسعة الضَّافيةُ وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أوَّلُ من اتَّخذها وكانت قبلُ صفائحَ قالوا: كان عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حين ملكَ على بني إسرائيلَ يخرجُ مُتنكِّرًا فيسألُ النَّاسَ: ما تقولون في داودَ؟ فيُثنون عليه فقيَّضَ الله تعالى له مَلَكًا في صورةِ آدميٍّ فسأله على عادتِه فقال: نِعْمَ الرَّجلُ لولا خَصلةٌ فيه، فريع[٤] داودُ فسألَه عنها فقالَ: لولا أنَّه يُطعم عيالَه من بيتِ المالِ فعند ذلك سألَ ربَّه أنْ يُسبِّب له ما يستغني به عن بيتِ المال فعلَّمه تعالى صنعةَ الدُّروع وقيل: كان يبيعُ الدِّرعَ بأربعةِ آلافٍ فينفقُ منها على نفسِه وعيالِه ويتصدَّقُ على الفقراء ﴿وقدِّرْ في السَّردِ﴾ السَّردُ نسجُ الدُّروعِ[٥] أي اقتصد في نسجِها بحيث تتناسب حِلَقُها. وقيل: قدِّرْ في مساميرِها فلا تعملَها دِقاقًا ولا غِلاظًا، ورُدَّ بأنَّ دروعَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم تكُن مسمَّرة كما يُنبئ عنه إلانةُ الحديدِ. وقيل: معنى قَدِّرْ في السَّردِ لا تصرفْ جميعَ أوقاتِك إليه بل مقدارَ ما يحصلُ به القوتُ وأمَّا الباقي فاصرِفْه إلى العبادة وهو الأنسبُ بقوله تعالى: ﴿واعملُوا صالحًا﴾ عمَّم[٦] الخطابَ حسب عموم التَّكليفِ له

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، والسلمي، وابن هرمز، وأبو يحيى، وأبو نوفل، ويعقوب، وابن أبي عبلة، وروح، ونصر، وابن أبي إسحاق، ومسلمة بن عبد الملك، وعبيد بن عمير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٧، ٦٥٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، وتفسير القرطبي (١٤٣/ ٢٦٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨١)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٧٩).

(٢) في خ: أو جامد.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٢).

(٤) في خ: فرجع.

(٥) في خ: الدرع.

(٦) في خ: عمّ.

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ولأهلِه ﴿إنِّي بما تعملونَ بصيرٌ﴾ تعليلٌ للأمرِ[١] أو لوجوبِ الامتثالِ به ﴿ولسليمانَ الرِّيحَ﴾ أي وسخَّرنا له الرِّيحَ. وقرئ[٢] برفع الرِّيحِ أي ولسليمان الرِّيحُ مسخَّرةٌ، وقرئ[٣] الرِّياحَ ﴿غُدوُّها شهرٌ ورَواحها شهرٌ﴾ أي جريها بالغَداةِ مسيرةُ شهرٍ وجريها بالعَشيِّ كذلك. والجملةُ إما مستأنفةٌ أو حالٌ من الرِّيح. وقرئ[٤] غُدوتُها ورَوحتُها. وعن الحسنِ رحمه الله: كان يغدُو أي من دمشقَ فيقَيلُ باصطخَر ثمَّ يروح فيكون رَوَاحه بكابُلَ وقيل: كان يتغذَّى بالرَّيِّ ويتعشَّى بسمرقندَ. ويُحكى أنَّ بعضَهم رأى مكتوبًا في منزلٍ بناحيةِ دِجْلَة كتبه بعضُ أصحابِ سليمانَ عليه السَّلامُ: نحنُ نزلنَاهُ وما بنيناهُ ومبنيًّا وجدناهُ غدونَا من اصطَّخَر فقلناهُ ونحن رائحون منه فبائتونَ بالشَّامِ إنْ شاءَ الله تعالى.

﴿وأسلنا له عينَ القطرِ﴾ أي النُّحاسِ المُذابِ أسالَه من معدنِه كما آلانَ الحديدَ لدَّاودَ عليهما السَّلامُ فنبع منه نبوعَ الماء من الينبوعِ ولذلك سُمِّي عينًا وكان ذلك باليمنِ وقيل: كان يسيلُ في الشَّهرِ ثلاثةَ أيَّامٍ.

وقوله تعالى: ﴿ومن الجنِّ مَن يعملُ بين يديه﴾ إمَّا جملةٌ من مبتدأ وخبرٍ أو مَن يعملُ عطفٌ على الرِّيحَ ومن الجنِّ حالٌ متقدِّمةٌ ﴿بإذنِ ربِّه﴾ بأمرِه تعالى كما يُنبئ عنه قولُه تعالى: ﴿ومَن يزغ منهم عن أمرِنا﴾ أي ومَن يعدلْ منهم عمَّا أمرناهُ به من طاعةِ سليمانَ. وقرئ يُزغ على البناءِ للمفعولِ من أزاغَه ﴿نُذقه من عذابِ السَّعيرِ﴾ أي عذابِ النَّارِ في الآخرةِ. رُوي عن السُّدِّيِّ رحمه الله كان معه مَلكٌ بيده سَوطٌ من نارٍ كلُّ مَنِ استعصى عليه ضربَه من حيثُ لا يراه الجنيُّ ﴿يعملون له ما يشاءُ﴾ تفصيلٌ لما ذُكر من عملِهم وقوله تعالى: ﴿من محاريبَ﴾ إلخ، بيانٌ لمَا يشاءُ أي من قصورٍ حصينةٍ ومساكنَ شريفةٍ سُمِّيتْ بذلك لأنَّها يُذبُّ عنها ويُحاربُ عليها وقيل: هي المساجدُ ﴿وتماثيلَ﴾ وصور الملائكةِ والأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ على ما اعتادُوه فإنَّها كانتْ تعمل حينئذٍ في المساجدِ ليراها النَّاسُ ويعبدوا مثلَ عباداتِهم. وحرمةُ

---

(١) في خ: الأوامر.

(٢) قرأ بها: عاصم، وشعبة، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٥٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٥)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٩).

(٣) قرأ بها: أبو جعفر، والحسن، وأبو حيوة، وخالد بن إلياس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والبحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٣).

(٤) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٢).

التَّصاويرِ شرعٌ جديدٌ. ورُوي أنَّهم عملوا أسدينِ في أسفل كرسِّيهِ ونِسرين فوقه فإذا أراد أن يصعدَ بسط الأسدانِ ذراعيهما وإذا قعدَ أظله النَّسرانِ بأجنحتِهما **﴿وجفانٍ﴾** جمع جَفْنةٍ وهي الصَّحفةُ **﴿كالجواب﴾** كالحياضِ الكبارِ جمع جابيةٍ من الجباية لاجتماعِ الماء فيها وهي من الصِّفاتِ الغالبةِ كالدَّابة. وقرئ بإثبات الياءِ قيل كان يقعدُ على الجفنةِ ألفُ رجلٍ **﴿وقدور راسياتٍ﴾** ثابتاتٍ على[١] الأَثَافي[٢] لا تنزل عنها لعظمِها **﴿اعملُوا آلَ داودَ شكرًا﴾** حكاية لما قيل لهم وشُكرًا نصبٌ على أنَّه مفعولٌ له أو مصدرٌ لاعملُوا [لأنَّ العمل للمنعم شكرٌ له أو لفعله المحذوفِ أي اشكرُوا شكرًا أو حالٌ أي شاكرين][٣] أو مفعولٌ به أي اعملُوا شُكرًا **﴿وقليلٌ من عباديَ الشَّكور﴾** أي المتوفِّرُ[٤] على أداءِ الشُّكرِ بقلبه ولسانِه وجوارحِه أكثر أوقاتِه ومع ذلك لا يوفِّي حقَّه لأنَّ التَّوفيقَ للشكرِ نعمةٌ تستدعِي شكرًا آخرَ لا إلى نهايةٍ ولذلك[٥] قيل: الشَّكورُ من يرى عجزَه عن الشُّكرِ.

ورُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ جزَّأ ساعاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ على أهله فلم تكنْ تأتِي ساعةٌ من السَّاعاتِ إلا وإنسانٌ من آلِ داودَ قائمٌ يُصلِّي **﴿فلما قضينا عليه الموتَ﴾** أي على سليمانَ عليه السَّلامُ **﴿ما دلَّهم﴾** أي الجنَّ أو آلَه **﴿على موتِه إلا دابةُ الأرضِ﴾** أي الأَرَضةُ أضيفتْ إلى فعلها. وقرئ[٦] بفتح الرَّاءِ، وهو تأثُّرُ الخشبةِ من فعلِها، يقالُ أَرَضتَ الأَرَضةُ الخشبةَ أرضًا فأرضتْ أَرضًا مثل أكلتِ القوارحُ أسنانَه أَكْلًا فأكلتْ أَكلاً **﴿تأكل مِنْسأتَه﴾** أي عصاهُ من نسأتُ البعيرَ إذا طردَته لأنَّها يُطرد بها ما يُطرد وقرئ[٧] مِنْساتَه بألفٍ ساكنةٍ بدلًا من الهمزة وبهمزةٍ ساكنةٍ وبإخراجها بينَ بينَ

---

(١) زاد في خ: الأنافي لا يقعد عليها.
(٢) الأثافي جمع أثفية - بضم الهمزة وكسر الفاء والياء مشددة - وهو الصخرة التي يوضع عليها القدر. ينظر: لسان العرب (١٤/ ١١٣) مادة (ثفا).
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: المتأخر.
(٥) في خ: كذلك.
(٦) قرأ بها: ابن عباس، والعباس بن الفضل.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦٦)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٣).
(٧) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، واليزيدي، والحسن، وزيد، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦١)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٨٦)، والنشر لابن الجزري (٣٤٩/٢).

عند الوقفِ ومنساءتَه على مفعالةٍ كميضاءَةٍ في ميضأَةٍ ومن سأتِه من أي من طرفِ عصاهُ من سأةِ القوسِ وفيه لغتانِ كما في قِحَةٍ بالكسرِ والفتحِ وقرئ أكلتْ مِنْساتَهُ.

﴿فلمَّا خرَّ تبيَّنتِ الجنُّ﴾ من تبيَّنت الشيءَ إذا علمته بعد التباسه عليك أي علمت الجنّ علمًا بيِّنًا بعد التباسِ الأمر عليهم ﴿أنْ لو كانُوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا في العذابِ المهين﴾ أي أنَّهم لو كانوا يعلمون الغيبَ كما يزعمون لعلمُوا موتَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حينما[1] وقع فلم يلبثُوا بعده حولًا في تسخيرِه إلى أن خرَّ أو من تبيَّن الشيءُ إذا ظهرَ وتجلَّى أي ظهرتِ الجنُّ وأنْ مع ما في حيِّزِها بدلُ اشتمالٍ من الجنُّ أي ظهر أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيبَ . . . إلخ وقرئ[2] تبينت الجنُّ على البناءِ للمفعولِ على أنْ المتبيَّن في الحقيقة هو أن مع ما في حيِّزِها لأنه بدلٌ وقرئ تبيَّنت الإنسُ والضَّميرُ في كانُوا للجنِّ في قوله تعالى: ﴿ومن الجنِّ منَ يعملُ﴾ [سورة سبأ، الآية ١٢] وفي قراءةِ ابن مسعودٍ رضي الله عنه تبينتِ الأنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب.

رُوي أنَّ داودَ عليه السَّلامُ أسَّس بنيان بيت المقدس في موضعِ فُسطاطِ مُوسى فتوفِّي قبل تمامه فوصَّى به إلى سليمانَ عليهما السَّلامُ فاستعمل فيه الجنَّ والشَّياطينَ فباشروه حتَّى إذا حانَ أجلُه وعلم به سألَ ربَّه أنْ يُعمِّي عليهم موتَه حتَّى يفرغُوا منه ولتبطلَ دعواهم علمَ الغيبِ فدعاهم فبنَوا عليه صَرحًا من قواريرَ ليس له بابٌ فقام يُصلِّي متكئًا على عصاهُ فقُبض روحُه وهو متكئٌ عليها فبقي كذلك وهم فيما أُمروا به من الأعمالِ حتَّى أكلتِ الأَرَضةُ عصاهُ فخرَّ ميِّتًا وكانت الشَّياطينُ تجتمعُ[3] حول محرابِه أينما صلَّى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فلم يكن ينظر إليه شيطانٌ في صلاتِه إلاَّ احترقَ فمرَّ به يومًا شيطانٌ فنظر فإذا سليمانُ عليه السَّلامُ قد خرَّ ميتًا ففتحُوا عنه[4] فإذا عصاهُ قد أكلتها الأَرَضةُ فأرادوا أن يعرفُوا وقتَ موتِه فوضعُوا الأَرَضةَ على العصا فأكلتْ منها في يومٍ[5] وليلةٍ مقدارًا فحسبُوا على ذلك فوجدُوه قد مات منذُ سنةٍ وكان

---

(١) في ط: حيثما.

(٢) قرأ بها: ابن عباس، ويعقوب، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٦٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٧٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٣) في خ: مجمع.

(٤) في خ: عينه.

(٥) في خ: في كل يوم.

عمرُه ثلاثًا وخمسين سنة، ملك وهو ابن ثلاثَ عشرةَ سنة وبقي في ملكه أربعينَ سنةً وابتدأ بناءَ بيتِ المقدسِ لأربعٍ مضين من مُلكِه.

﴿لقد كانَ لسبإٍ﴾ بيان لإخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى إثرَ بيانِ أحوال الشَّاكرينَ لها أي لأولاد سبأ بن يشجبَ بنِ يعربَ بنِ قحطان وقرئ[1] بمنع الصَّرفِ على أنه اسمُ القبيلةِ. وقرئ[2] بقلب الهمزةِ ألفًا ولعله إخراجٌ لها بينَ بينَ ﴿في مسكنِهم﴾ وقرئ[3] بكسرِ الكافِ كالمسجِدِ، وقرئ[4] بلفظ الجمعِ أي مواضعِ سُكناهم وهي باليمنِ يقال لها مَأْربُ بينها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثِ ليالٍ ﴿آيةٌ﴾ دالَّة بملاحظة أحوالِها السَّابقةِ واللاَّحقةِ على وجود الصَّانعِ المُختار القادر على كلِّ ما يشاءُ من الأمور البديعة المُجازي للمحسنِ والمسيءِ معاضدةً للبرهان السَّابقِ كما في قصتي داودَ وسليمانَ عليهما السَّلامُ. ﴿جنَّتانِ﴾ بدل من آيةً أو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويُؤيِّدُه قراءةُ[5] النَّصبِ على المدح والمرادُ بهما جماعتانِ من البساتين. ﴿عن يمينٍ وشمالٍ﴾ جماعةٌ عن يمينِ بلدِهم وجماعةٌ عن شمالِه كلُّ واحدةٍ من تَيْنكَ الجماعتينِ في تقاربِهما وتضامِّهما كأنَّهما جنَّةٌ واحدةٌ أو بستانٌ [كلُّ رجلٍ][6] منهم عن يمين مسكنِه وعن شمالِه ﴿كُلوا من رزقِ ربِّكم واشكُروا

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، والبزي، وأبو عبيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٣)، والتيسير للداني ص (١٦٧)، والحجة لابن خالويه (٢٧٠، ٢٩٣)، وحجز ص (٥٨٥)، والسبعة لابن مجاهد (٤٨٠، ٥٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ١٥٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٧).

(٢) قرأ بها: حمزة، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٨).

(٣) قرأ بها: الكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثاب، وخلف، وعلقمة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٣)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٤) قرأ بها: نافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، وشعبة، وشيبة، وأبو عبيد، وأبو حاتم، والحسن، وأبو رجاء، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٣)، والتيسير للداني ص (١٨٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٥) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٤).

(٦) في خ: كان لرجل.

له﴾ حكاية لما قيل لهم على لسان نبيِّهم تكميلًا للنِّعمةِ وتذكيرًا لحقوقِها أو لما نطق به لسانُ الحالِ أو بيان لكونهم أحقَّاءَ بأنْ يقالَ لهم ذلك ﴿بلدةٌ طيِّبة وربٌّ غفورٌ﴾ استئنافٌ مبيِّن لما يوجب الشُّكرَ المأمور به أي بلدتُكم بلدةٌ طيبةٌ وربُّكم الذي زرقكم ما فيها من الطَّيباتِ وطلب منكم الشُّكرَ ربٌّ غفورٌ لفرطات مَن يشكره. وقرئ[١] الكلُّ بالنَّصبِ على المدح قيل: كان أطيبَ البلاد هواء وأخصبها وكانتِ المرأةُ تخرج وعلى رأسها المِكْتلُ[٢] فتعمل بيديها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلئُ المِكْتَلُ مما يتساقطُ فيه من الثِّمارِ ولم يكن فيه من مؤذياتِ الهُوامِّ[٣] شيء ﴿فأعرضُوا﴾ عن الشُّكر بعد إبانة الآيات الدَّاعيةِ لهم إليه قيل: أرسلَ الله إليهم ثلاثةَ عشرَ نبيًّا فدَعوهم إلى الله تعالى وذكَّروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذَّبوهم.

﴿فأرسلنا عليهم سيلَ العرمِ﴾ أي سيلَ الأمر العرم أي الصَّعبِ من عَرِمَ الرَّجلُ فهو عارمٌ وعَرِمٌ إذا شرس خلقُه وصعب أو المطر الشَّديدُ وقيل: العرم جمعُ عُرمةٍ وهي الحجارة المركومة وقيل: هو السَّد الذي يحبس الماء وقيل: هو اسمٌ للبناءِ الذي يُجعلُ سدا وقيل هو البناء الرَّصينُ الذي بنته الملكةُ بلقيسُ بين الجبلينِ بالصَّخرِ والقارِ وحقنت به ماء العُيون والأمطار وتركت فيه خُرُوقًا على ما يحتاجون إليه في سقيهم. وقيل العرمُ الجُرَذُ الذي نَقَبَ عليهم ذلك السدَّ وهو الفأرُ الأعمى الذي يقال له الخُلْدُ سلَّطه الله تعالى على سدِّهم فنقبَه فغرَّق بلادَهم، وقيل: العَرِمُ اسم الوادي. وقرئ[٤] العَرْم بسكون الرَّاءِ قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنَّبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿وبدَّلناهم بجنَّتيهم﴾ أي أذهبنا جنَّتيهم وآتيناهم بدلهما ﴿جنَّتين ذَواتي أكلٍ خمط﴾ أي ثمرٍ بشعٍ فإنَّ الخَمْطَ كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتَّى لا يمكن أكلُه وقيل: هو الحامضُ والمرُّ من كلِّ شيء. وقيل: هو ثمرةُ شجرةٍ يقال لها

---

(١) قرأ بها: رويس.
ينظر: الإملاء للعكبري (٧/ ٢٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٤).

(٢) المكتل: بكسر الميم الزنبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب، يسع خمسة عشر صاعا.
لسان العرب (١١/ ٥٨٣).

(٣) الهوام لغة جمع هامة؛ مثل دابة ودواب، وهي تطلق على كل حيوان له سم يقتل كالحية، قاله الأزهري، وفي الحديث: اجتنبوا هوم الأرض، فإنها مأوى الهوام، وقد يطلق على ما لا يقتل كالحشرات، وفي الأثر النبوي: أيؤذيك هوام رأسك؟ يعني القمل. والمراد هنا ما يشمل المؤذي وغيره مما لا ينتفع به.
ينظر: لسان العرب والمصباح المنير مادة (همم)، وحاشية ابن عابدين (٤/ ١١١).

(٤) قرأ بها: عروة بن الورد، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٥).

فَسْوةُ الضبع على صورة الخَشْخَاشِ لا يُنتفع بها. وقيل هو الأَرَاكُ أو كلُّ شجرٍ ذي شوكٍ. والتَّقديرُ أكل أَكْل خمطٍ فحذف المضافُ وأقيم المضافُ إليه مقامَه. وقرئَ[١] أُكُلِ خمطٍ بالإضافة وبتخفيفِ أكل. ﴿وأَثْل وشيءٍ من سِدْرٍ قليل﴾ معطوفان على أُكلٍ لا على خَمْطٍ فإن الأَثْلَ هو الطَّرفاءُ[٢].

وقيل شجرٌ يُشبهه أعظم منه لا ثمرَ له وقرئ[٣] وأَثْلًا وشيئًا عطفًا على جنَّتين. قيل: وصف السِّدْرُ[٤] بالقلَّةِ لما أنَّ جناهُ وهو النَّبقُ ممَّا يطيبُ أكلُه ولذلك يغرس في البساتينِ والصَّحيح أنَّ السِّدْرِ صنفانِ صنفٌ يُؤكلُ من ثمره ويُنتفع بورقه لغسلِ اليد وصنف له ثمرة عَفْصةٌ لا تُؤكل أصلًا ولا يُنتفع بورقِهِ وهو الضَّالُ والمرادُ هاهنا هو الثَّاني حتمًا. وقال قَتادةُ: كان شجرُهم خيرَ الشَّجرِ فصيَّرَه الله تعالى من شرِّ الشَّجرِ بأعمالِهم. وتسميةُ البدلِ جنَّتين للمشاكلةِ[٥] والتَّهكُّم[٦].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى مصدر قوله تعالى: ﴿جزيناهُم﴾ أو إلى ما ذُكر من التَّبديلِ. وما فيه من معنى البُعد للإيذانِ ببُعد رُتبتِهِ في الفظاعة. ومحلُّه على الأوَّلِ النَّصبُ على

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والتيسير للداني (١٦٧، ١٨٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (١/ ٣١٣)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥٨).

(٢) قال الفراء: «الأثل هو الذي يعرف شبيه بالطرفاء، إلا أنه أعظم طولا».
ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ٥٧١)، ولسان العرب مادة (أثل) (١/ ٧٩، ٨٠).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٥).

(٤) السدر: النبق.
ينظر روح المعاني، (٢٢/ ١٨٦)، ومختار الصحاح، (٢٨٣)، واللسان (سدر)، والسدر سدران: أحدهما: لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغسول وثمره عفصٌ ولا يسوغ في الحلق؛ والسدر الثاني، ينبت على الماء وثمره النبق وورقه قيول يشبه شجرة العناب، له سلاء كسلائه وورقه كورقه غير أن ثمر العناب أحمر حلو وثمر السدر أصفر مرٌّ يتفكه به.
ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سدر)، (٤/ ٥٣٣).

(٥) في ط: لشاكلة.

(٦) المشاكلة لون من ألوان البديع المعنوي، وحدها ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا.
ينظر: الإيضاح للخطيب القزويني (٤/ ٢٢)، وشروح التلخيص (٤/ ٣٩) وما بعدها، والمصباح لبدر الدين بن مالك (٢١) وما بعدها، والإشارات والتنبيهات (٢٦٧)، والمطول (٤٢٣)، وشرح عقود الجمان للسيوطي (١١٠)، وحلية اللب المصون على جوهر الكتاب المكنون (١٣٤)، وأنوار الربيع (٢١٠)، وحسن الصنيع (١٧٣)، ومفتاح العلوم (٤٢٤).

أنَّه مصدرٌ مؤكدٌ للفعل المذكور وعلى الثَّاني النَّصبُ على أنَّه مفعولٌ ثانٍ له أي ذلك الجزاءَ الفظيعَ جزيناهم لا جزاءً آخرَ أو ذلك التَّبديلَ جزيناهم لا غيرَه ﴿بما كفرُوا﴾ بسبب كفرانهم النِّعمة حيثُ نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدَّها أو بسبب كفرهم بالرُّسلِ ﴿وهل نُجازي إلا الكَفُور﴾ أي وما نُجازي هذا الجزاءَ إلا المُبالغَ في الكُفرانِ أو الكفر. وقرئ[1] يُجازِي على البناء للفاعل وهو الله عزَّ وجلَّ. وهل يُجازَى على البناء للمفعول ورفعِ الكفورَ، وهل يُجزى على البناء للمفعولِ أيضًا. وهذا بيانُ ما أُوتوا من النِّعم الحاضرة في مساكنهم وما فعَلُوا بها من الكُفرانِ وما فُعلَ بهم من الجزاء. وقوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم وبين القُرى التي باركنا فيها﴾ حكاية لما أُوتوا من النِّعمِ البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فَعلُوا بها من الكُفرانِ وما حاق به بسبب ذلك تكملةً لقصتهم وبيانًا لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكلَّ معًا لما في التَّثنيةِ والتَّكريرِ من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأٍ لا على ما بعده من الجمل النَّاطقةِ بأفعالهم أو بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فُنون النِّعمِ بينهم أي بين بلادهم وبين القُرى الشَّاميةِ التي باركنا فيها للعالمين ﴿قُرى ظاهرةً﴾ متواصلة يُرى بعضُها من بعضٍ لتقاربها فهي ظاهرة لأعينُ أهلها أو راكبة متنَ الطريق ظاهرة للسَّابلةِ[2] غير بعيدة عن مسالكهم حتَّى تخفى عليهم ﴿وقدَّرنا فيها السَّيرَ﴾ أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعضٍ على مقدار معيَّنٍ يليقُ بحال أبناء السَّبيلِ قيل: كان الغادي من قرية يقيلُ في أخرى والرَّائحُ منها يبيت في أُخرى إلى أنْ يبلغَ الشَّامَ. كلُّ ذلك كان تكميلًا[3] لما أُوتوا من أنواع النَّعماءِ وتوفيرًا لها في الحضر والسَّفرِ ﴿سيرُوا فيها﴾ على إرادة القول أي وقُلنا لهم سيروا في تلك القُرى ﴿لياليَ وأيامًا﴾ أي متى شئتُم من الليالي والأيَّامِ ﴿آمنين﴾ من كلِّ ما تكرهونه لا يختلف الأمنُ[4] فيها باختلاف الأوقاتِ أو سيروا فيها آمنينَ وإن[5] تطاولتْ مُدَّةُ سفرِكم وامتدتْ لياليَ وأيَّامًا كثيرة أو سيروا فيها لياليَ أعمارِكم وأيَّامَها لا تلقَون فيها إلا الأمنَ، لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السَّيرِ المذكور وتسوية مباديه [وأسبابه][6] على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك.

---

(١) قرأ بها: قتادة، وابن وثاب، والنخعي، ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٨٩).
(٢) السابلة: جماعة الطريق.
(٣) في خ: توقيرًا.
(٤) في خ: الأمر.
(٥) في خ: فإن.
(٦) سقط في ط.

﴿فقالُوا ربنَّا باعدْ بين أسفارنا﴾ وقرئ[١] يا ربَّنا. بطروا النِّعمةَ وسئِمُوا أطيبَ العيشِ وملُّوا العافية فطلبوا الكدَّ والتَّعبَ كما طلب بنو إسرائيلَ الثوم والبصل مكان المنِّ والسَّلوى وقالوا لو كان جنَى جناننا أبعدَ لكان أجدرَ أن نشتهيَه وسألوا أنْ يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوزَ وقفارًا ليركبُوا فيها الرَّواحل ويتزوَّدوا الأزواد ويتطاولُوا فيها على الفقراء فعجَّل الله تعالى لهم الإجابةَ بتخريب تلك القُرى المتوسطة وجعلها بَلْقَعًا لا يُسمع فيها داعٍ ولا مجيبٌ. وقرئ (بَعُدَ)[٢] و(ربنا بعِّدْ بين أسفارنا)[٣] و(بعُدَ بينُ أسفارنا)[٤] على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به، كما يقال سير فرسخان و(بُوعد بين أسفارِنا)[٥] وقرئ (ربنا باعد بين أسفارنا)[٦] و(بين سفرِنا)[٧] و(بعَّد) برفع (ربنا)[٨] على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعادُ

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٦).

(٢) قرأ بها: محمد ابن الحنفية، وسفيان بن حسين، وابن السميفع، والفراء، وأبو إسحاق، ويحيى بن يعمر، وسعيد بن أبي الحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٨٩)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥٠).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وهشام، وابن محيصن، واليزيدي، ومجاهد، ويحيى بن يعمر، وابن عباس، وعيسى بن عمر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٦)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٧)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٤)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٥٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٤) قرأ بها: سعيد بن أبي الحسن، وابن يعمر، والكلبي، ومحمد بن السميفع، وسفيان بن حسين.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٧)، والبحر المحيط (٧/ ٢٧٣)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٦)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٦٠).

(٥) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٦).

(٦) قرأ بها: يعقوب، ومحمد ابن الحنفية، وسلام، وابن عباس، وأبو صالح، وأبو رجاء، والحسن، وأبو حاتم، وزيد بن علي، وابن يعمر، وابن أبي ليلى، والكلبي، ومحمد بن علي الباقر، وأبو حيوة، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، وسهل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٥٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٨٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٧) قرأ بها: ابن يعمر، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٦).

(٨) قرأ بها: يحيى بن يعمر، وعيسى بن عمر، وابن عباس، ومحمد ابن الحنفية، وعمر بن فائد، والكلبي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦).

مسايرهم مع قِصرها أو دنوِّها[١] وسهولة سلوكها لفرطِ تنعُّمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنَّهم يتشاجَون على الله تعالى ويتحازنون عليه **﴿وظلمُوا أنفسَهم﴾** حيث عرَّضُوها للسَّخطِ والعذاب حين[٢] بطروا النِّعمةَ أو غمطُوها **﴿فجعلناهم أحاديثَ﴾** أي جلعناهم بحيث يتحدثُ النَّاسُ بهم متعجِّبين من أحوالَهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلِهم **﴿ومزَّقناهم كلَّ مُمزَّقٍ﴾** أي فرَّقناهم كلَّ تفريقٍ على أنَّ المُمزَّقَ مصدرٌ، أو كلَّ مطرحٍ ومكانِ تفريقٍ، على أنه اسم مكان، وفي عبارة التَّمزيقِ الخاص بتفريق المتَّصل وخرقه من تهويل الأمرِ والدِّلالةِ على شدَّةِ التَّأثيرِ والإيلام ما لا يخفى أي مزَّقناهم تمزيقًا لا غاية وراءه [بحيث][٣] يُضرب به الأمثال في كلِّ فُرقة[٤] ليس بعدها وصالٌ حتى لحق غسَّانُ بالشَّأم وأنمارٌ بيثربَ وجُذامُ بتهامةَ والأزدُ بعمانَ. وأصلُ قصَّتهم على ما رواه الكلبيُّ عن أبي صالح أنَّ عمروَ بن عامرٍ من أولاد سبأٍ وبينهما اثنا عشر أبًا وهو الذي يُقال له مُزَيْقِيا بنُ ماءِ السَّماءِ أخبرتْهُ طريفةُ الكاهنةُ بخراب سدِّ مأربَ وتغريق سيل العرم الجنَّتين. وعن أبي زيد الأنصاريِّ أنَّ عَمرًا رأى جُرَذًا يحفرُ السَّدَّ فعلم أنَّه لا بقاءَ له بعدُ، وقيل: إنَّه كان كاهنًا وقد عَلمه بكهانتِه فباع أملاكَه وسار بقومه وهم ألوفٌ من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكَّة المعظَّمة وأهلها جُرهمٌ وكانوا قهروا النَّاسَ وحازوا ولايةَ البيت على بني إسماعيلَ عليه السَّلامُ وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبةَ بن عمرو بن عامر يسألُهم المقام معهم إلى أنْ يرجع إليه رُوَّادُه الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له موضعًا يسَعه ومَن معه من قومه فأبَوا فاقتتلُوا ثلاثةَ أيَّامٍ فانهزمت جُرهمٌ ولم يفلت منهم إلا الشَّريدُ وأقام ثعلبةُ بمكَّةَ وما حولها في قومِه وعساكرِه حولًا فأصابتْهم الحُمَّى فاضطرُوا إلى الخروج وقد رجع إليه رُوَّادُه فافترقوا فرقتينُ فرقةٌ توجَّهت نحو عُمانَ وهم الأزد وكندة وحِمْيرُ ومَن يتلوهم وسار ثعلبةُ نحو الشَّام فنزل الأوسُ والخزرجُ [ابنا حارثةَ بنِ ثعلبةَ بالمدينةِ وهم الأنصارُ ومضت غسَّانُ فنزلوا بالشَّأمِ وانخزعتْ[٥] خزاعة بمكَّةَ فأقام بها ربيعةُ][٦] بن حارثةَ بنِ عمروِ بنِ عامرٍ وهو لحيٌّ فولِي أمرَ مكَّةَ وحجابةَ البيتِ ثم جاءهم أولادُ إسماعيل عليه السَّلامُ فسألوهم السُّكنى معهم وحولهم فأذِنُوا لهم في ذلك. ورُوي عن

---

(١) في خ: ومقرها.
(٢) في خ: حيث.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: مزقة.
(٥) انخزعت خزاعة: سميت خزاعة بهذا الاسم لأنهم ساروا مع قومهم من مأرب فانتهوا إلى مكة تخزَّعوا عنهم فأقاموا وسار الآخرون إلى الشام، وانخزعت: أي تخلفت.
(٦) سقط في خ.

ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ فروةَ بن [مُسيكٍ الغطيفي][(١)] سأل النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام عن سبأٍ فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ هو رجلٌ كان له عشرةُ أولاد ستَّةٌ [منهم][(٢)] سكنُوا اليمنَ وهم مَذْحِجُ وكِنْدةُ والأَزْدُ والأشعريُّون وحِمْيَرُ وأَنمارٌ منهم بَجِيلةُ وخَثْعَمُ وأربعةٌ منهم سكنُوا الشَّأْمَ وهم لَخْمٌ وجُذَامٌ وعَامِلةُ وغَسَّانُ لما هلكتْ أموالُهم وخربتْ بلادُهم تفرَّقُوا أَيْدِي سَبًا شَذَرَ مَذَرَ فنزلتْ طوائفُ منهم بالحجاز فمنهم خُزَاعةُ نزلوا بظاهر مكَّةَ ونزلتِ الأوسُ والخزرجُ بيثربَ فكانوا أوَّلَ مَن سكنها ثم نزل عندهم ثلاثُ قبائلَ من اليهَّودِ بنُو قَينُقاعَ وبنُو قُريظَة والنَّضيرِ فحالفوا الأوسَ والخزرجَ وأقاموا عندهم ونزلتْ طوائفُ أُخر منهم بالشأمِ وهم الذين تنصَّروا فيما بعد وهم غسَّانُ وعَاملةُ ولَخْمٌ وجُذَامٌ وتَنوخُ وتَغْلِبُ وغيرُهم، وسَبَأٌ تجمعُ هذه القبائلَ كلَّها[(٣)] والجمهورُ على أنَّ جميعَ العرب قسمانِ قحطانيَّةٌ، وعدنانيَّةٌ، والقحطانيَّةُ شعبانِ سبأٌ وحَضْرَمَوْتَ والعدنانيَّةُ شعبانِ رَبيعةُ ومُضَرُ وأما قُضَاعةُ فمختلفٌ فيها فبعضهم ينسبونَها إلى قَحْطانَ وبعضُهم إلى عدنانَ والله تعالى أعلم.

﴿إنَّ في ذلك﴾ أي فيما ذُكر من قصَّتهم **﴿لآياتٍ﴾** عظيمةً **﴿لكلِّ صَبَّارٍ شكُورٍ﴾** أي شأنه الصَّبرُ عن الشَّهواتِ ودواعي الهَوَى وعلى مشاقِّ الطَّاعاتِ والشُّكرُ على النِّعم. وتخصيصُ هؤلاء بذلك لأنهم المُنتفعون بها.

﴿ولقد صدَّقَ عليهم إبليسُ ظنَّه﴾ أي حقَّق عليهم ظنَّه أو وجده صادقًا. وقرئ[(٤)] بالتَّخفيف أي صدَق في ظنِّه أو صدَقَ بظنٍّ ظنَّه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنَّه نوع من القول وقرئ[(٥)] بنصب إبليسَ ورفعِ الظَّنِّ مع التَّشديدِ بمعنى وجدَه ظنُّه صادقًا ومع

---

(١) في خ: مُسَيْكة المغطفي.
(٢) سقط في خ.
(٣) أخرجه مختصرًا أحمد (١/ ٣١٦)، وأبو داود (٢/ ٤٣٠) كتاب الحروف والقراءات، برقم (٣٩٨٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٣٢٢) برقم (١٧٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٣٢٦) برقم (٨٣٨)، والحاكم (٢/ ٤٦٠).
(٤) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، ومجاهد، وأبو جعفر، وشيبة، ويعقوب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).
(٥) قرأ بها: أبو الهجهاج، وزيد بن علي، والزهري، وجعفر بن محمد، ويعقوب، وبلال بن أبي بردة، وسهل.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٦٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٧٣)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٥٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٩٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩١).

التَّخفيف بمعنى قال له الصِّدقُ حين [خيَّل له إغواءَهم][١] وبرفعهما والتخفيف على الإبدال. وذلك إما ظنّه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشَّهواتِ أو ببني آدمَ حين شاهدَ آدمَ عليه السَّلامُ قد أصغى إلى وسوسته قال إنَّ ذُريَّته أضعفُ منه عزمًا وقيل ظنَّ ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكةَ أنَّه يجعلُ فيها مَن يفسد فيهاويسفكُ الدِّماءَ وقال لأضلنَّهم ولأغوينَّهم ﴿فاتَّبعوه﴾ أي أهلُ سبأٍ أو النَّاسُ ﴿إلا فريقًا من المؤمنين﴾ إلا فريقًا هم المؤمنون لم يتَّبعوه على أنَّ مِن بيانيةٌ. وتقليلُهم بالإضافة إلى الكُفَّارِ أو إلا فريقًا من فِرقِ المؤمنين لم يتَّبعوه وهم المُخلَصون ﴿وما كانَ له عليهم من سلطانٍ﴾ أي تسلُّطٌ واستيلاءٌ بالوسوسةِ والاستغواءِ وقولُه تعالى ﴿إلا لنعلمَ مَن يُؤمن بالآخرةِ مَّمن هُو منها في شكٍّ﴾ استثناء مفرَّغٌ من أعمِّ العللِ ومَن موصولةٌ أي وما كان تسلُّطُه عليهم إلا ليتعلَّقَ علمُنا بمَنْ يُؤمن بالآخرةِ متميزًا ممَّن هو في شكٍّ منها تعلُّقًا حاليًا يترتَّب عليه الجزاءُ أو[٢] إلا ليتمَّيزَ المؤمنُ من الشَّاكِّ أو [إلا][٣] ليؤمنَ من قُدِّر إيمانُه ويشكُّ من قُدِّر ضلالُه والمراد من حصول العلم حصول متعلَّقه مبالغةً ﴿وربُّك على كلِّ شيءٍ حفيظٌ﴾ أي محافظ عليه فإنَّ فَعيلًا ومُفاعِلًا صيغتانِ متآخيتانِ.

قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ (٢٣) ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٢٤) قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٢٥) قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ (٢٦) قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٧)

﴿قُلْ﴾ أي للمشركين إظهارًا لبُطلان ما هُم عليه وتَبكيتًا لهم ﴿ادعوا الذين زعمتُم﴾ أي زعمتمُوهم آلهةً وهما [مفعولا زعمَ][٤] ثم حُذف الأوَّلُ تخفيفًا لطول[٥] الموصول بصلتِه والثَّاني لقيام صفتِه أعني قوله تعالى ﴿مِنْ دُونِ الله﴾ مقامه ولا سبيل إلى جعله [مفعولًا][٦] ثانيًا لأنَّه لا يلتئمُ مع الضَّميرِ كلامًا وكذا لا يملكُون لأنَّهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمُّكم من جَلْبِ نفعٍ أو دفعِ ضُرٍّ لعلَّهم يستجيبون لكُم

---

(١) في خ: أغواهم.
(٢) في خ: و.
(٣) سقط في ط.
(٤) في خ: مفعولان.
(٥) في خ: لجواب.
(٦) سقط في خ.

إنْ صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارًا بتعيُّن الجوابِ وأنَّه لا يقبلُ المكابرةَ فقال ﴿لا يملكون مثقالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير وشرٍّ ونفع وضرٍّ ﴿في السَّمواتِ ولا في الأرضِ﴾ أي [في][1] أمرٍ ما من الأمور. وذكرُهما للتَّعميم عُرفًا، أو لأنَّ آلهتَهم بعضُها سماويةٌ كالملائكةِ والكواكبِ وبعضُها أرضية كالأصنامِ أو لأنَّ الأسباب القريبة للخيرِ والشرِّ سماويةٌ وأرضيةٌ والجملة استئنافٌ لبيانِ حالِهم. ﴿وما لَهُم﴾ أي لآلهتِهم ﴿فيهما من شِركٍ﴾ أي شَركةٍ لا خلقًا ولا مُلكًا ولا تصرُّفًا ﴿وما له﴾ أي لله تعالى ﴿منهم﴾ من آلهتِهم ﴿من ظهير﴾ يُعينه في تدبير أمرِهما.

﴿ولا تنفعُ الشَّفاعةُ عنده﴾ أي لا توُجد رأسًا كما في قوله: [السريع]

.... وَلاَ تَـرَى الـضَّـبَّ بـهـا يـنـجـحِـرْ[2]

لقوله تعالى: ﴿منَ ذا الذي يشفعُ عنده إلاَّ بإذنِه﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥٥] وإنَّما علَّق النَّفيَ بنفعها لا بوقوعِها تصريحًا بنفي ما هو غرضُهم من وقوعها وقوله تعالى ﴿إلا لمن أذِن له﴾ استئناءٌ مفرَّغٌ من أعمِّ الأحوال أي لا تقع الشَّفاعةُ في حال من الأحوالِ إلا كائنةً لمن أذنَ له في الشَّفاعةِ من النبيِّين والملائكةِ ونحوِهم من المستأهلين لمقام الشَّفاعةِ فتبيَّن حرمانُ الكَفرَة منها بالكُلِّية، أما من جهةِ أصنامِهم فلظهور انتفاء الإذن لها ضرورةَ استحالةِ الإذنِ في الشفاعة لجمادٍ لا يعقلُ ولا ينطق وأمَّا من جهةِ مَن يعبدونَهُ من الملائكةِ فلأنَّ إذنَهم مقصورٌ على الشَّفاعةِ للمستحقِّين لها لقوله تعالى: ﴿لا يتكلَّمون إلا من أذنَ له الرَّحمنُ وقال صَوَابًا﴾ [سورة النبأ، الآية ٣٨] ومن البيِّن أنَّ الشَّفاعةَ للكفرةِ بمعزل من الصَّوابِ أو لا تنفع الشَّفاعةُ من الشُّفعاءِ المستأهلين لها في حالٍ من الأحوال إلا كائنةً لمن إذِن له أي لأجلهِ وفي شأنِه من المستحقِّين للشَّفَّاعة وأمَّا مَن عداهم من غيرِ المستحقِّين لها فلا تنفعُهم أصلًا وإنْ فُرض وقوعُها وصدورُها عن الشُّفعاءِ إذ لم يؤذَن لهم في شفاعتهم بل شفاعة غيرِهم، فعلى هذا يثبتُ حرمانُهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النَّصِّ ومن شفاعة الأصنام بدلالته [إذ حيثُ][3] حُرموها من جهةِ القادرين على شفاعة بعض المحتاجين إليها

---

(١) سقط في خ.

(٢) عجز بيت وصدره:

لا تُـفْـزِعِ الأرنَـبَ أهـوَالُـهـا ....

والبيت لابن أحمر في ديوانه (ص ٦٧)، وأمالي المرتضى (١/ ٢٢٩) وخزانة الأدب (١٠/ ١٩٢)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (١١/ ٣١٣) الخصائص (٣/ ١٦٥، ٣٢١).

(٣) في خ: أو حين.

فلأنْ يُحرموها من جهة العَجَزةِ عنها أولى. وقرئ[١] أُذِنَ له مبنيًّا للمفعولِ.

﴿حتَّى إذا فُزِّعَ عن قلوبِهم﴾ أي قلوب الشُّفعاءِ والمشفوعِ لهم من المؤمنين وأمَّا الكَفَرةُ فهم من موقف الاستشفاع بمعزلٍ وعن التَّفزيعِ عن قلوبهم بألفِ منزلٍ والتفزيع إزالةُ الفزعِ ثمَّ ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجارِّ والجرور وحتَّى غاية لما ينبئ عنه ما قبلَها من الإشعار بوقوعِ الإذنِ لمن أذن له فإنَّه مسبوق بالاستئذان المستدعِي للتَّرقبِ والانتظارِ للجواب كأنَّه سُئل كيف يُؤذن لهم؟ فقيل: يتربَّصون في موقف الاستئذانِ والاستدعاءِ ويتوقَّفون على وَجَلٍ وفَزَعٍ مليًّا[٢] حتَّى إذا أُزيلَ الفزعُ عن قلوبهم بعد اللَّتيا والَّتي وظهرتْ لهم تباشيرُ الإجابةِ ﴿قالوا﴾ [أي المشفوعُ لهم إذْ هم المحتاجون إلى الإذنِ والمهتمُّون بأمره ﴿ماذا قال ربُّكم﴾ أي في شأنِ الإذنِ ﴿قالُوا﴾][٣] أي الشُّفعاءُ لأنَّهم المُباشرون للاستئذان بالذَّاتِ المتوسِّطُون بينهم وبينه عزَّ وجلَّ بالشَّفاعةِ ﴿الحقَّ﴾ أي قال ربُّنا القول الحقَّ وهو الإذن في الشفاعةِ للمستحقِّين لها وقرئ[٤] الحقُّ مرفوعًا أي ما قاله الحقُّ ﴿وهو العليُّ الكبيرُ﴾ من تمام كلام الشُّفعاء قالوه اعترافًا بغاية عظمة جناب العزَّةِ عزَّ وجلَّ وقصور شأنِ كلِّ مَن سواه أي هو المنفرد بالعلوِّ والكبرياءِ ليس لأحدٍ من أشراف الخلائقِ أنْ يتكلَّم إلا بإذنه. وقرئ[٥] فزع مخفَّفًا بمعنى فزع وقرئ[٦] فَزَّعَ على البناء للفاعل وهو الله وحدَه وقرئ[٧] فَرَغَ بالراء المهملة والغين المعجمة أي نفي الوجلِ عنها وأفنى، من فرغَ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وخلف، والأعمش، واليزيدي، والحسن، وشعبة، والأعشى، والبرجمي، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٥٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٧٠)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٠).

(٢) في خ: كليا.

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٨)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٤٥).

(٥) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٧٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٩٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٨٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩١).

(٦) قرأ بها: ابن عامر، ويعقوب، وابن مسعود، وابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وطلحة، وأبو المتوكل الناجي، وابن السميفع، والحسن، وقتادة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٥٩)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

(٧) قرأ بها: الحسن، ومطر الوراق، وقتادة، وأبو المتوكل.

=

الزَّادُ إذا لم يبقَ منه شيءٌ وهو من الإسنادِ المجازيِّ لأنَّ الفراغَ وهو الخلوُّ[١] حال ظرفه عند نفادِهِ فأُسند إليه على عكسِ قولِهِم جَرَى النَّهر وعن الحسن تخفيفُ[٢] الرَّاءِ وأصله فَرِغ الوجلُ عنها أي انتفى عنها وفني ثم حُذف وأُسند إلى الجارِّ والمجرور وبه يُعرف حال التَّفريغِ.

وقرئ ارتفعَ عن قلوبِهم بمعنى انكشفَ عنها.

﴿**قُلْ مَن يرزقكم من السَّمواتِ والأرضِ**﴾ أمرَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بتبكيتِ المشركين بحملهم على الإقرارِ بأنَّ آلهتَهم لا يملكونَ مثقالَ ذَرَّةٍ فيهما وأنَّ الرَّازقَ هو الله تعالى فإنَّهم لا ينكرونه كما ينطقُ به قوله تعالى: ﴿قل مَن يرزقكُم من السَّماءِ والأرضِ أمَّن يملكُ السَّمعَ والأبصارَ ومن يُخرج الحيَّ من الميتِ ويخرج الميتَ من الحيِّ ومن يُدبر الأمرَ فسيقُولون الله﴾ [سورة يونس، الآية ٣١] وحيث كانُوا يتلعثمُون أحيانًا في الجواب مخافةَ الإلزام قيل له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿قُل الله﴾ إذ لا جوابَ سواهُ عندهم أيضًا ﴿**وإنَّا أو إيَّاكم لعلى هُدى أو في ضلالٍ مبينٍ**﴾ أي وإنَّ أحدَ الفريقينِ من الذين يوحِّدون المتوحِّدَ بالرِّزقِ والقُدرة الذَّاتيةِ ويخصونه بالعبادة والذين يُشركون به في العبادةِ الجمادَ النَّازلَ في أدنى المراتبِ الإمكانية لعلى أحدِ الأمرينِ من الهُدى والضَّلالِ المُبين وهذا بعد ما سبق من التَّقرير البليغ النَّاطقِ بتعيين من هُو على الهدى ومن هو في الضَّلالِ أبلغ من التَّصريحِ بذلك لجريانه على سَنَنِ الإنصاف المُسكتِ للخَصمِ الألدِّ.

وقرئ[٣] وإنَّا أو إيَّاكم إما على هُدى أو في ضلال مبين، واختلافُ الجارِين للإيذان بأنَّ الهاديَ كمن استعلى منارًا[٤] ينظرُ الأشياءَ ويتطلَّع عليها والضَّالُّ كأنَّه

= ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٧١)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٩٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩١).

(١) في خ: الخلف.

(٢) قرأ بها: الحسن، وأيوب، وحميد الطويل، وقتادة، ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٧١)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٢٩٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٢).

(٣) قرأ بها: أبي، ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٩).

(٤) الشيخ بهذا الشرح يشير إلى أن الآية وقعت فيها أربع استعارات: استعارتان في الحرفين (على، في) وفي الكلمتين (هدى)، (ضلال) والاستعارة في الحرف وقع الخلاف فيها. أما الاستعارة في الكلمتين فهما استعارة تصريحية، وأما التي في الحروف فهي عند الخطيب تبعية تصريحية، والجمهور يجريها في متعلقات معانيها الكلية، وابن يعقوب المغربي يجعلها مكنية.
ينظر: الإيضاح مع البغية (٣/ ١٣٦) وما بعدها، وشرح التلخيص (٤/ ١٢٠) وما بعدها.

منغمسٌ في ظلام لا يَرى شيئًا أو محبوسٌ في مطمورةٍ لا يستطيعُ الخروجَ منها ﴿قُل لا تُسألون عمَّا أَجرمنَا ولا نُسأل عمَّا تعملونَ﴾ وهذا أبلغُ في الإنصافِ وأبعدُ من الجَدَلِ والاعتسافِ حيثُ أسند فيه الإجرامُ. وإنْ أُريد به الزَّلَّةُ وتركُ الأولى. إلى أنفسهم، ومطلقُ العمل إلى المخاطبين مع أنَّ أعمالهم أكبرُ الكبائرِ ﴿قُل يجمعُ بيننا ربُّنا﴾ يومَ القيامةِ عند الحشرِ والحسابِ[1] ﴿ثم يفتحُ بيننا بالحقِّ﴾ أي يحكمُ بيننا ويفصلُ بعد ظهورِ حالِ كلٍّ منّا ومنكم بأن يدخل المحقِّين الجنة والمبطلين النار. ﴿وهو الفتاحُ﴾ الحاكم الفيصلُ[2] في القضايا المنغلقةِ ﴿العليمُ﴾ بما ينبغي أنْ يُقضى به ﴿قُلْ أَروني الذين ألحقتُم﴾ أي ألحقتمُوهم ﴿به شركاء﴾ أُريد بأمرهم بإرادة الأصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إظهار خطئِهم العظيمِ وإطلاعهم على بُطلانِ رأيهم[3] أي أَروُنيها لأنظرَ بأيِّ صفةٍ ألحقتُموها بالله الذي ليسَ كمثلِه شيءٌ في استحقاقِ العبادةِ، وفيه مزيدُ تبكيتٍ لهم بعد إلزامِ الحجَّةِ عليهم ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن المشاركةِ بعد إبطالِ المقايسةِ ﴿بل هُو الله العزيزُ الحكيمُ﴾ أي الموصوفُ بالغلبةِ القاهرةِ والحكمةِ الباهرةِ فأينَ شركاؤكم التي هي أخسُّ الأشياءِ وأذلُّها من هذه الرُّتبةِ العاليةِ، والضَّميرُ إمَّا لله عزَّ وعَلا أو للشَّأنِ كما في قُلْ هُو الله أحدٌ.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا

---

(١) في خ: الحصاد. (٢) في خ: المفضل.
(٣) في خ: رؤيتهم.

مُعَاجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافَّةً للنَّاسِ﴾ أي إلا إرسالةً عامَّةً لهم فإنَّها إذا عمَّتهم فقد كفتْهم أنْ يخرجَ منها أحدٌ منهم أو إلا جامعًا لهم في الإبلاغ فهي حالٌ من الكافِ والتَّاءَ للمُبالغةِ ولا سبيلَ إلى جعلِها حالًا من النَّاسِ لاستحالةِ تقدُّمِ الحالِ على صاحبها المجرورِ ﴿بَشيرًا ونَذيرًا ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمُون﴾ ذلك فيحملُهم جهلُهم على ما هُم عليهِ من الغيِّ والضَّلالِ ﴿ويقولُون﴾ من فرطِ جهلِهم وغايةِ غيِّهم ﴿متى هذا الوعدُ﴾ بطريقِ الاستهزاءِ يعنون به المبشَّر به والمنذَر عنه أو الموعود بقوله تعالى: ﴿يجمعُ بيننا ربنا ثم يفتحُ بيننا﴾ [سورة سبأ، الآية ٢٦] ﴿إن كنتُم صادقين﴾ مخاطِبين لرسولِ الله ﷺ والمؤمنين به ﴿قُل لكم ميعادُ يومٍ﴾ أي وعدُ يومٍ أو زمانٍ وعدٍ والإضافة للتبيِّينِ.

وقرئ[1] ميعادٌ يومٌ منونينِ على البدل ويومًا بإضمارِ أعني للتَّعظيم ﴿لا تستأخِرون عنه﴾ عند مفاجأتِه ﴿ساعةً ولا تستقدمون﴾ صفةٌ لميعادُ وفي هذا الجواب من المبالغةِ في التَّهديدِ ما لا يخفى حيثُ جعل الاستئخارَ في الاستحالةِ كالاستقدامِ الممتنعِ عقلًا وقد مرَّ بيانُه مرارًا ويجوزُ أنْ يكونَ نفيُ الاستئخار والاستقدام غيرَ مقيَّدٍ بالمُفاجأة فيكون وصفُ الميعادِ بذلك لتحقيقِه وتقريرِه ﴿وقال الذين كفرُوا لن نؤمنَ بهذا القرآنِ ولا بالذي بين يديهِ﴾ أي من الكتبِ القديمةِ الدَّالَّةِ على البعث وقيل: إنَّ كُفَّار مكَّةَ سألُوا أهلَ الكتابِ عن رسولِ الله ﷺ فأخبرُوهم أنَّهم يجدون نعتَهُ في كتبهم فغضبُوا فقالُوا ذلكَ وقيل: الذي بين يديه القيامة ﴿ولَو ترى إذِ الظَّالمون﴾ المنكرون للبعث ﴿موقوفون عند ربِّهم﴾ أي في موقفِ المحاسبة ﴿يرجع بعضُهم إلى بعضٍ القول﴾ أي يتحاورونَ ويتراجعون القولَ ﴿يقول الذين استُضعفوا﴾ بدل من يرجع . . . إلخ أي يقول الأتباع ﴿للذين استكْبَرُوا﴾ في الدُّنيا واستتبعوهم في الغيِّ والضَّلالِ ﴿لولا أنتمُ﴾ أي لولا إضلالُكم وصدُّكم لنا عن الإيمانِ ﴿لكنَّا مؤمنين﴾ باتباع الرَّسولِ عليه

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٠)، وتفسير الرازي (٢٥/ ٢٥٨).

الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿قال الذين استكبرُوا للذين استُضعفوا﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على السُّؤال كأنَّه قيل: فماذا قال الذين استكبرُوا في الجواب فقيل قالُوا: ﴿أنحنُ صَددناكم عن الهُدى بعد إذْ جاءكم بل كنتمُ مجرمين﴾ مُنكرين لكونهم هم الصَّادِّين لهم عن الإيمانِ مُثبتين أنَّهم هم الصَّادُّون بأنفسهم بسبب كونِهم راسخين في الإجرام ﴿وقال الذين استُضعفوا للذين استكبرُوا﴾ إضرابًا على إضرابِهم وإبطالًا له ﴿بل مكر اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ أي بل صدَّنا مكرُكم بنا باللَّيلِ والنَّهارِ فحُذف المضافُ إليه وأقيم مقامَه الظَّرفُ اتِّساعًا أو جُعل ليلُهم ونهارُهم ماكريْنِ على الإسناد المجازي. وقرئ[1] بل مكرٌ اللَّيلَ والنَّهارَ بالتَّنوينِ ونصب الظَّرفينِ أي بل صدَّنا مكرُكم في اللَّيلِ والنَّهارِ على أنَّ التَّنوينَ عوضٌ عن المُضافِ إليه أو مكرٌ عظيمٌ على أنَّه للتَّفخيم. وقرئ بل مكر اللَّيلِ والنَّهارِ بالرَّفعِ والنَّصبِ[2] أي تمكرون الاغواء مكرًا دائبًا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أي بل صدَّنا مكركم الإغواء في اللَّيل والنَّهارِ على ما سبق من الاتِّساع في الظَّرفِ بإقامتِه مقامَ المضافِ إليه والنَّصبِ على المصدرية أي بل تمكرون الإغواءِ مكرَ اللَّيلِ والنَّهارِ أي مكرًا دائمًا قولُه تعالى ﴿إذ تأمرونَنا﴾ ظرفٌ للمكرِ أي بل مكرُكم الدَّائمُ وقتَ أمرِكم لنا ﴿أنْ نكفرَ بالله ونجعلَ له أندادًا﴾ على أنَّ المرادَ بمكرِهم إمَّا نفسُ أمرِهم بما ذُكر كما في قولِه تعالى: ﴿يا قوم اذكرُوا نعمةَ الله عليكم إذْ جعلَ فيكم أنبياءَ وجعلكم ملوكًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٢٠] فإنَّ الجعلينِ المذكورينِ نعمةٌ من الله تعالى وأيُّ نعمةٍ، وإما أمورٌ أُخَرُ مقارنة لأمرهم داعية إلى الامتثال به من التَّرغيب والتَّرهيبِ وغير ذلك ﴿وأسرُّوا النَّدامةَ لمَّا رَأَوا العذابَ﴾أي أضمرَ الفريقانِ الندامة على ما فَعَلا من الضَّلالِ والإضلالِ وأخفاها كلٌّ منهما عن الآخرِ مخافةَ التَّعييرِ أو أظهرُوها فإنَّه من الأضدادِ وهو المناسب لحالِهم ﴿وجعلنا الأغلالَ في أعناقِ الذين كفرُوا﴾ أي في أعناقِهم. والإظهارُ في موضعِ الإضمارِ للتَّنويهِ بذمِّهم والتنَّبيهِ على موجب أغلالِهم ﴿هل يُجزون إلَّا ما كانُوا يعملونَ﴾ أي لا يُجزون إلاَّ جزاءَ ما كانُوا يعملون أو إلاَّ بما كانُوا يعملونه على نزعِ الجارِّ.

﴿وما أرسلنا في قريةٍ﴾ من القُرى ﴿من نذيرٍ إلَّا قال مُترفوها إنَّا بما أُرسلتُم به كافرون﴾ تسليةً لرَّسولِ الله ﷺ ممَّا مُنِّيَ به من قومِه من التَّكذيبِ والكُفرِ بما جاء به

---

(١) قرأ بها: قتادة، ويحيى بن يعمر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٣)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٠٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٣).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩١).

والمنافسة بكثرةِ الأموالِ والأولادِ والمفاخرةِ بحظوظِ الدُّنيا وزخارفِها والتَّكبرِ بذلك على المُؤمنين والاستهانةِ بهم من أجلِه وقولهم: ﴿أي الفريقين خيرٌ مقامًا وأحسنُ نَديًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٧٣] بأنَّه لم يُرسلْ قط إلى أهل قريةٍ من نذيرٍ إلاَّ قال مُترفوهم مثلَ ما قال مُترفو أهلِ مكَّةَ في حقِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وكادُوا به نحوَ ما كادُوا به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقاسوا أمورَ الآخرةِ الموهومةِ والمفروضةِ عندهم على أمورِ الدُّنيا وزعموا أنَّهم لو لم يَكْرُموا على الله تعالى لمَا رَزَقهم طيبِّاتِ الدُّنيا ولولا أنَّ المؤمنينَ هانُوا عليهِ تعالى لمَا حرموها[1] وعلى ذلك الرأيِّ الرَّكيكِ بنَوا أحكامَهم.

﴿وقالوا نحنُ أكثرُ أموالًا وأولادًا وما نحنُ بمعذَّبين﴾ إمَّا بناءً على انتفاءِ العذابِ الأُخرويِّ رأسًا أو على اعتقادِ أنَّه تعالى أكرمَهم في الدُّنيا فلا يُهينهم في الآخرةِ على تقديرِ وقوعِها ﴿قُل﴾ رَدًّا عليهم وحسمًا لمادَّةِ طمعِهم الفارغِ وتحقيقًا للحقِّ الذي عليه يدورُ أمرُ التَّكوين ﴿إنَّ ربي يبسطُ الرِّزقَ لمَنْ يشاءُ﴾ أنْ يبسطَه له ﴿ويقدرُ﴾ على مَن يشاءُ أنْ يقدرَه عليه من غيرِ أنْ يكونَ لأحدِ الفريقينِ داعٍ إلى ما فُعل به من البسطِ والقَدْرِ فربُّما يُوسِّعُ على العاصِي ويُضيِّقُ على المطيعِ وربَّما يُعكس الأمرُ ورُبَّما يُوسِّع عليهما معًا وقد يُضيِّق عليهما وقد يُوسِّع على شخصٍ تارةً ويُضيِّق عليه أخرى يفعلُ كُلاً من ذلك حسبما تقتضيهِ مشيئته المبنيّة على الحِكَمِ البالغةِ فلا يُقاس على ذلك أمرُ الثَّوابِ والعذابِ اللَّذينِ مناطُهما الطَّاعةُ وعدمُها وقرئَ[2] ويُقدِّر بالتَّشديدِ ﴿ولكنَّ أكثرَ النَّاس لا يعلمونَ﴾ ذلك فيزعمون أنَّ مدارَ البسطِ هو الشَّرفُ والكرامةُ ومدارَ القَدْرِ هو الهوانُ ولا يدرون أنَّ الأوَّلَ كثيرًا ما يكونُ بطريقِ الاستدراجِ والثَّاني بطريقِ الابتلاءِ ورفعِ الدَّرجاتِ ﴿وما أموالُكم ولا أولادكُم بالتي تقربكم عندنا زُلْفى﴾ كلام مستأنفٌ من جهته عزَّ وعلا خُوطب به النَّاسُ بطريقِ التَّلوينِ والالتفاتِ مبالغةً في تحقيقِ الحقِّ وتقريرِ ما سبق أي وما جماعةُ أموالِكم وأولادِكم بالجماعةِ التي تُقربكم عندنا قُربةً فإنَّ الجمعَ المكسَّر عقلاؤُه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي تقرِّبكم. وقرئَ[3] بالذي أيْ بالشَّيءِ الذي ﴿إلا مَن آمنَ وعملَ صالحًا﴾ استثناءٌ

---

(١) في خ: حرموا منها.

(٢) قرأ بها: الأعمش، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٨٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢).

من مفعول تقربكم أي وما الأموالُ والأولادُ تقرِّبُ أحدًا إلا المؤمنَ الصَّالحَ الذي أنفقَ أموالَه في سبيلِ الله تعالى وعلَّم أولادَه الخيرَ وربَّاهم على الصَّلاح ورشَّحهم للطَّاعةِ وقيل: من أموالِكم وأولادِكم على حذفِ المضافِ أي إلاَّ أموالَ من . . . إلخ ﴿فأولئكَ﴾ إشارةٌ إلى مَن والجمعُ باعتبارِ معناها كما أنَّ الإفرادَ في الفعلينِ باعتبارِ لفظِها، وما فيه من معنى البُعد مع قُرب العهد بالمشارِ إليه للإيذانِ بعلوِّ رتبتِهم وبُعد منزلتِهم في الفضلِ أي فأولئكَ المنعوتُون بالإيمانِ والعملِ الصَّالحِ ﴿لهم جزاءُ الضِّعفِ﴾ أي ثابتٌ لهم ذلك على أنَّ الجارَّ والمجرورَ خبرٌ لما بعده والجملةَ خبرٌ لأولئك وفيه تأكيدٌ لتكررِ الإسنادِ أو يثبت لهم ذلك على أنَّ الجارَّ والمجرورَ خبرٌ لأولئك وما بعدَهُ مرتفعٌ على الفاعليةِ وإضافة الجزاءِ إلى الضِّعفِ من إضافة المصدرِ إلى المفعولِ أصله فأولئك لهم أنْ يجازوا الضِّعفَ ثم جزاءَ الضِّعفِ ثمَّ جزاءَ الضِّعفِ ومعناه أنَّ تضاعفَ لهم حسناتُهم الواحدةُ عشرًا فما فوقَها وقرئ[1] جزاءً الضِّعفُ أي فأولئك لهم الضِّعفُ جزاءً وجزاءٌ الضِّعفَ على أنْ يجازوا الضِّعفَ وجزاءٌ[2] الضِّعفُ بالرفع على أنَّ الضِّعفُ بدلٌ من جزاءٌ ﴿بما عملُوا﴾ من الصَّالحاتِ ﴿وهم في الغُرفاتِ﴾ أي غرفات الجنَّة ﴿آمنُون﴾ من جميع المكارِه. وقرئ بفتح[3] الرَّاءِ وسكونِها[4]. وقرئ[5] في الغُرفةِ على إرادةِ الجنسِ ﴿والذين يسعوَن في آياتِنا﴾ بالردِّ والطَّعنِ فيها ﴿مُعاجزين﴾ سابقينَ لأنبيائِنا أو زاعمينَ أنَّهم يفوتُوننا ﴿أولئك في العذابِ محضرون﴾ لا يجديهم ما عوَّلوا عليه نَفْعًا.

---

(١) قرأ بها: رويس، وقتادة، ويعقوب، والزهري، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٨٦)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٣٩٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

(٢) قرأ بها: قتادة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٦)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢).

(٣) ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٧٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢).

(٤) قرأ بها: عاصم، والحسن، والمطوعي، والأعمش، ومحمد بن كعب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٧٨)، والبحر المحيط (٧/ ٢٨٦)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٢).

(٥) قرأ بها: حمزة، والأعمش، وطلحة، وابن وثاب، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٧٨)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

﴿قل إنَّ ربي يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ من عبادِه﴾ أي يُوسعه عليهَ تارةً ﴿ويقدرُ له﴾ أي يضيقُه عليه تارةً أُخرى فلا تخشَوا الفقرَ وأنفقُوا في سبيلِ الله وتعرَّضُوا لنفحاتِه تعالى: ﴿وما أنفقتُم من شيءٍ فهو يخلفُه﴾ عِوضًا إمَّا عاجلًا وإمَّا آجلًا ﴿وهو خيرُ الرَّازقين﴾ فإنَّ غيرَه واسطة في إيصالِ رزقِه لا حقيقة لرازقيتِه ﴿ويومَ يحشرُهم جيمعًا﴾ أي المستكبرينَ والمستضعفينَ وما كانُوا يعبدونَ من دون الله. ويومَ ظرفٌ لمضمرٍ متأخِّر سيأتي تقديرُه أو مفعولٌ لمضمرٍ مقدَّم نحو اذكُر ﴿ثم يقولُ للملائكةِ أهؤلاءِ إيَّاكم كانُوا يعبدون﴾ تقريعًا للمشركينَ وتبكيتًا لهم على نهجِ قوله تعالى: ﴿أأنتَ قلت للنَّاسِ اتخذوني وأمي﴾ [سورة المائدة، الآية ١١٦] . . . إلخ وإقناطًا لهم عمَّا علَّقوا به أطماعَهم الفارغةَ من شفاعتِهم، وتخصيص الملائكة لأنَّهم أشرفُ شركائِهم والصَّالحونَ للخطابِ منهم ولأنَّ عبادتَهم مبدأُ الشِّركِ فبظهور قصورِهم عن رتبة المعبوديَّةِ وتنزههم عن عبادتِهم يظهر حالُ سائرِ شركائِهم بطريقِ الأولويةِ وقرئ[1] الفعلانِ بالنُّونِ ﴿قالوا﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من حكايةِ سؤالِ الملائكةِ كأنه قيل: فماذا يقول الملائكة حينئذٍ؟ فقيل يقولون متنزِّهين عن ذلك ﴿سبحانَك أنتَ وليُّنا من دونِهم﴾ والعدولُ إلى صيغة الماضي للدِّلالةِ على التَّحقُّقِ، أي أنت الذي نواليهِ من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنَّهم بيَّنوا بذلك براءتَهم من الرِّضا بعبادتهم ثم أضربُوا عن ذلكَ ونفَوا أنَّهم عبدُوهم حقيقةً بقولهم: ﴿بل كانُوا يعبدونَ الجنَّ﴾ أي الشَّياطينَ حيثُ أطاعُوهم في عبادةِ غيرِ الله سبحانه وتعالى وقيل كانُوا يتمثَّلون لهم ويخيِّلون لهم أنَّهم الملائكةُ فيعبدونهم وقيل: يدخلونَ أجوافَ الأصنامِ إذا عُبدت فيعبدون بعبادتِها ﴿أكثرُهم بهم مؤمنون﴾ الضَّميرُ الأوَّلُ للإنسِ أو للمشركينَ والأكثرُ بمعنى الكلِّ والثَّاني للجنِّ.

﴿فاليومَ لا يملكُ بعضُكم لبعضٍ نفعًا ولا ضرًا﴾ من جملةِ ما يقال للملائكةِ عند جوابهم بالتَّنزه والتَّبرؤِ عمَّا نَسب إليهم الكفرةُ يخُاطبون بذلك على رؤوسِ الأشهادِ إظهارًا لعجزهِم وقصورِهم عند عَبَدتهم وتنصيصًا على ما يُوجب خيبةَ رجائِهم بالكلِّية. والفاءُ ليستْ لترتيبِ ما بعدها من الحكمِ على جوابِ الملائكةِ فإنَّه محقَّقٌ أجابُوا بذلك أم لا بل لترتيبِ الإخبار به عليه ونسبة عدمِ النَّفعِ والضُّرِّ إلى البعضِ المبهمِ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٨٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٦٧)، والتيسير للداني ص (١٠٧)، وحجز ص (٥٩٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٣)، والكشف للقيسي (١/ ٤٥٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٧).

للمبالغةِ فيما هو المقصودُ الذي هو بيانُ عدمِ نفعِ الملائكةِ للعبدةِ بنظمه في سلكِ عدم نفعِ العَبَدةِ لهم كأنَّ نفعَ الملائكةِ لعبدتِهم في الاستحالةِ والانتفاء كنفعِ العبدةِ لهم، والتعرضِ لعدم الضُّرِّ مع أنَّه لا بحث عنه أصلًا إمَّا لتعميم العجزِ أو لحملِ عدمِ النَّفعِ على تقديرِ العبادةِ وعدمِ الضُّرِّ على تقديرِ تركِها أو لأنَّ المرادَ دفعُ الضُّرِّ على حذفِ المضاف، وتقييد هذا الحكمِ بذلك اليومِ مع ثبوتِه على الإطلاقِ لانعقادِ رجائِهم على تحقُّقِ النَّفعِ يومئذٍ. وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿ونقول للذينَ ظلمُوا﴾ عطفٌ على نقول للملائكةِ لا على لا يملكُ كما قيل فإنَّه ممَّا يقالُ يوم القيامةِ خطابًا للملائكةِ مترتبًا على جوابِهم المحكيِّ وهذا حكاية لرسولِ الله ﷺ لما سيقالُ للعبدةِ يومئذٍ إثر حكايةِ ما سيقالُ للملائكةِ أي يومَ نحشرُهم جميعًا ثم نقولُ للملائكةِ كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقولُ للمشركينَ ﴿ذوقُوا عذابَ النَّارِ التي كنتُم بها تكذِّبون﴾ يكون من الأهوالِ والأحوالِ ما لا يحيطُ به نطاقُ المقالِ وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا تُتلى عليهم آياتُنا بيِّنات﴾ بيان لبعضٍ آخرَ من كفرانِهم أي إذا تُتلى عليهم بلسانِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ آياتُنا النَّاطقةُ بحقِّيةِ التَّوحيدِ وبُطلان الشِّركِ ﴿قالوا ما هذا﴾ يعنون رسولَ الله ﷺ ﴿إلاَّ رجلٌ يُريد أنْ يصدَّكم عمَّا كانَ يعبدُ آباؤكم﴾ فيستتبعكم بما يستدعيه من غيرِ أنْ يكونَ هناك دينٌ إلهيٌّ، وإضافة الآباءِ[1] إلى

(١) في خ: الآيات.

المخاطَبين لا إلى أنفسِهم لتحريكِ عرقِ العصبيةِ منهم مبالغةً في تقريرِهم على الشِّركِ وتنفيرِهم عن التَّوحيد ﴿**وقالُوا ما هذا**﴾ يعنون القرآنَ الكريمَ ﴿**إلا إفكٌ**﴾ أي كلام مصروفٌ عن وجهه لا مصداق له في الواقع ﴿**مُفترى**﴾ بإسنادِه إلى الله تعالى ﴿**وقال الذين كفرُوا للحقِّ**﴾ أي لأمرِ النبوَّةِ أو الإسلامِ أو القرآن على أنَّ العطفَ لاختلافِ العُنوان بأنْ يُراد بالأولِ معناهُ وبالثَّاني نظمَه المعجزَ ﴿**لمَّا جاءَهم**﴾ من غيرِ تدبُّرٍ ولا تأمُّلٍ فيه ﴿**إنْ هذا إلا سحرٌ مبينٌ**﴾ ظاهرٌ سحريّتُه وفي تكرير الفعلِ والتَّصريحِ بذكر الكفرةِ وما في اللَّامينِ من الإشارةِ إلى القائلينَ والمقولِ فيهِ وما في لمّا من المسارعةِ إلى البتِّ بهذا القولِ الباطلِ إنكارٌ عظيمٌ له وتعجيبٌ بليغٌ منه ﴿**وما آتيناهم من كتبٍ يدرسُونها**﴾ فيها دليلٌ على صحَّةِ الإشراكِ كما في قولِه تعالى: ﴿أمْ أنزلنا عليهم سُلطانًا فهو يتكلَّم بما كانُوا به يشركون﴾ [سورة الروم، الآية ٣٥] وقولِه تعالى: ﴿أم آتيناهُم كتابًا من قبلِه فهُم به مستمسكون﴾ [سورة الزخرف، الآية ٢١] وقرئَ[١] يُدَرِّسُونها ويَدَّرِسُونها[٢] بتشديدِ الدَّالِ يفتعلون من الدَّرسِ.

﴿**وما أرسلنا إليهم قبلك من نذيرٍ**﴾ يدعُوهم إليه وينذرُهم بالعقابِ إن لم يُشركوا وقد بان من قبلُ أنْ لا وجهَ له بوجهٍ من الوجوهِ فمن أينَ ذهبُوا هذا المذهبَ الزَّائغَ، وهذا غايةُ تجهيلٍ لهم وتسفيهٍ لرأيهم ثمَّ هدَّدهم بقولِه تعالى: ﴿**وكذَّب الذين من قبلِهم**﴾ من الأممِ المتقدِّمة والقُرون الخاليةِ كما كذَّبوا. ﴿**وما بلغُوا معشارَ ما آتيناهُم**﴾ أي ما بلغَ هؤلاءِ عشرَ ما آتينا أولئكَ من القوَّة وطولِ العمر وكثرةِ المالِ أو ما بلغ أولئك عشرَ ما آتينا هؤلاءِ من البيِّناتِ والهُدى ﴿**فكذَّبوا رُسلي**﴾ عطف على كذَّب الذينَ . . . إلخ بطريقِ التَّفصيلِ والتَّفسيرِ كقوله تعالى: ﴿كذَّبتْ قبلهم قومُ نوحٍ فكذَّبوا عبدنا﴾ [سورة القمر، الآية ٥٤] . . . إلخ ﴿**فكيفَ كان نكيرِ**﴾ أي إنكاريَ لهم بالتَّدميرِ فليحذَرْ هؤلاء من مثلِ ذلك ﴿**قُل إنَّما أعظكم بواحدةٍ**﴾ أي ما أُرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**أنْ تقومُوا لله**﴾ على أنَّه بدلٌ منها أو بيانٌ لها أو خبر مبتدأ محذوفٍ أي هي أن تقومُوا من مجلس رسولِ الله ﷺ أو تنتصبُوا للأمرِ خالصًا لوجهِ الله تعالى معرضًا عن المُماراةِ والتَّقليدِ ﴿**مَثْنى**

---

(١) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٩)، والبحر المحيط (٧/ ٢٨٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٥).

(٢) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٩).

وفُرادى﴾ أي متفرِّقين اثنينِ اثنين وواحدًا واحدًا فإنَّ الازدحامَ يُشوش الأفهامَ ويخلطُ الأفكار بالأوهامِ وفي تقديم مَثْنى إيذانٌ بأنَّه أوثقُ وأقربُ إلى الاطمئنانِ **﴿ثم تتفكَّروا﴾** في أمرِه عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلمُوا حقيقتَه وحقِّيتَه وقوله تعالى: **﴿ما بصاحِبِكم من جنَّةٍ﴾** استئنافٌ مسوقٌ من جهتِه تعالى للتَّنبيه على طريقةِ النَّظر والتَّأملِ بأنَّ مثلَ هذا الأمرِ العظيمِ الذي تحتَه ملك الدُّنيا والآخرةِ لا يتصدَّى لادِّعائِه إلا مجنونٌ لا يُبالي بافتضاحِه عند مطالبته بالبُرهان وظهور عجزِهِ، أو مؤيَّدٌ من عندِ الله مرشَّح للنُّبوةِ واثق بحجَّتِهِ وبرهانه وإذ قد علمتُم أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أرجحُ العالمين عقلًا وأصدقُهم قولًا وأنزههم نفسًا وأفضلُهم علمًا وأحسنُهم عملًا وأجمعُهم للكمالاتِ البشريَّةِ وجبَ أنْ تصدِّقُوه في دعواهُ فكيف وقد انضمَّ إلى ذلك معجزاتٌ تخرُّ لها صمُّ الجبالِ.

ويجوزُ أن يتعلَّق بما قبلَه على معنى ثم تتفكَّروا فتعلموا ما بصاحِبكم من جنَّةٍ وقد جُوِّز أن تكون ما استفهاميةً على معنى ثم تتفكَّروا أي شيء به من آثارِ الجنونِ **﴿إنْ هُو إلاَّ نذيرٌ لكُم بين يَدَي عذابٍ شديدٍ﴾** هو عذابُ الآخرةِ فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مبعوثٌ في نَسَمِ السَّاعةِ[1].

﴿قل ما سألتُكم من أجرٍ﴾ أي أيُّ شيءٍ سألتُكم من أجرٍ على الرِّسالة **﴿فهوُ لكم﴾** والمرادُ نفيُ السُّؤالِ رأسًا كقولِ مَن قال لمن لم يُعطه شيئًا إنْ أعطيتني شيئًا فخُذه وقيل مَا موصولةٌ أُريد بها ما سألهم بقوله تعالى: ﴿ما أسألُكم عليه من أجرٍ إلَّا منَ شاء أنْ يتَّخذَ إلى ربِّه سبيلا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٥٧]وقوله تعالى: ﴿لا أسألُكم عليه أجرًا إلَّا المودَّة في القُربى﴾ [سورة الشورى، الآية ٢٣] واتخاذ السَّبيلِ إليه تعالى منفعتهم الكُبرى وقُرباه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قرباهم **﴿إنْ أجريَ إلَّا على الله وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ﴾** مطَّلع يعلمُ صدقي وخلوصَ نيَّتي وقرئ[2] إن أجريْ بسكونِ الياءِ **﴿قُلْ إنَّ ربِّي يقذفُ بالحقِّ﴾** أي يُلقيه ويُنزله على من يجتبيهِ من عبادِهِ أو يرمي به الباطلَ فيدمغُه أو يرمي به في أقطارِ الآفاقِ فيكون وعدًا بإظهارِ الإسلامِ وإعلاءِ كلمةِ الحقِّ **﴿علَّامُ الغُيوب﴾** صفةٌ محمولةٌ على محلِّ إنَّ واسمِها أو بدلٌ من

---

(١) هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة أي بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٨)، وتاج العروس (٣٣/ ٤٩٢).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨).

المستكنِّ في يقذفُ أو خبرٌ ثانٍ لأنَّ أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ. وقرئ[١] بالنَّصبِ صفة لربِّي أو مقدَّرًا بأعنِي وقرئ بكسرِ الغَين وبالفتحِ كصبور مبالغةُ غائب ﴿قُل جاء الحقُّ﴾ أي الإسلامُ والتَّوحيدُ ﴿وما يُبدئ الباطلُ وما يُعيد﴾ أي زهقَ الشِّركُ بحيث لم يبقَ أثرُه أصلًا مأخوذٌ من هلاكِ الحيِّ فإنَّه إذا هلكَ لم يبقَ له إبداءٌ ولا إعادةٌ فجُعل مَثَلًا في الهلاكِ بالمرَّة ومنْهُ قولُ عُبيْدٍ: [الرجز]

أَقْـفـرَ مِـن أَهْـلِـه عُـبـيـدُ فـلـيـسَ يُـبـدي وَلاَ يُـعـيـدُ[٢]

[وقيل الباطلُ إبليسُ أو الصَّنُم والمعنى لا يُنشيء خلقًا ولا يُعيد أو لا يُبدئ خيرًا لأهلِه ولا يُعيد][٣] وقيل ما استفهاميَّةٌ منصوبةٌ بما بعدَها ﴿قُل إنْ ضللتُ﴾ عن الطَّريقِ الحقِّ ﴿فإنَّما أضلُّ على نفسي﴾ فإنَّ وبالَ ضلالِي عليها لأنَّه بسببها إذ هيَ الجاهلةُ[٤] بالذَّاتِ والأمَّارةُ بالسُّوءِ وبهذا الاعتبارِ قُوبل الشَّرطيةُ بقولِه تعالى: ﴿وإنِ اهتديتُ فبما يُوحي إليَّ ربِّي﴾ لأنَّ الاهتداءَ بهدايتِه وتوفيقِه. وقرئ[٥] ربِّيَ بفتح الياء ﴿إنَّه سميعٌ قريبٌ﴾ يعلم قولَ كلٍّ من المُهتدي والضَّالِّ وفعلَه وإنْ بالغَ في إخفائِهما.

﴿ولو ترى إذْ فَزِعُوا﴾ عند الموتِ أو البعثِ أو يومَ بدرٍ وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ ثمانين ألفًا يغزُون الكعبةَ ليخرِّبوها فإذا دخلُوا البيداءَ خُسف بهم، وجوابُ لو محذوفٌ أي لرأيتَ أمرًا هائلًا ﴿فلا فوتَ﴾ فلا يفوتُون الله عزَّ وجلَّ بهربٍ أو تحصُّنٍ. ﴿وأُخذوا من مكانٍ قريبٍ﴾ من ظهرِ الأرضِ أو من الموقفِ إلى النَّارِ أو من صحراء بدرٍ إلى قَليبها أو من تحت أقدامهم إذا خُسف بهم والجملةُ معطوفة على فَزِعوا وقيل على لا فوتَ على معنى إذْ فَزِعُوا فلم يفوتُوا وأُخذوا ويؤيده أنه قرئ[٦]

---

(١) قرأ بها: عيسى، وابن أبي إسحاق، وزيد بن علي، وابن أبي عبلة، وأبو حيوة، وطلحة، وحرب.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٢٩٢)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣١٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٥).

(٢) الرجز لعبيد بن الأبرص في ديوانه (ص ٤٥)، ولسان العرب (٥/ ١١٠) (قفر) وتاج العروس (١٣/ ٤٥٨) (قفر)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٢٠)، وبلا نسبة في تاج العروس (١٨/ ٢٧٣) (جرض)، (١٩/ ١٦) (فرض) وأساس البلاغة (عود).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: الحاملة.

(٥) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

(٦) قرأ بها: أبي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٣).

وأُخذ بالعطف على محلِّه أي فلا فوت هنا وهناك أخذٌ. ﴿وقالوا آمنَّا به﴾ أي بمحمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام وقد مرَّ ذكرُه في قوله تعالى ما بصاحِبكم. ﴿وأنَّى لهم التَّناوشُ﴾ التَّناوشُ التَّناولُ السَّهلُ أي ومِن أينَ لهم أنْ يتناولُوا الإيمانَ تناولًا سهلًا ﴿من مكانٍ بعيدٍ﴾ فإنَّه في حيِّزِ التكليف وهُم منه بمعزلٍ بعيدٍ وهو تمثيلُ حالِهم في الاستخلاصِ بالإيمانِ بعد ما فاتَ عنهم وبعُد بحالِ مَنْ يُريدُ أنْ يتناولَ الشَّيءَ من غَلْوةٍ تناوله من ذراعٍ في الاستحالة. وقرئ[1] بالهمزِ على قلبِ الواوِ لضمِّها وهو من نأشتُ الشَّيءَ إذا طلبتُه، وعن أبي عمرو: التَّناؤشُ بالهمزِ التَّناولُ من بُعدٍ من قولِهم نأشتُ إذا أبطأتَ وتأخَّرتَ ومنه قولُ مَن قالَ: [الطويل]

تمنَّى نَئيشا أنْ يكون أطاعني وقد حدثتْ بعدَ الأمورِ أمورُ[2]

﴿وقد كفرُوا به﴾ أي بمحمَّدٍ ﷺ أو بالعذابِ الشَّديدِ الذي أنذرهم إياه ﴿من قبل﴾ أي من قبلِ ذلك في أوانِ التَّكليفِ ﴿ويقذفون بالغيب﴾ ويَرجمون بالظَّنِّ ويتكلَّمون بما لم يظهر لهم في حقِّ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من المطاعنِ أو في العذاب المذكورِ من بت القول بنفيه ﴿من مكانٍ بعيدٍ﴾ من جهةٍ بعيدةٍ من حاله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حيث ينسبونَه ﷺ إلى الشِّعرِ والسِّحرِ والكذب وأنَّ أبعدَ شيءٍ ممَّا جاءَ به الشِّعرُ والسِّحرُ وأبعدُ شيءٍ من عادته المعروفة فيما بين الدَّاني والقاصِي الكذبُ، ولعله تمثيلٌ لحالِهم في ذلك بحالِ مَن يرمي شيئًا لا يراهُ من مكانٍ بعيدٍ لا مجالَ للوهم في لحوقِه. وقرئ[3] ويُقذفون على أنَّ الشَّيطانَ يلقي إليهم ويلقِّنهم ذلك وهو معطوفٌ على قد كفروا به على حكاية الحال الماضيةِ أو على قالُوا فيكون تمثيلًا لحالِهم بحال القاذفِ في تحصيل ما ضيَّعُوه من الإيمان في الدُّنيا ﴿وحيلَ بينُهم وبين

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وشعبة، وخلف، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٨١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٧)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

(٢) البيت لنهشل بن حري في ديوانه ص(٩٥)، ولسان العرب (نأش)، والتنبيه والإيضاح (٢/ ٣٢٥)، وتاج العروس (نأش)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٥/ ٣٧٧)، وتهذيب اللغة (١١/ ٤١٧)، ومجمل اللغة (٤/ ٣٦٧)، وأساس البلاغة (نأش).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، ومحبوب، ومجاهد، وأبو حيوة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٢)، والبحر المحيط (٧/ ٢٩٤)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣١٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٧).

ما يشتهون﴾ مع نفعِ الإيمانِ والنَّجاة من النَّارِ. وقرئ[١] بإشمامِ الضَّمِّ للحاء ﴿**كما فُعل بأشياعِهم من قَبل﴾** أي بأشباهِهم من كفرةِ الأُمم الدَّارجة ﴿**إنَّهم كانُوا في شكٍّ مريبٍ﴾** أي مُوقع في الرِّيبةِ أو ذي ريبةٍ. والأوَّلُ منقولٌ ممَّن يصحُّ أن يكونَ مُريبًا من الأعيانِ إلى المعنى والثاني من صاحبِ الشَّكِّ إلى الشَّكِّ كما يُقال شعرٌ شاعرٌ والله أعلم.

عن رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ سبأٍ لم يبقَ رسولٌ ولا نبيٌّ إلاَّ كان له يومَ القيامة رفيقًا ومُصافحًا**»[٢].

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، والكسائي، ورويس، وهشام، وابن ذكوان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، والتيسير للداني ص (١٨١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والنشر لابن الجزري (٢/٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

سورة الملائكة

مكيةٌ وهي خمسٌ وأربعونَ آيةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

﴿**الحمدُ لله فاطرِ السَّمواتِ والأرضِ**﴾ مبدِعهما من غير مثالٍ يحتذيه ولا قانونٍ ينتحيهِ. من الفَطرِ وهو الشَّقُّ وقيل الشَّقُّ طولًا كأنَّه شقَّ العدمَ بإخراجِهما منه وإضافته محضة لأنَّه بمعنى الماضي فهو نعتٌ للاسم الجليلِ ومن جعلها غيرَ محضةٍ جعله بدلًا منه وهو قليلٌ في المشتقِّ. ﴿**جاعلِ الملائكةِ**﴾ الكلامُ في إضافتِه وكونِه نعتًا أو بدلًا كما قبلَه.

وقوله تعالى: ﴿**رُسُلًا**﴾ منصوبٌ به على الوجهِ الثَّانِي من الإضافة بالاتِّفاقِ وأمَّا على الوجهِ الأوَّلِ فكذلك عند الكِسائيِّ وأمَّا عند البصريينَ فبمضمرٍ يدلُّ هو عليه لأنَّ اسمَ الفاعلِ إذا كان بمعنى الماضي لا يعملُ عندهم إلا معرَّفًا باللام وقال أبو سعيدٍ السِّيرافيُّ: اسم الفاعلِ المتعدِّي إلى اثنينِ يعملُ في الثَّانِي لأنَّ بإضافتَه إلى الأوَّلِ تعذرتْ إضافتُه إلى الثَّانِي فتعيَّن نصبُه له وعلل بعضُهم ذلك بأنَّه بالإضافة أشبه المعرَّف باللام فعمِل عملَه. وقرئ[1] جاعلُ بالرَّفعِ على المدح وقرئ[2]: ﴿الذي فطَر السَّمواتِ والأرضَ وجعلَ الملائكةَ﴾ أي جاعلهم وسائطَ بينه تعالى وبين أنبيائه والصَّالحينَ من عبادِه يبلِّغون إليهم رسالاتِه بالوحيِ والإلهامِ والرُّؤيا الصَّادقةِ أو بينه

---

(١) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٧)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣١٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٧).

تعالى وبين خلقِه أيضًا حيثُ يوصِّلون إليهم آثارَ قدرتِه وصنعِه هذا على تقديرِ كونِ الجعلِ تصييريًّا أمَّا على تقديرِ كونِه إبداعيًّا فرُسلًا نُصب على الحاليَّةِ وقرئ[١] رُسْلًا بسكونِ السِّينِ ﴿أولي أجنحةٍ﴾ صفةً لـ «رُسلًا» وأولو اسمُ جمعٍ لذُو كما أنَّ أُولاء اسمُ جمعٍ لذا. ونظيرُهما في الأسماءِ المتمكِّنة المخاضُ والخلفةُ.

وقوله تعالى: ﴿مثنى وثلاثَ ورباعَ﴾ صفاتٌ لأجنحة أي ذَوي أجنحةٍ متعدِّدةٍ مُتفاوتةٍ في العدد حسب تفاوتِ ما لَهُم من المراتب ينزلون بها ويعرجُون أو يسرعون بها والمعنى أنَّ من الملائكة خَلْقًا [لكلِّ واحد منهم][٢] جناحانِ وخَلْقًا لكلِّ واحد منهم ثلاثة وخَلْقًا آخر لكلٍّ منهم أربعة أجنحة. ويُروى أنَّ صنفًا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يُلقون أجسادَهم وبآخرينِ منها يطيرون فيما أُمروا به من جهتِه تعالى وجناحانِ منها مرخيَّانِ على وجوههم حياءً من الله عزَّ وجلَّ.

(وعن رسول الله ﷺ أنَّه رأى جبريلَ عليه السَّلامُ ليلةَ المعراجِ وله ستمائةُ جناح)[٣] ورُوي أنَّه سألَه عليهما السَّلامُ أنْ يترآى له في صورتِه فقال إنَّك لن تطيقَ ذلك قال إنِّي أحبُّ أنْ تفعلَ فخرج عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في ليلةٍ مُقمرةٍ فأتاهُ جبريلُ عليهما السَّلامُ في صورتِه فغُشي عليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ثمَّ أفاقَ وجبريلُ مسندُهُ وإحدى يديهِ على صدرِه والأخرى بين كتفيهِ فقال: سبحانَ الله ما كنتُ أرى أنَّ شيئًا من الخلقِ هكذا فقال جبريل عليه السَّلامُ فكيف لو رأيتَ إسرافيلَ له اثنا عشرَ جناحًا جناحٌ منها بالمشرقِ وجناحٌ منها بالمغربِ وإنَّ العرشَ على كاهلِه وإنَّه ليتضاءلُ الأحايينَ لعظمةِ الله عزَّ وجلَّ حتَّى يعودَ مثلَ الوَصَعِ وهو العصفورُ الصَّغيرُ)[٤].

﴿يزيد في الخلقِ ما يشاءُ﴾ استئنافٌ مقررٌ لما قبله من تفاوتِ أحوالِ الملائكةِ في عددِ الأجنحةِ ومؤذنٌ بأنَّ ذلك من أحكام مشيئتِه تعالى لا لأمرٍ راجعٍ إلى ذَواتهم ببيان حكم كلِّي ناطق بأنَّه تعالى يزيدُ في أيِّ خلقٍ كان كلَّ ما يشاءُ أنْ يزيدَه بموجبِ مشيئتِه ومُقتضى حكمتِه من الأمورِ التي لا يحيطُ بها الوصفُ وما رُوي عن النبي عليه الصَّلاةُ والسلامُ من تخصيص بعض المعاني بالذِّكرِ من الوجهِ الحسنِ والصَّوتِ الحسنِ

---

(١) قرأ بها: الحسن، وحميد بن قيس.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٩٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٧).

(٢) في ط: جنحة كلٍ منهم.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٧٦)، كتاب التفسير، باب: قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾، برقم (٤٨٥٦)، ومسلم (١/ ١٥٨)، كتاب الإيمان، باب: ذكر سدرة المنتهى، برقم (٢٨٢/ ١٧٤).

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد ص (٧٤) برقم (٢٢١)، ومن طريقه الثعلبي في تفسيره (٨/ ٩٨).

والشِّعرِ الحسنِ فبيانٌ لبعضِ الموادِّ المعهودةِ بطريقِ التَّمثيلِ لا بطريقِ الحصرِ فيها. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليلٌ بطريقِ التَّحقيق للحُكم المذكورِ فإنَّ شمولَ قُدرته تعالى لجميع الأشياءِ ممَّا يوجبُ قدرتَه تعالى على أنَّ يزيدَ كلَّ ما يشاؤه إيجابًا بيِّنًا ﴿مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ عبَّر عن إرسالِها بالفتحِ إيذانًا بأنَّها أنفسُ الخزائنِ التي يتنافسُ فيها المتنافسون وأعزُّها منالًا. وتنكيرُها للإشاعةِ والإبهام أيْ أيَّ شيءٍ يفتحُ اللَّهُ من خزائنِ رحمتِه أيَّة رحمةٍ كانتْ من نعمةٍ وصحَّةٍ وأمنٍ وعلم وحكمةٍ إلى غيرِ ذلكَ ممَّا لا يُحاط به ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أي لا أحدَ يقدرُ على إمساكِها ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ أيْ أيَّ شيءَ يُمسك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ أي لا أحدَ يقدرُ على إرسالِه واختلافُ الضَّميرينِ لما أنَّ مرجعَ الأوَّلِ مفسَّرٌ بالرَّحمةِ ومرجعَ الثَّانِي مطلقٌ يتناولُها وغيرَها كائنًا ما كان وفيه إشعارٌ بأنَّ رحمتَه سبقتْ غَضبه ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي من بعدِ إمساكِه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالبُ على كلِّ ما يشاءُ من الأمورِ التي من جُملتها الفتحُ والإمساك ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي يفعلُ كلَّ ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمةُ والمصلحة والجملُة تذييلٌ مقررٌ لما قبلها ومعربٌ عن كونِ كلٍّ من الفتحِ والإمساكِ بموجبِ الحكمةِ التي عليها يدورُ أمرُ التَّكوينِ وبعد ما بيَّن سبحانَه أنَّه الموجدُ للملك والملكوتِ والمتصرِّفُ فيهما بالقبضِ والبسطِ من غيرِ أنْ يكونَ لأحدٍ في ذلك دخلٌ ما بوجهٍ من الوجوهِ أمرَ النَّاس قاطبةً أو أهلَ مكَّةَ خاصَّةً بشكرِ نِعَمِه فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي إنعامَه عليكم إنْ جُعلت النِّعمةُ مصدرًا أو كائنةً عليكم إنْ جُعلت اسمًا. أي راعُوها واحفظُوها بمعرفةِ حقِّها والاعترافِ بها، وتخصيصِ العبادةِ والطَّاعةِ بموليها.

ولمَّا كانتْ نعمُ الله تعالى مع تشعُّبِ فنونِها منحصرةً في نعمةِ الإيجادِ ونعمةِ الإبقاءِ نَفَى أنْ يكونَ في الوجودِ شيءٌ غيره تعالى يصدرُ عنه إحدى النِّعمتينِ بطريقِ الاستفهام الإنكاريِّ المُنادِي باستحالةِ أنْ يُجاب عنه بنعَم فقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ أيَ هَلْ خالقٌ مغايرٌ له تعالى موجودٌ على أنَّ خالقٍ مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ زيدتْ عليه كلمة مِن لتأكيدِ العُموم.

و(غير الله) نعتٌ له باعتبارِ محلِّه كما أنَّه نعتٌ له في قراءةٍ[1] الجرِّ باعتبار لفظِه

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، وابن محيصن، والأعمش، وشقيق بن سلمة، ويحيى بن وثاب، وزيد بن علي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٤)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

وقرئ[١] بالنَّصبِ على الاستثناءِ. وقوله تعالى: ﴿يرزقكُم من السَّماءِ والأرضِ﴾ أي بالمطرِ والنَّباتِ كلامٌ مبتدأٌ على التَّقاديرِ لا محلَّ له من الإعرابِ داخلٌ في حيِّزِ النَّفي والإنكار ولا مساغَ لما قيل: من أنَّه صفةٌ أخرى لـ (خالق) مرفوعةُ المحلِّ أو مجرورتُه لأنَّ معناه نفي وجودِ خالقٍ موصوفٍ بوصفَيْ المغايرةِ والرَّازقيَّةِ معًا من غير تعرُّضٍ لنفي وجودِ ما اتَّصف بالمغايرةِ فَقَطْ، ولا لما قيل: من أنَّه الخبرُ للمبتدأِ ولا لما قيل من أنَّه مفسِّر لمضمرٍ ارتفع به قولُه تعالى من خالقٍ على الفاعلية أي هل يرزقكم من خالق الخ. لما أنَّ معناهما نفي رازقيَّة خالقٍ مغايرٍ له تعالى من غيرِ تعرُّضٍ لنفي وجودِه رأسًا مع أنَّه المرادُ حتمًا ألا يرى إلى قولِه تعالى: ﴿لا إِلَه إِلَّا هُو﴾ فإنَّه استئنافٌ مسوقٌ لتقرير النَّفيِ المستفادِ منه قصدًا وجارٍ مجرى الجوابِ عمَّا يوهمه الاستفهامُ صورةً فحيث كانَ هذا ناطقًا بنفيِ الوجودِ تعيَّن أنْ يكونَ ذلك أيضًا كذلك قطعًا. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فأنَّى تؤفكونَ﴾ لترتيبِ إنكارِ عدولهم عن التَّوحيدِ إلى الإشراكِ على ما قبلها كأنَّه قيل: وإذا تبيَّن تفرُّده تعالى بالأُلوهيةِ والخالقيَّةِ والرازقيَّةِ فمنْ أيِّ وجهٍ تُصرفون عن التَّوحيدِ إلى الشِّركِ، وقوله تعالى:

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

﴿وإنْ يكذِّبوك فَقَد كُذِّبتْ رسلٌ مِن قبلك﴾ تلوينٌ للخطابِ وتوجيهٌ له إلى رسولِ الله ﷺ بين خطابي النَّاسِ مسارعةً إلى تسليتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعمومِ البليَّةِ أولًا والإشارةِ إلى الوعدِ والوعيدِ ثانيًا أيْ وإن استمرُّوا على أنْ يكذِّبوك فيما بلَّغتَ إليهم من الحقِّ المُبين بعد ما أقمتَ عليهم الحجَّةَ وألقمتَهم الحجرَ فتأسَّ بأولئك الرُّسلِ في المُصابرةَ على ما أصابَهم من قبل قومِهم فوضعَ موضعهَ ما ذُكر اكتفاءً بذكرِ السَّببِ عن ذكرِ المسبَّبِ. وتنكيرُ الرُّسل للتَّفخيم الموجبِ لمزيدِ التَّسليةِ والتَّوجهِ إلى المُصابرةِ أي رُسلٌ أولو شأنٍ خطيرٍ وذَوُو عددٍ كثيرٍ ﴿وإلى الله تُرجع الأمورُ﴾ لا إلى غيرِه فيُجازي كلًّا منك ومنُهم بما أنتُم عليهِ من الأحوالِ التي من

---

(١) قرأ بها: الفضل بن إبراهيم النحوي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٠)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٩).

جملتها صبرُك وتكذيبُهم، وفي الاقتصارِ على ذكرِ اختصاصِ المرجع بالله تعالى مع إبهامِ الجزاءِ ثوابًا وعقابًا من المبالغةِ في الوعدِ والوعيدِ ما لا يَخْفى. وقرئ[١] (تَرْجَعُ) بفتحِ التَّاءِ من الرُّجوعِ والأوَّلُ أدخلُ في التَّهويلِ.

﴿يا أيُّها النَّاسُ﴾ رجوعٌ إلى خطابِهم وتكريرُ النِّداءِ لتأكيدِ العظةِ والتَّذكير ﴿إنَّ وعدَ الله﴾ المشارَ إليه برجعِ الأمورِ إليه تعالى من البعث والجزاء ﴿حقٌّ﴾ ثابتٌ لا محالةَ من غيرِ خُلفٍ ﴿فلا تغرنَّكم الحياةُ الدُّنيا﴾ بأنْ يُذهلكم التَّمتع بمتاعِها ويُلهيكم التَّلهي بزخارِفها عن تداركِ ما يهمكم يومَ حلولِ الميعادِ. والمرادُ نهيُهم عن الاغترار بها وإنْ توجَّه النَّهيُ صورةً إليها كما في قوله تعالى: ﴿لا يجرمنَّكم شقاقِي﴾ [سورة هود، الآية ٨٩] ﴿ولا يغرنَّكم بالله﴾ وعفوِه وكرمه تعالى ﴿الغَرور﴾ أي المبالغُ في الغُرور وهو الشَّيطانُ بأنْ يمنيكم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعاصِي قائلًا اعملوا ما شئتُم إنَّ الله غفورٌ يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا، فإنَّ ذلكَ وإنْ أمكنَ لكنْ تعاطي الذّنوبِ بهذا التَّوقعِ من قبيلِ تناولِ السُّمِّ تعويلًا على دفعِ الطَّبيعةِ. وتكريرُ فعلِ النَّهي للمبالغةِ فيه ولاختلافِ الغرورينِ في الكيفيَّةِ. وقرئ[٢] (الغُرور) بالضَّمِّ على أنَّه مصدرٌ أو جمعُ غَارٍ كقُعودٍ جمعُ قاعدٍ. ﴿إنَّ الشَّيطانَ لكُم عدوٌّ﴾ عداوةً قديمةً لا تكاد تزولُ. وتقديمُ لكم للاهتمامِ به ﴿فاتَّخذُوه عدوًّا﴾ بمخالفتِكم له في عقائدِكم وأفعالِكم وكونِكم على حَذَرٍ منه في مجامعِ أحوالِكم. وقولُه تعالى: ﴿إنَّما يدعُو حزبَه ليكونُوا من أصحابِ السَّعيرِ﴾ تقريرٌ لعداوتِه وتحذيرٌ من طاعتِه بالتَّنبيهِ على أنَّ غرضَه في دعوةِ شيعتِه إلى اتِّباعِ الهَوَى والركونِ إلى ملاذِّ الدُّنيا ليس تحصيلَ مطالبِهم ومنافِعهم الدُّنيويَّةِ كما هو مقصد المُتحابِّين في الدُّنيا عند سعي بعضِهم في حاجةِ بعضٍ بل هو توريطُهم وإلقاؤُهم في العذابِ المُخلَّد من حيثُ لا يحتسبون ﴿الذينَ كفرُوا لهم﴾ بسببِ كفرِهم وإجابتِهم لدعوةِ الشَّيطانِ واتِّباعِهم لخطواتِه ﴿عذابٌ شديدٌ﴾ لا يُقَادر قَدْره مديدٌ لا يُبلغ مداهُ ﴿والذينَ آمنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ لهم﴾ بسببِ ما ذُكر من الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ الذي

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف، والحسن، والأعرج، ويعقوب، وأبو حيوة، وابن محيصن، وحميد، والأعمش، ويحيى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٢٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) قرأ بها: أبو حيوة، وأبو السمال، وشعبة، وسماك بن حرب، ومحمد بن السميفع.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٠)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٢٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٠).

من جُملتِه عداوةُ الشِّيطانِ ﴿مغفرةٌ﴾ عظيمةٌ ﴿وأجرٌ كبير﴾ لا غايةَ لهما.

﴿أفمن زُيِّن له سوءُ عملِه فرآهُ حَسَنًا﴾ إمَّا تقريرٌ لما سبقَ من التَّبايُنِ البيِّنِ بين عاقبتيْ الفريقينِ ببيان تباينِ حالهما المُؤدِّيينِ إلى تَينكِ العاقبتينِ. والفاءُ لإنكارِ ترتيبِ ما بعدها على ماقبلها أي أبعدَ كونِ حاليهما كما ذُكر يكون من زُيِّن له الكفرُ من جهةِ الشَّيطانِ فانهمك فيه كمنْ استقبحَه واجتنَبه واختارَ الإيمانَ والعملَ الصَّالحَ حتَّى لا تكونُ عاقبتاهما كما ذُكر فَحذف ما حُذف لدلالةِ ما سبق عليه.

وقوله تعالى: ﴿فإنَّ الله يُضلُّ﴾ إلخ تقريرٌ له وتحقيقٌ للحقِّ ببيانِ أنَّ الكُل بمشيئتِه تعالى أيْ فإنَّه تعالىَ يُضلُّ ﴿مَن يشاءُ﴾ أنْ يضلَّه لا ستحسانِه واستحبابِه الضَّلالَ وصرفِ اختيارِه إليه فيردَّه أسفلَ سافلينَ ﴿ويهدي مَنْ يشاء﴾ أنْ يهديَه بصرفِ اختيارِه إلى الهُدى فيرفعه إلى أعلى عليين وإمَّا تمهيدٌ لما يعقبه من نهيِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عن التَّحسرِ والتَّحزنِ عليهم لعدمِ إسلامِهم ببيانِ أنَّهم ليُسوا بأهلٍ لذلَك بلْ لأنْ يُضربَ عنهم صَفْحًا ولا يُبالى بهم قطعًا، أي أبعدَ كونِ حالِهم كما ذُكر تتحسَّر عليهم فحُذف لما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿فلا تذهبْ نفسُك عليهم حسراتٍ﴾ دلالة بيِّنةٌ.

وإمَّا تمهيدٌ لصرفِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عمَّا كانَ عليه من الحرصِ الشَّديدِ على إسلامِهم والمبالغةِ في دعوتِهم إليه ببيانِ استحالةِ تحويلِهم عن الكفرِ لكونِه في غايةِ الحسنِ عندهم أي أبعدَ ما ذُكر من زُيِّن له الكفرُ من قبل الشَّيطانِ فرآه حسنًا فانهمك فيه يقبلُ الهدايةَ حتَّى تطمعَ في إسلامِه وتُتعبَ نفسَك في دعوتِه فحُذف ما حُذف لدلالةِ ما مرَّ من قولِه تعالى فإنَّ الله يُضلُّ مَن يشاء إلخ على أنَّه ممن شاء الله تعالى أنْ يضلَّه فمن يهدي مَن أضلَّ الله وما لهم مِن ناصرين.

وقرئ[1] (فلا تُذهب نفسك) وقولُه تعالى: حسراتٍ. [إمَّا][2] مفعول له أي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمعُ للدِّلالةِ على تضاعفِ اغتمامِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على أحوالِهم أو على كثرةِ قبائحِ أعمالِهم الموجبةِ للتَّأسُّفِ والتَّحسرِ وعليهم. صلةٌ

(١) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر، وعيسى، والأشهب، وشيبة، وأبو حيوة، وحميد، والأعمش، وابن محيصن، وقتادة، والشنبوذي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠١)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٧٩)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٦٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥١).

(٢) سقط في خ.

تذهب كما يقال هَلك عليه حيًّا ومات عليه حُزنًا أو هو بيانٌ للمتحسَّر عليهِ ولا يجوزُ أنْ يتعلَّق بـ (حسراتٍ) لأنَّ المصدرَ لا تتقدَّمُ عليه صلتُه وإمَّا حالٌ كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى ﴿**إنَّ الله عليمٌ بما يصنُعون**﴾ أي من القبائحِ تعليلٌ لما قبله على الوجوهِ الثلاثةِ مع ما فيه من الوعيد. عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلتْ في أبي جهلٍ ومُشركِي مكَّةَ.

وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

﴿**والله الذي أرسلَ الرِّياحَ**﴾ مبتدأٌ وخبرٌ. وقرئ[1] الرِّيحَ وصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿**فتثيرُ سحابًا**﴾ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ استحضارًا لتلكَ الصُّورةِ البديعةِ الدَّالَّةِ على كمال القدرةِ والحكمةِ ولأنَّ المرادَ بيانُ إحداثِها لتلك الخاصَّيةِ ولذلك أُسند إليها أو للدِّلالةِ على استمرارِ الإثارةِ ﴿**فُسقناه إلى بلدٍ ميِّت**﴾ وقرئ[2] بالتَّخفيفِ ﴿**فأحيينا به الأرضَ**﴾ أي بالمطرِ النَّازلِ منه المدلولِ عليه بالسَّحابِ فإنَّ بينهما تلازمًا في الذِّهنِ

(١) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف، وابن محيصن، ويحيى، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، والتيسير للداني ص (٧٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٢٧)، والحجة لأبي زرعة ص (٥٩٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠١)ن والكشف للقيسي (١/ ٢٧٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٣).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦١)، والإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٧)، والتيسير للداني ص (٨٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٨)، والكشف للقيسي (١/ ٣٣٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

كما في الخارجِ أو بالسَّحابِ فإنَّه سببُ السَّببِ ﴿بعد موتِها﴾ أي يُبسها. وإيرادُ الفعلينِ على صيغةِ الماضِي للدِّلالةِ على التَّحقيقِ. وإسنادُها إلى نونِ العظمةِ المنبئ عن اختصاصِهما به تعالى لما فيهما من مزيدِ الصُّنع ولتكميل المُماثلةِ بين إحياءِ الأرضِ وبين البعثِ الذي شُبِّه به بقوله تعالى: ﴿كذلكَ النُّشورُ﴾ في كمال الاختصاصِ بالقُدرةِ الرَّبانيةِ. والكافُ في حيِّزِ الرَّفع على الخبرية أي مثلَ ذلك الإحياءِ الذي تشاهدونَه إحياء الأمواتِ[١] في صحَّة المقدوريَّةِ وسهولةِ التأتِّي من غيرِ تفاوتٍ بينهما أصلًا سوى الألفِ في الأوَّلِ دُونَ الثَّانِي وقيل في كيفيَّةِ الإحياءِ يُرسل الله تعالى من تحت العرشِ ماءً فينبتُ منه أجسادُ الخلقِ ﴿مَن كانَ يُريد العِزَّةَ﴾ هم المشركونَ الذينَ كانُوا يتعزَّزون بعبادةِ الأصنام كقولِه تعالى: ﴿واتَّخذُوا من دونِ الله آلهةً ليكونوا لهم عزًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٨١] والذين كانوا يتعزَّزون بهم من الذينَ آمنُوا بألسنتِهم كما في قوله تعالى: ﴿الذينَ يتَّخذون الكافرينَ أولياءَ من دُونِ المؤمنين أيبتغونَ عندهم العزَّةَ﴾ [سورة النساء، الآية ١٣٩] والجمعُ بين كانَ ويريدُ للدِّلالةِ على دَوام الإرادةِ واستمرارِها.

﴿فللهِ العزَّةُ جميعًا﴾ أي له تعالى وحَدهُ لا لغيرِه عزَّةُ الدُّنيا وعزَّةُ الآخرةِ أي فليطلبها منْهُ لا من غيرِه فاستُغني عن ذكرِه بذكرِ دليلِه إيذانًا بأنَّ اختصاصَ العزَّةِ تعالى موجبٌ [التخصيصِ][٢] طلبها به تعالى. وقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ بيان لما يُطلب به العزَّةُ وهو التَّوحيدُ والعملُ الصَّالحُ. وصعودُهما إليه مجازٌ عن قبولِه تعالى إيَّاهُما أو صعودُ الكَتَبةِ بصحيفتهما. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ عبارةٌ عن كمالِ الاعتدادِ به كقولِه تعالى: ﴿وهو الذي يقبلُ التَّوبةَ عن عبادِه ويأخذُ الصَّدقاتِ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٤] أي إليه يصلُ الكلمُ الطَّيبُ الذي به يُطلب العزَّةَ لا إلى الملائكةِ الموكَّلين بأعمال العبادِ فَقط وهو يعزُّ صاحَبهُ ويُعطي طِلْبتَه بالذَّاتِ.

---

(١) ذكر العلماء أن وجه الشبه من وجوه:
أحدها: أن الأرض الميتة كما قبلت المياه اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة.
وثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السائبة كذلك تجمع أجزاء الأعضاء، وأبعاض الأشياء.
وثالثها: كما أننا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت كذلك نسوق الروح إلى الجسد الميت والمقصود من التشبيه بيان إمكان البعث.
ينظر: الكشاف (٣/ ٣٠١)، ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٦/ ٧)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٤٨٧).

(٢) سقط في خ.

والمستكِنُّ في (يرفعه) للكلم فإنَّ مدارَ قبولِ العملِ هو التَّوحيدُ ويُؤيده القراءةُ[١] بنصبِ العملِ أو للعملِ فإنَّه يحققُ الإيمانَ ويقويه ولا تُنال الدَّرجاتُ العاليةُ إلا به.

وقرئ[٢] يُصعد من الإصعادِ على البناءين والمُصعدُ هو الله سبحانَه أو المتكلِّم به أو الملكُ وقيل الكلمُ الطَّيبُ يتناول الذِّكرَ والدُّعاءَ والاستغفارَ وقراءةَ القُرآن.

وعنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه سبحانَ الله والحمدُ لله ولا إلَه إلا الله والله أكبرُ إذَا قالَها العبدُ عرجَ بها الملكُ إلى السَّماءِ فحيا بها وجَه الرَّحمٰن فإذا لم يكُن عملٌ صالحٌ لم تُقبل[٣]، وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه «ما من عبدٍ مسلم يقولُ خمسَ كلماتٍ سبحان الله والحمدُ لله ولا إلَه إلاَّ الله والله أكبرُ وتبارك الله إلا أخذهنَّ ملكٌ فجعلهنَّ تحتَ جناحِه ثم صعدَ بهنَّ فما يمرُّ بهنَّ على جمعٍ من الملائكةِ إلا استغفرُوا لقائلهنَّ حتَّى يحيى بهنَّ وجَه ربِّ العالمين»[٤].

ومصداقُه قوله عزَّ وجلَّ ﴿إليه يصعدُ الكلمُ الطَّيبُ﴾ الخ.

﴿والذينَ يمكرونَ السَّيئاتِ﴾ بيانٌ لحال الكَلِم الخَبيثِ والعملِ السَّيِّئ وأهلِهما بعد بيانِ حالِ الكَلمِ الطَّيبِ والعملِ الصَّالحِ. وانتِّصَابُ السَّيئاتِ على أنَّها صفةٌ للمصدرِ المحذوفِ أي يمكرون المكَرَاتِ السَّيئاتِ وهي مكَراتُ قُريشٍ بالنبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في دارِ النَّدوةِ وتداورِهم الرَّأيِ في إحدى الثَّلاثِ التي هي الإثباتُ والقتلُ والإخراجُ ﴿لهم﴾ بسببَ مكراتِهم ﴿عذابٌ شديدٌ﴾ لا يُقادرُ قَدرُه ولا يُؤبه عندَهُ لمَا يمكرونَ ﴿ومكرُ أولئك﴾ وضعَ اسمُ الإشارةِ موضعَ ضميرِهم للإيذانِ بكمالِ تميُّزهم بما هُم فيه من الشَّرِّ والفسادِ عن سائرِ المُفسدينَ واشتهارِهم بذلك. وما فيه من معنى البُعد للتنبيه على تَرامي أمرهِم في الطُّغيانِ وبُعد منزلِتهم في العُدوانِ. أي ومكرُ أولئكَ المُفسدين الذينَ أرادُوا أنْ يمكرُوا به عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿هُو يبورُ﴾ أي هو يهلكُ ويفسدُ خاصَّةً لا مَن مكرُوا بهِ ولقد أبارَهُم الله تعالى بعد إبارةِ مكراتِهم حيثُ

---

(١) قرأ بها: عيسى بن عمر، وابن ابن عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٤)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٢).

(٢) قرأ بها: علي، وابن مسعود، والسلمي، وإبراهيم، والضحاك.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٣)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١٠١).

(٤) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٢٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٢٦٨).

أخرجَهم من مكَّةَ وقتلَهم وأثبتَهم في قَليبِ بدرٍ فجمعَ عليهم مكراتِهم الثَّلاثة التي اكتفَوا في حقِّه عليه الصَّلاةُ والصَّلامُ بواحدةٍ منهنَّ.

﴿**والله خلقكم من ترابٍ**﴾ دليلٌ آخرُ على صحَّةِ البعثِ والنُّشورِ أي خلقكم ابتداءً منه في ضمنِ خلقِ آدمَ عليه السَّلامُ خلقًا إجماليًّا كما مرَّ تحقيقُه مرارًا ﴿**ثمَّ من نُطفةٍ**﴾ أي ثم خلقكَم منها خلقًا تفصيليًّا ﴿**ثمَّ جعلكَم أَزْواجًا**﴾ أي أصنافًا أو ذُكرانًا وإناثًا. وعن قَتادةَ جعل بعضَكم زَوْجًا لبعضٍ ﴿**وما تحملُ مِن أُنثى ولا تضعُ إلا بعلمِه**﴾ إلا ملتبسةً بعلمِه تابعةً لمشيئتِه ﴿**وما يُعمَّر مِن مُعمَّرٍ**﴾ أي من أحدٍ وإنما سُمِّي معمَّرًا باعتبارِ مصيرِه أي وما يُمدُّ في عمرِ أحدٍ ﴿**ولا يُنقص من عمره**﴾ أي من عمرِ أحدٍ على طريقةِ قولِهم لا يُثيب الله عبدًا ولا يُعاقبه إلا بحقٍّ لكنْ لا عَلى معنى لا يُنقص عمره بعد كونِه زائدًا على معنى لا يُجعل من الابتداءِ ناقصًا. وقيل الزِّيادةُ والنَّقصُ في عمرٍ واحدٍ باعتبارِ أسبابٍ مختلفةٍ أُثبتتْ في اللَّوحِ مثلِ أنْ يكتبَ فيه إنْ حجَّ فلانٌ فعمرُه ستُّونَ وإلا فأربعونَ وإليه أشارَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بقولِه: «**الصَّدقة والصِّلةُ تُعمِّرانِ الدِّيارَ وتزيدانِ في الأعمارِ**»[1] وقيلَ: المرادُ بالنَّقصِ ما يمرُّ من عمرِه وينقصُ فإنَّه يكتب في الصَّحيفةِ عمرُه كذا وكذا سنة ثم يُكتب تحتَ ذلك ذهبَ يومٌ ذهبَ يومانِ وهكذا حتَّى يأتي على آخرِه، وقرئ (ولا يَنقُصُ)[2] على البناءِ للفاعلِ و(من عُمْره)[3] بسكونِ الميم ﴿**إلا في كتابٍ**﴾ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُما أنَّه اللَّوحُ وقيل: عِلمُ الله عزَّ وجلَّ. وقيل: صحيفةُ كلِّ إنسانٍ ﴿**إنَّ ذلكَ**﴾ أي ما ذُكر من الخلقِ وما بعدَهُ مع كونِه محارًا للعقولِ والأفهامِ ﴿**على الله يسيرٌ**﴾ لاستغنائِه عن الأسبابِ فكذلك البعثُ.

﴿**وما يستوي البحرانِ هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه وهذا ملحٌ أُجاجٌ**﴾ مَثلٌ ضُرب للمؤمنِ والكافرِ. والفُراتُ: للذي يكسرُ العطشَ والسَّائغُ الذي يَسهلُ انحدارُه

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٦١٣).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ورويس، والحسن، والمطوعي، وسلام، وروح، وعبد الوارث، وهارون، ويعقوب، وابن سيرين.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٦١، ٣٦٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٤)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٢).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، والمطوعي، وعبيد، وعبد الوهاب بن عطاء، والأعرج، والزهري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٤)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٣).

لعذوبتِه. والأُجاج الذي يحرقُ بملوحتِه. وقرئ (سيِّغ)[١] كَسيِّد و(سَيْغٌ)[٢] بالتَّخفيفِ، و(مَلِح)[٣] ككَتِفٍ. وقوله تعالى: ﴿ومن كلٍّ﴾ أي من كلِّ واحدٍ منهما ﴿**تأكلون لحمًا طَرِيًّا وتستخرجون**﴾ أي من المالحِ خاصَّةً ﴿**حليةً تلبسونَها**﴾ إمَّا استطرادٌ في صفةِ البحرينِ وما فيهما من النِّعمِ والمنافعِ، وإمَّا تكملةٌ للتَّمثيلِ[٤]. والمعنى كما أنَّهما وإن اشتركا في بعضِ الفوائدِ لا يتساويانِ من حيثُ إنَّهما متفاوتانِ فيما هو المقصودُ بالذَّاتِ من الماءِ لمَّا خالطَ أحدهما ما أفسدَه وغيَّره عن كمال فطرته لا يساوي الكافرُ المؤمنَ وإنْ شاركه في بعض الصِّفاتِ كالشَّجاعةِ والسَّخاوةِ ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصيَّةُ العُظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصليَّةِ وحيازتِه لكماله اللائقِ دون الآخر أو تفضيلٌ للأُجاجِ على الكافرِ من حيثُ إنَّه يشاركُ العذبَ في منافعَ كثيرةٍ والكافرُ خِلْوٌ من المنافعِ بالكُلِّية على طريقةِ قوله تعالى: ﴿ثمَّ قستْ قلوبُكم من بعدِ ذلك فهيَ كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً وإنَّ من الحجارةِ لما يتفجَّرُ منه الأنهارُ وإنَّ منها لما يشقَّقُ فيخرجُ منه الماءُ وإنَّ منها لما يهبطُ من خشيةِ اللهِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٧٤] والمرادُ بالحلية اللؤلؤُ والمرجانُ.

﴿**وترى الفُلكَ فيه**﴾ أي في كلٍّ منهما. وإفرادُ ضميرِ الخطابِ مع جمعِه فيما سبقَ وما لحقَ لأنَّ الخطابَ [لكُلِّ أحدٍ][٥] تتأتَّى منه الرُّؤيةُ دونَ المنتفعينَ بالبحرينِ فَقَطْ ﴿**مواخرَ**﴾ شواقَّ للماءِ يجريها مقبلةً ومدبرةً بريحٍ واحدةٍ ﴿**لتبتغوا من فضلِه**﴾ من فضلِ الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلِّقة بمواخرَ وقد جُوِّز تعلُّقها بما يدلُّ عليه الأفعالُ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، وعيسى، وابن أبي إسحاق.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٠٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٤).

(٢) قرأ بها: عيسى الثقفي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٠٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٤)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٠٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٨).

(٣) قرأ بها: طلحة، وأبو نهيك.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٦٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٩).

(٤) اختلف العلماء في هذا الموضع فقد ذكر سعد الدين أن الآية من التشبيه الضمني، ووافقه السيد والزمخشري وخالف قوم فعدوها من الاستعارة،..
ينظر: الكشاف (١/ ٢١٠)، وحاشية السيد على الكشاف (١/ ٢١٠)، وأسرار البلاغة (٢٩٦، ٢٩٧)، والمطول (٣٦٠)، وحاشية السيد على المطول (٣٦٠).

(٥) في ط: في كل واحد.

المذكورةُ أي فعلَ ذلك لتبتغُوا من فضلِه ﴿**ولعلَّكم تشكرون**﴾ أي ولتشكُروا على ذلك. وحرفُ التَّرجِّي للإيذانِ بكونِه مرضيًا عند الله تعالى ﴿**يُولج اللَّيلَ في النَّهارِ ويُولجُ النَّهارَ في اللَّيلِ**﴾ بزيادةِ أحدِهما ونقصِ الآخرِ بإضافةِ بعضِ أجزاءِ كلٍّ منهما إلى الآخرِ ﴿**وسخَّر الشَّمسَ والقمرَ**﴾ عطفٌ على يُولج. واختلافُهما صيغةً لما أنَّ إيلاجَ أحدِ المَلَوينِ في الآخر متجددٌ حينًا فحينًا، وأمَّا تسخيرُ النيرَّينِ فأمرٌ لا تعدُّدَ فيه وإنَّما المتعددُ والمتجددُ آثارُه. وقد أُشير إليهِ بقولِه تعالى: ﴿**كلٌّ يجري**﴾ أي بحسبِ حركتِه الخاصَّةِ وحركتِه القسريةِ على المداراتِ اليوميَّةِ المُتعدِّدةِ حسب تعدُّدِ أيَّام السَّنةِ جَريانًا مستمرًّا ﴿**لأجلٍ مُسمَّى**﴾ قدَّره الله تعالى لجريانهما وهو يومُ القيامةِ كما رُوي عن الحسنِ رحمه الله وقيل: جريانُهما عبارةٌ عن حركتيهما الخاصَّتينِ بهما في فلكيهما، والأجلُ المُسمَّى هو منتهى دورتيهما، ومدَّةُ الجريانِ للشَّمسِ سنةٌ وللقمرِ شهرٌ وقد مرَّ تفصيلُه في سُورة لقمانُ ﴿**ذلكم**﴾ إشارةٌ إلى فاعلِ الأفاعيلِ المذكورةِ، وما فيهِ من معنى البُعدِ للإيذانِ بغايةِ العظمةِ وهو مبتدأٌ وما بعدَه أخبارٌ مترادفةٌ أي ذلكُم العظيُم الشَّأنِ الذي أبدعَ هذه الصَّنائعَ البديعةَ ﴿**الله رُبُّكم له المُلك**﴾ وفيه من الدِّلالةِ على أنَّ إبداعَه تعالى لتلك البدائعِ ممَّا يُوجبُ ثبوتَ تلك الأخبارِ له ما لا يخفى، ويجوزُ أنْ يكونَ الأخيرُ كلامًا مُبتدأً في مقابلةِ قوله تعالى: ﴿**والذين تدعُون من دونِه ما يملكونَ من قطميرٍ**﴾ للدِّلالةِ على تفرُّدِه تعالى بالأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ. وقرئ[1] يَدعُون بالياءِ التحتانيةِ. والقطميرُ لفافةُ النَّواةِ وهو مَثَلٌ في القلَّةِ والحقارةِ.

﴿**إنْ تدعُوهم لا يسمعُوا دعاءكم**﴾ استئنافٌ مقرر لمضمون ما قبله كاشفٌ عن جليةِ حالِ ما يدعونَه بأنَّه جمادٌ ليس من شأنِه السَّماعُ ﴿**ولو سمعُوا**﴾ على الفرضِ والتَّقديرِ ﴿**ما استجابُوا لكُم**﴾ لعجزِهم عن الأفعالِ بالمرَّةِ لا لما قيلَ من أنَّهم متبرِّئون منكم وممَّا تدعُون لهم فإنَّ ذلك ممَّا لا يُتصور منهم في الدُّنيا ﴿**ويومَ القيامةِ يكفرونَ بشركِكم**﴾ أي يجحدونَ بإشراكِكم لهم وعبادتِكم إيَّاهم بقولِهم ما كنتُم إيَّانا تعبدونَ ﴿**ولا يُنبئك مثلُ خبيرٍ**﴾ أي لا يخبرك بالأمرِ مخبرٌ مثلُ خبيرٍ أخبرَك به وهو الحقُّ سبحانَه فإنَّه الخبيرُ بكُنهِ الأمورِ دُون سَائرِ المخبرين. والمرادُ تحقيقُ ما أخبر به من

(١) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وحفص، والحسن، وعيسى، وسلام، ويعقوب، والنهاوندي، وروح، وقتيبة، وابن الجلاء، ونصير، وابن حبيب، وابن يونس، وأبو عمارة، واللؤلؤي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٠٥)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٤)، والمحتسب لابن جني (٨/ ٤٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٢).

حالِ آلهتِهم ونفيُ ما يدَّعُون لهم من الإلهيةِ.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

﴿**يا أيُّها النَّاسُ أنتُم الفُقراءُ إلى الله**﴾ في أنفسِكم وفيما يعنُّ لكم من أمرٍ مهمٍّ أو خطبٍ ملمٍّ. وتعريفُ الفقراءِ للمبالغةِ في فقرِهم كأنَّهم لكثرةِ افتقارِهم وشدَّةِ احتياجِهم هم الفقراءُ فحسب وأنَّ افتقارَ سائرِ الخلائقِ بالنسبةِ إلى فقرِهم بمنزلةِ العدمِ ولذلك قال تعالى: ﴿وخُلق الإنسانُ ضعيفًا﴾ [سورة النساء، الآية ٢٨] ﴿**والله هو الغنيُّ الحيمدُ**﴾ أي المستغنِي على الإطلاقِ المنعمُ على سائرِ الموجوداتِ المستوجبُ للحمدِ ﴿**إنْ يشأْ يُذهبكم ويأتِ بخلقٍ جديدٍ**﴾ ليسُوا على صفتِكم بل مستمرُّون على الطَّاعةِ أو بعالمٍ آخرَ غيرِ ما تعرفونَهُ ﴿**وما ذلك**﴾ أي ما ذُكر من الإذهابِ بهم والإتيانِ بآخرينَ ﴿**على ٱلله بعزيزٍ**﴾ بمتعذرٍ ولا متعسرٍ.

﴿**ولا تزرُ وازرةٌ**﴾ أي لا تحملُ نفسٌ آثمةٌ ﴿**وزرَ أُخرى**﴾ إثمَ نفسٍ أُخرى بل إنَّما تحملُ كلٌّ منهما وزرَها. وأمَّا ما في قولِه تعالى: ﴿وليحملُنَّ أثقالَهم وأثقالًا مع أثقالِهم﴾ [سورة العنكبوت، الآية ١٣] من حملِ المضلِّين أثقالًا غيرَ أثقالِهم فهو حملُ أثقالِ إضلالِهم [مع أثقالِ ضلالِهم][1] وكلاهما أوزارُهم ليس فيها من أوزارِ غيرِهم شيء ﴿**وإنْ تدعُ مثقلةٌ**﴾ أي نفسٌ أثقلَها الأوزارُ ﴿**إلى حملها**﴾ لحملِ بعضِ أوزارِها ﴿**لا يُحمل منه شيءٌ**﴾ لم تُجبْ بحملِ شيءٍ منه ﴿**ولو كان**﴾ أي المدعُو المفهوم من الدَّعوةِ ﴿**ذا قُربى**﴾ ذا قرابةٍ من الدَّاعي. وقرئَ[2] ذُو قُربى. وهذا نفيٌ للحملِ اختيارًا والأوَّلُ نفيٌ له إجبارًا ﴿**إنما تنذرُ**﴾ استئنافٌ مسوق لبيان من يتَّعظُ بما

---

(١) سقط في خ.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٨)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٣٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٥).

ذُكر أي إنَّما تنذر بهذه الإنذاراتِ ﴿الذين يخشَون ربَّهم بالغيبِ﴾ أي يخشَونَه تعالى غائبينَ عن عذابِه أو عن النَّاسِ في خلواتِهم أو يخشَون عذابَه وهو غائبٌ عنهم ﴿وأقاموا الصَّلاةَ﴾ أي راعَوها كما ينبغي وجعلوها مَنارًا منصوبًا وعَلَمًا مرفوعًا أي إنما ينفعُ إنذارُك وتحذيرُك هؤلاءِ من قومِك دُون مَن عداهُم من أهل التَّمرد والعنادِ.

﴿ومن تزكَّى﴾ أي تطهرَ من أوضار الأوزارِ والمعاصِي بالتَّأثرِ من هذهِ الإنذاراتِ ﴿فإنَّما يتزكَّى لنفسِه﴾ [لاقتصارِ نفعِه عليها كما أنَّ مَن تدنَّس بها لا يتدنَّس إلا عليها. وقرئ[1] من ازكَّى فإنَّما يزكَّى، وهو اعتراضٌ مقررٌ لخشيتهم وإقامتِهم الصَّلاةَ لأنَّها من معظم][2] مبادِي التزكِّي ﴿وإلى الله المصيرُ﴾ لا إلى أحدٍ غيرِه استقلالًا أو اشتراكًا فيجازيهم على تزكِّيهم أحسنَ الجزاء.

﴿وما يستوِي الأعمى والبَصيرُ﴾ أي الكافرُ والمؤمنُ ﴿ولا الظُّلماتُ ولا النُّورُ﴾ أي ولا الباطلُ ولا الحقُّ[3] وجمع الظلمات مع أفرادِ النُّورِ لتعدُّدِ فنونِ الباطلِ واتِّحاد الحقِّ ﴿ولا الظلُّ ولا الحرورُ﴾ أي ولا الثَّوابُ ولا العقابُ. وإدخالُ لا على المتقابلينِ لتذكيرِ نفيِ الاستواءِ وتوسيطُها بينهُما للتَّأكيدِ. والحَرورُ فَعولٌ من الحرِّ غلب على السَّموم وقيل: السَّمومُ ما يهبُّ نهارًا والحَرورُ ما يهبُّ ليلًا ﴿وما يستوي الأحياءُ ولا الأمواتُ﴾ تمثيلٌ آخرُ للمؤمنينَ والكافرينَ أبلغُ من الأوَّلِ ولذلك كُرِّر الفعلُ وأُوثر صيغةُ الجمع في الطَّرفينِ تحقيقًا للتَّباينَ بين أفرادِ الفريقينِ وقيل: تمثيلٌ للعُلماءِ والجَهلَةِ ﴿إنَّ اللهَ يُسمعُ مَن يشاءُ﴾ أنْ يُسمَعه ويوفِّقه لفهم آياتِه والاتِّعاظِ بعظاتِه ﴿وما أنتَ بمسمع من في القبور﴾ ترشيحٌ لتمثيل المصرِّينَ على الكُفرِ بالأمواتِ وإشباعٌ في إقناطِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من إيمانِهم ﴿إنْ أنتَ إلا نَذيرٌ﴾ ما عليكَ إلا الإنذارُ وأمَّا الإسماعُ ألبتةَ فليس من وظائفِك ولا حيلةَ لك إليه في المطبوعِ على قلوبهم.

---

(١) «ازكى» قرأ بها: ابن مسعود، وطلحة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٦).
«يزكَّى» قرأ بها: أبو عمرو، والعباس، وطلحة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٠٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٦).

(٢) سقط في خ.

(٣) إشارة إلى أن هذه استعارات تصريحية متتابعة حيث صرح فيها بالمستعار.
ينظر في الاستعارة: شروح التلخيص (٤/ ١٤١)، والإيضاح مع البغية (٣/ ١٤٦)، والتحرير والتنوير (٢٢/ ٢٩٢) وما بعدها.

﴿إِنَّا أرسلناكَ بالحقِّ﴾ أي محقِّين أو محقًّا أنتَ أو إرسالًا مصحُوبًا بالحقِّ ويجوزُ أنْ بتعلَّق بقوله ﴿بَشيرًا ونَذيرًا﴾ أي بشيرًا بالوعدِ الحقِّ ونذيرًا بالوعيدِ الحقِّ ﴿وإنْ من أمةٍ﴾ أي ما من أمةٍ من الأمم الدَّارجةِ في الأزمنةِ الماضيةِ ﴿إلا خَلاَ﴾ أي مَضى ﴿فيها نذيرٌ﴾ من نبيٍّ أو عالمٍ يُنذرهم. والاكتفاءُ بذكرهِ للعلمِ بأنَّ النِّذارةَ قرينةُ البشارةِ لا سيِّما وقد اقترنا آنِفًا ولأنَّ الإنذارَ هو الأنسبُ بالمقامِ.

﴿وإنْ يُكذِّبوكَ﴾ أي تموا على تكذيبكَ فلا تُبالِ بهم وبتكذيبهم ﴿فقد كُذِّب الذينَ مِن قبلهم﴾ من الأمم العاتيةِ[1] ﴿جاءتهم رسلُهم بالبيِّنات﴾ أي المعجزاتِ الظَّاهرةِ الدَّالةِ على نُبوَّتهم ﴿وبالزُّبرِ﴾ كصُحفِ إبراهيمَ ﴿وبالكتابِ المُنيرِ﴾ كالتَّوارةِ والإنجيلِ والزَّبورِ على إرادةِ التَّفصيلِ دُون الجمعِ وبجوزُ أنْ يُرادَ بهما واحدٌ والعطفُ لتغايرِ العُنوانينِ ﴿ثم أخذتُ الذين كفرُوا﴾ وضعَ الموصولَ موضعَ ضميرِهم لذمِّهم بما في حيِّزِ الصِّلةِ والإشعارِ بعلَّةِ الأخذِ ﴿فكيفَ كانَ نكير﴾ أي إنكارِي بالعقوبة وفيه مزيدُ تشديدٍ وتهويلٍ لها.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

---

(١) في خ: الماضية.

﴿ألم تر﴾ استئنافٌ مسوق لتقريرِ ما قبله من اختلافِ أحوالِ النَّاسِ ببيان أنَّ الاختلافَ والتَّفاوتَ أمرٌ مطَّردٌ في جميعِ المخلوقات من النَّباتِ والجمادِ والحيوانِ. والرُّؤيةُ قلبية أي ألم تعلمَ ﴿أنَّ الله أنزلَ مِن السَّماءِ ماءً فأخرجنَا به﴾ بذلك الماءِ. والالتفات لإظهارِ كمال الاعتناءِ بالفعلِ لما فيه من الصُّنع البديع المنبئ عن كمالِ القُدرةِ والحكمةِ ﴿ثمراتٍ مختلفًا ألوانُها﴾ أي أجناسُها أو أصنافُها على أنَّ كلاً منها ذُو أصنافٍ مختلفةٍ. أو هيئاتُها وأشكالُها أو ألوانُها من الصُّفرةِ والخُضرةِ والحُمرةِ وغيرِها وهو الأوفقُ لما في قوله تعالى: ﴿من الجبالِ جددٌ﴾ أي ذو جدد أي خططٍ وطرائقَ ويقالُ جدة الحمارِ للخطةِ السَّوداءِ على ظهره وقرئ[1] جُدُد بالضَّمِّ جمع جديدةٍ بمعنى الجدة وجَدَد[2] بفتحتينِ وهو الطَّريقُ الواضحُ ﴿بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها﴾ بالشِّدةِ والضَّعفِ ﴿وغرابيبُ سود﴾ عطفٌ على بيضٌ أو على جدُد كأنَّه قيل: ومن الجبالِ مُخطَّطٌ[3] ذو جُددٍ ومنها ما هو على لونٍ واحدٍ غرابيبَ وهو تأكيد لمضمر يفسِّره ما بعدِه فإنَّ الغربيبَ. تأكيدٌ للأسودِ كالفاقع للأصفرِ والقانِي للأحمرِ ومن حقِّ التَّأكيدِ أنْ يتبعَ المؤكَّدَ، ونظيرُه في الصِّفةِ قولُ النَّابغةِ: [البسيط]

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ يمسحُها ....[4]

وفي مثلهِ مزيدُ تأكيدٍ لما فيه التَّكرارِ باعتبار الإضمارِ والإظهارِ.

﴿ومن النَّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مختلفٌ ألوانُه﴾ أي ومنهم بعضٌ مختلفٌ ألوانه أو وبعضُهم مختلفٌ ألوانُه على ما مرَّ في قوله تعالى: ﴿ومن النَّاسِ من يقولُ آمنَّا بالله﴾ [سورة العنكبوت، الآية ١٠] وإيراد الجملتينِ اسميتين مع مشاركتِهما لما[5] قبلَهُما من الجملةِ الفعليةِ في الاستشهادِ بمضمونِهما على تباينِ النَّاسِ في الأحوالِ

---

(١) قرأ بها: الزهري
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣١١)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٩).

(٢) قرأ بها: الزهري.
ينظر: تفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٩٩).

(٣) في خ: خطط.

(٤) صدر بيت وعجزه:
.... ركبان مكة بين الغيل والسعدِ
والبيت للنابغة الذبياني في ديوانه، ص (٢٥)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٥)، وشرح المفصل (٣/ ١١)، وخزانة الأدب (٥/ ٧١).

(٥) في ط: ما.

الباطنةِ لما أنَّ اختلافَ الجبالِ والنَّاسِ والدَّوابِّ والأنعام فيما ذُكر من الألوانِ أمرٌ مستمرٌ فعبَّر عنه بما يدلُّ على الاستمرارِ. وأمَّا إخراجُ الثَّمراتِ المختلفةِ فحيثُ كان أمرًا حادثًا عبَّر عنه بما يدلُّ على الحدوثِ ثم لما كان فيه نوعُ خفاءً علَّق به الرُّؤية ثم بطريقِ الاستفهامِ التقريريِّ المُنبئ عن الحمل عليها والتَّرغيبِ فيها بخلافِ أحوالِ الجبالِ والنَّاسِ وغيرِهما فإنَّها مُشاهدَة غنيَّةٌ عن التأمُّلِ فلذلك جُرِّدتْ عن التَّعليقِ بالرُّؤيةِ فتدبَّرْ.

وقولُه ﴿كذلكَ﴾ مصدرٌ تشبيهيٌّ لقوله تعالى مختلفٌ أي صفة لمصدره المؤكِّد تقديرُه مختلفٌ اختلافًا كائنًا كذلك أي كاختلافِ الثِّمارِ والجبال وقرئ ألوانها[١] وقرئ والدَّواب[٢] بالتَّخفيفِ مبالغةً في الهربِ من التقاءِ السَّاكنينِ وقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عبادهِ العلماءُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢٨] تكملة لقوله تعالى: ﴿إنَّما تُنذر الذين يخشَون ربَّهم بالغيبِ﴾ [سورة فاطر، الآية ١٨] بتعيين من يخشاه عزَّ وجلَّ من النَّاس بعد بيانِ اختلافِ طبقاتِهم وتباينِ مراتبِهم، أمَّا في الأوصافِ المعنويَّةِ فبطريقِ التَّمثيلِ وأما في الأوصافِ الصُّوريةِ فبطريقِ التَّصريحِ توفية لكلِّ واحدةٍ منهما حقَّها اللائقَ بها من البيانِ أي إنَّما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عزَّ وجلَّ وبما يليق به من صفاتِه الجليلةِ وأفعالِه الجميلةِ لما أنَّ مدارَ الخشية معرفةُ المخشيِّ والعلمُ بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كانَ أخشى منه عزَّ وجلَّ كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أنا أخشاكُم لله وأتقاكُم له**»[٣] ولذلك عقَّب بذكرِ أفعالِه الدَّالَّةِ على كمالِ قُدرتِه وحيث كان الكَفَرةُ بمعزلٍ من هذه المعرفةِ امتنع إنذارُهم بالكلِّية. وتقديمُ المفعولِ لأن المقصودَ حصرُ الفاعليَّةِ ولو أُخِّر انعكسَ الأمرُ وقرئ[٤] برفعِ الاسم الجليلِ ونصبِ العلماءِ على أنَّ الخشية مستعارةٌ للتَّعظيمِ فإنَّ المعظَّم يكونُ مهيبًا ﴿إنَّ الله عزيزٌ

---

(١) قرأ بها: ابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٧).

(٢) قرأ بها: الزهري.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٢)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٣٠) كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، برقم (٥٠٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «أما والله إني لأخشاكم لله وألقاكم له».

(٤) قرأ بها: عمر بن عبد العزيز، وأبو حنيفة، وأبو حيوة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٢)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٨)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢١).

غفورٌ﴾ تعليل لوجوبِ الخشيةِ لدلالتِهِ على أنَّه معاقبٌ للمصرِّ على طغيانِه غفورٌ للتائب عن عصيانِه.

﴿إنَّ الذينَ يتلُون كتابَ الله﴾ أي يداومُون على قراءته أو متابعةِ ما فيه حتَّى صارتْ سمةً لهم وعُنوانًا. والمرادُ بكتابِ الله تعالى القُرآنُ. وقيلَ: جنسُ كتبِ[1] الله فيكون ثناءً على المصدِّقين من الأممِ بعد اقتصاصِ حالِ المكذِّبين منهم وليسَ بذاك فإنَّ صيغةَ المضارعِ مناديةٌ باستمرارِ مشروعيةِ تلاوتِه والعملِ بما فيه واستتباعِهما لما سيأتي من توفيةِ الأجورِ وزيادةِ الفضلِ. وحملُها على حكايةِ الحالِ الماضيةِ مع كونِه تعسُّفًا ظاهرًا ممَّا لا سبيلَ إليه كيفَ [لا][2] والمقصودُ التَّرغيبُ في دينِ الإسلامِ والعملُ بالقُرآن النَّاسخِ لما بين يديهِ من الكتبِ فالتَّعرضُ لبيانِ حقِّيتها قبل انتساخِها والإشباعُ في ذكرِ استتباعها لما ذُكر من الفوائدِ العظيمةِ مِّما يُورث الرَّغبةَ في تلاوتِها والإقبالِ على العملِ بها.

وتخصيصُ التِّلاوةِ بما لم ينسخ منها باطلٌ قطعًا لما أنَّ الباقي مشروعًا ليس إلا حكمها لكنْ لا من حيثُ إنَّه حكمها بل من حيثُ إنه حكم القرآنَ وأما تلاوتُها فبمعزلٍ من المشروعيَّةِ واستتباع الأجر بالمرَّة فتدبر.

﴿وأقامُوا الصَّلاةَ وأنفقُوا ممَّا رزقناهم سِرًّا وعلانيةً﴾ كيفما اتَّفق من غيرِ قصدٍ إليهما وقيل: السِّرُّ في المسنونةِ والعلانيةُ في المفروضةِ ﴿يرجُون تجارةً﴾ تحصيلَ ثوابٍ بالطَّاعةِ وهو خبرُ إنَّ.

وقوله تعالى ﴿لنَ تبورَ﴾ أي لن تكسدَ ولن تهلكَ بالخسرانِ أصلًا صفةٌ لـ «تجارةً» جيء بها للدِّلالةِ على أنَّها ليستْ كسائرِ التِّجاراتِ الدَّائرةِ بين الرِّبحِ والخُسرانِ لأنَّه اشتراءُ باقٍ بفانٍ. والإخبارُ برجائِهم من أكرمِ الأكرمينَ عِدَةٌ قطعيةٌ بحصولِ مرجوِّهم. وقولُه تعالى: ﴿ليوفيَهم أجورَهم﴾ متعلقٌ بلَنْ تبورَ على معنى أنَّه ينتفي عنها الكسادُ وتنفُق عند الله تعالى ليوفيَهم أجورَ أعمالِهم ﴿ويزيدَهم من فضلِه﴾ على ذلك من خزائنِ رحمتِه ما يشاءُ وقيل: بمضمرٍ دلَّ عليه ما عُدَّ من أفعالِهم المرضيَّةِ أي فعلُوا ذلك ليوفيَهم إلخ وقيل بيرجُون على أنَّ اللام للعاقبةِ ﴿إنَّه غفورٌ شكورٌ﴾ تعليلٌ لما قبلَه من التَّوفيةِ والزِّيادةِ أي غفورٌ لفرطاتِهم شكورٌ لطاعاتِهم أي مجازيهم عليها، وقيل: هُو خبرُ إنَّ الذينَ ويرجُون حالٌ من واوِ أنفقُوا.

﴿والذي أوحينا إليكَ من الكتابِ﴾ وهو القرآنُ ومِن للتَّبيين أو الجنسِ ومن

---

(١) في خ: كتاب. (٢) سقط في خ.

للتَّبعيضِ وقيل: اللَّوحَ ومِن للابتداءِ ﴿**هو الحقُّ مصدِّقًا لما بينَ يديهِ**﴾ أي أحقه مصدِّقًا لما تقدَّمه من الكتبِ السَّماويةِ حالٌ مؤكِّدة، لأنَّ حقِّيتَه تستلزمُ موافقتَه إيَّاهُ في العقائدِ وأصولِ الأحكامِ ﴿**إنَّ الله بعبادِه لخبيرٌ بصيرٌ**﴾ محيطٌ ببواطنِ أمورِهم وظواهرِها فلو كانَ في أحوالِك ما ينافي النُّبوة لم يُوحِ إليك مثلُ هذا الحقَّ المعجزِ الذي هو عيارٌ على سائرِ الكتبِ. وتقديمُ الخبيرِ للتَّنبيه على أنَّ العمدةَ هي الأمورُ الرُّوحانيَّةُ ﴿**ثم أورثنا الكتابَ**﴾ أي قضينا بتوريثةِ منك أو نورِّثه. والتَّعبيرُ عنه بالماضِي لتقرره وتحققه.

وقيل: أورثناهُ من الأممِ السَّالفةِ أي أخَّرناه عنهم وأعطيناهُ ﴿**الذين اصطفينَا من عبادِنا**﴾ وهم علماءُ الأمةِ من الصَّحابةِ ومن بعدهم ممَّن يسيرُ سيرتَهم أو الأمة بأسرِهم فإنَّ الله تَعالى اصطفاهم على سائرِ الأممِ وجعلهم أمةً وسطًا ليكونُوا شهداءَ على النَّاسِ واختصَّهم بكرامةِ الانتماءِ إلى أفضلِ رسلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وليس من ضرورةِ وراثةِ الكتابِ مراعاتُه حقَّ رعايتِه لقوله تعالى: ﴿فخلَف من بعدِهم خَلْفٌ ورثوا الكتاب﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٦٩] الآيةَ ﴿**فمنهم ظالمٌ لنفسه**﴾ بالتَّقصيرِ في العملِ به وهو المرجأُ لأمرِ الله ﴿**ومنهم مقتصدٌ**﴾ يعملُ به في أغلبِ الأوقاتِ ولا يخلُو من خلط السَّيئ ﴿**ومنهم سابقٌ بالخيراتِ بإذن الله**﴾ قيل هم السَّابقونَ الأوَّلُون من المهاجرينَ والأنصارِ وقيل: هم المُداومون على إقامةِ مواجبهِ علمًا وعملًا وتعليمًا وفي قوله تعالى بإذنِ الله أي بتيسيره وتوفيقِه تنبيهٌ على عزَّةِ منالِ هذه الرُّتبةِ وصعوبةِ مأخذِها.

وقيل: الظَّالمُ: الجاهلُ والمقتصدُ المتعلِّم والسَّابقُ: العالمُ وقيل الظالمُ المجرمُ والمقتصدُ الذي خلطَ الصَّالحَ بالسَّيئ والسَّابقُ الذي ترَّجحتْ حسناته بحيثُ صارتْ سيِّئاتُه مكفَّرةً. وهو معنى قوله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**وأما الذين سَبقُوا فأولئك يدخلُون الجنَّةِ [يُرزقون فيها]**[١] **بغيرِ حساب وأما المقتصدُ فأولئك يُحاسبون حِسابًا يسيرًا وأمَّا الذين ظلمُوا أنفسَهم فأولئك يُحبسون في طولِ المحشرِ ثم يتلقَّاهم الله برحمتِه**»[٢]، وقد رُوي أنَّ عمرَ رضي الله عنه قال وهو على المنبرِ قال رسولُ الله ﷺ: «**سابقُنا سابقٌ ومقتصدُنا ناجٍ وظالمُنا مغفورٌ له**»[٣].

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٢) برقم (١٧٩٨٩)، والحاكم (٢/ ٤٦٢) كتاب التفسير، باب: سورة فاطر.

(٣) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٨/ ١١١)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٦٣).

﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى السَّبقِ بالخيراتِ وما فيه من معنى البُعدِ مع قُربِ العهد بالمشارِ إليه للإشعارِ بعلوِّ رتبتِه وبُعد منزلتِه في الشَّرفِ ﴿هو الفضلُ الكبيرُ﴾ من الله عزَّ وجلَّ لا يُنال إلا بتوفيقِه تعالى ﴿جنَّاتُ عدنٍ﴾ إمَّا بدلٌ من الفضلُ الكبيرُ بتنزيلِ السَّببِ منزلةَ المسَّببِ أو مبتدأٌ خبرُه ﴿يدخلونَها﴾ وعلى الأوَّلِ هو مستأنفٌ وجمعُ الضَّميرِ لأنَّ المرادَ بالسَّابقِ الجنسُ وتخصيصُ حالِ السَّابقينَ ومآلِهم بالذِّكرِ والسُّكوتُ عن الفريقينِ الآخرينِ وإنْ لم يدلَّ على حرمانِهما من دخولِ الجنةِ مُطلقًا لكنَّ فيه تحذيرًا لهما من التَّقصيرِ وتحريضًا على السَّعيِ في إدراكِ شأوِ السَّابقينَ. وقرئ (جنَّاتِ عدنٍ)[١] و(جنةَ عدنٍ)[٢] على النَّصبِ بفعلٍ يفسِّره الظَّاهرُ. وقرئ (يُدخَلُونها)[٣] على البناءِ للمفعولِ ﴿يُحلَّون فيها﴾ خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ مقدرةٌ. وقرئ (يحلُون)[٤] من حَلِيتْ المرأةُ فهي حاليةٌ ﴿من أساورَ﴾ هيَ جمعُ أسورةٍ جمع سوارٍ ﴿من ذهبٍ﴾ مِن الأُولى تبعيضيَّةٌ، والثَّانيةُ بيانيَّةٌ أي يُحلَّون بعضَ أساورَ من ذهبٍ كأنَّه أفضلُ من سائرِ أفرادِها ﴿ولؤلؤا﴾ بالنَّصبِ عطفًا على محلِّ من أساورَ وقرئ (بالجرِّ)[٥] عطفًا على ذهبٍ أي من ذهبٍ مرصعٍ باللُّؤلؤِ أو من ذهبٍ في صفاءِ اللُّؤلؤِ ﴿ولباسُهم فيها حريرٌ﴾ وتغييرُ الأسلوبِ قدمرَّ [سرُّه][٦] في سورةِ الحجِّ.

﴿وقالُوا﴾ أي يقولون وصيغةَ الماضي للدِّلالةِ على التَّحقُّقِ ﴿الحمدُ لله الذي أذهبَ عنَّا الحَزَن﴾ وهو ما أهمَّهم من خوفِ سوءِ العاقبةِ وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله

---

(١) قرأ بها: عاصم الجحدري، وهارون.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٢٩٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٤).

(٢) قرأها بالإفراد والرفع: رزين، وحبيش، والزهري.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٤)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٠).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٢).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٤).

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، والمفضل، والدوري، ويعقوب، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والتيسير للداني ص (١٥٦)، والحجة لابن خالويه (٢٥٢، ٢٩٦)، والحجة لأبي زرعة ص (٥٩٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٢٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٢٦).

(٦) سقط في خ.

عنهما: حَزَنُ الأعراضِ والآفاتُ، وعنه حَزَنُ الموتِ وعن الضَّحَّاكِ: حَزَنُ وسوسةِ إبليسَ. وقيل: همُّ المعاشِ، وقيل: حَزَنُ زوالِ النِّعم. والظَّاهرُ أنَّه الجنسُ المنتظمُ لجميعِ أحزانِ الدِّينِ والدُّنيا. وقرئ (الحُزْنَ)[١] وعن رسولِ الله ﷺ: **«ليسَ على أهلِ لا إله إلا الله وحشةٌ في قبورِهم ولا في محشرِهم، ولا في مسيرِهم وكأنِّي بأهل لا إله إلا الله يخرجُون من قبورِهم ينفضُون التُّرابَ عن وجوهِهم ويقولُون الحمدُ لله الذي أذهبَ عنَّا الحَزَنَ»**[٢].

﴿إنَّ ربنا لغفورٌ﴾ أي للمذنبينَ **﴿شكورٌ﴾** للمطيعينَ **﴿الذي أحلَّنا دارَ المُقامةِ﴾** أي دارَ الإقامةِ التي لا انتقالَ عنها أبدًا **﴿من فضلِه﴾** من إنعامِه وتفضُّلِه من غيرِ أنْ يوجبَه شيءٌ من قبلنا **﴿لا يمسُّنا فيها نَصَبٌ﴾** تعب **﴿ولا يمسُّنا فيها لغوبٌ﴾** كلالٌ والفرقُ بينهما أنَّ النَّصبَ نفس المشقَّة والكُلفة واللُّغوب ما يحدثُ منه من الفتورِ، والتَّصريحُ بنفيِ الثَّاني مع استلزامِ نفي الأوَّلِ [له][٣] وتكريرُ الفعلِ المنفي للمبالغةِ في بيانِ انتفاءِ كلٍّ منهما **﴿والذين كفرُوا لهم نارُ جَهَنَّم لا يُقضى عليهم﴾** لا يُحكم عليهم بموتٍ ثانٍ **﴿فيموتُوا﴾** ويستريحُوا. ونصبُه بإضمارِ أنْ وقرئ (فيموتونَ)[٤] عطفًا على يقضى كقوله تعالى: ﴿ولا يُؤذن لهم فيعتذرونَ﴾ [سورة المرسلات، الآية ٣٦] **﴿ولا يخفَّف عنهم من عذابِها﴾** بل كلَّما خبتْ زيد إسعارُها **﴿كذلك﴾** أي مثلَ ذلكَ الجزاءِ الفظيع **﴿نجزي كلَّ كفورٍ﴾** مبالغٍ في الكفرِ أو الكفرانِ لا جزاء أخف وأدنى منه. وقرئ[٥] يُجزى على البناءِ للمفعولِ وإسناده إلى الكلِّ وقرئ[٦] يجازى.

---

(١) قرأ بها: جناح بن حبيش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٠).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٧١)، والثعلبي (٨/ ١١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١١١)، والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٢٦٥)، من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما.

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: عيسى الثقفي، والحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٠٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣١٦)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠١).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، وأبو حاتم، والحسن، واليزيدي، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٩٧)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٢).

(٦) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٠).

﴿وهم يَصْطَرِخُون فيها﴾ يستغيثُون. والاصطراخُ افتعالٌ من الصُّراخِ استُعمل في الاستغاثةِ لجهد[1] المستغيثِ صوتَه ﴿ربنا أخرجنا نعملْ صالحًا غيرَ الذي كنَّا نعملُ﴾ بإضمارِ القولِ وتقييدِ العملِ الصَّالحِ بالوصفِ المذكورِ للتَّحسرِ على ما عملوه من غيرِ الصَّالحِ والاعترافِ به والإشعارِ بأنَّ استخراجَهم لتلافيهِ وأنَّهم كانُوا يحسبونه صالحًا والآنَ تبيَّن خلافُه. وقولُه تعالى ﴿أوَلم نعمركم ما يتذكرُ فيه مَن تذكَّر﴾ جوابٌ من جهتِه تعالى وتوبيخٌ لهم. والهمزةُ للإنكارِ والنَّفي والواوُ للعطفِ على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقامُ. ومَا نكرةٌ موصوفةٌ أي ألم نمهلْكُم أو ألم نؤخرْكُم ولم نعمْركُم عمرًا يتذكَّرُ فيه من تذكَّر أي يتمكَّنُ فيه المتذكرُ من التَّذكُّرِ والتَّفكُّرِ. قيل هو أربعون سنةً وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ستُّون سنة ورُوي ذلك عن: عليٍّ رضي الله عنه وهو العُمر الذي أعذرَ الله فيه إلى ابنِ آدَم قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أعذرَ الله إلى امرئ أخَّر أجلَه حتَّى بلغَ ستِّين سنة**»[2].

وقولُه تعالى: ﴿وجاءكُم النَّذيرُ﴾ عطفٌ على الجملةِ الاستفهاميةِ لأنَّها في معنى قد عمَّرناكم كما في قوله تعالى: ﴿ألم نشرحْ لك صدرَك * ووضعنا﴾ [سورة الشرح، الآية ١ و٢] إلخ لأنَّه في معنى قد شرحنا إلخ والمرادُ بالنَّذيرِ رسولُ الله ﷺ أو ما معه من القُرآن وقيل: العقلُ وقيل: الشَّيبُ وقيل[3]: موتُ الأقاربِ. والاقتصارُ على ذكرِ النَّذيرِ لأنَّه الذي يقتضيهِ المقامُ. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فذوقُوا﴾ لترتيبِ الأمرِ بالذَّوقِ على ما قبلها التَّعميرِ ومجيءِ النَّذيرِ. وفي قولِه تعالى: ﴿فما للظالمينَ من نصيرٍ﴾ للتَّعليلِ. ﴿إنَّ الله عالمُ غيبِ السَّمواتِ والأرضِ﴾ بالإضافةِ. وقرئ[4] بالتَّنوينِ ونصبِ غيبَ على المفعوليةِ أي لا يخفى عليه خافيةٌ فيهما فلا تخفى عليه أحوالُهم ﴿إنَّه عليمٌ بذاتَ الصُّدور﴾ قيل: إنَّه تعليلٌ لما قبله لأنَّه إذا علمَ مضمراتِ الصُّدورِ وهي أخفى ما يكونُ كان أعلمَ بغيرِها.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) في خ: جهر.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ١٤) كتاب الرقاق، باب: من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر، برقم (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) زاد في خ: هو.

(٤) قرأ بها: جناح بن حبيش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٦).

أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

﴿**هو الذي جعلكُم خلائفَ في الأرضِ**﴾ يقال للمستخلَفِ خليفة وخليفٌ والأول يُجمع خلائفَ والثّاني خلفاءَ والمعنى أنَّه تعالى جعلكم خلفاءَه في أرضه وألقى إليكم مقاليدَ التَّصرفِ فيها وسلَّطكم على ما فيها وأباحَ لكم منافعها أو جعلكم خلفاءَ ممَّن قبلكم من الأممِ وأورثكَم ما بأيديهم من متاعِ الدُّنيا لتشكُروه بالتَّوحيدِ والطَّاعةِ ﴿**فمَن كفرَ**﴾ منكُم مثلَ هذه النِّعمةِ السَّنيةِ وغمطَها ﴿**فعليهِ كفرُه**﴾ أي وبالُ كفرِه لا يتعداهُ إلى غيرِه.

وقولُه تعالى ﴿**ولا يزيدُ الكافرينَ كفرُهم عند ربِّهم إلا مقتًا ولا يزيدُ الكافرينَ كفرُهم إلا خسَارًا**﴾ بيانٌ لوبالِ الكفرِ وغائلتِه وهو مقتُ الله تعالى إيَّاهم أي بغضه الشَّديد الذي ليسَ وراءَهُ خزيٌّ وصغارٌ وخسارُ الأخرةِ الذي ما بعدَهُ شرٌّ وخسارٌ، والتَّكريرُ لزيادةِ التَّقريرِ والتَّنبيهِ على أن اقتضاءِ الكُفر لكلِّ واحدٍ من الأمرين الهائلينِ القبيحينِ بطريقِ الاستقلالِ والأصالةِ.

﴿**قُلْ**﴾ تبكيتًا لهم ﴿**أرأيتُم شركاءَكم الذين تدعُون من دونِ الله**﴾ أي آلهتكم والإضافةُ إليهم لأنَّهم جعلوهم شركاءَ لله تعالى من غيرِ أنْ يكونَ له أصلٌ ما أصلًا وقيل: جعلُوهم شركاءَ لأنفسِهم فيما يملكونَهُ ويأباه سباقُ النَّظمِ الكريمِ وسياقُه ﴿**أرُوني ماذَا خلقُوا من الأرضِ**﴾ بدلُ اشتمالٍ من أرأيتُم كأنَّه قيل أخبرُوني عن شركائِكم أرُوني أيَّ جزءٍ خلقُوا من الأرضِ ﴿**أم لهم شركٌ في السَّمواتِ**﴾ أي أمْ لهم شركةٌ مع الله سبحانه في خلقِ السَّمواتِ ليستحقُّوا بذلك شركةً في الألوهيَّةِ ذاتيَّةً ﴿**أم آتيناهُم كتابًا**﴾ ينطقُ بأنَّا اتخذْناهُم شركاءَ ﴿**فهم على بينةٍ منه**﴾ أي حجَّةٍ ظاهرةٍ من ذلكَ الكتابِ بأنَّ لهم شركةً جعليةً ويجوزُ أنْ يكونَ ضميرُ آتيناهُم للمشركينَ كما في قولِه تعالى: ﴿أمْ

أنزلنا عليهم سُلطانًا﴾ [سورة الروم، الآية ٣٥] إلخ وقرئ[(١)] [على بيِّناتٍ][(٢)] وفيه إيماءٌ إلى أنَّ الشِّركَ أمرٌ خطيرٌ لا بُدَّ في إثباتِهِ من تعاضدِ الدَّلائلِ ﴿**بل إنْ يعد الظالمونَ بعضُهم بعضًا إلا غُرورًا**﴾ لمَّا نَفَى أنواعَ الحُججِ في ذلك أضربَ عنه بذكرِ ما حملَهم عليه وهو تغرير الأسلافِ للأخلافِ وإضلالُ الرُّؤساءِ للأتباعِ بأنَّهم شفعاءُ عند الله يشفعُون لهم بالتَّقريبِ إليه ﴿**إنَّ الله يُمْسك السَّمواتِ والأرضَ أنْ تزولاَ**﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ غايةِ قُبحِ الشِّركِ وهوله أي يمسكهما كراهةَ زوالِهما أو يمنعهما أنْ تزولا لأنَّ الإمساك منع ﴿**ولئن زَالَتا إنْ أمسكهما**﴾ أي مَا أمسكهما ﴿**من أحدٍ من بعدِهِ**﴾ من بعدِ إمساكِه تعالى أو من بعدِ الزَّوالِ. والجملةُ سادَّةٌ مسدَّ الجوابينِ ومِن الأُولى مزيدةٌ لتأكيدِ العُمومِ والثَّانيةُ للابتداءِ ﴿**إنَّه كانَ حليمًا غفُورًا**﴾ غيرَ معاجلٍ بالعقوبةِ التي تستوجبُها جناياتُهم حيثُ أمسكَهما وكانتا جديرتينِ بأنْ تهدّا هدًا حسبما قال تعالى: ﴿تكادُ السَّمواتُ يتفطرن منه وتنشقُّ الأرضُ﴾ [سورة مريم، الآية ٩٠] وقرئ (ولو زَالَتا)[(٣)].

﴿**وأقسُموا بالله جَهد أيمانِهم لئن جاءهم نذيرٌ ليكونن أهدى من إحدى الأمم**﴾ بلغ[(٤)] قُريشًا قبل مبعثِ رسولِ الله ﷺ أنَّ أهلَ الكتابِ كذَّبوا رسلَهم فقالُوا لعنَ الله اليَّهودَ والنَّصارَى أتتْهم الرُّسلُ فكذَّبُوهم فوالله لئن أتانا رسولٌ لنكونَّن أهدى من إحدى الأممِ اليَّهودِ والنَّصارَى وغيرِهم أو من الأمَّةِ التي يُقال لها إحدى الأمم تفضيلًا لها على غيرِها في الهُدَى والاستقامةِ. ﴿**فلمَّا جاءهم نذيرٌ**﴾ وأيُّ نذير أشرفُ الرُّسُلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿**ما زادهُم**﴾ أي النَّذيرُ أو مجيئةُ ﴿**إلاَّ نُفورًا**﴾ تُباعدًا عن الحقِّ ﴿**استكبارًا في الأرضِ**﴾ بدلٌ من نُفورًا أي مفعولٌ له ﴿**ومكر السَّيئ**﴾ أصلُه وأنْ مكرُوا السَّيئَ أيَّ المكرَ السَّيئ ثم ومكرًا السَّيئ ثم ومكرَ السيئ وقرئ بسكونِ[(٥)] الهمزةِ في

---

(١) قرأ بها: عاصم، وابن عامر، ونافع، والكسائي، وابن محيصن، واليزيدي، وأبو جعفر، وشيبة، وشعبة، ويعقوب، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٠٢)، والتيسير للداني ص (١٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٢٣٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٢).

(٢) في خ: على بيان.

(٣) قرأ بها: ابن أبي عبلة، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣١٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٢).

(٤) في خ: أقبل.

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وحمزة، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٨)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٠١)، والتيسير للداني (١٨٢، ١٨٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٥)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٨)، والحجة =

الوصلِ ولعلَّه اختلاسٌ ظُنَّ سُكوتًا أو وقفةٌ خفيفةٌ وقرئ (مكرًا سيِّئًا)[1] ﴿ولا يحيقُ المكرُ السَّيئ إلاَّ بأهلِه فهلْ ينظرون﴾ أي ما ينتظرونَ ﴿إلا سُنَّة الأوَّلين﴾ أي سُنَّة الله فيهم بتعذيبِ مكذِّبيهم ﴿فلنْ تجدَ لسُنَّةِ الله تبديلًا﴾ بأنْ يضع موضعَ العذابِ غيرَ العذابِ﴿ولن تجد لسُنَّة الله تحويلًا﴾ بأنْ ينقله من المكذِّبين إلى غيرِهم. والفاءُ لتعليلِ ما يُفيدُه الحكمُ بانتظارِهم العذابَ من مجيئهِ ونفيُ وجدانِ التَّبديلِ والتَّحويلِ عبارةٌ عن نفيِ وجودِها بالطَّريقِ البُرهانيِّ وتخصيصُ كلٍّ منُهما بنفيٍ مستقلٍّ لتأكيدِ انتفائِهما.

﴿أولم يسيرُوا في الأرضِ فينظُروا كيفَ كان عاقبةُ الذينَ من قبلِهم﴾ استشهاد على ما قبلَه من جريانِ سُنَّتِه تعالى على تعذيبِ المُكذِّبينَ بما يشاهدونَه في مسايرِهم إلى الشَّام واليمنِ والعراقِ من آثار دمار الأممِ الماضيةِ العاتيةِ والهمزةُ للإنكارِ والنَّفي. والواوُ للعطفِ على مقدَّرٍ يليقُ بالمقام أي أقعدُوا في مساكنِهم ولم يسيرُوا في الأرضِ فينظُروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلِهم ﴿وكانُوا أشدَّ منهم قوةً﴾ وأطولَ أعمارًا فما نفعُهم طولُ المَدَى وما أغنَى عنهم شدَّةُ القُوى. ومحلُّ الجملةِ النَّصبُ على الحاليَّةِ.

وقولُه تعالى ﴿وما كان الله ليُعجزه من شيءٍ﴾ أي ليسبقَه وبفوتَه ﴿في السَّمواتِ ولا في الأرضِ﴾ اعتراضٌ مقررٌ لما يُفهم مَّما قبله من استئصالِ الأمم السَّالفةِ. وقولُه تعالىَ ﴿إنَّه كانَ عليمًا قديرًا﴾ أي مُبالغًا في العلمِ والقُدرةِ ولذلك علمَ بجميع أعمالِهم السَّيئةِ فعاقبَهم بموجبِها تعليل لذلك ﴿ولو يُؤاخذ الله النَّاس﴾ جميعًا ﴿بما كسبُوا﴾ من السَّيئاتِ كما فُعل بأولئكَ ﴿ما تركَ على ظهرِها﴾ أي على ظهرِ الأرضِ ﴿مِن دابة﴾ من نسمةٍ تدُبُّ عليها من بني آدمَ وقيل: ومن غيرِهم أيضًا من شؤمِ معاصِيهم. وهو المرويُّ عن ابن مسعودٍ وأنس رضي الله عنهما. ويُعضدُ الأوَّلِ قولُه تعالى ﴿ولكنْ يُؤخرهم إلى أجلٍ مُسمَّى﴾ وهو يومُ القيامةِ ﴿فإذا جاء أجلُهم فإنَّ الله كان بعبادِه بصيرًا﴾ فيجازيهم عندَ ذلك بأعمالِهم إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ.

عن النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام: «مَن قرأَ سورةَ الملائكةِ دعتْهُ ثمانيةُ أبوابِ الجنَّةِ أنِ ادخلْ من أيِّ بابٍ شئتَ»[2] والله تعالَى أعلمُ.

= لابن خالويه ص (٢٩٧)، والحجة لأبي زرعة ص (٥٩٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٢).

(١) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٠١)، وتفسير القرطبي (١٤/ ٣٥٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠٢)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٧١).

(٢) تقدم تخريجه.

سُورَةُ يس

مَكِّيَّةٌ وعنه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «تُدعى المُعِمَّةَ تعمُّ صاحَبها خيرَ الدَّارينِ، والدَّافعةَ والقاضيةَ تدفعُ عنه كلَّ سوءٍ وتقضي له كلَّ حاجةٍ وآيُها ثلاثٌ وثمانونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ
ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا
مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ
أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ
بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ
إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا
عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا
لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا
تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ
ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن
كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿يس﴾ إمَّا مسرودٌ على نمطِ التَعديدِ فلا حظَّ له من الإعرابِ أو اسمٌ للسُّورةِ كما نصَّ عليه الخليلُ وسيبويهِ.

وعليه الأكثرُ فمحلُّه الرَّفعُ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أو النَّصبُ على أنَّه مفعولٌ لفعلٍ مضمرٍ.

وعليهما مدارُ قراءةِ يس بالرَّفعِ والنَّصبِ أي هَذه يس [أو اقرأْ يس][(١)]. ولا مساغَ للنَّصب بإضمارِ فعلِ القسم لأنَّ ما بعدَهُ مُقسمٌ به وقد أبَوا الجمعَ بين قَسمين على شيءٍ واحدٍ قبل انقضاءِ الأوَّلِ ولا مجالَ للعطفِ لاختلافِهما إعرابًا. وقيل هو مجرورٌ بإضمارِ باءِ القسمِ مفتوحٌ لكونِه غيرَ منصرفٍ كما سلف في فاتحةِ سُورة البقرةِ من أنَّ ما كانتْ من هذه الفواتحِ[(٢)] مفردة مثلَ صاد وقاف ونون أو كانت موازنةً لمفردٍ نحوِ طس ويس وحم الموازنةِ لقابيلَ وهابيلَ يتأتَّى فيها الإعرابُ اللَّفظيُّ ذكَره سيبويهِ في بابِ أسماءِ السُّورِ من كتابِه. وقيل: هُما حركتا بناءٍ كما في حيثُ وأينَ حسَبما يشهدُ بذلك قراءةُ يس بالكسر كجَيْرِ[(٣)] وقيل: الفتحُ والكسرُ تحريكٌ للجِدِّ في الهربِ من التقاءِ السَّاكنينِ. وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهُما أنَّ معناه يا إنسانُ في لغةِ طَيِّىءٍ قالُوا المرادُ به رسولُ الله ﷺ. ولعلَّ أصلَه يا أُنيسين فاقتُصر على شطرِه كما قيل مَنُ الله في أيمَن الله ﴿والقرآنِ﴾ بالجرِّ على أنَّه مقسمٌ به ابتداءً وقد جُوِّز أنْ يكونَ عطفًا على يس على تقديرِ كونِه مجرورًا بإضمارِ باءِ القسمِ ﴿الحكيمِ﴾ أي المتضمِّنِ للحكمةِ أو النَّاطقِ بها بطريقِ الاستعارةِ أو المتَّصفِ بها على الإسنادِ المجازيِّ، وقد جُوِّز أنْ يكونَ الأصلُ الحكيمُ قائله فحذُف المضافُ وأُقيم المضافُ إليه مقامَه فبانقلابه مرفوعًا بعد الجرِّ استكنَّ في الصِّفةِ المُشبَّهةِ كما مرَّ في صدرِ سُورة لُقمانَ ﴿إنَّك لمن المُرسلين﴾ جوابٌ للقسم. والجملةُ لردِّ إنكار الكَفَرةِ بقولِهم في حقِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لستَ مُرسَلًا. وهذه الشَّهادةُ منه عزَّ وجلَّ من جملة ما أُشير إليه بقوله تعالى في جوابهم: ﴿قُل كَفَى بالله شهيدًا بيني وبينكم﴾ [سورة الرعد، الآية ٤٣] وفي تخصيص القُرآن بالإقسام به أوَّلًا بوصفه بالحكيم ثانيًا تنويهٌ بشأنه وتنبيهٌ على أنه كما يشهدُ برسالته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من حيث نظمُه المعجزُ المُنطوي على بدائعِ الحكم يشهدُ بها من هذه الحيثيَّةِ أيضًا لما أنَّ الإقسامَ بالشَّيءِ استشهاد به على تحقُّقِ مضمون الجملة القسميةِ وتقوية لثبوتِه فيكون شاهدًا به ودليلًا عليه قَطْعًا وقوله تعالى: ﴿على

---

(١) سقط في خ.

(٢) زاد في خ: مسرودة.

(٣) في خ: كخير.

صراطٍ مستقيمٍ﴾ خبرٌ آخرُ لـ (إنَّ) أو حالٌ من المستكنِّ في الجارِّ والمجرور على أنَّه عبارة عن الشَّريعةِ الشَّريفةِ بكمالها لا عن التَّوحيدِ فقط وفائدتُه بيانُ أنَّ شريعتَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أقوم الشَّرائع وأعدلُها كما يُعرب عنه التَّنكيرُ التَّفخيميُّ والوصفُ إثرَ بيانِ أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من جملة المرسلين بالشَّرائعِ.

﴿تنزيل العزيزِ الرَّحيم﴾ نصب على المدحِ. وقرئ[١] بالرَّفعِ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ وبالجرِّ على أنه بدلٌ من القرآن وأيًّا ما كان فهو مصدرٌ بمعنى المفعولِ عبَّر به عن القرآنُ بيانًا لكمال عراقتِه في كونه منزَّلًا من عند الله عزَّ وجلَّ كأنَّه نفس التَّنزيلِ وإظهار لفخامتِه الإضافية بعد بيان فخامتِه الذَّاتيَّةِ بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمينِ الكريمينِ المُعربينِ عن الغلبةِ التَّامةِ والرَّأفةِ العامَّةِ حثٌّ على الإيمانِ به ترهيبًا وترغيبًا وإشعارٌ بأنَّ تنزيلَه ناشئ عن غايةِ الرَّحمةِ حسبما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿وما أرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالمين﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧] وقيل: النَّصبُ على أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعله المضمرِ أي نزل تنزيل العزيزِ الرَّحيمِ على أنَّه استئنافٌ مسوقٌ لبيان ما ذُكر من فخامةِ شأنِ القُرآن وعلى كلِّ تقديرٍ ففيهِ فضلُ تأكيدٍ لمضمونِ الجملة القسميةِ ﴿لتنذرَ﴾ متعلِّقٌ بتنزيل على الوجوهِ[٢] الأُولِ وبعامله المضمرِ على الوجهِ الأخيرِ أي لتنذَر به كما في صدرِ الأعرافِ وقيل: هو متعلِّقٌ بما يدلُّ عليه لمن المرسلين أي إنَّك مرسلٌ لتنذرَ ﴿قومًا ما أُنذر آباؤُهم﴾ أي لم يُنذْر آباؤُهم الأقربون لتطاولِ مدَّة الفترةِ على أنَّ ما نافية فتكون صفةً مبيِّنةً لغاية احتياجهم إلى الإنذارِ أو الذي أنذره أو شيئًا أنذره آباؤهم الأبعدون على أنَّها موصولةٌ أو موصوفة فتكون مفعولًا ثانيًا لتنذرَ أو إنذار آبائِهم الأقدمين على أنَّها مصدريةٌ فتكون نعتًا لمصدرٍ مؤكَّدٍ أي لتنذرَ إنذارًا كائنًا مثلَ إنذارِهم ﴿فهم غافلُون﴾ على الوجهِ الأولِ متعلِّق بنفي الإنذارِ مترتِّب عليه والضَّميرُ للفريقينِ أي لم تُنذرْ آباؤهم جميعًا لأجلِه غافلون وعلى الوجوهِ الباقيةِ متعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿لتنذرَ﴾ أو بما يفيده إنَّك لمن المُرسلين واردٌ لتعليل إنذارِه عليه السَّلامُ أو إرساله بغفلتهم المحوجةِ إليهما[٣] على أنَّ الضَّميرَ للقوم

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، وشيبة، والحسن، والأعرج، والأعمش، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٠٩)، والتيسير للداني ص (١٨٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٣).

(٢) في خ: الوجه.

(٣) في خ: إليها.

خاصَّةً فالمعنى فهم غافلُون عنه أي عمَّا أُنذر آباؤهم الأقدمونَ لامتدادِ المُدَّة. واللاَّمُ في قولِه تعالى: ﴿**لقد حقَّ القولُ على أكثرِهم**﴾ جوابُ القسمِ أي والله لقد ثبت وتحقَّقَ عليهم ألبتةَ لكن لا بطريق الجَبْرِ من غير أنْ يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارِهم الاختياريِّ على الكُفر والإنكار وعدم تأثُّرهم من التَّذكيرِ والإنذار وغلوِّهم في العُتوِّ والطُّغيانِ وتماديهم في اتِّباع خُطُوات الشَّيطانِ بحيثُ لا يلويهم صارفٌ ولا يثنيهم عاطفٌ كيف لا والمرادُ بما حقَّ من القولِ قولُه تعالى لإبليسَ عند قوله لأغوينَّهم أجمعين. ﴿لأملأنَّ جهنَّم منك وممَّن تبعكَ منهم أجمعين﴾ [سورة ص، الآية ٨٥] وهو المَعنيُّ بقوله تعالى: ﴿لأملأنَّ جهنَّم من الجِنَّةِ والنَّاسِ أجمعين﴾ [سورة السجدة، الآية ١٣] كما يلوحُ به تقديمُ الجِنَّةِ على النَّاسِ فإنَّه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بإدخال جهنَّم على مَن تبعَ إبليسَ وذلك تعليلٌ له بتبعيته قطعًا وثبوت القولِ على هؤلاء الذين عبَّر عنهم بأكثرِهم إنَّما هو لكونِهم من جملة أولئك المصرِّين على تبعيَّةِ إبليسَ أبدًا وإذ قد تبيَّن أنَّ مناطَ ثبوتِ القول وتحقُّقهِ عليهم إصرارُهم على الكُفرِ إلى الموتِ ظهر أنَّ قوله تعالى: ﴿**فهمُ لا يُؤمنون**﴾ متفرِّعٌ في الحقيقةِ على ذلك لا على ثُبوت القول وقوله تعالى:

﴿**إنَّا جعلنا في أعناقِهم أغلالًا**﴾ تقريرٌ لتصميمهم على الكُفرِ وعدم ارعوائِهم عنه بتمثيلِ حالِهم بحال الذين غُلَّتْ أعناقُهم[1] ﴿**فهي إلى الأذقانِ**﴾ أي فالأغلالُ منتهيةٌ إلى أذقانِهم فلا تدعهم يلتفتونَ إلى الحقِّ ولاَ يَعطفونَ أعناقَهم نحوَه ولا يُطأطئونَ رؤوسَهم له ﴿**فهم مُقمحون**﴾ رافعونَ رؤوسَهم غاضُّون[2] أبصارَهم بحيثُ لا يكادُون يَروَن الحقَّ أو ينظرُون إلى جهتِه ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفِهم سَدًّا فأغشيناهُم فهم لا يُبصرون**﴾ إمَّا تتمةٌ للتَّمثيل وتكميلٌ له أي تكميلٍ أي وجعلنا مع ما

---

(١) وذلك بتشبيه حالة إعراضهم عن التدبر في القرآن ودعوة الإسلام، والتأمل في حججه الواضحة بحال قوم جعلت في أعناقهم أغلال غليظة ترتفع إلى أذقانهم فيكونون كالمقمحين أي الرافعين رؤوسهم الغاضين أبصارهم لا يلتفتون يمينًا ولا شمالاً، فلا ينظرون إلى شيء مما حولهم فتكون تمثيلية، وذكر (فهي إلى الأذقان) لتحقيق كون الأغلال مكروزة إلى عظام الأذقان بحيث إذا أراد المغلول منهم الالتفات، أو أن يطأطئ رأسه وجعه ذقنه فلازم السكون، وهذه حالة تخييل وقد ذكر ابن عاشور أنه يمكن أن يفرق هذا التمثيل، وذكر أبو حيان أنها حقيقة، واختار ابن المنير أنه من التشبيهات المفرقة.
ينظر: الكشاف والانتصاف عليه (٣/ ٣١٥)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٥٠٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٤)، والتحرير والتنوير (٢٢/ ٣٤٩).

(٢) في خ: خاضعون.

ذُكر من أمامهم سَدًّا عظيمًا ومن ورائهم سَدًّا كذلك فغطَّينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرونَ على إبصارِ شيءٍ ما أصلًا وإمَّا تمثيلٌ مستقلٌّ فإنَّ ما ذُكر من جعلهم محصورينَ بين سَدَّينِ هائلين قد غطَّيا أبصارَهم بحيث لا يُبصرون شيئًا قطعًا كافٍ في الكشف عن كمال فظاعةِ حالِهم وكونِهم محبوسين في مطمورةِ الغيِّ والجهالاتِ محرومين عن النَّظرِ في الأدلَّةِ والآياتِ وقرئ[1] سُدًّا بالضمِّ وهي لغةٌ فيه، وقيل ما كان من عمل النَّاسِ فهو بالفتحِ وما كان من خلقِ الله فبالضمِّ. وقرئ[2] فأعشينَاهم من العَشَا. وقيل الآيتانِ في بني مخزوم وذلك أنَّ أبا جهلٍ حلف لئِن رأى رسولَ الله ﷺ يصلِّي ليرضخنَّ رأسَه فأتاه وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يُصلِّي ومعه حجرٌ ليدمغَه فلَّما رفع يدَه انثنتْ يدُه إلى عنقِه ولزق الحجرُ بيده حتَّى فكُّوه عنها بجهدٍ فرجع إلى قومه فأخبرَهم بذلك فقال مخزوميٌّ آخرُ أنا أقتلُه بهذا الحجرِ فذهب فأعمى الله تعالى بصرَهُ.

﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ بيانٌ لشأنِهم بطريق التَّصريحِ إثرَ بيانِه بطريق التَّمثيلِ أي مستوٍ عندهم إنذارُك إيَّاهم وعدمُه حسبما مرَّ تحقيقُه في سورةِ البقرةِ وقوله تعالى: ﴿لا يؤمنون﴾ استئنافٌ مؤكِّدٌ لما قبله مبيِّنٌ لما فيه من إجمالِ ما فيه الاستواءُ أو حالٌ مؤكِّدةٌ له أو بدلٌ منه ولما بُيِّن كونَ الإنذارِ عندهم كعدمِه عقب ببيانِ من يتأثَّر منه فقيل ﴿إنَّما تُنذر﴾ أي إنذارًا مستتبعًا للأثر ﴿من اتَّبع الذِّكرَ﴾ أي القُرآنَ بالتَّأمُّلِ فيه أو الوعظِ ولم يصرَّ على اتِّباعِ خُطُوات الشَّيطانِ ﴿وخشي الرَّحمٰنَ بالغَيب﴾ أي خافَ عقابَه وهو غائبٌ عنه على أنَّه حالٌ من الفاعلِ أو المفعولِ أو خافَه في سريرتِه ولم يغترَّ برحمتِه فإنَّه منتقمٌ قهَّار كما أنَّه رحيمٌ غفَّار كما نطق به قولُه تعالى: ﴿نبئ عبادي أنِّي أنَا الغفُور الرَّحيمُ وأنَّ عذابي هو العذابُ الأليم﴾ [سورة الحجر، الآية

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو، وابن كثير، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٣)، والتيسير للداني ص (١٨٣)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٨)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٨)، والحجة لأبي زرعة ص (٥٩٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣١٥).

(٢) قرأ بها: الحسن، وابن عباس، وعكرمة، ويحيى بن يعمر، وعمر بن عبد العزيز، والنخعي، وابن سيرين، وأبو رجاء، وزيد بن علي، ويزيد البربري، ويزيد بن المهلب، وأبو حنيفة، وابن مقسم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧١١)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٠٩)، وتفسير الطبري (٢٢/ ٩٩)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤١٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠٤)، والمعاني للفراء (٢/ ٢٧٣).

٤٩]. ﴿فبشِّره بمغفرةٍ﴾ عظيمةٍ ﴿وأجرٍ كريم﴾ لا يُقادر قدرُه. والفاء لترتيب البشارةِ أو الأمرِ بها على ما قبلها من اتِّباعِ الذِّكرِ والخشيةِ. ﴿إنَّا نحنُ نُحيي الموتى﴾ بيانٌ لشأنٍ عظيمٍ ينطوي على الإنذارِ والتَّبشيرِ انطواءً إجماليا أي نبعثُهم بعد مماتِهم. وعن الحسنِ إحياؤهم إخراجُهم من الشِّركِ إلى الإيمانِ فهو حينئذٍ عدةٌ كريمةٌ بتحقيق المُبشَّر به ﴿ونكتبُ ما قدَّموا﴾ أي ما أسلفُوا من الأعمالِ الصَّالحةِ وغيرِها ﴿وآثارَهم﴾ التي أبقوها من الحسناتِ كعلمٍ علمُوه أو كتابٍ ألَّفُوه أو حبيسٍ وقفُوه أو بناءٍ بنوه من المساجدِ والرِّباطاتِ والقناطرِ وغيرِ ذلك من وجوهِ البرِّ ومن السَّيئاتِ كتأسيسِ قوانينِ الظُّلم والعُدوانِ وترتيبِ مبادئ الشَّرِّ والفسادِ فيما بين العبادِ وغير ذلكَ من فُنون الشُّرور التي أحدثُوها وسنُّوها لمن بعدهم من المُفسدين. وقيل هي آثارُ المشَّائينَ إلى المساجدِ ولعلَّ المرادَ أنَّها من جُملةِ الآثارِ. وقرئ[1] ويُكتب على البناء للمفعولِ ورفعِ آثارَهم.

﴿وكلَّ شيءٍ﴾ من الأشياءِ كائنًا ما كانَ ﴿أحصيناهُ في إمامٍ مُبين﴾ أصلٍ عظيمِ الشَّأنِ مظهر لجميعِ الأشياءِ ممَّا كان وما سيكونُ وهو اللَّوحُ المحفوظُ. وقرئ[2] كلُّ شيءٍ بالرَّفعِ. ﴿واضربْ لهم مَثَلا أصحابَ القريةِ﴾ ضربُ المَثَلِ يُستعملُ تارةً في تطبيقِ حالةٍ غريبةٍ بحالةٍ أُخرى مثلِها كما في قوله تعالى: ﴿ضربَ الله مثلًا للذينَ كفرُوا امرأةَ نوحٍ وامرأةَ لوطٍ﴾ [سورة التحريم، الآية ١٠] وأخرى في ذكر حالةٍ غريبةٍ وبيانِها للنَّاس من غير قصدٍ إلى تطبيقِها بنظيرة لها كما في قوله تعالى: ﴿وضربنَا لكم الأمثالَ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٤٥] على أحدِ الوجهينِ أي بيَّنا لكم أحوالًا بديعةً هي في الغرابةِ كالأمثالِ فالمَعْنى على الأوّلِ اجعلْ[3] أصحابَ القريةِ مثلًا لهؤلاء في الغُلوِّ في الكفرِ والإصرارِ على تكذيبِ الرُّسلِ أي: طبِّق حالَهم بحالهم على أنَّ مثلًا مفعولٌ ثانٍ لـ (اضربْ) وأصحابَ القريةِ مفعولُه الأوّل أُخِّر عنه ليتَّصل به ما هو شرحُه وبيانُه وعلى الثَّاني اذكُر وبيِّن لهم قصَّةً هي في الغرابةِ كالمَثَل وقوله تعالى أصحابَ القريةِ بدلٌ منه بتقديرِ المضافِ أو بيانٌ له والقريةُ أنطاكيةُ ﴿إذْ جاءَها المُرسلُون﴾ بدلُ اشتمالٍ من أصحابَ القريةِ وهم رُسلُ عيسى عليه السَّلامُ إلى أهلِها ونسبةُ إرسالِهم إليهِ تعالى في قولِه:

---

(١) قرأ بها: زر، ومسروق.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٧).

(٢) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٧).

(٣) في ط: جعل.

﴿إِذْ أرسلنَا إليهم اثنينِ﴾ بناء على أنَّه كان بأمره تعالى لتكميلِ التَّمثيلِ وتتميم التَّسليةِ وهما يوحنا وبُولس، وقيل غيرُهما ﴿فكذَّبُوهما﴾ أي فأتياهم فدعواهم إلى الحقِّ فكذَّبوهما في الرِّسالةِ ﴿فعزَّزنا﴾ أي قوَّينا يقال عزَّز المطرُ الأرضَ إذا لبَّدها. وقرئ[1] بالتَّخفيفِ من عزَّه إذا غلبَه وقهرَه. وحُذف المفعولُ لدلالة ما قبله عليه ولأنَّ المقصدَ ذكر المعزَّزِ به ﴿بثالثٍ﴾ هو شَمعُون ﴿فقالوا﴾ أي جميعًا ﴿إنَّا إليكُم مُرسلون﴾ مُؤكِّدين كلامَهم لسبق الإنكارِ لما أنَّ تكذيبَهما تكذيبٌ للثَّالثِ لاتِّحادِ كلمتهم، وذلك أنَّهم كانوا عَبَدَة أصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنينِ فلما قَرُبا من المدينة رأيَا شيخًا يَرعى غُنيماتٍ له وهو حبيبُ النَّجارُ صاحبُ يس فسألهما فأخبراهُ قال أمعكما آيةٌ فقالا نشفي المريضَ ونُبرئ الأكْمَه والأبرصَ وكان له ولدٌ مريضٌ منذ سنتينِ فمسحاهُ فقام فآمن حبيبٌ وفشا الخبرُ وشُفي على أيديهما خلقٌ وبلغ حديثُهما إلى الملكِ وقال لهما ألنا إلهٌ سوى آلهتِنا قالا نعم من أوجدَك وآلهتَك فقال حتَّى أنظرَ في أمركما فتبعهما النَّاسُ، وقيل: ضربُوهما، وقيل: حُبسا. ثمَّ بعث عيسى عليه السَّلامُ شَمعُون فدخلَ مُتنكِّرا وعاشر حاشيةَ الملك حتَّى استأنسوا ورفعوا خبرَه إلى الملكِ فأنسَ به فقالَ له يَوْمًا بلغني أنَّك حبستَ رجلينِ فهل سمعتَ ما يقولانِه قال: لا حال الغضبُ بيني وبين ذلكَ فدعاهُما فقال شَمعُون: مَن أرسلكُما قالا الله الذي خَلَق كلَّ شيءٍ وليسَ له شريكٌ فقال: صفاهُ وأَوْجِزا. قالاَ يفعلُ مَا يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ قال وما آيتكُما قالا ما يتمنَّى الملكُ فَدَعا بغلامٍ مطمُوسِ العينينِ فدعَوَا الله تعالى حتَّى انشقَّ له بصرٌ فأخذا بُندقتينِ فوضعاهما في حدقَتيهِ فصارتا مُقلتينِ ينظرُ بهما فقال له شَمعُون أرأيتَ لَو سألتَ إلهَك حتَّى يصنعَ مثلَ هذا فيكونَ لك وله الشَّرفُ قال ليس لي عنك سرٌّ إن إلهنَا لا يُبصر ولا يسمعُ ولا يضرُّ ولا ينفعُ. وكان شمعُون يدخلُ معهم على الصَّنم فيصلِّي ويتضرَّعُ وهم يحسبون أنَّه منهم ثم قال: إنْ قدر إلهُكما على إحياءِ ميِّتٍ آمنَّا به فدعَوا بغلامٍ ماتَ من سبعةِ أيام فقامَ وقال إنِّي أُدخلت في سبعةِ أوديةٍ من النَّارِ وإنِّي أُحذركم ما أنتُم فيه فآمِنُوا وقالَ فُتحت أبوابُ السَّماء فرأيتُ شَابًّا حسنَ الوجهِ يشفعُ لهولاءِ الثَّلاثةِ قال الملكُ من هُم قال شمعُونُ وهذانِ. فتعجَّبَ الملكُ فلمَّا رأى شمعُون أنَّ قولَه قد أثر فيه نصحَه فآمنَ وآمنَ قومٌ ومَن لم يُؤمن صاحَ

---

(١) قرأ بها: عاصم، وشعبة، والحسن، وأبو حيوة، والمفضل، وأبان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧١٣)، والتيسير للداني ص (١٨٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٣٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٣).

عليهم جبريلُ عليه السَّلامُ فهلكُوا. هكذا قالُوا، ولكن لا يُساعده سياقُ النَّظم الكريم حيثُ اقتصر فيه على حكايةِ تمادِيهم في العنادِ واللَّجاج وركوبِهم متنَ المُكابرةِ في الحِجاج ولم يُذكرْ فيه ممَّن يؤمن أحدٌ سوى حبيبٍ ولو أنَّ الملكَ وقومًا من حواشيه آمنُوا لكان الظَّاهرُ أنْ يُظاهروا الرُّسلَ ويساعدوهم قُبلوا في ذلك أو قُتلوا كدأب النَّجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكرٌ ما بوجه من الوجوه، اللَّهم إلاَّ أن يكونَ إيمانُ الملكِ بطريق الخُفيةِ على خوفٍ من عُتاةِ ملئِه فيعتزلُ عنهم مُعتذرًا بعذرٍ من الأعذارِ.

﴿**قالُوا**﴾ أي أهلُ أنطاكيَّةَ الذينَ لَم يُؤمنوا مُخاطبينَ للثَّلاثةِ ﴿**ما أنتمُ إلاَّ بشرٌ مثلنا**﴾ مِنْ غَيْرِ مزيةٍ لكُم عَلينا مُوجبةٍ لاختصاصكم بما تدعونَه. ورفعُ بشرٌ لانتقاضِ النَّفي المُقتضي لإعمالِ ما بإلاَّ. ﴿**وما أنزلَ الرَّحمنُ من شيءٍ**﴾ ممَّا تدعُونه من الوحي والرِّسالةِ ﴿**إنْ أنتمُ إلَّا تكذبُون**﴾ في دَعْوى رسالتِه ﴿**قالوا ربُّنا يعلمُ إنَّا إليكُم لمرسلونَ**﴾ استشهَدوا بعلمِ الله تعالى وهو يَجْري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرِهم معارضةَ علم الله تعالى وزادُوا اللَّامَ المؤكِّدةَ لِما شاهدُوا منْهم من شدَّةِ الإنكارِ ﴿**وما علينا**﴾ أي من جهةِ ربِّنا ﴿**إلا البلاغُ المبينُ**﴾ أي إلاَّ تبليغُ رسالتِه تبليغًا ظَاهِرًا [بيِّنًا][1] بالآياتِ الشَّاهدةِ بالصِّحَّةِ وقد خرجنا عن[2] عُهدته فلا مؤاخذةَ لنا بعد ذلك من جهة ربِّنا أو ما علينا شيءٌ نُطالب به من جهتِكم إلا تبليغُ الرِّسالةِ على الوجهِ المذكورِ وقد فعلناه فأيُّ شيءٍ تطلبون منَّا حتَّى تُصدِّقونا بذلك ﴿**قالُوا**﴾ لمَّا ضاقتْ عليهم الحِيلُ وعيتْ بهم العللُ ﴿**إنَّا تطيرنَا بكم**﴾ تشاءمنا بكم جريًا على دَيْدنِ الجَهَلةِ حيث كانُوا يتيمنون بكلِّ ما يُوافق شهواتِهم وإن كان مستجلبًا لكلِّ شرٍّ ووبال ويتشاءمون بما لا يُوافقها وإنْ كان مستتبعًا لسعادةِ الدَّارينِ أو بناء على أنَّ الدَّعوةَ لا تخلُو عن الوعيدِ بما يكرهونَه من إصابة ضُرٍّ متعلِّقٍ بأنفسهم وأهليهم وأموالِهم إنْ لم يُؤمنوا فكانوا ينفرون عنه. وقد رُوي أنَّه حُبس عنهم القطرُ فقالوه: ﴿**لئن لم تنتهوا**﴾ أي عن مقالتِكم هذه ﴿**لنرجمنَّكم**﴾ بالحجارةِ ﴿**وليمسنّكم منَّا عذابٌ أليمٌ**﴾ لا يُقادرُ قَدرُه ﴿**قالوا طائركُم**﴾ أي سببُ شُؤمكم ﴿**معكم**﴾ لا مِن قِبلنا وهو سوءُ عقيدتِكم وقبحُ أعمالكم. وقرئ[3] طَيركُم ﴿**أئِن ذُكِّرتُم**﴾ أي وُعظتُم بما فيه سعادتُكم. وجوابُ الشَّرط محذوفٌ ثقةً بدلالة ما قبله عليه أي تطيرتُم وتوعدتُم بالرَّجمِ والتَّعذيبِ.

---

(١) سقط في خ. (٢) في خ: من.
(٣) قرأ بها: الحسن، وابن هرمز، وعمرو بن عبيد، وزر بن حبيش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٨).

وقرئ[١] بألفٍ بين الهمزتينِ وبفتحِ[٢] أنْ بمعنى أتطيرتُم لأنْ ذُكِّرتم وأنْ ذكَرتم[٣] وإنْ ذُكِّرتم[٤] بغيرِ استفهام وأينَ ذُكِّرتم[٥] بمعنى طائركم معكم حيثُ جرى ذكركُم وهو أبلغُ ﴿بل أنتُم قومٌ مسرفون﴾ إضرابٌ عمَّا تقتضيه الشَّرطيَّةُ من كونِ التَّذكيرِ سببًا للشُّؤمِ أو مصحِّحًا للتوعد أي ليس الأمرُ كذلك بل أنتُم قومٌ عادتُكم الإسرافُ في العصيانِ فلذلك أتاكُم الشُّؤمُ أو في الظُّلمِ والعُدوانِ ولذلك تَوعدتُم وتَشاءمتُم بمن يجبُ إكرامُه والتَّبركُ به.

﴿وجاء من أقصَى المدينةِ رجلٌ يسعى﴾ هو حبيبُ النَّجارُ وكان ينحتُ أصنامَهم وهو ممَّن آمنَ برسولِ الله ﷺ وبينهما ستمائةُ سنةٍ كما آمنَ به تُبَّعُ الأكبرُ وورقةُ بنُ نوفلٍ وغيرُهما، ولم يُؤمِن بنبيٍّ غيرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أحدٌ قبل مبعثِه. وقيل كان في غارٍ يعبدُ الله تعالى فلمَّا بلغه خبرُ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ أظهرَ دينَه.

﴿قال﴾ استئنافٌ وقع جوابًا عن سُؤالٍ نشأ من حكايةِ مجيئِهِ ساعيًا كأنَّه قيل: فماذا قال عند مجيئِه فقيل قال: ﴿يا قوم اتَّبعوا المُرسلين﴾ تعريض لعُنوانِ رسالتهم حثا لهم على اتِّباعِهم كما أنَّ خطابَهم بـ (ياقوم) لتأليفِ قلوبِهم واستمالتِها نحو قبولِ نصيحتِه. وقوله تعالى: ﴿اتَّبعوا مَن لا يسألكم أجرًا وهم مُهتدون﴾ تكريرٌ للتأكيد وللتَّوسُّلِ به إلى وصفهم بما يرغِّبُهم في اتِّباعهم من التَّنزهِ عن الغرض الدُّنيويِّ والاهتداء إلى خير

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وقالون، وهشام، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧١٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٨)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٦٩، ٣٧٠).

(٢) قرأ بها: أبو عمر، وزر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٦).

(٣) قرأ بها: أبو سلمة يوسف بن يعقوب الماجشون.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠٥).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، وقالون، ويعقوب.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤١٧).

(٥) قرأ بها: عيسى بن عمر، والحسن البصري، وقتادة، وأبو جعفر، والأعمش، وعيسى، والهمذاني، وأبو رزين.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧١٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٧)، وتفسير الطبري (٢٢/ ١٠٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ١٠٥)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٧٤).

الدُّنيا والدِّينِ ﴿**وما ليَ لا أعبدُ الذي فطرنِي**﴾ تلطُّفٌ في الإرشادِ بإيراده في معرض المُناصحةِ لنفسِه وإمحاض النُّصحِ حيثُ أراهم أنَّه اختارَ لهم ما يختارُ لنفسه. والمرادُ تقريعُهم على ترك عبادةِ خالقِهم إلى عبادةِ غيرِه كما يُنبئ عنه قوله: ﴿**وإليهِ تُرجعون**﴾ مبالغةً في التَّهديدِ ثمَّ عاد إلى المساقِ الأوَّلِ فقال: ﴿**أأتخذُ من دُونِه آلهةً**﴾ إنكارٌ ونفيٌ لاتِّخاذِ الآلهة على الإطلاقِ. وقوله: ﴿**إنْ يُردن الرَّحمٰنُ بضُرٍّ لا تُغن عني شفاعتُهم شيئًا**﴾ أي لا تنفعني شيئًا من النَّفع. ﴿**ولا يُنقذونِ**﴾ من ذلك الضُّرِّ بالنُّصرةِ والمظاهرةِ، استئنافٌ سيقَ لتعليل النَّفي المذكور وجعلُه صفةً لـ (آلهةً) كما ذهب إليه بعضُهم رُبَّما يُوهم أنَّ هناك آلهةً ليستْ كذلكَ. وقرئ إنْ يَردني[1] بفتح الياءِ على معنى إنْ يُوردني ضرًا أي يجعلنِي موردًا للضُّرِّ ﴿**إنِّي إذًا**﴾ أي إذا اتخذتُ من دونه آلهةً ﴿**لفي ضلالٍ مُبينٍ**﴾ فإنَّ إشراكَ ما ليس من شأنِه النَّفعُ ولا دفعُ الضُّرِّ بالخالق المقتدرِ الذي لا قادرَ غيرُه ولا خيرَ إلا خيرُه ضلال بيِّن لا يَخْفى على أحدٍ ممَّن له تمييزٌ في الجملةِ ﴿**إنِّي آمنتُ بربِّكم**﴾ خطاب منه للرُّسلِ بطريق التَّلوينِ قيل: لمَّا نصحَ قومَه بما ذُكر همُّوا برجمِه فأسرع نحوَ الرُّسلِ قبل أن يقتلُوه فقال ذلك، وإنَّما أكَّده لإظهارِ صدوره عنه بكمال الرَّغبةِ والنَّشاطِ وأضاف الربَّ إلى ضميرهم رَوْمًا لزيادة التَّقريرِ وإظهارًا للاختصاصِ والاقتداءِ بهم كأنَّه قالَ بربِّكم الذي أرسلَكم أو الذي تدعُوننا إلى الإيمانِ به ﴿**فاسمعُونِ**﴾أي اسمعُوا إيمانيَ واشهدُوا لي به عند الله تعالى، وقيل: الخطابُ للكفرةِ شافههَم بذلك إظهارًا للتَّصلُّبِ في الدِّينِ وعدم المبالاة بالقتلِ، وإضافةُ الرَّبِّ إلى ضميرهم لتحقيقِ الحقِّ والتَّنبيهِ على بُطلان ما هم عليه من اتِّخاذِ الأصنامِ أربابًا وقيل للنَّاس جميعًا: ﴿**قيل ادخُلِ الجنَّة**﴾ قيل له ذلك لمَّا قتلُوه إكرامًا له بدخولِها حينئذٍ كسائر الشُّهداءِ وقيل: لما همُّوا بقتله رفعَه الله تعالى إلى الجنَّةِ قاله الحسنُ. وعن قَتادةَ أدخلَه الله الجنَّةَ وهو فيها حيٌّ يُرزقُ. وقيل معناه البُشرى بدخولِ الجنَّةِ وأنَّه من أهلِها وإنَّما لم يُقل له لأنَّ الغرضَ بيانُ المقولِ لا المقولِ له لظهوره وللمبالغةِ في المسارعةِ إلى بيانِه. والجملةُ استئنافٌ وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ حالِه ومقالِه كأنَّه قيل: كيف كان لقاءُ ربِّه بعد ذلك التصلُّب في دينه والتَّسخِّي بروحِه[2] لوجهه تعالى فقيل قيل: ادخل الجنَّة. وكذلك قوله تعالى: ﴿**قال يا ليتَ قومي يعلمون**﴾ ﴿**بما غفرَ لي ربِّي وجعلني من المكرمين**﴾ فإنَّه جواب عن سؤالٍ نشأ

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٢٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٩).
(٢) في ط: بروجه.

من حكايةِ حالهِ كأنَّه قيل: فماذا قال عند نيلِه تلك الكرامةَ[١] السنيةَ فقيل قال: إلخ وإنما تمنَّى علم قومه بحاله ليحملَهم ذلك على اكتسابِ مثله بالتَّوبةِ عن الكُفرِ والدخول في الإيمانِ والطَّاعةِ جريًا على سَننِ الأولياء في كظم الغيظِ. والتَّرحم على الأعداءِ أو ليعلموا أنهم كانُوا على خطأٍ عظيمٍ في أمره وأنَّه كان على الحقِّ وأنَّ عداوتَهم لم تكسبه إلاَّ سعادةً. وقرئ[٢] من المكرَّمين. وما موصولةٌ أو مصدريةٌ والباءُ صلةُ (يعلمون) أو استفهاميةٌ وردتْ على الأصلِ والباءُ متعلِّقةٌ بـ (غفرَ) أي بأي شيءٍ غفرَ لي ربِّي يريدُ به تفخيمَ شأنِ المهاجرةِ عن ملَّتِهم والمصابرةِ على أذيَّتِهم.

﴿**وما أنزلَنا على قومِه مِن بعده**﴾ من بعد قتلِه أو رفعِه ﴿**من جندٍ من السَّماءِ**﴾ لإهلاكِهم والانتقامِ منهم كما فعلناه يومَ بدرٍ والخندقِ بل كفينا أمرَهم بصيحةِ مَلَكٍ وفيه استحقارٌ لهم ولإهلاكهم وإيماء إلى تفخيم شأن الرَّسولِ ﷺ ﴿**وما كُنَّا مُنزلين**﴾ وما صحَّ في حكمتِنا أنْ ننزلَ لإهلاكِ قومِه جُندًا من السَّماءِ لما أنَّا قَدَّرنا لكلِّ شيءٍ سَبَبًا حيثُ أهلكنا بعضَ مَن أهلكنا من الأُمم [بالحاصبِ][٣] وبعضَهم بالصيحة وبعضَهم بالخسفِ وبعضَهم بالإغراقِ وجعلنا إنزالَ الجندِ من خصائصِك في الانتصارِ من قومك. وقيل: ما موصولةٌ معطوفةٌ على جندٍ أي وما كنَّا مُنزلين على مَن قبلهم من حجارةٍ وريح وأمطارٍ شديدةٍ وغيرِها ﴿**إنْ كانتْ**﴾ أي ما كانتْ الأخذةُ أو العقوبةُ ﴿**إلا صيحةً واحدةً**﴾ صاحَ بها جبريلُ عليه السَّلامُ. وقرئ[٤] إلاَّ صيحةٌ بالرَّفعِ على أنَّ كانَ تامَّةٌ. وقرئ[٥] إلا زَقيةً[٦] واحدةً من زَقَا الطَّائرُ إذا صاحَ[٧] ﴿**فإذا هم خامدون**﴾ ميِّتُون شُبِّهوا بالنَّارِ الخامدةِ رَمْزًا إلا أنَّ الحيَّ كالنَّارِ السَّاطعةِ في الحَرَكةِ والالتهابِ والميِّت كالرَّمادِ[٨] كما قال لَبيدٌ: [الطويل]

---

(١) في خ: المراتب.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٠).

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: أبو جعفر، وشيبة، ومعاذ بن الحارث، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧١٧)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٠)، والمحتسب لابن جني (٣/ ٢٠٦)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٧٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٣).

(٥) قرأ بها: عبد الرحمن بن الأسود، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧١٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢١، ٤٢، ٤٣).

(٦) في خ: رمية.

(٧) في خ: راح.

(٨) في خ: كالرماذ.

وَمَا المرءُ إلَّا كالشِّهاب وضوئِه ... يحورُ رَمادًا بعدَ إذْ هُو ساطعُ[(١)]

يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾

---

(١) البيت في: ديوانه ص (١٦٩)، وحماسة البحتري ص (٨٤)، والدرر (٢/ ٥٣)، ولسان العرب (٤/ ٢١٧) (حور)، وبلا نسبة في شرح الأشموني (١/ ١١٠).

﴿يا حسرةً على العبادِ﴾ تعالي فهذه من الأحوالِ التي حقُّها أنْ تحضرِي فيها، وهي ما دل عليه قولُه تعالى ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانُوا به يستهزئون﴾ فإنَّ المستهزئينَ بالنَّاصحينَ الذين نيطت بنصائِحهم سعادةُ الدَّارينِ أحقَّاءُ بأنْ يتحسَّروا ويتحسَّرُ عليهم المتحسِّرون. أو قد تلهَّفَ على حالهم الملائكةُ والمؤمنون من الثَّقلينِ. وقد جُوِّز أنْ يكون تحسُّرًا عليهم من جهةِ الله تعالى بطريق الاستعارةِ لتعظيم ما جنوه على أنفسِهم. ويؤيِّده قراءةُ يَا حسرتَا[1] لأنَّ المعنى يا حسرتِي ونصبُها لطولِها بما تعلَّق بها من الجارِّ وقيل: بإضمارِ فعلِها، والمنادى محذوفٌ وقرئَ[2] يا حسرةَ العبادِ بالإضافةِ إلى الفاعلِ أو المفعولِ وياحسره[3] على العبادِ بإجراءِ الوصلِ مجرى الوقفِ.

﴿ألم يَرَوا﴾ أي ألم يعلمُوا وهو معلَّقٌ عن العمل في قوله تعالى ﴿كم أهلكنَا قبلهم من القُرون﴾ لأنَّ كم لا يعملُ فيها ما قبلها وإنْ كانتْ خبريَّةً لأنَّ أصلَها الاستفهامُ خلا أنَّ معناه نافذٌ في الجُملةِ كما نفذَ في قولك ألم تَرَ إنَّ زيدًا لمنطلقٌ وإن لم يعملْ في لفظه ﴿أنَّهم إليهم لا يرجعُون﴾ بدلٌ من كم أهلكنا على المعنى أيْ ألم يروا كثرةَ إهلاكِنا من قبلهم من المذكُورين آنِفًا ومن غيرهم كونهم غير راجعين إليهم. وقرئ[4] بالكسرِ على الاستئنافِ. وقرئ[5] ألم يَروا من أهلكنا والبدلُ حينئذٍ بدلُ اشتمالٍ ﴿وإنْ كلٌّ لمَّا جميعٌ لدينا مُحضرون﴾ بيانٌ لرجوع الكلِّ إلى المحشرِ بعد بيان عدم الرُّجوعِ إلى الدُّنيا وإنْ نافية وتنوينُ كلٌّ عِوضٌ عن المضافِ إليهِ ولمَّا بمعنى إلاَّ، وجميعُ فعيلٌ بمعنى مفعولٍ، ولدينا ظرفٌ له أو لما بعده. والمعنى ما كلُّهم إلاَّ مجموعون لدينا مُحضرون للحسابِ والجزاءِ وقيل: محضرُون معذَّبون فكل [ذلك][6]

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢١).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (٢٣/ ٣).

(٣) قرأ بها: أبو الزناد، وابن هرمز، ومسلم بن جندب، وعكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٠٧)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٦٣).

(٤) قرأ بها: الحسن، وابن عباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٢٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٧٦).

(٥) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧١٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢١)، والمعاني للفراء (٢/ ٢٧٦).

(٦) سقط في ط.

عبارةٌ عن الكَفَرة. وقرئ[١] لما بالتَّخفيفِ على أنَّ إنْ مخَففةٌ من الثقيلة واللاَّمُ فارقةٌ وما مزيدةٌ للتأكيد والمعنى أنَّ كلهم مجموعون إلخ.

﴿**وآيةٌ لهم الأرضُ الميتةُ**﴾ بالتَّخفيفِ وقرئ[٢] بالتَّشديدِ. وقوله تعالى آيةٌ خبرٌ مقدَّمٌ للاهتمامِ به وتنكيرُها للتفخيم ولهم إمَّا متعلِّقةٌ بها لأنَّها بمعنى العلامةِ أو بمضمرٍ هو صفة لها والأرضُ مبتدأٌ والميتةُ صفتُها. وقوله تعالى ﴿**أحييناها**﴾ استئنافٌ مبيّن لكيفيةِ كونها آيةً وقيل آيةٌ مبتدأٌ ولهم خبرٌ والأرضُ الميتةُ مبتدأ موصوف وأحييناها خبره، والجملة مفسِّرة لآية. وقيل: الأرض مبتدأ وأحييناها خبرُه والجملةُ خبرٌ لآيةٌ وقيل: الخبرُ لها هو الأرضُ وأحييناها صفتُها لأنَّ المرادَ بها الجنسُ لا المعية والأوَّلُ هو الأَولى لأنَّ مصبَّ الفائدةِ هو كونُ الأرضِ آيةً لهم لا كونُ الآيةِ هي الأرضُ. ﴿**وأخرجنَا منها حبا**﴾ جنس الحبِّ ﴿**فمنه يأكلون**﴾ تقديم الصِّلةِ للدِّلالةِ على أنَّ الحبَّ معظم ما يُؤكل ويُعاش به.

﴿**وجعلنا فيها جنَّاتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ**﴾ أي من أنواعِ النَّخلِ والعنبِ ولذلك جُمعا دون الحبِّ فإنَّ الدّالّ على الجنسِ مشعرٌ بالاختلافِ ولا كذلك الدَّالُّ على الأنواعِ. وذكرُ النَّخيلِ دُون التُّمور ليطابقَ الحبَّ والأعنابَ لاختصاص شجرها بمزيدِ النَّفعِ وآثار الصُّنعِ ﴿**وفجَّرنا فيها**﴾ وقرئ[٣] بالتَّخفيفِ والفجرُ والتَّفجيرُ كالفتح والتفتيح لفظًا ومعنى ﴿**من العُيون**﴾ أي بعضًا من العُيون فحذف الموصوفُ وأقيمتِ الصِّفةُ مقامَه أو العيون ومن مزيدةٌ على رأيِ الأخَفْشِ.

﴿**ليأكلُوا من ثمرهِ**﴾ متعلِّقٌ بجعلنا وتأخيرُه عن تفجير العُيُون لأنَّه من مبادئ الأثمارِ أي وجعلنا فيها جنَّاتٍ من نخيلٍ ورتبنا مبادئ أثمارِها ليأكُلوا من ثمرِ ما ذُكر

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وابن وردان، ويعقوب، وأبو جعفر، وخلف، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧١٩)، والتيسير للداني ص (١٢٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩١).

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٤)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤١٦)، والتيسير للداني ص (١٠٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (١/ ٣٣٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٤).

(٣) قرأ بها: جناح بن حبيش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢١).

من الجنَّاتِ والنَّخيلِ بإجراء الضَّميرِ مجرى اسم الإشارةِ وقيل: الضَّميرُ لله تعالى بطريقِ الالتفاتِ إلى الغَيبةِ. والإضافةُ لأنَّ الثَّمرَ يخلقُه[1] تعالى. وقرئ[2] بضمَّتينِ وهي لغةٌ فيه أو جمع ثمارٍ وبضمَّةٍ وسكونٍ ﴿**وما عملتْه أيديهم**﴾ عطفٌ على ثمرِه وهو ما يُتَّخذُ منه من العصير والدِّبس ونحوهما، وقيل: ما نافيةٌ والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحلُّ الجملة النَّصبُ على الحاليةِ ويؤكد الأوَّلَ قراءةُ عملت[3] بلا هاءٍ فإنَّ حذفَ العائدِ من الصِّلةِ أحسنُ من الحذفِ من غيرِها ﴿**أفَلاَ يشكرون**﴾ إنكارٌ واستقباحٌ لعدم شكرِهم للنِّعم المعدودةِ والفاء للعطفِ على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقامُ أي أيرون هذه النِّعمَ أو أيتنعمون بها فلا يشكرونَها ﴿**سبحانَ الذين خلقَ الأزواجَ كلَّها**﴾ استئنافٌ مسوقٌ لتنزيهه تعالى عمّا فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذُكر في حيِّزِ الصِّلةِ من بدائع آثارِ قُدرتِه وأسرارِ حكمتِه وروائعِ نعمائِه الموجبةِ للشُّكرِ وتخصيصِ العبادةِ به والتَّعجيب من إخلالِهم بذلك والحالةُ هذه وسبحانَ علَمٌ للتَّسبيحِ الذي هو التَّبعيدُ عن السُّوءِ اعتقادًا وقولًا أي اعتقادَ البُعد عنه والحكم به من سَبَح في الأرضِ والماءِ إذا أبعد فيهما وأمعنَ ومنه فرسٌ سبوحٌ أي واسعُ الجري. وانتصابُه على المصدريّةِ ولا يكاد يذكر ناصبُه أي أسبِّح سبحانَه أي أنزهه عمَّا لا يليقُ به عقْدًا وعملًا تنزيهًا خاصًّا به حقيقًا بشأنِه وفيه مبالغةٌ من جهةِ الاشتقاقِ من السَّبحِ ومن جهة النَّقلِ إلى التَّفعيلِ ومن جهة العدولِ عن المصدرِ الدَّالِ على الجنسِ إلى الاسمِ الموضوع له خاصَّة لا سيما العلمُ المشيرُ إلى الحقيقةِ الحاضرةِ في الذِّهنِ ومن جهة إقامتِهِ مقامَ المصدرِ مع الفعلِ وقيل: هو مصدرٌ كغفرانٍ أُريد به التَّنزه التَّام والتَّباعد الكُلِّيُ عن السُّوءِ ففيه مبالغةٌ من جهةِ إسنادِ التَّنزه إلى الذَّاتِ المُقدَّسةِ فالمعنى تنزه بذاتِه عن كلِّ ما لا يليقُ به تنزُّهًا خاصا به فالجملةُ على هذا إخبارٌ من الله تعالى بتنزهِه وبراءتِه عن كلِّ ما لا يليقُ به مما فعلُوه وما تركُوه وعلى الأوَّلِ حكم

---

(١) في ط: بخلقه.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وطلحة، وابن وثاب، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٥)، والتيسير للداني ص (١٠٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥)، والحجة لأبي زرعة ص (٥٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢١)، والكشف للقيسي (١/ ٤٤٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٣) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والمطوعي، وطلحة، وعيسى، وشعبة، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٠)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٣).

منه عزَّ وجلَّ بذلك وتلقين للمؤمنين أنْ يفعلُوه[1] ويعتقدُوا مضمونَه ولا يُخلُّوا به ولا يغفلُوا عنه. والمرادُ بالأزواجِ الأصنافُ والأنواعُ ﴿مما تُنبت الأرضُ﴾ بيانٌ لها والمرادُ به كلُّ ما ينبتُ فيها من الأشياءِ المذكورةِ وغيرها ﴿ومن أنفسِهم﴾ أي خلقَ الأزواج من أنفسِهم أي الذَّكرَ والأُنثى ﴿وممَّا لا يعلمونَ﴾ أي والأزواج مما لم يُطلعهم الله تعالى على خُصوصيَّاتِه لعدمِ قُدرتِهم على الإحاطةِ بها ولمَّا لم يتعلَّق بذلك شيءٌ من مصالحِهم الدِّينيةِ والدُّنيويةِ وإنما أطلعَهم على ذلك بطريقِ الإجمالِ على منهاجِ قوله تعالى: ﴿ويخلقُ ما لا تعلمون﴾ [سورة النحل، الآية ٨] لمَا نيطَ به وقوفُهم على عظمِ قدرتِه وسعةِ مُلكهِ وسلطانِه.

﴿وآيةٌ لهم اللَّيلُ﴾ جملة من خبرٍ مقدم ومبتدأٍ مؤخَّرٍ كما مرَّ وقوله تعالى ﴿نسلخُ منه النَّهار﴾ جملةٌ مبيِّنة لكيفيَّةِ كونِه آيةً أي نُزيله ونكشفُه عن مكانِه مستعارٌ من السَّلخِ[2] وهو إزالةُ ما بين الحيوانِ وجلدِه من الاتِّصالِ. والأغلبُ في الاستعمالِ تعليقُه بالجلدِ يقال سلختُ الإهابَ من الشَّاةِ وقد يُعكس ومنه الشَّاةُ المسلوخةُ ﴿فإذَا هم مظلمون﴾ أي داخلونَ في الظَّلام مفاجأةً وفيه رمزٌ إلى أنَّ الأصلَ هو الظَّلامُ والنُّورُ عارضٌ. ﴿والشَّمسُ تجري لمستقرٍّ لها﴾ لحدٍّ مُعين ينتهي إليهِ دورُها فشبه بمستقرِّ المسافرِ إذا قطع مسيرَه أو لكبد السَّماءِ فإنَّ حركتَها فيه توجد أبطأ بحيثُ يظنُّ أنَّ لها هناك وقفةً قال: [البسيط]

.... والشَّمسُ حَيْرى لها بالجوِّ تدويمُ[3]

---

(١) في ط: أن يقولوه.

(٢) وذلك حيث شبه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح. وشبه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن الشاة فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ منه جلده، وليس الليل بمقصود التشبيه، وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه فاستتبع ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عنه جلده، ووجه ذلك أن الظلمة هي الحالة السابقة للعوالم قبل خلق النور في الأجسام النيرة.
ينظر: الكشاف (٣/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٥)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٥١٣)، والتحرير والتنوير (٢٣/ ١٨)، وشروح التلخيص (٤/ ١٣٤)، والإيضاح مع البغية (٣/ ١٤٨).

(٣) عجز بيت وصدره:
مُعْرَوْرِيًا رمض الرَّضراض يركضه ....
والبيت لذي الرمَّة في ديوانه ص (٤١٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢١٥) (دوم)، (١٤/ ١٥٧) (جوا)، (١٥/ ٣٢٠) (نزا)، وتاج العروس (١٨/ ٣٥٥) (ركض) (٣٦٠) (رمض)، (دوم)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣١٥)، وأساس البلاغة (ركض)، (دوم).

أو لاستقرارٍ لها على نهجٍ مخصوصٍ أو لمنتهى مقدَّر لكلِّ يوم من المشارقِ والمغاربِ فإنَّ لها في دورِها ثلاثمائة وستِّين مشرقًا ومغربًا تطلع كلَّ يومٍ من مطلعٍ وتغربُ من مغربٍ ثمَّ لا تعودُ إليهما إلى العام القابلِ أو لمنقطعِ جريها عند خرابِ العالم. وقرئ[1] إلى مستقرٍّ لها. وقرئ[2] لاَ مستقرَّ لها أي، لا سكونَ لها فإنَّها متحرِّكةٌ دائمًا وقرئ[3] لا مستقرٌّ لها على أنَّ لا بمعنى ليسَ.

﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى جريها وما فيهِ من معنى البُعد مع قُرب العهدِ بالمُشارِ إليه للإيذانِ بعلوِّ رُتبتهِ وبُعد منزلتِه أي ذلك الجريُ البديعُ المنطوي على الحِكَم الرَّائعةِ التي تحارُ في فهمها العقولُ والأفهامُ ﴿تقديرُ العزيزِ﴾ الغالبِ بقُدرته على كلِّ مقدورٍ ﴿العليمِ﴾ المحيطِ علمُه بكلِّ معلوم.

﴿والقمرَ قدرناه﴾ بالنَّصبِ بإضمار فعلٍ يفسِّره الظَّاهرُ. وقرئ[4] بالرَّفع على الابتداءِ أي قدَّرنا له ﴿منازلَ﴾ وقيل: قدرنا مسيرَه منازلَ وقيل: قدرنَاهُ ذا منازلَ وهي ثمانيةٌ وعشرون الشرطانِ، البَطينُ، الثُّريَّا، الدَّبرانِ، الهقعة، الهَنْعَةُ، الذِّراعُ، النَّثرةُ، الطِّرفُ، الجَبهةُ، الزُّبرةُ ،الصِّرفةُ، العواء، السِّماكُ، الغفر، الزباني، الإكليلُ، القَلبُ، الشَّولةُ، النَّعائمُ، البلدةُ، سعدُ الذَّابح، سعدُ بَلْع، سَعدُ السُّعود، سَعدُ الأخبيةِ، فرغ الدَّلو المقدَّم، فرغ الدَّلوِ المؤخرَّ، الرَّشا، وهو بطنُ الحوتِ ينزل كلَّ ليلةٍ في واحدٍ منها لا يتخطَّاها ولا يتقاصرُ عنها فإذا كان في آخرِ منازلِه وهو الذي يكون قبيلَ الاجتماع دقَّ واستقوسَ ﴿حتَّى عادَ كالعُرجون﴾ كالشِّمراخِ المُعوجِ[5]

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٢)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٧١).

(٢) قرأ بها: عبد الله بن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن رباح، وعلي بن الحسين، وزين العابدين، وأبو جعفر الباقر، وجعفر الصادق، وابن أبي عبدة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٢)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٢).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٢).

(٤) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وروح، والحسن، واليزيدي، وأبو جعفر، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٢١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٠٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤١٩، ٤٢٠)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٣).

(٥) وهذا التشبيه يماثل حالة استهلاله كما يماثل حالة انتهائه، وقد ذكر الخفاجي أن وجه الشبه فيه مركب، وهو الاصفرار والدقة والاعوجاج، وعبارة السمين الحلبي: والعرجون عود العذق ما بين الشماريخ إلى منبته من النخلة، وهو تشبيه بديع يشبه به القمر في ثلاثة أشياء في دقته، واستقواسه واصفراره وهو تشبيه مرسل مجمل. =

فعلون من الانعراجِ وهو الاعوجاجُ وقرئ[1] كالعرجون وهما لغتانِ كالبُزيَون والبِزيونِ. ﴿**القديم**﴾ العَتيقِ وقيل: وهو ما مرَّ عليه حولٌ فصاعدًا ﴿**لا الشَّمسُ ينبغي لها**﴾ أي يصحُّ ويتسهَّلُ ﴿**أنْ تُدرك القمرَ**﴾ في سرعةِ السَّيرِ فإنَّ ذلكَ يخلُّ بتكون النَّباتِ وتعيُّشِ الحيوانِ أو في الآثارِ والمنافعِ أو في المكانِ بأن تنزلَ في منزلِه أو في سلطانه فتطمس نورَه. وإيلاءُ حرفِ النَّفي الشَّمسَ للدِّلالةِ على أنَّها مسخَّرةٌ لا يتيسر لها إلا ما قُدرِّ لها ﴿**ولا الليلُ سابقُ النَّهارِ**﴾ أي يسبقُه فيفوتُه ولكنْ يعاقُبه وقيل: المرادُ بهما آيتاهُما وهما: النيرانِ وبالسبقِ سبقُ القمرِ إلى سُلطانِ الشَّمسِ فيكون عكسًا للأوَّلِ، وإيراد السَّبقِ مكان الإدراك لأنَّه الملائمُ لسرعةِ سيرهِ ﴿**وكلٌّ**﴾ أي وكلُّهم على أنَّ التَّنوينَ عوضٌ عن المضافِ إليه الذي هو الضَّميرُ العائدُ إلى الشَّمسِ والقمرِ. والجمعُ باعتبارِ التَّكاثرِ العارضِ لهما بتكاثرِ مطالعهما فإنَّ اختلافَ الأحوالِ يُوجب تَعددًا ما في الذَّاتِ أو إلى الكواكبِ فإنَّ ذكرَهما مشعرٌ بها ﴿**في فَلَك يسبحُون**﴾ يسيرُون بانبساطٍ وسهولةٍ.

﴿**وآيةٌ لهم أنَّا حملنا ذُرِّيتهم**﴾ أولادَهم الذين يبعثُونهم إلى تجاراتِهم أو صبيانَهم ونساءَهم الذين يستصحبونهم، فإنَّ الذُّرية تطلقُ عليهن لا سيَّما مع الاختلاطِ، وتخصيصُهم بالذِّكرِ لما أنَّ استقرارَهم في السُّفنِ أشقُّ واستمساكهم فيها أبدعُ ﴿**في الفُلك المشحونِ**﴾ أي المملوءِ وقيل: هو فُلك نوح عليه السَّلامُ وحملُ ذريَّاتِهم فيها حملُ آبائِهم الأقدمين وفي أصلابِهم هؤلاء وذرياتُهم، وتخصيصُ أعقابِهم بالذِّكرِ دُونَهم لأنه أبلغَ في الامتنانِ وأدخلُ في التَّعجيبِ الذي عليه يدورُ كونُه آيةً ﴿**وخلقنا لهم من مثلِه**﴾ ممَّا يماثلُ الفُلكَ ﴿**ما يركبونَ**﴾ من الإبلِ فإنها سفائنُ البرِّ أو ممَّا يُماثل ذلك الفُلكَ من السُّفنِ والزَّوارقِ وجعلها مخلوقةً لله تعالى مع كونِها من مصنوعاتِ العبادِ ليس لمجرَّدِ كون صُنعِهم بأقدارِ الله تعالى وإلهامِه بل لمزيدِ اختصاصِ أصلِها بقُدرته تعالى وحكمته حسبما يُعرب عنه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿واصنعِ الفُلك بأعيُننا ووحينا﴾ [سورة هود، الآية ٣٧] والتَّعبيرُ عن مُلابستهم بهذه السُّفنِ بالرُّكوبِ لأنَّها باختيارهم كما أنَّ التَّعبيرَ عن مُلابسة ذُرِّيَّتهم بفُلكِ نوحٍ عليه السَّلامُ بالحَملِ لكونِها بغير شعورٍ منهم واختيارٍ. ﴿**وإنْ نشأْ نُغرقهم**﴾ إلخ من تمامِ الآيةِ فإنَّهم

= ينظر: الكشاف (٣/ ٣٢٣)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٦)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٥١٤)، والتحرير والتنوير (٢٣/ ٢٢).

(١) قرأ بها: سليمان التيمي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٣٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٣).

معترفون بمضمونِه كما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿وإذَا غشيهم موجٌ كالظُّللِ دَعَوا الله مُخلصين له الدِّينَ﴾ [سورة لقمان، الآية ٣٢].

وقرئ[1] نُغرِّقهم بالتَّشديدِ وفي تعليق الإغراقِ بمحض المشيئةِ إشعار بأنَّه قد تكامل ما يُوجب إهلاكَهم من معاصيهم ولم يبقَ إلاَّ تعلُّقُ مشيئته تعالى به أي إنْ نشأْ نغرقهم في اليمِّ مع ما حملناهم فيه من الفُلك فحديثُ خَلْقِ الإبل حينئذٍ كلامٌ جيء به في خلالِ الآيةِ بطريق الاستطرادِ لكمالِ التَّماثلَ بين الإبلِ والفُلْكِ فكأنَّها نوعٌ منه أو مع ما يركبون من السُّفنِ والزَّوارقِ ﴿فلا صريخَ لهم﴾ أي فلا مُغيثَ لهم يخرجهم[2] من الغَرَق ويدفعه عنهم قبل وقوعِه وقيل: فلا استغاثةَ لهم من قولِهم أتاهم الصَّريخُ ﴿ولا هم يُنقذون﴾ أي ينجون منه بعد وقوعِه وقوله تعالى ﴿إلاَّ رحمةً منَّا ومتاعًا﴾ استثناء مفرَّغٌ من أعمِّ العللِ الشَّاملةِ للباعث المتقدِّمِ والغاية المتأخِّرةِ أي لا يُغاثون ولا يُنقذون لشيءٍ من الأشياءِ إلا لرحمةٍ عظيمةٍ من قبلنا داعيةٍ إلى الإغاثةِ والإنقاذِ وتمتيع بالحياة مترتِّب عليهما ويجوزُ أنْ يُرادَ بالرَّحمةِ ما يُقارن التَّمتيعَ من الرَّحمةِ الدُّنيويَّةِ فيكون كلاهما غايةً للإغاثةِ والإنقاذِ أي لنوعٍ من الرَّحمةِ وتمتيع ﴿إلى حينٍ﴾ أي إلى زمانٍ قُدِّر فيه آجالُهم كما قيل: [الوافر]

ولـم أسـلـمْ لـكـي أبـقَـى ولـكـن ... سَلِمتُ من الحِمامِ إلى الحِمامِ[3]

﴿وإذا قيلَ لهم اتَّقوا﴾ بيانٌ لإعراضِهم عن الآياتِ التَّنزيليةِ بعد بيانِ إعراضِهم عن الآياتِ الآفاقيةِ التي كانُوا يشاهدونَها وعدم تأمُّلِهم فيها أيْ إذَا قيل لهم بطريقِ الإنذارِ بما نزل من الآيات أو بغيره اتَّقوا ﴿ما بين أيديكُم وما خلفكُم﴾ من الآفاتِ والنَّوازلِ فإنَّها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره مِن حيثُ تحتسبون ومن حيثُ لا تحتسبون أو من الوقائع النَّازلةِ على الأُمم الخالية قبلكم والعذاب المعدِّ لكم في الآخرة أو من نوازل السَّماءِ ونوائب الأرض أو من عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرةِ أو ما تقدَّم من الذُّنوبِ وما تأخَّر. ﴿لعلَّكم تُرحمون﴾ إمَّا حال من واوِ اتَّقوا أو غايةٌ له أي راجين أنْ تُرحموا أو كي تُرحموا فتنجُوا من ذلك لما عرفتُم أنَّ مناط النَّجاةِ ليس إلاَّ رحمةَ الله تعالى. وجوابُ إذا محذوف ثقةً بانفهامِه من قوله تعالى: ﴿وما تأتيهم من آيةٍ من

---

(١) قرأ بها: الحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٣٩).
(٢) في ط: يحرسهم.
(٣) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢)، وروح المعاني (٢٣/ ٢٨).

آياتِ ربِّهم إلَّا كانُوا عنها مُعرضين﴾ انفهامًا بيِّنًا أمَّا إذا كان الإنذارُ بالآيةِ الكريمة فبعبارةِ النَّصِّ وأمَّا إذا كان بغيرها فبدلالته لأنَّهم حين[1] أعرضوا عن آياتِ ربِّهم فلأنْ يُعرضوا عن غيرِها بطريق الأولويَّةِ كأنَّه قيل: وإذا قيل لهم اتَّقوا العذاب أعرضُوا حسبما اعتادُوه.

وما نافيةٌ وصيغةُ المضارع للدِّلالة على الاستمرارِ التَّجدُّدِي ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم، والثَّانيةُ تبعيضية واقعة مع مجرورِها صفةً لآيةٍ. وإضافة الآيات إلى اسم الرَّبِّ المضاف إلى ضميرِهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترأوا عليه في حقِّها، والمراد بها إمَّا الآيات التَّنزيليةُ فإتيانها نزولُها والمعنى ما يُنزَّل إليهم آيةٌ من الآيات القرآنيةِ التي من جُملتها هذه الآياتُ النَّاطقةُ بما فُصِّل من بدائع صنعِ الله تعالى وسوابغ آلائِه الموجبة للإقبال عليها والإيمانِ بها إلاَّ كانُوا عنها مُعرضين على وجه التَّكذيبِ والاستهزاء، وإمَّا ما يعمُّها وغيرها من الآيات التَّكوينيَّةِ الشَّاملةِ للمعجزات وغيرها من تعاجيبِ المصنوعاتِ التي من جُملتها الآياتُ الثَّلاثُ المعدودة آنِفًا فالمرادُ بإتيانها ما يعمُّ نزول الوحيِ وظهور تلك الأمورِ لهم. والمعنى ما يظهر لهم آيةٌ من الآيات التي من جُملتها ما ذُكر من شؤونه الشَّاهدةِ بوحدانيَّتِه تعالى وتفرُّدِهِ بالألُوهيةِ إلاَّ كانُوا عنها مُعرضين تاركين للنظر الصَّحيحِ فيها المؤدِّي إلى الإيمان به تعالى. وإيثارُه على أنْ يُقال إلاَّ أعرضُوا عنها كما وقع مثلُه في قوله تعالى: ﴿وإنْ يروا آيةً يُعرضوا ويقولُوا سحرٌ مستمرٌّ﴾ [سورة القمر، الآية ٢] للدِّلالةِ على استمرارهم على الإعراضِ حسب استمرار إتيانِ الآياتِ، وعن مُتعلِّقةٌ بمعرضين قُدِّمتْ عليه مراعاةً للفواصل. والجملةُ في حيِّزِ النَّصبِ على أنَّها حالٌ من مفعولِ تأتي أو من فاعلِه المتخصصِ بالوصف لاشتمالِها على ضمير كلٍّ منهُما، والاستثناءُ مفرَّغٌ من أعمِّ الأحوالِ أي ما تأتيُهم من آيةٍ من آيات ربِّهم في حالٍ من أحوالِهم إلا حالَ إعراضِهم عنها أو ما تأتيهم آيةٌ منها في حالٍ من أحوالِها إلا حالَ إعراضِهم عنها. ﴿وإذَا قيلَ لهم أنفقُوا ممَّا رزقكُم الله﴾ أي أعطاكُم بطريق التَّفضلِ والإنعام من أنواع الأموالِ عبَّر عنها بذلك تحقيقًا للحقِّ وترغيبًا في الإنفاق على منهاج قولِه تعالى: ﴿وأحسِنْ كما أحسنَ الله إليك﴾ [سورة القصص، الآية ٧٧] وتنبيهًا على عِظَمِ جناياتهم في تركِ الامتثالِ بالأمر، وكذلك من التبعيضية أي إذا قيل لهم بطريق النصيحة أنفقُوا بعض ما

---

(١) في ط: حيث.

أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فإنَّ ذلك ممَّا يردُّ البلاء ويدفعُ المكاره ﴿قال الذين كفرُوا﴾ بالصَّانعِ عزَّ وجلَّ وهم زنادقةٌ كانُوا بمكَّةَ ﴿للذين آمنُوا﴾ تهكُّمًا بهم وبما كانُوا عليه من تعليقِ الأمورِ بمشيئةِ الله تعالى ﴿أنطعمُ﴾ حسبما تعظوننا به ﴿مَن لو يشاءُ الله أطعمَه﴾ أي على زعمِكم. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا: كان بمكَّةَ زنادقة إذا أُمروا بالصَّدقةِ على المساكين قالوا لا والله أيُفقره الله ونُطعمه نحنُ. وقيل قالَه مُشركو قُريشٍ حين استطعمهم فقراءُ المؤمنين من أموالهم التي زعمُوا أنَّهم جعلُوها لله تعالى من الحرث والأنعامِ يُوهمون أنَّه تعالى لما لم يشأْ إطعامَهم وهو قادرٌ عليه فنحن أحقُّ بذلك، وما هو إلا لفرطِ جهالتِهم فإنَّ الله تعالى يُطعم عبادَه بأسبابٍ من جُملتها حثُّ الأغنياءِ على إطعامِ الفُقراء وتوفيقُهم لذلك. ﴿إنْ أنتُم إلاَّ في ضلالٍ مُبين﴾ حيثُ تأمروننا[1] بما يُخالفُ مشيئةَ الله تعالى. وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ جوابًا لهم من جهتِه تعالى أو حكايةً لجواب المُؤمنين لهم.

﴿ويقولون مَتَى هذا الوعدُ إنْ كنتمُ صادقين﴾ أي فيما تعدوننا بِهِ من قيام السَّاعةِ مخُاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين لمَا أنَّهم أيضًا كانُوا يتلون عليهم آياتِ الوعيدِ بقيامها. ومعنى القُرْبِ في هذا إمَّا بطريق الاستهزاءِ وإمَّا باعتبارِ قُربِ العهدِ بالوعدِ. ﴿ما ينظرون﴾ جوابٌ من جهته تعالى أي ما ينتظرونَ ﴿إلاَّ صيحةً واحدةً﴾ هي النَّفخةُ الأولى ﴿تأخذُهم﴾ مفاجأةً ﴿وهم يخصِّمُون﴾ أي يتخاصمُون في متاجرِهم ومعاملاتِهم لا يخطر ببالِهم شيءٌ من مخايلها كقولِه تعالى: ﴿فأخذتهم الصَّاعقةُ وأنتم تنظرون﴾ [سورة البقرة، الآية ٥٥] فلا يغترُّوا بعدم ظهور علائِمها ولا يزعمُوا أنَّها لا تأتيهم. وأصلُ يخصِّمون يَخْتَصِمُون فُسكِّنت التَّاءُ وأُدغمتْ في الصَّادِ ثمَّ كُسرتْ الخاءلالتقاءِ السَّاكنينِ. وقرئ[2] بكسر الياءِ للاتباعِ، وبفتح الخاءِ[3] على إلقاءِ حركةِ

---

(١) في خ: تأمرون.

(٢) قرأ بها: عاصم، وشعبة، وابن جبير، وحماد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤١)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٢٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٨)، والحجة لابن خالويه (٢٩٨، ٢٩٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٨).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وورش، وقالون، وهشام، والحلواني، وابن محيصن، والحسن، والأعرج، وشبل، وزيد، وابن قسطنطين، ويعقوب، والأعمش، ومحمد بن حبيب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٤)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤).

التَّاءِ عليه. وقرئ[1] على الاختلاسِ، وبالإسكانِ[2] على تجويزِ الجمعِ بين السَّاكنينِ إذا كان الثَّاني مُدغمًا وإنْ لم يكُن الأوَّلُ حرفَ مدٍّ. وقرئ[3] يَخْصِمُونَ من خَصَمَه إذا جَادَله. ﴿**فلا يستطيعون تَوصيةً**﴾ في شيءٍ من أمورِهم إنْ كانُوا فيما بين أهليهم ﴿**ولا إلى أهلِهم يرجعُون**﴾ إنْ كانُوا في خارجِ أبوابِهم بل تبغتهم الصَّيحةُ فيموتون حيثُما كانُوا. ﴿**ونُفخ في الصُّورِ**﴾ هي النَّفخةُ الثَّانيةُ بينها وبين الأوُلى أربعون سنةً أي يُنفخ فيهِ. وصيغةُ الماضي للدلالةِ على تحقُّقِ الوقوعِ ﴿**فإذا هُم من الأجداثِ**﴾ أي القبورِ جمع جَدَثٍ وقرئ[4] بالفاءِ ﴿**إلى ربِّهم**﴾ مالكِ أمرِهم على الإطلاقِ ﴿**ينسِلون**﴾ يُسرعون بطريقِ الإجبارِ دُونَ الاختيارِ لقولِه تعالى: ﴿لدينا مُحضَرُون﴾ [يس: ٣٢ و٥٣]. وقرئ[5] بضمِّ السِّينِ.

﴿**قالُوا**﴾ أي في ابتداء بعثهم من القُبور ﴿**يا ويلنا**﴾ احضرْ[6] فهذا أوانُك. وقرئ[7] يا ويلتَنَا. ﴿**مَن بعثنا مِن مرقدِنا**﴾ وقرئ[8] مَن أهبّنا من هبَّ من نومه إذا

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وقالون، والدوري، والسوسي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٢٤)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٧)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤).

(٢) قرأ بها: نافع، وقالون، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٤)، والتبيان للطوسي ص (٤٢٤)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٨)، والحجة لابن خالويه (٢٩٨، ٢٩٩)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٠٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤).

(٣) قرأ بها: حمزة، وأبو عمرو، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وقالون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤١)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٢٤)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٧، ٢١٨).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٠)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٥).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وابن أبي إسحاق، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤١).

(٦) في خ: احضري.

(٧) قرأ بها: ابن أبي ليلى.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٣).

(٨) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٤)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٠).

انتبه. وقرئ[١] من هَبّنا بمعنى أهبنا. وقيل: أصلُه هبَّ بنا فحُذف الجارُّ وأُوصل الفعلُ إلى الضَّميرِ، قيل فيه ترشيحٌ ورمزٌ وإشعارٌ بأنَّهم لاختلاطِ عقولِهم يظنُّون أنَّهم كانوا نيامًا. وعن مجاهدٍ أنَّ للكفَّار هجعةً يجدون فيها طعمَ النَّومِ فإذا صِيح بأهل القُبور يقولون ذلك. وعن ابن عبَّاسٍ وأُبيِّ بنِ كعبٍ وقَتَادةَ رحمهم الله تعالى أنَّ الله تعالى يرفعُ عنهم العذابَ بينَ النَّفختينِ فيرقدُون فإذا بُعثوا بالنَّفخةِ الثَّانيةِ وشاهدُوا من أهوال القيامةِ ما شاهدُوا دَعَوا بالويلِ، وقالوا ذلك. وقيل: إذا عاينُوا جهنَّم وما فيها من أنواع العذابِ يصير عذابُ القبر في جنبِها مثلَ النَّومِ فيقولون ذلك، وقرئ (مِن بَعْثنا)[٢] ومِن هَبّنا[٣] بمن الجارَّةِ والمصدرِ. والمرقدُ إمَّا مصدرٌ أي من رُقادِنا أو اسمُ مكانٍ أُريد به الجنسُ فينتظم مراقدَ الكلِّ ﴿هَذا ما وعد الرَّحمنُ وصدقَ المُرسلون﴾ جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ. وما موصولةٌ محذوفة العائدِ أو مصدريةٌ وهو جواب من قبل الملائكةِ أو المؤمنينَ عُدل به عن سَننِ سؤالِهم تذكيرًا لكُفرهم وتقريعًا لهم عليه وتنبيهًا على أنَّ الذي يهُمهم هو السُّؤالُ عن نفسِ البعثِ ماذا هو دون [السُّؤال عن][٤] الباعثِ كأنَّهم قالُوا بعثكم الرحمن الذي وعدكُم ذلك في كتبِه وأرسلَ إليكم الرُّسلَ فصدقُوكم فيه وليسَ الأمرُ كما تتوهمونَه حتَّى تسألُوا عن الباعثِ وقيل: هو من كلامِ الكافرينَ حيثُ يتذكّرون ما سمعُوه من الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ فيجيبونَ به أنفسَهم أو بعضَهم بعضًا وقيل هذا صفةٌ لمرقدنا وما وعدَ إلخ خبرُ مبتدأ محذوفٍ أو مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ أي ما وعد الرَّحمنُ وصدقَ المرسلونَ حقٌّ.

﴿إنْ كانَتْ﴾ أي ما كانَتْ النَّفخةُ التي حكيت آنفًا ﴿إلا صيحةً واحدةً﴾ حصلتْ من نفخ إسرافيلَ عليه السَّلامُ في الصُّور ﴿فإذا هُم جميعٌ﴾ أي مجموعٌ ﴿لدينا مُحضرون﴾ من غيرِ لبثٍ ما طرفةَ عينٍ وفيه من تهوينِ أمرِ البعثِ والحشرِ والإيذانِ باستغنائِهما عن الأسبابِ ما لا يَخْفى.

---

(١) قرأ بها: أبي بن كعب.
ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٤١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٤).

(٢) قرأ بها: ابن عباس، ومجاهد، وعلي، وأبو نهيك، والضحاك.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٣).

(٣) ينظر: تفسير الألوسي (٢٣/ ٣٢).

(٤) سقط في ط.

﴿**فاليوم لا تُظلم نفسٌ**﴾ من النُّفوسِ برةً كانتْ أو فاجرةً ﴿**شيئًا**﴾ من الظُّلم ﴿**ولا تجزون إلَّا ما كنتُم تعملون**﴾ أي الإجزاءُ ما كنتُم تعملونَه في الدُّنيا على الاستمرار من الكفرِ والمعاصي على حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مقامَه للتَّنبيه على قُوَّةِ التَّلازم والارتباطِ بينهما كأنَّهما شيءٌ واحدٌ أو إلاَّ بما كنتُم تعملونَه أي بمقابلتِه أو بسببِه. وتعميمُ الخطابِ للمؤمنين يردُّه أنَّه تعالى يُوفِّيهم أجورهم ويزيدَهم من فضلِه أضعافًا مضاعفةً وهذه حكايةٌ لما سيُقال لهم حين يرَون العذابَ المعدَّ لهم تحقيقًا للحقِّ وتقريعًا لهم.

وقوله تعالى: ﴿**إنَّ أصحابَ الجنَّة اليومَ في شُغلٍ فاكهون**﴾ من جُملة ما سيُقال لهم يؤمئذٍ زيادةً لحسرتِهم وندامتِهم فإنَّ الإخبارَ بحسن حالِ أعدائِهم إثرَ بيان سُوء حالِهم مما يزيدُهم مساءةً على مساءةٍ.

وفي هذه الحكايةِ مزجرة لهؤلاءِ الكَفرةِ عمَّا هم عليه ومدعاةٌ إلى الاقتداء بسيرةِ المُؤمنين.

والشُّغُل هو الشَّأنُ الذي يصدُّ المرءَ ويشغلُه عمَّا سواهُ من شؤونه لكونِه أهمَّ عنده من الكُلِّ إمَّا لإيجابهِ كمالَ المسرَّةِ والبهجةِ أو كمال المساءةِ والغمِّ.

والمرادُ هاهنا هو الأولُ وما فيه من التَّنكير والإبهامِ للإيذان بارتفاعِه عن رتبةِ البيانِ والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذّ التي تلهيهم عمَّا عداهَا بالكلية، وإمَّا أنَّ المرادَ به افتضاضُ الأبكارِ أو السَّماع وضربُ الأوتار أو التّزاور أو ضيافةُ الله تعالى أو شغلُهم عمَّا فيه أهلُ النَّارِ على الإطلاقِ أو شغلُهم عن أهاليهم في النَّارِ لا يهمهم أمرُهم ولا يُبالون بهم كي لا يدخلَ عليهم تنغيصٌ في نعيمهم كما رَوى كلٌّ واحدٍ منها عن واحدٍ من أكابرِ السَّلفِ فليس مرادُهم بذلك حصرَ شغلِهم فيما ذكرُوه فقط بل بيانَ أنَّه من جُملةِ أشغالهم. وتخصيصُ كلٍّ منهم كلاً من تلكَ الأمورِ بالذكرِ محمولٌ على اقتضاءِ مقامِ البيانِ إياه وهو مع جارِه خبرٌ لأنَّ و(فاكهون) خبر آخرُ لها أي إنهم مستقرُّون في شغلٍ وأي شغلٍ في شغل عظيمِ الشَّأنِ متنعمون بنعيمٍ مقيم فائزون بملك كبيرٍ.

والتَّعبيرُ عن حالِهم هذه بالجملةِ الاسميةِ قبل تحقُّقها بتنزيل المترقب المتوقَّع منزلة الواقع للإيذان بغايةِ سرعةِ تحقُّقها ووقوعِها ولزيادةِ مساءة المخاطَبين بذلك، وقَرئ[١]

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وروح.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٩)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤١).

في شُغْل بسكون الغينِ و(في شَغَل)[١] بفتحتين وبفتحةٍ وسكون[٢] والكلُّ لغاتٌ وقرئ[٣] فكهون للمبالغةِ و(فَكُهون)[٤] بضمِّ الكاف وهي لغةٌ كنطُس و(فاكهينَ)[٥] و(فكِهين)[٦] على الحالِ من المستكنِّ في الظَّرف وقوله تعالى: ﴿هم وأزواجُهم في ظلالٍ على الأرائكِ متَّكئون﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ كيفيَّةِ شغلِهم وتفكّههم وتكميلهما بما يزيدهُم بهجة وسرورًا من شركة أزواجِهم لهم فيما هُم فيه من الشُّغل والفكاهةِ على أنَّ هم مبتدأ وأزواجهم عطفٌ عليه ومتكئون خبر والجارَّانِ صلتانِ له قدمتا عليه لمراعاة الفواصلِ أو هو والجاراِن بما تعلّقا به من الاستقرارِ أخبارٌ مترتبة وقيل: الخبر هو الظَّرفُ الأولُ والثَّاني مستأنفٌ على أنَّه متعلق بمتكئون وهو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ وقيل: على أنَّه خبرٌ مقَّدمٌ ومتكئون مبتدأٌ مؤخَّرٌ. وقرئ[٧] متكين بلا همز نصبًا على الحالِ من المستكنِّ في الظَّرفينِ أو أحدِهما وقيل: هم تأكيدٌ للمستكنِّ في خبر (إن) ومتكئون خبرٌ آخرُ لها وعلى الأرائكِ متعلقٌ به وكذا في ظلال أو هذا بمضمرٍ هو حالٌ من المعطوفين.

والظِّلالُ جمع ظلٍّ كشعابٍ جمع شعبٍ أو جمع ظُلَّةٍ كقِباب جمعِ قُبَّةٍ ويؤيده قراءة

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، ومجاهد، وأبو السمال، وابن هبيرة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).

(٢) قرأ بها: يزيد النحوي، وابن هبيرة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).

(٣) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر، وقتادة، وأبو حيوة، ومجاهد، وشيبة، وأبو رجاء، ويحيى بن صبيح، والحسن، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٢٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٢٨)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).

(٥) قرأ بها: طلحة بن مصرف، والأعمش، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٠)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٩٢).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).

(٧) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).

(في ظُللٍ)[١] والأرائك جمعُ أريكةٍ وهي السَّريرُ المزين بالثيابِ والسُّتورِ قال ثعلبٌ: لا تكون أريكةٌ حتى تكونَ عليها حجلةٌ.

وقوله تعالى: ﴿**لهم فيها فاكهةٌ**﴾ إلخ بيانٌ لما يتمتعون به في الجنةِ من المآكلِ والمشاربِ و[ما][٢] يتلذَّذون به من الملاذِّ الجسمانيةِ والرُّوحانيةِ بعد بيانِ ما لهُم فيها من مجالسِ الأنسِ ومحافلِ القدسِ تكميلًا لبيانِ كيفيةِ ما هُم فيه من الشغلِ والبهجةِ أي لهم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ من كلِّ نوعٍ من أنواعِ الفواكِه وما في قولِه تعالى: ﴿**ولهم ما يدَّعُون**﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ عبَّر بها عن مدعوٍّ عظيمِ الشَّأنِ معيَّنٍ أو مبهمٍ إيذانًا بأنَّه الحقيقُ بالدُّعاءِ دونَ ما عداهُم ثم صرَّح به رَوْمًا لزيادةِ التَّقريرِ بالتَّحقيقِ بعد التَّشويقِ كما ستعرفه أو هي باقيةٌ على عمومها قصد بها التَّعميم بعد تخصيصِ بعضِ الموادِّ المعتادةِ بالذكر، وأيًّا ما كانَ فهو مبتدأ ولهم خبرُه والجملةُ معطوفةٌ على الجملةِ السَّابقةِ وعدمُ الاكتفاءِ بعطفِ ما يدَّعون على فاكهة لئلاَّ يتوهم كون ما عبارةً عن توابعِ الفاكهةِ وتتماتها والمَعْنى ولهم ما يدَّعون به لأنفسِهم من مدعوٍّ عظيمِ الشَّأنِ أو كل ما يدَّعُون به كائنًا ما كانَ من أسبابِ البهجةِ وموجباتِ السرورِ، وأيًّا ما كان ففيهِ دلالةٌ على أنَّهم في أقصى غايةِ البهجةِ والغبطةِ.

ويدّعون يفتعلونَ من الدُّعاءِ كما أُشير إليه مثل اشتوى واجتمَل إذا شوَى وجمل لنفسهِ وقيل: بمعنى يتداعون كالارتماءِ بمعنى التَّرامي وقيل بمعنى يتمنون من قولِهم ادعُ على ما شئتَ بمعنى تمنَّه علي وقال الزَّجَّاجُ هو من الدُّعاءِ أي ما يدعُو به أهلُ الجنَّةِ يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعلِ كالاحتمالِ بمعنى الحملِ والارتحالِ بمعنى الرِّحلةِ ويعضدُه القراءةُ بالتَّخفيفِ كما ذكره الكواشيُّ.

وقوله تعالى: ﴿**سلامٌ**﴾ على التَّقديرِ الأوَّلِ بدلٌ من ما يدَّعُون. أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ. وقوله تعالى ﴿**قولًا**﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعلٍ هو صفةٌ لسلامٌ وما بعده من الجارِّ متعلِّقٌ بمضمر هو صفةٌ له كأنَّه قيل ولهم سلامٌ أو ما يدَّعُون سلامٌ يُقال لهم قَولًا كائنًا ﴿**من**﴾ جهةِ ﴿**ربٍّ رحيم**﴾ أي يُسلَّم عليهم من جهتِه تعالى بواسطة المَلَكِ أو بدونِها مبالغةً في تعظيمهم. قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: والملائكةُ يدخلُون عليهم

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، والأعمش، وعبد الله السلمي، وطلحة، وعبيد بن عمير، ويحيى، وخلف. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٢)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٩)، والمعاني للفراء (٢/ ٤٢٨).

(٢) سقط في ط.

بالتَّحيةِ من ربِّ العالمين. وأمَّا على التَّقديرِ الثَّاني فقد قيل إنَّه خبرٌ لمَا يدَّعُون ولهم لبيان الجهةِ كما يُقال لزيدٍ الشَّرفُ متوفِّرٌ. على أنَّ الشَّرفَ مبتدأٌ ومتوفِّرٌ خبرُه والجارُّ والمجرورُ لبيانِ مَن له ذلك أي ما يدَّعُون سالمٌ لهم خالصٌ لا شوبَ فيه. وقولًا حينئذٍ مصدرٌ مؤكَّدٌ لمضمون الجملةِ أي عدةٌ من ربٍّ رحيم. والأوجَهُ أنْ ينتصبَ على الاختصاصِ. وقيل هو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ، أي لهم سلَامٌ أي تسليمٌ قولًا من ربٍّ رحيم. أو سلامةٌ من الآفاتِ فيكون قولًا مصدرًا مؤكدًا لمضمونِ الجملة كما سبقَ وقيلً: تقديرُه سلامٌ عليهم فيكون حكايةً لما سيقالُ لهم من جهتِه تعالى يومئذٍ وقيل: خبرُه الفعلُ المقدَّر ناصبًا لقولًا وقيل: خبرُه من ربٍّ رحيم. وقرئ[1] سلامًا بالنَّصبِ على الحاليَّةِ أي لهم مرادُهم سالمًا خالِصًا. وقرئ[2] سلْمٌ وهو بمعنى السَّلامِ[3] في المعنيينِ.

﴿وامتازُوا اليومَ﴾ عطفٌ إمَّا على الجملة السَّابقةِ المسوقة لبيان أحوالِ أهل الجنَّةِ لا على أنَّ المقصودَ عطف فعل الأمر بخصُوصهِ حتى يتحملَ[4] له مشاكل يصحُّ عطفه عليه، بل على أنَّه عطفُ قصَّةِ سوء حال هؤلاءِ وكيفيَّة عقابِهم على قصَّةِ حُسن حال أولئك ووصف ثوابِهم كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿وبشِّرِ الذينَ آمنُوا﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٥] الآيةَ وكأنَّ تغيير السَّبكِ لتخييل كمالِ التَّباينِ بين الفريقينِ وحاليهما. وإمَّا على مضمرٍ تنساق إليه حكايةُ حال أهل الجنَّةِ كأنَّه قيل: إثرَ بيان كونِهم في شغل عظيمِ الشَّأنِ وفوزهم بنعيم مقيمٍ يقصرُ عنه البيانُ فليقرُّوا بذلك عينًا وامتازُوا عنهم ﴿أيُّها المجرمون﴾ إلى مصيرِكم. وعن قَتادةَ: اعتزلُوا عن كلِّ خير. وعن الضَّحَّاكِ: لكلِّ كافر بيتٌ من النَّارِ يكون فيه لا يَرى ولا يُرى. وأمَّا ما قيل: من أنَّ المضمرَ فليمتازوا فبمعزلٍ من السَّدادِ لما أنَّ المحكيَّ عنهم ليس مصيرهم إلى ما ذُكر من الحال المرضيةِ حتَّى يتسنَّى ترتيب الأمر المذكور عليه بل إنَّما هو استقرارُهم عليها بالفعل، وكونُ ذلك بطريق تنزيل المترقَّبِ منزلةَ الواقع لا يُجدي نفعًا لأنَّ مناطَ

---

(١) قرأ بها: أُبي، وعبد الله بن مسعود، وعيسى الثقفي، والقنوي، وابن أبي إسحاق.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٥٠)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٠).

(٢) قرأ بها: محمد بن كعب القرظي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٤، ٢١٥).

(٣) في خ: السلم.

(٤) في ط: يتمحل.

الإضمار انسياقُ الأفهام إليه وانصبابُ نظم الكلام عليه، فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلَة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقامُ من النُّكتةِ البَارعة والحكمة الرَّائعةِ حسبما مرَّ بيانه وأسقط كونها مترقبةً عن درجة الاعتبار بالكُلِّيةِ يكون التَّصدِّي لإضمار شيء يتعلَّقُ به إخراجًا للنَّظْمَ الكريم عن الجَزالة بالمرَّةِ.

﴿ألم أعهدْ إليكُم يا بني آدمَ ألا تعبدُوا الشَّيطانَ﴾ من جُملة ما يُقال لهم بطريق التَّقريعِ والإلزام والتَّبكيتِ بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنَّمَ بقوله تعالى: ﴿اصلوها اليوم﴾ [سورة يس، الآية ٦٤] . . . إلخ والعهد [هو][1] الوصيةُ والتَّقدُّمُ بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هاهنا ما كلَّفهم الله تعالى على ألسنةِ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ من الأوامرِ والنَّواهي التي من جُملتِها قوله تعالى: ﴿يا بني آدمَ لا يفتنَّنكم الشَّيطانُ كما أخرج أبويكم من الجنَّةِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٢٧] الآيةَ وقوله تعالى: ﴿ولا تتَّبعوا خُطواتِ الشَّيطانِ إنَّه لكم عدوٌّ مبين﴾ [سورة البقرة، الآية ١٦٨ و٢٠٨. وسورة الأنعام، الآية ١٤٢] وغيرهما من الآياتِ الكريمةِ الواردة في هَذا المعنى، وقيل: هو الميثاقُ المأخوذُ عليهم حين أُخرجوا من ظهور بني آدمَ وأُشهدوا على أنفسهم وقيل: هو ما نُصب لهم من الحُججِ العقليَّةِ والسمعيَّةِ الآمرةِ بعبادته تعالى الزَّاجرةِ عن عبادة غيرِه. والمرادُ بعبادة الشَّيطانِ طاعتُه فيما يُوسوس به إليهم ويزيِّنه لهم، عبر عنها بالعبادة لزيادة التَّحذيرِ والتَّنفيرِ عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عزَّ وجلَّ. وقرئ[2] إعهد بكسرِ الهمزة، وأعهِد[3] بكسر الهاء، وأحهد[4] بالحاءِ مكان العين، وأحد[5] بالإدغامِ وهي لغةُ بني تميم ﴿إنَّه لكم عدوٌّ مبين﴾ أي ظاهرُ العداوةِ وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهيِّ عنه وقيل تعليل للنَّهيِ.

﴿وأن اعبدُوني﴾ عطف على أنْ لا تعبدُوا على أنَّ أنْ فيهما مفسِّرةٌ للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر، أو مصدريةٌ حُذف عنها الجارُّ أي ألم أعهد إليكم في ترك عبادةِ الشَّيطانِ وفي عبادتي. وتقديم النَّهي على الأمر لما أنَّ حقَّ التَّخليةِ التقدم على

(١) سقط في ط.
(٢) قرأ بها: طلحة، والهذيل بن شرحبيل.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٧).
(٣) قرأ بها: يحيى بن وثاب.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٢٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٣).
(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٣).
(٥) قرأ بها: يحيى بن وثاب.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٣).

التحلية كما في كلمة التَّوحيدِ وليتصل به قوله تعالى ﴿هذا صراطٌ مستقيمٌ﴾ فإنَّه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارةٌ عن التَّوحيدِ والإسلام، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿هذا صراطٌ عليَّ مستقيمٌ﴾ [سورة الحجر، الآية ٤١] والمقصود بقوله تعالى: ﴿لأقعدنَّ لهم صراطَك المستقيمَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٦] والتَّنكيرُ للتَّفخيمِ، واللام في قوله تعالى ﴿ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيرًا﴾ جواب قسم محذوف والجملة استئناف مَسوق لتشديد التَّوبيخِ وتأكيد التَّقريعِ ببيان أن جناياتِهم ليستْ بنقض العهدِ فقط بل به وبعدم الاتِّعاظِ بما شاهدوا من العقوبات النَّازلةِ على الأُمم الخاليةِ بسبب طاعتهم الشَّيطانَ، فالخطابُ لمتأخِّريهم الذين من جُملتهم كُفَّارُ مكَّةَ خُصُّوًا بزيادة التَّوبيخ والتَّقريعِ لتضاعف جناياتهِم والجِبِلُّ بكسرِ الجيم والباءِ وتشديدِ اللاَّم الخَلْقُ. وقرئ[(١)] بضمَّتينِ وتشديدٍ، وبضمَّتينِ[(٢)] وتخفيفٍ، وبضمَّةٍ[(٣)] وسكونٍ، وبكسرتينِ[(٤)] وتخفيفٍ، وبكسرةٍ[(٥)] وسكونٍ. والكلُّ لغاتٌ. وقرئ[(٦)] جِبَلًا جمعُ جِبْلةٍ كفِطَرٍ وخِلَقٍ في جمعِ فِطْرةٍ وخِلْقةٍ. وقرئ[(٧)] جِيْلًا بالياء وهو الصِّنفُ من النَّاسِ أي وبالله لقد

---

(١) قرأ بها: روح، والحسن، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وعبد الله بن عبيد بن عمير، والنضر بن أنس، والزهري، وابن هرمز، وحفص بن حميد، وزيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٥).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، ورويس، وخلف، وابن محيصن، والحسن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٣٠)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٩).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، والهذيل بن شرحبيل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٠)، والتيسير للداني ص (١٨٤)، والحجة لابن خالويه ص (٢٩٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢١٩).

(٤) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).

(٥) قرأ بها: عاصم، والأشهب، والعقيلي، وأبو يحيى، واليماني، وحماد بن سلمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٦).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٢٨).

(٧) قرأ بها: علي بن أبي طالب، ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).

أضلَّ منكم خَلْقًا كثيرًا أو صِنفًا كثيرًا عن ذلك الصِّراطِ المستقيم الذي أمرتُكم بالثَّباتِ عليه فأصابهم لأجلِ ذلك ما أصابَهم من العُقوبات الهائلةِ التي ملأ الآفاقَ أخبارُها وبقي مدى الدَّهرِ آثارُها. والفاءُ في قوله تعالى: ﴿**أفلم تكونُوا تعقلون**﴾ للعطفِ على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقامُ أي أكنتُم تشاهدونَ آثارَ عقوباتِهم فلم تكونوا تعقلون أنَّها لضُلالِهم أو فلم تكونُوا تعقلون شيئًا أصلًا حتَّى ترتدعُوا عمَّا كانُوا عليه كي لا يحيقَ بكم العقابُ. وقوله تعالى: ﴿**هذه جهنَّمُ التي كُنتم تُوعدون**﴾ استئنافٌ يخاطَبون به بعد تمامِ التَّوبيخِ والتَّقريعِ والإلزامِ والتَّبكيتِ عند إشرافهم على شفير جهنَّمَ أي كنتم تُوعدونها على ألسنةِ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ بمقابلة عبادة الشَّيطانِ مثل قولِه تعالى: ﴿لأملأنَّ جهنَّم منك وممَّن تبعك منهم أجمعين﴾ [سورة ص، الآية ٨٥] وقوله تعالى: ﴿[قال][1] اذهبْ فمن تبعكَ منهم فإنَّ جهنَّمَ جزاؤكم جزاءً موفورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٦٣] وقولِه تعالى: ﴿قال اخرجْ منها مذؤومًا مدحُورًا لمَنْ تبعك منهم لأملأنَّ جهنَّمَ منكُم أجمعين﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨] وغيرِ ذلك مما لا يُحصى. وقوله تعالى: ﴿**اصلَوها اليوم بما كنتم تكفرون**﴾ أمر تنكيل وإهانة كقولِه تعالى: ﴿ذُقْ إنَّك أنتَ العزيزُ﴾ [سورة الدخان، الآية ٤٩] إلخ أي ادخلُوها من فوق وقاسُوا فنون عذابِها اليومَ بكفرِكم المستمرِّ في الدُّنيا. وقوله تعالى ﴿**اليوم نختمُ على أفواهِهم**﴾ أي ختمًا يمنعُها عن الكلامِ. التفاتٌ إلى الغَيبةِ للإيذانِ بأنَّ ذكر أحوالِهم القبيحةِ استدعى أنْ يُعرض عنهم ويَحكي أحوالَهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيماءِ إلى أنَّ ذلك من مقتضيات الختم لأنَّ الخطاب لتلقِّي الجواب، وقد انقطع بالكُليةِ، وقرئ[2] يُخْتَمُ. ﴿**وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلُهم بما كانُوا يكسبون**﴾ يُروى أنَّهم يجحدون ويُخاصمون فتشهد عليهم جيرانُهم وأهاليهم وعشائرُهم فيحلفون ما كانُوا مشركين فحينئذٍ يُختم على أفواهِهم وتكلم أيديهم وأرجلُهم. وفي الحديث: «**يقول العبدُ يوم القيامة إنِّي لا أجيزُ عليَّ شاهدًا إلا من نفسي فيُختم على فيهِ ويقال لأركانِه انطقي فتنطقُ بأعماله ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول بُعدًا لكنّ وسُحقًا فعنكنَّ كنتُ أناضلُ**»[3] وقيل: تكليمُ الأركانِ وشهادتُها دلالتها على أفعالها وظهورُ آثارِ المعاصي عليها.

---

(١) سقط في خ.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٠) كتاب الزهد والرقائق، برقم (١٧/ ٢٩٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقرئ[(١)] وتتكلَّمُ أيديهم وقرئ[(٢)] ولتكلَّمَنا أيديهم وتشهد[(٣)] بلام كَيْ والنَّصبِ على معنى ولذلك نختِم على أفواهِهم وقرئ[(٤)] ولتكلِّمْنا أيديهم ولتشهدْ[(٥)] بلام الأمرِ والجزمِ ﴿**ولو نشاء لطمسنا على أعينهم**﴾ الطَّمسُ تعفيةُ شقِّ العينِ حتَّى تعودَ ممسوحةً. ومفعول المشيئة محذوفٌ على القاعدة المستمرَّةِ التي هي وقوعها شرطًا وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أنْ نطمسَ على أعينهم لفعلناه. وإيثارُ صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المُضيِّ لإفادة أنَّ عدمَ الطَّمس على أعينهم لاستمرار عدمِ المشيئة، فإنَّ المضارعَ المنفيَّ الواقع موقع الماضي ليس بنصٍّ في إفادة انتفاء استمرارِ الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿ولو يُعجل الله للنَّاس الشَّر استعجالَهم بالخيرِ﴾ [سورة يونس، الآية ١١] ﴿**فاستبقُوا الصِّراطَ**﴾ أي فأرادوا[(٦)] أنْ يستبقُوا إلى الطَّريقِ الذي اعتادُوا سلوكَه. على أنَّ انتصابه بنزع الجارِّ أو هو بتضمين الاستباقِ معنى الابتدارِ أو بالظَّرفيةِ ﴿**فأنَّى يُبصرون**﴾ الطَّريقَ[(٧)] وجهة السلوك ﴿**ولو نشاءُ لمسخناهم**﴾ بتغيير صُورِهم وإبطال قواهم ﴿**على مكانتِهم**﴾ أي مكانِهم إلا أن المكانة أخصُّ كالمَقامةِ والمَقامِ. وقرئ[(٨)] على مكاناتهم أي لمسخناهم مسخًا يُجمِّدهم مكانَهم لا يقدرون أنْ يبرحُوه بإقبالٍ ولا إدبارٍ ولا رجوعٍ وذلك قوله تعالى ﴿**فما استطاعوا مُضيًّا ولا يرجعون**﴾ أي ولا رجوعًا فوُضعَ موضعَه الفعلُ لمراعاةِ الفاصلةِ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قردةً وخنازيرَ، وقيل: حجارةً وعن قَتادةَ لأقعدناهم على أرجلِهم وأزمنَّاهم[(٩)]. وقرئ[(١٠)] مِضيًّا بكسر الميمِ وفتحها[(١١)]. وليسَ مساقُ الشَّرطيتينِ

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).
(٢) قرأ بها: طلحة، ومحمد بن طلحة، وعبد الرحمن بن محمد بن طلحة، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٦)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨١).
(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).
(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).
(٥) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨).
(٦) في خ: فأدوا.
(٧) في ط: الطريقة.
(٨) قرأ بها: عاصم، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والتيسير للداني ص (١٠٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (١/ ٤٥٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٣، ٣٥٥).
(٩) أزمنَّاهم: جعلناهم زمنى.
(١٠) قرأ بها: الكسائي، وأحمد بن جبد الأنطاكي، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٩).

=

لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذُكر من عقوبة الطَّمسِ والمسخ بل لبيان أنَّهم بما هم عليه من الكُفرِ ونقض العهد وعدم الاتِّعاظِ بما شاهدُوا من آثارِ دمارِ أمثالِهم أحقَّاءُ بأنْ يُفعلَ بهم في الدُّنيا تلك العقوبة كما فُعل بهم في الآخرةِ عقوبةُ الختم وأنَّ المانع من ذلك ليس إلا عدمُ تعلُّق المشيئة الإلهيَّةِ به كأنَّه قيل: لو نشاء عقوبتَهم بما ذُكر من الطَّمسِ والمسخ جريًا على موجب جناياتهم المستدعيةِ لها لفعلناها ولكنَّا لم نشأها جريًا على سَنَنِ الرَّحمةِ والحكمة الدَّاعيتينِ إلى إمهالهم ﴿ومن نُعمره﴾ أي نُطل عمره ﴿نُنكسْه في الخَلْق﴾ أي نقلبه فيه ونخلقه على عكسِ ما خلقناه أوَّلًا، فلا يزال يتزايدُ ضعفُه وتتناقصُ قوَّتُه وتُنتقص بنيتُه ويتغير شكلُه وصورتُه حتَّى يعودَ إلى حالةٍ شبيهةٍ بحال الصبيِّ في ضعف الجسدِ وقلَّةِ العقلِ والخلوِّ عن الفهم والإدراكِ. وقرئ[1] نَنكُسْه من الثُّلاثيِّ المجرَّدِ ونُنْكِسه[2] من الإنكاسِ. ﴿أفلا يعقلون﴾ أي أيرَون ذلك فلا يعقلون أنَّ مَن قَدَر على ذلك يقدِرُ على ما ذُكر من الطَّمسِ والمسخِ وأنَّ عدم إيقاعِهما لعدم تعلُّقِ مشيئته تعالى بهما. وقرئ[3] تعقلون بالتَّاءِ لجري الخطابِ قبلَه.

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ

= (١١) قرأ بها: أبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٩).

(١) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وعاصم، وحفص، وهبيرة، وأبان، وأبو جعفر، والحسن، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٩).

(٣) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وابن ذكوان، وأبو جعفر، ويعقوب، وعباس، والداجوني، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والكشف للقيسي (١/ ٤٢٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٧).

ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿**وما علَّمناهُ الشِّعرَ**﴾ ردٌّ وإبطالٌ لما كانُوا يقولونَه في حقِّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من أنَّه شاعرٌ وما يقولُه شعرٌ أي ما علَّمناه الشِّعر بتعليمِ القُرآن على أنَّ القُرآنَ ليسَ بشعرٍ فإنَّ الشِّعرَ كلامٌ متكلَّفٌ موضوعٌ ومقالٌ مزخرَفٌ مصنوعٌ منسوجٌ على منوالِ الوزن والقافيةَ مبنيٌّ على خيالاتٍ وأوهامٍ واهيةٍ فأين ذلك من التَّنزيلِ الجليلِ الخطِرِ المنزَّهِ عن مماثلةِ كلامِ البشر المشحون بفُنونِ الحِكَمِ والأحكامِ الباهرةِ الموصِّلةِ إلى سعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، ومن أين اشتبهت عليهم الشؤون واختلطَت بهم الظُّنون قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون ﴿**وما ينبغي له**﴾ وما يصحُّ له الشِّعرُ ولا يتأتَّى له لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرضَ الشِّعرِ لم يتأتَّ له كما جعلناه أميا لا يهتدي للخطِّ لتكون الحجَّةُ أثبتَ والشُّبهةُ أدحضَ. وأما قولُه عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنا النبيُّ لا كذب أنا ابنُ عبد المطَّلب**»[1] وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: [الرجز]

«**هــل أنــتِ إلا أصــبعٌ دمــيــتِ وفــي ســبــيــل الله مــا لــقــيــتِ**»[2]

فمنْ قبيلِ الاتفاقاتِ الواردةِ من غير قصدٍ إليها وعزمٍ على ترتيبها. وقيل: الضَّميرُ في له للقُرآنِ أي وما ينبغي للقُرآنِ أنْ يكونَ شِعرًا ﴿**إنْ هُو**﴾ أي ما للقُرآن ﴿**إلا ذكرٌ**﴾ أي عظةٌ من الله عزَّ وجلَّ وإرشادٌ للثَّقلين كما قال تعالى: ﴿إنْ هُو إلا ذكرٌ للعالمينَ﴾ [سورة التكوير، الآية ٢٧] ﴿**وقرآنٌ مُبين**﴾ أي كتابٌ سماويٌّ بيِّنٌ كونه كذلك أو فارقٌ بين الحقِّ والباطلِ يُقرأ في المحاريبِ ويُتلى في المعابدِ ويُنال بتلاوتِه والعملِ بما فيه فوزُ الدَّارينِ فكم بينَهُ وبينَ ما قالُوا ﴿**لينذِرَ**﴾ أي القُرآنُ أو الرَّسولُ عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٠٥) كتاب الجهاد، باب: من صف أصحابه عند الهزيمة برقم (٢٩٣٠)، ومسلم (٣/ ١٤٠٠) كتاب الجهاد، باب: غزوة حنين، برقم (٧٨/ ١٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٩) كتاب الجهاد، باب: من ينكب في سبيل الله، برقم (٢٨٠٢)، ومسلم (٣/ ١٤٢١) كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين برقم (١١٢/ ١٧٩٦).

والسلام ويُؤيِّده القراءةُ[1] بالتَّاءِ، وقرئ[2] لينذر من نذر به أي علمه، ولِيُنذرَ[3] مبنيًّا للمفعولِ من الإنذارِ. ﴿منَ كان حيًّا﴾ أي عاقِلًا متأمِّلًا، فإنَّ الغافلَ بمنزلةِ الميِّتِ، أو مؤمنًا في علمِ الله تعالى فإن الحياةَ الأبديَّةَ بالإيمانِ، وتخصيصُ الإنذار به لأنَّه المنتفعُ به ﴿ويحقَّ القولُ﴾ أي تجبُ كلمةُ العذابِ ﴿على الكافرينَ﴾ المصرِّين على الكفرِ، وفي إيرادِهم بمقابلةِ مَن كان حيًّا إشعارٌ بأنَّهم لخلوِّهم عن آثارِ الحياةِ وأحكامِها التي هي المعرفةُ أمواتٌ في الحقيقةِ.

﴿أوَلم يَروا﴾ الهمزةُ للإنكار والتَّعجيبِ والواو للعطفِ على جملةٍ منفيَّةٍ مقدَّرةٍ مستتبعةٍ للمعطوفِ أي ألم يتفكروا أو ألم يلاحظُوا ولم يعلمُوا علمًا يقينيًّا مُتاخِمًا للمُعاينةِ. ﴿أنَّا خلقنا لهم﴾ أي لأجلِهم وانتفاعِهم ﴿مما عَمِلت أيدينا﴾ أي ممَّا تولينا إحداثَه بالذَّاتِ وذكرُ الأيدي وإسنادُ العمل إليها استعارةٌ تفيد مبالغة في الاختصاص والتَّفردِ بالأحداث والاعتناء به. ﴿أنعامًا﴾ مفعولُ خلقنَا وتأخيره عن الجارينِ المتعلِّقين به مع أنَّ حقَّه التَّقدمُ عليهما لما مرَّ مرارًا من الاعتناء بالمقدَّمِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ فإنَّ ما حقُّه التَّقدِيمُ إذا أُخِّر تبقى النَّفسُ مترقبة له فيتمكن عند ورودِه عليها فضل تمكُّنٍ لا سيَّما عند كونِ المقدَّم منبئًا عن كونِ المؤخَّر أمرًا نافعًا خطيرًا كما في النَّظمِ الكريم فإنَّ الجارَّ الأول المُعربَ عن كون المؤخَّرِ من منافعهم، والثَّاني المفصح عن كونه من الأمورِ الخطيرةِ يزيدان النَّفسَ شوقًا إليه ورغبةً فيه ولأنَّ في تأخيره جمعًا بينه وبين أحكامِه المتفرِّعةِ عليه بقوله تعالى ﴿فهُم لها مالِكون﴾ الآياتِ الثلاثَ أي: فمَلَّكناها إيَّاهمُ وإيثارُ الجملة الاسميَّةِ على ذلك للدِّلالةِ على استقرارِ مالكيتِهم لها واستمرارِها. واللَّامُ متعلِّقةٌ بـ (مالكون) مقويةٌ لعمله أي فهُم مالِكون لها بتمليكِنا إياها لهم متصرِّفون فيها بالاستقلالِ مختصُّون بالانتفاع بها لا يُزاحمهم في ذلك غيرُهم أو قادرون على ضبطها متمكِّنون من التَّصرُّفِ فيها بأقدارِنا وتمكيننا

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وأبو عبيد، وسهل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٣)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٠)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٠٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٥).

(٢) قرأ بها: أبو السمال، واليماني، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٠).

(٣) قرأ بها: اليماني، والجحدري.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٣)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٦).

وتسخيرِنا إيَّاها لهم كما في قولِ مَن قال: [المنسرح]

أصبحتُ لا أحملُ السِّلاحَ ولاَ أملكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرا[1]

والأَوَّلُ هو الأظهرُ ليكون قوله تعالى ﴿وذللناهَا لهم﴾ تأسيسًا لنعمه[2] على حيالِها لا تتمَّةً لما قبلها أي صيَّرناها منقادةً لهم بحيثُ لا تستعصِي عليهم في شيءٍ مما يُريدون بها حتَّى الذَّبح حسبما ينطقُ به قوله تعالى ﴿فمنها ركوبُهم﴾ إلخ [فإنَّ][3] الفاء فيه لتفريع أحكام التَّذليلِ عليه وتفصيلها أي فبعضٌ منها ركوبُهم أي مركوبُهم أي معظم منافعها الرُّكوبُ، وعدم التَّعرضِ للحمل لكونِه من تتمَّاتِ الرُّكوبِ. وقرئ[4] ركوبتُهم وهي بمعناه كالحَلوبِ والحَلوبةِ وقيل: الرَّكوبةُ اسم جمع وقرئ[5] رُكوبُهم أي ذُو رُكوبِهم ﴿ومنها يأكلون﴾ أي وبعضٌ منها يأكلون لحمه ﴿ولهم فيها﴾ أي في الأنعامِ بكِلا قسميها ﴿منافعُ﴾ أُخرُ غيرُ الرُّكوبِ والأكلِ كالجلودِ والأصوافِ والأوبارِ وغيرِها وكالحِراثةِ بالثِّيران ﴿ومشاربُ﴾ من اللَّبنِ جمع مَشربٍ وهذا مجمل ما فُصِّل في سورة النَّحلِ ﴿أفلا يشكرون﴾ أي أيُشاهدون هذه النِّعمَ أو أيتنعَّمون بها فلا يشكرونَ المنعمَ بها.

﴿واتَّخذوا من دُونِ الله﴾ أي متجاوزينَ الله تعالى الذي شاهدُوا تفرُّدَه بتلك القدرةِ الباهرةِ وتفضُّله عليهم بهاتيك النِّعم المتظاهرةِ ﴿آلهةً﴾ من الأصنام وأشركوهَا به تعالى في العبادة ﴿لعلَّهم يُنصرون﴾ رجاءَ أنْ يُنصروا من جهتِهم فيما حزبَهم من الأمورِ أو يشفعُوا لهم في الآخرةِ وقوله تعالى: ﴿لا يستطيعون نصرَهم﴾ إلخ استئنافٌ سيق لبيان بُطلانِ رأيهم وخيبةِ رجائِهم وانعكاسِ تدبيرِهم أي لا تقدرُ آلهتُهم على نصرِهم

---

(١) البيت للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى (١/ ٢٥٥)، وحماسة البحتري ص(٢٠١)، وخزانة الأدب (٧/ ٣٨٤)، وشرح التصريح (٢/ ٣٦)، والكتاب (١/ ٨٩)، ولسان العرب (ضمن)، والمقاصد النحوية (٣/ ٣٩٨)، وبلا نسبة في الرد على النحاة ص(١١٤)، وشرح المفصل (٧/ ١٠٥)، والمحتسب (٢/ ٩٩).

(٢) في خ: للنعمة.

(٣) سقط في ط.

(٤) قرأ بها: عائشة، وعروة، وهشام بن عروة، وأُبي بن كعب.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٧)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٣٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٥٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٣)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨١).

(٥) قرأ بها: الحسن، والمطوعي، وأبو البرهسم، والأعمش، وابن السميفع.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٥٦)، والكشاف للزمخشري (٢/ ٣٣٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٦).

﴿وهم﴾ أي المشركون ﴿لهم﴾ أي لآلِهتهم ﴿جندٌ محضَرُون﴾ يشيِّعونهم عند مساقِهم إلى النَّارِ، وقيل: مُعَدُّون في الدُّنيا لحفظِهم وخدمتِهم والذبِّ عنهم، ولا يساعده مساقُ[١] النَّظمِ الكريم فإنَّ الفاء في قوله تعالى ﴿فلا يحزُنْك قولُهم﴾ لترتيب النَّهيِ على ما قبله فلا بُدَّ أنْ يكونَ عبارةً عن خسرانِهم وحرمانِهم عمَّا علَّقوا به أطماعَهم الفارغةَ وانعكاسُ الأمرِ عليهم بترتب[٢] الشَّرِّ على ما رتَّبوه لرجاءِ الخير فإن ذلك مما يُهوِّن الخطبَ ويورث السَّلوةَ، وأما كونُهم معدِّين لخدمتِهم وحفظِهم فبمعزلٍ من ذلكَ والنَّهيُ وإنْ كان بحسبِ الظَّاهرِ متوجِّهًا إلى قولهم لكنه في الحقيقة متوجِّهٌ إلى رسولِ الله ﷺ ونهيٌ له عليه السَّلامُ من التَّأثرِ منه بطريقِ الكنايةِ على أبلغِ وجهٍ وآكدِه فإن النَّهيَ عن أسبابِ الشَّيءِ ومبادئهِ المؤدِّيةِ إليه نهيٌ عنه بالطَّريقِ البُرهانِّي وإبطال للسَّببيةِ وقد يُوجَّه النَّهيُ إلى المسبَّبِ ويراد النَّهيُ عن السَّببِ كما في قولِه لا أرينك هَهُنا يريد به نهيَ مخاطبه عن الحضورِ لديهِ والمرادُ بقولِهم ما ينبىء عنه ما ذُكر من اتِّخاذهم الأصنامَ آلهةً فإنَّ ذلكَ مما لا يخلُو عن التَّفوه بقولِهم هؤلاءِ آلهتُنا وأنهم شركاءُ الله سبحانه في المعبوديةِ وغير ذلك مما يُورث الحزنَ. وقرئ[٣] يُحزِنك بضمِّ الياء وكسرِ الزَّاي من أحزنَ المنقولِ من حزنَ اللازمِ وقوله تعالى:

﴿إنَّا نعلمُ ما يُسرُّون وما يُعلنون﴾ تعليلٌ صريحٌ للنَّهي بطريقِ الاستئنافِ بعد تعليلِهِ بطريقِ الإشعارِ[٤] فإنَّ العلمَ بما ذُكر مستلزمٌ للمجازاةِ قطعًا أي إنَّا نجازيهم بجميعِ جناياتهم الخافيةِ والباديةِ التي لا يعزُبُ عن علمنا شيءٌ منها وفيه فضلُ تسليةٍ لرسولِ الله ﷺ وتقديم السرِّ على العَلَنِ إمَّا للمبالغةِ في بيان شمولِ علمهِ تعالى لجميعِ المعلوماتِ كأنَّ علمه تعالى بما يسرُّونه أقدمُ منه بما يعلنونَه مع استوائِهما في الحقيقةِ فإنَّ علمَه تعالى بمعلوماتهِ ليس بطريقِ حصولِ صورها بل وجود كلِّ شيءٍ في نفسِه علم بالنِّسبةِ إليه تعالى، وفي هذا المعنى لا يختلفُ الحالُ بين الأشياءِ البارزةِ والكامنةِ وإما لأن مرتبةَ السرِّ متقدمةٌ على مرتبة العَلَنِ إذ ما من شيءٍ يعلن إلا وهو أو مباديه مضمرٌ في القلبِ قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدِّم على تعلقهِ بحالتهِ الثَّانية حقيقة.

---

(١) في خ: سياق.
(٢) في ط: بترتيب.
(٣) قرأ بها: نافع.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والتبيان للطوسي (٨/ ٣٤٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٤).
(٤) في خ: الاستئناف.

﴿أوَلم ير الإنسانُ أنَّا خلقناهُ من نطفةٍ﴾ كلام مستأنفٌ مسوق لبيان بطلانِ إنكارِهم البعثِ بعد ما شاهدوا في أنفسِهم أوضحَ دلائلِهِ وأعدلَ شواهده كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلانِ إشراكهم بالله تعالى بعدما عاينُوا فيما بأيديهم ما يوجب التَّوحيدَ والإسلامَ وأما ما قيلَ من أنَّه تسليةٌ ثانيةٌ لرسولِ الله ﷺ بتهوينِ ما يقولونَهُ بالنِّسبةِ إلى إنكارِهم الحشرَ فكَلاًّ والهمزةُ للإنكارِ والتَّعجيبِ والواوُ للعطفِ على جملةٍ مقدَّرةٍ هي مستتبعة للمعطوفِ كما مرَّ في الجملة الإنكارية السابقةِ أي ألم يتفكر الإنسانُ ولم يعلم علمًا يقينيًا أنا خلقناهُ من نطفةٍ إلخ أو هي عين الجملة السابقةِ أعيدتْ تأكيدًا للنكيرِ السَّابقِ وتمهيدًا لإنكارِ ما هو أحقُّ منه بالإنكارِ والتَّعجيبِ لما أنَّ المنكرَ هناك عدمُ علمِهم بما يتعلَّقُ بخلقِ أسبابِ معايشهم وهاهنا عدمُ علمهم بما يتعلَّق بخلقِ أنفسهم. ولا ريبَ في أن علمَ الإنسانِ بأحوالِ نفسهِ أهمُّ وإحاطته بها أسهلُ وأكملُ، فالإنكارُ والتَّعجيبُ من الإخلالِ بذلك أدخلُ كأنَّه قيل ألم يعلمُوا خلقَه تعالى لأسبابِ معايشهم ولم يعلمُوا خلقه تعالى لأنفسِهم أيضًا مع كونِ العلمِ بذلك في غايةِ الظُّهور ونهايةِ الأهميةِ على معنى أنَّ المنكر الأول بعيدٌ قبيحٌ والثاني أبعدُ وأقبحُ ويجوزُ أنْ تكونَ الواوُ لعطفِ الجملةِ الإنكاريَّةِ الثَّانيةِ على الأُولى على أنَّها متقدِّمة في الاعتبارِ وأنَّ تقدمَ الهمزةِ عليها لاقتضائها الصَّدارة في الكلامِ كما هو رأيُ الجمهورِ وإيرادُ الإنسانِ موردَ الضَّميرِ لأنَّ مدارَ الإنكارِ متعلِّقٌ بأحوالِهِ من حيثُ هو إنسانٌ كما في قوله تعالى: ﴿أولا يذكرُ الإنسانُ أنَّا [خلقناهُ من قبلُ ولم يكُ شيئًا﴾][1] [سورة مريم، الآية ٦٧] وقولُه تعالى: ﴿**فإذَا هُو خصيمٌ مبينٌ**﴾ أي شديدُ الخُصومةِ والجدالِ بالباطلِ عطفٌ على الجملةِ المنفيَّةِ داخلٌ في حيِّزِ الإنكارِ والتَّعجيبِ كأنَّه قيل أولم يَرَ أنَّا خلقناهُ من أخسِّ الأشياءِ وأمهنِها ففاجأ خصومتنا في أمرٍ يشهدُ بصحَّتهِ وتحقُّقهِ مبدأُ فطرته شهادةً بيِّنةً وإيرادُ الجملةِ الاسميَّةِ للدِّلالةِ على استقرارِه في الخُصومةِ واستمرارِه عليها. رُوي أنَّ جماعةً من كفَّارِ قُريشٍ منهم أُبيُّ بن خَلَفٍ الجُمحيُّ وأبُو جهلٍ والعاصِ بنُ وائلٍ والوليدُ بنُ المغيرة تكلَّموا في ذلكَ فقال لهم أُبيُّ بنُ خلفٍ: ألا ترون إلى ما يقولُ محمدٌ: «**إنَّ اللَّهَ يبعثُ الأمواتَ**» ثم قال: واللاَّتِ والعُزَّى لأَصيرنَّ إليه ولأخصِمنَّه وأخذ عظمًا باليًا فجعل يفتُّه بيدِه ويقولُ: يا محمَّدُ أترى الله يُحيي هذا بعدما رُمَّ قال ﷺ: «**نعم ويبعثُك ويُدخلكَ جهنَّم**»[2] فنزلتْ. وقيل معنى

---

(١) سقط في خ.
(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٣/ ١٦٧) وقال: غريب بهذا اللفظ ونقله الثعلبي عن قتادة هكذا بلفظ المصنف.

=

قوله تعالى: ﴿فإذَا هو خَصيمٌ مُبين﴾ [سورة يس، الآية ٧٧] فإذا هُو بعدما كانَ ماءً مَهينًا رجلٌ مميِّزٌ منطيقٌ قادرٌ على الخصامِ مبينٌ مُعربٌ عمَّا في نفسِه فصيحٌ، فهو حينئذٍ معطوفٌ على خلقنا غيرُ داخلٍ تحت الإنكار والتَّعجيبِ بل هو من مُتمماتِ شواهدِ صحَّةِ البعثِ. فقولُه تعالى: ﴿**وضربَ لنا مَثَلًا**﴾ معطوفٌ حينئذٍ على الجُملة المنفيَّةِ داخلٌ في حيِّز الإنكارِ والتَّقبيحِ، وأمَّا على التَّقديرِ الأوَّلِ فهو عطفٌ على الجملة الفُجائيَّةِ، والمعنى ففاجأ خصومتنا وضربَ لنا مَثَلًا أي أوردَ في شأنِنا قصَّةً عجيبةً في نفس الأمرِ هي في الغرابةِ والبُعدِ عن العقولِ كالمَثَلِ، وهي إنكارُ إحيائنا العظامَ أو قصَّةً عجيبةً في زعمه واستبعدَها وعدَّها من قبيلِ المَثَلِ وأنكرَها أشدَّ الإنكارِ وهي إحياؤُنا إيَّاها وجعلَ لنا مَثَلًا ونظيرًا من الخلقِ وقاسَ قُدرتنا على قُدرتهم ونفى الكلَّ على العمومِ. وقوله تعالى: ﴿**ونسيَ خلقَه**﴾ أي خلقَنا إيَّاهُ على الوجهِ المذكورِ الدَّالِّ على بُطلانِ ما ضربه. إمَّا عطفٌ على ضربَ داخلٌ في حيِّزِ الإنكارِ والتَّعجيبِ أو حالٌ من فاعله بإضمارِ قَدْ أو بدونه. وقولُه تعالى: ﴿**قال**﴾ استئنافٌ وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ ضربهِ المثلَ كأنَّه قيل أيَّ مَثَلٍ ضربَ أو ماذا قال فقيل قال: ﴿**مَن يحيي العظامَ**﴾ منكِرًا له أشد النَّكيرِ مؤكِّدًا له بقوله تعالى: ﴿**وهي رميمٌ**﴾ أي باليةٌ أشدَّ البلى بعيدةٌ من الحياةِ غاية البُعدِ فالمَثَلُ على الأوَّلِ هو إنكارُ إحيائهِ تعالى للعظام فإنَّه أمرٌ عجيبٌ في نفسِ الأمرِ حقيقٌ لغرابتهِ وبُعدهِ من العقولِ بأنْ يُعدَّ مثلًا ضرورةَ جزمِ العقول ببطلانِ الإنكارِ ووقوعِ المنكرِ لكونهِ كالإنشاءِ بل أهونُ منه في قياسِ العقلِ، وعلى الثَّاني هو إحياؤُه تعالى لها فإنَّه أمرٌ عجيبٌ في زعمهِ قد استبعدَهُ وعدَّه من قبيلِ المثل وأنكرَهُ أشدَّ الإنكارِ مع أنَّه في نفسِ الأمرِ أقربُ شيءٍ من الوقوعِ لما سبقَ من كونه مثلَ الإنشاءِ أو أهونَ منه، وأما على الثَّالثِ فلا فرقَ بين أنْ يكون المَثَلُ هو الإنكارَ أو المنكرَ. وعدمُ تأنيثِ الرَّميمِ مع وقوعهِ خبرًا للمؤنَّثِ لأنَّه اسمٌ لما بَلِيَ من العظامِ غير صفة كالرُّفاتِ، وقد تمسَّك بظاهرِ الآيةِ الكريمةِ من أثبتَ للعظمِ حياةً وبنى عليه الحكم بنجاسةِ عظمِ الميتةِ، وأما أصحابُنا فلا يقولونَ بحياته كالشَّعرِ ويقولون

= وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٦٦) من حديث عمرو بن عون ثنا هيثم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعدما أرم؟ قال: نعم يبعث الله هذا يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال فنزلت الآيات:

﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.اهـ.

المرادُ بإحياءِ العظام ردُّها إلى ما كانتْ عليهِ من الغضاضةِ والرُّطوبةِ في بدنٍ حيٍّ حسَّاسٍ ﴿قُل﴾ تبكيتًا له بتذكيرِ ما نسيَه من فطرته الدالَّةِ على حقيقةِ الحال وإرشاده[١] إلى طريقةِ الاستشهادِ بها ﴿يُحييها الذي أنشأها أوَّلَ مرةٍ﴾ فإنَّ قدرتَهُ كما هي لاستحالةِ التَّغير فيها والمادَّةُ على حالِها ﴿وهو بكلِّ خلقٍ عليمٌ﴾ مبالغٌ في العلم بتفاصيلِ كيفيَّاتِ الخلقِ والإيجادِ إنشاءً وإعادةً محيطٌ بجميعِ الأجزاءِ المتفتتة المتبدِّدةِ لكلِّ شخصٍ من الأشخاصِ أصولها وفروعها وأوضاعِ بعضها من بعضٍ من الاتِّصالِ والانفصالِ والاجتماع والافتراقِ فيعيدُ كلاًّ من ذلك على النَّمطِ السَّابقِ مع القُوى التي كانتْ قبلُ. والجملةُ إما اعتراضٌ تذييليٌّ مقرِّرٌ لمضمونِ الجوابِ أو معطوفةٌ على الصِّلةِ. والعدولُ إلى الجُملةِ الاسميَّةِ للتَّنبيهِ على أنَّ علمَه تعالى بما ذُكر أمرٌ مستمرٌّ ليسَ كإنشائهِ للمنشآتِ. وقولُه تعالى: ﴿الذي جعلَ لكُم من الشَّجرِ الأخضرِ نارًا﴾ بدلٌ من الموصول الأوَّلِ. وعدمُ الاكتفاءِ بعطف صلتهِ على صلتهِ للتَّأكيدِ ولتفاوتهما في كيفيَّةِ الدِّلالةِ. أي خلقَ لأجلكم ومنفعتِكم منه نارًا، على أنَّ الجعلَ إبداعيٌّ. والجارَّانِ متعلِّقانِ به قُدِّما على مفعوله الصَّريحِ مع تأخُّرهما عنه رتبةً لما مرَّ من الاعتناء بالمقدَّمِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ. ووصفُ الشَّجرِ بالأخضرِ نظرًا إلى اللَّفظِ. وقد قرئ[٢] الخَضراءِ نظرًا إلى المَعْنى. وهو المَرخُ والعفارُ يقطعُ الرَّجلُ منهما عُصيَّتينِ مثل السِّواكينِ وهما خَضْراوانِ يقطرُ منهما الماءُ فيسحقُ المرخَ وهو ذكرٌ على العفارِ وهو أُنثى فتنقدحُ النَّارُ بإذنِ الله تعالى وذلك قولُه تعالى: ﴿فإذا أنتُم منه تُوقدون﴾ فمن قدرَ على إحداثِ النَّارِ من الشَّجرِ الأخضرِ مع ما فيهِ من المائيَّةِ المُضادَّةِ لها بكيفيَّتِهِ كان أقدرَ على إعادةِ الغضاضةِ إلى ما كان غضًّا تطرأ عليه اليبوسةُ والبِلى.

وقوله تعالى: ﴿أوليسَ الذي خلقَ السَّمٰواتِ والأرضَ﴾ . . . إلخ استئنافٌ مسوقٌ من جهته عزَّ وجلَّ لتحقيق مضمون الجوابِ الذي أُمر عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بأنْ يُخاطبهم بذلك ويُلزمهم الحجَّة والهمزةُ للإنكارِ والنَّفيِ، والواوُ للعطفِ على مقدَّرٍ يقتضيهِ المقامُ أي أليسَ الذي أنشأها أوَّلَ مرَّةٍ وليس الذي جعلَ لهم من الشَّجرِ الأخضرِ نارًا وَليسَ الذي خلقَ السَّمواتِ والأرضَ مع كِبر جرمِهما وعظم شأنهما ﴿بقادرٍ على أنْ يخلقَ مثلَهم﴾ في الصِّغرِ والقَمَاءةِ بالنسبةِ إليهما فإنَّ بديهةَ[٣] العقلِ

---

(١) في خ: إرساله.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٢).

(٣) في خ: بديهية.

قاضيةٌ بأنَّ[1] مَن قدرَ على خلقهما فهو على خَلْقِ الأناسيِّ أقدرُ كما قال تعالى: ﴿لخلقُ السَّمٰواتِ والأرضِ أكبرُ من خلق الناس﴾ [سورة غافر، الآية ٥٧].

وقرئ[2] يقدِرُ وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ من جهته تعالى وتصريحٌ بما أفادَه الاستفهامُ الإنكاريُّ من تقريرِ ما بعد النَّفيِ وإيذانٌ بتعيُّنِ الجوابِ نطقُوا به أو[3] تلعثمُوا فيه مخافة الإلزامِ.

وقولُه تعالى: ﴿وهو الخلَّاق العليمُ﴾ عطفٌ على ما يفيدُه الإيجابُ أي بَلَى هو قادرٌ على ذلكَ وهو المبالغُ في الخلقِ والعلم كَيْفًا وكمًّا ﴿إنَّما أمرُه﴾ أي شأنُه ﴿إذَا أرادَ شيئًا﴾ من الأشياءِ ﴿أنْ يقولَ له كُنْ﴾ أي أنْ يعلِّقَ به قدرته ﴿فيكونُ﴾ فيحدُثُ من غيرِ توقُّفٍ على شيءٍ آخرَ أصلًا. وهذا تمثيلٌ لتأثيرِ قُدرتهِ تعالى فيما أرادَه بأمرِ الآمرِ المُطاعِ المأمورِ المطيعِ في سرعةِ حصولِ المأمورِ به من غيرِ توقُّفٍ على شيء مَا. وقرئ[4] فيكونَ بالنَّصب عطفًا على يقولَ ﴿فسبحانَ الذي بيده مَلَكُوتُ كلِّ شيءٍ﴾ تنزيهٌ له عزَّ وعلا عمَّا وصفُوه تعالى به وتعجيبٌ ممَّا قالوا في شأنهِ تعالى وقد مرَّ تحقيقُ معنى سبحانَ. والفاءُ للإشارةِ إلى أنَّ ما فُصِّل من شؤونهِ تعالى موجبةٌ لتنزُّهه وتنزيههِ أكملَ إيجابٍ كما أنَّ وصفَه تعالى بالمالكيةِ الكلِّيةِ المُطلقة للإشعارِ بأنَّها مقتضيةٌ لذلك أتمَّ اقتضاءٍ.

والملكوتُ: مبالغةٌ في المُلكِ كالرَّحموتِ والرَّهبوتِ وقرئ[5] ملكةُ كلِّ شيءٍ

---

(١) في خ: على أن.

(٢) قرأ بها: رويس، وأبو المنذر، وسلام، والجحدري، وابن أبي إسحاق، والأعرج، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٦)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٨)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٣٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٦٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٥).

(٣) في خ: و.

(٤) قرأ بها: ابن عامر، والكسائي، وابن عباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٣٧)، والتيسير للداني ص (١٣٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٠).

(٥) قرأ بها: المطوعي، وطلحة، والأعمش، وإبراهيم التيمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٦٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٢)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٤).

ومملكةُ[١][٢] كلِّ شيءٍ ومُلكُ[٣] كلِّ شيءٍ. ﴿وإليه تُرجعون﴾ لا إلى غيرِه وقرئَ[٤] ترجعون بفتحِ التَّاءِ من الرُّجوعِ وفيهِ من الوعدِ والوعيدِ ما لا يَخْفى. عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُما: كنتُ لا أعلَمُ ما رُوي في فضائلِ يٰس وقراءتها كيف خُصَّتْ بذلك فإذا أنه لهذه الآيةِ قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ لكلِّ شيءٍ قَلبًا وإنَّ قلبَ القُرآنِ يٰس مَن قَرأها يريدُ بها وجه الله تعالى غفرَ اللَّهُ له وأُعطيَ من الأجرِ كأنَّما قرأ القُرآنَ اثنتينِ وعشرينَ مرَّةً وأيَّما مسلمٍ قرئَ عنده إذَا نزل به مَلَكُ الموتِ سورةُ يٰس نزلَ بكلِّ حرفٍ منها عشرةُ أملاكٍ يقومون بين يديهِ صفوفًا يصلُّون عليهِ ويستغفرونَ له ويشهدونَ غسلَهُ ويتبعونَ جنازتَهُ ويصلُّون عليهِ ويشهدون دفنَهُ وأيَّما مسلمٍ قرأ يٰس وهو في سكراتِ الموتِ لم يقبضْ مَلَكُ الموتِ رُوحَه حتَّى يجيئه رَضوانُ خازنُ الجنَّةِ بشربةٍ من شراب الجنَّةِ فيشربها وهو عَلى فراشِه فيقبضُ مَلَكُ الموتِ رُوحَه وهو ريَّانُ ويمكثُ في قبرِهِ وهو ريَّانُ ولا يحتاجُ إلى حوضٍ من حياض الأنبياءِ حتَّى يدخلَ الجنَّة وهو ريَّانُ**»[٥]. وقال ﷺ: «**إنَّ في القُرآنِ سورةً تشفعُ لقارِئها وتستغفرُ لمستمِعها ألا وهيَ سورةُ يٰس**»[٦]. **والله الموفق بمنته وكرمه.**

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٢).

(٢) في خ: مملكته.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٢).

(٤) قرأ بها: زيد بن علي، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٤٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٠٨).

(٥) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٣٠) قال: أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الأدفوي، ثنا أبو الطيب أحمد بن سليمان الجريري إجازة، أنبا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، حدثني زكريا بن يحيى، ثنا شبابة، ثنا مخلد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد بن جدعان وعطاء بن أبي ميمونة، عن زر بن حبيش، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن يس، ومن قرأ يس وهو يريد بها الله عز وجل غفر الله له، وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشر مرة، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف من سورة يس عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا؛ يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويشيعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة، فيشربها وهو على فراشه، فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان، فيمكث في قبره وهو ريان، ويبعث يوم القيامة وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان.

(٦) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مَكيَّةٌ وآيُها مَائةٌ وإحْدى أوِ اثنتانِ وثَمانُون آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن
كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ
وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ
إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا۟
ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦)
أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا۟
يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ
(٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧)
قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن
سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ
(٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ
لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ
وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا
عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣)
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ
وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ
(٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ

ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

﴿**والصَّافاتِ صَفًّا**﴾ إقسامٌ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ بطوائِفَ الملائكةِ الفاعلاتِ للصُّفوفِ على أنَّ المرادَ إيقاعُ نفسِ الفعلِ من غيرِ قصدٍ إلى المفعولِ أو الصَّافَّات أنفسها [أي: النَّاظمات أنفسها][1] أي: النَّاظمات لها في سلك الصُّفوفِ بقيامها في مقاماتِها المعلومةِ حسبما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿وما منَّا إلا لَهُ مقامٌ معلومٌ﴾ [سورة الصافات، الآية ١٦٤] وعلى هذينِ المعنيينِ مدارُ قوله تعالى: ﴿وإنَّا لنحنُ الصَّافُّون﴾ [سورة الصافات، الآية ١٦٥] وقيل الصَّافاتُ أقدامها في الصَّلاةِ وقيل أجنحتها في الهواءِ ﴿**فالزَّاجراتِ زَجْرًا**﴾ أي الفاعلاتِ للزَّجرِ أو الزَّاجراتِ لما نيطَ بها[2] زَجرُه من الأجرامِ العلويَّةِ والسُّفليَّةِ وغيرِها على وجهٍ يليقُ بالمزجورِ ومن جُملة ذلك زجرُ العبادِ عن المعاصي وزجرُ الشَّياطينِ عن الوسوسةِ والإغواءِ وعن استراقِ السَّمعِ كما سيأتي، وصفًّا وزَجْرًا مصدرانِ مؤكِّدانِ لما قبلهما أي صفًّا بديعًا وزَجْرًا بليغًا، وأمَّا ذِكرًا في قولِهِ تعالى: ﴿**فالتَّالياتِ ذِكرًا**﴾ فمفعولُ التَّالياتِ أي: التاليات ذكرًا عظيمَ الشَّأنِ من آياتِ اللَّهِ تعالى وكتبهِ المنزَّلةِ على الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وغيرِها من التَّسبيحِ والتَّقديسِ والتَّحميدِ والتَّمجيدِ وقيل هو أيضًا مصدرٌ مؤكِّد لما قبلَه فإنَّ التِّلاوةَ من بابِ الذِّكرِ ثم إنَّ هذه الصِّفاتِ إنْ أُجريتْ على الكلِّ فعطفُها بالفاءِ للدِّلالةِ على ترتُّبها في الفضلِ إمَّا بكونِ الفضلِ للصَّفِ ثمَّ للزَّجرِ ثمَّ للتِّلاوةِ أو على العكسِ، وإن أُجريت كلُّ واحدة منهنَّ على طوائفَ معيَّنةٍ فهو للدِّلالةِ على ترتُّبِ الموصوفاتِ في مراتب الفضل بمعنى أنَّ طوائفَ الصَّافَّاتِ ذواتُ فضل والزَّاجراتُ أفضلُ والتَّالياتُ أبهرُ فضلًا أو على العكس. وقيل المرادُ بالمذكوراتِ نفوسُ العلماءِ العمَّالِ الصَّافَّاتُ أنفسَها في صفوف الجماعاتِ وأقدامها في الصَّلواتِ الزَّاجراتُ بالمواعظ والنَّصائحِ التَّالياتُ آياتِ الله تعالى الدَّارساتُ شرائعه وأحكامَه.

وقيل: طوائفُ الغُزاة الصَّافَّات أنفسَهم في مواطنِ الحروبِ كأنَّهم بنيانٌ مرصوصٌ

---

(١) سقط في خ.

(٢) في ط: به.

أو طوائفُ قُوَّادِهم الصَّافَّاتُ لهم فيها الزَّاجراتُ الخيلَ للجهادِ سوقًا والعدو في المعارك طَرْدًا التَّالياتُ آياتِ اللَّهِ تعالى وذكره وتسبيحَه في تضاعيفِ ذلك والكلامُ في العطفِ ودلالتِهِ على ترتُّبِ الصِّفاتِ في الفضلِ أو ترتُّب موصوفاتِها فيه كالذي سلفَ، وأمَّا الدِّلالةُ على التَّرتُّبِ في الوجودِ كما في قوله: [السريع]

يا لهفَ زبَّانةَ للحرثِ الصابحِ فالغانمِ فالآيبِ[1]

فغيرُ ظاهرةٍ في شيءٍ من الطَّوائفِ المذكورة، فإنَّه لو سُلِّم تقدُّمُ الصَّفِ على الزَّجرِ في الملائكةِ والغزاةِ فتأخُّرُ التِّلاوةِ عن الزَّجرِ غيرُ ظاهرٍ. وقيل الصَّافَّاتُ الطَّيرُ من قوله تعالى: ﴿والطَّير صافاتٍ﴾ [سورة النور، الآية ٤١] والزَّاجراتُ كلُّ ما يزجرُ عن المعاصِي، والتَّاليات كل مَن يتلُو كتابَ اللَّهِ تعالى. وقيل الزَّاجراتُ القوارعُ القُرآنيةُ. وقرئ بإدغامِ التَّاءِ في الصَّادِ[2] والزاي[3] والذَّالِ[4].

﴿إنَّ إلَٰهَكم لواحدٌ﴾ جوابٌ للقسم. والجملةُ تحقيقٌ للحقِّ الذي هو التَّوحيدُ بما هو المألوفُ في كلامِهم من التَّأكيدِ القَسميِّ وتمهيد لما يعقبُه من البُرهانِ النَّاطقِ به أعني قوله تعالى ﴿ربُّ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهُما وربُّ المشارقِ﴾ فإنَّ وجودَها

---

(١) البيت لابن زيابة في خزانة الأدب (٥/ ١٠٧)، والدرر (٦/ ١٦)، وسمط اللآلي ص(٥٠٤)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص(١٤٧)، وشرح شواهد المغني ص(٤٦٥)، ومعجم الشعراء ص(٢٠٨)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص(٦٥)، وخزانة الأدب (١١/ ٥)، ومغني اللبيب ص(١٦٣)، وهمع الهوامع (٢/ ١١٩).
ويروى «يا ويح زيابة» بدل «يا لهف زبانة».

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، وابن مسعود، ومسروق، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٤)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٠٠).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، وابن مسعود، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٤)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٠٠).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، وابن مسعود، ومسروق، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٢)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٤٠)، والتيسير للداني ص (١٨٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٦١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (١/ ١٥١)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٦)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٢)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٠٠).

وانتظامَها على هذا النَّمطِ البديعِ من أوضح دلائلِ وجودِ الصَّانعِ وعلمِهِ وقُدرتهِ وأعدلُ شواهدِ وحدتهِ كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿لو كانَ فيهما آلهةٌ إلَا الله لفسدتا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٢٢] وربُّ خبرٌ ثانٍ لأنَّ، أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي مالكُ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينهما من الموجوداتِ ومربِّيها ومبلِّغها إلى كمالاتِها. والمرادُ بالمشارقِ مشارقُ الشَّمسِ، وإعادةُ الربِّ فيها لغايةِ ظهورِ آثارِ الرُّبوبيَّةِ فيها وتجدُّدِها كلَّ يوم فإنَّها ثلاثمائة وستُّون مشرقًا تشرقُ كلَّ يومٍ من مشرقٍ منها وبحسبها تختلفُ المغاربُ وتغربُ كلَّ يوم في مغربٍ منها وأما قولُهُ تعالى: ﴿ربُّ المشرقينِ وربُّ المغربينِ﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ١٧] فهُما مشرقا الصَّيفِ والشِّتاءِ ومغرباهُما **﴿إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا﴾** أي القُربى منكم **﴿بزينةٍ﴾** عجيبة بديعة **﴿الكواكبِ﴾** بالجرِّ بدلٌ من زينةٍ على أن المرادَ بها الاسمُ، أي ما يُزان به لا المصدرُ فإنَّ الكواكبَ بأنفسها وأوضاع بعضِها من بعضٍ زينةٌ وأيُّ زينةٍ. وقرئ[1] بالإضافة على أنَّها بيانيَّةٌ لما أنَّ الزِّينةَ مبهمة صادقة على كلٍّ ما يُزان به فتقع الكواكب بيانًا لها ويجوزُ أنْ يُراد بزينةِ الكواكبِ ما زُيِّنت هي به وهو ضوؤها. ورُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: بزينةِ الكواكبِ بضوءِ الكواكبِ [هذا وأمَّا على تقديرِ كون الزِّينةِ مصدرًا فالمعنى على تقدير إضافتها إلى الفاعل بأنْ زانتِ الكواكبُ إيَّاها، وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير إضافتها إلى المفعولِ بأنْ زانَ اللَّهُ الكواكبَ وحسَّنها، وأصله بزينة الكواكب][2]. والمرادُ هو التَّزيينُ في رأي العينِ فإنَّ جميع الكواكب من الثَّوابتِ والسَّياراتِ تبدو للنَّاظرينَ كأنَّها جواهرُ مُتلألئةٌ في سطح سماء الدُّنيا بصورٍ بديعةٍ وأشكال رائعة ولا يقدحُ في ذلك ارتكازُ الثَّوابتِ في الفلك الثَّامنِ وما عدا القمرَ في السنةِ المتوسطة إنْ ثبتَ ذلك.

﴿وحِفظًا﴾ منصوبٌ إمَّا بعطفه على زينةٍ باعتبار المعنى كأنَّه قيل إنَّا خلقنا الكواكبَ زينةً للسَّماءِ وحِفظًا **﴿من كلِّ شيطانٍ ماردٍ﴾** أي خارجٍ عن الطَّاعةِ برمي الشُّهبِ، إمَّا بإضمار فعلهِ، وإمَّا بتقدير فعلٍ مؤخَّر معلَّلٍ به كأنَّه قيل وحِفظًا من كلِّ شيطانٍ ماردٍ زيَّناها بالكواكبِ، كقوله تعالى: ﴿ولقد زَيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، والكسائي، وابن عامر، وأبو عمرو، والحسن، ويحيى بن وثاب، والأعمش، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٢٦٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٠)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٢) سقط في خ.

وجعلناها رُجومًا للشَّياطين﴾ [سورة الملك، الآية ٥].

وقوله تعالى: ﴿**لا يسمعون إلى الملإِ الأعلى**﴾ كلامٌ مبتدأٌ مسوقٌ لبيان حالهم بعد بيانِ حفظِ السَّماءِ عنهم مع التَّنبيهِ على كيفيةِ الحفظِ وما يعتريهم في أثناء ذلك من العذابِ، ولا سبيلَ إلى جعلهِ صفةً لكلِّ شيطانٍ ولا جوابًا عن سؤال مقدَّرٍ لعدم استقامةِ المعنى ولا علَّةً للحفظِ على أن يكونَ الأصلُ لئلَّا يسمعُوا فحُذفتِ اللام كما حُذفتْ من قولك جئتُك أنْ تكرمني فبقيَ ألا يسمعُوا ثم يحذفُ أنْ ويُهدرُ عملُها كما في قولِ مَن قال: [الطويل]

ألا أيهذا الزَّاجِري أحْضر الوَغَى ....[1]

لما أنَّ كلَّ واحدٍ من ذينكَ الحذفينِ غيرُ منكرٍ بانفرادِه، فأمَّا اجتماعُهما فمنْ أنكرِ المنكرات التي يجبُ تنزيهُ ساحةِ التَّنزيل الجليلِ عن أمثالها. وأصلُ يسمَّعون يتسمَّعُون. والملأُ الأعلى: الملائكةُ. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هم الكَتَبَةُ. وعنه أشرافُ الملائكةِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ أي لا يتطلَّبون السَّماعَ والإصغاءَ إليهم. وقرئ[2] يسمعُون بالتَّخفيفِ ﴿**ويُقذفون**﴾ يُرمَون ﴿**من كلِّ جانب**﴾ من جميع جوانبِ السَّماءِ إذا قصدوا الصُّعودَ إليها ﴿**دُحُورًا**﴾ علَّةً للقذفِ أي للدُّحورِ وهو الطَّردُ. أو حالٌ بمعنى مدحورينَ أو مصدرٌ مؤكِّدٌ له لأنَّهما من وادٍ واحدٍ. وقرئ[3] دَحُورًا بفتح الدَّالِ أي قَذْفًا دَحُورًا مبالغًا في الطَّردِ. وقد جُوِّز أنْ يكونَ مصدرًا كالقَبُولِ والولُوع ﴿**ولهم عذابٌ واصبٌ**﴾ أي ولهم في الآخرةِ غيرُ ما في الدُّنيا من عذاب الرَّجمِ بالشُّهبِ عذابٌ شديد دائمٌ[4] غيرُ منقطعٍ كقوله تعالى: ﴿وأعتدنا لهم

---

(١) تقدم.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، والأعمش، ومجاهد، وابن عباس، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٣٩)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٣) قرأ بها: علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والطبراني، وابن أبي عبلة، وأبو جعفر، ويعقوب الحضرمي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٤٠)، والبحر المحيط (٧ / ٣٥٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٦٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٣١٩)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٣)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٢٣).

(٤) في ط: ثم.

عذابَ السَّعيرَ﴾ [سورة الملك، الآية ٥] ﴿إلا مَن خطِف الخطفة﴾ استثناءٌ من واوِ يسمَّعون ومَن بدلٌ منه والخطفُ الاختلاسُ والمرادُ اختلاسُ كلام الملائكةِ مسارقة كما يُعرب عنه تعريفُ الخَطفةِ. وقرئ[١] بكسرِ الخاءِ والطَّاءِ المشدَّدةِ وبفتحِ[٢] الخاء وكسرِ الطَّاءِ وتشديدها، وأصلُهما اختطفَ ﴿فأتبعه شهابٌ﴾ أي تبعَه ولحقَه. وقرئ فاتبعَه[٣]. والشِّهابُ ما يُرى منقضا من السَّماءِ ﴿ثاقبٌ﴾ مضيءٌ[٤] في الغايةِ كأنَّه يثقبُ الجوَّ بضوئهِ يُرجم به الشَّياطينُ إذا صعدُوا لاستراقِ السَّمعِ فيقتلهم أو يحرقُهم [أو يخبلُهم][٥]. قالُوا: وإنَّما يعودُ من يَسلم منهم حيًّا طمعًا في السَّلامةِ ونيلِ المُرادِ كراكبِ السَّفينةِ ﴿فأستفتهِم﴾ فاستخبر مُشركي مكَّة ﴿أهُم أشدُّ خَلْقًا﴾ أي أقوى خِلقةً وأمتنُ بنيةً أو[٦] أصعبُ خَلْقًا وأشقُّ إيجادًا ﴿أم مَن خلقنا﴾ من الملائكةِ والسَّماءِ والأرضِ وما بينهما والمشارقُ[٧] والكواكبُ والشُّهبُ الثَّواقبُ ومن لتغليبِ العُقلاءِ على غيرِهم ويدلُّ عليه إطلاقُه ومجيئُه بعد ذلك لا سيَّما قراءةُ مَن قرأ (أمْ مَن[٨] عددنا(. وقولُه تعالى: ﴿إنَّا خلقناهُم من طينٍ لازبٍ﴾ فإنَّه الفارقُ بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأممِ كعادٍ وثمود، ولأنَّ المرادَ إثباتُ المعادِ وردُّ استحالتهم. والأمرُ فيه بالإضافةِ إليهم وإلى مَن قبلهم سواء. وقرئ لازم[٩] ولاتبٍ[١٠] ﴿بل عجبتَ﴾ أي من قُدرة الله تعالى على هذه الخلائقِ العظيمة وإنكارِهم للبعث ﴿ويسخرون﴾ من تعجُّبكَ وتقريرك للبعث. وقرئ[١١] بضمِّ التَّاءِ،

---

(١) قرأ بها: الحسن، وقتادة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٤٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٦).

(٢) قرأ بها: الحسن، وقتادة، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٦).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٥٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٦).

(٤) في خ: مضي.

(٥) سقط في خ.

(٦) في خ: و.

(٧) في خ: المغارب.

(٨) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٥٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧).

(٩) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧).

(١٠) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧).

(١١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو عبيد، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وشعبة، والأعمش، وابن سعدان، وابن مقسم، وابن عباس، والنخعي، وابن وثاب، وطلحة، وشقيق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٦٨)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٤١).

على معنى أنَّه بلغ كمالُ قدرتي وكثرةُ مخلوقاتي إليَّ حيث عجبتُ منها، وهؤلاءِ لجهلهم يسخرونَ منها. أوعجبتُ من أنْ ينكرُوا البعثَ ممَّن هذه أفاعيلُه ويسخرُوا ممَّن يجوزُه والعجبُ من اللَّهِ تعالى إمَّا على الفرضِ والتَّخييلِ، أو على معنى الاستعظامِ اللاَّزمِ له فإنَّه رَوعةٌ تعتري الإنسانَ عند استعظام الشَّيءِ. وقيل إنَّه مقدَّرٌ بالقولِ أيَ قُل يا محمدُ بل عجبتُ ﴿وإذا ذُكِّروا﴾ أي ودأبُهم المستمرُّ أنَّهم إذا وُعظوا بشيءٍ من المواعظِ. ﴿لا يذكرون﴾ لا يتَّعظون، وإذَا ذُكر لهم ما يدلُّ على صحَّةِ البعثِ لا ينتفعُون به لغايةِ بلادتهم وقصورِ فكرهم ﴿وإذا رَأوا آيةً﴾ أي معجزةً تدلُّ على صدقِ القائلِ به ﴿يستسخرون﴾ يُبالغون في السُّخريةِ، ويقُولون إنَّه سحرٌ أو يستدعي بعضُهم من بعضٍ أنْ يسخرَ منها ﴿وقالُوا إنْ هٰذا﴾ أي ما يَرونه من الآياتِ الباهرةِ ﴿إلاَّ سحرٌ مبينٌ﴾ ظاهرٌ سحريَّتهُ ﴿أئذا متنا وكُنَّا تُرابًا وعظامًا﴾ أي كان بعضُ أجزائِنا تُرابًا وبعضُها عظامًا. وتقديمُ التُّرابِ لأنَّه منقلبٌ من الأجزاءِ الباديةِ والعاملُ في إذا ما دلَّ عليه مبعوثونَ في قوله تعالى: ﴿أئنَّا لمبعوثون﴾ أي نُبعث لا نفسه لأنَّ دونَه خطوبًا لو تفرَّدَ واحدٌ منها لكفى في المنعِ. وتقديمُ الظَّرفِ لتقويةِ الإنكارِ للبعث بتوجيههِ إلى حالةٍ منافيةٍ له غايةَ المُنافاة وكذا تكريرُ الهمزةِ في أئنا للمبالغةِ والتَّشديدِ في ذلك وكذا تحليةُ الجملةِ بأنْ واللام لتأكيدِ الإنكارِ لا لإنكارِ التَّأكيدِ كما يُوهمه ظاهرُ النَّظمِ الكريمِ فإنَّ تقديمَ الهمزةِ لاقتضائها الصَّدارة كما في مثلِ قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ [سورة البقرة، الآية ٤٤ و٧٦. وسورة آل عمران، الآية ٦٥ وغيرهما] على رأي الجمهورِ، فإنَّ المعنى عندَهُم تعقيبُ الإنكارِ لا إنكارُ التَّعقيبِ كما هُو المشهورُ وقرئَ[1] بطرحِ الهمزةِ الأُولى وبطرحِ الثَّانيةِ[2] فَقَطْ ﴿أو آباؤنا الأوَّلُون﴾ رُفع على الابتداءِ، وخبرُه محذوفٌ عند سيبويهِ أي وآباؤنا الأوَّلون أيضًا مبعوثُون. وقيل عطفٌ على محلِّ إنَّ واسمِها، وقيل على الضَّميرِ في مبعوثُون للفصلِ بهمزةِ الإنكارِ الجاريةِ مجرى حرفِ النَّفي في قوله تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٨] وأيًّا ما كانَ فمرادُهم زيادةُ الاستبعادِ بناءً على

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وأبو جعفر، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٦٨، ٣٦٩)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٤٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٧٠، ٣٧٤).

(٢) قرأ بها: نافع، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وقالون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٦٨، ٣٦٩)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٤٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٧٠، ٣٧٣).

أنَّهم أقدمُ فبعثهم أبعدُ على زعمهم. وقرئ[١] أو آباؤُنا.

﴿قُل﴾ تبكيتًا لهم ﴿نعم﴾ والخطابُ في قوله تعالى: ﴿وأنتُم داخرون﴾ لهم ولآبائِهم بطريقِ التَّغليبِ. والجملةُ حالٌ من فاعلِ ما دلَّ عليه تعم أي كلُّكم مبعوثون والحالُ أنَّكم صاغرونَ أذلأَّءُ. وقرئ[٢] نَعِم بكسرِ العينِ وهي لغةٌ فيه. ﴿فإنَّما هي زجرةٌ واحدةٌ﴾ هي إمَّا ضميرٌ مبهمٌ يفسِّرهُ خبرُه، أو ضميرُ البعثةِ، والجملةُ جوابُ شرطٍ مضمرٍ أو تعليلٌ لنهيٍّ مقدَّرٍ أي إذا كانَ كذلك فإنَّما هي . . . إلخ. أو لا تستصعبُوه فإنَّما هي . . . إلخ. والزَّجرةُ الصَّيحةُ من زجرَ الرَّاعي غنمه إذا صاحَ عليها وهي النَّفخةُ الثَّانيةُ ﴿فإذا هُم﴾ قائمونَ من مراقدهم أحياءً ﴿ينظرون﴾ يُبصرون كما كانُوا أو ينتظرون ما يُفعل بهم ﴿وقالُوا﴾ أي المبعوثونَ. وصيغةُ الماضي للدِّلالةِ على التَّحقُقِ والتَّقررِ ﴿يا وَيلنا﴾ أي هلاكنا احضر فهذا أوانُ حضورِك. وقولُه تعالى: ﴿هذا يومُ الدِّين﴾ تعليلٌ لدعائهم الويلِ بطريق الاستئنافِ أي اليوم الذي نُجازى فيه بأعمالنا، وإنَّما علموا ذلك لأنَّهم كانوا يسمعون في الدُّنيا أنَّهم يُبعثون ويُحاسبون ويُجزَون بأعمالهم فلمَّا شاهدوا البعثَ أيقنُوا بما بعدَه أيضًا. وقولُه تعالى: ﴿هذا يومُ الفصلِ الذي كنتُم به تكذِّبون﴾ كلامُ الملائكةِ جوابًا لهم بطريقِ التَّوبيخِ والتَّقريعِ. وقيل هُو أيضًا من كلامِ بعضِهم لبعضٍ، والفصلُ القضاءُ أو الفرقُ بين فِرقِ الهُدى والضَّلالِ. وقولُه تعالى: ﴿احشرُوا الذين ظلمُوا﴾ خطابٌ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ للملائكةِ أو من بعضِهم لبعضٍ بحشر الظَّلمةِ من مقامهم إلى الموقفِ. وقيل من الموقفِ إلى الجحيم ﴿وأزواجَهم﴾ أي أشباهَهم ونظراءَهم من العُصاةِ، عابدُ الصَّنمِ مع عبدته وعابدُ الكوكبِ[٣] مع عَبَدتهِ، كقوله تعالى: ﴿وكنتُم أزواجًا ثلاثةً﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧] وقيل قرناءَهم من الشَّياطينِ وقيل نساءَهم اللاَّتي على دينهم ﴿وما كانُوا يعبدون من دونِ الله﴾ من الأصنامِ ونحوِها زيادةً في تحسيرهم وتخجيلهم. قيل هو

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، ونافع، وقالون، وأبو جعفر، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٥)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٤٥)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٠٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٣٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧).

(٢) قرأ بها: الكسائي، وابن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٥)، والتيسير للداني ص (١١٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧)، والكشف للقيسي (١/ ٤٦٢)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٢٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧).

(٣) في ط: الكواكب.

عامٌّ مخصوصٌ بقوله تعالى: ﴿إنَّ الذينَ سبقتْ لهم منَّا الحُسنى﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠١] الآيةَ الكريمةَ وأنت خبيرٌ بأنَّ الموصولَ عبارةٌ عن المشركين خاصَّةً جيء به لتعليل الحكم بما في حيِّزِ صلتهِ فلا عمومَ ولا تخصيصَ. ﴿فاهدُوهم إلى صراطِ الجحيمِ﴾ أي عرِّفُوهم طريقها ووجِّهوهم إليها وفيه تهكُّمٌ بِهم ﴿وقِفوهم﴾ احبِسُوهم في الموقف كأنَّ الملائكة سارعُوا إلى ما أُمروا به من حشرِهم إلى الجحيم فأُمروا بذلك وعُلِّل بقوله تعالى: ﴿إنَّهم مسؤلون﴾ إيذانًا من أوَّلِ الأمرِ بأنْ ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحُوا بتأخيرِ العذابِ في الجملة بل ليُسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فإنَّ ذلك قد وقع قبل الأمرِ بهم إلى الجحيم بل عمَّا ينطقُ به قوله تعالى: ﴿ما لكُم لا تناصرون﴾ بطريق التَّوبيخِ والتَّقريعِ والتَّهكُّم، أي لا ينصرُ بعضُكم بعضًا كما كنتُم تزعمون في الدُّنيا، وتأخيرُ هذا السُّؤالِ إلى ذلك الوقتِ لأنَّه وقتُ تنجُّزِ العذابِ وشدَّةِ الحاجةِ إلى النُّصرةِ وحالة انقطاعِ الرَّجاءِ عنها بالكُلِّية، فالتَّوبيخُ والتَّقريعُ حينئذٍ أشدُّ وقعًا وتأثيرًا. قرئ[١] لا تَتَناصرون، ولا تنَّاصرُون[٢] بالإدغامِ ﴿بل هُم اليومَ مستسلمون﴾ مُنقادون خاضعُون لظهورِ عجزهم وانسدادِ بابِ الحِيلِ عليهم أو أسلم بعضُهم بعضًا وخذله عن عجزٍ فكلُّهم مستسلم غيرُ منتصرٍ.

﴿وأقبل﴾ حينئذٍ ﴿بعضُهم على بعضٍ﴾ هم الأتباعُ والرؤساء أو الكفرةُ والقُرناء ﴿يتساءلون﴾ يسألُ بعضُهم بعضًا سؤالَ توبيخٍ بطريقِ الخصومةِ والجدالِ ﴿قالُوا﴾ استئنافٌ وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ تساؤلهم كأنَّه قيل كيفَ تساءلون فقيلَ قالوا أي الأتباعُ للرُّؤساء أو الكلُّ للقرناءِ ﴿إنَّكم كنتُم تأتوننا﴾ في الدُّنيا ﴿عن اليمينِ﴾ عن أقوى الوجوهِ وأمتنِها أو عن[٣] الدِّينِ أو عن الخيرِ كأنَّكم تنفعوننا نفعَ السَّانحِ[٤] فتبعناكم فهلكنا، مستعارٌ من يمينِ الإنسانِ الذي هو أشرفُ الجانبينِ وأقواهما وأنفعُهما ولذلك سُمِّي يمينًا ويُتيمَّن بالسَّانحِ أو عن القوَّة والقَسْر فتقسروننا على الغَيِّ وهو الأوفقُ للجوابِ أو عن الحلفِ حيثُ كانُوا يحلفون أنَّهم على الحقِّ.

﴿قالوا﴾ استئنافٌ كما سبق أي قالَ الرُّؤساء أو القُرناء ﴿بلْ لم تكُونوا مؤمنين﴾

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٥٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٨).
(٢) (٣) قرأ بها: أبو جعفر، والبزي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٧٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٣، ٢٣٤).
(٣) في ط: على.
(٤) السانح: الذي يجيء عن يمينك فتلي مياسره مياسرك، قاله أبو عمرو الشيباني: وهو عكس البارح.

أي لم نمنعكُم من الإيمانِ بل لم تُؤمنوا باختيارِكم وأعرضتُم عنه مع تمكُّنِكم منه وآثرتُم الكفرَ عليه ﴿وما كانَ لنا عليكم من سُلطانٍ﴾ من قهرٍ وتسلُّطٍ نسلبكم به اختيارَكم ﴿بل كنتُم قومًا طاغِين﴾ مُختارين للطُّغيانِ مُصرِّين عليه ﴿فحقَّ علينا﴾ أي لزمنا وثبتَ علينا ﴿قولُ ربِّنا﴾ وهو قولُه تعالى: ﴿لأملأنَّ جهنَّم منك وممَّن تبعك منهم أجمعين﴾ [سورة ص، الآية ٨٥] ﴿إنَّا لذائقون﴾ أي العذابَ الذي وردَ به الوعيدُ ﴿فأغويناكم﴾ فدَعوناكم إلى الغيِّ دعوةً غيرَ مُلجئةٍ فاستجبتُم لنا باختيارِكم واستحبابِكم الغيَّ على الرُّشدِ ﴿إنَّا كنَّا غاوين﴾ فلا عتبَ علينا في تعرُّضِنا لإغوائِكم بتلك المرتبةِ من الدَّعوةِ لتكونُوا أمثالنا في الغوايةِ. ﴿فإنَّهم﴾ أي الأتباعُ والمتبُوعينَ ﴿يومئذٍ في العذابِ مُشتركون﴾ حسبما كانُوا مشتركينَ في الغواية ﴿إنَّا كذلك﴾ أي مثلَ ذلك الفعلِ البديعِ الذي تقتضيهِ الحكمةُ التَّشريعيَّةُ ﴿نفعلُ بالمجرمين﴾ المتناهينَ في الإجرامِ وهم المُشركون كما يُعرب عنه التَّعليلُ بقولهِ تعالى: ﴿إنَّهم كانُوا إذا قيلَ لهم﴾ بطريقِ الدَّعوةِ والتَّلقينِ ﴿لا إلهَ إلَّا اللَّهُ يستكبرونَ﴾ عن القبولِ ﴿ويقولونَ أئنا لتاركُو آلهتنا لشاعرٍ مجنونٍ * بل جاء بالحقِّ وصدَّق المُرسلين﴾ ردٌّ عليهم وتكذيبٌ لهم ببيانِ أنَّ ما جاء به من التَّوحيدِ هو الحقُّ الذي قام به البُرهان وأجمعَ عليه كافَّةُ الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ فأينَ الشِّعرُ والجنونُ من ساحتِهِ الرَّفيعةِ ﴿إنَّكم﴾ بما فعلتُم من الإشراكِ وتكذيبِ الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والاستكبارِ ﴿لذائقُو العذابِ الأليم﴾ والالتفاتُ لإظهارِ كمالِ الغضبِ عليهم. وقرئَ[1] بنصبِ العذابِ على تقديرِ النُّونِ كقولهِ: ولا ذاكرُ اللَّهَ إلا قليلًا. وقرئَ[2] لذائقونَ العذابَ على الأصلِ ﴿وما تُجزون إلَّا ما كنتُم تعملونَ﴾ أي: إلا جزاءَ ما كنتُم تعملونَه من السَّيئاتِ أو إلاَّ بما كنتُم تعملونَه منها.

﴿إلا عبادَ اللَّهِ المُخلصين﴾ استثناءٌ منقطعٌ من ضمير ذائقو وما بينهما اعتراضٌ جيء به مسارعة إلى تحقيق الحقِّ ببيان أنَّ ذوقهم العذاب ليس إلاَّ من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلًا وجعله استثناء من ضمير تُجزون على معنى أنَّ الكفرة لا يُجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المُخلصين فإنَّهم يجزون أضعافًا مضاعفة ممَّا لا وجه له أصلًا لا سيَّما جعله استثناء متَّصلًا بتعميم الخطاب في تُجزون لجميع المكلَّفين فإنَّه

---

(١) قرأ بها: عاصم، وأبان، وثعلبة، وأبو السمال.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٩).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٥٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٩).

ليس في حيِّزِ الاحتمال فالمعنى إنَّكم لذائقون[١] العذاب الأليم لكنْ عباد الله المُخلصين الموحِّدين ليسُوا كذلك وقوله تعالى: ﴿أولئك﴾ إشارةٌ إليهم للإيذان بأنَّهم ممتازون بما اتَّصفوا به من الإخلاص في عبادة الله تعالى عمَّن عداهم امتيازًا بالغًا منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من معنى البُعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلوِّ طبقتهم وبُعد منزلتهم في الفضل، وهو مبتدأٌ وقوله تعالى: ﴿لهم﴾ إمَّا خبرٌ له وقوله تعالى: ﴿رزقٌ﴾ مرتفعٌ على الفاعلية بما فيه من الاستقرارِ، أو مبتدأٌ ولهم خبرٌ مقدَّمٌ والجملة خبرٌ لأولئك، والجملةُ الكُبرى استئناف مبيِّنٌ لما أفاده الاستثناء إجمالًا بيانًا تفصيليًّا، وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنَّه متأوَّلٌ بالمبتدأ وقوله تعالى: ﴿معلوم﴾ أي معلومُ الخصائصِ من حُسن المنظر ولذَّةِ الطَّعم وطيب الرَّائحةِ ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقتِ كقوله تعالى: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٦٢] وقوله تعالى: ﴿فواكهُ﴾ إمَّا بدل من (رزق) أو خبرُ مبتدأٍ مضمرٍ، أي ذلك الرزقُ فواكهُ، وتخصيصُها بالذِّكر لأنَّ أرزاق أهل الجنَّة كلَّها فواكه أي ما يُؤكل لمجرَّدِ التَّلذُّذِ دون الاقتياتِ لأنَّهم مستغنون عن القوت لكون خِلقتِهم مُحكمةً محفوظة من التَّحلُّلِ المُحوجِ إلى البدل وقيل لأنَّ الفواكه من أتباع سائرِ الأطعمةِ فذكرُها مُغنٍ عن ذكرِها ﴿وهم مكرمُون﴾ عند الله عزَّ وجلَّ لا يلحقُهم هوانٌ وذلك أعظم المثوباتِ وأليقها بأُولي الهممِ وقيل مكرمون في نيله حيثُ يصلُ إليهم بغير تعبٍ وسؤالٍ كما هو شأنُ أرزاقِ الدُّنيا. وقرئ[٢] مكرَّمون بالتَّشديدِ ﴿في جنَّاتِ النَّعيم﴾ أي في جناتٍ ليس فيها إلاَّ النَّعيمُ وهو ظرف أو حال من المستكنِّ في مكرمون، أو خبر ثانٍ لأولئك وقوله تعالى: ﴿على سُررٍ﴾ محتمل للحاليَّةِ والخبريَّةِ. فقولُه تعالى: ﴿مُتقابلين﴾ حالٌ من المستكنِّ فيه أو في مُكرمون. وقوله تعالى: ﴿يُطاف عليهم﴾ إمَّا استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من حكاية تكامُلِ مجالسِ أُنسهم أو حال من الضَّميرِ في متقابلين أو في أحد الجارينِ وقد جُوِّزَ كونه صفةً لمكرمون ﴿بكأسٍ﴾ بإناء فيه خمر أو بخمرٍ، فإنَّ الكأس تُطلق عن نفس الخمرِ كما في قول مَن قال: [المتقارب]

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وأُخْرَىٰ تَدَاوَيتُ منها بها[٣]

---

(١) في ط: لذائقو.

(٢) قرأ بها: ابن مقسم، ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٩).

(٣) البيت للأعشى في ديوانه، ص (٢٨)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٣٧)، والبحر المحيط (٧/ ٣٥٩)، وتفسير البيضاوي (٢/ ٥٦)، واللباب (١٦/ ٢٩٩).

﴿من مَعينٍ﴾ متعلِّقٌ بمضمرٍ هو صفة لـ (كأس) أي كائنةٌ من شرابٍ مَعينٍ أو من نهرٍ مَعينٍ وهو الجاري على وجه الأرضِ الظَّاهرُ للعُيونِ أو الخارجُ من العُيونِ من عانَ الماءُ إذا نبعَ، وصف به الخمرُ وهو للماءِ لأنَّها تجري في الجنَّةِ في أنهارٍ كما يجري الماءُ قال تعالى وأنهارٍ من خمرٍ ﴿بيضاء لذَّة للشَّاربين﴾ صفتانِ أيضًا لكأسٍ، ووصفها بلذَّةٍ إمَّا للمُبالغةِ كأنَّها نفسُ اللَّذةِ أو لأنَّها تأنيثُ اللَّذِّ بمعنى اللَّذيذِ ووزنه فعل قال: [الطويل]

ولـذٍّ كـطـعـمِ الـصَّـرخـديِّ تـركـتُـه   بـأرضِ العِـدا مِنْ خيفـةِ الـحـدَثـانِ[1]

يريد النَّومَ ﴿لا فيها غولٌ﴾ أي غائلةٌ كما في خمور الدُّنيا من غالَه إذا أفسدَه وأهلكه ومنه الغُول. ﴿ولا هُم عنها ينزفون﴾ يسكَرُون من نزف الشَّاربُ فهو نَزِيفٌ ومنزوفٌ إذا ذهب عقلُه ويقال للمطعونِ نزف فماتَ إذا خرج دمُه كلُّه، أفرد هذا بالنَّفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغَول عنها لما أنَّه من معظم مفاسد الخمرِ كأنَّه جنس برأسِهِ والمعنى لا فيها نوعٌ من أنواع الفسادِ من مغصٍ أو صُداعٍ أو خُمارٍ أو عَربدةٍ أو لغوٍ أو تأثيم ولا هم يسكرون. وقرئ[2] ينزفون بكسر الزَّاي، من أنزفَ الشَّاربُ إذا نفد عقلُه أو شرابه وقرئ[3] ينزفون بضمِّ الزَّاي من نَزَف يَنزُف بضمِّ الزَّاي فيهما ﴿وعندهم قاصراتُ الطَّرفِ﴾ قصرن أبصارَهنَّ على أزواجهنَّ لا يمددن طَرفًا إلى غيرهم ﴿عين﴾ نجلُ العُيونِ جمع عَيْناءَ والنَّجَلُ سعةُ العينِ ﴿كأنَّهنَّ بيضٌ مكنونٌ﴾ شُبِّهن ببيض النَّعامِ المصونِ[4] من الغبارِ ونحوه في الصَّفاءِ والبياض المخلوطِ بأدنى

---

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب (٣/ ٥٠٧) (لذذ)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٤٠٩)، وتاج العروس (٩/ ٤٦٨) (لذذ)، ومجمل اللغة (٤/ ٢٤٥)، وأساس البلاغة (لذذ) ويروى «في خشية» بدل «من خيفة».

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٤٨)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧).

(٣) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٠).

(٤) ومن معاني هذا التشبيه أن ظاهر البيض بياض يشوبه قليل من الصفرة، فإذا كان مكنونًا كان مصونًا عن الغبرة والقترة، فكان هذا اللون في غاية الحسن، والعرب كانوا يسمون النساء بيضات الخدور وكذا قال المبرد، وقد ذكر ابن تانيا أنه قد وصف نساء أهل الجنة بأنهن قاصرات الطرف مع حسن العيون لا من شين يمنعهن من طموح النظر، وإنما ذلك للعفة والخفر، ثم شبههن بالبيض المكنون تأكيدًا للصفة بالتشبيه فأخبر بذلك أنهن في ستر وكن عن التبرج، وجعل وصف البيض دالا على هذه الحال من وصفهن، وهو تشبيه مرسل مجمل لذكر الأداة وحذف الوجه. =

صُفرةٍ فإن ذلك أحسنُ ألوانِ الأبدانِ ﴿**فأقبل بعضُهم على بعضٍ يتساءلون**﴾ معطوف على يُطاف أي يشربون فيتحادثُون على الشَّراب كما هو عادة الشُّرَّابِ[١] قال: [الوافر]

وَمَـا بَـقِـيَـتْ مِـن الـلَّـذاتِ إلاَّ أحـاديـثُ الـكـرامِ عـلـى الـمُـدامِ[٢]

فيقبل بعضُهم على بعضٍ يتساءلون عن الفضائلِ والمعارفِ وعمَّا جرى لهم وعليهم في الدُّنيا فالتَّعبيرُ عنه بصيغة الماضي للتَّأكيدِ والدِّلالةِ على تحقُّقِ الوقوع حتمًا ﴿**قال قائلٌ منهم**﴾ في تضاعيف محاوراتهم ﴿**إنِّي كان لي**﴾ في الدُّنيا ﴿**قرينٌ**﴾ مصاحب ﴿**يقول**﴾ لي على طريقة التَّوبيخِ بما كنت عليه من الإيمان والتَّصديقِ[٣] بالبعث ﴿**أئنَّك لمن المُصدِّقين**﴾ أي بالبعث. وقرئ[٤] بتشديدِ الصَّادِ من التَّصدُّقِ، والأوَّلُ هو الأوفقُ؛ لقولهِ تعالى: ﴿**أئذا مِتنا وكنَّا تُرابًا وعظامًا أئنا لمدينونَ**﴾ أي لمبعوثون ومجزيُّون من الدِّينِ بمعنى الجزاء أو لمسوسُون يقال دانَه أي ساسَه، ومنه الحديثُ: «**العاقلُ من دانَ نفسَه**»[٥] وقيل كان رجلٌ تصدَّقَ بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدَى بعضَ إخوانهِ فقال: أين مالكُ، قال: تصدَّقتُ به ليعوضني الله تعالى في الآخرةِ خيرًا منه فقال: أئنَّك لمن المُصدِّقين بيوم الدِّينِ، أو من المتصدِّقين لطلب الثَّوابِ والله لا أُعطيك شيئًا فيكون التَّعرُّضُ لذكر موتهم وكونِهم تُرابًا وعظامًا حينئذٍ لتأكيدِ إنكار الجزاءِ المبني على إنكارِ البعث ﴿**قال**﴾ أي ذلك القائلُ بعدما حكى

= ينظر: الكامل في اللغة والأدب (٢/ ٥٤)، والإيضاح للخطيب القزويني (٦٠)، وتفسير الجلالين (٣/ ٥٣٧)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢/ ٢٩٢)، والجمان في تشبيهات القرآن لابن نافيا البغدادي (٢٣٨).

(١) في ط: الشرب.

(٢) البيت بلا نسبة في: تفسير القرطبي (١٥/ ٨١)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٣٨)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦)، والكشاف (٣/ ٣٤٠)، والدر المصون (٤/ ٥٥٢)، واللباب (١٦/ ٣٠٥).

(٣) زاد في ط: أي.

(٤) قرأ بها: حمزة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٦٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٥١).

(٥) غريب بهذا اللفظ، أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٠) كتاب صفة القيامة، باب: الكيس من دان نفسه، برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣)، كتاب الزهد، باب: ذكر الموت، برقم (٤٢٦٠)، بإسناد ضعيف، من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

لجلسائه مقالَ[1] قرينِهِ في الدُّنيا ﴿هل أنتُم مطّلعون﴾ أي إلى أهل النَّارِ لأريكم ذلك القرينَ يريد بذلك بيانَ صدقِهِ فيما حكاه وقيل القائلُ هو اللّهُ تعالى أو بعضُ الملائكة يقول لهم هل تُحبُّون أنْ تطَّلعوا على أهل النَّارِ لأريكم ذلك القرينَ فتعلموا أين منزلتُكم من منزلتهم قيل إنَّ في الجنَّة كُوى ينظر منها أهلُها إلى أهل النَّارِ ﴿فاطَّلع﴾ أي عليهم ﴿فرآه﴾ أي قرينَه ﴿في سواءِ الجحيم﴾ أي في وسطها. وقرئ[2] فأطَّلِعَ على لفظ المضارع المنصوبِ. وقرئ مُطلعون[3] فَأُطْلِعَ وفأطْلَعَ بالتَّخفيف على لفظ الماضي[4] والمضارع[5] المنصوبِ يقال طلعَ علينا فلانٌ واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتُم مطَّلعون إلى القرين فأطَّلع أنا أيضًا أو عرضَ عليهم الاطِّلاعَ فقبلوا ما عرضَه فاطَّلع هو بعد ذلك وإن جُعل الاطِّلاعُ متعدِّيًا فالمعنى أنَّه لما شرط في اطِّلاعه اطِّلاعهم كما هو ديدن الجُلساءِ فكأنَّهم مُطْلِعُوه، وقيل الخطاب على هذا للملائكةِ. وقرئ[6] مُطلعونِ بكسر النُّونِ أراده مطلعونَ إيَّاي فوضع المتَّصل موضع المنفصلِ، كقوله: [الطويل]

هم الفاعلونَ الخيرَ والآمرونه ....[7]

---

(١) في ط: مقالة.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٦١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وحسين الجعفي، وابن محيصن، وابن عباس، وعمار بن أبي عمار، وأبو سراج. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٥٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٨٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحسين الجعفي، وابن محيصن، وابن عباس، وعمار بن أبي عمار، وأبو سراج، وأبو البرهسم. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٥٢)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٥٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٤٥٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢١٩)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٥).

(٥) ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٥٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦١).

(٦) قرأ بها: أبو عمرو، وأبو البرهسم، وعمار بن أبي عمار، وابن عباس. ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٥٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦١)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٥٦)، وتفسير الطبري (٢٣/ ٣٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٨٢)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٥).

(٧) صدر بيت وعجزه:
.... إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما
والبيت بلا نسبة في: أمالي ابن الحاجب (١/ ٣٩١)، وخزانة الأدب (٤/ ٢٦٦)، والدرر (٦/ ٢٣٥)، وشرح المفصل (٢/ ١٢٥)، والكتاب (١/ ١٨٨)، ولسان العرب (طلع، حين، ها)، ومجالس ثعلب (١/ ١٥٠)، وهمع الهوامع (٢/ ١٥٧).

أو شُبِّه اسمُ الفاعل بالمضارع لما بينهما من التّآخِي.

﴿قال﴾ أي القائلُ مخاطبًا لقرينهِ ﴿تاللَّهِ إنْ كدتَ لتُردين﴾ أي لتُهلكني بالإغواءِ. وقرئ[١] لتُغوينِ والتَّاءُ فيه معنى التَّعجُّبِ وإنْ هي المخففةُ من أنَّ وضميرُ الشَّأنِ الذي هو اسمُها محذوفٌ واللاَّمُ فارقةٌ أي تاللَّهِ إنَّ الشَّأنَ كدت لتردين. ﴿ولولا نعمةُ ربِّي﴾ بالهدايةِ والعصمة ﴿لكنتُ من المحضرين﴾ أي من الذين أُحضروا العذابَ كما أُحضِرْته أنتَ وأضرابُك وقوله تعالى: ﴿أفما نحنُ بميِّتين﴾ رجوع إلى محاورةِ جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجُّحًا وابتهاجًا بما أتاحَ الله عزَّ وجلَّ لهم من الفضلِ العظيمِ والنَّعيم المقيم. والهمزة للتَّقريرِ وفيها معنى التَّعجُّبِ والفاء للعطف على مقدَّرٍ يقتضيه نظمُ الكلام أي أنحنُ مخلَّدون منعَّمون فما نحنُ بميِّتين أي بمن شأنه الموت. وقرئ[٢] بمائتينَ ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ التي كانت في الدُّنيا وهي متناولةٌ لما في القبر بعد الإحياء للسُّؤالِ قاله تصديقًا لقوله تعالى: ﴿لا يذوقُون فيها الموتَ إلَّا الموتَةَ الأُولى﴾ [سورة الدخان، الآية ٥٦] وقيل إنَّ أهلَ الجنَّةِ أوَّلَ ما دخلُوا الجنَّة لا يعلمون أنَّهم لا يموتون فإذا جِيء بالموت على صُورة كبشٍ أملحَ فذُبح ونُودي يا أهلَ الجنَّةِ خلود فلا موتَ ويا أهلَ النَّارِ خلود فلا موتَ يعلمونه فيقولون ذلك تحدُّثًا بنعمة الله تعالى واغتباطًا بها ﴿وما نحن بمعذَّبين﴾ كالكُفَّار فإنَّ النَّجاةَ من العذاب أيضًا نعمة جليلة مستوجبة للتَّحدثِ بها ﴿إنْ هذا﴾ أي الأمرُ العظيم الذي نحن فيه ﴿لهو الفوزُ العظيمُ﴾ وقيل هو من قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ تقريرًا لقولهم وتصديقًا له. وقرئ[٣] (لهو الرِّزقُ العظيم) وهو ما رُزقوه من السَّعادةِ العُظمى ﴿لمثل هذا فليعملِ العاملون﴾ أي لنيل هذا المرامِ الجليلِ يجب أنْ يعمل العاملون لا للحظوظِ الدُّنيويَّةِ السَّريعةِ الانصرام المشُوبةِ بفنون الآلام وهذا أيضًا يحتملُ أن يكونَ من كلام ربِّ العزَّةِ ﴿أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرةُ الزَّقُّوم﴾ أصل النُّزلِ الفضل والرِّيعُ فاستُعير للحاصل من الشَّيءِ فانتصابُه على التَّميزِ أي أَذلك الرِّزقُ المعلومُ الذي حاصلُه اللَّذةُ والسُّرورُ خيرٌ نزلًا أم شجرةُ الزَّقُّوم التي حاصلها الألم والغمُّ. ويقال النُّزل لما يقامُ ويهيَّأُ من الطَّعامِ الحاضر للنَّازلِ فانتصابُه على الحاليَّةِ والمعنى أنَّ الرِّزقَ المعلوم نزلُ أهل

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٨٥).

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٦٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٨٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٢).

الجنَّةِ، وأهلُ النَّارِ نُزلهم شجرةُ الزَّقُّوم فأيُّهما خيرٌ في كونه نزلا. والزَّقُّومُ اسم شجرةٍ صغيرةِ الورقِ دَفرةٍ[١] مُرَّةٍ كريهةِ الرَّائحةِ تكون في تهامة سمِّيتْ به الشَّجرةُ الموصوفةُ. ﴿إنَّا جعلناها فتنة للظَّالمين﴾ محنةً وعذابًا لهم في الآخرة وابتلاء في الدُّنيا فإنَّهم لمَّا سمعوا أنَّها في النَّار قالوا كيف يمكن ذلك والنَّارُ تحرق الشَّجَر ولم يعلموا أن من قَدَرَ على خلق حيوانٍ يعيش في النَّارِ ويتلذَّذُ بها أقدرُ على خلق الشَّجرِ في النَّار وحفظِهِ من الاحتراق[٢].

﴿إنَّها شجرةٌ تخرج في أصلِ الجحيم﴾ منبتُها في قعر جهنَّم وأغصانها ترتفعُ إلى دركاتِها وقرئ[٣] نابتةٌ في أصل الجحيم ﴿طلعُها﴾ أي حملُها الذي يخرج منها مستعارٌ من طلع النَّخلةِ لمشاركته له في الشَّكلِ والطُّلوعِ من الشَّجرِ. قالوا: أوَّلُ التَّمرِ طَلعٌ ثم خِلالٌ ثم بَلَحٌ ثم بسر ثم رُطَبٌ ثم تمرٌ ﴿كأنَّه رءوسُ الشَّياطين﴾ في تناهي القُبح والهَول وهو تشبيه بالمخيَّل[٤] كتشبيه الفائق في الحُسنِ بالمَلَك. وقيل الشَّياطينُ الحيَّاتُ الهائلةُ القبيحةُ المنظر، لها أعرافٌ وقيل إنَّ شجرًا يقال له الأستنُ خشنًا مُنتنًا مُرًّا منكر الصُّورةِ يسمَّى ثمرُه رؤوسَ الشَّياطينِ ﴿فإنَّهم لآكلون منها﴾ أي من الشَّجرةِ أو من طلعِها فالتَّأنيثُ مكتسب من المضافِ إليه ﴿فمالؤنَ منها البطون﴾ لغلبة الجوعِ أو للقسرِ على أكلِها وإنْ كرهوها ليكونَ ذلك بابًا من العذابِ.

﴿ثمَّ إن لهم عليها﴾ على الشَّجرةِ التي ملأوا منها بطونَهم بعدما شبِعُوا منها وغلبهم العطشُ وطال استسقاؤهم كما يُنبئ عنه كلمة ثُمَّ ويجوز أنْ تكونَ لما في شرابهم من مزيدِ الكراهة والبشاعةِ ﴿لشَوبًا من حميم﴾ لشرابًا من غسَّاقٍ أو صديدٍ مشُوبًا بماءٍ من حميمٍ يُقطِّع أمعاءهم. وقرئ بالضَّمِّ[٥] وهو اسم لما يُشاب به،

---

(١) دفرة: نتنة الرائحة لعكس ذفرة وهي الطيبة الرائحة.

(٢) في ط: الإحراق.

(٣) قرأ بها: عبد الله بن مسعود، ينظر: المعاني للفراء (٢/ ٣٨٧).

(٤) هذه الآية الكريمة كانت نواةً لنشأة علم البلاغة بكتاب «مجاز القرآن لأبي عبيدة»، وقد سمي هذا التشبيه بعد بالتشبيه التخييلي، وهو ما يكون المشبه به أمرًا له وجود في طباع الناس من غير أن تقع عليه حواسهم وهذا التشبيه دال على تناهي ثمر هذا الشجر في الكراهة وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير.
ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٢٤)، وإنباء الرواة على أنباء النحاة (٣/ ٢٧٨)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٧)، والكشاف (٢/ ١٣٧، ٣/ ٤٧).

(٥) قرأ بها: شيبان النحوي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٦٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٠).

والأوَّلُ مصدر سُمِّي به ﴿ثمَّ إنَّ مرجعهم﴾ أي مصيرَهم وقد قرئ كذلك[١]. ﴿لإلى الجحيمِ﴾ لإلى دَرَكاتِها أو إلى نفسها فإنَّ الزَّقُّومَ والحميمَ نزلٌ يقدَّمُ إليهم قبل دخولها وقيل الحميمُ خارجٌ عنها لقوله تعالى: ﴿هذه جهنَّم التي يكذِّب بها المجرمون * يطُوفون بينها وبين حميمٍ آنٍ﴾ [سورة الرحمٰن، الآيتان ٤٣، ٤٤] يذهب بهم عن مقارِّهم ومنازلهم في الجحيمِ إلى شجرة الزَّقُّومِ فيأكلون منها إلى أنْ يمتلئُوا ثم يُسقون من الحميم ثم يُردُّون إلى الجحيم ويُؤيِّده أنَّه قرئ ثمَّ إنَّ منقلبَهم[٢].

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ

---

(١) ينظر: مختصر شواذ القراءات (٢٣/ ٩٦).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٨٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٣).

﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

﴿إنَّهم ألفَوا آباءَهم ضالِّين﴾ تعليل لاستحقاقِهم ما ذُكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدِّينِ من غير أنْ يكونَ لهم ولا لآبائِهم شيءٌ يتمسَّكُ به أصلًا، أي وجدوهم ضالِّين في نفس الأمر ليس لهم ما يصلُح شبهةً فضلًا عن صلاحيةِ الدَّليلِ ﴿فهم على آثارِهم يُهرعون﴾ من غير أنْ يتدبروا أنَّهم على الحقِّ أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمُّلٍ والإهراعُ: الإسراع الشَّديدُ، كأنَّهم يُزعجون ويحثُّون حثًّا على الإسراع على آثارِهم وقيل هو إسراعٌ فيه شبه رعدةٍ.

﴿ولقد ضلَّ قبلهم﴾ أي قبل قومِك قريش ﴿أكثرُ الأوَّلين﴾ من الأمم السَّالفةِ وهو جواب قسم محذوف، وكذا قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا فيهم مُنذرين﴾ أي أنبياءَ أولي عددٍ كثيرٍ وذوي شأنٍ خطيرٍ بيَّنوا لهم بُطلانَ ما هم عليه وأنذرُوهم عاقبته الوَخِيمَة وتكريرُ القَسَم لإبراز كمالِ الاعتناء بتحقيقِ مضمونِ كلٍّ من الجملتين ﴿فانظُر كيف كان عاقبةُ المَنذرين﴾ من الهول والفظاعةِ لمَّا لم يلتفتُوا إلى الإنذار ولم يرفعُوا له رأسًا. والخطابُ إمَّا لرسولِ الله ﷺ أو لكلِّ أحدٍ ممَّن يتمكَّنُ من مشاهدة آثارِهم وحيث كان المعنى أنَّهم أُهلكوا إهلاكًا فظيعًا استُثني منهم المُخلصون بقوله تعالى: ﴿إلا عبادَ اللَّهِ المُخلَصين﴾ أي الذين أخلصَهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعملِ بموجب الإنذارِ وقرئ[1] المخلِصين بكسر اللاَّم، أي الذين أخلصُوا دينَهم لله تعالى.

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والتيسير للداني ص (١٢٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٧٦، ١١٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٥).

﴿ولقد نادانا نوحٌ﴾ نوعُ تفصيلٍ لما أُجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسنِ عاقبتِهم متضمِّنٍ لبيان سوء عاقبة بعض المُنذرين حسبما أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿فانظُر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ [سورة يونس، الآية ٧٣] كقوم نوحٍ وآل فرعونَ وقوم لوطٍ وقوم إلياسَ، ولبيان حُسن عاقبةِ بعضهم الذين[1] أخلصُهم الله تعالى ووفَّقهم للإيمان كما أشار إليه الاستثناء كقوم يونسَ عليه السَّلامُ ووجه تقديم قصَّةِ نوح على سائر القصص غنيٌّ عن البيان، واللاَّمُ جواب قسم محذوفٍ وكذا ما في قوله تعالى: ﴿فلنعم المُجيبون﴾ أي وباللَّهِ لقد دعانا نوحٌ حين يئسَ من إيمان قومه بعدما دعاهُم إليه أحقابًا ودُهُورًا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا ونُفورًا فأجبناه أحسنَ الإجابةِ فواللَّهِ لنعم المُجيبون نحن فحُذف ما حُذف ثقةً بدلالة ما ذُكر عليه والجمع دليلُ العظمةِ والكبرياءِ.

﴿ونجَّيناه وأهلَه من الكَربِ العظيم﴾ أي من الغَرقِ وقيل من أذيةِ قومه ﴿وجعلنا ذُرِّيتَه هم الباقينَ﴾ فحسب حيثُ أهلكنا الكفرة بموجب دعائه ﴿ربِّ لا تذرْ على الأرضِ من الكافرين ديَّارًا﴾ [سورة نوح، الآية ٢٦] وقد رُوي أنَّه ماتَ كلُّ من كانَ معه في السَّفينةِ غير أبنائه وأزواجهم أو هم الذين بقوا مُتناسلين إلى يوم القيامة قال قتادة: النَّاسُ كلُّهم من ذُرِّيةِ نوحٍ عليه السَّلامُ وكان له ثلاثةُ أولادٍ سام وحام ويافث، فسام أبُو العربِ وفارس والرُّوم، وحام أبُو السودانِ من المشرق إلى المغربِ ويافث أبو التُّركِ ويأجوجَ ومأجوجَ ﴿وتركنا عليه في الآخرينَ﴾ من الأمم ﴿سلامٌ على نوح﴾ أي هذا الكلامُ بعينه وهو واردٌ على الحكاية كقولك قرأتُ سورة أنزلناها والمعنى يُسلِّمون عليه تسليمًا ويدعُون له على الدَّوام أمَّةً بعد أمَّةٍ. وقيل ثمة قولٌ مقدَّرٌ أي فقلنا وقيل ضُمِّن تركنا معنى قلنا. وقوله تعالى: ﴿في العالمين﴾ متعلِّقٌ بالجارِّ والمجرورِ. ومعناهُ الدُّعاء بثباتِ هذه التَّحيةِ واستمرارِها أبدًا في العالمين من الملائكة والثَّقلينِ جميعًا. وقوله تعالى: ﴿إنَّا كذلك نَجزي المُحسنين﴾ تعليلٌ لما فُعل به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من التَّكرمةِ السَّنيةِ من إجابةِ دُعائهِ أحسنَ إجابةٍ وإبقاء ذُرِّيتهِ وتَبقيةِ ذكره الجميلِ وتسليم العالمين عليه إلى آخرِ الدَّهرِ بكونه من زُمرة المعروفين بالإحسان الرَّاسخينَ فيه وأنَّ ذلك من قبيل مُجازاة الإحسانِ بالإحسانِ وذلك إشارة إلى ما ذُكر من الكرامات السَّنيةِ التي وقعتْ جزاءً له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وما فيه من معنى البُعد مع قُربِ العهد بالمشارِ إليه للإيذانِ بعلوِّ رُتبته وبُعد منزلتهِ في الفضل والشَّرفِ، والكافُ متعلِّقةٌ بما بعدها أي

(١) في ط: للذين.

مثلَ ذلك الجزاءِ الكاملِ نجزِي الكاملينَ في الإحسانِ لا جزاءً أدنى منه. وقوله تعالى: ﴿إنَّه من عبادنا المُؤمنين﴾ تعليل لكونهِ من المحسنين بخلوصِ عبوديته وكمال إيمانه وفيه من الدِّلالةِ على جلالة قدرهما ما لا يخفى. ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي المغايرين لنوحٍ وأهله وهُم كُفَّارُ قومه أجمعين ﴿وإنَّ من شيعتهِ﴾ أي ممَّن شايعه في أصول الدِّينِ ﴿لإبراهيم﴾ وإنِ اختلفتْ فروعُ شرائعهما ويجوزُ أن يكون بين شريعتيهما اتِّفاقٌ كليٌّ أو أكثر[١] وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: من أهل دينهِ وعلى سنَّتهِ أو ممَّن شايعه على التَّصلُّبِ في دينِ الله ومصابرةِ المكذِّبين وما كان بينهما إلا نبيَّانِ [هما][٢] هودٌ وصالحٌ عليهما الصلاة والسلام وكان بين نوح وإبراهيمَ ألفانِ وستمائة وأربعون سنةً.

﴿إذ جاء ربَّه﴾ منصوب بـ (اذكُر) أو متعلِّقٌ بما في الشِّيعةِ من معنى المُشايعةِ ﴿بقلبٍ سليم﴾ أي من آفات القلوب أو من العلائقِ الشَّاغلةِ عن التَّبتلِ إلى الله عزَّ وجلَّ ومعنى المجيء به ربَّه إخلاصُه له كأنَّه جاء به متحفًا إيَّاهُ بطريق التَّمثيلِ ﴿إذ قال لأبيهِ وقومهِ ماذا تعبدُون﴾ بدلٌ من الأولى أو ظرفٌ لجاء أو لسليم أي أيَّ شيء تعبدونه ﴿أئفكًا آلهةً دون الله تريدون﴾ أي أتريدون آلهةً من دون الله إفكًا أي للإفكِ فقدَّم المفعولَ على الفعل للعنايةِ ثمَّ المفعولَ له على المفعولِ به لأنَّ الأهمَّ مكافحتُهم بأنَّهم على إفكٍ وباطل في شركهم. ويجوزُ أن يكونَ إفكًا مفعولًا به بمعنى أتريدون إفكًا ثم يفسَّر الإفكُ بقوله آلهةً من دون الله دلالةً على أنَّها إفكٌ في نفسها للمبالغةِ أو يراد بها عبادتُها بحذفِ المضافِ، ويجوزُ أنْ يكون حالًا بمعنى آفكينَ ﴿فما ظنُّكم بربِّ العالمينَ﴾ أي بمن هو حقيقٌ بالعبادة لكونه ربًّا للعالمين حتَّى تركتُم عبادته خاصَّةً وأشركتُم به أخسَّ مخلوقاته أو فما ظنُّكم به أي شيء هو من الأشياء حتى جعلتُم الأصنام له أندادًا أو فما ظنُّكم به ماذا يفعل بكم وكيفَ يعاقبكم بعدما فعلتُم ما فعلتم من الإشراكِ به ﴿فنظَرَ نظرةً في النُّجوم﴾ قيل كانت له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حُمَّى لها نوبةٌ معيَّنةٌ في بعض ساعات اللَّيلِ فنظر ليعرفَ هل هي تلك السَّاعةُ فإذا هي قد حضرتْ ﴿فقال إنِّي سقيمٌ﴾ وكان صادقًا في ذلك فجعلَه عُذرًا في تخلُّفهِ عن عيدهم وقيل أرادَ إنِّي سقيمُ القلبِ لكفرِكم وقيل نظر في علمِها أو في كتبها أو في أحكامها ولا منعَ من ذلك حيثُ كان قصدُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إيهامَهم حين أرادُوا أنْ يخرجُوا به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى معبدِهم[٣] ليتركُوه فإنَّ القومَ كانوا نجَّامين

(١) في ط: أكثري. (٢) سقط في ط.
(٣) في ط: معيدهم.

فأوهمهم أنَّه قد استدلَّ بأمارةٍ في علم النُّجوم على أنَّه سقيمٌ أي مشارف للسقم وهو الطَّاعُونُ وكان أغلبَ الأسقامِ عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرَّقوا عنه فهربُوا منه إلى معيدِهم وتركوه في بيت الأصنام وذلك قوله تعالى: **﴿فتولَّوا عنه مُدبرين﴾** أي هاربين مخافةَ العَدْوى. **﴿فراغَ إلى آلهتهم﴾** أي ذهب إليها في خُفْيةٍ وأصله الميلُ بحيلةٍ **﴿فقال﴾** للأصنام استهزاءً **﴿ألا تأكلون﴾** أي من الطَّعام الذي كانوا يصنعونَه عندها لتبركَ عليه **﴿ما لكم لا تنطقُون﴾** أي بجوابي **﴿فراغَ عَليهم﴾** فمالَ مستعليًا عليهم وقوله تعالى: **﴿ضربًا باليمين﴾** مصدر مؤكِّدٌ لراغَ عليهم فإنَّه بمعنى ضربَهم، أو لفعلٍ مضمرٍ هو حال من فاعله، أي فراغ عليهم يضربُهم ضربًا، أو هو الحالُ منه على أنَّه مصدرٌ بمعنى الفاعلِ أي فراغَ عليهم ضاربًا باليمين أي ضربًا شديدًا قويًا؛ وذلك لأنَّ اليمينَ أقوى الجارحتينِ وأشدُّهما، وقوَّةُ الآلةِ تقتضي قُوَّة الفعلِ وشدَّته، وقيل بالقُوَّةِ والمتانةِ كما في قوله: [الوافر]

إذَا مَا رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ   تَلقَّاها عُرابةُ باليمينِ[1]

أي بالقُوَّة وعلى ذلك مدارُ تسميةِ الحلفِ باليمينِ لأنَّه يُقوِّي الكلامَ ويؤكِّدُه وقيل بسبب الحلفِ وهو قولُه تعالى: ﴿وتاللَّهِ لأكيدنَّ أصنامكم﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٥٧].

﴿فأقبلُوا إليه﴾ أي المأمورون بإحضاره عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعدما رجعوا من عيدهم إلى بيت الأصنام فوجدُوها مكسورةً فسألوا عن الفاعلِ فظنُّوا أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فعلَه فقيل فأتُوا به **﴿يَزفُّون﴾** حالٌ من واوِ أقبلُوا أي يُسرعون من زَفيفِ النَّعام. وقرئ[2] يَزِفُون من أزفَ إذا دخلَ في الزَّفيف. أو من أزفَّه أي حملَه على الزَّفيفِ أي يزف بعضُهم بعضًا ويُزَفُّون على البناء للمفعولِ أي يُحملون على الزَّفيف ويَزِفون من وزَف يزِف إذا أسرع ويُزَفُّون من زفَّاه إذا حداه كأنَّ بعضَهم يزفُو بعضًا لتسارُعهم إليه عليه الصلاة والسلام **﴿قال﴾** أي: بعد ما أتَوا به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وجرى بينه ﷺ وبينهم من المحاوراتِ ما نطقَ به قوله تعالى: ﴿قالوا أأنتَ فعلتَ هذا

---

(١) البيت للشماخ في ديوانه ص (٣٣٦)، ولسان العرب (عرب)، (يمن)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣)، وجمهرة اللغة (٣١٩، ٩٩٤) وتاج العروس (عرب)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٥٨).

(٢) قرأ بها: حمزة، وعاصم، ومجاهد، وابن وثاب، والمفضل، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٥٧، ٧٥٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٦٨)، والتيسير للداني ص (١٨٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٥).

بآلهتِنا يا إبراهيمُ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٦٢] إلى قوله تعالى: ﴿لقد علمتَ ما هؤلاءِ ينطقونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٦٥] **﴿أتعبدون ما تنحتُون﴾** ما تنحتونَه من الأصنام وقوله تعالى: **﴿واللَّهُ خلقكَم وما تعملون﴾** حالٌ من فاعل تعبدون مؤكِّدةٌ للإنكار والتَّوبيخِ أي والحالُ أنَّه تعالى خلقكم وخلقَ ما تعملونَهُ فإنَّ جواهرَ أصنامِهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنَّه بإقداره تعالى إيَّاهم عليه وخلقه ما يتوقَّفُ عليه فعلُهم من الدَّواعي والعدد والأسباب، وما تعملون إمَّا عبارةٌ عن الأصنام فوضعه [موضعَ][1] ضميرِ ما تنحِتون للإيذان بأنَّ مخلوقيَّتها لله عزَّ وجلَّ ليس من حيثُ نحتُهم لها فقط بل من حَيثُ سائرُ أعمالهم أيضًا من التَّصويرِ والتَّحليةِ والتَّزيينِ ونحوها، وإمَّا على عمومهِ فينتظمُ الأصنامَ انتظامًا أوليًّا مع ما فيه من تحقيقِ الحقِّ ببيانِ أنَّ جميع ما يعملونَهُ كائنًا ما كان مخلوقٌ له سبحانه. وقيل ما مصدريةٌ أي عملَكم على أنَّه بمعنى المفعولِ وقيل بمعناه فإنَّ فعلَهم إذا كان بخلقِ اللَّهِ تعالى كان مفعولهم المتوقِّفُ على فعلهم أولى بذلك **﴿قالوا ابنُوا له بنيانًا فألقُوه في الجحيم﴾** أي في النَّارِ الشَّديدةِ الاتِّقادِ من الجحمةِ وهي شدَّةُ التَّأجُّج، واللاَّم عوضٌ من المضاف إليه أي جحيم ذلك البنيانِ وقد ذكر كيفية بنائهم [له][2] في سورة الأنبياء **﴿فأرادُوا به كيدًا﴾** فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلام لمَّا قهرهم بالحجَّةِ وألقمهم الحجرَ قصدُوا ما قصدُوا لئلَّا يظهرَ للعامَّةِ عجزُهم **﴿فجعلناهم الأسفلينَ﴾** الأذلِّين بإبطال كيدِهم وجعله برهانًا نيِّرًا على علوّ شأنهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بجعل النَّارِ عليه بَرْدًا وسَلامًا **﴿وقال إنِّي ذاهبٌ إلى ربِّي﴾** أي مهاجرٌ إلى حيثُ أمرني ربِّي كما قال إنِّي مهاجرٌ إلى ربِّي وهو الشَّامُ أو إلى حيث أتجرَّدُ فيه لعبادته تعالى **﴿سيهدين﴾** أي إلى ما فيه صلاحُ ديني أو إلى مقصدي وبت[3] القول بذلك لسبقِ الوعدِ أو لفرط توكّله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكُن كذلك حالُ موسى عليه السَّلامُ حيث قال: ﴿عسى ربِّي أنْ يهديني سواءَ السَّبيلِ﴾ [سورة القصص، الآية ٢٢] ولذلك أتى بصيغة التَّوقُّعِ.

﴿ربِّ هبْ لي من الصَّالحين﴾ أي بعضَ الصَّالحينَ يعينني على الدَّعوةِ والطَّاعةِ ويؤنسني في الغُربةِ يعني الولد لأن لفظَ الهبة على الإطلاقِ خاصٌّ به وإن كان قد وردَ مقيَّدًا بالأخوةِ في قوله تعالى: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاهُ هارون نبيًّا﴾ [سورة مريم، الآية ٥٣] ولقوله تعالى: **﴿فبشَّرناه بغلامٍ حليمٍ﴾** فإنَّه صريح في أنَّ المبشَّر به

---

(١) سقط في ط.
(٢) سقط في ط.
(٣) في ط: وبتَّ.

عينُ ما استوهبه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ولقد جمع فيه بشاراتٌ ثلاثٌ: بشارةُ أنَّه غلامٌ وأنَّه يبلغُ أوانَ الحُلُم وأنَّه يكونُ حَليمًا، وأيُّ حِلْم يُعادل حلمَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حين عرضَ عليه أبُوه الذَّبحَ فقال: ﴿يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر ستجدني إنْ شاء اللَّهُ من الصَّابرين﴾ [سورة الصافات، الآية ١٠٢] وقيل ما نعتَ اللَّهُ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ بأقلَّ ممَّا نعتهم بالحِلْمِ لعزَّةِ وجودهِ غيرَ إبراهيمَ وابنه فإنَّه تعالى نعتهما به وحالهما المحكيَّةُ تعد أعدلُ بينةٍ بذلك.

والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فلمَّا بلغ معه السَّعي﴾ فصيحةٌ معربة عن مقدَّرٍ قد حُذف تعويلًا على شهادةِ الحال وإيذانًا بعدمِ الحاجة إلى التَّصريح به لاستحالةِ التَّخلُّفِ والتَّأخُّرِ بعد البشارة كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿فلمَّا رأينه أكبرنَه﴾ [سورة يوسف، الآية ٣١] وفي قوله تعالى: ﴿فلمَّا رآهُ مستقرًّا عنده﴾ [سورة النمل، الآية ٤٠] أي فوهبناه له فنشأ فلمَّا بلغَ رتبةَ أنْ يسعى معه في أشغالهِ وحوائجهِ. ومعه متعلِّق بمحذوفٍ يُنبئ عنه السَّعيُ لا بنفسِه لأنَّ صلة المصدرِ لا تتقدَّمُه ولا يبلغ لأنَّ بلوغَهما لم يكن معًا كأنَّه لما ذُكر السَّعيُ قيل مع مَن فقيل مَعَه وتخصيصُه لأنَّ الأبَ أكملُ في الرِّفقِ والاستصلاحِ فلا يستسيغُه[1] قبل أوانهِ أو لأنَّه استوهبه لذلك وكان له يومئذٍ ثلاثَ عشرة سنةً.

﴿قال﴾ أي إبراهيمُ عليه السَّلامُ ﴿يا بني إنِّي أرى في المنام أنِّي أذْبَحُك﴾ أي أرى هذه الصُّورة بعينها أو ما هذه عبارتُه وتأويلُه وقيل إنه رأى ليلَةَ التَّرويةِ كأنَّ قائلًا يقول له: إنَّ الله يأمُرك بذبح ابنِك هذا فلمَّا أصبحَ رَوَّى في ذلك من الصَّباحِ إلى الرَّواحِ أمنَ اللَّهِ هذا الحُلُم أم من الشَّيطانِ، فمن ثمة سُمِّي يوم التَّرويةِ فلمَّا أمسى رأى مثلَ ذلك فعرفَ أنَّه من اللَّهِ تعالى فمن ثَمَّة سمِّي يومَ عرفة ثم رأى مثله في اللَّيلةِ الثَّالثةِ فهمَّ بنحرهِ فسمِّي اليوم يومَ النَّحرِ وقيل إنَّ الملائكةَ حين بشَّرته بغلام حليم قال: إذن هو ذبيح الله فلمَّا وُلد وبلغ حدَّ السَّعيِ معه قيل له: أوفِ بنذرك والأظهرُ الأشهرُ أنَّ المخاطَب إسماعيلُ عليه السَّلامُ إذ هُو الذي وُهب إثرَ المُهاجرةِ ولأنَّ البشارة بإسحاق بعده معطوفٌ على البشارةِ بهذا الغلام ولقوله عليه الصَّلاة والسَّلامُ: **«أنا ابنُ الذَّبيحين»**[2] فأحدُهما جدُّه إسماعيلُ عليه السَّلامُ والآخرُ أبُوه عبدُ اللَّهِ فإنَّ

---

(١) في ط: يستسعيه.

(٢) قال الألباني في الضعيفة (١/ ٣٣٦) رقم (٣٣١): «لا أصل له بهذا اللفظ» وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٣٠): «قال الزيلعي وابن حجر في تخريج الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ».
قلت: قد أخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) بسنده عن عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان... وفيه: فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله خلفت البلاد يابسة =

عبد المطَّلبِ نذر أنْ يذبحَ ولدًا إنْ سهَّل الله تعالى له حفرَ بئرِ زمزمٍ أو بلغ بنُوه عشرةً فلمَّا حصل ذلك وخرجَ السَّهمُ على عبدِ اللَّهِ فداهُ بمائةٍ من الإبلِ ولذلك سُنَّت الدِّيةُ مائةً ولأنَّ ذلك كان بمكَّة وكان قَرْنا الكبشِ معلَّقين بالكعبةِ حتَّى احترقا في أيَّامِ ابن الزُّبيرِ ولم يكن إسحاقُ ثمَّة ولأنَّ بشارة إسحاق كانت مقرونةً بولادةِ يعقوبَ منه فلا يُناسبه الأمرُ بذبحهِ مُراهِقًا. وما رُوي أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلامُ سُئل أيُّ النَّسب أشرفُ؟ فقال يوسفُ صدِّيقُ اللَّهِ ابنُ يعقوبَ إسرائيلَ اللَّهِ ابنِ إسحاقَ ذبيحِ اللَّهِ ابنِ إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ فالصَّحيحُ أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال يوسفُ بنُ يعقوب بن إسحاقَ بن إبراهيم»[1] والزَّوائدُ من الرَّاوي، وما رُوي من أنَّ يعقوبَ كتب إلى يوسفَ مثلَ ذلك لم يثبت: وقرئ إنِّيَ[2] بفتح الياءِ فيهما.

﴿فانظُر ماذا ترى﴾ من الرَّأيِ وإنَّما شاوره فيه وهو أمرٌ محتومٌ ليعلمَ ما عنده فيما نَزلَ من بلاءِ اللَّهِ تعالى فيُثبِّت قدمَه إنْ جَزِعَ ويأمن عليه إنْ سلَّم وليُوطِّنَ نفسَه عليه فيُهون ويكتسبُ المثوبة عليه بالانقيادِ له قبل نزولهِ. وقرئ[3] ماذا تُري بضمِّ التَّاءِ

= والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك، يابن الذبيحين. فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه فقلنا: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم... الحديث. وقال الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩): وقد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن التي طلبنا الحديث فيها، وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل وقاعدتهم فيه قول النبي ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل، وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبد الله بن عبد المطلب، والآن: فإني أجد مصنفي هذه الأدلة يختارون من قال: إنه إسحاق.اهـ. من المستدرك.

وسكت الحاكم عليه في الموضع الأول، لكن قال الذهبي متعقبًا: قلت: إسناده واه. وانظر كلام الألباني في الضعيفة رقم (٣٣١) على هذا الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٨١) كتاب التفسير، باب: قوله تعالى «لقد كان في يوسف»، برقم (٣٣٩٠) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعًا بلفظ.

الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

(٢) قرأ إنيَ: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والتيسير للداني ص (١٨٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٠).

وقرأ أنيَ: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩)، والتيسير للداني ص (١٧٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٠).

(٣) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، وطلحة، والأعمش، وعبد الله، والأسود بن يزيد، وابن وثاب، ومجاهد. =

وكسرِ الرَّاءِ وبفتحِها[١] مبنيًا للمفعولِ ﴿قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر﴾ أي تُؤمر بهِ فحذف الجارُّ أوَّلًا على القاعدةِ المُطَّردةِ ثم حُذف العائدُ إلى الموصولِ بعد انقلابه منصوبًا بإيصاله إلى الفعلِ أو حُذفا دفعةً أو افعل أمرك على إضافة المصدر إلى المفعولِ وتسمية المأمورِ به أمرًا. وقرئ[٢] ما تؤمر به، وصيغة المضارعِ للدِّلالةِ على أنَّ الأمرَ متعلِّقٌ به متوجِّهٌ إليه مستمرٌّ إلى حينِ الامتثالِ به ﴿ستجدنِي إنْ شاءَ اللَّهُ من الصَّابرين﴾ على الذَّبحِ أو على قضاء الله تعالى.

﴿فلمَّا أسلما﴾ أي استسلما لأمرِ الله تعالى وانقادا وخَضَعا له يقال سَلَّم لأمرِ الله وأسلَم واستسلَم بمعنى واحدٍ. وقرئ بهنَّ جميعًا. وأصلُها من قولك سَلِمَ هذا لفلانٍ إذا خلُص له ومعناه سَلِمَ من أنْ يُنازع فيهِ وقولهم سلَّم لأمرِ الله وأسلَمَ له منقولانِ منه ومعناهما أخلصَ نفسَه لله وجعلها سالمةً له وكذلك معنى استسلَم استخلصَ نفسَه له تعالى. وعن قتادة رضي الله عنه في أسلما: أسلَمَ إبراهيمُ ابنَه وإسماعيلُ نفسه. ﴿وتلَّه للجبينِ﴾ صرعَه على شقِّه فوقع جبينُه على الأرض وهو أحدُ جانبَيْ الجبهةِ وقيل كبَّه على وجههِ بإشارتهِ كي لا يرى منه ما يُورِث رقَّةً تحولُ بينه [وبين أمرِ الله تعالى وكان ذلك عند الصَّخرةِ من مِنَى. وقيل في الموضعِ المُشرف على مسجدِ مِنَى وقيل في المنحرِ الذي يُنحر][٣] اليوم [فيه][٤] ﴿وناديناهُ أنْ يا إبراهيمُ قد صدَّقتَ الرُّؤيا﴾ بالعزم على الإتيانِ بالمأمور به وترتيبِ مقدماتهِ. و[قد][٥] رُوي أنَّه أمرَّ السِّكِّينَ بقوَّتهِ على حلقهِ مرارًا فلم يقطعْ ثم وضع السِّكِّينَ على قفاه فانقلبَ السِّكِّينُ فعند ذلكَ وقع النِّداءُ. وجوابُ لمَّا محذوفٌ إيذانًا بعدم وفاء التَّعبيرِ بتفاصيله كأنَّه[٦] قيل كانَ ما كانَ مما لا يحيطُ به نطاق البيانِ من استبشارهما وشكرِهما لله تعالى على ما أنعمَ به عليهما من دفعِ البلاء بعد حلولهِ والتَّوفيقِ لما لم يُوفَّقْ أحدٌ لمثله، وإظهارِ فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثَّوابِ العظيمِ إلى غيرِ ذلك ﴿إنَّا كذلك نجزي

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٦٩، ٣٧٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٦٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٥).

(١) قرأ بها: الضحاك، والأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٥١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٢).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٨).

(٣) سقط في خ.

(٤) (٥) سقط في خ.

(٥) سقط في ط.

(٦) في ط: فإنه.

المُحسنين﴾ تعليلٌ لتفريج تلك الكُربةِ [عنهما][1] بإحسانهما واحتجَّ به من جوَّز النَّسخ قبل وقوع المأمور به فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان مأمورًا بالذَّبحِ لقوله تعالى: ﴿افعلْ ما تُؤمر﴾ [سورة الصافات، الآية ١٠٢] ولم يحصلْ **﴿إنَّ هذا لهو البلاءُ المبين﴾** الابتلاء البين الذي يتميَّز فيه المخلِصُ عن غيره أو المحنةُ البيِّنةُ الصُّعوبةِ إذ لا شيءَ أصعبُ منها.

﴿وفديناه بِذبْحٍ﴾ بما يُذبح بدله فيتمُّ به الفعل **﴿عظيم﴾** أي عظيمِ الجثَّة سمينٍ أو عظيم القدر لأنَّه يُفدي به اللَّهُ نبيًّا ابنِ نبيٍّ وأي نبي من نسله سيِّدُ المُرسلينَ. قيل كان ذلك كبشًا من الجنَّةِ. عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه الكبشُ الذي قرَّبه هابيلُ فتُقبِّل منه وكان يَرْعى في الجنَّةِ حتَّى فُدي به إسماعيلُ عليه السَّلامُ، وقيل فُدي بوعلٍ أُهبط عليه من ثَبير. ورُوي أنه هربَ من إبراهيمَ عليه السَّلامُ عند الجمرةِ فرماه بسبع حصياتٍ حتَّى أخذه فبقي سنَّةً في الرَّمي. ورُوي أنَّه رَمَى الشَّيطان حين تعرَّض له بالوسوسةِ عند ذبحِ ولده. ورُوي أنَّه لمَّا ذبحه قال جبريلُ عليه السَّلامُ: اللَّهُ أكبرُ اللَّهُ أكبرُ فقال الذَّبيحُ: لا إلٰهَ إلاَّ اللَّهُ واللَّهُ أكبرُ فقالَ إبراهيمُ: اللَّهُ أكبرُ ولِلَّهِ الحمدُ فبقي سُنَّةً. والفادي في الحقيقة هو إبراهيمُ وإنَّما قيل وفديناهُ لأنَّه تعالى هو المُعطي له والآمرُ به على التَّجوزِ في الفداءِ أو الإسنادِ **﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ﴿سلامٌ على إبراهيم﴾** قد سلف بيانُه في خاتمةِ قصَّة نوحٍ عليه السَّلامُ **﴿كذلك نَجزي المُحسنين﴾** ذلك إشارةٌ إلى إبقاءِ ذكره الجميل فيما بينَ الأمم لا إلى ما أُشير إليه فيما سبق فلا تكرارَ. وعدم تصديرِ الجملةِ بـ «إنا» للاكتفاءِ بما مرَّ آنِفًا **﴿إنَّه من عبادنا المُؤمنين﴾** الراسخين في الإيمان على وجهة الإيقان والاطمئنان.

﴿وبشَّرناه بإسحاق نبيًّا من الصَّالحين﴾ أي مقضيًّا بنبُّوتهِ مقدَّرًا كونه من الصَّالحينَ وبهذا الاعتبار وقَعا حالينِ ولا حاجةَ إلى وجود المبشَّر به وقت البشارةِ فإنَّ وجود ذي الحالِ ليس بشرطٍ وإنَّما الشَّرطُ مقارنةُ تعلُّق الفعل به لاعتبارِ معنى الحالِ فلا حاجة إلى تقدير مضافٍ يجعل عاملًا فيهما مثل وبشَّرناهُ بوجودِ إسحاق أي بأنْ يُوجد إسحاقَ نبيًّا من الصَّالحين، ومع ذلكَ لا يصيرُ نظيرَ قوله تعالى: ﴿فٱدخلُوها خالدين﴾ [سورة الزمر، الآية ٧٣] فإنَّ الدَّاخلين كانوا مقدِّرين خلودهم وقت الدُّخولِ وإسحاقُ عليه السَّلامُ لم يكن مقدِّرًا نبُوة نفسه وصلاحَها حينما يُوجد، ومن فسَّر الغلامَ بإسحاقَ جعل المقصودَ من البشارةِ نبوُّته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وفي ذكر الصَّلاحِ بعد النبوة

---

(١) سقط في ط.

تعظيم لشأنِهِ وإيماء إلى أنَّه الغايةُ لها لتضمُّنِها معنى الكمالِ والتَّكميلِ بالفعلِ على الإطلاقِ.

﴿وباركنا عليه﴾ على إبراهيمَ في أولادِه ﴿وعلى إسحقَ﴾ بأنْ أخرجنا من صلبهِ أنبياءَ بني إسرائيلَ وغيرَهم كأيُّوبَ وشُعيبَ عليهم السَّلامُ أو أفضْنا عليهما بركاتِ الدِّينِ والدُّنيا. وقرئ[1] وبرَّكنا. ﴿ومنْ ذُرِّيتهما محسنٌ﴾ في عملِهِ أو لنفسِه بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وظالمٌ لنفسِه﴾ بالكفرِ والمَعَاصي ﴿مُبينٌ﴾ ظاهرٌ ظلمُه وفيه تنبيهٌ على أنَّ النَّسبَ لا تأثيرَ له في الهدايةِ والضَّلالِ وأنَّ الظُّلمَ في أعقابهما لا يعودُ عليهما بنقيصةٍ ولا عيبٍ ﴿ولقد مننَّا على مُوسى وهَارون﴾ أي أنعمنا عليهما بالنبوَّة وغيرِها من النِّعم الدِّينيةِ والدُّنيويةِ ﴿ونجَّيناهما وقومَهما﴾ وهم بنُو إسرائيلَ ﴿من الكَربِ العظيم﴾ هو مَلَكةُ آل فرعونَ وتسلطهم عليهم بألوان الغَشَم والعذاب كما في قوله تعالى: ﴿وإذ أنجيناكُم من آلِ فرعونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٤١] وقيل هو الغرَقُ وهو بعيد لأنَّه لم يكن عليهم كَربًا ومشقةً.

﴿ونصرناهُم﴾ أي إيَّاهما وقومَهما على عدوِّهم ﴿فكانُوا﴾ بسبب ذلك ﴿هم الغالبينَ﴾ عليهم غلبةً لا غايةَ وراءها بعد أنْ كان قومُهما في أسرِهم وقَسْرِهم مقهورين تحت أيديهم العادية وموتهم يسومُونهم سوء العذاب وهذه التَّنجيةُ وإن كانتْ بحسب الوجودِ مقارنةً لما ذُكر من النَّصرِ والغَلَبة لكنَّها لما كانتْ بحسب المفهوم عبارة عن التَّخليصِ من المكروهِ بُدئ بها ثمَّ بالنَّصر الذي يتحقَّقُ مدلُوله بمحضِ تنجيةِ المنصورِ من عدوِّه ومن غير تغليبِهِ عليه ثم بالغلبةِ لتوفيةِ مقام الامتنانِ حقَّه بإظهار أنَّ كلَّ مرتبةٍ من هذه المراتبِ الثَّلاثِ نعمةٌ جليلةٌ على حيالها ﴿وآتيناهُما﴾ بعد ذلك ﴿الكتابَ المُستبين﴾ أي البليغَ في البيان والتَّفصيلِ وهو التَّوراةُ ﴿وهديناهما﴾ بذلك ﴿الصِّراطَ المستقيم﴾ الموصِّلَ إلى الحقِّ والصَّوابِ بما فيه من تفاصيلِ الشَّرائعِ وتفاريعِ الأحكامِ ﴿وتركنا عليهما في الآخرين سلامٌ على مُوسىٰ وهارون﴾ أي أبقينا فيما بين الأممِ الآخرينَ هذا الذِّكرَ الجميلَ والثَّناءَ الجزيلَ ﴿إنَّا كذلكَ﴾ الجزاءِ الكاملِ ﴿نجزي المحسنين﴾ الذين هُما من جُملتهم لا جزاء قاصرًا عنه ﴿إنَّهما من عبادِنا المؤمنين﴾ سبق بيانُه.

﴿وإنَّ إلياسَ لمن المُرسلين﴾ هو إلياسُ بنُ ياسينَ من سبطِ هارون أخي مُوسى

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥١).

عليهم السلام بُعث بعده وقيل إدريسُ لأنَّه قرئ مكانه إدريسَ[١] وإدراسَ[٢] وقرئ إيليسَ[٣] وقرئ الياسَ[٤] بحذفِ الهمزة ﴿إذ قال لقومِهِ ألا تتَّقون﴾ أي عذابَ الله تعالى. ﴿أتدعُون بَعْلًا﴾ أتعبدونَه وتطلبون الخيرَ منه وهو اسمُ صنمٍ كان لأهل بكَّ من الشَّأم وهو البلد المعروفُ اليوم ببَعْلَبَكَّ قيل كان من ذهبٍ طولهُ عشرون ذراعًا وله أربعةُ أوجهٍ فتُنوا به وعظَّموه حتى أخدمُوه أربعمائة سادنٍ وجعلوهم أنبياءَ فكان الشَّيطانُ يدخل جوفَه ويتكلَّم بشريعة الضَّلالةِ، والسَّدنةُ يحفظونَها ويُعلِّمونها النَّاسَ. وقيل البَعْلُ الرَّبُّ بلغة اليمنِ أي أتعبدون بعضَ البُعولِ. ﴿وتذرون أحسنَ الخالقين﴾ أي وتتركون عبادته وقد أُشير إلى المقتضى للإنكارِ المعنيِّ بالهمزة ثم صرَّح به بقوله تعالى: ﴿اللَّهَ ربَّكم وربَّ آبائِكم الأوَّلينَ﴾ بالنَّصبِ على البدليةِ من أحسنَ الخالقينَ.

وقرئ بالرَّفعِ[٥] على الابتداءِ. والتَّعرُّضُ لذكرِ ربوبيَّتِهِ تعالى لآبائهم لتأكيدِ إنكارِ تركهِم عبادته تعالى والإشعارِ ببُطلان آراءِ آبائهم أيضًا ﴿فكذَّبوه فإنَّهم﴾ بسبب تكذيبهم ذلك ﴿لمُحضرون﴾ أي العذابَ. والإطلاقُ للاكتفاء بالقرائنِ على أنَّ الإحضارَ المطلقَ مخصوص بالشَّرِّ عُرفًا ﴿إلا عبادَ اللَّهِ المُخلصين﴾ استثناء من ضمير مُحضرون ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ﴿سلامٌ على إل ياسين﴾ هو لغة في إلياسَ كسيناءَ في سينينَ وقيل هو جمعٌ له أُريد به هو وأتباعُه كالمهلَّبين والخُبَيبين. وفيه أنَّ العَلَم إذا

---

(١) قرأ بها: ابن مسعود، وابن وثاب، والأعمش، والمنهال بن عمر، والحكم بن عيينة، والكوفي، وقتادة. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٢، ٣٧٤)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٨٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٢)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٥٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٣)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٢).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٢).

(٣) قرأ بها: أبي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٥).

(٤) قرأ بها: ابن عامر، وابن محيصن، وابن ذكوان، وهشام، وعكرمة، والحسن، والأعرج، وأبو رجاء، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٧٣)، والتيسير للداني ص (١٨٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ونافع، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٠) ، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٧٣)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٧٩)، والتيسير للداني ص (١٨٧).

جُمع يجبُ تعريفُه كالمثالينِ. وقرئ بإضافة (آلِ) إلى (ياسينَ)[1] لأنَّهما في المصحفِ مفصولانِ فيكونُ ياسينَ أبا إلياس ﴿**إنَّا كذلك نجزي المحسنين * إنَّه من عبادِنا المؤمنين**﴾ مرَّ تفسيرُه ﴿**وإنَّ لوطًا لمن المُرسلين * إذْ نجَّيناه**﴾ أي اذكُر وقتَ تنجيتِنا إيَّاه ﴿**وأهلَه أجمعين * إلاَّ عجوزًا في الغابرين**﴾ أي الباقين في العذابِ أو الماضين الهالكين.

﴿**ثم دمَّرنا الآخرين**﴾ فإنَّ في ذلك شواهدَ على جليةِ أمرِه وكونِه من جُملةِ المُرسلين ﴿**وإنكم**﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿**لتمرُّون عليهم**﴾ على منازلهم في متاجرِكم إلى الشَّأمِ وتشاهدون آثارَ هلاكهم فإنَّ سدومَ في طريق الشَّأم ﴿**مُصبحين**﴾ داخلين في الصَّباحِ ﴿**وباللَّيل**﴾ أي: ومساءً أو نهارًا وليلًا، ولعلَّها وقعت بقرب منزلٍ يمرُّ بها المرتحلُ عنه صباحًا والقاصدُ له مساءً ﴿**أفلا تعقلون**﴾ أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتَّى تعتبرُوا به وتخافوا أنْ يُصيبكم مثلُ ما أصابهم.

﴿**وإنَّ يونسَ لمن المُرسلين**﴾ وقرئ[2] بكسر النُّونِ ﴿**إذْ أبقَ**﴾ أي هربَ وأصله الهربُ من السَّيدِ لكن لمَّا كان هربُه من قومه بغير إذن ربِّه حسُن إطلاقُه عليه ﴿**إلى الفُلك المشحونِ**﴾ أي المملوءِ ﴿**فسَاهم**﴾ فقارعَ أهلَه ﴿**فكان من المُدحضين**﴾ فصار من المغلوبينَ بالقُرعةِ وأصله المزلق عن مقام الظفر رُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا وعدَ قومَه بالعذابِ خرجَ من بينهم قبل أنْ يأمرَه الله تعالى به فركبَ السَّفينةَ فوقفتْ فقالوا: فيها عبدٌ آبقٌ فاقترعُوا فخرجت القُرعةُ عليه فقال: أنا الآبقُ ورَمَى بنفسه في الماءِ ﴿**فالتقمه الحوتُ**﴾ فابتلعه من اللُّقمةِ ﴿**وهو مُليم**﴾ داخلٌ في المَلامةِ أو آتٍ بما يُلام عليه أو مليمٌ نفسَه. وقرئ[3] مَليم بالفتح مبنيًّا من لِيم كمَشيب في مشُوب ﴿**فلولا أنَّه كان من المسبِّحين**﴾ الذَّاكرينَ الله كثيرًا بالتَّسبيح مدَّة عمره أو في بطنِ الحوت وهو قوله: ﴿لا إلَهَ إلاَّ أنت سُبْحانك إنِّي كنتُ من الظَّالمين﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٨٧] وقيل من المصلِّين فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان كثيرَ الصَّلاةِ في الرَّخاءِ ﴿**للبثَ في بطنِهِ إلى يومِ يُبعثون**﴾ حيًّا وقيل ميِّتًا وفيه حثٌّ على إكثارِ الذِّكرِ وتعظيمٌ لشأنهِ ومن

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، ويعقوب، ورويس، والأعرج، وشيبة، وزيد بن علي، وعبد الله. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٧٦، ٧٦٧) والإملاء للعكبري (٢/ ١١١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٧٣)، والتيسير للداني ص (١٨٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٣)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٦٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٣).

أقبل عليه في السَّراءِ أُخذ بيدِه عند[1] الضَّرَّاء ﴿فنبذناه بالعراء﴾ بأن حملنا الحوتَ على لفظه بالمكان الخالي عمَّا يُغطِّيه من شجرٍ أو نبتٍ ورُوي أنَّ الحوتَ سار مع السَّفينةِ رافعًا رأسه يتنفسُ فيه يونسُ عليه السلام ويسبِّحُ ولم يفارقْهم حتَّى انتهَوا إلى البرِّ فلفظَه سالمًا لم يتغيَّرْ منه شيءٌ فأسلمُوا، ورُوي أنَّ الحوتَ قذفَه بساحل قريةٍ من المَوصلِ. واختُلف في مقدارِ لبثه فقيل أربعون يومًا وقيل عشرون وقيل سبعةٌ وقيل ثلاثةٌ وقيل لم يلبثْ إلا قليلًا ثم أُخرج من بطنهِ بعيد الوقتِ الذي التُقمَ فيه. رَوى عطاءٌ أنَّه حين ابتلعه أوحى اللَّهُ تعالى إلى الحوتِ إنِّي جعلتُ بطنك له سجنًا ولم أجعله لك طعامًا. ﴿وهو سقيمٌ﴾ ممَّا ناله قيل صار بدنُه كبدنِ الطِّفلِ حين يُولد ﴿وأنبتنا عليه﴾ أي فوقه مظلَّة عليه ﴿شجرةً من يقطين﴾ وهو كل ما ينبسطُ على الأرضِ ولا يقوم على ساقٍ كشجر البطِّيخ والقِثَّاءِ والحنظلِ وهو يَفْعيلٌ من قَطَن بالمكانِ إذا أقام به والأكثرون على أنَّه الدُّبَّاءُ غطَّته بأوراقِها عن الذُّبابِ فإنَّه لا يقعُ عليه ويدلُّ عليه أنَّه قيل لرسولِ الله ﷺ إنَّك تحبُّ القرعَ قال: «**أجلْ هي شجرةُ أخي يونس**»[2] وقيل هي التِّينُ وقيل المَوزُ تغطَّى بورقهِ واستظلَّ بأغصانهِ وأفطر على ثماره وقيل كان يستظلُّ بالشَّجرةِ وكانت وعلة تختلفُ إليه فيشربُ من لبنها.

﴿وأرسلناه إلى مائةِ ألفٍ﴾ هم قومُه الذين هرب منهم وهم أهل نَيْنَوى. والمرادُ به إرسالُه السَّابقُ أَخبر أولًا بأنَّه من المرسلين على الإطلاقِ ثم أخبرَ بأنَّه قد أُرسل إلى أمةٍ جمَّةٍ وكان توسيط تذكير وقت هربِه إلى الفُلكِ وما بعده بينهما لتذكير سببهِ وهو ما جرى بينه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وبين قومِه من إنذاره إيَّاهم عذابَ الله تعالى وتعيينِه لوقت حلوله وتعلُّلِهم وتعليقِهم لإيمانِهم بظهور أماراتِه كما مرَّ تفصيلُه في سُورة يونسَ ليعلم أنَّ إيمانَهم الذي سيحكى بعد لم يكُن عقيبَ الإرسالِ كما هو المتبادرُ من ترتيبِ الإيمانِ عليه بالفاء[3] بعد اللَّتيا والَّتي وقيل: هو إرسالٌ آخرُ إليهم وقيل: إلى غيرِهم

---

(١) في ط: عن.

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف (٣/ ١٨١) وقال: «غريب، وفي تفسير ابن مردويه في سورة الأنبياء من حديث الحسن بن عمارة، ثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون ثنا عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال «التقم يونس عليه السلام الحوت فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، قال: فرمى به على شاطئ النهر ليس له جلد ولا شعر فصار كأنه فرج، قال: وأنبت الله عليه شجرة من يقطين» قال عبد الله عن النبي ﷺ «واليقطين القرع» . مختصر.

(٣) زاد في ط: بل.

وليس بظاهرٍ ﴿أو يزيدون﴾ أي في مَرأى النَّاظرِ فإنَّه إذا نظر إليهم قال إنَّهم مائة ألفٍ أو يزيدون، والمرادُ هو الموصفُ بالكثرة. وقرئ بالواو[١] ﴿فآمنُوا﴾ أي بعد ما شاهدُوا علائمَ حلول العذابِ إيمانًا خالصًا ﴿فمتَّعناهم﴾ أي بالحياةِ الدُّنيا ﴿إلى حينٍ﴾ قدَّره الله سبحانه لهم. قيل ولعلَّ عدمَ ختمِ هذه القصَّةِ وقصَّةِ لوطٍ بما خُتم به سائرُ القصصِ للتَّفرقةِ بينهما وبين أربابِ الشَّرائعِ وأُولي العزمِ من الرُّسلِ أو[٢] اكتفاءً بالتَّسليمِ الشَّاملِ لكلِّ الرُّسلِ المذكورينَ في آخرِ السُّورةِ.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿فاستفتِهم﴾ أمر الله عزَّ وجلَّ في صدر السُّورة الكريمةِ رسولَه ﷺ بتبكيتِ قُريشٍ وإبطالِ مذهبِهم في إنكارِ البعثِ بطريقِ الاستفتاءِ وساقَ البراهينَ القاطعةَ النَّاطقة بتحقُّقهِ لا محالة وبيَّن وقوعَه وما سيلقَونه عند ذلك من فُنون العذابِ واستثنى منهم عبادَه المُخلصين وفصَّل ما لهم من النَّعيم المقيم ثم ذكر أنَّه قد ضلَّ من قبلهم أكثرُ الأوَّلينَ وأنَّه تعالى أرسلَ إليهم منذرينَ على وجهِ الإجمالِ ثم أوردَ قصص كلِّ واحدٍ منهم على وجهِ التَّفصيلِ مبيِّنًا في كل قصَّةٍ منها أنَّهم من عبادِه تعالى واصفًا لهم تارةً

---

(١) قرأ بها: جعفر بن محمد الصادق.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٤)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٥٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٦).

(٢) في خ: و.

بالإخلاصِ وأُخرى بالإيمانِ ثم أمره عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ هاهنا بتبكيتِهم بطريقِ الاستفتاءِ عن وجهِ أمرٍ منكرٍ خارج عن العقول بالكلِّيةِ وهي القسمةُ الباطلةُ اللازمةُ لما كانُوا عليه من الاعتقاد الزَّائغ حيثُ كانُوا يقولون كبعض أجناس العربِ جُهينةَ وبني سلمةَ وخُزاعةَ وبني مَليحٍ، الملائكةُ بناتُ الله والفاء لترتيب الأمرِ على ما سبق من كون أولئك الرُّسلِ الذينَ هم أعلامُ الخَلْقِ عليهم الصلاة والسلام عبادَه تعالى فإنَّ ذلك ممَّا يؤكِّدُ التَّبكيتَ ويُظهر بُطلانَ مذهبهم الفاسد ثم تبكيتُهم بما يتضمَّنُه كفرهم المذكورُ من الاستهانةِ بالملائكةِ بجعلهم إناثًا ثم أبطل أصلَ كفرهم المنطوي على هذينِ الكفرينِ وهو نسبةُ الولِد إليه سبحانَه وتعالى عن ذلك علوا كبيرًا ولم ينظمه في سلكِ التَّبكيتِ لمشاركتهم النَّصارى في ذلك أي فاستخبرْهم ﴿**ألربِّك البناتُ**﴾ اللاتي هن أوضعُ الجنسينِ ﴿**ولهم البنون**﴾ الذين هم أرفعُهما فإنَّ ذلك ممَّا لا يقولُ به من له أدنى شيءٍ من العقلِ وقوله تعالى: ﴿**أم خلقنَا الملائكة إناثًا**﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من التَّبكيت بالاستفتاءِ السَّابقِ إلى التَّبكيتِ بهذا كما أُشير إليه أي بل أخلقنا الملائكةَ الذين هم من أشرفِ الخلائقِ وأبعدِهم من صفات الأجسامِ ورذائل الطَّبائعِ إناثًا والأُنوثةُ من أخسِّ صفاتِ الحيوانِ.

وقوله تعالى: ﴿**وهُم شاهدون**﴾ استهزاء بهم وتجهيلٌ لهم كقولِه تعالى: ﴿أشهدُوا خلقَهم﴾ [سورة الزخرف، الآية ١٩] وقوله تعالى: ﴿ما أشهدتُهم خلقَ السَّمواتِ والأرضَ ولا خلقَ أنفسِهم﴾ [سورة الكهف، الآية ٥١] فإنَّ أمثالَ هذه الأمورِ لا تُعلم إلا بالمشاهدةِ إذ لا سبيلَ إلى معرفتِها بطريقِ العقلِ وانتفاء النَّقلِ ممَّا لا ريَب فيه فلا بُدَّ أنْ يكون القائل بأنوثتهم شاهدًا عند خلقِهم والجملةُ إمَّا حال من فاعلِ خلقنا أي بل أخلقناهُم إناثًا والحالُ أنهم حاضرون حينئذٍ أو عطفٌ على خلقنا أي بل أهم شاهدون وقوله تعالى:

﴿**ألاَ إنَّهم من إفكِهم ليقولُون * ولدَ الله**﴾ استئناف من جهته غيرُ داخلٍ تحت الأمر بالاستفتاء مسوقٌ لإبطالِ أصل مذهبِهم الفاسدِ ببيان أنَّ مبناهُ ليس إلاَّ الإفكُ الصَّريحُ والافتراء القبيحُ من غير أنْ يكونَ لهم دليلٌ أو شبهة قطعًا ﴿**وإنَّهم لكاذبون**﴾ في قولِهم ذلك كَذِبًا بيِّنًا لا ريبَ فيه. وقرئ[1] ولدُ الله على أنه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي الملائكةُ ولدُه تعالَى عن ذلك عُلوًّا كبيرًا فإنَّ الولدَ فعل بمعنى مفعولٍ يستوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ ﴿**أصطفى البناتِ على البنين**﴾ إثباتٌ لإفكِهم

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٤).

وتقريرٌ لكذبِهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بيِّن الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنينَ، والاصطفاءُ أخذُ صفوةِ الشَّيءِ لنفسِه، وقرئ[١] بكسرِ الهمزةِ على حذفِ حرفِ الاستفهامِ ثقةً بدلالةِ القَرائنِ عليهِ وجعله بدلًا من ولدَ الله ضعيفٌ وتقديرُ القولِ أي لكاذبونَ في قولِهم اصطفَى . . . إلخ تعسُّفٌ بعيدٌ. ﴿**ما لكُم كيفَ تحكُمون**﴾ بهذا الحكمِ الذين يَقضي ببطلانِه بديهةُ العقلِ ﴿**أفلا تذكَّرون**﴾ بحذفِ إحدى التَّاءينِ من تتذكَّرون، وقرئ[٢] تذكُرون من ذَكَر، والفاءُ للعطفِ على مقدَّرٍ أي ألاَ تُلاحِظُون ذلك فلا تتذكَّرون ببطلانه فإنَّه مركوزٌ في عقلِ كلِّ ذكيٍّ وغبيٍّ.

﴿**أم لكُم سلطانٌ مبينٌ**﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من توبيخِهم وتبكيتِهم بما ذُكر إلى تبكيتِهم بتكليفِهم ما لا يدخلُ تحتَ الوجودِ أصلًا أي بل ألكُم حجَّةٌ واضحةٌ نزلتْ عليكم من السَّماءِ بأنَّ الملائكةَ بناتُه تعالى ضرورةَ أنَّ الحكمَ بذلك لا بُدَّ له من سندٍ [حسيٍّ أو عقلي][٣] وحيثُ انتفى كلاهُما فلا بُدَّ من سندٍ نقليٍّ ﴿**فأتُوا بكتابِكم**﴾ النَّاطقِ بصَّحةِ دَعْواكم ﴿**إنْ كنتُم صادقين**﴾ فيها وفي هذه الآياتِ[٤] من الإنباءِ عن السُّخطِ العظيمِ والإنكارِ الفظيعِ لأقاويلهم والاستبعادِ الشَّديدِ لأباطيلِهم وتسفيهِ أحلامِهم وتركيكِ عقولِهم وأفهامِهم مع استهزاءٍ بهم وتعجيبٍ من جهلِهم مَا لا يَخْفى عَلَى من تأمَّل فيها. وقولُه تعالَى:

﴿**وجعلُوا بينَه وبينَ الجِنَّةِ نَسَبا**﴾ التفاتٌ إلى الغَيبةِ للإيذانِ بانقطاعِهم عن الجوابِ وسقوطِهم عن درجةِ الخطابِ واقتضاءِ حالِهم أنْ يعرضَ عنهم وتُحكى جناياتُهم لآخرينَ والمرادُ بالجِنَّةِ الملائكةُ قالوا الجنسُ واحدٌ ولكنْ من خَبُثَ من الجنِّ ومَرَد وكان شرًّا كله فهو شيطانٌ ومن طهر منهم ونسكَ وكان خيرًا كله فهو مَلَكٌ وإنَّما عبَّر عنهم بذلك الاسمِ وَضْعًا منهم وتَقصيرًا بهم مع عِظَم شأنِهم فيما بينَ الخلقِ أنْ يبلغُوا منزلةَ المناسبة التي أضافُوها إليهم فجعلهم هذا عبَارةً عن قولِهم الملائكةُ بناتُ الله

---

(١) قرأ بها: حمزة، ونافع، وورش، وأبو جعفر، وشيبة، والأصبهاني، وإسماعيل، وابن جماز، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧١)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٧٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٧٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٤٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٠).

(٢) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٧٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٥).

(٣) في خ: حسًا وعقلا.

(٤) في ط: الآية.

وإنَّما أُعيد ذكُره تمهيدًا لما يعقبُه من قوله تعالى: ﴿**ولقد علمتِ الجِنَّةُ إنَّهم لمحضرون**﴾ أي وبالله لقد علمتْ الجِنَّةُ التي عظَّموها بأنْ جعلُوا بينها وبينه تعالى نَسَبًا وهم الملائكةُ أنَّ الكفرةَ لمحضرونَ النَّار معذَّبُون بها لكذبِهم وافترائِهم في قولِهم ذلك، والمرادُ به المبالغةُ في التَّكذيبِ ببيانِ أنَّ الذين يدَّعي هؤلاء لهم تلك النِّسبةَ ويعلمون أنَّهم أعلمُ منهم بحقيقةِ الحالِ يكذبونهم في ذلك ويحكمُون بأنَّهم معذَّبون لأجلِه حُكمًا مؤكَّدًا وقيل: إنَّ قومًا من الزَّنادقةِ يقولون: الله تعالى وإبليسُ أخوانِ فالله هو الخيِّرُ الكريمُ وإبليسُ هو الشَّرُّ[1] اللَّئيمُ وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وجعلُوا بينه وبين الجِنَّةِ نسبًا﴾. قال الإمامُ الرَّازيُّ وهذا القولُ عندي أقربُ الأقاويلِ وهو مذهبُ المجوسِ القائلين بَيزْدانَ واهْرمنْ. وقال مجاهدٌ قالتْ قُريشٌ: الملائكةُ بناتُ الله فقال أبُو بكرٍ الصِّديقُ رضي الله عنه: فمنْ أمهاتهم تبكيتًا لهمُ؟ فقالوا سَرَواتُ الجنِّ وقيل: معنى جعلُوا بينه وبين الجِنَّةِ نَسَبًا جعلُوا بينهما مناسبةً حيثُ أشركُوا به تعالى الجنَّ في استحقاق العبادةِ فعلى هذه الأقاويلِ يجوزُ أنْ يكونَ الضَّميرُ في إنَّهم لمحضرون للجنَّة فالمَعنى لقد علمتِ الشَّياطينُ أنَّ الله تعالى يحضرهم النَّارَ ويُعذبهم بها ولو كانُوا مناسبينَ له تعالى أو شركاءَ في استحقاقِ العبادةِ لمَّا عذَّبهم والوجهُ هو الأوَّلُ فإنَّ قوله: ﴿**سبحانَ الله عمَّا يصفُون**﴾ حكايةٌ لتنزيهِ الملائكةِ إيَّاهُ تعالى عمَّا وَصَفه المشركونَ به بعد تكذيبِهم لهم في ذلكَ بتقديرِ قولٍ معطوفٍ على علمتْ. وقولُه تعالى: ﴿**إلَّا عبادَ الله المخلصِين**﴾ شهادةٌ منهم ببراءةِ المخلصينَ مِن أنْ يَصفُوه تعالَى بذلكَ متضمِّنة لتبرئِهم مِنْهُ بحكمِ اندراجِهم في زُمرة المُخلصين على أبلغ وجهٍ وآكدِه على أنَّه استثناءٌ منقطعٌ من واوِ يصفُون كأنَّهُ قيل ولقد علمتِ الملائكةُ أنَّ المشركينَ لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عمَّا يصفونَه به لكنْ عبادُ الله الذين نحنُ من جُملتهم بُرءاءُ من ذلكَ الوصفِ وقوله تعالى: ﴿**فإنَّكم وما تعبدون * ما أنتُم عليه بفاتنين**﴾ تعليلٌ وتحقيقٌ لبراءةِ المخلصين ممَّا ذُكر ببيانِ عجزِهم عن إغوائِهم وإضلالِهم والالتفاتُ إلى الخطابِ لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بتحقيقِ مضمونِ الكلامِ وما تعبدون عبارةٌ عن الشَّياطينِ الذين أغوَوهم وفيه إيذانٌ بتبرئهم عنهم وعن عبادتِهم كقولِهم بل كانُوا يعبدون الجنَّ وما نافيةٌ وأنتُم خطابٌ لهم ولمعبوديهم تغليبًا، وعلى متعلقة بـ «فاتنينَ» يقال فتنَ فلانٌ على فلانٍ امرأتَه أي أفسدَها عليه والمعنى فإنَّكم ومعبوديكم أيُّها المشركونَ لستُم بفاتنينَ عليه تعالى بإفسادِ عبادِه وإضلالِهم.

---

(١) في ط: الشرير.

﴿إلاَّ مَن هُو صالِ الجحيمِ﴾ منهم أي داخلُها لعلمه تعالى بأنَّه يصيرُ على الكفر بسوء اختيارِه ويصيرُ من أهلِ النَّارِ لا محالةَ وأما المخلصونَ منهم فأنتُم بمعزلٍ من إفسادِهم وإضلالِهم، فهم لا جرَم بُرءاءُ مِن أنْ يُفتتنوا بكم ويسلكُوا مسلككم في وصفِه تعالى بما وصفتُموه به. وقرئ[1] صالُ بضمِّ اللّام على أنَّه جمعٌ محمول على معْنى من قد سقط واوه لالتقاءِ السَّاكنينِ وقولُه تعالى: ﴿وما منَّا إلاَّ له مقامٌ معلومٌ﴾ تبيينٌ لجلية أمرِهم وتَعيينٌ لحيِّزهم في موقفِ العُبودية بعد ما ذُكر من تكذيبِ الكَفَرةِ فيما قالُوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئةُ المخلصين عنه وإظهارٌ لقصور شأنِهم وقماءتهم أي وما منَّا أحدٌ إلا لهُ مقامٌ معلومٌ في العبادةِ والانتهاء إلى أمرِ الله تعالى مقصورٌ عليه لا يتجاوزُه ولا يستطيعُ أنْ يزلَّ عنه خُضوعًا لعظمتِه وخُشوعًا لهيبتِه وتواضُعًا لجلالِه كما رُوي فمنهم راكعٌ لا يقيُم صُلبَه وساجدٌ لا يرفعُ رأسَه قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما (ما في السَّمواتِ موضعُ شبرٍ إلاَّ وعليه ملكٌ يصلِّي أو يسبِّح)[2] ورُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال: «**أطَّتِ السَّماءُ وحقَّ لها أنْ تئطَّ والذي نفسي بيدِه ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلاَّ وفيه مَلَكٌ واضعٌ جبهَته ساجدٌ لله تعالى**»[3]. وقال السُّدِّي إلا له مقامٌ معلومٌ في القُربةِ والمشاهدِة ﴿وإنَّا لنحنُ الصَّافون﴾ في مواقفِ الطَّاعةِ ومواطن الخِدمة ﴿وإنَّا لنحنُ المسبِّحون﴾ المقدِّسون لله سبحانه عن كلِّ ما لا يليقُ بجنابِ كبريائِه، وتحليةُ كلامِهم بفُنونِ التَّأكيدِ لإبراز أن صدورَه عنهم بكمالِ الرَّغبةِ والنَّشاطِ هذا هو الذي تقتضيهِ جَزالةُ التَّنزيلِ وقد ذُكر في تفسير الآياتِ الكريمةِ وإعرابِها وجوهٌ أُخرُ فتأمَّلْ والله المُوفِّق.

﴿وإنْ كانُوا ليقولُون﴾ إنْ هي المخففةُ من الثقيلة، وضميرُ الشَّأنِ محذوفٌ، واللَّامُ هي الفارقةُ أي إنَّ الشَّأنَ كانتْ قُريشٌ تقولُ: ﴿لو أنَّ عندنا ذِكرًا من الأوَّلينَ﴾ أي كتابًا من كُتب الأوَّلينَ من التَّوارةِ والإنجيلِ. ﴿لكُنَّا عبادَ الله المُخلَصين﴾ أي

---

(١) قرأ بها: الحسن، وابن أبي عبلة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧١)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٧٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٧٩)، والتبيان للطوسي (٨/ ٤٩٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٦١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٤).

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره (٤/ ١٧٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٤/ ٥٥٦) كتاب الزهد، باب: قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، برقم (٢٣١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢) كتاب الزهد، باب: الحزن والبكاء، برقم (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

لأخلصنا العبادةَ لله تعالى ولَما خالفنا كما خالفُوا وهذا كقولِهم: ﴿لئنْ جاءهم نذيرٌ ليكونن أهدى من إِحْدَى الأمم﴾ [سورة فاطر، الآية ٤٢] والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فكفرُوا به﴾ فصيحةٌ كما في قولِه تعالى: ﴿أن اضربْ بعَصاك البحرَ فانفلقَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٦٣] أي فجاءَهُم ذكرٌ وأيُّ ذكرٍ، سيِّدُ الأذكارِ وكتابٌ مُهيمنٌ على سائرِ الكُتبِ والأسفارِ فكفرُوا به ﴿فسوفَ يعلَمُون﴾ أي عاقبةَ كُفرِهم وغائلتَه.

﴿ولقد سبقتْ كلمتُنا لعبادِنا المُرسلين﴾ استئنافٌ مقررٌ للوعيدِ وتصديرُه بالقسم لغايةِ الاعتناءِ بتحقيقِ مضمونِه أي وبالله لقد سبقَ وعدُنا لهم بالنُّصرةِ والغَلَبةِ وهو قولُه تعالى: ﴿إنَّهم لهُم المنصُورون * وإنَّ جُندنا﴾ وهم أتباعُ المُرسلين ﴿لهُم الغالبُون﴾ على أعدائِهم في الدُّنيا والآخرةِ ولا يقدحُ في ذلك انهزامُهم في بعضِ المشاهدِ فإنَّ قاعدةَ أمرِهم وأساسَه الظَّفرُ والنُّصرةُ وإنْ وقعَ في تضاعيفِ ذلكَ شَوبٌ من الابتلاءِ والمحنةِ، والحكمُ للغالبِ. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُما: إنْ لم يُنصَرُوا في الدُّنيا نُصروا في الآخرةِ. وقرئ[1] على عبادِنا بتضمينِ سبقتْ معنى حُقَّتْ وتسميتُها كلمةً مع أنَّها كلماتٌ لانتظامِها في معنى واحدٍ وقرئ كلماتُنا[2].

﴿فتولَّ عنهُم﴾ فأَعرضْ عنهم واصبرْ ﴿حتَّى حين﴾ إلى مُدَّةٍ يسيرةٍ وهي مُدَّةُ الكفِّ عن القتالِ، وقيل: يوم بدرٍ. وقيل: يوم الفتحِ.

﴿وأبصرهُم﴾ على أسوأِ حالٍ وأفظعِ نكالٍ حلَّ بهم من القتلِ والأسرِ، والمرادُ بالأمرِ بإبصارِهم الإيذانُ بغايةِ قُربِه كأنَّه بين يديهِ. ﴿فسوفَ يُبصرون﴾ ما يقع حينئذٍ من الأمورِ، وسوفَ للوعيدِ دُون التَّبعيدِ ﴿أفبعذابِنا يستعجلون﴾ رُوي أنَّه لمَّا نزل فسوف يُبصرون قالُوا متَى هذا فنزلَ ﴿فإذا نزل بساحِتهم﴾ أي فإذا نزلَ العذابُ الموعودُ بفنائِهم كأنَّه جيشٌ قد هجمَهم فأناخَ بفنائِهم بغتةً فشنَّ عليهم الغارةَ وقطعَ دابرَهم بالمرَّةِ. وقيل: المرادُ نزولُ رسولِ الله ﷺ يومَ الفتحِ. وقرئ[3] نزلَ بساحتهم على إسنادِه إلى الجارِّ والمجرور.

---

(١) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٥).
(٢) قرأ بها: الضحاك.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧).
(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٩).

وقرئ(١) نُزّل مبنيًا للمفعولِ من التَّنزيلِ أي نُزّلَ العذابُ ﴿**فساءَ صباحُ المنذَرين**﴾ فبئسَ صباحُ المنذَرين صباحُهم واللاَّمُ للجنسِ والصَّباحُ مستعارٌ من صباحِ الجيشِ المبيِّتِ لوقت نزول العذابِ، ولمَّا كثُرتْ منهم الغارة في الصَّباح سمَّوها صباحًا، وإن وقعت ليلًا.

رُوي أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا أتى خيبرَ وكانُوا خارجينَ إلى مزارعِهم ومعهم المَسَاحي(٢) قالُوا: محمدٌ والخميسُ ورجعُوا إلى حصنِهم فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «الله أكبرُ خربتْ خيبرُ إنا إذَا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرينِ»(٣) ﴿**وتولَّ عنهم حتَّى حينٍ وأبصرْ فسوفَ يُبصرون**﴾ تسليةً لرسولِ الله ﷺ إثرَ تسليةٍ وتأكيدٍ لوقوعِ الميعادِ غبَّ تأكيدٍ مع ما في إطلاقِ الفعلينِ عن المفعولِ من الإيذانِ بأنَّ ما يُبصره عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ حينئذٍ من فنونِ المسارِ وما يُبصرونه من أنواعِ المضارِّ لا يحيطُ به الوصفُ والبيانُ. وقيلَ: أُريد بالأوَّلِ عذابُ الدُّنيا، وبالثَّاني عذابُ الآخرةِ ﴿**سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفون**﴾ تنزيهٌ لله سبحانَه عن كلِّ ما يصفُه المشركونَ به ممَّا لا يليقُ بجنابِ كبريائِه وجبروتِه ممَّا ذُكر في السُّورةِ الكريمةِ وما لم يُذكر من الأمورِ التي من جُملتِها تركُ إنجازِ الموعودِ على موجبِ كلمتِه السَّابقةِ لا سيَّما في حقِّ رسولِ الله ﷺ كما يُنبئ عنْه التَّعرضُ لعُنوانِ الرُّبوبيةِ المُعربةِ عن التَّربيةِ والتَّكميلِ والمالكيةِ الكُلِّيةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أوَّلًا وإلى العزَّةِ ثانيًا كأنَّه قيلَ سبحانَ من هُو مربِّيكَ ومكمِّلكَ ومالكُ العزَّةِ والغَلَبةِ على الإطلاقِ عمَّا يصفُه المشركونَ به من الأشياءِ التي منها تركُ نصرتِكَ عليهم كما يدلُّ عليه استعجالُهم بالعذابِ وقولُه تعالى: ﴿**وسلامٌ على المُرسلين**﴾ تشريفٌ لهم عليهم السَّلامُ بعد تنزيهِه تعالى عمَّا ذُكر وتنويهٌ بشأنِهم وإيذانٌ بأنَّهم سالمون عن كلِّ المكارِه فائزونَ بجميعِ المآربِ. وقولُه تعالى: ﴿**والحمدُ لله ربِّ العالمينَ**﴾ إشارةٌ إلى وصفِه عزَّ وجلَّ بصفاتِه الكريمةِ الثُّبوتيةِ بعد التَّنبيهِ على اتِّصافِه تعالى بجميعِ صفاته السَّلبيةِ، وإيذانٌ باستتباعِها للأفعالِ الجميلةِ التي من جُملتها إفاضتُه عليهم من فُنُونِ الكراماتِ السَّنيةِ

---

(١) ينظر: تفسير الألوسي (٢٣/ ١٥٧).

(٢) المساحي «في حديث خيبر: فخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم، المساحي: جمع مسحاة وهي المجرفة من الحديد، والميم زائدة لأنه من السحو الكشف والإزالة».

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٨٩-٩٠) كتاب الأذان: باب ما يحقن بالأذان من الدماء، حديث (٦١٠)، (٦/ ٢٣٩) كتاب الجهاد: باب التكبير عند الحرب حديث (٢٩٩١) ومسلم (٣/ ١٤٢٦-١٤٢٧) كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر، حديث (١٢٠/ ١٣٦٥)، من حديث أنس.

والكمالاتِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ وإسباغه عليهم وعلى مَن تبعِهم من صُنوف النَّعماءِ الظَّاهرةِ والباطنةِ المُوجبةِ لحمده تعالى وإشعارٌ بأنَّ ما وعده عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ من النُّصرةِ والغَلَبة قد تحقَّقتْ، والمرادُ تنبيه المؤمنينَ على كيفيَّةِ تسبيحِه تعالى وتحميدِه والتَّسليم على رُسلِه الذينَ هُم وسائطُ[1] بينهم وبينَهُ عزَّ وعَلاَ في فيضانِ الكَمالاتِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ عليهم، ولعلَّ توسيطَ التَّسليم على المُرسلينَ بين تسبيحهِ تعالى وتحميدِه لختمِ السُّورةِ الكريمةِ بحمدِه تعالى معَ ما فيهِ من الإشعارِ بأنَّ توفيقَهُ تعالى للتَّسليم عليهم من جُملةِ نعمِه المُوجبةِ للحمدِ. عن عليٍّ رضيَ الله عنه من «أحبَّ أنْ يُكتالَ بالمكيالِ الأَوْفى من الأجرِ يومَ القيامةِ فليكُن آخرُ كلامِه إذا قامَ من مجلسهِ سبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّةِ عمَّا يصفُون وسلامٌ على المُرسلينَ والحمدُ لله ربِّ العالمينَ».
وعن رسولِ ﷺ **«مَن قرأَ والصَّافَّاتِ أُعطي منَ الأجرِ عشرَ حَسَناتٍ بعددِ كلِّ جنيٍّ وشيطانٍ، وتباعدتْ عنه مَرَدةُ الشَّياطينِ وبرئ من الشِّركِ وشَهد له حافظاهُ يومَ القيامةِ أنَّه كان مُؤمنًا بالمُرسلين»**[2].

---

(١) في ط: وسايط.
(٢) تقدم الكلام عليه وهو حديث موضوع.

سورة ص

مكِّيةٌ وآيُها ستٌّ، أو ثمانٍ وثمانونَ آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾

﴿ص﴾ بالسُّكون على الوقفِ وقرئ بالكسرِ[1] والفتحِ[2] لالتقاء السَّاكنينِ ويجوزُ أنْ يكونَ الفتحُ بإضمارِ حرفِ القسمِ في موضعِ الجرِّ كقولِهم الله لأفعلنَّ بالجرِّ وأنْ يكونَ ذلك نصبًا بإضمارِ اذكُرْ أو اقرَأْ لا فتحًا كما مرَّ في فاتحةِ سورةِ البقرةِ وامتناعُ الصرَّفِ للتَّعريفِ والتَّانيثِ لأنَّها عَلَمٌ للسُّورةِ وقد صرَفها مَن قرأ صادٍ[3] بالتَّنوينِ على

---

(١) قرأ بها: الحسن، وأبي، وابن أبي إسحاق، وأبو السمال، وابن أبي عبلة، ونصر بن عاصم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧١)، والإعراب للنحاس (١/ ٧٧٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٦٣)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٦).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، ومحبوب، وعيسى بن عمر.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٧٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٦٣)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٧٥).

(٣) قرأ بها: ابن أبي إسحاق.

=

أنَّه اسمُ الكتابِ أو التَّنزيل. وقيل هو في قراءةِ الكسر أمرٌ من المصاداةِ[١] وهي المعارضةُ والمقابلةُ ومنها الصَّدى الذي ينعكسُ من الأجسامِ الصَّلبةِ بمقابلة الصَّوتِ ومعناهُ عارضِ القُرآن بعملِك[٢] فاعملْ بأوامرِه وانتهِ عن نواهيهِ وتخلَّقْ بأخلاقِه ثمَّ إنْ جُعل اسمًا للحرفِ مسرُودًا على منهاجِ التَّحدي أو الرَّمزِ إلى كلام مثل صدقَ الله أو صدقَ محمدٌ كما نقل عن أكابرِ السَّلفِ أو اسمًا للسُّورة خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ أو نصبًا على إضمارِ اذكُر أو اقرأْ أو أمرًا من المُصاداةِ فالواوُ في قولِه تعالى: ﴿**والقرآنِ ذي الذِّكرِ**﴾ للقسمِ وإنْ جعلَ مُقسَمًا به فهي للعطفِ عليه فإنْ أُريد بالقرآنِ كلِّه فالمغايرةُ بينَهما حقيقيةٌ وإنْ أُريد عينُ السُّورةِ فهي اعتباريَّةٌ كما في قولِك مررتُ بالرَّجلِ الكريمِ وبالنَّسمةِ المُباركةِ وأيًّا ما كان ففي التَّكريرِ مزيدُ تأكيدٍ لمضمونِ الجملةِ المُقسَم عليها والذِّكرُ الشَّرفُ والنَّباهةُ كما في قوله تعالى: ﴿وإنَّه لذكرٌ لك ولقومِك﴾ [سورة الزخرف، الآية ٤٤] أو الذِّكرى والموعظة أو ذكرُ ما يُحتاج إليه في أمر الدِّينِ من الشَّرائعِ والأحكام وغيرِها من أقاصيص الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وأخبار الأمم الدَّارجةِ والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرَّابعِ والخامس محذوف هو ما يُنبئ عنه التَّحدِّي والأمرُ والإقسامُ به من كون المُتحدَّى به معجزًا وكونِ المأمورِ به واجبًا وكونِ المقسَم[٣] به حقيقًا بالإعظامِ أي أُقسم بالقرآنِ أو بصادٍ وبه إنَّه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيقٌ بالإعظام، وأمَّا على الوجهينِ الباقيينِ فهو الكلامُ المرموزُ إليه ونفسُ الجملةِ المذكورةِ قبل القسم فإنَّ التَّسميةَ تنويه بشأن المُسمَّى وتنبيه على عظم خَطَرِه أي[٤] إنَّه لصادقٌ والقرآن ذي الذِّكرِ أو هذه السُّورة عظيمةُ الشَّأنِ والقرآنِ إلخ على طريقة قولهم هذا حاتمٌ والله، ولمَّا كان كل واحد من هذه الأجوبة مُنبِئًا عن انتفاء الريبِ عن مضمونه بالكُلِّيةِ إنباء بينا.

كان قوله تعالى: ﴿**بلِ الذين كفرُوا في عزَّةٍ وشقاقٍ**﴾ إضرابًا عن ذلك كأنَّه قيل لا ريبَ فيه قطعًا وليس عدمُ إذعان الكَفَرةِ له لشائبةِ ريب ما فيه، بل هم في استكبارٍ وحميَّةٍ شديدةٍ وشقاقٍ بعيدٍ لله تعالى ولرسولِه ولذلك لا يُذعنون له وقيل الجواب ما دلَّ عليه الجملةُ الإضرابيَّةُ أي ما كفَر به مَن كفَر لخللٍ وجدَهُ فيه بل الَّذينَ كفروا إلخ

= ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٨).

(١) في خ: المصادرة.
(٢) في خ: بذلك.
(٣) في خ: القسم.
(٤) زاد في خ: و.

وقرئ[١] [في غِرَّةٍ][٢] أي في غَفْلةٍ عمَّا يجب عليهم التَّنبيهُ له من مبادئ الإيمان ودواعيه.

﴿كم أهلكنا مِن قبلِهم من قَرنٍ﴾ وعيدٌ لهم على كُفرهم واستكبارِهم ببيان ما أصاب مَن قبلهم من المُستكبرينَ وكم مفعولُ أهلكنا، ومِن قرنٍ تمييزٌ والمعنى وقرنًا كثيرًا أهلكنا من القُرون الخاليةِ ﴿فنادَوا﴾ عند نزول بأسِنا أو حلول نقمتِنا استغاثةً وتوبةً لينجُوا من ذلك.

وقولُه تعالى: ﴿ولاتَ حينَ مناصٍ﴾ حالٌ من ضمير نادَوا أي: نادوا واستغاثوا طلبًا للنَّجاةِ والحالُ أنْ[٣] ليسَ الحينُ حينَ مناصٍ أي فوتٍ ونجاةٍ، من ناصَه أي فاتَه لا من ناصَ بمعنى تأخَّر، و(لا): هيَ المشبَّهةُ بليسَ زيدتْ عليها تاءُ التَّانيثِ للتَّأكيدِ كما زِيدتْ على رُبَّ وثُمَّ وخُصَّتْ بنفي الأحيانِ ولم يبرزْ إلا أحدُ معمُوليها والأكثرُ حذفُ اسمِها وقيلَ هي النَّافيةُ للجنسِ زيدتْ عليها التَّاءُ وخصَّتْ بنفي الأحيانِ، وحينَ مناصٍ. منصوبٌ على أنَّه اسمُها أي ولا حينَ مناصٍ لهم. وقرئ بالرَّفعِ[٤] فهو على الأوَّلِ اسمُها والخبرُ محذوفٌ أي وليسَ حينُ مناصٍ حاصلًا لهم وعلى الثَّاني مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ أي ولا حينُ مناصٍ كائنٌ لهم وقرئ بالكسرِ[٥] كما في قوله: [الخفيف]

طَلَبُوا صلحَنا ولاتَ أوانٍ ... فأجبنا أنْ لاتَ حينِ بقاءِ[٦]

إمَّا لأنَّ لاتَ تجرُّ الأحيانَ كما أنَّ لولا تجرُّ الضَّمائرَ في نحوِ قوله: [السريع]

---

(١) قرأ بها: الكسائي، وحماد بن الزبرقان، وسورة، وأبو جعفر، وميمون، والجحدري، والعقيلي. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٩).

(٢) في خ: في عزة.

(٣) في خ: أنه.

(٤) قرأ بها: أبو السمال.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٥٣).

(٥) قرأ بها: عيسى بن عمر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٤٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٩).

(٦) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص(٣٠)، والإنصاف (١٠٩)، وتخليص الشواهد ص(٢٩٥)، وتذكرة النحاة (٧٣٤)، وخزانة الأدب (٤/ ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠)، والدرر (٢/ ١١٩)، وشرح شواهد المغني (٦٤٠، ٩٦٠)، والمقاصد النحوية (٢/ ١٥٦)، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص(٢٤٩)، وخزانة الأدب (٤/ ١٦٩، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٥)، والخصائص (٢/ ٣٧٠)، ورصف المباني (١٦٩، ٢٦٢)، وسر صناعة الإعراب ص(٥٠٩)، وشرح الأشموني (١/ ١٢٦)، وشرح المفصل (٩/ ٣٢)، ولسان العرب (أون)، (لا)، (لات)، ومغني اللبيب (٢٥٥)، وهمع الهوامع (١/ ١٢٦).

.... لـولاكَ هـذا الـعـامَ لـم أحـجُـجِ[١]

أو لأنَّ أوانٍ شُبِّه بإذْ في قوله: [الوافر]

نـهـيـتُـكَ عـن طِـلابِـكَ أمَّ عـمـروٍ بـعـافـيـةٍ وأنـتَ إذ صـحـيـحُ[٢]

في أنَّه زمانٌ قُطع منه المضافُ إليه وعُوِّض التَّنوين لأنَّ أصلَه أوانُ صُلحٍ ثم حُمل عليه حين مناصٍ تنزيلًا لقطعِ المضافِ إليه من مناصٍ إذْ أصلُه حينَ مناصِهم منزلَة قطعِه من حين لما بينَ المضافَينِ من الاتِّحادِ ثمَّ بُني الحينُ لإضافتِه إلى غيرِ مُتمكِّنٍ. وقرئ[٣] لاتِ بالكسرِ كجَيْرِ. ويقفُ الكوفيُّون عليها بالهاءِ كالأسماءِ والبصريُّون بالتاءِ كالأفعالِ. وما قيل: منْ أنَّ التَّاءَ غير مزيدة على حينٍ لاتِّصالِها به في الأمامِ[٤] مما لا وجهَ له فإنَّ خطَّ المصحفِ خارجٌ عن القياسِ.

﴿**وعجبُوا أنْ جاءَهم منذر منهم**﴾ حكايةٌ لأباطيلِهم المتفرِّعةِ على ما حُكي من استكبارِهم وشقاقِهم أي عجبُوا من أنْ جاءهم رسولٌ من جنسِهم بل أدونُ منهم في الرِّياسةِ الدُّنيويَّةِ والمالِ[٥] على معنى أنَّهم عدوا ذلك أمرًا عجيبًا خارجًا عن احتمالِ الوقوعِ وأنكرُوه أشدَّ الإنكارِ لا أنَّهم اعتقدُوا وقوعَه وتعجَّبوا منه ﴿**وقال الكافرونَ**﴾ وُضعَ فيه الظَّاهرُ موضعَ الضَّميرِ غضبًا عليهم وإيذانًا بأنَّه لا يتجاسرُ على مثل ما يقولونَه إلا المتوغِّلون في الكُفر وفي الفسوق ﴿**هذا ساحرٌ**﴾ فيما يُظهره من الخوارقِ ﴿**كذَّابٌ**﴾ فيما يُسنده إلى الله تعالى من الإرسالِ والإنزالِ ﴿**أجعلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا**﴾

---

(١) عجز بيت وصدره:
أوْمَـتْ بـكـفَّـيـهـا مـن الـهـودجِ ....
والبيت لعمر بن أبي ربيعة في ملحق ديوانه (٤٨٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢)، وكتاب الصناعتين ص(١١٤)، والعرجي في الدر (٤/ ١٧٦)، وبلا نسبة في الإنصاف ص(٦٩٣)، وشرح قطر الندى ص(٢٥١)، والمقاصد النحوية (٣/ ٢٦٤)، وهمع الهوامع (٢/ ٣٣).

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في خزانة الأدب (٦/ ٥٣٩، ٥٤٣، ٥٤٤)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ١٧١)، وشرح شواهد المغني (ص ٢٦٠)، ولسان العرب (٣/ ٤٧٦) (أذذ)، (١١/ ٣٦٣) (شلل)، (١٥/ ٤٦٢) (أذ)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٤/ ٣٠١)، وتذكرة النحاة (ص ٣٧٩)، والجنى الداني (ص ١٨٧)، وجواهر الأدب، ص (١٣٨)، والخصائص (٢/ ٣٧٦)، وسر صناعة الإعراب، ص (٥٠٤، ٥٠٥)، ورصف المباني (ص ٣٤٧) وشرح المفصَّل (٣/ ٢٩)، (٩/ ٣١) ومغني اللبيب (ص ٨٦)، والمقاصد النحوية (٢/ ٦١).

(٣) قرأ بها: عيسى بن عمر.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٨٤)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٤٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٩).

(٤) في خ: الأمر.

(٥) في خ: الحال.

بأنْ نفى الأُلوهيَّةَ عنهم وقَصرَها على واحدٍ ﴿إِنَّ هذا لشيءٌ عجابٌ﴾ بليغٌ في العَجَبِ وذلك لأنَّه خلافُ ما أَلِفُوا عليهِ آباءَهم الذينَ أجمعُوا على ألوهيَّتِهم وواظبُوا على عبادتِهم كابرًا عن كابرٍ فإنَّ مدارَ كلِّ ما يأتُون وما يذرُون من أمورِ دينِهم هو التَّقليدُ والاعتيادُ فيعدُّون ما يخالفُ ما اعتادُوه عجيبًا بل مُحالًا، وأما جعلُ مدارِ تعجبِهم عدمَ وفاءِ علمِ الواحدِ وقدرتِه بالأشياءِ الكثيرةِ فلا وجَه له لما أنَّهم لا يدَّعُون أنَّ لآلهتِهم علمًا وقدرةً ومدخلًا في حدوثِ شيءٍ من الأشياءِ حتَّى يلزمَ من نفي ألوهيَّتهم بقاءُ الآثارِ بلا مُؤثِّرٍ، وقرئ عجَّاب[١] بالتَّشديدِ وهو أبلغُ ككُرامٍ وكرَّام. (رُوي أنَّه لما أسلَم عمرُ رضي الله عنه شقَّ ذلك على قُريشٍ فاجتمعَ خمسةٌ وعشرونَ من صناديدِهم فأتَوا أبَا طالبٍ فقالُوا أنتَ شيخُنا وكبيرُنا وقد علمتَ ما فعلَ هؤلاءِ السُّفهاءُ وقد جئناكَ لتقضِي بينَنا وبينَ ابنِ أخيكَ فاستحضرَ رسولَ الله ﷺ، وقال: يا بنَ أخِي هؤلاءِ قومُك يسألونَك السُّؤالَ فلا تملْ كلَّ الميلِ على قومِك فقالَ ﷺ: «**ماذَا تسألونِني**» قالُوا ارفُضنا وارفُض ذكَر آلهتِنا وندعكَ وإلهَك فقالَ ﷺ: «**أرأيتُم إنْ أعطيتُكم ما سألتُم أمعطيَّ أنتُم كلمةً واحدةً تملكونَ بها العربَ وتدينُ لكم بها العجمُ**» قالُوا نعم وعشرًا فقال: «**قولُوا لا إلَه إلاَّ الله**» فقامُوا وقالُوا ذلكَ)[٢].

﴿**وانطلق الملأُ منهم**﴾ أي وانطلقَ الأشرافُ من قريشٍ عن مجلسِ أبي طالبٍ بعد ما بكَّتهم رسولُ الله ﷺ بالجوابِ العتيدِ وشاهدُوا [تصلُّبَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في الدِّينِ وعزيمتَه على أنْ يُظهره على الدِّينِ كلِّه ويئسُوا ممَّا كانُوا يرجونَه بتوسطِ أبي

---

(١) قرأ بها: علي، والسلمي، وعيسى بن عمر، وابن مقسم.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٨٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٦٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٠)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٨)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥)، كتاب التفسير: باب سورة ص، حديث (٣٢٣٢)، والنسائي في التفسير (٤٥٦) وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣٦٢) وعبد الرزاق (٩٩٢٤) وابن أبي شيبة (٣/ ٣٥٩) وأبو يعلى (٤/ ٤٥٥)، رقم (٢٥٨٣) والحاكم (٢/ ٤٣٢) وابن حبان (٦٦٨٦) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٠٢٩) والواحدي في «أسباب النزول» (ص-٤٢٦) والبيهقي (٩/ ١٨٨) من طريق يحيى بن عباد عن سعيد جبير عن ابن عباس.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
وصححه ابن حبان، والشيخ أحمد شاكر في «تعليقه على المسند» (٢٠٠٨).
قلت: وفي إسناده يحيى بن عباد لم يوثقه سوى ابن حبان.
وقال الحافظ في «التقريب» (٧٦١٣) مقبول، يعني عند المتابعة وإلا وهو لين.

طالبٍ][1] من المصالحةِ على الوجهِ المذكورِ ﴿أن امشُوا﴾ أي قائلين بعضِهم لبعضٍ على وجهِ النَّصيحةِ امشُوا ﴿واصبرُوا على آلهتِكم﴾ أي واثبتُوا على عبادتِها متحمِّلين لما تسمعُونه في حقِّها من القدحِ، وأنْ هي المفسِّرةُ، لأنَّ الانطلاقَ عن[2] مجلسِ التقاولِ لا يخلُو عن القولِ. [و][3] قيل: المرادُ بالانطلاقِ الاندفاعُ في القولِ وامشُوا من مشتِ المرأةُ إذا كثرتْ ولادتُها ومنه الماشيةُ للتفاؤلِ[4] أي اجتمعُوا وأكثرُوا. وقرئ امشُوا[5] بغير أنْ على إضمارِ القولِ وقرئ[6] يمشُون أنِ اصبرُوا ﴿إنَّ هَذا لشيءٌ يرادُ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالصَّبرِ أو لوجوبِ الامتثالِ به أي هذا الذي شاهدناهُ من محمَّدٍ ﷺ من أمرِ التَّوحيدِ ونفيِ آلهتِنا وإبطالِ أمرِها لشيءٌ يُراد أي من جهتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إمضاؤُه وتنفيذُه لا محالةَ من غيرِ صارفٍ يلويهِ ولا عاطفٍ يثنيهِ، لا قولٌ يقال من طرفِ اللِّسان أو أمر يُرجى فيه المسامحةُ بشفاعةٍ أو امتنانٍ فاقطعُوا أطماعَكم عن استنزالِه من رأيهِ بوساطة أبي طالبٍ وشفاعته وحسبكم ألا تمنعوا من عبادةِ آلهتِكم بالكلِّية فاصبروا عليها وتحمَّلوا ما تسمعونَه في حقِّها من القدحِ وسُوءِ القالةِ[7].

وقيل: إنَّ هذا الأمر لشيءٌ يريده الله تعالى ويحكم بإمضائِه وما أرادَ الله كونَه فلا مردَّ له ولا ينفعِ فيه إلاَّ الصَّبرُ، وقيل: إن هذا الأمرَ لشيءٌ من نوائب الدَّهرِ يُراد بنا فلا انفكاكَ لنا منه وقيل: إنَّ دينَكم لشيءٌ يُراد أي يُطلب ليؤخذَ منكم وتُغلبوا عليه. وقيل: إنَّ هذا الذي يدَّعيهِ من التَّوحيدِ أو يقصدُه من الرِّياسةِ والتَّرفعِ على العرب والعجم لشيءٌ يُتمنَّى ويريده كلُّ أحدٍ منهم فتأمَّل في هذه الأقاويلِ واخترْ منها ما يساعدُه النَّظمُ الجليلُ ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقولُه ﴿في الملَّةِ الآخرة﴾ أي الملَّةِ النَّصرانيةِ التي هي آخرُ الملل فإنَّهم مُثلِّثةٌ أو في الملَّةِ التي أدركنا عليها آباءَنا. ويجوزُ أن يكون الجارُّ والمجرور حالًا من هذا أي ما سمعنا بهذا من أهلِ الكتابِ ولا الكُهَّانِ كائنًا في الملَّة المعترفة ولقد كذبُوا في ذلك [أقبح][8] كذبٍ فإنَّ حديثَ البعثةِ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: على.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: للتقول.
(٥) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٠، ٣٦١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٩)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٧٨).
(٦) قرأ بها: ابن مسعود، وابن عباس.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦١)، والمعاني للفراء (٢/ ٣٩٩)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٧٨).
(٧) في خ: المقالة.
(٨) سقط في خ.

والتَّوحيدِ كان أشهرَ الأمورِ قبل الظُّهور ﴿إنْ هذا﴾ أي ما هذا ﴿إلا اختلاقٌ﴾ أي كذبٌ اختلَقه.

﴿أأُنزلَ عليه الذِّكرُ﴾ أي القرآن ﴿مِن بيننا﴾ ونحن رؤساءُ النَّاسِ وأشرافُهم كقولهم: ﴿لولا نزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتينِ عظيم﴾ [سورة الزخرف، الآية ٣١] ومرادهم إنكارُ كونه ذكرًا منزَّلًا من عند الله عزَّ وجلَّ كقولهم: ﴿لو كان خيرًا ما سبقُونا إليه﴾ [سورة الأحقاف، الآية ١١] وأمثالُ هذه المقالاتِ الباطلة دليلٌ[(١)] على أنَّ مناطَ تكذيبهم ليس إلاَّ الحسدُ وقِصرُ النَّظرِ على الحُطام الدنيويِّ ﴿بل هُم في شكٍّ من ذِكري﴾ أي من القرآنِ أو الوحي لميلهم إلى التَّقليدِ وإعراضِهم عن النَّظرِ في الأدِلَّةِ المؤدِّية إلى العلمِ بحقِّيتِه وليس في عقيدتِهم ما يبتُّون به فهم مذبذبون بين الأوهامِ ينسبونه تارةً إلى السِّحرِ وأخرى إلى الاختلاقِ ﴿بل لمَّا يذوقُوا عذاب﴾ أي بل لم يذوقُوا بعد عذابي فإذا ذاقُوه تبيَّن لهم حقيقةُ الحال، وفي لمَّا دلالةٌ على أنَّ ذوقَهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدّقون به حتى يمسَّهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابَى الموعودَ في القرآنِ ولذلك شكُّوا فيه ﴿أم عندهم خزائنُ رحمةِ ربِّك العزيزِ الوهَّابِ﴾ بل أعندهم خزائنُ رحمتِه تعالى يتصرَّفون فيها حسبما يشاءون حتَّى يُصيبوا بها من شاءوا ويُصرفُوها عمَّن شاءوا ويتحكَّموا فيها بمقتضي آرائِهم فيتخيَّروا للنُّبوةِ بعضَ صناديدهم. والمعنى أنَّ النُّبوةَ عطيةٌ من الله عزَّ وجلَّ يتفضَّلُ بها على مَن يشاءُ من عباده المصطَفينَ لا مانع له فإنَّه[(٢)] العزيزُ أي الغالبُ الذي لا يُغالب الوهَّابُ الذي له أنْ يهبَ كلَّ ما يشاءُ لكلِّ مَن يشاءُ، وفي إضافةِ اسم الربِّ المنبئ عن التَّربيةِ والتَّبليغِ إلى الكمال إلى ضميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من تشريفه واللُّطفِ به ما لا يَخْفى، وقولُه تعالى: ﴿أم لهم ملكُ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهُمَا﴾ ترشيحٌ لما سبق أي بل ألهُم ملكُ هذه العوالـم العُلويةِ والسُّفليةِ حتَّى يتكلَّموا في الأمورِ الرَّبانيةِ ويتحكَّموا في التَّدابيرِ[(٣)] الإلهيةِ التي يستأثرُ بها ربُّ العزَّةِ والكبرياءِ.

وقولُه تعالى: ﴿فليرتقُوا في الأسبابِ﴾ جوابُ شرطٍ محذوفٍ أي إنْ كان لهم ما ذُكر من الملك فليصعدُوا في المعارجِ والمناهج التي يتوصَّلُ بها إلى العرشِ حتَّى يستووا عليه ويدبِّروا أمر العالم ويُنزلوا الوحَي إلى مَن يختارون ويستصوبُون وفيه من التَّهكُّمِ [بهم][(٤)] ما لا غايةَ وراءه. والسَّببُ في الأصل هو الوصلةُ وقيل: المرادُ

---

(١) في خ: قيل.
(٢) في خ: فإن.
(٣) في خ: التدبيرات.
(٤) سقط في خ.

بالأسبابِ السَّمواتُ لأنَّها أسبابُ الحوادثِ السُّفليةِ وقيل أبوابُها. ﴿**جندٌ ما هنالكَ مهزومٌ من الأحزابِ**﴾ أي هم جندٌ ما من الكُفَّارِ المتحزِّبين على الرُّسلِ مهزومٌ مكسورٌ عمَّا قريب فلا تُبالِ بما يقولون ولا تكترثْ بما يهددون. ومَا مزيدةٌ للتَّقليلِ والتَّحقيرِ نحو قولِك أكلتُ شيئًا ما، وقيل: للتَّعظيمِ على الهُزءِ. وهنالك إشارةٌ إلى حيثُ وضعُوا فيه أنفسَهم من الانتدابِ لمثل ذلك القولِ العظيمِ.

وقوله تعالى: ﴿**كذَّبتْ قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وفرعونُ ذُو الأوتادِ**﴾ إلخ استئناف مقررٌ لمضمون ما قبله ببيانِ أحوالِ العُتاةِ الطُّغاةِ الذين هؤلاءِ جندٌ ما من جنودهم ممَّا فعلوا من التَّكذيبِ وفعل بهم من العقابِ. وذُو الأوتادِ معناه ذُو المُلك الثَّابتَ أصلُه من ثبات البيت المطنَّبِ[١] بأوتادِه فاستُعير لثبات الملكِ ورسوخِ السَّلطنةِ واستقامةِ الأمرِ.

قال الأسودُ بن يَعْفُر: [الكامل]

وَلَقَد غَنُوا فيها بأَنْعمِ عِيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ[٢]

أو ذُو الجموعِ الكثيرةِ سُمُّوا بذلك لأنَّ بعضَهم يشدُّ بعضًا كالوتدِ يشدُّ البناءَ وقيل: نصبَ أربعَ سوار وكان يمدُّ يَدَيْ المعذَّبِ ورجليه إليه[٣] ويضربُ عليها أوتادًا ويتركُه حتَّى يموتَ. وقيل: كان يمدُّه بين أربعةِ أوتادٍ في الأرض ويرسلُ عليه العقاربَ والحيَّاتِ. وقيل: كانت له أوتادٌ وحبالٌ يلعب بها بين يديه [﴿**وثمودُ وقومُ لوطٍ وأصحابُ الأيكة**﴾ أصحابُ الغَيضةِ من قوم شُعيبٍ عليه السَّلامُ وقوله تعالى:][٤] ﴿**أولئك الأحزابُ**﴾ إمَّا بدلٌ من الطَّوائفِ المذكورة كما أنَّ ذلك الكتابُ بدلٌ من ألم على أحدِ الوجوه وفيه فضلُ تأكيدٍ وتنبيهٌ على أنَّهم الذين جُعل الجندُ المهزومُ منهم وقوله تعالى: ﴿**إنْ كلٌّ إلَّا كذَّب الرُّسلَ**﴾ استئنافٌ جيء به تقريرًا لتكذيبِهم وبيانًا لكيفيتِه وتمهيدًا لما يعقُبه أي ما كلُّ أحدٍ من آحادِ أولئكَ الأحزابِ أو ما كلُّ حزبٍ منُهم إلا كذَّبَ الرُّسلَ لأنَّ تكذيبَ واحد منهم تكذيبٌ لهم جميعًا لاتِّفاقِ الكلِّ على الحقِّ. وقيل ما كلُّ حزبٍ إلاَّ كذَّب رسولَه على نهجِ مقابلةِ الجمعِ بالجمعِ، وأيًّا ما كان فالاستثناءُ مفرَّغٌ من أعمِّ العام في خبر المبتدأ، أي ما كلُّ أحدٍ منهم محكومًا

---

(١) وعليه ففي الآية استعارة مكنية حيث شبه الملك بخيمة وحذفها وذكر لازمها (الأوتاد).
ينظر: في الاستعارة المكنية شروح التلخيص (٤/ ١٢٠) وما بعدها والإيضاح (٣/ ١٣٦).
(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب (١٦/ ٣٨٣).
(٣) في ط: إليها.
(٤) سقط في خ.

عليه بحكم إلا محكومٌ عليه بأنه كذَّب الرُّسلَ وقيل ما كلٌّ واحدٍ منهم مُخبَرًا عنه بخبرٍ إلا مخَبرٌ عنه بأنَّه كذَّب الرُّسلَ وفي إسناد التَّكذيبِ إلى(١) الطَّوائفِ المذكُورةِ على وجهِ [الإبهامِ أوَّلا](٢) والإيذانِ بأنَّ كُلاًّ منهم حزبٌ على حيالِه تحزَّب على رسولِه ثانيًا وتبيينِ كيفيةِ تكذيبِهم بالجملةِ الاستثنائيةِ ثالثًا فنونٌ من المبالغة مسجَّلةٌ عليهم باستحقاقِ [أشدِّ](٣) العذابِ وأفظعِه ولذلك رُتِّب عليه قولُه تعالى: ﴿فحقَّ عقابُ﴾ أي ثبتَ ووقعَ على كلٍّ منُهم عقابي الذي كانتْ تُوجبه جناياتُهم من أصنافِ العقوباتِ المفصَّلةِ في مواقِعِها وإما مبتدأٌ.

وقوله تعالى: ﴿إنْ كلٌّ إلَّا كذَّب الرُّسلَ﴾ [سورة ص، الآية ١٤] خبرُه بحذفِ(٤) العائدِ أي إنْ كلٌّ منهم إلخ والجملةُ استئنافٌ مقررٌ لما قبله مؤكِّدٌ لمضمونِه مع ما فيه من بيانِ كيفيةِ تكذيبهم والتَّنبيهِ على أنَّهم الذين جُعل الجندُ المهزومُ منهم [كما ذُكر وقيل: هو مبتدأٌ وخبرٌ، والمَعنْى أنَّ الأحزابَ الذين جُعل الجندُ المهزومُ منهم](٥) هُم هُم وأنَّهم الذينُ وجد منهم التَّكذيبُ فتدبَّر. وأمَّا ما قيل مِن أنَّه خبرٌ والمبتدأُ قوله تعالى: ﴿وعادٌ﴾ إلخ أو قوله: ﴿وقومُ لوطٍ﴾ [سورة الحج، الآية ٤٣] إلخ فممَّا يجب تنزيه ساحةِ التَّنزيلِ عن أمثالِه.

﴿وما ينظرُ هؤلاءِ﴾ شروعٌ في بيان عقابِ كُفَّارِ مكَّة إثر بيانِ عقابِ أضرابِهم من الأحزابِ الذين أُخبر فيما سبقَ بأنَّهم جندٌ حقيرٌ منهم مهزومٌ عن قريبٍ فإنَّ ذلكَ ممَّا يوجبُ انتظارَ السَّامعِ وترقبه إلي بيانه قطعًا، وفي الإشارةِ إليهم بـ «هؤلاء» تحقيرٌ لشأنِهم وتهوينٌ لأمرِهم، وأمَّا جعلُه إشارةً إلى الأحزابِ باعتبارِ حضورِهم بحسب الذِّكرِ أو حضورِهم في علمِ الله عزَّ وجلَّ فليس في حيِّزِ الاحتمالِ أصلًا كيف [لا](٦) والانتظار سواءٌ كان حقيقةً أو استهزاءً إنَّما يُتصوَّر في حقِّ من لم يترتب على أعمالِه نتائجُها بعْد، وبعدَ ما بيّن عقابُ الأحزابِ واستئصالُهم بالمرَّةِ لم يبقَ ممَّا أُريد بيانُه من عقوباتهم أمرٌ منتظرٌ وإنَّما الذين(٧) في مرصدِ الانتظارِ كفَّارُ مكَّةَ حيث ارتكبُوا من عظائمِ الجرائم وكبائرِ الجرائرِ الموجبة لأشدِّ العقوباتِ مثلَ ما ارتكب الأحزابُ أو أشدَّ منه ولمَّا يلاقوا بعد شيئًا من غوائلِها أي وما ينتظُر هؤلاءِ الكَفَرةُ الذين هم أمثالُ

---

(١) في خ: إن.
(٢) في خ: الاتهام أو.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: بخلاف.
(٥) سقط في خ.
(٦) سقط في خ.
(٧) في خ: الذي.

أولئك الطَّوائفِ المهلكة في الكُفرِ والتَّكذيبِ ﴿إلاَّ صيحةً واحدةً﴾ هي النَّفخةُ الثَّانيةُ لا بمعنى أنَّ عقابهم نفسُها بما فيها من الشِّدَّةِ والهَوْلِ فإنَّها داهيةٌ يعمُّ هولُها جميعَ الأُممِ برها وفاجرِها بل بمعنى أنَّه ليس بينهم وبين حلولِ ما أُعدَّ لهم من العقاب الفظيعِ إلا هي حيثُ أُخِّرتْ عقوبتُهم إلى الآخرةِ لما أنَّ تعذيبَهم بالاستئصال حسبما يستحقُّونه. والنَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بين أظهرهم خارجٌ عن السُّنَّةِ الإلهيَّةِ المبنية على الحكم الباهرةِ كما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿وما كانَ الله ليعذبهم وأنتَ فيهم﴾ [سورة الأنفال، الآية ٣٣] [وأمَّا ما قيل: مِن أنَّها النَّفخةُ الأَولى فممَّا لا وجهَ له أصلًا لما أنَّه لا يشاهدُ هولَها ولا يُصعقُ بها إلاَّ من كانَ حيا][١] عند وقوعِها وليس عقابُهم الموعودُ واقعًا عقيبها ولا العذابُ المطَلقُ مؤخَّرًا إليها بل يحلُّ بهم من حينِ موتِهم ﴿ما لها من فَوَاقٍ﴾ أي من توقُّفٍ مقدار فَوَاقٍ وهو ما بين الحَلْبتينِ، وقرئ بضمِّ[٢] الفاءِ وهُما لغتانِ.

وقولُه تعالى: ﴿وقالوا ربَّنا عجلْ لنا قِطّنا قبلَ يوم الحسابِ﴾ حكاية لما قالُوه عند سماعِهم بتأخير عقابهم إلى الآخرةِ أي قالوا بطريق الاستهزاء والسُّخريةِ عجِّل لنا قطَّنا من العذابِ الذي تُوعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحسابِ الذي مبدؤه الصَّيحةُ المذكورةُ. والقطُّ: القطعةُ من الشَّيءِ من قطَّه إذا قطعه، ويقالُ لصحيفةِ الجائزةِ قطٌّ لأنَّها قطعةٌ من القرطاسِ، وقد فسِّر بها أي عجِّل لنا صحيفةَ أعمالِنا لننظرَ فيها. وقيل ذكرَ رسولُ الله ﷺ وعدَ الله تعالى المؤمنينَ الجنَّة فقالُوا على سبيلِ الهُزءِ به عجِّلْ لنا نصيبنَا منها. وتصديرُ دُعائِهم بالنِّداءِ المذكورِ للإمعانِ في الاستهزاءِ كأنَّهم يدعُون ذلك بكمالِ الرَّغبةِ والابتهالِ.

ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب، والسلمي، وطلحة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٨٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٨٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والتيسير للداني ص (١٨٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٤).

لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

﴿اصبر على ما يقُولون﴾ من أمثالِ هذه المقالاتِ الباطلةِ **﴿واذكُر﴾** لهم **﴿عبدَنا داودَ﴾** أي قصَّته تهويلًا لأمرِ المعصيةِ في أعينهم وتنبيهًا لهم على كمالِ قُبح ما اجترأوا عليه من المَعاصي فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع علوِّ شأنِه واختصاصِه بعظائمِ النِّعمِ والكراماتِ لمَّا ألمَّ بصغيرةٍ نزلَ عن منزلتِه ووبَّخْته الملائكةُ بالتَّمثيلِ والتَّعريضِ حتَّى تفطَّنَ فاستغفرَ ربَّه وأنابَ ووُجد منه ما يُحكى من بكائِه الدَّائبِ وغمِّه الواصبِ وندمِه الدَّائم فما الظنُّ بهؤلاءِ الكَفَرةِ الأذلِّينَ من كلِّ ذليلِ المرتكبينَ لأكبرِ الكبائرِ المصرِّين على أعظمِ المَعَاصي أو تذكَّر قصَّته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وصُنْ نفسَك أنْ تزلَّ فيما كُلِّفت من مصابرتِهم وتحمُّلِ أذيَّتهم كي لا[1] يلقاكَ ما لقيه من المعاتبةِ **﴿ذَا**

---

(١) في خ: لئلا.

الأيدِ﴾ أي ذَا الُقوَّة يقال فلانٌ أيدٌ وذُو أيدٍ وآدٌ بمعنى، وإيادُ كلِّ شيءٍ ما يُتقوَّى بهِ **﴿إنَّه أوَّاب﴾** رجَّاعٌ إلى مرضاةِ الله تعالى وهو تعليلٌ لكونِه ذَا الأيدِ ودليلٌ على أنَّ المرادَ به القوَّةُ في الدِّينِ فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كان يصومُ يومًا ويفطرُ يومًا ويقوم نصفَ اللَّيلِ **﴿إنَّا سخَّرنا الجبالَ معه﴾** استئنافٌ سيقَ[1] لتعليلِ قوَّتِه في الدِّينِ وأوابيَّتِه إلى مرضاتِه تعالى ومع متعلقة بالتَّسخيرِ، وإيثارُها على اللامِ لما أُشير إليه في سورةِ الأنبياءِ من أنَّ تسخيرَ الجبال له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لم يكن بطريقِ تفويضِ التَّصرُّفِ الكلِّي فيها إليهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كتسخيرِ الرِّيحِ وغيرِها لسليمانَ عليه السَّلامُ بل بطريقِ التَّبعيةِ له عليه الصلاَّةُ والسَّلامُ والاقتداء به في عبادةِ الله تعالى. وقيل: بما بعدَها وهو أقربُ بالنسبةِ إلى ما في سورة الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ **﴿يُسبحن﴾** أي يُقدسن الله عزَّ وجلَّ بصوتٍ يتمثلُ له أو بخلقِ الله تعالى فيها الكلامَ أو بلسانِ الحالِ وقيل: يسرن معه من السِّباحةِ وهو حالٌ من الجبالِ وضع موضعَ مُسبِّحات للدِّلالةِ على تجدُّدِ التَّسبيحِ حالًا بعد حالٍ أو استئنافٌ مبينٌ لكيفَّيةِ التَّسخيرِ **﴿بالعشيِّ والإشراقِ﴾** أي ووقتَ الإشراقِ وهو حين تشرقُ الشَّمسُ أي تُضيء ويصفُو شعاعُها وهو وقت الضُّحى وأما شروقُها فطلُوعها يقال شرقتِ الشَّمسُ ولمَّا تشرقُ. وعن أمِّ هانئ رضي الله عنها أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ صلَّى صلاة الضحى وقالَ: هذهِ صلاة الإشراقُ[2].

---

(١) في ط: مسوق.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٤٠٦) رقم (٩٨٦) من طريق أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس عن أم هانئ.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٩) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف.
وأخرجه في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٤٢٥) رقم (١٠٣٤) من طريق ابن أبي المخارق عن عبد الله بن الحارث عن أم هانئ به.
وعبد الكريم بن أبي المخارق قال الحافظ في «التقريب» (٤١٥٦) ضعيف والراوي عنه أيضا هو إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع قال الحافظ في «التقريب» (١٤٨) ضعيف وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٣) من طريق عبد الله بن الحارث أن ابن عباس كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أم هانئ فقال: أخبري ابن عباس.. الحديث.
وفي آخره: فخرج ابن عباس وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين فما عرفت صلاة الإشراق إلا الساعة «يسبحن بالعشي والإشراق» ثم قال ابن عباس هذه صلاة الإشراق.
وسكت عنه الحاكم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا: ما عرفتُ صلاةَ الضُّحى إلا بهذِه الآيةِ[١].

﴿والطَّيرَ﴾ عطفٌ على الجبالَ ﴿محشورةً﴾ حالٌ من الطَّيرَ والعاملُ سخَّرنا أي وسخَّرنا الطَّيرَ حالَ كونِها محشورةً عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما كانَ إذا سبَّح جاوبته الجبالُ بالتَّسبيحِ واجتمعتْ إليه الطَّيرُ فسبَّحتْ وذلك حشرُها. وقرئ[٢] والطَّيرُ محشُورةٌ بالرَّفعِ على الابتداءِ والخبريةِ ﴿كلٌّ له أوَّاب﴾ استئنافٌ مقررٌ لمضمون ما قبله مصرِّح بما فُهِم منه إجمالًا من تسبيحِ الطَّيرِ أي كلٌّ واحدٍ من الجبالِ والطَّيرِ لأجلِ تسبيحِه رجَّاعٌ إلى التَّسبيحِ ووضعُ الأوَّابِ موضعَ المسبِّحِ إمَّا لأنَّها كانتْ ترجِّع التَّسبيحَ والمرجِّعُ رجَّاعٌ لأنَّه يَرْجِعُ إلى فعله رجوعًا بعد رجوعٍ، وإمَّا لأنَّ الأوَّابَ هو التَّوابُ الكثيرُ الرجوعِ إلى الله تعالى، ومن دأبه إكثارُ الذِّكرِ وإدامةُ التَّسبيحِ والتَّقديسِ وقيل الضَّميرُ لله عزَّ وجلَّ أي كلٌّ من داودَ والجبالِ والطَّيرِ لله أوابٌ أي مسبِّحٌ مرجِّعٌ للتَّسبيحِ ﴿وشددْنا ملكه﴾ قوَّيناهُ بالهَيبةِ والنُّصرةِ وكثرةِ الجنودِ. وقرئ[٣] بالتَّشديدِ للمبالغةِ قيل: كان يبيتُ حول محرابِه أربعون ألفَ مستلئمٍ وقيل: ادَّعى رجلٌ على آخرَ بقرةً وعجزَ عن إقامةِ البيِّنةِ فأوحى الله تعالى إليه في المنامِ أنِ اقتل المدَّعى عليهِ فتأخَّر فأُعيد الوحيُ في اليقظةِ فأعلَمه الرَّجلُ فقال: إنَّ الله تعالى لَمْ يأخذْنِي بهذا الذَّنبِ ولكنْ بأنِّي قتلتُ أبا هَذا غيلةً فقال النَّاسُ: إنْ أذنبَ أحدٌ ذنبًا أظهرَهُ الله تعالى عليه فقتلَه فهابُوه وعظمتْ هيبتُه في القلوبِ ﴿وآتيناهُ الحكمةَ﴾ النُّبوةَ وكمالَ العلم وإتقانَ العملِ وقيل: الزَّبورَ وعلمَ الشَّرائعِ وقيل: كلُّ كلام وافقَ الحقَّ[٤] فهو حكمةٌ ﴿وفصلَ الخطاب﴾ أي فصل الخصام بتمييزِ الحقِّ عن الباطل أو الكلامَ المُلخَّصَ الذي ينبه المخاطَب على المرامِ من غير التباس لما قد رُوعي فيه مظانُّ الفصل والوصل والعطفِ والاستئنافِ والإظهارِ والإضمارِ والحذفِ والتَّكرارِ، وإنَّما سُمِّي به

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١٥١) بلفظ: طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها «بالعشي والإشراق».
وعزاه لسعيد بن منصور.
وينظر حديث أم هانئ السابق.

(٢) قرأ بها: ابن أبي عبلة، والجحدري.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٠)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٠)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٦١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٣)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٨٦).

(٣) قرأ بها: الحسن، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٥).

(٤) في خ: الحكمة.

أمَّا بعدُ لأنَّه يفصل المقصودَ عمَّا سبق تمهيدًا له كالحمدِ والصَّلاةِ وقيل: هو الخطابُ الفصلُ الذي ليس فيه إيجازٌ يخلُّ ولا إطنابٌ مُملٌّ كما جاء في نعت كلام النُّبوةِ فَصْلٌ لا نَزْر ولا هَذْر.

﴿وهل أتاك نبأُ الخصم﴾ استفهامٌ معناه التَّعجيبُ والتَّشويقُ إلى استماع ما في حيِّزِه لإيذانه بأنَّه من الأنباء البديعة التي حقُّها أنْ تشيعَ فيما بين كلِّ حاضرٍ وبادٍ. والخَصمُ في الأصل مصدرٌ ولذلك يُطلق على الواحدِ وما فوقه كالضَّيفِ، ومعنى خصمانِ فريقانِ ﴿إذْ تسوَّروا المحرابَ﴾ إذ تصعدوا سورَه ونزلُوا إليه. والسُّورُ الحائطُ المرتفعُ ونظيرُه تسنَّمه إذا علا سنامَهُ وتذرَّاهُ إذا علا ذِرْوَتَه. وإذْ متعلِّقةٌ بمحذوفٍ أي نبأ تحاكم الخصم إذْ تسوَّروا أو بالنبأ على أنَّ المرادَ به الواقع في عهد داودَ عليه السَّلامُ وأنَّ إسنادَ الإتيان إليه على حذف مضافٍ أي قصَّة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخُصومةِ لا يأتى لأنَّ إتيانَه الرَّسولَ ﷺ لم يكن حينئذٍ وقوله تعالى: ﴿إذْ دخلُوا على داودَ﴾ بدلٌ ممَّا قبله أو ظرف لتسوَّروا ﴿ففزِع منهم﴾ رُوي أنَّه تعالى بعثَ إليه مَلكين في صورة إنسانينِ قيل: هما جبريلُ وميكائيلُ عليهما السَّلامُ فطلبا أنْ يدخلا عليه فوجداهُ في يوم عبادته فمنعهُما الحَرَسُ فتسوَّروا عليه المحراب بمن معهُما من الملائكةِ فلم يشعرْ إلاَّ وهُما بين يديه جالسانِ ففزِع منهم لأنَّهم نزلُوا عليه من فوق على خلافِ العادةِ والحَرَسُ حوله في غير يوم الحُكومةِ والقضاء. قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: إنَّ داودَ عليه السَّلامُ جزَّأ زمانَه أربعةَ أجزاءٍ يومًا للعبادة ويومًا للقضاء ويومًا للاشتغال بخاصَّةِ نفسه ويومًا للوعظ والتَّذكيرِ[١]. ﴿قالُوا﴾ استئناف وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأ من حكايةِ فزعِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، كأنَّه قيل: فماذا قالتِ الملائكةُ عند مشاهدتِهم لفزعِه، فقيل قالوا إزالةً لفزعِه ﴿لا تخفْ خَصمانِ﴾ أي نحنُ فوجانِ متخاصمانِ على تسمية مصاحب الخصم خَصْمًا ﴿بغى بعضُنا على بعضٍ﴾ هو على الفرض وقصد التَّعريضِ فلا كذبَ فيه﴿فاحكُم بيننا بالحقِّ ولا تشطط﴾ أي لا تجُر[٢] في الحُكومةِ وقرئ ولا تشطُطْ[٣] أي لا تبعُد عن الحقِّ وقرئ ولا تشطّط[٤]

---

(١) ينظر الكشاف (٤/ ٨٥)، و«تفسير البيضاوي» (٥/ ٤٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٧٥).

(٢) في خ: تجتر.

(٣) قرأ بها: أبو رجاء، وابن أبي عبلة، وقتادة، والحسن، وأبو حيوة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٧٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣١).

(٤) قرأ بها: قتادة، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٢).

ولا تشاطِطْ[1] وكلُّها من معنى الشَّطَطِ وهو مجاوزةُ الحدِّ وتخطِّي الحقِّ ﴿واهدنَا إلى سواءِ الصِّراطِ﴾ إلى وسطِ طريقِ الحقِّ بزجر الباغي عمَّا سلكه من طريق الجَوْرِ وإرشاده إلى منهاجِ العدلِ.

﴿إنَّ هذا أخي﴾ استئنافٌ لبيان ما فيه الخُصومة أي أخي في الدِّينِ أو في الصُّحبةِ، والتَّعرُّضُ لذلك تمهيدٌ لبيان كمال قبحِ ما فعل به صاحبُه ﴿له تسعٌ وتسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ﴾ هي الأُنْثى من الضَّأْنِ وقد يُكنى بها عن المرأةِ والكنايةُ والتَّعريضُ أبلغُ في المقصودِ. وقرئ تَسعٌ[2] وتَسعونَ بفتحِ التَّاءِ ونِعجة[3] بكسر النُّونِ وقرئ وليْ[4] نعجةٌ بسكونِ الياءِ. ﴿فقال أكْفلنِيها﴾ أي ملِّكْنيها، وحقيقتُه اجعلني أكفُلُها كما أكفلُ ما تحتَ يدي، وقيل: اجعلْها كِفْلي أي نَصيبي. ﴿وعزَّني في الخطابِ﴾ أي غلبنِي في مخاطبتِه إيَّاي محاجَّةً بأنْ جاء بحجاجٍ لم أقدرْ على ردِّه أو في مغالبته إيَّاي في الخِطبةِ يقال خَطَبتُ المرأةَ وخَطبها هو فخاطَبني خِطابًا أي غالبني في الخِطبة فغلبنِي حيثُ زُوِّجها دُوني. وقرئ وعازَّني[5] أي غالبني وعَزَني[6] بتخفيف الزَّاي طلبًا للخفَّةِ، وهو تخفيفٌ غريبٌ كأنَّه قيسَ على ظِلْتُ ومِسْتُ ﴿قال لقد ظلمَك

---

(١) قرأ بها: الحسن، وزر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٨).

(٢) قرأ بها: الحسن، وزيد بن علي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٩)، والمجمع للطبرسي (٢/ ٢٣١).

(٣) قرأ بها: الحسن، وابن هرمز.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٩)، والمحتسب لابن جني (٨/ ٤٧٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٢)، وتفسير الرازي (٢٦/ ١٩٦).

(٤) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦).

(٥) قرأ بها: عاصم، وحفص، وعبيد الله، وأبو وائل، ومسروق، والضحاك، والحسن، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ١٧٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٩).

(٦) (٧) قرأ بها: عاصم، وطلحة، وأبو حيوة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١٣)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٩)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٦٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٢).

بسؤالِ نعجتِك إلى نعاجه﴾ جوابُ قسم محذوفٍ قصد به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ المبالغةَ في إنكار فعل صاحبه وتهجِينَ طَمعِه في نعجةِ من ليس له غيرُها مع أنَّ له قطيعًا منها ولعلَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال ذلك بعد اعترافِ صاحبِهِ بما ادَّعاه عليه، أو بناهُ على تقدير صدقِ المدَّعِي. والسُّؤالُ مصدرٌ مضافٍ إلى مفعولِه، وتعديتُه إلى مفعولٍ آخرَ بإلى لتضمُّنه معنى الإضافةِ والضمِّ. **﴿وإنَّ كثيرًا من الخُلَطاءِ﴾** أي الشُّركاءِ الذين خلطُوا أموالَهم **﴿ليبغي﴾** ليتعدَّى. وقرئ بفتح الياء[١] على تقدير النُّون الخفيفةِ وحذفها وبحذف الياءِ[٢] اكتفاءً بالكسرةِ **﴿بعضُهم على بعضٍ﴾** غير مراعٍ لحقِّ الصُّحبةِ والشِّركةِ. **﴿إلاَّ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ﴾** منهم فإنَّهم يتحامَون عن البغي والعُدوانِ **﴿وقليلٌ ما هُم﴾** أي وهم قليلٌ وما مزيدةٌ للإبهام والتَّعجبِ من قلَّتِهم، والجملةُ اعتراضٌ **﴿وظنَّ داودُ أنَّما فتنَّاهُ﴾** الظنُّ مستعارٌ للعلم الاستدلاليِّ لا لما بينهما من المشابهةِ الظَّاهرةِ أي عَلِمَ بما جرى في مجلس الحُكومَةِ. وقيل: لما قَضَى بينهما نظرَ أحدُهما إلى صاحبِه فضحكَ ثم صعدَا إلى السَّماءِ حيال وجهِه فعلم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه تعالى ابتلاهُ. وليس المعنى على تخصيص الفتنةِ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دون غيرِه بتوجيهِ القصرِ المُستفادِ من كلمة إنَّما إلى المفعول بالقياس إلى مفعولٍ آخرَ كما هو الاستعمالُ الشَّائعُ الوارد على توجيهِ القصرِ إلى متعلِّقات الفعلِ وقيوده باعتبار النَّفي فيه والإثباتِ فيها كما في مثلِ قولِك إنَّما ضربتُ زيدًا وإنَّما ضربته تأديبًا بل على تخصيص حالِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالفتنةِ بتوجيه القصر إلى نفسِ الفعلِ بالقياس إلى ما يُغايره من الأفعالِ لكن لا باعتبار النَّفي والإثبات معًا في خُصوصية الفعل فإنَّه غيرُ ممكنٍ قطعًا بل باعتبار النَّفي فيما فيه من معنى مُطلقِ الفعلِ واعتبار الإثبات[٣] فيما يقارنه من المعنى المخصُوص فإنَّ كلَّ فعلٍ من الأفعال المخصُوصة ينحلُّ عند التَّحقيقِ إلى معنى مطلقٍ هو مدلولُ لفظِ الفعلِ وإلى معنى مخصُوص يُقارنه ويقيِّده وهو أثرُه في الحقيقةِ فإنَّ معنى نَصَر مثلًا فعل النَّصرَ يُرشدك إلى ذلك قولُهم معنى فلان يُعطي ويَمنعُ: يفعلُ الإعطاءَ والمنعَ فموردُ القصرِ في الحقيقةِ ما يتعلَّق بالفعلِ باعتبار النَّفي فيه والإثبات فيما يتعلَّق به، فالمعنى: وعلم داودُ عليه السَّلامُ أنَّما فعلنا به الفتنةَ لا غيرَ. قيل: ابتليناهُ بامرأةِ أُوريا وقيل: امتحناهُ بتلك الحكومةِ هل يتنبه بها لما قُصد منها. وإيثارُ طريقِ التَّمثيلِ لأنَّه أبلغُ في التَّوبيخِ

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٣).

(٣) في خ: الإتيان.

فإنَّ التَّأملَ فيه إذا أدَّاه إلى الشُّعورِ بما هو الغرضُ كانَ أوقعَ في نفسِه وأعظمَ تأثيرًا في قلبِه وأدعى إلى التَّنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاةِ حُرمتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بتركِ المُجاهرة والإشعار بأنَّه أمرٌ يُستحى من التَّصريحِ به وتصويرِه بصُورة التَّحاكُم لإلجائِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى التَّصريحِ بنسبة نفسِه إلى الظُّلم وتنبيهه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على أنَّ أُوريا بصددِ الخصامِ.

﴿فاستغفر ربَّه﴾ إثرَ ما علمَ أنَّ ما صدرَ عنه ذنبٌ ﴿وخرَّ راكعًا﴾ أي ساجدًا على تسمية السجودِ ركوعًا لأنَّه مبدؤُه أو خرَّ للسُّجودِ راكعًا أي مُصلِّيًا كأنَّه أحرم بركعتي الاستغفارِ ﴿وأناب﴾ أي رجع إلى الله تعالى بالتَّوبةِ. وأصلُ القصَّة أنَّ داودَ عليه السَّلامُ رأى امرأةَ رجلٍ يقال له أُوريَّا فمال قلبُه إليها فسأله أنْ يطلِّقها فاستحيى أنْ يردَّه ففعلَ فتزوَّجها وهي أمُّ سليمانَ عليه السَّلامُ وكان ذلك جَائزًا في شريعتِه مُعتادًا فيما بين أمَّتِه غيرَ مخلٍّ بالمروءة حيثُ كان يسأل بعضُهم بعضًا أنْ ينزلَ له عن امرأتِه فيتزوَّجها إذا أعجبته.

وقد كان الأنصارُ في صدر الإسلام يُواسون المهاجرين بمثلِ ذلك من غيرِ نكيرٍ خلا أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لعظم منزلَتِه وارتفاع مرتبتِه وعلوِّ شأنه نُبِّه بالتَّمثيل على أنَّه لم يكنْ ينبغي له أنْ يتَعاطى ما يتعاطاه آحادُ[1] أمَّتِه ويسألَ رجلًا ليس له إلاَّ امرأةٌ واحدة أنْ ينزلَ عنها فيتزوَّجها مع كثرة نسائه بل كان يجبُ عليه أنْ يغالبَ هواهُ ويقهرَ نفسَه ويصبرَ على ما امتُحن به.

وقيل: لم يكن أوريا تزوَّجها بل كان خطَبها ثمَّ خطبها داودُ عليه السَّلامُ فآثر عليه السَّلام أهلها فكان ذنبُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنْ خطبَ على خِطبةِ أخيه المسلم. هذا وأمَّا ما يُذكر من أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ دخلَ ذاتَ يوم محرابَه وأغلق بابَه وجعل يُصلِّي ويقرأُ الزَّبورَ فبينما هو كذلك إذْ جاءَه الشَّيطانُ في صورةِ حمامةٍ من ذهبٍ فمدَّ يده ليأخذَها لابنٍ صغيرٍ له فطارتْ فامتدَّ إليها فطارتْ فوقعت في كُوَّةٍ فتبعها فأبصر امرأةً جميلةً قد نقضت شعرها فغطَّى بدنها وهي امرأةُ أُوريا وهو من غُزاة البلقاءِ فكتب إلى أيُّوبَ بن صُوريا وهو صاحبُ بعثِ البلقاءِ أنِ ابعثْ أُوريا وقدِّمْه على التَّابوتِ وكان من يتقدَّم على التَّابوتِ لا يحلُّ له أنْ يرجعَ حتَّى يفتحَ الله على يديِه أو يُستشهدَ ففتح الله تعالى على يدِه وسلَم فأمرَ بردِّه مرةً أُخرى وثالثةً حتَّى قُتل وأتاه خبرُ قتلِه فلم يحزنْ كما كان يحزنُ على الشهداء وتزوَّج امرأتَه فإفكٌ مبتَدعٌ مكروهٌ ومكرٌ

(١) في خ: إحاطة.

مخترعٌ بئسما مكروه تمجه الأسماعُ وتنفرُ عنه الطِّباعُ ويلٌ لمن ابتدعَه وأشاعَه وتبا لمن اخترعه وأذاعَه، ولذلك قال عليٌّ رضي الله عنه: مَن حدَّثَ بحديثِ داودَ عليه السَّلامُ على ما يرويهِ القُصَّاصُ جلدتُه مائةً وستِّين وذلك حدُّ الفريةِ على الأنبياءِ[١] صلواتُ الله تعالى وسلامُه عليهم. هذا وقد قيلَ إنَّ قومًا قصُدوا أنْ يقتلُوه عليه الصَّلاة والسَّلام فتسوّروا المحرابَ ودخلوا عليه فوجدُوا عنده أقوامًا فتصنَّعوا بهذا التَّحاكم فعلم عليه الصَّلاة والسَّلام غرضَهم فهمَّ بأنْ ينتقمَ منهم فظنَّ أنَّ ذلك ابتلاءٌ له من الله عزَّ وجلَّ فاستغفرَ ربَّه ممَّا همَّ به وأنابَ ﴿**فغفرنا له ذلكَ**﴾ أي ما استغفرَ منه. ورُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بقي ساجدًا أربعينَ يومًا وليلةً لا يرفعُ رأسَه إلا لصلاةٍ مكتوبةٍ أو لما لا بُدَّ منه ولا يرقأُ دمعُه حتَّى نبتَ منه العشبُ إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا ثلثاه دمعٌ وجهد نفسَه راغبًا إلى الله تعالى في العفوِ عنه حتَّى كادَ يهلك واشتغل بذلك عن المُلكِ حتَّى وثبَ ابنٌ له يقال له إيشا على ملكِه ودعا إلى نفسِه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيلَ فلمَّا غُفر له حاربَه فهزمَه ﴿**وإنَّ له عندنا لزُلفى**﴾ لقُربةً وكرامة بعد المغفرة ﴿**وحسنَ مآب**﴾ حسنَ مرجعٍ في الجنَّةِ.

﴿**يا داودُ إنَّا جعلناك خليفةً في الأرضِ**﴾ إمَّا حكاية لما خُوطب به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مبينة لزُلفاه عنده عزَّ وجلَّ وإمَّا مقولُ قولٍ مقدَّرٍ هو معطوف على غفرنا، أو حالٌ من فاعله أي: وقُلنا له أو قائلين له يا داودُ . . . إلخ أي: استخلفناك على المُلك فيها والحكمِ فيما بينَ أهلِها أو جعلناك خليفةً ممَّن كان قبلك من الأنبياء القائمينَ بالحقِّ وفيه دليلٌ بيِّنٌ على أنَّ حالهَ عليه الصَّلاة والسَّلام بعد التَّوبةِ كما كانت قبلها لم تتغيَّرْ قَط.

﴿**فاحكُم بين النَّاس بالحقِّ**﴾ بحكم الله تعالى فإنَّ الخلافةَ بكلا معنييا مقتضيةٌ له حتمًا ﴿**ولا تتَّبع الهوى**﴾ أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدِّين والدُّنيا ﴿**فيضلك عن سبيل الله**﴾ بالنَّصبِ على أنَّه جوابُ النَّهي. وقيل: هو مجزومٌ بالعطفِ على النَّهي مفتوحٌ لالتقاءِ السَّاكنينِ أي فيكون الهوى أو اتِّباعُه سَببًا لضلالِك عن دلائلِه التي نصبها على الحقِّ تكوينًا وتَشريعًا.

وقوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين يضلُّون عن سبيلِ الله**﴾ تعليلٌ لما قبله ببيانِ غائلتِه وإظهار سبيلِ الله في موقعِ الإضمارِ لزيادة التَّقريرِ والإيذانِ بكمال شناعةِ الضَّلالِ عنه

(١) ذكره الحافظ في «الكشاف» (٣٠٦) وقال: لم أجده ونقله عنه المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ٩٦٢).

﴿**لهم عذابٌ شديدٌ**﴾ جملة من خبرٍ ومبتدأٍ وقعت خبرًا لأنَّ أو الظَّرفُ خبرًا لأنَّ وعذابٌ مرتفع على الفاعليةِ بما فيه من معنى الاستقرارِ. ﴿**بما نسُوا**﴾ بسبب نسيانِهم وقوله تعالى: ﴿**يومَ الحسابِ**﴾ إما مفعولٌ لنسُوا فيكون تعليلًا صريحًا لثبوت العذابِ الشَّديدِ لهم بنسيان يوم الحسابِ بعد الإشعارِ بعلِّيةِ ما يستتبعه ويستلزمه أعني الضَّلالَ عن سبيل الله تعالى فإنَّه مستلزمٌ لنسيانِ يوم الحساب بالمرَّةِ بل هذا فردٌ من أفرادِه أو ظرفٌ لقوله تعالى: لهم أي لهُم عذابٌ شديدٌ يومَ القيامةِ بسببِ نسيانِهم الذي هو عبارةٌ عن ضلالِهم، ومن ضرورتِه أن يكون مفعولُه سبيل الله فيكون التَّعليلُ المصرح به حينئذٍ عينَ التَّعليلِ المشعر به بالذَّاتِ غيره بالعُنوان ومَن لم يتنبه لهذا السرِّ السريِّ قال بسبب نسيانِهم وهو ضلالُهم عن السَّبيلِ فإنَّ تذكُّره يقتضي ملازمةَ الحقِّ ومخالفةَ الهَوَى فتدبَّر.

﴿**وما خلقنا السَّماءَ والأرضَ وما بينَهما باطلًا**﴾ كلامٌ مستأنفٌ مقررٌ لما قبله من أمرِ البعثِ والحسابِ والجزاءِ أي: وما خلقناهُما وما بينهما من المخلوقاتِ على هذا النِّظامِ البديعِ الذي تحارُ في فهمِه العقولُ خلقًا باطلًا أي خاليًا عن الغايةِ الجليلةِ والحكمةِ الباهرةِ بل منطويًا على الحقِّ المُبين والحِكم البالغةِ حيثُ خلقنا من بينِ ما خلقنا نُفوسًا أودعناها العقلَ والتَّمييزَ بين الحقِّ والباطلِ والنَّافعِ والضَّارِّ ومكنَّاها من التَّصرفاتِ العلميةِ والعمليةِ في استجلابِ منافعِها واستدفاعِ مضارِّها ونصبنا للحقِّ دلائلَ آفاقيةً وأنفسيةً ومنحناها القُدرةَ على الاستشهادِ بها ثم لم نقتصرْ على ذلك المقدارِ من الألطافِ بل أرسلنا إليها رُسلًا وأنزلنا عليها كُتبًا بيّنّا فيها كلَّ دقيقٍ وجليلٍ وأزحنا عللَها بالكلِّية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمةِ وأعددنا لها عاقبةً وجزاءً على حسب أعمالِها ﴿**ذلك**﴾ إشارةٌ إلى ما نُفي من خلقِ ما ذُكر باطلًا ﴿**ظنُّ الذين كفرُوا**﴾ أي مظنونهم فإنَّ جحودَهم بأمرِ البعثِ والجزاءِ الذي عليه يدورُ فلكُ تكوينِ العالم قولٌ منهم ببطلانِ خلقِ ما ذُكر وخلوِّه عن الحكمةِ سبحانَهُ وتعالى عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

﴿**فويلٌ للذين كفُروا**﴾ مبتدأٌ وخبرٌ والفاءُ لإفادةِ ترتُّبِ ثبوتِ الويلِ لهم على ظنِّهم الباطلِ كما أنَّ وضع الموصولِ موضعَ ضميرهم للإشعارِ بما في حيِّز الصِّلةِ بعلية كفرهم له، ولا تنافي بينهما لأنَّ ظنَّهم من باب كُفرِهم. ومِن في قوله تعالى: ﴿**من النَّارِ**﴾ تعليليةٌ كما في قوله تعالى: ﴿فويلٌ لهم ممَّا كتبتْ أيديهم﴾ [سورة البقرة، الآية ٧٩] ونظائرِه، ومفيدةٌ لعليَّةِ النَّار لثبوتِ الويلِ لهم صَريحًا بعد الإشعارِ بعليةِ ما يُؤدِّي إليها من ظنِّهم وكفرِهم أي فويلٌ لهم بسببِ النَّارِ المترتِّبةِ على ظنِّهم وكفرِهم.

﴿أم نجعل الذينَ آمنُوا وعملوا الصَّالحاتِ كالمفسدينَ في الأرضِ﴾ أم منقطعةً، وما فيها من بلْ للإضرابِ الانتقاليِّ عن تقرير أمر البعثِ والحسابِ والجزاء بما مرَّ من نفي خلقِ العالم خاليًا عن الحكمِ والمصالحِ إلى تقريرِه وتحقيقِه بما في الهمزةِ من إنكار التَّسويةِ بين الفريقينِ ونفيِها على أبلغِ وجهٍ وآكدِه أي بل أنجعلُ المؤمنينَ المُصلحينَ كالكَفَرةِ المُفسدين في أقطارِ الأرضِ كما يقتضيه عدمُ البعثِ وما يترتَّبُ عليه من الجزاءِ لاستواء الفريقين في التَّمتع بالحياةِ الدُّنيا بل الكَفَرةُ أوفرُ حظًّا منها من المؤمنينَ لكن ذلك الجعلُ محالٌ فتعيَّن البعثُ والجزاءُ حتمًا لرفع الأوَّلينَ إلى أعلى عِلِّيينَ [وردِّ][1] الآخرينَ إلى أسفلِ سافلينَ.

وقوله تعالى: ﴿أم نجعلُ المتَّقين كالفجَّار﴾ إضرابٌ وانتقالٌ عن إثبات ما ذُكر بلزوم المحالِ الذي هو التَّسويةُ بين الفريقينِ المذكُورينِ على الإطلاقِ إلى إثباتِه بلزوم ما هو أظهرُ منه استحالةً وهو التَّسويةُ بين أتقياءِ المؤمنينَ وأشقياءِ الكَفَرةِ وحملُ الفُجَّار على فَجَرةِ المُؤمنين ممَّا لا يساعدُه المقامُ ويجوزُ أنْ يرادَ بهذينِ الفريقينِ عينُ الأوَّلينِ ويكون التَّكريرُ باعتبارِ وصفينِ آخرينِ هما أدخلُ في إنكار التَّسوية من الوصفينِ الأوَّلين وقيل قال كفَّارُ قُريشٍ للمؤمنين: إنَّا نُعطَى في الآخرةِ من الخيرِ ما تُعطَون فنزلتْ. ﴿كتابٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ هو عبارةٌ عن القُرآن أو السُّورةِ. وقولُه تعالى: ﴿أنزلناهُ إليكَ﴾ صفتُه. وقوله تعالى: ﴿مباركٌ﴾ خبرٌ ثانٍ للمبتدأِ أو صفةٌ لكتابٌ عند مَن يُجوِّز تأخيرَ الوصفِ الصَّريحِ عن غيرِ الصَّريحِ. وقرئ مباركًا[2] على أنَّه حالٌ من مفعولِ أنزلنا ومعنى المبارك الكثيرُ المنافعِ الدِّينيةِ والدُّنيويةِ.

وقولُه تعالى: ﴿ليدَّبروا آياتِه﴾ متعلِّقٌ بأنزلناه أي أنزلنَاهُ ليتفكَّروا في آياتِه التي من جُملتها هذه الآياتُ المعربةُ عن أسرارِ التَّكوينِ والتَّشريع فيعرفُوا ما يدبر ظاهرها من المعانِي الفائقةِ والتَّأويلاتِ اللائقةِ وقرئ ليتدَّبروا[3] على الأصل ولتدبَّروا على الخطابِ أي أنتَ وعلماءُ أمَّتك بحذفِ إحدى التَّاءينِ ﴿وليتذكرَ أُولو الألبابِ﴾ أي وليتَّعظ به ذَوُو العقولِ السَّليمة أو ليستحضرُوا ما هو كالمركوزِ في عقولِهم من فرطِ تمكُّنهم من معرفتِه لما نُصبِ عليه من الدَّلائلِ فإنَّ الكتبَ الإلهيةَ مبيِّنةٌ لما لا يُعرف

---

(١) سقط في ط.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٢).

(٣) قرأ بها علي رضي الله عنه.
ينظر: ابن خالويه (١٣٠).

إلا بالشَّرعِ ومرشدةٌ إلى ما لا سبيلَ للعقلِ إليه ﴿ووهبنا لداودَ سُليمانَ نعم العبدُ﴾ وقرئ (نعم العبدُ)[1] أي سليمانُ كما ينبئ عنه تأخيرُه عن داودَ مع كونِه مفعولًا صريحًا لـ (وهبنا) ولأنَّ قوله تعالى: ﴿إنَّه أوَّاب﴾ أي رجَّاع إلى الله تعالى بالتَّوبة أو إلى التَّسبيح مرجع له تعليلٌ للمدح وهو من حاله لما أنَّ الضَّميرَ المجرورَ في قوله تعالى: ﴿إذْ عُرِض عليه﴾ راجع إليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قطعًا وإذْ منصوبٌ باذكُر أي اذكُر ما صدرَ عنه إذْ عُرِضَ عليه ﴿بالعشي﴾ هو من الظُّهرِ إلى آخرِ النَّهارِ ﴿الصَّافناتُ﴾ فإنَّه يشهدُ بأنَّه أوَّاب وقيل: ظرف لأواب وقيل: لنعم وتأخيرُ الصَّافنات عن الظَّرفينِ لما مرَّ مرارًا من التَّشويقِ إلى المؤخَّرِ. والصَّافنُ من الخيلِ: الذي يقومُ على طَرَفِ سُنبكِ يدٍ أو رجلٍ، وهو من الصِّفاتِ المحمودةِ في الخيلِ لا يكادُ يتَّفقُ إلا في العِراب الخُلَّصِ، وقيل: هو الذي يجمعُ يديهِ ويسوِّيهما. وأمَّا الذي يقفُ على سنبكِهِ فهو المتخيم ﴿الجيادُ﴾ جمعُ جوادٍ وجودٍ وهو الذي يُسرع في جريِه وقيل: الذي يجودُ عند الرَّكضِ، وقيل: وُصفتْ بالصُّفون والجَودةِ لبيان جمعها بين الوصفينِ المحمودينِ واقفةً وجاريةً أي إذا وقفتْ كانتْ ساكنةً مطمئنة [في مواقفها][2] وإذا جرتْ كانت سِراعًا خِفافًا في جَريها. وقيل: هو جمعُ جيد. رُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسلام غَزَا أهلَ دمشقَ ونصيبين وأصابَ ألفَ فرسٍ وقيل: أصابها أبُوه من العمالقةِ فورثَها منه وقيل: خرجتْ من البحرِ لها أجنحةٌ فقعد يومًا بعد ما صلَّى الظُّهر على كرسيِّه فاستعرضَها فلم تزلْ تُعرض عليه حتَّى غربتِ الشَّمسُ وغفلَ عن العصرِ أو عن وِردٍ كان له من الذِّكرِ وقتئذٍ وتهيَّبُوه فلم يعلموه فاغتمَّ لما فاتَه فاستردَّها فعقَرها تقربًا لله تعالى وبقي مائةٌ فما في أيدي النَّاسِ من الجياد[3] فمن نسلها وقيل: لمَّا عقرَها أبدلَه الله خيرًا منها وهي الرِّيحُ تجري بأمره.

﴿فقال إنِّي أحببتُ حبَّ الخير عن ذكرِ ربِّي﴾ قاله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ عند غروب الشَّمسِ اعترافًا بما صدرَ عنه من الاشتغالِ بها عن الصَّلاةِ وندمًا عليه وتمهيدًا لما يعقبُه من الأمر بردِّها وعقرِها، والتَّعقيب باعتبار أواخرِ العرض المستمرِّ دون ابتدائِه والتَّأكيدُ للدِّلالةِ على أنَّ اعترافَه وندمَهُ عن صميم القلبِ لا لتحقيقِ مضمونِ الخيرِ، وأصلُ أحببتُ أنْ يعدَّى بعلى لأنَّه بمعنى آثرت لكن لما أُنيب مُنابَ أنبتُ عُدِّي تعديتَه وحبَّ الخيرِ مفعولُه كأنَّه قيل: أنبتُ[4] حبَّ الخيرِ عن ذكر ربِّي ووضعتُه

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٦).
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: الحياة.
(٤) في خ: آثرت.

موضعه، والخيرُ: المالُ الكثيرُ والمراد به الخيلُ التي شغلته عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ويحتمل أنَّه سمَّاها خيرًا لتعلُّق الخيرِ بها قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الخيرُ معقودٌ بنواصِي الخيلِ إلى يومِ القيامةِ**»[١]. وقرئ إنِّي[٢] ﴿**حتَّى توارتْ بالحجابِ**﴾ متعلِّق بقوله أحببتُ باعتبار استمرار المحبَّةِ ودوامِها حسب استمرارِ العرضِ أي أنبتُ حبَّ الخيرِ عن ذكر ربِّي واستمرَّ ذلكَ حتَّى توارتْ أي غربتْ الشَّمسُ تشبيهًا لغروبِها في مغربِها بتواري المخبأةِ بحجابها، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل: الضمير للصافنات أي: حتى توارتْ بحجابِ اللَّيلِ أي بظلامِه ﴿**ردُّوها عليَّ**﴾ من تمام مقالةِ سليمانَ عليه السَّلامُ ومرمى غرضِه من تقديم ما قدَّمه ومَن لم يتنبه له مع ظهورِه توهَّم أنَّه متَّصل بمضمرٍ هو جوابٌ لمضمرٍ آخرَ كأنَّ سائلًا قال: فماذا قال سليمانُ عليه السَّلامُ فقيل قال: ردُّوها فتأمَّلْ والفاء في قوله تعالى: ﴿**فطفِقَ مَسْحًا**﴾ فصيحةٌ مفصحةٌ عن جملةٍ قد حُذفتْ ثقةً بدلالة الحالِ عليها وإيذانًا بغاية سرعةِ الامتثالِ بالأمرِ أي فردُّوها عليه فأخذ يمسحُ السَّيفَ مسحًا ﴿**بالسُّوق والأعناقِ**﴾ أي بسوقِها وأعناقِها يقطعها من قولِهم مسحَ عِلاوتَه أي ضربَ عنقَه عنه وقيل: جعل يمسحُ بيدِهِ أعناقَها وسوقَها حُبًّا لها وإعجابًا بها وليس بذاكَ وقرئ[٣] بالسُّؤْقِ على همز الواوِ لضمَّتها كما في أدؤُر وقرئ[٤] بالسُّؤوقِ تنزيلًا لضمَّةِ السِّينِ منزلة ضمَّة الواوِ وقرئ[٥] بالسَّاق اكتفاءً بالواحدِ عن الجمعِ لأمنِ الإلباسِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦٣٣) كتاب المناقب: باب (٢٨) حديث (٣٦٤٤) ومسلم (٣/ ١٤٩٢) كتاب الإمارة: باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة حديث (٩٦) من حديث ابن عمر.
وله شواهد كثير جدًّا حتى عد متواترًا.
وينظر: «نظم المتناثر» رقم (٤٦).

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وقنبل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٧)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥١١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٨).

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وقنبل، وبكار، وابن محيصن، وابن مجاهد، وابن شنبوذ، وأبو أحمد السامري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٤).

(٥) قرأ بها: زيد بن علي، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٣٩٧).

﴿**وَلَقَد فتنا سليمانَ وألقينَا على كرسيِّه جَسَدًا ثمَّ أنابَ**﴾ أظهرُ ما قيل في فتنتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ما رُوي مرفُوعًا أنَّه قال: «**لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة تأتِي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ الله تعالى ولم يقُل إنْ شاءَ الله تعالى فطافَ عليهنَّ فلم تحمل إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشقِّ رجلٍ، والذي نفسِي بيدِه لو قالَ إنْ شاء الله لجاهدُوا في سبيلِ الله فُرسانًا أجمعون**»[١] وقيل: وُلد له ابنٌ فاجتمعتِ الشَّياطينُ على قتلِه فعلم ذلكَ فكانَ يغذُوه في السَّحابِ فَما شعرَ به إلا أنْ أُلقي عَلَى كرسيِّه ميتًا فتنبَّه لخطئِه حيثُ لَم يتوكَّل على الله عزَّ وعَلا. وقيل إنَّه غَزَا صيدونَ من الجزائرِ فقتلَ ملكَها وأصابَ بنْتًا له تسمَّى جرادةَ من أحسنِ النَّاسِ فاصطفَاها لنفسِه وأسلمتْ وأحبَّها وكان لا يرقأُ دمعُها جَزَعًا على أبيها فأمرَ الشَّياطينَ فمثَّلوا لها صورتَه وكانت تغدُو إليها وتروحُ مع ولائدِها يسجُدن لها كعادتهنَّ في مُلكِه فأخبرَهُ آصفُ بذلك فكسرَ الصُّورةَ وعاقَب المرأةَ ثم خرج وحدَهُ إلى فَلاة وفُرش له الرَّمادُ فجلس عليه تائبًا إلى الله تعالى باكيًا متضرِّعًا وكانتْ له أمُّ ولدٍ يُقال لها أمينةُ إذا دخلَ للطَّهارةِ أو لإصابةِ امرأةٍ يعطيها خاتمه وكان ملكُه فيه فأعطاها الخاتم يومًا فتمثَّل لها بصورتِه شيطانٌ اسمه صخر وأخذ الخاتمَ فتختَّم[٢] به وجلس على كُرسيه فاجتمعَ عليه الخلقُ ونفَّذ حكمَه في كلِّ شيءٍ إلَّا في نسائِه وغيَّر سليمانَ عن هيئتِه فأتى أمينةَ لطلبِ الخاتمِ فأنكرتْهُ وطردتْهُ فعرفَ أنَّ الخطيئةَ قد أدركتْهُ فكان يدورُ على البيوتِ يتكفَّفُ وإذا قالَ أنَا سليمانُ حثَوا عليه التُّرابَ وسبُّوه ثم عمد إلى السَّماكين ينقلُ لهم السَّمك فيعطونَه كلَّ يوم سمكتينِ فمكثَ على ذلك أربعينَ صباحًا عددَ ما عُبد الوثنُ في بيتِه فأنكر آصفُ وعظماءُ بني إسرائيلَ حكمَ الشَّيطانِ ثم طارَ اللعينُ وقذفَ الخاتمَ في البحرِ فابتلعتْهُ سمكةٌ فوقعتْ في يدِ سليمانَ فبقرَ بطنَها فإذَا هُو بالخاتمِ فتختَّم به وخرَّ ساجدًا وعادَ إليه ملكه وجاب صخرةً لصخرٍ فجعلَه فيها وسدَّ عليه بأُخرى ثم أوثَقهما بالحديدِ والرَّصاص وقذفه في البحرِ وعلى هذا. فالجسدُ عبارةٌ عن صخرٍ سمِّي به وهو جسمٌ لا رُوحَ فيه لأنَّه تمثَّل بما لم يكن كذلكَ والخطيئةُ تغافلُه عليه الصَّلاةُ السَّلام عن حالِ أهلِه لأنَّ اتِّخاذَ التَّماثيلِ لم يكُن محظُورًا حينئذٍ، وسجودُ الصُّورةِ بغير علمٍ منه لا يضرُّه.

﴿**قال**﴾ بدل من أنابَ وتفسيره له ﴿**ربِّ اغفرْ لي**﴾ أي ما صدرَ عنِّي من الزَّلَّةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٥٨)، كتاب أحاديث الأنبياء: باب «ووهبنا لداود سليمان»، حديث (٣٤٢٤)، ومسلم (٣/ ١٢٧٥) كتاب الأيمان: باب الاستثناء، حديث (٢٢، ٢٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) في ط: فختم.

﴿وهبْ لي مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعدي﴾ لا يتسهل له ولا يكونُ ليكونَ معجزةً لي مناسبةً لحالي فإنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا نشأَ في بيتِ الملكِ والنُّبوة وورثهما معًا استدعى من ربِّه معجزةً جامعةً لحكمهما أو لا ينبغي لأحدٍ أنْ يسلَبه منِّي بعد هذه السَّلبةِ أو لا يصحُّ لأحدٍ من بعدي لعظمتِه كقولِك لفلان ما ليسَ لأحدٍ من الفضلِ والمالِ على إرادة وصف الملكِ بالعظمةِ لا ألا يعطى أحد مثله فيكون منافسه وقيل كانَ مُلكًا عظيمًا فخاف أنْ يُعطى مثلَه أحدٌ فلا يحافظُ على حدودِ الله تعالى. وتقديمُ الاستغفارِ على الاستيهابِ لمزيد اهتمامِه بأمر الدِّينِ جريًا على سَنَنِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ والصَّالحين. وكون ذلك أدخلَ في الإجابةِ. وقرئ ليَ بفتحِ الياءِ ﴿إنَّك أنتَ الوهَّابُ﴾ تعليلٌ للدُّعاءِ بالمغفرةِ والهبةِ معًا لا بالأخيرة فقط فَإنَّ المغفرةَ أيضًا من أحكامِ وصفِ الوهَّابيةِ قطعًا.

﴿فسخرنا له الرِّيحَ﴾ أي فذللناها لطاعتِه إجابةً لدعوتِه فعاد أمرُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى ما كان عليهِ قبل الفتنةِ. وقرئ الرِّياح[1] ﴿تجري بأمرِه﴾ بيانٌ لتسخيرِها له ﴿رُخاء﴾ أي لينةً من الرَّخاوةِ طيبة لا تزعزعُ وقيل: طيعةً لا تمتنع عليه كالمأمورِ المنقادِ ﴿حيثُ أصابَ﴾ أي حيثُ قصدَ وأرادَ.

حَكَى الأصمعيُّ عن العربِ أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ[2] الجوابَ ﴿والشَّياطينَ﴾ عطفٌ على الرِّيح ﴿كلَّ بنَّاءٍ وغوَّاصٍ﴾ بدلٌ من الشَّياطينَ ﴿وآخرين مقرَّنين في الأصفادِ﴾ عطفٌ على كلَّ بنَّاءٍ داخلٌ في حُكم البدلِ كأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فصَّل الشَّياطينَ إلى عَمَلةٍ استعملهم في الأعمالِ الشَّاقةِ من البناء والغَوص ونحو ذلك وإلى مَرَدةٍ قرن بعضَهم مع بعضٍ في السَّلاسلِ لكفِّهم عن الشرِّ والفسادِ. ولعلَّ أجسامهم شفَّافةٌ فلا تُرى صلبةً فيمكن تقييدُها ويقدرون على الأعمال الصَّعبة وقد جُوِّز أن يكون الإقرانُ في الأصفادِ عبارة عن كفِّهم عن الشُّرورِ بطريق التَّمثيلِ. والصَّفدُ القَيدُ وسُمِّي به العطاءُ لأنَّه يرتبط بالمنعم عليه وفرَّقوا بين فعليهما فقالُوا صفَده قيَّده وأصفدَهُ أعطاهُ على عكسِ وَعَد وأَوْعدَ وقَوله تعالى: ﴿هَذا﴾ إلخ إمَّا حكايةٌ لما خُوطب به سليمانُ عليه السَّلامُ مبيِّنةٌ لعظمِ شأنِ ما أُوتي من الملكِ وأنَّه مفوَّضٌ إليه تفويضًا كلِّيًا وإما مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ وهو معطوفٌ على سخَّرنا أو حالٌ من فاعلِه كما مرَّ في خاتمةِ قصَّةِ

---

(١) قرأ بها: أبو جعفر، والحسن، وقتادة، وأبو رجاء.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والبحر المحيط (٧/ ٣٩٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٣).

(٢) في خ: وأخطأ.

داودَ عليه السَّلامُ أي وقُلنا له أو قائلين له هذا الأمرُ الذي أعطيناكَه من المُلكِ العظيمِ والبسطةِ والتَّسلطِ على ما لَم يُسلَّطْ عليه غيرُك ﴿عطاؤنا﴾ الخاصُّ بك ﴿فامنُن أوَ أَمسك﴾ فأعطِ مَن شئتَ وامنَع مَن شئتَ ﴿بغير حسابٍ﴾ حال من المستكنِّ في الأمرِ أي غير محاسب على منِّه وإمساكِه لتفويضِ التَّصرفِ فيه إليك على الإطلاقِ أو من العطاءِ أي هذا عطاؤنا مُلتبسًا بغير حسابٍ لغاية كثرتِه، أو صلةٌ له وما بينهما اعتراضٌ على التَّقديرينِ، وقيل: الإشارةُ إلى تسخير الشَّياطينِ والمرادُ بالمنِّ والإمساكِ الإطلاقُ والتَّقييدُ ﴿وإنَّ له عندَنا لزُلفى﴾ في الآخرةِ مع ما له من المُلك العظيم في الدُّنيا ﴿وحسن مآبٍ﴾ هو الجنَّةُ قيل: فُتن سليمانُ عليه السَّلامُ بعد ما ملكَ عشرين سنةً وملك بعد الفتنةِ عشرينَ سنة. وذكر الفقيهُ أبوُ حنيفةَ أحمدُ بنُ داودَ الدِّيْنَوَريُّ في تاريخه أنَّ سُليمان عليه السَّلامُ ورثَ ملكَ أبيهِ في عصرِ كيخسرو بن سياوش وسارَ من الشَّام إلى العراقِ فبلغ خبُره كيخسر [و][1] فهربَ إلى خُراسانَ فلم يلبثْ حتَّى هلكَ ثمَّ سارَ سُليمانُ عليه السَّلامُ إلى مروٍ. ثمَّ إلى بلادِ التُّركِ فوغل فيها ثم جازَ بلادَ الصِّين ثم عطفَ إلى أنْ وافى بلادَ فارسٍ فنزلها أيّامًا [ثم عاد][2] إلى الشَّامِ ثمَّ أمرَ ببناءِ بيتِ المقدسِ فلَّما فرغَ منه سار إلى تهامةَ ثم إلى صنعاءَ وكان من حديثِه مع صاحبتِها ما ذكرَه الله تعالى وغَزا بلادَ المغربِ الأندلسِ وطنجةَ وغيرَهما والله تعالى أعلمُ.

﴿واذكُر عبدَنا أيُّوبَ﴾ عطفٌ على اذكُر عبدنا داودَ. وعدمُ تصديرِ قصَّةِ سليمانَ بهذا العُنوان لكمالِ الاتِّصالِ بينه وبينَ داودَ عليهما السَّلامُ. وأيُّوبُ هو ابنُ عِيصَ بنِ إسحاقَ عليه السَّلامُ ﴿إذْ نادَى ربَّه﴾ بدلُ اشتمالٍ من عبدَنا، وأيُّوبَ عطفُ بيانٍ له ﴿أنِّي﴾ بأني ﴿مَسَّنِي الشَّيْطَانُ﴾ بفتحِ ياءِ مسني. وقرئ بإسكانِها[3] وإسقاطِها ﴿بنصب﴾ أي تعبٍ وقرئ بفتحِ[4] النُّونِ وبفتحتينِ[5] وبضمَّتينِ[6] للتثقيلِ. ﴿وعذابٍ﴾

(١) سقط في خ. (٢) في خ: فعاد.

(٣) قرأ بها: حمزة، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢).

(٤) قرأ بها: عاصم، ويعقوب، وهبيرة، وحفص، وأبو حيوة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥١٨)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٦)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢١٢).

(٥) قرأ بها: يعقوب، والحسن، وعاصم الجحدري، وزيد بن علي، والسدي، وابن أبي عبلة، ويزيد بن القعقاع.

=

أي ألمٍ ووصبٍ يريدُ مرضَه وما كان يُقاسيه من فنونِ الشَّدائدِ وهو المرادُ بالضُّرِّ في قوله إنِّي مسنيَ الضُّرُّ وهو حكايةٌ لكلامِه الذي ناداهُ به بعبارتِه وإلاَّ لقيلَ إنَّه مسَّه إلخ والإسنادُ إلى الشَّيطان إمَّا لأنَّه تعالَى مسَّه بذلك لما فعل بوسوستِه كما قيل إنَّه أُعجب بكثرةِ مالِه أو استغاثه[1] مظلومٌ فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزُه أو لامتحان صبره فيكون اعترافًا بالذَّنبِ أو مراعاةً للأدبِ أو لأنَّه وسوس إلى أتباعِه حتَّى رفضُوه وأخرجُوه من ديارِهم أو لأنَّ المرادَ بالنَّصَبِ والعذابِ ما كان يُوسوس به إليه في مرضِه من تعظيم ما نزل به من البلاءِ والقُنوطِ من الرَّحمةِ ويغريه على الكراهةِ والجَزَعِ فالتجأَ إلى الله تعالى في أنْ يكفيه ذلك بكشفِ البلاءِ أو بالتوفيقِ لدفعِه وردِّه بالصَّبرِ الجميلِ، وليس هذا تمامَ دُعائه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بل من جُملتِه قولُه: ﴿وأنتَ أرحمُ الرَّاحمينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٥١] فاكتفى هاهنا عن ذكرِه بما في سُورةِ الأنبياءِ كما تركَ هناك ذكرَ الشَّيطانِ ثقةً بما ذُكر هاهنا وقوله تعالى ﴿**اركضْ برجلِك**﴾ إلخ إمَّا حكايةٌ لما قيل له أو مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ معطوفٍ على نادى أي فقلنا له اركض برجلك أي اضربْ بها الأرضَ و[كذا][2] قوله تعالى ﴿**هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ**﴾ فإنَّه أيضًا إمَّا حكايةٌ لما قيل له بعدَ امتثالِه بالأمرِ ونبوع الماءِ أو مقولٌ لقولٍ مقدَّرٍ معطوفٍ على مقدَّرٍ ينساقُ إليه الكلامُ كأنَّه قيل: فضربَها فنبعتْ عينٌ فقلنا له هذا مغتسلٌ تغتسلُ به وتشربُ منه فيبرأُ ظاهرُك وباطُنك وقيل: نبعتْ عينانِ حارَّةٌ للاغتسالِ وباردةٌ للشُّربِ ويأباهُ ظاهرُ النَّظمِ الكريمُ وقوله تعالى ﴿**ووهبنا له أهلَه**﴾ معطوفٌ على مقدَّرَ مترتِّبٍ على مقدَّرٍ آخرَ يقتضيه القولُ المقدَّرُ آنفًا كأنَّه قيل: فاغتسل وشرب فكشفنا بذلكَ ما به من ضُرٍّ كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أيضًا أهلَه إمَّا بإحيائِهم بعد هلاكِهم وهو المرويُّ عن الحسنِ أو بجمعِهم بعد تفرُّقِهم كما قيل ﴿**ومثلَهم معهُم**﴾ عطفٌ على أهلَه فكان له من الأولادِ ضِعفُ ما كان له قبل ﴿**رحمةً**

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥١٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٧٧)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢١٢).

(٦) قرأ بها: نافع، وعاصم، والحسن، وشيبة، وأبو عمار، وحفص، والجعفي، وشعبة، وأبو معاذ، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥١٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١٠٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٤)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢١٢).

(١) في خ: استغاث به. (٢) سقط في خ.

منا﴾ أي لرحمةٍ عظيمةٍ عليه من قبلنا **﴿وذكرى لأولي الألبابِ﴾** ولتذكيرِهم بذلك ليصبروا على الشَّدائدِ كما صبرَ ويلجأوا إلى الله عزَّ وجلّ فيما يحيقُ بهم كما لجأ ليفعلَ بهم ما فعلَ به من حُسن العاقبةِ **﴿وخُذ بيدِك ضِغْثًا﴾** معطوفٌ على اركُض أو على وهبنَا بتقديرِ قُلنا أي وقُلنا خذْ بيدِك . . .إلخ والأوَّلُ أقربُ لفظًا وهذا أنسبُ معنى فإنَّ الحاجةَ إلى هذا الأمرِ لا تمسُّ إلا بعد الصَّحةِ، فإنَّ امرأتَه رحمةَ بنتَ إفرايمَ ابنِ يوسفَ.

وقيل: ليَا بنتُ يعقوبَ وقيل: ماصرُ بنتُ ميْشا بن يُوسفَ عليه السَّلامُ ذهبتْ لحاجةٍ فأبطأت فحلفَ إنْ برئ ليضربنَّها مائة ضربة فأمرَه الله تعالى بأخذِ الضِّغثِ، والضِّغثُ الحزمةُ الصَّغيرةُ من الحشيشِ ونحوِه. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قبضةٌ من الشَّجرِ.

وقال **﴿فاضربْ به﴾** أي بذلك الضِّغثِ **﴿ولا تحنثْ﴾** في يمينك فإنَّ البرَّ يتحققُ به.

ولقد شرعَ الله سبحانه هذه الرُّخصةَ رحمةً عليه وعليها لحُسنِ خدمتِها إيَّاهُ ورضاهُ عنها وهي باقيةٌ ويجب أنْ يصيبَ المضروبَ كلُّ واحدٍ من المائةِ إما بأطرافِها قائمةً أو بأعراضِها مبسوطةً على هيئةِ الضَّربِ **﴿إنَّا وجدناهُ صابرًا﴾** فيما أصابَه في النَّفسِ والأهلِ والمالِ وليسَ في شكواهُ إلى الله تعالى إخلالٌ بذلك فإنَّه لا يُسمَّى جزعًا كتمنِّي العافيةِ وطلب الشِّفاءِ على أنَّه قال ذلك خيفةَ الفتنةِ في الدِّينِ حيث كانَ الشَّيطانُ يوسوسُ إلى قومِه بأنَّه لو كانَ نبيًّا لما ابُتلي بمثلِ ما ابُتلي به وإرادة القوَّة على الطَّاعةِ فقد بلغ أمرُه إلى أنْ لم يبقَ منه إلاَّ القلبُ واللِّسانُ.

ويُروى أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال في مناجاتِه: إلهي قد علمتَ أنَّه لم يُخالفْ لساني قلبيَ ولم يتبعْ قلبي بصريَ ولم يهنني ما ملكتْ يميني ولم آكلْ إلا ومعي يتيم ولم أبتْ شبعانَ ولا كاسيًا ومعي جائعٌ أو عريانُ فكشفَ الله تعالى عنه **﴿نعمَ العبدُ﴾** أي أيُّوبُ **﴿إنه أوَّاب﴾** تعليلٌ لمدحِه أي رجَّاعٌ إلى الله تعالى.

﴿واذكُر عبادَنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ﴾ [عطفُ بيانٍ لعبادَنا وقرئ عبدَنا[١] إمَّا

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، وابن عباس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٢)، والإعراب للنحاس (٢/ ٧٩٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠١)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣١).

على أنَّ إبراهيمَ وحدَهُ لمزيد شرفِهِ][١] عطفُ بيانٍ، وقيل: بدلٌ وقيل نُصبَ بإضمارِ أَعْنِي، والباقيانِ عطفٌ على عَبدنا، وإمَّا على أنَّ عبدَنا اسمُ جنسٍ وضعَ موضعَ الجمع.

﴿أُولي الأيدي والأبصارِ﴾ أُولي القوَّةِ في الطَّاعةِ والبصيرةِ في الدِّينِ أو أولي الأعمالِ الجليلةِ والعلومِ الشَّريفةِ فعبَّر بالأيدِي عن الأعمالِ لأنَّ أكثرَها تُباشر بها، وبالأبصارِ عن المعارفِ لأنَّها أقوى مباديها، وفيه تعريضٌ بالجَهَلةِ البطَّالينَ أنَّهم كالزَّمنىٰ والعُماةِ وتوبيخٌ على تركِهم المجاهدة والتَّأمُّلِ مع تمكُّنِهم منهما. وقرئ أُولي[٢] الأيدِ بطرحِ الياءِ والاكتفاءِ بالكسر، وقرئ أُولي[٣] الأيادِي على جمعِ الجمعِ. ﴿إنَّا أخلصناهُم بخالصةٍ﴾ تعليلٌ لما وُصفوا به من شرفِ العُبوديةِ وعلوِّ الرُّتبةِ في العَلم والعمل أي جعلناهم خالصينَ لنا بخصلةٍ خالصةٍ عظيمةَ الشَّأنِ كما يُنبئ عنه التَّنكيرُ التَّفخيميُّ.

وقولُه تعالى ﴿ذِكرى الدَّارِ﴾ بيانٌ للخالصةِ بعد إبهامِها للتَّفخيم أي تذكرٍ للدَّارِ الآخرةِ دائمًا فإنَّ خُلوصَهم في الطَّاعةِ بسببِ تذكُّرِهم لها[٤] وذلكَ لأنَّ مطمحَ أنظارِهم ومطرح أفكارِهم في كلِّ ما يأتُون وما يذرون جوارُ الله عزَّ وجلَّ والفوزُ بلقائهِ ولا يتسنَّى ذلك [إلَّا][٥] في الآخرةِ وقيل: أخلصناهُم بتوفيقِهم لها واللُّطفِ بهم في اختيارِها ويعضد الأوَّلَ قراءةُ من قرأ بخالصتِهم[٦]، وإطلاق الدَّارِ للإشعارِ بأنَّها الدَّارُ في الحقيقةِ وإنَّما الدُّنيا مَعْبرٌ. وقرئ بإضافةِ[٧] خالصةٍ إلى ذِكرى أي بما خلُص من ذِكرى الدَّارِ على معنى أنَّهم لا يشوبُون ذكراها بهمٍّ آخرَ أصلًا أو تذكيرهم الآخرةَ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: المطوعي، وعبد الله بن مسعود، والحسن، وعيسى الثقفي، والأعمش، وعبد الوارث. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٢٧٢)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٢)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١١٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٨)، والمعاني للفراء (٢/ ٤٠٦).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٠٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٧).

(٤) في خ: بها. (٥) سقط في خ.

(٦) قرأ بها: الأعمش، وطلحة. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٠٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٨).

(٧) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وهشام. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٩٨)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١).

وترغيبُهم فيها وتزهيدُهم في الدُّنيا كما هو شأنُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ. وقيل: ذِكرى الدَّارِ الثَّناءُ الجميلُ في الدُّنيا ولسانُ الصِّدقِ الذي ليس لغيرِهم.

﴿وإنَّهم عندنا لمن المُصطفَين الأخيارِ﴾ لمن المُختارين من أمثالِهم المصطَفين عليهم في الخيرِ. والأخيار جمعُ خَيْرٍ كشرٍّ وأشرارٍ، وقيل: جمعُ خَيِّرٍ أو خَيْرٍ مُخفَّفٍ منْهُ كأمواتٍ في جمعِ مَيِّتٍ ومَيْتٍ ﴿واذكرْ إسماعيلَ﴾ فُصلَ ذكرُه عن ذكر أبيه وأخيهِ للإشعارِ بعراقتِه في الصَّبرِ الذي هُو المقصودُ بالتَّذكيرِ. ﴿واليسعَ﴾ هو ابن أخطوب بنِ العجوزِ استخلفَه إلياسُ على بني إسرائيلَ ثم استُنبِئ واللامُ فيه حرفُ تعريفٍ دخلَ على يسع كما في قولِ مَن قال: [الطويل]

رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مُباركًا ....[1]

وقُرِئ واللَّيسع[2] كأنَّ أصله لَيْسع فَيْعل من اللَّسعِ دخلَ عليه حرفُ التَّعريفِ وقيل: هو على القراءتينِ عَلَم أعجميٌّ دخل عليه اللامُ وقيل: هو يُوشع. ﴿وذا الكِفل﴾ هو ابنُ عمِّ يسع أو بشر بن أيوب، واختُلف في نبوَّتِه ولقبِهِ فقيل فرَّ إليه مائةُ نبيٍّ من بني إسرائيلَ من القتل فآواهُم وكَفَلهم[3]، وقيل: كُفل بعملِ رجلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مائةَ صلاة ﴿وكلٌّ﴾ أي وكلُّهم ﴿من الأخيارِ﴾ المشهورينَ بالخيريَّةِ.

هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

﴿هذا﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ من الآياتِ النَّاطقةِ بمحاسِنهم. ﴿ذِكرٌ﴾ أي شَرفٌ لهم وذكرٌ جميلٌ يُذكرون به أبدًا أو نوعٌ من الذِّكرِ الذي هو القرآنُ و[4] بابٌ منه مشتملٌ

---

(١) تقدم.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ومغيرة بن إبراهيم، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢١)، والتيسير للداني ص (١٠٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٤)، والمعاني للفراء (٢/ ٤٠٧، ٤٠٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٣) في خ: وقتلهم.

(٤) في خ: أو.

على أنباءِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ. وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: هذا ذكرُ مَن مضى من الأنبياءِ. وقولُه تعالى ﴿وإنَّ للمتَّقينَ لحسنَ مآبٍ﴾ شروع في بيان أجرِهم الجزيل في الآجلِ بعد بيان ذكرِهم الجميلِ في العاجلِ وهو بابٌ آخرُ من أبواب التَّنزيلِ. والمرادُ بالمتَّقينَ إمَّا الجنسُ وهم داخلون في الحكم دُخولًا أوليا وإما نفسُ المذكورين عبَّر عنهم بذلك مَدْحًا لهم بالتَّقوى التي هي الغايةُ القاصيةُ من الكمالِ. ﴿جنَّاتِ عدنٍ﴾ عطفُ بيانٍ لـ (حسنَ مآبٍ) عندَ من يجوِّزُ تخالفَهما تعريفًا وتنكيرًا فإنَّ عَدْنًا مَعْرِفةٌ لقولِه تعالى: ﴿جنَّات عدنٍ التي وعدَ الرحمنُ عباده﴾ [سورة الكهف، الآية ٣١] أو بدلٌ منه أو نصب على المدحِ. وقولُه تعالى: ﴿مُفتَّحةً لهم الأبوابُ﴾ حالٌ من جنَّاتِ عَدْنٍ، والعاملُ فيها ما في للمتَّقين من معنى الفعلِ. والأبوابُ مرتفعةٌ باسمِ المفعولِ والرَّابطُ بين الحالِ وصاحبِها إمَّا ضميرٌ مقدَّرٌ كما هو رأيُ البصريِّينَ أي الأبوابُ منها أو الألفُ واللاَّمُ القائمةُ مقامَه كما هو رأيُ الكوفيِّينَ إذِ الأصلُ أبوابُها، وقُرئتا مرفوعتينِ[١] على الابتداءِ والخبرِ، أو على أنَّهما خبرانِ لمحذوفٍ أي هي جنَّاتُ عدنٍ هي مفتَّحةٌ.

﴿مُتَّكئين فيها﴾ حالٌ من [ضميرِ][٢] لَهمُ والعاملُ فيها مفتَّحة. وقولُه تعالى ﴿يدعُون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ﴾ استئنافٌ لبيانِ حالهم فيها وقيل: هو أيضًا حالٌ مما ذُكر أو من ضمير متَّكئين[٣] والاقتصارُ على دعاءِ الفاكهةِ للإيذانِ بأنَّ مطاعَمهم لمحضِ التَّفكهِ والتَّلذذِ دُون التَّغذِّي فإنَّه لتحصيلِ بدلِ المتحلِّلِ ولا تحلُّلَ ثَمة ﴿وعندهم قاصراتُ الطَّرفِ﴾ أي على أزواجهنَّ لا ينظُرن إلى غيرِهم ﴿أترابٌ﴾ لداتٌ لهم فإنَّ التَّحابَّ بين الأقرانِ أرسخُ[٤] أو بعضهن لبعضٍ لا عجوزَ فيهنَّ ولا صبيَّةَ. واشتقاقُه من التُّراب فإنَّه يمسُّهم في وقتٍ واحدٍ ﴿هذا ما تُوعدون ليوم الحسابِ﴾ أي لأجلِه فإنَّ الحسابَ علَّةٌ للوصولِ إلى الجزاءِ. وقرئ[٥] بالياءِ ليوافقَ ما قبلَه. والالتفاتُ أليقُ بمقامِ الامتنانِ والتَّكريمِ. ﴿إنَّ هذا﴾ أي ما ذُكر من أنواعِ النِّعم

---

(١) قرأ بها: زيد بن علي، وعبد الله، وابن رفيع، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٠٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٨)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢١٩).

(٢) سقط في خ.

(٣) في خ: مستكن.

(٤) في خ: راسخ.

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، واليزيدي، ويعقوب، والسلمي، وأبو عبيد، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٥)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢٢)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٢).

والكَرَاماتِ ﴿لرزْقُنا﴾ أعطيناكموه ﴿ما له من نفادٍ﴾ انقطاع أبدًا ﴿هذا﴾ أي الأمرُ هذا أو هذا كما ذُكر أو هذا ذِكر وقوله تعالى ﴿وإنَّ للطَّاغين لَشرَّ مآبٍ﴾ شروعٌ في بيان أضّدادِ الفريق السَّابقِ ﴿جهنَّمَ﴾ إعرابُه كما سلف ﴿يَصْلونَها﴾ أي يدخلُونها، حالٌ من جهنَّمَ. ﴿فبئس المهادُ﴾ وهو المهدُ والمفرشُ مستعار من فراشِ النَّائم، والمخصوص بالذمِّ محذوف وهو جهنَّم لقوله تعالى: ﴿لهم من جهنَّم مهادٌ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤١] ﴿هذا فليذوقُوه﴾ أي ليذوقُوا هذا فليذوقُوه كقوله تعالى: ﴿وإيَّايَ فارهبون﴾ [سورة البقرة، الآية ٤٠] أو العذابُ هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأٌ خبرُه ﴿حميمٌ وغَسَّاقٌ﴾ وما بينهما اعتراضٌ وهو على الأولين خبرُ مبتدأٍ محذوف أي هو حميم. والغسَّاقُ ما يغسِق من صديدِ أهلِ النَّارِ، من غسَقتِ العينُ إذا سال دمعُها وقيل: الحميمُ يحرقُ بحرِّه والغسَّاقُ يحرقُ ببردِه. وقيل لو قَطرت منه قطرةٌ في المشرقِ لنتَّنتْ أهلَ المغربِ، ولو قَطرت قطرةٌ في المغرب لنتنت أهلَ المشرقِ. وقيل: الغسَّاقُ عذابٌ لا يعلمه إلَّا الله تعالى. وقرئ[1] بتخفيفِ السِّينِ ﴿وآخرُ من شكلِه﴾ أي ومذوقٌ آخرُ أو عذابٌ آخرُ من مثل هذا المذوقِ أو العذابِ في الشِّدَّةِ والفظاعةِ. وقرئ[2] وأُخَرُ أي ومذوقاتٌ أخَرُ أو أنواع عذابٍ أُخر. وتوحيدُ ضميرِ شكله بتأويلِ ما ذُكر أو الشَّرابُ الشَّاملُ للحميم. والغسَّاقِ أو هو راجعٌ إلى الغسَّاقِ ﴿أزواجٌ﴾ أي أجناس وهو خبر لآخر يجوز أن يكون ضروبًا، أو صفةٌ له أو للثلاثة أو مرتفعٌ بالجار والخبرُ محذوفٌ مثلُ لهم[3].

﴿هذا فوجٌ مقتحمٌ معكُم﴾ حكاية ما يقال من جهة الخَزَنةِ لرُؤساء الطَّاغينَ إذا دخلوا النَّارَ واقتحمها معهم فوجٌ كانوا يتبعونهم في الكُفرِ والضَّلالةِ. والاقتحامُ الدُّخولُ في الشَّيء بشدَّةٍ. قال الرَّاغبُ «الاقتحامُ توسُّط شدَّةٍ مخيفةٍ[4]» وقوله تعالى

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٠١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢٧)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٢).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن كثير، ومجاهد، والجحدري، وابن جبير، وعيسى، ويعقوب، واليزيدي، وحماد، وابن سلمة، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٦)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢٦، ٥٢٧)، والتيسير للداني ص (١٨٨)، وتفسير الطبري (٢٣/ ١١٤).

(٣) في خ: قوليهم.

(٤) في خ: مخففة.

﴿لا مرحبًا بهم﴾ من إتمام كلام الخَزنةِ بطريق الدُّعاءِ على الفوجِ، أو صفةٌ للفوجِ. أو حالٌ منه، أي: مقولٌ[1] أو مقولًا في حقِّهم [لا مرحبًا بهم، أي لا أتَوا مرحبًا أو لا رحُبتْ بهم الدَّار مرحبًا. ﴿إنَّهم صالُوا النَّار﴾ تعليل من جهةِ الخَزنَةِ لاستحقاقهم الدُّعاءِ عليهم أو وصفهم بما ذُكر. وقيل][2]: لا مرحبًا بهم إلى هنا كلامُ الرُّؤساءِ في حقِّ أتباعِهم عند خطاب الخَزَنة لهم باقتحام الفوجِ معهم تضجُّرًا من مقارنتهم وتنفُّرا من مصاحبتِهم. وقيل: كلُّ ذلك كلام الرُّؤساءِ بعضِهم مع بعضٍ في حقِّ الأتباعِ. ﴿قالُوا﴾ أي الأتباعُ عند سماعِهم ما قيل في حقِّهم، ووجه خطابهم للرُّؤساءِ في قولهم ﴿بل أنتمُ لا مرحبًا بكُم﴾ إلخ على الوجهينِ الأخيرينِ ظاهرٌ، وأمَّا على الوجهِ الأوَّلِ فلعلَّهم إنَّما خاطبُوهم مع أنَّ الظَّاهرَ أنْ يقولُوا بطريقِ الاعتذارِ إلى الخَزنَةِ بل هُم لا مرحبًا بهم إلخ قَصْدًا منهم إلى إظهارِ صدقِهم بالمُخاطبةِ[3] مع الرُّؤساءِ والتَّحاكم إلى الخَزنَةِ طمعًا في قضائِهم بتخفيفِ عذابِهم أو تضعيفِ عذابِ خُصَمائهم أي بلَ أنتم أحقُّ بما قيلَ لنا أو قلتُم. وقولُه تعالى ﴿أنتمُ قدّمتموه لنا﴾ تعليلٌ لأحقِّيتهم بذلك أي أنتمُ قدَّمتم العذابَ أو الصِّليَّ لنا وأوقعتُمونا فيه بتقديم ما يُؤدِّي إليه من العقائدِ الزَّائغةِ والأعمالِ السَّيئةِ وتزيينها في أَعْيننا وإغرائِنا عليها لاَ أنَّا باشرنَاها من تلقاءِ أنفسنا ﴿فبئسَ القرارُ﴾ أي فبئسَ المقرُّ جهنَّم قصدُوا بذمِّها تغليظَ جنايةِ الرُّؤساءِ عليهم ﴿قالُوا﴾ أي الأتباعُ أيضًا وتوسيطُه بين كلاميهم لما بينهُما من التَّباينِ البيِّنِ ذاتًا وخِطابًا أي قالُوا مُعرضين عن خصومتِهم متضرِّعين إلى الله تعالى ﴿ربَّنا مَن قدَّم لنا هَذا فزدْه عذابًا ضِعفًا في النَّارِ﴾ كقولِهم ﴿ربنا هؤلاء أضلُّونا فآتِهم عذابًا ضِعفًا من النَّار﴾ [سورة الأعراف، الآية ٣٨] أي عذابًا مُضاعفًا أي ذا ضعفٍ وذلك بأنْ يزيدَ عليه مثلَه ويكون ضعفينِ كقولِه ﴿ربنا آتِهم ضعفينِ من العذابِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٦٨] وقيل: المرادُ بالضِّعفِ الحيَّاتُ والأَفَاعي.

﴿وقالُوا﴾ أي الطَّاغُون ﴿ما لنَا لا نَرَى رِجالًا كُنَّا نعدُّهم من الأشرارِ﴾ يعنون فقراءَ المُسلمينَ الذين كانُوا يسترذلونَهم ويسخرُون منهم ﴿أتَّخذناهم سِخريًّا﴾ بهمزةِ استفهام سقطتْ لأجلها همزةُ الوصل. والجملةُ استئنافٌ لا محلَّ لها من الإعرابِ قالُوه إنكارًا على أنفسِهم وتأنيبًا لها في الاستسخارِ منهم ﴿أمْ زاغتْ عنهم الأبصارُ﴾ متَّصلٌ بـ (أتَّخذناهم) على أنَّ أم متَّصلة والمعنى أيَّ الأمرينِ فعلنَا بهم الاستسخارُ

---

(١) في خ: مفعول.

(٢) سقط في خ.

(٣) في ط: بالمخاصمة.

منهم أم الازدراءُ بهم وتحقيرُهم، وإنَّ أبصارَنا كانت تزيغُ عنهم وتقتحمُهم على معنى إنكارِ كلِّ واحدٍ من الفعلينِ على أنفسهم توبيخًا لها أو على أنَّها منقطعةٌ والمعنى أتخذناهم سخريًا بل أزاغتْ[١] عنهم أبصارُنا كقولك[٢]: أزيدٌ عندك أم[٣] عندَك عمرٌو على معنى توبيخِ أنفسِهم على الاستسخارِ ثمَّ الإضرابُ والانتقالُ منه إلى التَّوبيخِ على الازدراءِ والتَّحقيرِ. وقرئ[٤] اتَّخذناهم بغير همزةٍ على أنَّه صفةٌ أخرى لرجالًا فقوله تعالى أمْ زاغتْ [متَّصلٌ بقوله ما لنا لا نَرى والمعنى ما لنا لا نراهُم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغتْ عنهم أبصارُنا وهم فيها][٥] وقد جُوِّز أنْ تكونَ الهمزةُ مقدَّرةٌ على هذه القراءةِ وقرئ[٦] سُخريا بضمِّ السِّينِ ﴿إنَّ ذلكَ﴾ أي الذي حُكي من أحوالِهم ﴿لحقٌّ﴾ لا بدَّ من وقوعةِ ألبتةَ.

وقوله تعالى ﴿تخاصمُ أهلِ النَّارِ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، والجملةُ بيانٌ لذلك وفي الإبهامِ أوَّلًا والتَّبيينِ ثانيًا مزيدُ تقريرٍ له. وقيل: بدلٌ من محلِّ ذلك. وقيل بدلٌ من حقٌّ أو عطفُ بيانٍ له. وقرئ[٧] بالنَّصبِ على أنَّه بدلٌ من ذلكَ وما قيل من أنَّه صفةٌ له فقد قيل عليه: إنَّ اسمَ الإشارةِ لا يُوصف إلا بالمعرَّفِ باللامِ يقال بهذا الرَّجل ولا يقال بهذا غلامِ الرَّجلِ.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ

---

(١) في خ: زاغت. (٢) في خ: كقولهم. (٣) في خ: أو.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وابن كثير، ويعقوب، وخلف، والأعمش، واليزيدي، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٠٣)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٣)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٨٣).

(٥) سقط في خ.

(٦) قرأ بها: نافع، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وأبو جعفر، وخلف، والحسن، ومجاهد، وشيبة، وعبد الله بن مسعود، والضحاك، والأعرج، ويحيى، والأعمش، والمفضل، وهبيرة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٣)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٠٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٧)، والكشف للقيسي (٢/ ١٣١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٩).

(٧) قرأ بها: ابن أبي عبلة، ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٠٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٠).

﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

﴿قل﴾ أمرٌ لرسولِ الله ﷺ أنْ يقولَ للمشركينَ ﴿إنَّما أنا منذرٌ﴾ من جهتِهِ تعالى أنذرُكم عذابَه ﴿وما من إلهٍ﴾ في الوجودِ ﴿إلا الله الواحدُ﴾ الذي لا يقبلُ الشِّركةَ والكثرةَ أصلًا ﴿القهَّار﴾ لكلِّ شيءٍ سواه. ﴿ربُّ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهُما﴾ من المخلوقاتِ فكيف يُتوهَّم أن يكونَ له شريكٌ منها ﴿العزيزُ﴾ الذي لا يُغلب في أمرٍ من أمورِه ﴿الغفَّارُ﴾ المبالغ في المغفرةِ يغفرُ ما يشاء لمَن يشاء، وفي هذه النُّعوت من تقرير التَّوحيدِ [والوعد للموحِّدين][(١)] والوعيد للمشركين ما لا يخفى. وتثنيةُ ما يُشعر بالوعيد من وصفَيْ القهرِ والعزَّةِ وتقديمهما على وصفِ المغفرةِ لتوفية مقام الإنذارِ حقَّه.

﴿قُل﴾ تكريرُ الأمر للإيذانِ بأنَّ المقولَ أمرٌ جليلٌ له شأنٌ خطيرٌ لا بدَّ من الاعتناء به أمرًا وائتمارًا. ﴿هو﴾ أي ما أنبأتُكم به من أنِّي منذرٌ من جهته تعالى وأنَّه تعالى واحدٌ لا شريك له وأنه متَّصفٌ بما ذُكر من الصِّفاتِ الجليلةِ والأظهرُ أنَّه القرآنُ وما ذُكر داخلٌ فيه دُخولًا أوليًّا كما يشهد به آخر السُّورةِ الكريمة وهو قولُ ابن عبَّاسٍ ومُجاهدٍ وقَتَادةَ ﴿نبأٌ عظيمٌ﴾ واردٌ من جهتِه تعالى. وقوله تعالى ﴿أنتُم عنه معرضُون﴾ استئنافٌ ناعٍ عليهم سوءَ صنيعهم به ببيان أنَّهم لا يقدِّرون قدرَه الجليلَ حيث يُعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبًا للإقبال الكلِّي عليه وتلقِّيه بحسن القَبول، وقيل: صفةٌ أُخرى لـ (نبأٌ). وقولُه تعالى ﴿ما كان لي من علم بالملإِ الأعلى﴾ إلخ استئناف مسوقٌ لتحقيق أنَّه نبأ عظيم واردٌ من جهته تعالى بذِكر نبأٍ من أنبائهِ على التَّفصيل من غير سابقةِ معرفةٍ به ولا مباشرةِ سببٍ من أسبابِها المعتادةِ فإنَّ ذلك

---

(١) سقط في خ.

حجَّةٌ[١] بينةٌ دالَّةٌ على أنَّ ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأنَّ سائرَ أنبيائه[٢] أيضًا كذلك. والملأُ الأعلى هم الملائكةُ وآدمُ عليهم السَّلامُ وإبليسُ عليه اللَّعنةُ.

وقوله تعالى ﴿**إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ متعلِّق بمحذوفٍ يقتضيه المقام إذِ المراد نفيُ علمِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بحالهم لا بذواتهم. والتَّقديرُ ما كان لي فيما سبقَ علم ما بوجهٍ من الوجوه بحالِ الملأ الأعلى وقتَ اختصامِهم. وتقديرُ الكلام كما اختاره الجمهورُ تحجيرٌ للواسعِ فإنَّ علمه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ غيرُ مقصور على ما جرى بينهم من الأقوالِ فقط بل عامٌّ لها وللأفعال أيضًا من سجودِ الملائكة واستكبارِ إبليسَ وكفرِه حسبما ينطقُ به الوحيُ فلا بُدَّ من اعتبارِ العمومِ في نفيِه أيضًا لا محالةَ.

وقولُه تعالى ﴿**إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ اعتراضٌ[٣] وسطٌ بين[٤] إجمالي اختصامِهم وتفصِيله تقريرًا لثُبوتِ علمه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وتعيينًا لسببه إلا أنَّ بيانَ انتفائِه فيما سبق لمَّا كانَ منبئًا عن ثبوتِه الآن ومن البيِّن عدمُ ملابستِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بشيءٍ من مباديه المعهودةِ تعين أنَّه ليس إلا بطريقِ الوحي حتمًا فجعل ذلك أمرًا مسلَّم الثُّبوتِ غنيًّا عن الإخبارِ به قَصْدًا وجعل مصبَّ الفائدةِ والمقصودَ إخبارَ ما هو داعٍ إلى الوحيِ ومصحِّحٌ له تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ [سورة ص، الآية ٦٥] في ضمن تحقيقِ علمهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بقصَّة الملأ الأعلى، فالقائمُ مقامَ الفاعلِ ليُوحى إمَّا ضميرٌ عائدٌ إلى الحالِ المقدَّرِ أو ما يعمُّه وغيره فالمعنى: ما يُوحى إلي حال الملأ الأعلى أو ما يُوحى إلي ما يُوحى من الأمور الغيبيَّةِ التي من جُملتِها حالُهم إلَّا إنما أنا نذيرٌ مبين من جهته تعالى فإن كونَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كذلك من دَواعي الوحي إليه ومن موجباتِه حتمًا وإمَّا أنَّ القائمَ مقامَ الفاعلِ هو الجارُّ والمجرورُ أو هو إنَّما أنا نذيرٌ مبينٌ بلا تقدير الجارِّ وأنَّ المعنى ما يُوحَى إليَّ إلَّا للإنذارِ أو ما يُوحَى إليَّ إلا أنْ أنذر وأبلغَ ولا أفرِّط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرارِ إلى التَّكلُّفِ في توجيه قصرِ الوحي على كونِه للإنذارِ في الأوَّلِ وقصره على الإنذارِ في الثَّاني فلا يساعدُه سباقُ النَّظم الكريمِ وسياقُه، كيف لا والاعتراضُ حينئذٍ يكون أجنبيًّا ممَّا توسَّط بينهما من إجمالِ الاختصامِ وتفصيلِه فتأمَّلْ والله المرشدُ. وقرئ[٥] إنَّما بالكسرِ على الحكايةِ. وقولُه تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ**

---

(١) في خ: جهة. (٢) في ط: أنبائه.
(٣) في ط: إعراض. (٤) زاد في خ: اختصام.
(٥) قرأ بها: أبو جعفر، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٠٩)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٢٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨١)، والمجمع =

للملائكةِ﴾ شروعٌ في تفصيلِ ما أجمل من الاختصامِ الذي هو ما جرى بينهم من التَّقاولِ وحيث كان تكليمُه تعالى إيَّاهم بواسطةِ المَلَكِ صحَّ إسنادُ الاختصامِ إلى الملائكةِ وإذْ بدلٌ مِن إذِ الأولى وليس من ضرورة البدليَّةِ دخولُها على نفس الاختصامِ بل يكفي اشتمالُ ما في حيِّزها عليه فإنَّ القصَّة ناطقةٌ بذلك تفصيلًا، والتَّعرُّضُ لعُنوانِ الرُّبوبيَّةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِه عليه الصَّلاة والسَّلام لتشريفِه والإيذانِ بأنَّ وحيَ هذا النبأ إليه تربيةٌ وتأييدٌ له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. والكافُ واردة باعتبارِ حالِ الآمرِ لكونِه أدلَّ على كونِه وحيًا منزَّلًا من عنده تعالى كما في قوله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذينَ أسرفُوا على أنفسِهم﴾** [سورة الزمر، الآية٥٣] إلخ دون حالِ المأمورِ وإلا لقيل: ربِّي لأنَّه داخلٌ في حيِّز الأمر. **﴿إنِّي خالقٌ﴾** أي فيما سيأتي وفيه ما ليسَ في صيغة المضارع من الدِّلالةِ على أنَّه تعالى فاعل له ألبتةَ من غير صارفٍ يلويه ولا عاطفٍ يثنيه **﴿بشَرًا﴾** قيل: أي جسمًا كثيفًا يلاقى ويُباشر. وقيل: خَلْقًا بادي البشرةِ بلا صوفٍ ولا شعرٍ، ولعل ما جرى عند وقوع المحكيِّ ليس هذا الاسم الذي لم يُخلق مسمَّاهُ حينئذٍ فضلًا عن تسميتِه به بل عبارةٌ كاشفةٌ عن حالِه وإنما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكايةِ **﴿من طينٍ﴾** لم يتعرَّضْ لأوصافِه[1] من التَّغيرِ والاسودادِ والمسنونيَّةِ[2] اكتفاءً بما ذُكر في مواقعَ أُخرَ. **﴿فإذَا سوَّيته﴾** أي صوَّرته بالصُّورةِ الإنسانيَّةِ والخِلقةِ البشريَّةِ أو سوَّيتُ أجزاءَ بدنِه بتعديل طبائعهِ **﴿ونفختُ فيه من رُوحي﴾** النَّفخُ إجراءُ الرِّيح إلى تجويفِ جسم صالحٍ لإمساكِها والامتلاءِ بها. وليس ثَّمةَ نفخٌ ولا منفوخٌ وإنَّما هو تمثيلٌ لإفاضةِ ما به الحياةُ بالفعل على المادَّةِ القابلة لها أي فإذا كَمَّلتُ استعدادَه وأفضت عليه ما يحيى به من الرُّوحِ التي هي من أمري **﴿فقعُوا له﴾** أمرٌ من وقعَ وفيه دليلٌ على أنَّ المأمورَ به ليس مجرَّدَ الانحناءِ كما قيل أي اسقُطوا له **﴿ساجدين﴾** تحيةً له وتكريمًا.

﴿فسجدَ الملائكةُ﴾ أي فخلقه فسوَّاه فنفخ فيه الرُّوحَ فسجد له الملائكةُ **﴿كلُّهم﴾** بحيث لم يبقَ منهم أحدٌ إلَّا سجدَ **﴿أجمعون﴾** أي بطريقِ المعيةِ بحيثُ لم يتأخَّر في ذلك أحدٌ منهم عن أحدٍ، ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيدُه التَّأكيدُ أيضًا وقيل أُكِّد بتأكيدينِ مبالغةً في التَّعميم. هذا وأمَّا أنَّ سجودَهم هذا هل ترتَّبَ على ما حُكي من الأمر التَّعليقيِّ كما تقتضيهِ هذه الآيةُ الكريمةُ والتي في سُورة الحجرِ فإنَّ

= للطبرسي (٨/ ٣٨٤)، والنشر لابن الجزري ص (٣٦٢).

(١) في خ: لشيء من أوصافه.
(٢) في خ: والمستوية.

ظاهرَهُما يستدعِي ترتُّبه عليه من غيرِ أنْ يتوسَّط بينهما شيءٌ غير ما تفصح عنه الفاءُ الفصيحةُ من الخلق والتَّسويةِ ونفخ الرُّوحِ أو على الأمرِ التَّنجيزيِّ كما يقتضيه ما في سُورة البقرةِ وما في سُورةِ الأعرافِ [وما في سُورة بني إسرائيلَ وما في سُورةِ الكهفِ وما في سُورة طه من الآياتِ الكريمةِ فقد مرَّ تحقيقُه بتوفيقِ الله عزَّ وجلَّ في سُورةِ البقرةِ وسُورة الأعرافِ][1] ﴿إلَّا إبليسَ﴾ استثناءٌ متَّصل لما أنه كانَ جنِّيًا مفرَدًا مغمورًا بألوفٍ من الملائكةِ موصُوفًا بصفاتِهم فغلبُوا عليه ثمَّ استُثني استثناء واحد منهم أو لأنَّ من الملائكةِ جنسًا يتوالدُون وهو منُهم أو منقطعٌ.

وقولُه تعالى: ﴿استكبرَ﴾ على الأوَّلِ استئنافٌ مبينٌ لكيفيَّةِ تركِ السّجودِ المفهوم من الاستثناءِ فإنَّ تركَه يحتملُ أن يكونَ للتَّأمُّل والتروِّي وبه[2] يتحقَّقُ أنَّه للإباءِ[3] والاستكبارِ، وعلى الثَّاني يجوزُ اتِّصالُه بما قبله أي لكنْ إبليسُ استكبرَ ﴿وكان من الكافرين﴾ أي وصارَ منهم بمخالفتِه للأمرِ واستكبارِه عن الطَّاعةِ أو كان منهم في علم الله [تعالى][4] عزَّ وجلَّ ﴿قال يا إبليسُ ما منعك أنْ تسجدَ لما خلقتُ بيدي﴾ أَيَ خلقتُه بالذَّاتِ من غير توسُّطِ أبٍ وأمٍّ والتَّثنيةُ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بخلقِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ المستدعِي لإجلالِه وإعظامِه[5] قَصْدًا إلى تأكيدِ الإنكارِ وتشديدِ التَّوبيخ. ﴿أستكبرتَ﴾ بهمزةِ الإنكارِ وطرحِ همزةِ الوصلِ أي: أتكبَّرتَ[6] من غيرِ استحقاقٍ ﴿أم كنتَ مِن العالين﴾ المستحقِّين للتَّفوقِ وقيل: أستكبرتَ الآنَ أم لم تزلْ منذ كنتَ من المستكبرينَ. وقرئَ[7] بحذفِ همزةِ الاستفهامِ ثقةً بدلالةِ أمْ عليها.

وقولُه تعالى: ﴿قال أنَا خيرٌ منه﴾ ادِّعاءٌ منه لشيءٍ مستلزم لمنعِهِ من السُّجودِ على زعمِه وإشعارٌ بأنَّه لا يليقُ أنْ يسجدَ الفاضلُ للمفضولِ كما يُعرب عنه قولُه: ﴿لم أكُن لأسجدَ لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ﴾ [سورة الحجر، الآية ٣٣] وقولُه تعالَى ﴿خلقتنِي من نارٍ وخلقْتَه من طينٍ﴾ تعليلٌ لما ادَّعاهُ من فضلِه عليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولقد أخطأ اللَّعينُ حيث خصَّ الفضلَ بما من[8] جهةِ المادَّةِ والعنصرِ وزلَّ

---

(١) سقط في خ. (٢) في خ: فيه. (٣) في خ: للأمر.
(٤) سقط في ط. (٥) في خ: وتعظيمه. (٦) في خ: أنكرته.
(٧) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٤)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٠٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٠)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٣٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٣).
(٨) زاد في خ: مرة.

عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه وقولُه تعالى: ﴿لما خلقتُ بيدي﴾ [سورة ص، الآية ٧٥] وما من جهة الصُّورة كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ونفختُ فيه من رُوحي﴾ [سورة الحجر، الآية ٢٩] وما من جهة الغايةِ وهو مِلاكُ الأمرِ، ولذلك أمرَ الملائكةَ بسجودِه عليهم السَّلامُ حين ظهرَ لهم أنَّه أعلمُ منهم بما يدورُ عليه [من][1] أمرِ الخلافةِ في الأرضِ وأنَّ له خواصَّ ليست لغيرِه.

﴿قال فاخرُجْ منها﴾ الفاءُ لترتيبِ الأمر على ما ظهر من اللَّعينِ من المخالفةِ للأمرِ الجليلِ وتعليلِها بالأباطيلِ أي فاخرجْ من الجنَّةِ أو من زُمرةِ الملائكةِ وهو المرادُ بالأمرِ بالهبوطِ لا الهبوطِ من السَّماءِ كما قيل فإنَّ وسوستَه لآدمَ عليه السلام كانتْ بعد هذا الطَّردِ وقد بُيِّن كيفيَّةُ وسوستِه في سُورة البقرةِ. وقيل: اخرجْ من الخلقةِ التي كنتَ فيها وانسلخْ منها فإنَّه كان يفتخرُ بخلقتِه فغيَّر الله خلقتَه فاسودَّ بعد ما كان أبيضَ وقَبُح بعد ما كان حَسَنًا وأظلمَ بعد ما كان نورانيًا وقوله تعالى: ﴿فإنَّك رجيمٌ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالخروجِ أي مطرودٌ من كلِّ خيرٍ وكرامةٍ، فإنَّ مَن يُطردْ يُرجمْ بالحجارةِ أو شيطان يُرجم بالشُّهبِ ﴿وإنَّ عليكَ لعنتي﴾ أي إبعادي عن الرَّحمةِ، وتقييدها بالإضافةِ مع إطلاقِها في قوله تعالى: ﴿وإنَّ عليك اللَّعنةَ﴾ [سورة الحجر، الآية ٣٥] لما أنَّ لعنةَ اللاعنين من الملائكةِ والثَّقلينِ أيضًا من جهتِه تعالى وأنَّهم يدعُون عليه بلعنةِ الله تعالى وإبعادِه من الرَّحمةِ ﴿إلى يومِ الدِّين﴾ أي يوم الجزاء والعقوبة، وفيه إيذانٌ بأنَّ اللَّعنةَ مع كمال فظاعتها ليستْ جزاءً لجنايته بل هي أُنموذجٌ لما سيلقاه مستمرًّا إلى ذلك اليوم لكن لا على أنَّها تنقطعُ يومئذٍ كما يُوهمه ظاهرُ التَّوقيتِ بل على أنَّه سيلقى يومئذٍ من ألوان العذابِ وأفانينِ العقابِ ما ينسى عنده اللَّعنَة وتصير كالزَّائلِ ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فأذَّنَ مؤذنٌ بينهم أنْ لعنةَ الله على الظَّالمين﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٤] وقوله تعالى: ﴿ويلعنُ بعضُهم بعضًا﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٢٥].

﴿قال ربِّ فأنظِرني﴾ أي أمهلني وأخِّرني، والفاءُ متعلِّقة بمحذوفٍ ينسحبُ عليه الكلام أي [إذْ جعلتني][2] رَجيمًا فأمهلني ولا تُمتني ﴿إلى يومِ يُبعثون﴾ أي آدمُ وذريتُه للجزاءِ بعد فنائِهم، وأرادَ بذلك أنْ يجدَ فُسحةً لإغوائِهم ويأخذَ منهم ثأرَه وينجوَ من الموتِ بالكلِّية إذ لا موتَ بعد [يومِ][3] البعثِ.

﴿قال فإنَّك من المنظَرين﴾ ورودُ الجوابِ بالجملةِ الاسميَّةِ مع التَّعرُّضِ لشمولِ ما

---

(١) سقط في ط.
(٢) في خ: اجعلني.
(٣) سقط في ط.

سأله لآخرين[١] على وجهٍ يُشعر بكونِ السَّائلِ تبعًا لهم في ذلك دليلٌ واضحٌ على أنَّه إخبارٌ بالإنظارِ المقدَّر لهم أزلًا، لا إنشاء لإنظارٍ خاصٍّ به، [و][٢] قد وقعَ إجابةً لدعائِه وأنَّ استنظارَه كان طَلَبًا لتأخيرِ الموتِ إذ بهِ يتحقّقُ كونُه منهم لا لتأخيرِ العُقوبةِ كما قيل فإنَّ ذلكَ معلومٌ من إضافةِ اليَّوم إلى الدِّينِ أي إنَّك من جُملةِ الذينَ أُخِّرتْ آجالُهم أزلًا حسبما تقتضيه حكمةُ التَّكوينِ ﴿إلى يوم الوقتِ المعلوم﴾ الذي قدَّره الله وعيَّنه لفناءِ الخلائقِ، وهو وقتُ النَّفخةِ الأولى لا إلى وقتِ البعثِ الذي هو المسؤولُ. فالفاءُ ليستْ لربطِ نفسِ الإنظارِ بالاستنظارِ بل لربطِ الإخبارِ المذكورِ به كما في قولِ مَن قال: [الوافر]

فـإن تَـرحـمْ فـأنـتَ لـذاكَ أهـلُ ....[٣]

فإنَّه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربطِ ما له تعالى من الأهليَّةِ القديمةِ للرَّحمةِ بوقوع الرحمة الحادثةِ بل هي لربط الإخبارِ بتلك الأهليةِ للرَّحمةِ بوقوعِها، هذا وقد تُرك التَّوقيتُ في سورةِ الأعرافِ كما تُرك النِّداءُ والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلًا على ما ذُكر هاهنا وفي سُورة الحجرِ وإنْ خطَر ببالك أنَّ كلَّ وجهٍ من وجوهِ النَّظم الكريم لا بُدَّ أنْ يكونَ له مقامٌ يقتضيهِ مغاير لمقامِ غيرِه وأنَّ ما حُكي من اللَّعينِ إنَّما صدرَ عنه مرَّةً وكذا جوابُه لم يقعْ إلا دفعةً فمقام الاستنظارِ والإنظارِ إنِ اقتضَى أحدَ الوجوهِ المحكيَّةِ فذلك الوجهُ هو المطابقُ لمقتَضى الحالِ والبالغُ إلى رُتبةِ البلاغةِ ودرجةِ الإعجازِ، وأمَّا ما عداهُ من الوجوهِ فهو بمعزلٍ من بلوغِ طبقةِ البلاغةِ فضلًا عن العُروجِ إلى معارجِ الإعجازِ فقد سلفَ تحقيقُه في سورةِ الأعرافِ بفضلِ الله تعالى وتوفيقِه.

﴿قال فبعزَّتك﴾ الباءُ للقسم والفاءُ لترتيبِ مضمونِ الجملةِ على الإنظارِ ولا يُنافيه قولُه تعالى فبما أغويتني وقولَه ربِّ بما أغويتني فإنَّ إغواءَهُ تعالى إيَّاهُ أثرٌ من آثارِ قُدرتِه تعالى وعزَّتِه وحكمٌ من أحكامِ قهرِه وسلطنتِه فمآلُ الإقسام بهما واحدٌ ولعلَّ اللَّعينَ أقسمَ بهما جميعًا فحكى تارةً قَسَمه بأحدِهما وأُخرى بالآخرِ أي فأُقسم بعزَّتِك ﴿لأغوينَّهم أجمعينَ﴾ أي ذريةَ آدمَ بتزيينِ المَعَاصي لهم ﴿إلَّا عبادَك منْهُم المُخلصينَ﴾ وهم الذين أخلصَهم الله تعالى لطاعتِه وعصمَهم من الغوايةِ.

وقرئ المخلِصين[٤] على صيغةِ الفاعلِ أي الذينَ أخلصُوا قلوبَهم وأعمالَهم لله تعالى.

---

(١) في ط: الآخرين. (٢) سقط في ط. (٣) تقدم.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٤)، والتبيان للطوسي (٨/ ٥٣٥)، والتيسير للداني ص (١٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٥).

﴿**قال**﴾ أي الله عزَّ وجلَّ ﴿**فالحقُّ والحقَّ أقولُ**﴾ برفع الأوَّلِ على أنَّه مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ أو خبرٌ محذوفُ المبتدأِ، ونصبِ الثَّاني على أنَّه مفعولٌ لما بعدَهُ قُدِّم عليه للقصرِ، أي لا أقولُ إلاَّ الحقَّ. والفاءُ لترتيبِ ما بعدَها على ما قبلها أي فالحقُّ قَسَمي ﴿**لأملأنَّ جهنَّم**﴾ على أنَّ الحقَّ إمَّا اسمُه تعالى، أو نقيضُ الباطلِ عظَّمه الله تعالى بإقسامِه به أو فأنا الحقُّ أو فقولِي الحقُّ وقوله تعالى: ﴿لأملأنَّ جهنَّم﴾ إلخ حينئذٍ جوابٌ لقسم محذوفٍ أي والله لأملأنَّ إلخ وقوله تعالى: ﴿والحقَّ أقولُ﴾ [سورة ص، الآية ٨٤] على كلِّ تقديرِ اعتراضٌ مقرِّرٌ على الوجهينِ الأوَّلين لمضمونِ الجملةِ القَسَميَّةِ، وعلى الوجهِ الثَّالثِ لمضمونِ الجملةِ المتقدِّمةِ أعني فقولي الحقُّ. وقُرئا منصوبينِ[(١)] على أنَّ الأوَّلَ مقسمٌ به كقولِك الله لأفعلنَّ وجوابُه لأملأنَّ وما بينهما اعتراضٌ. وقُرئا مجرورينِ[(٢)] على أنَّ الأولَ مقسمٌ به قد أُضمرَ حرفُ قسمِه كقولِك[(٣)] الله لأفعلنَّ والحقَّ أقولَ على حكايةِ لفظِ المقسم به على تقديرِ كونِه نقيضَ الباطلِ ومعناه التَّأكيدُ والتَّشديدُ. وقرئ بجرِّ[(٤)] الأولِ على إضمارِ حرفِ القسمِ ونصبِ الثَّاني على المفعوليَّةِ ﴿**منك**﴾ أي من جنسِك من الشَّياطينِ ﴿**وممَّن تبعك**﴾ في الغَوايةِ والضَّلالِ ﴿**منهم**﴾ من ذريةِ آدمَ ﴿**أجمعين**﴾ تأكيدٌ للكافِ وما عُطف عليه أي لأملأنَّها من المتبوعينَ والأتباعِ أجمعينَ، كقولِه تعالى: ﴿لَمن تبعكَ منهم لأملأنَّ جهنَّم منكم أجمعينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨] وهذا القولُ هو المرادُ بقوله تعالى: ﴿ولكنْ حقَّ القولُ منِّي لأملأنَّ جهنَّمَ من الجنَّةِ والنَّاسِ أجمعينَ﴾ [سورة السجدة، الآية ١٣] وحيثُ كان مناطُ الحكم ههُنا اتِّباعُ الشَّيطانِ اتَّضحَ أنَّ مدارَ عدمِ المشيئةِ في قولِه تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هُداها﴾ [سورة السجدة، الآية ١٣] اتباعُ الكَفَرةِ للشَّيطانِ بُسوءِ اختيارِهم لا تحقُّقُ القولِ فليس في ذلك شائبةُ الجبرِ فتدبَّر. ﴿**قُل ما أسأُلكم عليه**﴾ على القُرآنِ أو على تبليغِ ما يُوحى إليَّ ﴿**من أجرٍ**﴾ دنيويٍّ ﴿**وما أنَا من**

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وابن عامر، والكسائي، وعاصم، والمفضل، وهبيرة، وروح، وزيد، ويعقوب، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٤)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤١١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٥٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٣٨٤).

(٢) قرأ بها: الحسن، وعيسى، وشعبة، وعبد الرحمن بن أبي حماد، وابن السميفع، وطلحة بن مصرف.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٨٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤١١)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٤).

(٣) زاد في خ: و.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٤).

﴿المتكلِّفين﴾ أي المتصنِّعين بما ليسُوا من أهلِه حتَّى أنتحلَ النبوة وأتقوَّلَ القُرآنَ **﴿إنْ هُو﴾** أي مَا هُو **﴿إلا ذكر﴾** من الله عزَّ وجلَّ **﴿للعالمين﴾** أي للثَّقلينِ كافَّةً **﴿ولتعلمنَّ نبأه﴾** أي ما أنبأ بهِ من الوعدِ والوعيدِ وغيرِهما أو صحَّةَ خبرهِ وأنَّه الحقُّ والصِّدقُ **﴿بعدَ حينٍ﴾** بعد الموتِ أو يومَ القيامةِ أو عند ظهورِ الإسلامِ وفشوِّه. وقيل: من بقي علمَ ذلك إذا ظهرَ أمرُه وعلاَ ومَن ماتَ علمَهُ بعدَ الموتِ وفيه من التَّهديدِ ما لا يخفى.

عن رسولِ الله ﷺ: «**مَن قرأَ سورةَ ص كانَ له بوزنِ كلِّ جبلٍ سخَّره الله لداودَ عشرَ حسناتٍ وعُصم أنْ يُصرَّ على ذنبٍ صغيرٍ أو كبيرٍ**» وقال أبُو أمامةَ: عصمَه الله تعالى من كلِّ ذنبٍ صغيرٍ أو كبيرٍ[1]، والله أعلمُ.

(١) حديث موضوع وقد تقدم الكلام عليه.

سُورة الزُّمر

مكِّيةٌ إلاَّ قولَه: ﴿قُل يا عبادي﴾ الآيةَ [الزمر:٥٣]
وآيُها خمسٌ وسبعونَ أو اثنتانِ وسبعونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿تنزيلُ الكتابِ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ هو اسم إشارة أُشير به إلى السُّورةِ تنزيلًا لها منزلةَ الحاضر المُشارِ إليه لكونها على شرف الذِّكرِ والحضورِ كما مرَّ مرارًا. وقد قيل هو ضميرٌ عائد إلى الذِّكرِ في قوله تعالى: ﴿إنْ هُو إلا ذكرٌ للعالَمين﴾ [سورة الأنعام، الآية ٩٠] وقوله تعالى: ﴿من الله العزيزِ الحكيم﴾ صلة للتَّنزيلِ أو خبرٌ ثانٍ أو حالٌ من التَّنزيلِ عاملُها معنى الإشارة أو من الكتابِ الذي هو مفعولٌ معنى، عاملُها المضاف، وقيل هو خبرٌ لتنزيلُ الكتابِ، والوجهُ الأوَّلُ أوفى بمقتضى المقام الذي هو بيانُ [أنَّ][1] السُّورةَ أو[2] القُرآنَ تنزيلُ الكتابِ من الله تعالى لا بيانُ أنَّ

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: و.

تنزيلَ الكتابِ منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجهُ الأخيرُ. وقرئ (تنزيلَ الكتابِ)[١] بالنَّصبِ على إضمار فعلٍ نحو اقرأْ أو الزمْ. والتَّعرُّضُ لوصفَيْ العزَّةِ والحكمة للإيذانِ بظهور أثريهما في الكتابِ بجريانِ أحكامِه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مُدافعٍ ولا ممانع، و[بابتناءِ][٢] جميع ما فيه على أساس الحِكَمِ الباهرةِ.

وقولُه تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ﴾ شروعٌ في بيان شأن المنزَّلِ إليه وما يجبُ عليه إثرَ بيانِ شأن المنزلِ وكونِه من عند الله تعالى، والمرادُ بالكتاب هو القُرآنُ وإظهاره على تقدير كونِه هو المرادَ بالأَوَّلِ أيضًا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنِه. والباء إمَّا متعلِّقةٌ بالإنزال أي بسبب الحقِّ وإثباته وإظهارِه أو بداعية الحقِّ واقتضائه للإنزالِ وإمَّا بمحذوفٍ هو حالٌ من نون العظمةِ أو من الكتاب أي أنزلناهُ إليك محقِّين في ذلك أو أنزلناه مُلتبِسًا بالحقِّ والصواب أي كلُّ ما فيه حقٌّ لا ريبَ فيه موجبٌ للعمل به حَتْمًا.

والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فاعبدِ الله مُخلصًا له الدِّينَ﴾ لترتيب الأمر بالعبادة على إنزالِ الكتاب إليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالحقِّ أي فاعبده تعالى ممُحِّضًا له الدِّينَ من شوائب الشِّركِ والرِّياءِ حسبما بُيِّن في تضاعيف ما أُنزل إليك. وقرئ برفع الدِّينِ[٣] على أنَّه مبتدأٌ خبرُه الظَّرفُ المقدَّمُ عليه لتأكيد الاختصاصِ المُستفاد من اللاَّمِ. والجملةُ استئنافٌ وقع تعليلًا للأمر بإخلاصِ العبادةِ.

وقولُه تعالى: ﴿ألا لله الدِّينُ الخالصُ﴾ استئنافٌ مقرِّرٌ لما قبله من الأمرِ بإخلاص الدِّينِ[٤] له تعالى، ووجوبِ الامتثالِ به. وعلى القراءةِ الأخيرةِ مؤكِّدٌ لاختصاصِ الدِّينِ به تعالى أي[٥]: أَلاَ هو الذي يجبُ أنْ يُخصَّ بإخلاصِ الطَّاعةِ له لأنَّه المُتفرِّدُ بصفاتِ الأُلوهيَّةِ التي من جُملتها الاطِّلاعُ على السَّرائرِ والضَّمائرِ.

وقولُه تعالى: ﴿والذينَ اتَّخذوا من دونِه أولياءَ﴾ تحقيقٌ لحقِّيةِ ما ذُكر من إخلاص الدِّينِ الذي هو عبارةٌ عن التَّوحيدِ ببيان بُطلان الشِّركِ الذي هو عبارةٌ عن ترك إخلاصِه، والموصولُ عبارةٌ عن المُشركين ومحلُّه الرَّفعُ على الابتداءِ خبرُه ما سيأتي

---

(١) قرأ بها: ابن أبي عبلة، وزيد بن علي، وعيسى.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٢).
(٢) في خ: ما بينا.
(٣) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٤)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢٤١).
(٤) زاد في خ: والعبادة.
(٥) في خ: إلا.

من الجُملةِ المُصدَّرةِ بأنْ. والأولياءُ [عبارة عن][1] الملائكةِ وعيسى عليهم السَّلامُ والأصنام.

وقولُه تعالى: ﴿**ما نعبدُهم إلاَّ ليُقرِّبونا إلى الله زُلْفى**﴾ حالٌ بتقدير القَول من واوِ اتَّخذوا مبينةٌ لكيفيَّةِ إشراكِهم وعدم خُلوصِ دينهم. والاستثناءُ مفرَّغٌ من أعمِّ العلل. وزُلْفى مصدرٌ مؤكِّدٌ على غير لفظِ المصدرِ ملاقٍ له في المعنى أي والذينَ لم يُخلصوا العبادةَ لله تعالى بل شابُوها بعبادةِ غيره قائلين ما نعبدُهم لشيءٍ من الأشياءِ إلا ليقرِّبونا إلى الله تعالى تقريبًا. ﴿**إنَّ الله يحكُم بينَهم**﴾ أي وبين خصمائِهم الذين هم المُخلِصون للدِّين. وقد حُذفَ لدلالةِ الحالِ عليه كما في قولِه تعالى: ﴿لا نفرقُ بين أحدٍ من رسلِه﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٥] على أحدِ الوجهينِ أي بين أحدٍ منهم وبين غيرِه وعليه قول النَّابغةِ: [الطويل]

فَمَا كانَ بينَ الخيرِ لو جاءَ سالمًا ... أبُو حَجَرٍ إلاَّ ليالٍ قلائلُ[2]

أي بين الخيرِ وبيني وقيل: ضمير بينَهم للفريقينِ جميعًا ﴿**فيما هُم فيه يختلفُون**﴾ من الدِّين الذي اختلفُوا فيه بالتَّوحيد والإشراكِ وادَّعى كلُّ فريقٍ منهم صحَّةَ ما انتحله وحكمُه تعالى في ذلك إدخالُ الموحِّدينَ الجنَّةَ والمشركين النَّارَ فالضَّميرُ للفريقينِ هذا هو الذي يستدعيه مساقُ النَّظمِ الكريم، وأمَّا تجويزُ أنْ يكونَ الموصول عبارةً عن المعبودينَ على حذف العائد إلَيه وإضمارِ المشركينَ من غير ذكر تعويلًا على دلالة المساقِ عليهم، ويكون التَّقديرُ والذين اتَّخذهم المشركون أولياءَ قائلين ما نعبُدهم إلَّا ليقربونا إلى الله إنَّ الله يحكم بينهم أي بين العَبَدةِ والمعبودينَ فيما هم فيه يختلفُون حيثُ يرجُو العَبَدةُ شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الإغضاءِ عمَّا فيه من التَّعسُّفاتِ بمعزل من السَّدادِ[3]، كيف لا وليس فيما ذُكر من طلب الشَّفاعةِ واللَّعنِ مادَّةٌ يختلفُ فيها الفريقانِ اختلافًا مُحوِجًا إلى الحكمِ والفصلِ[4] وإنَّما ذاك ما بين فريقَيْ الموحِّدينَ والمشركينَ في الدُّنيا من الاختلاف في الدِّينِ الباقي إلى يوم القيامة. وقرئ[5] قالُوا

---

(١) في خ: من.

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص(١٢٠)، وشرح التصريح (٢/ ١٥٣)، وشرح عمدة الحافظ ص(٦٤٨)، والمقاصد النحوية (٤/ ١٦٧)، وبلا نسبة في أوضح المسالك (٣/ ٣٩٦)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٣٠).

(٣) زاد في خ: و.

(٤) في خ: العقل.

(٥) قرأ بها: ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٦)، والمعاني للفراء (٢/ ٤١٤).

ما نعبدُهم فهو بدلٌ من الصِّلةِ لا خبرٌ للموصول كما قيل إذ ليس في الإخبارِ بذلك مزيدُ مزيِّةٍ، وقرئ[١] ما نعبدكم إلاَّ لتُقرِّبونا حكايةً لما خاطبُوا[٢] به آلهتَهم، وقرئ نُعبدُهم[٣] إتباعًا [للباء][٤] ﴿إنَّ الله لا يهدي﴾ أي لا يُوفِّقُ للاهتداءِ إلى الحقِّ الذي هو طريقُ النَّجاةِ عن المكروهِ والفوزُ بالمطلوبِ ﴿مَن هو كاذبٌ كفَّارٌ﴾ أي راسخٌ في الكذبِ مبالغٌ في الكُفرِ[٥] كما تُعربُ عنه قراءةُ كذَّاب[٦] وكَذُوب[٧] فإنَّهما فاقدانِ للبصيرةِ غيرُ قابلينِ للاهتداءِ لتغييرهما الفطرةَ الأصليَّةَ بالتَّمرُّنِ في الضَّلالةِ والتَّمادِي في الغيِّ. والجملةُ تعليلٌ لما ذُكر من حكمه تعالى. ﴿لو أرادَ الله أنْ يتَّخذَ ولدًا﴾ إلخ استئنافٌ مسوقٌ لتحقيقِ الحقِّ وإبطالِ القولِ بأنَّ الملائكةَ بناتُ الله وعيسى ابنُه تعالى عن ذلك عُلوًّا كبيرًا ببيانِ استحالةِ اتِّخاذ الولدِ في حقِّه تعالى على الإطلاقِ ليندرجَ فيه استحالةُ ما قيل اندراجًا أوليًّا أي: لو أرادَ الله أنْ يتَّخذَ وَلَدًا ﴿لاصطفى﴾ أي لاتَّخذَ ﴿ممَّا يخلُق﴾ أي من جملة ما يخلقُه أو من جنس ما يخلقه ﴿مَا يشاءُ﴾ أنْ يتَّخذَه إذْ لا موجودَ سواهُ إلاَّ وهو مخلوقٌ له تعالى لامتناع تعدُّدِ الواجبِ [و][٨] وجوبِ استنادِ[٩] جميع ما عداهُ إليه، ومن البيِّنِ أنَّ اتِّخاذَ الولد منوطٌ بالمماثلة بين المتَّخِذِ والمتَّخَذِ وأنَّ المخلوقَ لا يُماثل خالقَه حتَّى يمكن اتِّخاذُه ولدًا فما فرضناه من اتِّخاذ ولدٍ لم يكُن اتِّخاذَ ولدٍ بل اصطفاءُ عبدٍ وإليه أُشير حيث وُضع الاصطفاءُ موضع الاتِّخاذِ الذي تقتضيهِ الشَّرطيةُ تنبيهًا على استحالةِ مُقدمها لاستلزامِ فرض وقوعِه بل فرضِ إرادةِ وقوعِه انتفاءه أي لو أراد الله تعالى أنْ يتَّخذَ ولدًا لفعل شيئًا ليس هو من اتِّخاذِ الولد في شيءٍ أصلًا بل إنَّما هو اصطفاءُ عبدٍ ولا ريب في أنَّ ما يستلزم فرضُ وقوعِه انتفاءَه فهو ممتنعٌ قطعًا فكأنَّه قيل لو أراد الله أنْ يتَّخذَ ولدًا لامتنع ولم يصحَّ لكن لا على أنَّ الامتناعَ منوطٌ بتحقُّقِ الإرادة بل على أنَّه مُتحقِّقٌ عند عدمِها بطريقِ

---

(١) قرأ بها: أبي.
ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٦).

(٢) في خ: خوطبوا.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٦).

(٤) سقط في خ.

(٥) في خ: الكذب.

(٦) قرأ بها: أنس بن مالك، والجحدري، والحسن، والأعرج، وابن يعمر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٦).

(٧) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٦).

(٨) سقط في خ.

(٩) في خ: إسناد.

الأَولويةِ على منوال لو لم يخفِ الله لم يعصِه. وقوله تعالى: ﴿سبحانَه﴾ تقريرٌ لما ذُكر من استحالة اتِّخاذ الولد في حقِّه تعالى وتأكيدٌ له ببيانِ تنزُّهه تعالى عنه أي تنزّه بالذَّاتِ عن ذلك تنزهه الخاصّ به على أنَّ السُّبحانَ مصدر من سبَح إذا بعُد أو أسبِّحه تسبيحًا لائقًا به على أنَّه عَلَم للتَّسبيح مقولٌ[1] على ألسنة العباد أو سبِّحوه تسبيحًا حقيقًا بشأنِه. وقولُه تعالى: ﴿هُو الله الواحد القهار﴾ استئنافٌ مبيِّنٌ لتنزُّههِ تعالى بحسبِ الصِّفاتِ إثرَ بيانِ تنزُّههِ تعالى عنه بحسب الذَّاتِ فإنَّ صفةَ الأُلوهيَّةِ المستتبعة لسائر صفاتِ الكمال النَّافيةِ لسماتِ النُّقصانِ والوحدة الذَّاتية الموجبة لامتناعِ المُماثلة والمُشاركة بينه تعالى وبين غيرِه على الإطلاقِ ممَّا يقضِي بتنزُّهه تعالى عمَّا قالوا قضاءً مُتقنًا، وكذا وصف القهَّاريَّةِ لما أنَّ اتِّخاذَ الولد شأنُ مَن يكون تحتَ ملكوتِ الغيرِ عُرضةً للفناءِ ليقومَ ولدُه مقامَه عند فنائِه ومَن هو مستحيلُ الفناءِ قهَّارٌ لكلِّ الكائناتِ كيفَ يُتصوُرُ أنْ يتَّخذَ من الأشياءِ الفانيةِ ما يقومُ مقامَه.

وقولُه تعالى: ﴿خلقَ السَّمواتِ والأرضَ بالحقِّ﴾ تفصيلٌ لبعض أفعالِه تعالى الدَّالَّةِ على تفرُّدِه بما ذُكر من الصِّفاتِ الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجوداتِ ملتبِسة بالحقِّ والصَّوابِ مشتملة على الحِكَم والمصالح. وقولُه تعالى: ﴿يُكوِّر اللَّيلَ على النَّهارِ ويُكوِّرُ النَّهارَ على اللَّيلِ﴾ بيانٌ لكيفيَّةِ تصرُّفه تعالى فيهما بعد بيان خلقِهما فإنَّ حدوثَ اللَّيلِ والنَّهارِ في الأرض منوطٌ بتحريك السَّمواتِ أي يغشى كلُّ واحدٍ منُهما الآخرَ كأنَّه يلفه عليه لفَّ اللباسِ على اللابسِ أو يُغيبه به كما يُغيَّبُ الملفوفُ باللُّفافةِ أو يجعله كارًّا عليه كُرورًا متتابعًا تتابع أكوارِ العمامةِ. وصيغةُ المضارعِ للدِّلالةِ على التَّجدُّدِ ﴿وسخَّر الشَّمسَ والقَمر﴾ جعلهما منقادينِ لأمرِه تعالى. وقولُه تعالى: ﴿كلٌّ يجري لأجلٍ مُسمَّى﴾ بيانٌ لكيفيَّةِ تسخيرِهما أي كلٌّ منهما يجري لمُنتهى دورتِه أو منقطعِ حركتِه وقد مرَّ تفصيلُه غيرَ مرَّةٍ ﴿ألا هُو العزيزُ﴾ الغالبُ القادرُ على كلِّ شيءٍ من الأشياءِ التي من جُملتها عقابُ العُصاةِ ﴿الغفَّارُ﴾ المبالغُ في المغفرةِ ولذلك لا يُعاجل بالعقوبةِ وسلب ما في هذه الصَّنائعِ البديعة من آثارِ الرَّحمةِ. وتصديرُ الجملة بحرفِ التَّنبيهِ لإظهار كمالِ الاعتناءِ بمضمونِها.

﴿خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ﴾ بيانٌ لبعضٍ آخرَ من أفعالِه الدَّالَّةِ على ما ذُكر، وتركُ عطفِه على خلقِ السَّمواتِ للإيذانِ باستقلالِه [في الدِّلالةِ][2] ولتعلُّقِه بالعالم السُّفلي، والبَداءةُ بخلق الإنسانِ لعراقتِه في الدِّلالةِ لما فيه من تعاجيبِ آثارِ القُدرةِ وأسرارِ

---

(١) في خ: تقول.
(٢) في خ: للدلالة.

الحكمةِ وأصالتِه في المعرفةِ فإنَّ الإنسانَ بحالِ نفسِه أعرفُ والمرادُ بالنَّفسِ نفسُ آدمَ عليه السَّلامُ. وقولُه ﴿ثم جعل منها زَوْجها﴾ عطفٌ على محذوفٍ هو صفةٌ لنفس أي منْ نفسٍ خلقَها ثمَّ جعل منها زَوْجَها أو على معنى واحدةٍ أي من نفسٍ واحدةٍ[١] ثمَّ جعلَ منها زَوْجها فشَفَعها أو على خلقكم لتفاوتِ ما بينهما في الدِّلالةِ فإنَّهما وإن كانتا آيتينِ دالتَّينِ على ما ذُكر لكن الأُولى لاستمرارِها صارتْ معتادةً وأما الثَّانيةُ فحيثُ لم تكن معتادةً خارجةً عن قياسِ الأولى كما يُشعر به التَّعبيرُ عنها بالجعلِ دون الخلقِ كانت أدخلَ في كونِها آيةً وأجلبَ للتَّعجُّبِ من السَّامعِ فعطفت على الأولى بـ (ثمَّ) دلالةً على مباينتِها لها فضلًا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادةِ كونِها آيةً فهو من التَّراخي في الحالِ والمنزلةِ. وقيل أخرج ذريَّةَ آدمَ من ظهرِهِ كالذَّرِّ ثم خلقَ منه حواء ففيهِ ثلاثُ آياتٍ مترتِّبة على خلق آدمَ عليه السَّلامُ بلا أبٍ وأمٍّ وخلق حوَّاءَ من قُصيراه[٢]، ثم تشعيبُ الخلقِ الفائتِ للحصرِ منهما.

وقوله تعالى: ﴿وأنزلَ لكُم﴾ بيانٌ لبعضٍ آخرَ من أفعاله الدَّالَّةِ على ما ذُكر أي قضى أو قسَم لكم فإنَّ قضاياهُ وقسمه تُوصف بالنُّزولِ من السَّماءِ حيثُ تُكتب في اللَّوحِ المحفوظِ أو أحدثَ لكم[٣] بأسبابٍ نازلةٍ من السَّماءِ كالأمطارِ وأشعَّةِ الكواكبِ ﴿منَ الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ﴾ ذكرًا وأُنثى هي الإبلُ والبقرُ والضَّأنُ والمعزُ وقيل خلقَها في الجنَّةِ ثمَّ أنزلها. وتقديمُ الظَّرفينِ على المفعولِ الصَّريحِ لما مرَّ مرارًا من الاعتناءِ [بما قُدِّم][٤] والتَّشويقِ إلى ما أُخِّر فإنَّ كون الإنزالِ لمنافعِهم وكونَه من الجهةِ العاليةِ من الأمورِ المهمَّةِ المشوِّقةِ[٥] إلى ما أُنزل لا محالةَ.

وقولُه تعالى: ﴿يخلقُكم في بُطونِ أمَّهاتِكم﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان كيفيَّةِ خلقِهم وأطواره المختلفةِ الدَّالَّةِ على القُدرةِ الباهرةِ. وصيغة المضارعِ للدِّلالةِ على التَّدرجِ والتَّجدُّدِ. وقولُه تعالى: ﴿خلقًا من بعدِ خلقٍ﴾ مصدرٌ مؤكد أي يخلقكُم فيها خلقًا كائنًا من بعدِ خلقٍ أي خلقًا مدرجًا حيوانًا سَويًا من بعد عظام مكسوَّةٍ لحمًا من بعد عظامٍ عارية من بعد مُضَغ مخلَّقةٍ من بعد مضغ غير مخلَّقةٍ من بعد علقةٍ من بعد نُطفةٍ ﴿فيَ ظُلماتٍ ثلاث﴾ متعلِّق بـ (يخلقُكم) وهي ظُلمة البطن وظُلمة الرَّحمِ وظُلمة المشيمةِ أو ظُلمة الصُّلبِ والبطنِ والرَّحِمِ.

---

(١) في ط: وجدت.

(٢) القصيريان: هما ضلعان تليان الترقوتين والقصيري: أسفل الأضلاع وقيل هي الضلع التي تلي الشاكلة، وهي الواهنة، وقيل: هي آخر ضلع في الجنب.

(٣) زاد في خ: بأحداث. (٤) في خ: بالمقدم. (٥) في خ: المسوقة.

﴿ذلكُم﴾ إشارة إليه تعالى باعتبارِ أفعالِه المذكورةِ، وما فيه من معنى البُعدِ للإيذانِ بُبعد منزلتِه تعالى في العظمةِ والكبرياءِ. ومحلُّه الرَّفعُ على الابتداءِ أي ذلكم العظيمُ الشَّأنِ الذي عددت أفعاله ﴿الله﴾ وقوله تعالى: ﴿ربُّكم﴾ خبرٌ آخرُ أي مُربيكم فيما ذُكر من الأطوارِ وفيما بعدَها ومالككم[١] المستحقُّ لتخصيصِ العبادةِ به ﴿له المُلك﴾ على الإطلاقِ في الدُّنيا والآخرةِ ليس لغيره شركةٌ في ذلك بوجهٍ من الوجوهِ. والجملةُ خبرٌ آخرُ. وكذا قولُه تعالى: ﴿لا إلَه إلَّا هُو﴾ والفاء في قوله تعالى: ﴿فأنَّى تُصرفون﴾ لترتيبِ ما بعدَها على ما ذُكر من[٢] شؤونِه تعالى أي فكيفَ تُصرفون عن عبادتِه[٣] تعالى مع وفورِ موجباتِها ودواعيها وانتفاءِ الصَّارفِ عنها بالكُلِّيةِ إلى عبادةِ غيرِه من غير داعٍ إليها مع كثرة الصَّوارفِ عنها.

﴿إنْ تكفرُوا﴾ به تعالى بعد مشاهدةِ ما ذُكر من فنونِ نعمائِه ومعرفةِ شؤونِه العظيمةِ الموجبةِ للإيمانِ والشُّكرِ ﴿فإنَّ الله غنيٌّ عنكُم﴾ أي فاعلمُوا أنَّه تعالى غنيٌّ عن إيمانِكم وشكركم غيرُ متأثِّرٍ من انتفائهما ﴿ولا يرضى لعبادِه الكُفر﴾ أي عدمُ رضاه بكفر عباده لأجل منفعتِهم ودفعِ مضرَّتِهم رحمةً عليهم لا لتضرُّرِه تعالى به ﴿وإنْ تشكرُوا يرضَه لكم﴾ أي يرض الشُّكرَ لأجلكم ومنفعتكم لأنَّه سببٌ لفوزكم بسعادة الدَّارينِ لا لانتفاعه تعالى به وإنَّما قيل لعباده لا لكُم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم[٤] عبادَه تعالى، وقرئ بإسكانِ[٥] الهاءِ ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى﴾ بيانٌ لعدم سرايةِ كفر الكافر إلى غيرِه أصلًا أي لا تحملُ نفسٌ حاملة للوزر حملَ نفسٍ أخرى ﴿ثمَّ إلى ربِّكم مرجِعُكم﴾ بالبعث بعد الموت ﴿فينبِّئُكم﴾ عند ذلك ﴿بما كنتُم تعملون﴾ أي كنتُم تعملونَه في الدُّنيا من أعمال الكفر والإيمانِ أي يُجازيكم [بذلك][٦] ثوابًا وعقابًا. ﴿إنَّه عليمٌ بذات الصُّدورِ﴾ أي بمضمرات القلوبِ فكيف بالأعمال الظَّاهرةِ وهو تعليل للتَّنبيه[٧].

---

(١) في خ: الحكم.
(٢) في خ: عن.
(٣) في خ: شؤونه.
(٤) في خ: بكونه.
(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والدوري، وهشام، وابن جماز، وشعبة، وشيبة، وهبيرة، والأعمش، والسوسي، واليزيدي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٧)، والتيسير للداني ص (١٨٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٨)، والحجة لأبي زرعة ص (٦١٩).
(٦) سقط في خ.
(٧) في ط: للتنبئة.

۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

﴿**وإذَا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ**﴾ من مرضٍ وغيره ﴿**دعا ربَّه مُنيبًا إليه**﴾ راجعًا إليه ممَّا كان يدعُوه في حالة الرَّخاءِ لعلمه بأنَّه بمعزلٍ من القُدرة على كشفِ ضُرِّه، وهذا وصف للجنس بحالِ بعضِ أفرادِه كقوله تعالى: ﴿إنَّ الإنسانَ لظلومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٤]. ﴿**ثم إذا خوَّله نعمةً منه**﴾ أي أعطاهُ نعمةً عظيمةً من لدنه[١] تعالى من التَّخولِ وهو التَّعهدُ أي جعله خائلَ مالٍ من قولهم فلانٌ خائلُ مال إذا كان مُتعهِّدًا له حسنَ القيام به أو من الخَولِ وهو الافتخارُ أي جعله يخُولُ أي يختالُ ويفتخرُ ﴿**نسيَ ما كان يدعُو إليه**﴾ أي نسيَ الضُّرَّ الذي كان يدعُو الله تعالى فيما سبق إلى كشفِه ﴿**من قبل**﴾ أي من قبل التَّخويلِ أو نسي ربَّه الذي كان يدعُوه[٢] ويتضرَّعُ إليه، إمَّا بناء على أنَّ ما بمعنى مَن كما في قوله تعالى: ﴿ومَا خلقَ الذكرَ والأُنثى﴾ [سورة الليل، الآية ٣] وقوله تعالى: ﴿ولا أنتمُ عابدون ما أعبدُ﴾ [سورة الكافرون، الآية ٣] وإمَّا إيذانًا بأنَّ نسيانَهُ بلغ إلى حيثُ لا يعرف مدَّعوه ما هو فضلًا عن أنْ يعرفه من هو كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿عمَّا أرضعت﴾ [سورة الحج، الآية ٢] ﴿**وجعلَ لله أندادًا**﴾ شركاءَ في العبادة ﴿**ليضلَّ**﴾ النَّاس بذلك ﴿**عن سبيلِهِ**﴾ الذي هو التَّوحيدُ وقرئ ليَضلَّ[٣] بفتح الياء أي يزدادَ ضلالًا أو يثبتَ عليه وإلا فأصلُ الضَّلالِ غيرُ متأخِّرٍ عن الجعلِ المذكور. واللامُ لامُ العاقبة كما في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فرعونَ ليكونَ لهم عدوا وحَزنًا﴾ [سورة القصص، الآية ٨] خلا أنَّ هذا أقربُ إلى الحقيقةِ لأنَّ الجاعلَ[٤] هاهنا قاصدٌ بجعله المذكورِ حقيقةَ الإضلالِ والضَّلالِ وإنْ لم يعرف لجهله أنَّهما إضلالٌ وضلالٌ وأمَّا آلُ فرعونَ فهم غيرُ قاصدين بالتقاطِهم العداوةَ

---

(١) في ط: جنابه.
(٢) في خ: يدعو الله.
(٣) قرأ بها: ابن كثير، أبو عمرو، ورويس، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤١٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٣)، والتيسير للداني ص (١٣٤)، والحجة لأبي زرعة ص (٦١٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٩)، والكشف للقيسي (١/ ٤٤٩).
(٤) في خ: الجعل.

أصلًا. ﴿قُل﴾ تهديدًا لذلك الضَّالِّ المُضلِّ وبيانًا لحالِه ومآلِه ﴿تمتعْ بكُفرك قليلًا﴾ أي تمتُّعًا قليلًا أو زمَانًا قليلًا ﴿إنَّك من أصحابِ النَّارِ﴾ أي: من ملازميها والمعذَّبين فيها على الدَّوامِ وهو تعليلٌ لقلَّة التَّمتعِ، وفيه من الإقناط من النَّجاةِ ما لا يخفى كأنَّه قيل: إذ قد أبيتَ[١] قبولَ ما أُمرتَ به من الإيمان والطَّاعةِ فمن حقَّك أنْ تُؤمرَ بتركه لتذوقَ عقوبتَه.

﴿أمَّن هُو قانتٌ آناء اللَّيل﴾ إلخ من تمام الكلامِ المأمورِ به وأم إما متصلة قد حُذف معادلُها ثقةً بدلالة مساقِ الكلام عليه كأنَّه قيلَ له تأكيدًا للتَّهديد وتهكُّمًا به: أأنت أحسنُ حالًا ومآلًا أمَّن هو قائمٌ بمواجب الطَّاعاتِ ودائم على أداءَ وظائف العبادات في ساعاتِ اللَّيل حالتَيْ السَّراءِ والضَّراءِ لا عند مساس الضُّرِّ فقط كدأبك حالَ كونِه ﴿ساجدًا وقائمًا﴾ أي جامعًا بين الوصفينِ المحمودينِ، وتقديمُ السُّجودِ على القيام لكونه أدخلَ في معنى العبادةِ. وقرئ[٢] كلاهُما بالرَّفعِ على أنه خبرٌ بعد خبرٍ ﴿يحذرُ الآخرةَ﴾ حالٌ أُخرى على التَّرادفِ أو التَّداخلِ. أو استئناف وقع جوابًا عمَّا نشأ من حكاية حالِه من القنوتِ والسُّجود والقيام كأنَّه قيل ما بالُه يفعل ذلك فقيلَ يحذرُ عذابَ الآخرةِ ﴿ويرجُو رحمةَ ربِّه﴾ فينجُو بذلك مما يحذرُه ويفوزُ بما يرجُوه كما ينبئ عنه التَّعرضُ لعُنوانِ الرُّبوبِّيةِ المنبئةِ عن التَّبليغِ إلى الكمالِ مع الإضافة إلى ضميرِ الرَّاجي لا أنَّه يحذرُ ضرَّ الدُّنيا ويرجُو خيرَها فقط، وإما منقطعةٌ وما فيها من الإضرابِ للانتقالِ من التَّهديدِ إلى التَّبكيتِ بتكليف الجواب الملجئ إلى الاعترافِ بما بينهما من التَّباينِ البيِّن كأنَّه قيل: بل أمن هو قانتٌ إلخ أفضل أمَّن هو كافرٌ مثلك كما هو المعنى على قراءة التَّخفيفِ ﴿قُل﴾ بيانًا للحقِّ وتنبيهًا على شرفِ العلمِ والعمل ﴿هل يستوي الذين يعلمونَ﴾ حقائقَ الأحوالِ فيعملون [بموجبِ علمهم كالقانتِ المذكورِ ﴿والذين لا يعلمونَ﴾ أي ما ذُكر أو شيئًا فيعملون][٣] بمقتضى جهلِهم وضلالِهم كدأبك والاستفهامُ للتَّنبيه على أنَّ كونَ الأوَّلينَ في أعلى معارج الخيرِ وكون الآخرينَ في أقصى مدارج الشَّرِّ من الظُّهورِ بحيث لا يكادُ يخفى على أحدٍ من منصفٍ ومكابرٍ وقيل: هو واردٌ على سبيل التَّشبيهِ أي كما لا يستوي العالمونَ والجاهلون لا

---

(١) في خ: ثبت.

(٢) قرأ بها: الضحاك.

ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٠)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢٥٠).

(٣) سقط في خ.

يستوي القانتون والعاصُون. وقوله تعالى: ﴿إنَّما يتذكَّر أولُو الألبابِ﴾ كلامٌ مستقلٌّ غير داخلٍ في الكلام المأمور به واردٌ من جهته تعالى بعد الأمر بما ذُكر من القوارعِ الزَّاجرةِ عن الكُفر والمعاصِي لبيانِ عدمِ تأثيرِها في قلوبِ الكفرةِ لاختلال عقولهم كما في قَول مَنْ قال: [البسيط]

عُوجُوا فحيُّوا لنُعْمَى دِمْنَةَ الدَّارِ ... مَاذا تُحيُّونَ من نُؤْيٍ وَأَحْجَارِ[١]

أي إنما يتَّعظُ بهذه البيانات الواضحة أصحابُ العقولِ الخالصةِ عن شوائبِ الخللِ وهؤلاءِ بمعزلٍ من ذلك. وقرئ[٢] إنَّما يذكَّر بالإدغام ﴿قُل يا عبادي الذينَ آمنُوا اتَّقُوا ربَّكم﴾ أُمر رسولُ الله ﷺ بتذكير المُؤمنين وحملِهم على التَّقوى والطَّاعة إثرَ تخصيص التَّذكُّر[٣] بأولي الألباب إيذانًا بأنَّهم هم كما سيصرِّح به أي قُل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريفٌ لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالةِ ومزيدُ اعتناءٍ بشأن المأمور به فإنَّ نقلَ عينِ أمرِ الله أدخلُ في إيجابِ الامتثالِ به. وقولُه تعالى: ﴿للذينَ أحسنُوا﴾ تعليلٌ للأمر أو[٤] لوجوبِ الامتثال به وإيراد الإحسان في حيِّز الصِّلةِ دون التَّقوى للإيذانِ بأنَّه من باب الإحسان وأنَّهما مُتلازمانِ وكذا الصَّبرُ كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله مع الذينَ اتَّقوا والذين هم محسنون﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٨] وفي قوله تعالى: ﴿إنَّه مَن يتَّقِ ويصبرْ فإنَّ الله لايُضيع أجر المُحسنين﴾ [سورة يوسف، الآية ٩٠].

وقوله تعالى ﴿في هذهِ الدُّنيا﴾ متعلِّقٌ بـ (أحسنُوا) أي: عملوا[٥] الأعمالَ الحسنةَ في هذه الدُّنيا على وجه الإخلاصِ وهو الذي عبّر عنه رسولُ الله ﷺ حينَ سُئل عن الإحسانِ بقوله عليه السَّلامُ: «**أنْ تعبدَ الله كأنَّك تراهُ فإنْ لم تكن تراهُ فإنَّه يراكَ**»[٦] ﴿حسنةٌ﴾ أي: [أيُّ][٧] حسنة عظيمة لا يُكْتَنَه كُنْهُها وهي الجنَّةُ. وقيل: هو متعلِّقٌ بـ (حسنة) على أنَّه بيان لمكانها[٨] أو حالٌ من ضميرها في الظَّرفِ فالمرادُ بها حينئذٍ الصِّحَّةُ والعافيةُ ﴿وأرضُ الله واسعةٌ﴾ فمن تعسَّر عليه التَّوفرُ على التَّقوى والإحسانِ في وطنِه فليهاجر إلى حيثُ يتمكَّن فيه من ذلك كما هو سُنَّة الأنبياءِ والصَّالحينَ فإنه لا عُذرَ له في التَّفريطِ أصلًا وقوله تعالى: ﴿إنَّما يُوفَّى الصَّابرونَ﴾ إلخ ترغيب في التَّقوى المأمور بها، وإيثارُ الصَّابرين على المتَّقين للإيذانِ بأنَّهم حائزونَ لفضيلة الصَّبر كحيازتهم لفضيلةِ الإحسانِ

---

(١) تقدم.
(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٠).
(٣) في خ: الذكر.
(٤) في خ: أي.
(٥) في خ: اعملوا.
(٦) تقدم.
(٧) سقط في خ.
(٨) في خ: لكمالها.

لما أشير إليه من استلزام التَّقوى لهما مع ما فيه من زيادةِ حثٍّ على المصابرةِ والمجاهدةِ في تحمُّل مشاقِّ المهاجرة ومتاعبها أي إنَّما يوفَّى الذين صبرُوا على دينهم وحافظُوا على حدودِه ولم يُفرِّطُوا في مُراعاةِ حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فُنونِ الآلامِ والبَلاَيا التي من جُملتها مهاجرةُ الأهلِ ومفارقةُ الأوطانِ ﴿أجرَهم﴾ بمقابلة ما كابدُوا من الصَّبرِ ﴿بغير حسابٍ﴾ أي بحيث لا يُحصى ولا يُحصر. عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: لا يَهتدِي إليه حِسابُ الحُسَّاب، ولا يُعرف. وفي الحديثِ «أنَّه تنصبُ الموازينُ يوم القيامة لأهلِ الصَّلاة والصَّدقة والحَجِّ فيُؤتَون بها أجورَهم ولا تُنصب لأهل البلاءِ بل يُنصبُّ[1] عليهم الأجرُ صبا حتَّى يتمنَّى أهلُ العافيةِ في الدُّنيا أنَّ أجسادَهم تُقرضُ بالمقاريضِ مما يذهبُ به أهلُ البلاءِ من الفضلِ»[2].

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

﴿قُلْ إنِّي أُمرت أنْ أعبدَ الله مُخلصًا له الدِّينَ﴾ أي من كلِّ ما ينافيهِ من الشِّركِ والرِّياءِ وغير ذلك أُمر رسولُ الله ﷺ ببيانِ ما أُمر به نفسه من الإخلاصِ في عبادة الله

---

(١) في ط: يصب.

(٢) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٢٥) من طريق بكر بن حبيش عن ضرار بن عمرو عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك به.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢١٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٨٤)، رقم (١٢٨٢٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩١) من طريق مجاعة بن الزبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس بنحو حديث أنس.
وحديث أنس في إسناده يزيد الرقاشي وهو ضعيف.
وحديث ابن عباس في إسناده مجاعة بن الزبير.
ضعفه الدارقطني، وقال ابن عدي: هو ممن يحتمل ويكتب حديثه.
وقال أحمد: لم يكن به بأس في نفسه.
وينظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٤٣٧).

الذي هو عبارةٌ عمَّا أُمر به المؤمنون من التَّقوى مبالغةً في حثِّهم على الإتيان[١] بما كُلِّفوه وتمهيدًا لما يعقُبه مما خُوطب به المشركونَ.

﴿وأُمرت لأنْ أكونَ أوَّلَ المسلمين﴾ أي وأُمرت بذلك لأجلِ أنْ أكونَ مقدمهم في الدُّنيا والآخرةِ لأنَّ إحرازَ قَصَب السَّبقِ في الدِّين بالإخلاصِ فيه. والعطفُ لمغايرةِ الثَّاني الأوَّلَ بتقيده بالعلَّةِ والإشعارِ بأنَّ العبادةَ المذكورةَ كما تقتضِي الأمرَ بها لذاتِها تقتضيهِ لما يلزمُها من السَّبقِ في الدِّينِ ويجوزُ أنْ تُجعلَ اللام مزيدةً كما في أردتُ لأنْ[٢] أقومَ بدليلِ قوله تعالى: [﴿أُمرت أنْ أكونَ أوَّلَ منَ أسلم﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤] فالمعنى: وأُمرت أنْ أكونَ أوَّلَ مَن أسلمَ من أهلِ زماني أو مِن قومي أو أكون أولَ من دَعا غيرَهُ إلى ما دعا إليه نفسَه][٣]. ﴿قُل إنِّي أخافُ إنْ عصيتُ ربِّي﴾ بترك الإخلاصِ والميل إلى ما أنتم عليه [من الشِّركِ][٤] ﴿عذابَ يوم عظيم﴾ هو[٥] يومُ القيامةِ وصفَ بالعظمةِ لعظمةِ ما فيه من الدَّواهي والأهوالِ ﴿قُل الله أعبد﴾ لا غيرَه لا استقلالًا ولا اشتراكًا ﴿مُخلصًا له ديني﴾ من كلِّ شَوْبٍ، أُمر عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ [أوَّلًا][٦] ببيان كونِه مأمورًا بعبادةِ الله تعالى وإخلاصِ الدِّينِ له ثمَّ بالإخبارِ بخوفِه من العذابِ على تقديرِ العصيانِ ثمَّ بالإخبارِ بامتثاله بالأمرِ على أبلغِ وجه وآكدِه إظهارًا لتصلُّبه في الدِّينِ وحسمًا لأطماعِهم الفارغةِ وتمهيدًا لتهديدِهم بقوله تعالى ﴿فاعبدُوا ما شئتُم﴾ أنْ تعبدُوه ﴿من دُونِه﴾ تعالى وفيه من الدِّلالةِ على شدَّةِ الغضبِ عليهم ما لا يخفى كأنَّهم لمَّا لم ينتهُوا عما نُهوا عنه أُمروا به كي يحل بهم العقابُ.

﴿قُلْ إنَّ الخاسرين﴾ أي الكاملينَ في الخُسران الذي هو عبارةٌ عن إضاعةِ ما يُهمه وإتلافِ ما لا بدَّ منه ﴿الذين خسروا أنفسهَم وأهليهم﴾ باختيارِهم الكفرَ لهما أي أضاعُوهما وأتلفوهُما ﴿يومَ القيامةِ﴾ حين يدخُلون النَّارِ حيث عرَّضوهما للعذابِ السَّرمديِّ وأوقعُوهما في هَلَكةٍ لا هلكةَ وراءها. وقيل: خسِروا أهليهم لأنَّهم إنْ كانُوا من أهلِ النَّار فقد خسروهم كما خسِروا أنفسَهم إنَ كانُوا من أهلِ الجنَّةَ فقد ذهبُوا عنهم ذهابًا لا إيابَ بعدَهُ. وفيه أنَّ المحذورَ ذهابُ ما[٧] لو آبَ [لانتفع][٨] به الخاسرُ وذلك غيرُ متصوَّرٍ في الشِّقِّ الأخيرِ. وقيل: خسِروهم لأنَّهم لم يدخلُوا مدخل الذين لهم أهلٌ في الجنَّةِ وخَسِروا أهليهم الذين [كانوا][٩] يتمتَّعون بهم لو آمنُوا، وأيًّا ما

(١) في خ: الإتقان. (٢) في خ: أن. (٣) سقط في خ.
(٤) سقط في خ. (٥) زاد في خ: عذاب. (٦) سقط في خ.
(٧) في خ: و. (٨) في خ: لا ينقطع. (٩) سقط في خ.

كان فليسَ المرادُ مجرد تعريفِ الكاملينَ في الخُسران بما[١] ذُكر بل بيانَ أنَّهم هم، إمَّا بجعلِ الموصولِ عبارةً عنهم أو عمَّا هم مُندرجون فيه اندراجًا أوليًّا. وما في قوله تعالى ﴿ألا ذلك هو الخُسران المُبين﴾ من استئنافِ الجملةِ وتصديرِها بحرفِ التَّنبيه والإشارةِ بذلك إلى بُعد منزلةِ المُشارِ إليه في الشَّرِّ. وتوسيطُ ضمير الفصل وتعريفُ الخسرانِ ووصفُه بالمبينِ من الدِّلالةِ على كمالِ هوله وفظاعتِه وأنَّه لا خُسران وراءه ما لا يَخفْى.

وقوله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظُللٌ من النَّار﴾ ...إلخ نوع بيانٍ لخسرانِهم بعد تهويلِه بطريقِ الإبهامِ على أنَّ (لهم) خبرٌ لـ (ظُللٌ). و(من فوقِهم) متعلِّقٌ بمحذوفٍ قيل: هو حالٌ من (ظُللٌ). والأظهرُ أنَّه حالٌ من الضَّميرِ في الظَّرفِ المُقدَّم ومن النَّارِ صفةٌ لظللٌ أي لهم كائنةٌ من فوقهم ظللٌ كثيرةٌ متراكبةٌ بعضُها فوق بعضٍ كائنةٌ من النَّارِ ﴿ومن تحتهم﴾ أيضًا ﴿ظُللٌ﴾ أي أطباقٌ كثيرةٌ بعضُها تحتَ بعضٍ ظللٌ لآخرينَ بل لهم أيضًا عند تردِّيهم في دَرَكاتِها ﴿ذلك﴾ العذابُ الفظيعُ هو الذي ﴿يُخوِّفُ الله به عبادَه﴾ ويُحذِّرهم إيَّاه بآياتِ الوعيدِ ليجتنبُوا ما يُوقعهم فيه ﴿يا عبادِ فاتَّقونِ﴾ ولا تتعرَّضُوا لَما يُوجبُ سَخَطي. وهذه عظة من الله تعالى بالغةٌ منطويةٌ على غايةِ اللُّطفِ والمرحمةِ وقرئ[٢] يا عبادِي.

﴿والذين اجتنبُوا الطَّاغوتَ﴾ أي البالغَ أقصى غايةَ الطُّغيانِ، فَعَلوتٌ منه بتقديم اللَّامِ على العينِ بُني للمبالغةِ في المصدرِ كالرَّحموتِ والعظَمُوتِ. ثم وُصف به للمبالغةِ في النَّعتِ. والمرادُ به هو الشَّيطانُ ﴿أنْ يعبدوها﴾ بدلُ الاشتمالِ منه فإنَّ عبادةَ غير الله تعالى عبادةٌ للشَّيطانِ إذ هُو الآمرُ بها والمُزيِّنُ لها. ﴿وأنابُوا إلى الله﴾ وأقبلُوا إليه مُعرضين عمَّا سواه إقبالًا كلِّيا.

﴿لهم البُشرى﴾ بالثَّوابِ على ألسنةِ الرُّسلِ أو الملائكةِ عند حضورِ الموتِ وحين يُحشرون وبعد ذلك ﴿فبشر عباد﴾ ﴿الذين يستمعُون القولَ فيتَّبعون أحسنَه﴾ هم الموصُوفون بالاجتنابِ والإنابةِ بأعيانهم لكنْ وُضع موضعَ ضميرِهم الظَّاهرُ تشريفًا لهم بالإضافةِ ودلالةً على أنَّ مدارَ اتصافِهم بالوصفينِ الجليلينِ كونُهم نُقَّادًا في الدينِ

---

(١) في خ: مما.

(٢) قرأ بها: رويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٤).

يميِّزون الحقَّ من الباطلَ ويؤْثرون الأفضلَ فالأفضلَ ﴿أولئك﴾ إشارةٌ إليهم باعتبارِ اتِّصافهم بما ذُكر من النَّعوتِ الجليلةِ، وما فيه من مَعْنى البُعد للإيذانِ بعلوِّ رُتبتهم وبُعدِ منزلتِهم في الفضلِ. ومحلُّه الرَّفعُ على الابتداءِ خبرُه ما بعده من الموصولِ أي أولئك المنعوتُون بالمحاسنِ الجميلةِ ﴿الذين هداهُم الله﴾ للدِّين الحقِّ ﴿وأولئك هم أُولو الألباب﴾ أي هم أصحابُ العقولِ السَّليمةِ عن معارضة الوهم ومنازعةِ الهَوَى المستحقُّون للهدايةِ لا غيرهم، وفيه دلالةٌ على أنَّ الهدايةَ تحصلُ بفعل الله تعالى وقبول النَّفسِ لها ﴿أفمن حقَّ عليه كلمةُ العذابِ أفأنتَ تنقذُ من في النَّارِ﴾ بيانٌ لأحوال أضَّدادِ المذكورينَ على طريقة الإجمالِ وتسجيلٌ عليهم بحرمانِ الهداية وهم عَبَدةُ الطَّاغوت ومتَّبعُو خطواتها كما يُلوحُ به التَّعبيرُ عنهم بمن حقَّ عليه كلمة العذاب فإنَّ المرادَ بها قوله تعالى لإبليسَ: ﴿لأملأنَّ جهنَّم منك وممن تبعك منهُم أجمعينَ﴾ [سورة ص، الآية ٨٥]وقوله تعالى: ﴿لمن تبعك منهم لأملأنَّ جهنَّم منكم أجمعين﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨] وأصلُ الكلامِ أمن حقَّ عليه كلمةُ العذاب فأنتَ تنقذه على أنَّها شرطيةٌ دخلت عليها الهمزةُ لإنكارِ مضمونها ثم الفاءُ لعطفها على جملةٍ مستتبعة لها مقدَّرة بعد الهمزةِ ليتعلَّق الإنكارُ والنَّفيُ بمضمونيهما[١] معًا أي: أأنتَ مالكُ أمرِ النَّاسِ فمن حقَّ عليه كلمةُ العذابِ فأنت تنقذه ثم كُررتْ الهمزةُ في الجزاءِ لتأكيدِ الإنكارِ وتذكيرِه لمَّا طال الكلامُ ثم وضِع موضعَ الضَّميرِ مَن في النَّارِ لمزيد تشديدِ الإنكارِ والاستبعاد والتَّنبيه على أنَّ المحكومَ عليه بالعذابِ بمنزلة الواقعِ في النَّارِ وأنَّ اجتهادَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فى دُعائهم إلى الإيمانِ سعيٌ في إنقاذِهم من النَّارِ ويجوزُ أن يكونَ الجزاءُ محذوفًا.

وقوله تعالى: (أفأنتَ)[٢] . . .إلخ جملة مستقلَّةٌ مسوقة لتقريرِ مضمون الجملة السَّابقةِ وتعيين ما حُذف منها وتشديدِ الإنكارِ بتنزيل من استحقَّ العذابَ منزلةَ من دخل النَّارَ وتصوير الاجتهاد في دُعائه إلى الإيمان بصورةِ الإنقاذِ من النَّارِ كأنَّه قيل أوَّلًا: أفمن حقَّ عليه العذابُ فأنتَ تخلِّصه منه ثم شُدِّد النَّكيرُ.

فقيل: أفأنتَ[٣] تنقذُ من في النَّارِ وفيه تلويحٌ بأنَّه تعالى هو الذي يقدرُ على الإنقاذِ لا غيرُه وحيثُ كان المرادُ بمن في النَّارِ الذين قيل في حقِّهم: ﴿لهم من فوقهم ظللٌ من النَّار ومن تحتِهم ظُللٌ﴾ [سورة الزمر، الآية ١٦] استدركَ منهم بقوله تعالى: ﴿لكنِ الذين اتَّقوا ربَّهم لهم غُرفٌ من فوقها غُرف﴾ وهم الذين خُوطبوا

---

(١) في خ: بمضمونها. (٢) زاد في خ: تنقذ. (٣) في ط: فأنت.

بقوله تعالى: ﴿يا عبادِ فاتَّقون﴾ [سورة الزمر، الآية ١٦].

ووُصفوا بما عُدِّد من الصِّفاتِ الفاضلةِ وهم المخاطَبون أيضًا فيما سبق بقوله تعالى: ﴿يا عبادِيَ الذين آمنُوا اتَّقوا ربَّكم﴾ [سورة الزمر، الآية ١٠] الآيةَ وبيَّن أنَّ لهم درجاتٍ عاليةً في جنَّاتِ النَّعيم بمقابلة ما للكفرةِ من دَرَكاتٍ سافلةٍ في الجحيم أي لهم علالي بعضُها فوقَ بعضٍ ﴿مبنيَّةٌ﴾ بناءَ المنازلِ المبنية المؤسَّسةِ على الأرضِ في الرَّصانةِ والإحكام ﴿**تجري مِن تحتها**﴾ من تحت تلك الغرفِ ﴿**الأنهارُ**﴾ من غيرِ تفاوتٍ بين العُلوِّ والسُّفلِ ﴿**وَعْد الله**﴾ مصدرٌ مؤكّدٌ لقوله تعالى: ﴿لهم غُرف﴾ . . . إلخ فإنه وعدٌ وأيُّ وعدٍ ﴿**لا يُخلف الله الميعادَ**﴾ لاستحالتِه عليه سبحانه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿**ألم تر أنَّ الله أنزلَ من السَّماءِ ماءً**﴾ استئنافٌ وارد إمَّا لتمثيلِ الحياةِ الدُّنيا في سرعة الزَّوالِ وقُرب الاضمحلالِ بما ذكر من أحوالِ الزَّرع ترغيبًا عن زخارفِها وزينتها وتحذيرًا من الاغترارِ بزَهرتِها كما في نظائر قوله تعالى: ﴿إنَّما مثلُ الحياةِ الدُّنيا﴾ [سورة يونس، الآية ٢٤] الآيةَ أو للاستشهاد على تحقُّقِ الموعودِ من الأنهارِ الجاريةِ من تحت الغُرفِ بما يُشاهد من إنزالِ الماءِ من السَّماءِ وما يترتَّبُ عليه من آثارِ قدرتهِ تعالى وإحكام حكمتِه ورحمتِه والمرادُ بالماءِ المطر.

وقيل: كلُّ ماءٍ في الأرضِ فهو من السَّماءِ ينزلُ منها إلى الصَّخرةِ ثم يقسمُه الله

تعالى بين البقاعِ ﴿فسلكه﴾ فأدخلَه ونظمه ﴿ينابيعَ في الأرضِ﴾ أي عُيونًا ومجاريَ كالعروقِ في الأجسادِ وقيل: مياهًا نابعةً فيها فإنَّ الينبوعَ يطلقُ على المنبعِ والنَّابعِ فنصبها على الحالِ وعلى الأوَّلِ بنزعِ الجارِّ أي في ينابيعَ ﴿ثم يخرجُ به زرعًا مختلفًا ألوانُه﴾ أصنافُه من بُرٍّ وشعيرٍ وغيرِهما أو كيفياته من الألوانِ والطُّعوم وغيرِهما وكلمة ثمَّ للتَّراخي في الرُّتبةِ أو الزَّمانِ. وصيغةُ المضارعِ لاستحضارِ الصُّورةِ ﴿ثمَّ يهيجُ﴾ أي يتمُّ جفافُه ويشرف على أنْ يثورَ[(١)] من منابتِه ﴿فتراهُ مصفرًّا﴾ من بعد خُضرتِه ونُضرتِه وقرئ[(٢)] مُصفارًّا ﴿ثمَّ يجعلُه حُطامًا﴾ فُتاتًا مُتكسِّرةً كأن لم يغنَ بالأمسِ ولكون هذه الحالةِ من الآثارِ القوَّيةِ عُلِّقت بجعلِ الله تعالى كالإخراجِ ﴿إنَّ في ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكر تفصيلًا، وما فيه من مَعنى البُعدِ للإيذانِ ببُعد منزلتِه في الغَرابةِ والدِّلالةِ على ما قُصد بيانُه ﴿لذكرى﴾ لتذكيرًا عظيمًا ﴿لأُولي الألبابِ﴾ لأصحابِ العُقول الخالصةِ عن شوائبِ الخللِ وتنبيهًا لهم على حقيقةِ الحالِ يتذكَّرون بذلك أنَّ حالَ الحياةِ الدُّنيا في سُرعةِ التَّقضِّي والانصرام كما يشاهدونَهُ من حال[(٣)] الحُطام كلَّ عامٍ فلا يغترُّون ببهجتِها ولا يُفتتنون بفتنتها أو يجزمون بأنَّ مَن قدرَ على إنزالِ الماءِ من السَّماءِ وإجرائِه في ينابيع الأرضِ قادرٌ على إجراءِ الأنهارِ من تحتِ الغُرفِ، هذا وأمَّا ما قيلَ إنَّ في ذلك لتذكيرًا وتنبيهًا على أنَّه لا بُدَّ من صانعٍ حكيمٍ وأنه كائنٌ عن تقديرٍ وتدبيرٍ لا عن تعطيلٍ وإهمالٍ فبمعزلٍ من تفسيرِ الآيةِ الكريمةِ وإنَّما يليقُ ذلك بما لو ذُكرَ ما ذُكر من الآثارِ الجليلة والأفعالِ الجميلةِ من غيرِ إسنادٍ لها إلى مؤثِّرٍ ما فحيثُ ذُكرت مسندةً إلى الله عزَّ وجلَّ تعيَّن أنْ يكونَ متعلَّقُ التَّذكيرِ والتَّنبيهِ شؤونه تعالى أو شؤونَ آثارِه حسبما بُيِّن لا وجودُه تعالى.

وقولُه تعالى ﴿أفمَنْ شرحَ الله صدرَهُ للإسلام﴾ إلخ استئنافٌ جارٍ مجرى التَّعليلِ لما قبله من تخصيصِ الذِّكرى بأولي الألبابِ. وشَرحُ الصَّدرِ للإسلام عبارةٌ عن تكميلِ الاستعدادِ له فإنه محلٌّ للقلبِ الذي هو منبعٌ للرُّوحِ التي تتعلَّقُ بها النَّفسُ القابلةُ

---

(١) في ط: ينور.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٤).

(٣) وتكون الآية من قبيل التمثيل أو التشبيه الضمني، وذكر ابن عاشور أنه يمكن مقابلة أجزاء هذا التمثيل: إنزال الماء من السماء تشبيه لإنزال القرآن لإحياء القلوب، وإسلاك الماء ينابيع في الأرض تشبيه لتبليغ القرآن للناس، وإخراج الزرع المختلف الألوان تشبيه لحال اختلاف الناس من طيب وغيره ونافع وضار، وفي تعقيب هذا بقوله: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾، وقوله: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ إشارة إلى العبرة من هذا التمثيل.
ينظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٣٧٦)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٥٩٦).

للإسلام فانشراحُه مستدعٍ لاتِّساع[١] القلبِ واستضاءتِه بنوره فإنَّه روي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال: **«إذا دخلَ النُّور القلبَ انشرحَ وانفسحَ»** فقيل فما علامةُ ذلك؟ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«الإنابةُ إلى دارِ الخُلودِ والتَّجافي عن دارِ الغُرور والتَّأهُّبُ للموتِ قبل نزولِه»**[٢] والكلامُ في الهمزةِ والفاءِ كالذي مرَّ في قوله تعالى: ﴿أفمنْ حقَّ عليه كلمةُ العذابِ﴾ [سورة الزمر، الآية ١٩] وخبرُ مَن محذوفٌ لدلالةِ ما بعده عليه والتَّقديرُ أكلُّ النَّاسِ سواءٌ فَمْن شَرحَ الله صدرَهُ أي خلقَهُ متَّسعَ الصَّدرِ مُستعدا للإسلامِ فبقي على الفطرةِ الأصليةِ ولم يتغيرْ بالعوارضِ المكتسبةِ القادحةِ فيها ﴿**فهو**﴾ بموجبِ ذلك مستقرٌّ ﴿**على نورٍ**﴾ عظيم ﴿**من ربِّه**﴾ وهو اللُّطفُ الإلهيُّ الفائضُ عليه عند مشاهدةِ الآياتِ التَّكوينيةِ والتَّنزيليةِ والتَّوفيقُ للاهتداءِ بها إلى الحقِّ كمَنْ قسا قلبُه وحَرِجَ صدره بسببِ تبديلِ فطرةِ الله بسُوء اختيارِه واستولى عليه ظلماتُ الغيِّ والضلالةِ فأعرضَ عن تلك الآياتِ بالكُلِّيةِ حتَّى لا يتذكَّر بها ولا يغتنمُها ﴿**فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكرِ الله**﴾ أي من أجلِ ذكرِه الذي حقُّه أنْ تنشرحَ له الصُّدورُ وتطمئنَّ به القلوبُ أي إذا ذُكر الله تعالى عندهم أو آياتُه اشمأزُّوا من أجلِه وازدادتْ قلوبُهم قساوةً كقولِه تعالى فزادْتُهم رجسًا. وقرئ[٣] عن ذكرِ الله أي عن قبولِه ﴿**أولئك**﴾ البُعداءُ الموصوفون بما ذُكر من قساوةِ القلوب ﴿**في ضلالٍ**﴾ بُعدٍ عن الحقِّ ﴿**مبين**﴾ ظاهر كونه ضلالًا لكلِّ أحدٍ قيل: نزلتِ الآيةُ في حمزةَ وعليٍّ رضي الله عنهما وأبي لهبٍ وولدِه[٤] وقيل: في عمَّارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه وأبي جهلٍ وذويه.

﴿**الله نزَّلَ أحسنَ الحديثِ**﴾ هو القرآنُ الكريمُ. رُوي أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ ملُّوا ملَّةً فقالُوا له عليه الصَّلاةُ والسَّلام حدِّثْنا حَديثًا[٥] وعن ابن مسعُودٍ وابن عبَّاسَ

---

(١) في خ: لانشراح.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣١١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧٧) وفي «القضاء والقدر» (٣٨٩) وفي «الزهد الكبير» (٩٧٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٧٦) من حديث ابن مسعود.
وفي إسناده محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي وأبوه يزيد بن سنان وهما ضعيفان.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٧) من طريق أبي عبيدة عن أبيه به وأبو عبيد لم يسمع من أبيه.
وأخرجه الطبري (٨/ ٢٦، ٢٧) من حديث أبي جعفر مرسلًا.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٥٤) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير من حديث أبي جعفر مرسلًا.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٤).

(٤) ينظر تفسير البغوي (٤/ ٧٥).

(٥) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٩) رقم (٣٠١٢٥)، من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس به.
وأخرجه برقم (٣٠١٢٦)، عن عمرو بن قيس مرسلًا.

رضي الله عنهم قالوا: لو حدَّثتنا فنزلتْ. والمَعنى أنَّ فيه مندوحةً عن سائرِ الأحاديثِ. وفي إيقاعِ الاسمِ الجليلِ مبتدأً، وبناءِ نزَّل عليهِ من تفخيمِ أحسنِ الحديثِ ورفعِ محلِّه والاستشهادِ على حُسنِه وتأكيدِ استنادِه إليه تعالى وأنَّه مَن عندَه لا يمكنُ صدورُه عن غيرِه والتَّنبيهُ على أنَّه وحيٌ معجزٌ ما لا يخفى ﴿**كتابًا**﴾ بدلٌ من أحسنَ الحديثِ أو حالٌ منه سواء اكتسبَ من المضافِ إليه تعريفًا أَوْ لاَ فإنَّ مساغَ مجيءِ الحالِ من النَّكرةِ والمُضافةِ اتفاقيٌّ ووقوعُه حالًا مع كونِه اسمًا لا صفةً إمَّا لاتِّصافِه بقولِه تعالى ﴿**مُتشابهًا**﴾ أو لكونِه في قوَّة مكتوبًا ومعنى كونِه مُتشابهًا تشابُه معانيهِ في الصِّحَّةِ والإحكامِ والابتناءِ على الحقِّ والصِّدقِ واستتباع منافعِ الخلقِ في المعادِ والمعاشِ وتناسبَ ألفاظِه في الفصاحةِ وتجاوبِ نظمِه في الإعجازِ ﴿**مثاني**﴾ صفةٌ أخرى لـ (كتابًا) أو حالٌ أُخرى منه وهو جمعُ مَثْنى بمعنى مرددٍ ومكرَّرٍ لمَا ثُنِّي من قصصِه وأنبائِه وأحكامِه وأوامرِه ونواهيهِ ووعدِه ووعيدِه ومواعظِه. وقيل لأنَّه يُثنَّى في التِّلاوةِ، وقيل: هو جمعُ مَثنى مَفْعل من التَّثنيةِ بمعنى التَّكريرِ والإعادةِ كما في قولِه تعالى: ﴿ثم ارجعِ البصرَ كرَّتين﴾ [سورة الملك، الآية ٤] أي كرةً بعدَ كرَّةٍ. ووقوعُه صفةً لكتابًا باعتبار تفاصيلِه كما يُقال القرآن سورٌ وآياتٌ ويجوزُ أنْ ينتصبَ على التَّمييزِ من مُتشابهًا كما يُقال رأيتُ رجلًا حسنًا شمائلَ أي شمائلُه والمعنى متشابهةٌ مثانيه ﴿**تقشعرُّ منه جلودُ الذين يخشَون ربَّهم**﴾ قيل؛ صفةٌ لكتابًا أو حالٌ منه لتخصُّصه(١) بالصِّفةِ، والأظهر أنَّه استئنافٌ مسوق لبيانِ آثارِه الظَّاهرةِ في سامعيهِ بعد بيانِ أوصافِه في نفسِه ولتقريرِ كونِه أحسنَ الحديثِ. والاقشعرارُ التَّقبضُ يقال اقشعرَّ الجلدُ إذا [تقبَّضَ تقبُّضًا](٢) شَديدًا وتركيبُه من القَشع وهو الأديمُ اليابسُ قد ضُمَّ إليه الرَّاءُ ليكونَ رُباعيًّا ودَالاً على معنى زائد يُقال اقشعرَّ جلدُه وقفَ شعرُه إذا عرضَ له خوفٌ شديدٌ من منكرٍ هائلٍ دهمه بغتة. والمرادُ إمَّا بيانُ إفراطِ خشيتِهم بطريقِ التَّمثيلِ والتَّصويرِ أو بيانُ حصولِ تلك الحالةِ وعرُوضِها لهم بطريقِ التَّحقيقِ. والمعنى أنَّهم إذا سمعُوا القُرآنَ وقوارعَ آياتِ وعيده أصابتُهم هيبةٌ وخشيةٌ تقشعرُّ منها جلودُهم وإذا ذُكِّروا رحمةَ الله تعالى تبدَّلتْ خشيتُهم رجاءً ورهبتُهم رغبةً وذلك قولُه تعالى: ﴿**ثم تلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكرِ الله**﴾ أي ساكنةً مطمئنَّةً إلى ذكر رحمتِه تعالى وإنَّما لم يُصرِّحْ بها إيذانًا بأنَّها أولُ ما يخطرُ بالبال عند ذكرِه تعالى. ﴿**ذلك**﴾ أي الكتابُ الذي شُرِحَ أحوالُه ﴿**هدى الله يهدِي به مَن يشاءُ**﴾ أنْ يهديه بصرفِ مقدورِه إلى الاهتداءِ

---

(١) في خ: لتخصيصه.

(٢) في خ: تقبض تقبيضًا.

بتأمُّلِه فيما في تضاعيفِه من شواهدِ الحقِّية ودلائلِ كونِه من عندِ الله تعالى ﴿**ومَن يُضلل الله**﴾ أي يخلقُ فيه الضَّلالةَ بصرفِ قُدرته إلى مباديها وإعراضِه عمَّا يُرشده إلى الحق بالكُلِّية وعدم تأثُّرِه بوعيدِه ووعدِه أصلًا أو ومن يخذلْ ﴿**فما له من هادٍ**﴾ يُخلِّصه من ورطةِ الضَّلالِ وقيل: ذلك الذي ذُكرَ من الخشيةِ والرَّجاءِ إثر هُداه تعالى يهدي بذلكَ الأثرِ مَن يشاءُ من عباده ومَن يُضللْ أي ومَن لم يُؤثِّر فيه لطفُه لقسوةِ قلبهِ وإصرارِه على فجورِه فما له من هادٍ من مؤثِّرٍ فيه بشيءٍ قَطْ.

﴿**أفمن يتَّقي بوجهِهِ**﴾ ... إلخ استئنافٌ جارٍ مجرى التَّعليل لما قبلَه من تباينِ حالَيْ المُهتدي والضَّال. والكلامُ في الهمزةِ والفاءِ وحذفِ الخبرِ كالذي مرَّ في نظيرِهِ. والتَّقديرُ أكلُّ النَّاسِ سواءٌ فمَن شأنُه أنَّه يقِي نفسَه بوجهِهِ الذي هو أشرفُ أعضائِه ﴿**سوءَ العذابِ**﴾ أي العذابَ السَّيئَ الشَّديدَ ﴿**يومَ القيامةِ**﴾ لكون يدِهِ التي بها كان يتَّقي المكارَه والمخاوفَ مغلولةً إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتّقاء بوجهٍ من الوجوهِ. وقيل نزلتْ في أبي جهلٍ ﴿**وقيل للظَّالمين**﴾ عطفٌ على يتَّقي أي ويقالُ لهم من جهةِ خَزَنةِ النَّارِ. وصيغةُ الماضِي للدِّلالةِ على التَّحقُّقِ والتَّقررِ وقيل: هو حالٌ من ضميرِ يتَّقي بإضمارِ قَدْ، ووضع المُظهر في مقام المُضمرِ للتَّسجيلِ عليهم بالظُّلم والإشعار بعلَّةِ الأمرِ في قوله تعالى ﴿**ذُوقوا ما كنتم تكسبون**﴾ أي وبالَ ما كنتُم تكسبونَه في الدُّنيا على الدَّوامِ من الكفرِ والمعاصي.
﴿**كذَّب الذينَ من قبلهم**﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ ما أصابَ بعضَ الكفرةِ من العذابِ الدنيويِّ إثرَ بيانِ ما يُصيب الكلَّ من العذابِ الأخرويِّ. أي كذَّب الذين من قبلِهم من الأممِ السَّالفةِ. ﴿**فأتاهُم العذابُ**﴾ المقدَّرُ لكل أمَّةٍ منهم ﴿**من حيثُ لا يشعرون**﴾ من الجهةِ التي لا يحتسبونَ ولا يخطرُ ببالِهم إتيانُ الشَّرِّ منها ﴿**فأذاقَهم الله الخزي**﴾ أي الذُّلَّ والصَّغارَ ﴿**في الحياةِ الدُّنيا**﴾ كالمسخِ والخسفِ والقتلِ والسَّبي والإجلاءِ ونحوِ ذلك من فنون النَّكالِ. ﴿**ولعذابُ الآخرةِ**﴾ المعد[1] لهم ﴿**أكبرُ**﴾ لشدَّتِه وسرمديتهِ ﴿**لو كانُوا يعلمون**﴾ أي لو كانَ من شأنِهم أنْ يعلمُوا شيئًا لعلمُوا ذلكَ واعتبرُوا به ﴿**ولقد ضربَنا للنَّاس في هذا القرآنِ من كلِّ مثلٍ**﴾ يحتاجُ إليه النَّاظرُ في أمورِ دينِه ﴿**لعلَّهم يتذكَّرون**﴾ كي يتذكَّروا به ويتعظوا ﴿**قُرآنًا عربيا**﴾ حالٌ مؤكَّدةٌ من هذا على أنَّ مدارَ التَّأكيدِ هو الوصفُ كقولِك جاءني زيدٌ رَجُلًا صالِحًا أو مدحٌ له ﴿**غيرَ ذي عوجٍ**﴾ لا اختلافَ فيه بوجهٍ من الوجوهِ فهو أبلغُ من المستقيمِ وأخصُّ بالمعانِي. وقيل:

---

(١) في خ: المقدر.

المرادُ بالعوجِ الشَّكُّ. ﴿لعلَّهم يتَّقون﴾ علَّة أُخرى مترتِّبةٌ على الأولى.

﴿ضربَ الله مَثَلًا رَجُلًا فيه شركاءُ مُتشاكسون﴾ إيرادٌ لمثلٍ من الأمثالِ القُرآنيةِ بعد بيانِ أنَّ الحكمةَ في ضربِها هو التَّذكُّر والاتِّعاظُ بها وتحصيلُ التَّقوى. والمرادُ بضربِ المثل هَهُنا تطبيقُ حالةٍ عجيبةٍ بأُخرى مثلِها وجعلِها مثلَها كما مرَّ في سُورة يس ومثلًا مفعولٌ ثانٍ لـ (ضربَ) و(رجلًا) مفعولُه الأوَّلُ أُخِّر عن الثَّاني للتَّشويقِ إليه وليتَّصلَ به ما هُو من تتمتِه التي هي العُمدةُ في التَّمثيلِ[1] وفيه ليسَ بصلةٍ لـ (شركاء) كما قيل بل هُو خبرٌ له وبيانُ أنَّه في الأصلِ كذلكَ مما لا حاجةَ إليهِ. والجملةُ في حيِّزِ النَّصبِ على أنَّه وصفٌ لرجلًا أو الوصفُ هو الجارُّ والمجرورُ وشركاء مرتفعٌ به على الفاعليةِ لاعتمادِه على الموصوفِ فالمعنى جعلَ الله تعالى مثلًا للمشركِ. حسبَما يقودُ إليهِ مذهبُه من ادِّعاءِ كلٍّ من معبوديه عبوديتَه. عبدًا يتشاركُ فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورُونه في مهمَّاتهم المتباينةِ في تحيُّره وتوزُّع قلبه ﴿ورجُلًا﴾ أي وجعل للموحِّد مثلًا رجلًا ﴿سَلَمًا﴾ أي خالصًا ﴿لرجلٍ﴾ فردٍ ليس لغيره عليه سبيل أصلًا. وقرئَ سَلْمًا[2] وسِلْمًا[3] بفتح السين وكسرِها مع سكون اللَّامِ. والكُلُّ مصادرٌ من سَلم له كذا أي خلُص نُعتَ بها مبالغةً أو حُذف منها ذُو، وقرِئَ سالمًا[4] وسالم[5]، أي وهناك رجلٌ سالم. وتخصيصُ الرَّجُلِ لأنَّه أفطن لما يجري عليه من الضُّرِّ والنَّفع. ﴿هَلْ يستويانِ مَثَلًا﴾ إنكارٌ واستبعاد لاستوائِهما ونفيٌ له على أبلغِ وجهٍ وآكدِه وإيذانٌ بأنَّ ذلك من الجلاء والظُّهور بحيث لا يقدرُ أحدٌ أنْ يتفوَّه باستوائِهما أو يتلعثم في الحُكم بتباينهما ضرورةَ أنَّ أحدهما في أعلى عِلِّيِّينَ والآخرُ في أسفلِ سافلينَ. وهو السِّرُّ في إبهام

(١) ف ط: التمثل.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٧).

(٣) قرأ بها: سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو العالية، ونصر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٧)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٤٩٦)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢٧٧).

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن، وابن عباس، ومجاهد، والجحدري، وأبو عبيد، وابن مسعود، وعكرمة، وقتادة، والزهري، وأبان، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٥)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨١٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٢٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٣)، والتيسير للداني ص (١٨٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٤، ٤٢٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٧)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢٧٧).

الفاضلِ والمفضولِ وانتصاب مثلًا على التَّمييزِ أي هل يستوي حالاهُما وصفتاهُما. والاقتصارُ في التَّمييزِ على الواحد لبيان الجنسِ. وقرئ مَثَلين[1]. كقوله تعالى: ﴿وأكثر أموالًا وأولادًا﴾ [سورة التوبة، الآية ٦] للإشعارِ باختلاف النَّوعِ أو لأنَّ المرادَ هل يستويانِ في الوصفين على أنَّ الضَّميرَ للمثلينِ، لأنَّ التَّقديرَ مَثَلُ رجلٍ فيه إلخ ومَثَلُ رجلٍ إلخ. وقولُه تعالى ﴿الحمدُ لله﴾ تقريرٌ لما قبله من نفيِ الاستواءِ بطريقِ الاعتراضِ وتنبيهٌ للموحِّدين على أنَّ ما لهُم من المزيةِ بتوفيقِ الله تعالى وأنَّها نعمةٌ جليلةٌ موجبةٌ عليهم أنْ يداومُوا على حمدِه وعبادتِه أو على أنَّ بيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السَّوء صنعٌ جميلٌ ولطفٌ تامٌّ منه عزَّ وجلَّ مستوجبٌ لحمدِه وعبادتِه. وقولُه تعالى ﴿بَلْ أكثرُهم لا يعلمون﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من بيان عدمِ الاستواءِ على الوجهِ المذكورِ إلى بيانِ أنَّ أكثرَ النَّاسِ وهو المُشركون لايعلمونَ ذلك مع كمالِ ظُهورِه فيبقون في ورطةِ الشِّركِ والضَّلالِ.

وقولُه تعالى: ﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهم ميِّتُون﴾ تمهيدٌ لما يعقبُه من الاختصام[2] يوم القيامةِ. وقرئ[3] مائتٌ ومائتونَ. وقيل: كانُوا يتربَّصون برسولِ الله ﷺ موتَه أي إنَّكم جميعًا بصددِ الموتِ ﴿ثم إنَّكم يومَ القيامةِ عند ربِّكم﴾ أي مالكِ أمورِكم ﴿تختصمُون﴾ فتحتجُّ أنتَ عليهم بأنَّك بلَّغتهم ما أُرسلتَ به من الأحكام والمواعظ التي من جُملتها ما في تضاعيف هذه الآياتِ واجتهدتَ في الدَّعوةِ إلى الحق حقَّ الاجتهادِ وهم قد لجُّوا في المُكابرة والعناد. وقيل: المرادُ [به][4] الاختصامُ العامُّ الجاري في الدُّنيا بين الأنامِ. والأوَّلُ هو الأظهرُ الأنسبُ بقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٧).

(٢) في خ: الخصام.

(٣) قرأ بها: ابن محيصن، والحسن، وعيسى، وابن أبي إسحاق، وابن الزبير، واليماني، وابن أبي غوث، وابن أبي عبلة.
ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٧).

(٤) سقط في خ.

﴿فمن أظلمُ مَّمن كذَب على الله﴾ فإنَّه إلى آخرهِ مسوقٌ لبيانِ حال كلٍّ من طرفَي الاختصامِ الجاري في شأن الكفرِ والإيمانِ لا غير. أي أظلمُ من كلِّ ظالم مَنِ افترى على الله سبحانه وتعالى بأنْ أضافَ إليه الشَّريكَ والولد ﴿وكذَّب بالصِّدقِ﴾ أي الأمرِ الذي هو عينُ الحقِّ ونفسُ الصِّدقِ وهو ما جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم. ﴿إذْ جاءَهُ﴾ أي في أوَّلِ مجيئهِ من غير تدبُّرٍ فيه ولا تأمُّلٍ﴿أليسَ في جهنَّم مثوى للكافرين﴾ أي لهؤلاءِ الذين افترَوا على الله سبحانه وسارعُوا إلى التَّكذيبِ بالصدقِ من أوَّلِ الأمرِ. والجمعُ باعتبار معنى مَن كما أنَّ الإفراد في الضَّمائرِ السَّابقةِ باعتبار لفظها. أو لجنسِ الكَفَرةِ وهم داخلون في الحُكمِ دخولا أوَّليا.

﴿والذي جاءَ بالصِّدقِ وصدَّق به﴾ الموصولُ عبارةٌ عن رسولِ الله ﷺ ومَن تبعه كما أنَّ المرادَ في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا مُوسى الكتابَ لعلَّهم يهتدون﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٤٩] هو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقومه، وقيل عن الجنس المُتناول للرُّسلِ والمؤمنين بهم. ويؤيِّدُه قراءةُ ابن مسعود رضي الله عنه: «والذين جَاءُوا بالصَّدقِ وصدَّقُوا به»[١] وقيل: هو صفة لموصوفٍ محذوف هو الفَوجُ أو الفَرِيقُ ﴿أولئك﴾ الموصُوفون بما ذُكر من المجيء بالصدقِ والتصديق به ﴿هم المتَّقون﴾ المنعوتُون بالتَّقوى التي هي أجلُّ الرَّغائبِ. وقرئَ[٢] وصدَق به بالتَّخفيفِ، أي صدَقَ بِهِ [النّاسَ][٣] فأدَّاه إليهم كما نزلَ عليه من غيرِ تغيير[٤]، وقيل: وصارَ صادقًا به أي بسببهِ، لأنَّ ما جاء به من القرآن معجزةٌ دالَّةٌ على صدقه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ. وقرئَ[٥] صُدِّق به على البناء للمفعول. ﴿لهم ما يشاءون عند ربِّهم﴾ بيانٌ لما لهُم في الآخرةِ من حسنِ المآبِ بعد بيانِ ما لُهم في الدنيا من محاسنِ الأعمالِ، أي لهم كلُّ ما يشاؤونه من جلبِ المنافعِ ودفعِ المضارِّ في الآخرةِ لا في الجنَّةِ فقط، لِما أنَّ بعضَ ما يشاؤونه من تكفير السَّيئاتِ والأمن من الفَزَعِ الأكبرِ وسائرِ أهوال القيامةِ إنَّما يقع قبل دخولِ الجنَّةِ ﴿ذلك﴾ الذي ذُكر من حصول كلِّ ما يشاؤونه ﴿جزاءُ المُحسنين﴾

---

(١) ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٨١٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨)، والمعاني للفراء (٢/ ٤١٩).

(٢) قرأ بها: أبو صالح الكوفي، وعكرمة بن سليمان، ومحمد بن جحادة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٧)، وتفسير الرازي (٢٦/ ٢٧٩).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: تعبير.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٨).

أي الذينَ أحسنُوا أعمالَهم وقد مرَّ تفسيرُ الإحسان غيرَ مرَّةٍ. وقوله تعالى: ﴿**ليكفِّر الله عنهم أسوأَ الذي عملُوا**﴾ إلخ متعلِّقٌ بقوله تعالى: ﴿لهم ما يشاؤون﴾ لكن [لا][1] باعتبارِ منطوقِه ضرورةَ أنَّ التكفير المذكور لا يُتصوَّرُ كونُه غايةً لثبُوتِ ما يشاؤون لهم في الآخرةِ، كيف لا وهو بعضُ ما سيثبُتُ لهم فيها بل باعتبارِ فحواه فإنَّه حيثُ لم يكن إخبارًا بما ثبت لهم فيما مَضَى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتِي كان في معنى الوعدِ به كما مرَّ في قوله تعالى: وَعْد الله فإنه مصدر مؤكَّدٌ لما قبله من قولِه تعالى: ﴿لهم غُرفٌ من فوقها غُرفٌ﴾ [سورة الزمر، الآية ٢٠] فإنَّه في معنى وَعَدَهم الله غُرفًا فانتصبَ به وعد الله كأنَّه قيل: وَعَدَهم الله جميعَ ما يشاءونه من زوالِ المضارِّ وحصول المسارِّ ليكفِّرَ عنهم بموجب ذلك الوعدِ أسوأَ الذي عملوا دفعًا لمضارِّهم.

﴿**ويجزيهم أجرَهم بأحسن الذي كانُوا يعملون**﴾ إعطاء لمنافِعهم. وإظهارُ الاسم الجليلِ في موقعِ الإضمارِ لإبرازِ كمالِ الاعتناءِ بمضمون الكلام. وإضافةُ الأسوأِ والأحسنِ إلى ما بعدهما ليستْ من قبيل إضافةِ المفضَّلِ إلى المفضَّل عليه بل من إضافةِ الشَّيءِ إلى بعضِه للقصد إلى التَّحقيقِ والتَّوضيح من غير اعتبارِ تفضيلِه عليه، وإنَّما المُعتبر فيهما مطلقُ الفضلِ والزِّيادةِ لا على المضاف [إليه][2] المعيَّنِ بخصوصه كما في قولهم: «النَّاقصُ والأَشَجُّ أعْدَلاَ بني مَرْوانَ» خلا أنَّ الزِّيادة المعتبرةَ فيهما ليست بطريقِ الحقيقةِ بل هي في الأوَّلِ بالنَّظرِ إلى ما يليقُ بحالِهم من استعظامِ سيِّئاتِهم وإن قلَّتْ واستصغارِ حسناتِهم وإنْ جلَّتْ. والثَّاني بالنَّظرِ إلى لُطفِ أكرمِ الأكرمينَ من استكثارِ الحسنةِ اليسيرةِ ومقابلتها بالمثُوباتِ الكثيرةِ وحمل الزيادة على الحقيقةِ وإن أمكنَ في الأوَّلِ بناءً على أنَّ تخصيصَ الأسوأِ بالذكرِ لبيان تكفيرِ ما دُونه بطريقِ الأولويَّةِ ضرورةَ استلزامِ تكفيرِ الأسوأ لتكفير السيئِ لكن لمَّا لم يكُن[3] ذلك في الأحسنِ كان الأحسنُ نظمَهما في سلكٍ واحدٍ من الاعتبار. والجمعُ بين صيغتَيْ الماضِي والمستقبلِ في صلةِ الموصولِ الثَّاني دون الأوَّلِ [للإيذانِ][4] باستمرارهم على الأعمالِ الصَّالحةِ بخلاف السَّيئةِ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: يمكن.
(٤) سقط في خ.

كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

﴿أليس الله بكافٍ عبدَه﴾ إنكارٌ ونفيٌ لعدم كفايته تعالى على أبلغِ وجهٍ وآكدِه كأن الكفاية من التَّحقُّقِ والظُّهورِ بحيثُ لا يقدر أحدٌ على أنْ يتفوّه بعدمِها أو يتلعثم في الجوابِ بوجودِها. والمرادُ بالعبدِ إمَّا رسولُ الله ﷺ أو الجنسُ المنتظمُ له عليه السَّلامُ انتظامًا أوّليا. ويُؤيده قراءةُ مَن قرأ[1] عبادَهُ، وفُسِّر بالأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ. وكذا قراءةُ بكافي[2] عبادِه على الإضافة ويكافي[3] عباده على صيغة المُغالبةِ إمَّا من

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو جعفر، وخلف، ومجاهد، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٢٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧)، والتيسير للداني ص (١٨٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٠٩)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٢٢).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٢٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٩).

الكِفايةِ لإفادة المبالغة فيها، وإمَّا من المُكافأةِ بمعنى المُجازاة وهذه تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ عمَّا قالت له قُريشٌ إنَّا نخاف أنْ تخبلَك آلهتُنا ويصيبَك مضرَّتُها لعيبكِ إيَّاها وفي روايةٍ قالُوا لتكُفنَّ عن شتم آلهتِنا أو ليصيبنَّكَ منهم خَبَلٌ أو جنونٌ كما قال قومُ هودٍ ﴿إنْ نقولُ إلاَّ اعتراك بعضُ آلهتِنا بسوءٍ﴾ [سورة هود، الآية ٥٤] وذلك قوله تعالى ﴿ويُخوفونكَ بالذينَ من دونِه﴾ أي الأوثانِ التي اتَّخذوها آلهةً من دونه تعالى. والجملةُ استئنافٌ وقيل: حالٌ ﴿ومَن يُضلل الله﴾ حتَّى غفل عن كفايتِه تعالى وعصمتِه له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وخوَّفه بما لا ينفعُ ولا يضرُّ أصلًا ﴿فما له من هادٍ﴾ يهديه إلى خيرٍ ما. ﴿ومَن يهدِ الله فما له من مُضلٍّ﴾ يصرفُه عن مقصدِه أو يُصيبه بسوءٍ يخلُّ بسلوكِه إذ لا رادَّ لفعلِه ولا معارضَ لإرادتِه كما ينطقُ به قولُه تعالى ﴿أليسَ الله بعزيزٍ﴾ غالبٍ لا يُغالبُ منيعٍ لا يُمانعُ ولا يُنازعُ. ﴿ذي انتقام﴾ ينتقمُ من أعدائِه [لأوليائِه][1]. وإظهارُ الاسمِ الجليلِ في موقعِ الإضمارِ لتحقيقِ[2] مضمونِ الكلامِ وتربيةِ المهابةِ.

﴿ولئن سألتُهم مَن خلقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولنَّ الله﴾ لوضوحِ الدَّليلِ وسنوحِ السَّبيلِ ﴿قُل﴾ تبكيتًا لهُم ﴿أفرأيتُم ما تدعُون من دونِ الله إنْ أرادني الله بُضرٍّ هل هُنَّ كاشفاتُ ضُرِّه﴾ أي بعد ما تحقَّقتُم أنَّ خالق العالم العلويِّ والسُّفليِّ هو الله عزَّ وجلَّ فأخبروني أن آلهتَكم إنْ أرادني الله بضرٍّ هل يكشفنَ عنِّي ذلك الضُّر ﴿أو أرادني برحمةٍ﴾ أي أو أرادني بنفع ﴿هل هنَّ ممسكاتُ رحمتِه﴾ فيمنعنها عنِّي. وقرئ[3] كاشفاتٌ ضرَّه وممسكاتٌ[4] رحمتَه بالتَّنوينِ فيهما ونصبِ ضُره ورحمته. وتعليق إرادة الضُّر والرَّحمةِ بنفسه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ للردِّ في نحورِهم حيث كانُوا [خوّفوه

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: لتحقق.
(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، والكسائي، والحسن، وابن محيصن، وشيبة، ويعقوب، وشعبة، والأعرج، وعمرو بن عبيد، وعيسى، واليزيدي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٢٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٦)، والتيسير للداني ص (١٩٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٩٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٩).
(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، والكسائي، والحسن، وابن محيصن، وشيبة، ويعقوب، وشعبة، والأعرج، وعمرو بن عبيد، وعيسى، واليزيدي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٢٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٨)، والتيسير للداني ص (١٩٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣١٠).

معرَّةَ][١] الأوثانِ ولما فيه من الإيذانِ بإمحاضِ النَّصيحةِ. ﴿قل حسبي الله﴾ أي في جميعِ أموري من إصابةِ الخير ودفعِ الشَّرِّ. رُوي أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا سألهم سكتُوا فنزلَ ذلك ﴿عليه يتوكَّل المتوكِّلون﴾ لا على غيرِه أصلًا لعلمهم بأنَّ كلَّ ما سواه تحت ملكوتِه[٢] تعالى: ﴿قُل يا قومِ اعملُوا على مكانتِكم﴾ على حالتِكم التي أنتمُ عليها من العداوة التي تمكَّنتُم فيها فإنَّ المكانة تُستعار من العَين للمعنى كما تُستعار هُنا وحَيثُ للزَّمانِ مع كونِهما للمكانِ. وقرئ[٣] على مكاناتِكم ﴿إنِّي عاملٌ﴾ أي على مكانتِي فحذف للاختصارِ والمبالغةِ في الوعيدِ والإشعارِ بأنَّ حالَه لا تزال تزداد قوَّةً بنصر الله عزَّ وجلَّ وتأييدِه ولذلك توعَّدهم بكونه منصُورًا عليهم في الدَّارينِ بقوله تعالى ﴿فسوفَ تعلمون﴾ ﴿من يأتيهِ عذابٌ يخزيه﴾ فإنَّ خِزي أعدائِه دليلُ غلبتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقد عذَّبهم الله تعالى وأخزاهم يومَ بدرٍ. ﴿ويحلُّ عليهم عذابٌ مُقيم﴾ أي دائمٌ وهو عذابُ النَّارِ.

﴿إنَّا أنزلنا عليك الكتاب للنَّاسِ﴾ لأجلِهم فإنَّه مناطُ مصالحِهم في المعاشِ والمعادِ ﴿بالحقِّ﴾ حال من فاعل أنزلَنا أو من مفعولِه ﴿فمنِ اهتدى﴾ بأنْ عملَ بما فيه ﴿فلنفسِه﴾ أي إنَّما نفعَ به نَفسه ﴿ومَن ضلَّ﴾ بأنْ لم يعمل بموجبِه ﴿فإنَّما يضلُّ عليها﴾ لما أنَّ وبالَ ضلاله مقصورٌ عليها.

﴿وما أنتَ عليهم بوكيلٍ﴾ لتُجبرَهم على الهُدى، وما وظيفتُك إلَّا البلاغُ وقد بلَّغت أيَّ بلاغ ﴿الله يتوفَّى الأنفسَ حين موتِها والتي لم تمتْ في منامِها﴾ أي يقبضِها من الأبدانِ بأنْ يقطع تعلُّقها عنها وتصرُّفها فيها إمَّا ظاهرًا [و][٤] باطنًا كما عند الموتِ أو ظاهرًا فقط كما عند النَّومِ ﴿فيمسك التي قَضَى عليها الموت﴾ ولا يردُّها إلى البدنِ. وقرئ[٥] قُضِيَ على البناءِ للمفعولِ ورفعِ الموت. ﴿ويُرسل الأُخرى﴾ أي النَّائمةَ إلى بدنها عند التَّيقظِ ﴿إلى أجلٍ مُسمًّى﴾ هو الوقتُ المضروبُ لموتِه وهو غاية

---

(١) في خ: حرفوه معود. (٢) في خ: ملكته. (٣) قرأ بها: شعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والتيسير للداني ص (١٠٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩) ، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٠)، والكشف للقيسي (١/ ٤٥٢).
(٤) في خ: أو.
(٥) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب، وطلحة، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣١)، والتيسير للداني ص (١٩٠)، (١٥/ ٢٦٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٠٠).

لجنس الإرسال الواقعِ بعد الإمساكِ لا لفردٍ منه فإنَّ ذلك مما لا امتدادَ فيه ولا كميَّة. وما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ في ابنِ آدمَ نَفسًا ورُوحًا بينهما مثلُ شعاع الشَّمسِ فالنفسُ هي التي بها العقلُ والتَّمييزُ[١] والرُّوحُ [هي][٢] التي بها النَّفسُ والتَّحركُ فتتوفيان عند الموتِ وتُوفى[٣] النَّفسُ وحدَها عند النَّوم قريبٌ مما ذُكر.

﴿إنَّ في ذلك﴾ أي فيما ذُكر من التَّوفِّي على الوجهينِ والإمساكِ في أحدِهما والإرسالِ في الآخرِ ﴿لآياتٍ﴾ عجيبةً دالَّةً على كمال قُدرته تعالى وحكمته وشمول رحمتِه ﴿لقوم يتفكَّرون﴾ في كيفيةِ تعلُّقِها بالأبدان وتوفِّيها عنها تارة بالكُلِّيةِ كما عند الموت وإمساكها باقيةً لا تفنى بفنائِها وما يعتريها من السَّعادةِ والشَّقاوةِ وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النَّوم وإرسالها حينًا بعد حينٍ إلى انقضاءِ آجالِها ﴿أم اتَّخذوا﴾ أي بل اتَّخذ قُريشٌ ﴿من دُون الله﴾ من دُون إذنِه تعالى ﴿شفعاءَ﴾ تشفعُ لهم عنده تعالى؟ ﴿قل أولَو كانُوا لا يملكون شيئًا ولا يَعقلون﴾ الهمزةُ لإنكار الواقع واستقباحِه والتَّوبيخِ عليه أي قل أَتتخذونهم شفعاءَ ولو كانُوا لا يملكون شيئًا من الأشياء ولا يعقلونَه [فضلًا][٤] عن أنْ يملكوا الشَّفاعةَ عند الله تعالى أو[٥] هي لإنكارِ الوقوع ونفيه على أنَّ المرادَ بيانُ أنَّ ما فعلوا ليس من اتِّخاذِ الشُّفعاءِ في شيء لأنَّه فرعُ كونِ الأوثان شفعاءَ وذلك أظهرُ المحالاتِ فالمقدَّر حينئذٍ غيرُ ما قُدِّر أوَّلًا وعلى أي تقديرٍ كان فالواو للعطفِ على شرطيةٍ قد حُذفتْ للدلالة[٦] المذكورةِ عليها أي أيشفعون لو كانُوا يملكون شيئًا ولو كانُوا لا يملكون إلخ وجوابُ لو محذوف لدلالةِ المذكور عليه وقد مرَّ تحقيقُه مرارًا. ﴿قُلْ﴾ بعد تبكيتِهم وتجهيلِهم بما ذُكر تحقيقًا للحقِّ ﴿لله الشَّفاعةُ جميعًا﴾ أي هو مالُكها لا يستطيعُ أحدٌ شفاعةً ما إلاَّ أن يكونَ المشفوعُ له مرتضًى، والشَّفيعُ مأذونًا له وكلاهما مفقودٌ هاهنا.

وقولُه تعالى ﴿له ملكُ السَّمواتِ والأرضِ﴾ تقريرٌ له وتأكيدٌ أي له ملكُهما وما فيهما من المخلوقاتِ لا يملك أحدٌ أنْ يتكلَّم في أمرٍ من أمورِه بدونِ إذنِه ورضاه ﴿ثمَّ إليه تُرجعون﴾ يومَ القيامةِ لا إلى أحدٍ سواهُ لا استقلالًا ولا اشتراكًا فيفعل يؤمئذٍ ما يريدُ ﴿وإذا ذُكر الله وحدَه﴾ دون آلهتِهم ﴿اشمأزَّتْ قلوبُ الذين لا يُؤمنون بالآخرةِ﴾ أي انقبضتْ ونَفَرتْ كما في قوله تعالى: ﴿وإذا ذَكرت ربَّك في القُرآنِ وحدَه ولَّوا على

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٨١).
(٢) سقط في خ. (٣) في خ: وتبقى. (٤) سقط في خ.
(٥) في خ: إذ. (٦) في ط: لدلالة.

أدبارِهم نُفورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٤٦] ﴿وإذا ذُكر الذين مِن دونه﴾ فُرادى أو مع ذكرِ الله تعالى ﴿إذا هم يَستبشرون﴾ لفرطِ افتتانهم بها ونسيانِهم حقَّ الله تعالى، ولقد بُولغ في بيان حالَيهم القبيحتينِ حيثُ بيّن الغاية فيهما فإنَّ الاستبشارَ هو أنْ يمتلئ القلب سُرورًا حتَّى تنبسطَ له بَشَرَةُ الوجهِ، والاشمئزازُ أنْ يمتلئ غيظًا وغمًّا ينقبضُ منه أديمُ الوجهِ. والعاملُ في إذا الأولى اشمأزَّت، وفي الثَّانيةِ ما هو العاملُ في إذا المفاجئةِ[1] تقديرُه وقتَ ذكرِ الذين من دُونه فاجئوا وقتَ الاستبشارِ.

﴿قلِ اللهمَّ فاطر السَّمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: التجئ إليه تعالى بالدُّعاءِ لما تحيَّرتَ في أمر الدَّعوةِ وضجرت من شدَّةِ شكيمتهم في المُكابرة والعناد فإنَّه القادرُ على الأشياء بجُملتها والعالمُ بالأحوال بُرمَّتِها. ﴿أنتَ تحكمُ بين عبادِك فيما كانُوا فيهِ يختلفون﴾ أي حُكمًا يُسلمه كلُّ مكابرٍ معاند، ويخضعُ له كلُّ عاتٍ مارد وهو العذابُ الدنيويُّ أو[2] الأخرويُّ. وقولُه تعالى ﴿ولو أنَّ للذينَ ظلمُوا ما في الأرضِ جَميعًا﴾ إلخ كلامٌ مستأنف مسوقٌ لبيان آثارِ الحُكم الذي استدعاه النبيُّ ﷺ وغايةِ شدَّتِه وفظاعتِه أي لو أنَّ لهم جميعَ ما في الدُّنيا من الأموال والذَّخائرِ. ﴿ومثلَه معه لافتدَوا به من سُوء العذابِ يومَ القيامةِ﴾ أي لجعلُوا كلَّ ذلك فديةً لأنفسهم من العذاب الشَّديدِ وهيهاتَ ولاتَ حينَ مناصٍ. وهذا كما ترى وعيدٌ شديدٌ وإقناطٌ كليٌّ لهم من الخلاصِ. ﴿وبَدَا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أي ظهرَ لهم من فُنون العقوباتِ ما لم يكن في حسابهم. وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قولُه تعالى: ﴿فلا تعلمُ ما أُخفي لهم من قُرَّةِ أعين﴾ [سورة السجدة، الآية ١٧] ﴿وبدا لهم سيِّئاتُ ما كسَبُوا﴾ سيئات أعمالِهم أو كسبِهم حين تُعرض عليهم صحائفهم ﴿وحاقَ بهم ما كانُوا به يستهزئون﴾ أي أحاطَ بهم جزاؤُه ﴿فإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانا﴾ إخبارٌ عن الجنسِ بما يفعله غالبُ أفرادِه. والفاءُ لترتيب ما بعدها من المناقضةِ. والتَّعكيس على ما مرَّ من حالتيهم القبيحتينِ وما بينهما اعتراضٌ مؤكِّدٌ للإنكار عليهم أي: أنَّهم يشمئزُّون عن ذكرِ الله تعالى وحدَهْ ويستبشرون بذكرِ الآلهةِ فإذا مسَّهم ضُرٌّ دَعَوا مَن اشمأزُّوا عن ذكره دون مَن استبشرُوا بذكرِه ﴿ثمَّ إذا خوَّلناهُ نعمةً منَّا﴾ أعطيناهُ إيَّاها تفضُّلًا، فإنَّ التَّخويل مختصٌّ به لا يُطلق على ما أُعطي جزاءً ﴿قال إنَّما أُوتيته على علم﴾ أي على علم منِّي بوجوهِ كسبِه أو بأنِّي سأعطاه لَما لِي من الاستحقاقِ أو على علمٍ من الله تعالى بي وباستحقاقي.

---

(١) في خ: الفجائية.

(٢) في خ: و.

والهاءُ لما أنْ جُعلتْ موصولةً، وإلَّا فلِنعمة والتَّذكيرُ لما أنَّ المرادَ شيء من النعمةِ ﴿بل هي فتنةٌ﴾ أي محنةٌ وابتلاءٌ له أيشكرُ أم يكفرُ وهو ردٌّ لما قاله. وتغييرُ السَّبكِ للمبالغة فيهِ والإيذانِ بأنَّ ذلك ليس من بابِ الإيتاءِ المُنبئ عن الكرامةِ وإنَّما هو أمرٌ مباين له بالكُلِّيةِ. وتأنيثُ الضَّميرِ باعتبار لفظ النِّعمةِ أو باعتبار الخبرِ وقرئ بالتَّذكيرِ[١].

﴿ولكنَّ أكثَرهم لا يعلمون﴾ أنَّ الأمرَ كذلك وفيه دلالةٌ على أنَّ المراد بالإنسانِ هو الجنسُ ﴿قد قالها الذين مِن قبلهم﴾ الهاء لقوله إنَّما أُوتيته على علم لأنَّها كلمةٌ أو جملةٌ وقرئ بالتَّذكيرِ[٢]، والموصول عبارةٌ عن قارونَ وقومِه حيثُ قال إنَّما أُوتيته على علمٍ عندي وهم راضُون به. ﴿فما أغنى عنهُم ما كانُوا يكسبون﴾ من متاعِ الدُّنيا ويجمعون منه. ﴿فأصابَهم سيِّئاتُ ما كسبُوا﴾ جزاءُ سيِّئاتِ أعمالِهم أو أجزيةُ ما كسبُوا. وتسميتها سيِّئاتٍ لأنَّها في مقابلة سيِّئاتِهم وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثلُها ﴿والذين ظلمُوا من هؤلاءِ﴾ المشركين ومِن للبيان أو للتَّبعيضِ أي أفرطوا في الظُّلم والعُتوِّ. ﴿سيُصيبهم سيِّئاتُ ما كسبُوا﴾ من الكُفر والمَعاصي كما أصاب أولئك. والسِّينُ للتَّأكيدِ. وقد أصابهم أيَّ إصابةٍ حيثُ قحطوا سبعَ سنين وقُتل صناديدُهم يومَ بدرٍ ﴿وما هُم بمعجزين﴾ أي فائتين.

﴿أو لم يعلمُوا﴾ أي أقالُوا ذلك ولم يعلمُوا أو أغفلُوا ولم يعلمُوا ﴿أنَّ الله يبسطُ الرِّزقَ لمن يشاءُ﴾ أنْ يبسطَه له ﴿ويقدرُ﴾ لمن يشاء أن يقدرَه له من غيرِ أن يكون لأحدٍ مدخلٌ ما في ذلك حيثُ حبسَ عنهم الرِّزقَ سبعًا ثم بسطَه لهم سبعًا ﴿إنَّ في ذلك﴾ الذي ذُكر ﴿لآياتٍ﴾ دالَّةً على أنَّ الحوادثَ كافَّةً من الله عزَّ وجلَّ. ﴿لقومٍ يُؤمنون﴾ إذ هم[٣] المستدلُّون بها على مدلولاتِها.

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٢).

(٢) ينظر: السابق (٣/ ٤٠٣).

(٣) في خ: إنهم.

حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾

﴿**قُل يا عبادي الذين أسرفُوا على أنفسهم**﴾ أي أفرطُوا في الجنايةِ عليها بالإسرافِ في المعَاصي. وإضافةُ العبادِ تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم.

﴿**لا تقنطُوا من رحمةِ الله**﴾ أي لا تيأسُوا من مغفرته [أولًا][1] و[لا][2] تفضُّلِه ثانيًا ﴿**إنَّ الله يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا**﴾ عفوًا لمن يشاءُ ولو بعد حينٍ بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء. وتقييده بالتَّوبةِ خلاف الظَّاهرِ كيف لا وقوله تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغفرُ أنْ يُشركَ به ويغفر ما دُون ذلك لمَن يشاء﴾ [سورة النساء، الآية ١١٦] ظاهرٌ في الإطلاقِ فيما عدا الشِّركَ. وممَّا يدلُّ عليه التَّعليلُ بقوله تعالى ﴿**إنَّه هوُ الغفورُ الرَّحيمُ**﴾ على المبالغة وإفادةِ الحصرِ والوعد بالرَّحمةِ بعد المغفرة وتقديمُ ما يستدعي عمومَ المغفرة مما في عبادي من الدِّلالةِ على الذِّلَّةِ والاختصاص[3] المقتضيينِ للتَّرحم، وتخصيصُ ضررِ الإسرافِ بأنفسهم والنَّهيُ عن القُنوطِ مطلقًا عن الرَّحمةِ فضلًا عن المغفرة وإطلاقِها وتعليلهُ بأنَّ الله يغفرُ الذُّنوبَ ووضعُ الاسمِ الجليلِ موضعَ الضَّميرِ لدلالتهِ على أنَّه المستغني والمنعمُ على الإطلاقِ.

والتأكيد بالجميعِ وما رُوي من أسبابِ[4] النُّزولِ الدَّالَّةِ على ورود الآيةِ فيمن تابَ لا يقتضِي اختصاصَ الحكم بهم ووجوبُ حملِ المطلقِ على المقيد في كلام العرب مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملينَ غيرُ مسلَّم فكيف فيما هو بمنزلةِ كلام واحدٍ [وَ][5] لا يخلُّ بذلك الأمرُ بالتَّوبةِ، والإخلاصِ في قوله تعالى: ﴿**وأنيبُوا إلى ربِّكم وأسلمُوا له من قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ ثمَّ لا تُنصرون**﴾ إذ ليسَ المدَّعَى أنَّ الآيةَ تدلُّ على حصولِ المغفرةِ لكل أحدٍ من غير توبةٍ وسبقِ تعذيبٍ لتُغنيَ[6] عن الأمرِ بهما وتُنافي الوعيدَ بالعذابِ ﴿**واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربِّكم**﴾ أي القرآنَ أو المأمورَ به دون المنهيِّ عنه أو العزائمَ دون الرُّخصِ أو النَّاسخَ دون المنسوخ ولعلَّه ما هو أنجى وأسلم كالإنابةِ والمواظبةِ على الطَّاعةِ ﴿**من قبلِ أنْ يأتيكم العذابُ بغتةً وأنتم لا تشعرون**﴾

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في ط.
(٣) زاد في خ: من.
(٤) في خ: الأسباب.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: ليغني.

بمجيئِه لتتداركوا وتتأهَّبوا له ﴿**أنْ تقولَ نفسٌ**﴾ أي كراهةَ أنْ تقولَ. والتَّنكيرُ للتَّكثيرِ كما في قولِه تعالى: ﴿علمتْ نفسٌ ما أحضرت﴾ [سورة التكوير، الآية ١٤] فإنَّه مسلكٌ ربَّما يسلك عند إرادة التكثيرِ والتَّعميمِ، وقد مرَّ تحقيقُه في مطلع سورة الحجرِ ﴿**يا حسرتا**﴾ بالألفِ بدلًا من ياءِ الإضافةِ وقرئ[١] يا حسرتَاه بهاء السَّكتِ وقفًا. وقرئ[٢] يا حسرتَاي بالجمعِ بين العوضينِ. وقرئ[٣] يا حسرتِي على الأصلِ أي احضُرِي فهذا أوانُ حُضورِكِ. ﴿**على ما فرَّطت**﴾ أي على تفريطي وتقصيرِي ﴿**في جنبِ الله**﴾ أي: جانبِه وفي حقه وطاعتِه وعليه قولُ مَن قال: [الطويل]

أَمَا تتَّقينَ اللهَ في جنبِ وامقٍ ... لَه كَبدٌ حَرَّى وَعَينٌ ترقرقُ[٤]

وهو كنايةٌ فيها مبالغة[٥] وقيل: في ذاتِ الله على تقديرِ مضافٍ كالطَّاعة وقيل: في قُربِه من قوله تعالى: ﴿والصَّاحبِ بالجَنب﴾ [سورة النساء، الآية ٣٦] وقرئ[٦] في ذكرِ الله ﴿**وإنْ كنتُ لمن السَّاخرينَ**﴾ أي المُستهزئين بدينِ الله تعالى وأهلِه. ومحلُّ الجملةِ النَّصب على الحالِ أي فرَّطتُ وأنا ساخرٌ ﴿**أو تقولَ لو أنَّ الله هداني**﴾ بالإرشاد إلى الحقِّ ﴿**لكنتُ من المتقين**﴾[٧] الشِّركَ والمعاصيَ ﴿**أو تقولَ حين ترى العذابَ لو أنَّ لي كرَّةً**﴾ رجعةً إلى الدُّنيا ﴿**فأكونَ من المحسنين**﴾ في العقيدةِ والعملِ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٣).

(٢) قرأ بها: ابن وردان، وأبو جعفر، وابن جماز.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٣).

(٣) قرأ بها: الحسن، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٦).

(٤) البيت لكثير في ديوانه ص (٧٣)، وتفسير القرطبي (١٥، ٢٧١)، ولسابق البربري في: البحر المحيط (٧/ ٤٣٥)، والكشاف (٣/ ٤٠٤).

(٥) والكناية لون بياني سبق الحديث عنه.
ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي، ص (١٨٩)، ودلائل الإعجاز، ص (٥١)، وسر الفصاحة (٢٢١)، والإيضاح مع البغية (٣/ ١٧٣) وما بعدها.

(٦) قرأ بها: ابن مسعود، وحفصة.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٤).

(٧) زاد في خ: من.

وأو للدِّلالةِ على أنَّها لا تخلُو عن هذه الأقوالِ تحسُّرًا وتحيُّرًا وتعلُّلًا بما لا طائل تحته. وقولُه تعالى: ﴿بَلَى قد جاءتك آياتِي فكذَّبتَ بها واستكبرتَ وكُنتَ من الكافرينَ﴾ رد من الله تعالى عليه لما تضمَّنه قولُه لو أنَّ الله هداني من معنى النَّفي وفصله عنه لما أنَّ تقديمَه يفرقُ القرائنَ وتأخيرُ المردودِ يخلُّ بالتَّرتيب الوجوديِّ لأنَّه يتحسَّرُ بالتَّفريطِ ثم يتعلَّلُ بفقدِ الهدايةِ ثم يتمنَّى الرَّجعةَ وهو لا يمنعُ تأثيرَ قُدرةِ الله تعالى في فعلِ العبدِ ولا ما فيه من إسنادِ الفعلِ إليه كما عرفتَ، وتذكيرُ الخطاب باعتبار المَعنى وقرئ[1] بالتَّأنيثِ ﴿ويومَ القيامةِ تَرى الذين كذَبُوا على الله﴾ بأنْ وصفُوه بما لا يليقُ بشأنِه كاتِّخاذ الولدِ ﴿وجوهُهم مسودَّة﴾ بما ينالهم من الشِّدَّةِ أو بما يتخيَّلُ عليها من ظُلمة الجهل. والجملةُ حالٌ قد اكتفُي فيها بالضَّميرِ عن الواوِ على أنَّ الرُّؤيةَ بصريةٌ أو مفعولٌ ثانٍ لها على أنَّها عِرفانيةٌ ﴿أليسَ في جهنَّم مَثْوى﴾ أي مقامٌ ﴿للمتكبِّرين﴾ عن الإيمانِ والطَّاعةِ، وهو تقريرٌ لما قبله من رُؤيتهم لذلك ﴿وينجِّي الله الذين اتَّقوا﴾ الشِّركَ والمعاصيَ أي من جهنَّم. وقرئ[2] يُنْجِي من الإنجاء. ﴿بمفازتِهم﴾ مصدرٌ ميميٌّ إما من فاز بالمطلوب أي ظفر به، والباءُ متعلقة بمحذوفٍ هو حالٌ من الموصول مفيدةٌ[3] لمقارنة تنجيتهم[4] من العذاب لنيلِ الثَّواب أي ينجِّيهم الله تعالى من مَثْوى المتكبِّرينَ ملتبسين بفوزِهم بمطلوبِهم الذي هو الجنَّةُ. وقوله تعالى ﴿لا يمسهم السُّوءُ ولا هُم يحزنون﴾ إمَّا حالٌ أخرى من الموصول أو من ضميرِ مفازتِهم مفيدةٌ لكون نجاتِهم أو فوزِهم بالجنة غيرَ مسبوقةٍ بمساس العذاب [والحزن][5]. وإمَّا من فازَ منه أي نجا منه، والباءُ للملابسة.

قولُه تعالى: ﴿لا يمسُّهم﴾ إلى آخرِه[6] تفسيرٌ وبيانٌ لمفازتِهم أي: ينجِّيهم الله

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وابن يعمر، والجحدري، وأبو حيوة، والزعفراني، وابن مقسم، ومسعود بن صالح، والشافعي، ومحمد بن عيسى، ونصير، والعبسي، وأبو بكر الصديق، وعائشة، وأم سلمة، و ابن إياس.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٨٢٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٦)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٥)، والمعاني للفراء (٢/ ٤٢٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٧).

(٢) قرأ بها: روح.
ينظر: التبيان للطوسي (٩/ ٤١)، وتفسير الطبري (٢٤/ ١٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٧٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٩).

(٣) في ط: مفيد.

(٤) في خ: تنجهم.

(٥) سقط في خ.

(٦) زاد في خ: إما.

تعالى ملتبسين بنجاتِهم الخاصَّةِ بهم أي: بنفي السُّوءِ[١] والحُزنِ عنهم أو للسَّببيةِ إمَّا على حذفِ المضافِ أي: ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يُشعر به إيراده في حيِّزِ الصِّلةِ، وإمَّا على إطلاقِ المفازةِ على سببها الذي هو التَّقوى وليس المرادُ نفيَ دوام المساسِ والحزن بل دوام نفيهما كما مرَّ مرارًا.

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿الله خالقُ كلِّ شيءٍ﴾ من خيرٍ وشرٍّ وإيمان وكفر لكن لا بالجَبْرِ بل بمباشرة الكاسب[٢] لأسبابِها، ﴿وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾ يتولَّى التَّصرُّف فيه كيفما يشاء ﴿له مقاليدُ السَّمواتِ والأرضِ﴾ لا يملك أمرَها ولا يتمكَّن من التَّصرُّف فيها غيرُه وهو عبارة عن قُدرته تعالى وحفظِه لها، وفيها[٣] مزيدُ دلالةٍ على الاستقلالِ والاستبداد لأنَّ الخزائن لا يدخُلها ولا يتصرَّفُ فيها إلا من بيده مفاتيحُها. وهو جمعُ مِقْليدٍ[٤] أو مِقلادٍ من قلَّدتُه إذا ألزمتُه، وقيل: جمعُ إقليدٍ معرَّب كَليدٍ[٥] على الشُّذوذِ

(١) في ط: المسوء. (٢) في خ: المكاسب. (٣) في خ: وفيه.
(٤) في خ: تقليد. (٥) في خ: كلمة.

كالمذاكيرِ. وعن عثمانَ رضي الله عنه أنَّه سألَ النبيَّ ﷺ عن المقاليدِ فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**تفسيرُها لا إلَه إلاَّ الله والله أكبرُ وسبحانَ الله وبحمدِه وأستغفرُ الله ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العليّ العظيمِ هو الأوَّلُ والآخرُ والظَّاهرُ والباطنُ بيدِه الخيرُ يُحيي ويُميتُ وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ**»[١] والمعنى على هذا أنَّ الله هذه الكلمات يُوحد بها ويُمجّد وهي مفاتيحُ خيرِ السَّمواتِ والأرضِ من تكلَّم بها أصابَه ﴿**والذينَ كفرُوا بآياتِ الله أولئك هم الخاسرُون**﴾ متَّصلٌ بما قبله والمعنى أنَّ الله تعالى خالقٌ لجميع الأشياءِ ومتصرِّفٌ فيها كيفما يشاءُ بالإحياء والإماتة بيده مقاليدُ العالم العلويِّ والسُّفليِّ. والذي كفرُوا بآياته التَّكوينيَّةِ المنصوبةِ في الآفاق والأنفسِ والتَّنزيليةِ التي من جُملتها هاتيك الآيات النَّاطقةُ بذلك هم الخاسرون خُسرانًا لا خسارَ وراء هذا، هذا وقيل: هو متَّصلٌ بقوله تعالى: ﴿وينجِّي الله﴾ وما بينهما اعتراضٌ فتدبر.

﴿**قُل أفغيرَ الله تأمرونّي أعبدُ أَيُّها الجاهلون**﴾ أي أبعدَ مشاهدةِ هذه الآياتِ غيرَ الله أعبدُ، وتأمروني اعتراضٌ للدِّلالةِ على أنَّهم أمرُوه به عَقيب ذلكَ وقالُوا استلمْ بعضَ آلهتِنا نؤمنُ بإلهك لفرطِ غباوتِهم. ويجوزُ أن ينتصبَ غيرُ بما يدلُّ عليه تأمروني أعبدُ لأنَّه بمعنى تعبدونني، وتقولون لي أعبد على أنَّ أصلَه تأمرونني[٢] أنْ أعبدَ فحُذف أنْ ورُفعَ ما بعدَها كما في قوله: [الطويل]

أَلاَ أيُهذا الزَّاجري أحضُرَ الوَغَى ... وأنْ أشهدَ اللذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلدِي[٣]

ويؤيِّدهُ قراءةُ أعبدَ[٤] بالنَّصبِ وقرئ تأمرونني[٥] بإظهارِ النُّونينِ على الأصلِ وبحذفِ الثَّانيةِ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣/ ٣٦٤) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١١١٧، ٤/ ٢٣١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص-١٣) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٧٢) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٤) من طريق أبي الهزيل مخلد عن عبد الرحمن المدني عن ابن عمر. وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح أما الأغلب فقال يحيى: ليس بشيء، وأما مخلد فقال ابن حبان: منكر الحديث جدا ينفرد بمناكير لا تشبه أحاديث الثقات.
وله طريق آخر عند ابن مردويه كما في «اللآلي المصنوعة» (١/ ٨٧-٨٩) وفي إسناده سعيد بن مسلمة وقد ضعفوه، وينظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ١٩٢-١٩٣).

(٢) في ط: تأمروني.

(٣) تقدم.

(٤) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٧).

(٥) قرأ بها: ابن عامر، وابن ذكوان، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٧٦، ٣٧٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٣٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٣، ٣٦٤).

﴿ولقد أُوحي إليك وإلى الذين مِن قبلك﴾ أي من الرُّسلِ عليهم السَّلامُ ﴿لئن أشركتَ ليحبطنَّ عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾ كلامٌ واردٌ على طريقةِ الفرضِ لتهييجِ الرُّسلِ وإقناط الكفرةِ والإيذانِ بغايةِ شناعةِ الإشراكِ وقُبحِهِ وكونِه بحيثُ ينهى عنه من لا يكادُ يمكن أنْ يباشرَه فكيف بمن عداهُ. وإفرادُ الخطاب باعتبار كلِّ واحدٍ واللامُ الأولى مُوطِّئة[1] للقسم والأخريانِ للجوابِ وإطلاق الإحباطِ يحتملُ أنْ يكون من خصائصِهم [عند الإشراكِ منهم][2] لأنَّ الإشراكَ منهم أشدُّ وأقبحُ وأن يكون مقيدًا بالموتِ كما صَّرح به في قوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينِه فيمتْ وهو كافرٌ فأولئك حبطتْ أعمالُهم﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٧] وعطفُ الخسران عليه من عطفِ المسبَّبِ على السَّببِ.

﴿بل الله فاعبُدْ﴾ ردٌّ لما أمروه به ولولا دلالةُ التَّقديمِ على القصرِ لم يكن كذلك ﴿وكن من الشاكرين﴾ إنعامه عليك وفيه إشارة إلى ما يُوجب الاختصاصَ ويقتضيهِ. ﴿وما قَدُروا الله حقَّ قدرِه﴾ ما قدرُوا عظمتَه تعالى في أنفسهم حقَّ عظمتِه حيثُ جعلُوا له شريكًا ووصفُوه بما لا يليقُ بشؤونِه الجليلةِ وقرئ[3] بالتَّشديدِ ﴿والأرضُ جميعًا قبضتُه يومَ القيامةِ والسَّموات مطويَّاتٌ بيمينِهِ﴾ تنبيهٌ على غاية عظمتِه وكمالِ قُدرته وحقارةِ الأفعال العظامِ التي تتحيَّر فيها الأوهام بالنسبةِ إلى قدرته تعالى ودلالةٌ على أنَّ تخريبَ العالم أهونُ شيءٍ عليه على طريقةِ التَّمثيل والتَّخييلِ من غير اعتبارِ القبضةِ واليمينِ حقيقةً ولا مجازًا كقولِهم شابتْ لُمَّةُ اللَّيلِ[4]. والقبضةُ المرَّةُ من القبضِ أُطلقت بمعنى القبضةِ هي المقدارُ المقبوضُ بالكفِّ تسميةً بالمصدرِ أو بتقديرِ ذات قبضةٍ. وقرئ[5] بالنَّصبِ على الظَّرفِ تشبيهًا للموقَّتِ بالمُبهمِ. وتأكيدُ الأرضِ بالجميع لأنَّ المرادَ بها الأرضون السَّبعُ أو[6] جميعُ أبعاضِها الباديةِ والغائرة. وقرئ[7] مطوياتٍ على أنَّها حالٌ والسَّمواتُ معطوفةٌ على الأرضُ منظومةٌ في حُكمِها.

---

(١) في خ: توطيئية.
(٢) سقط في خ.
(٣) قرأ بها: الحسن، وعيسى، وأبو نوفل، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٨).
(٤) شابت لُمَّة الليل: اشتداد سواده وهو من اللَّمى أي سواد الشفة.
(٥) قرأ بها: الحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٧)، والإعراب للنحاس (٢/ ٨٣٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٠).
(٦) في خ: و.
(٧) قرأ بها: عيسى، والجحدري.
ينظر: الإعراب للنحاس (٢/ ٨٣٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٠).

﴿سبحانَه وتعالى عمَّا يُشركون﴾ ما أبعدَ وما أعلى مَنْ هذه قدرتُه وعظمتُه عن إشراكِهم أو عمَّا يُشركونه من الشُّركاءِ.

﴿ونُفخ في الصُّورِ﴾ هي النَّفخةُ الأولى ﴿فصَعِق مَن في السَّمواتِ ومَن في الأرضِ﴾ أي خرُّوا أمواتًا أو مغشيًّا عليهم ﴿إلَّا مَن شاءَ الله﴾ قيل: هم جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ فإنَّهم لا يموتُون بعد وقيل: حَمَلةُ العرشِ. ﴿ثمَّ نُفخ فيه أُخرى﴾ نفخةٌ أخرى هي النَّفخةُ الثَّانيةُ. وأُخرى يحتملُ النَّصبَ والرَّفعَ. ﴿فإذَا هم قيامٌ﴾ قائمون من قبورِهم أو متوقفون. وقرئ[1] بالنَّصبِ على أنَّ الخبرَ ﴿ينظرون﴾ وهو حالٌ من ضميرِه والمعنى يُقلِّبون أبصارَهم في الجوانبِ كالمبهوتينَ أو ينتظرون ما يفعل بهم. ﴿وأشرقتِ الأرضُ بنورِ ربِّها﴾ بما أقام فيها من العدلِ استُعير له النُّورُ لأنَّه يزيِّنُ البقاعَ و[2] يُظهر الحقوقَ كما يسمَّى الظُّلم ظُلمةً، [وفي الحديثِ][3]: «الظُّلم ظلماتٌ يومَ القيامةِ»[4] ولذلك أضيف الاسمُ الجليلُ [إلى ضميرِ الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسُّطِ أجسامٍ مضيئةٍ ولذلك أُضيف إلى الاسمِ الجليلِ][5]. ﴿ووُضع الكتابُ﴾ الحسابُ والجزاءُ من وضع المحاسبِ كتابَ المحاسَبةِ بين يديه أو صحائفُ الأعمال في أيدي العمَّالِ واكتفى باسم الجنسِ عن الجمعِ وقيل: اللوحُ المحفوظُ يقابل به الصَّحائفُ. ﴿وجيء بالنبيِّنَ والشُّهداءِ﴾ للأمَم وعليهم من الملائكةِ والمؤمنينَ وقيل: المُستشَهدون ﴿وقُضِي بينهم﴾ بين العباد ﴿بالحقِّ وهم لا يُظلمون﴾ بنقصِ ثوابٍ أو زيادةِ عقابٍ على ما جرى به الوعدُ.

﴿ووفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عملتْ﴾ أي جزاءَه ﴿وهو أعلمُ بما يفعلون﴾ فلا يفوتُه شيءٌ من أفعالِهم. وقولُه تعالى ﴿وسيقَ الذين كفرُوا إلى جهنَّمَ زُمَرًا﴾ إلخ تفصيلٌ للتَّوفيةِ وبيانٌ لكيفيَّتِها أي سِيقُوا إليها بالعُنفِ والإهانةِ أفواجًا متفرقةً بعضُها في إثرِ بعضٍ مترتِّبةً حسب ترتُّبِ طبقاتهم في الضَّلالةِ والشرارةِ. والزُّمَر جمعُ زُمْرةٍ، واشتقاقها من الزمرِ وهو الصَّوتُ إذِ الجماعةُ لا تخلُو عنه. ﴿حتَّى إذا جاءوها فتِحتْ أبوابُها﴾

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٩).

(٢) في خ: أو. (٣) سقط في خ.

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ١٠٠) كتاب المظالم: باب الظلم ظلمات يوم القيامة حديث (٢٤٤٧).
ومسلم (٤/ ١٩٩٦) كتاب البر: باب تحريم الظلم حديث (٥٧) من حديث ابن عمر.
وأخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٦) كتاب البر: باب تحريم الظلم حديث (٥٦) من حديث جابر ابن عبد الله.

(٥) سقط في خ.

ليدخلُوها. وحتَّى هي التي تُحكى بعدها الجملةُ. وقرئ[1] بالتَّشديدِ. ﴿وقال لهم خزنتُها﴾ تقريعًا وتوبيخًا ﴿ألم يأتكم رسلٌ منكم﴾ من جنسِكم. وقرئ[2] نُذُر منكم. ﴿يتلون عليكم آياتِ ربِّكم ويُنذرونكم لقاءَ يومِكم هذا﴾ أي وقتِكم هذا وهو وقتُ دخولِهم النَّارَ، وفيه دليلٌ على أنَّه لا تكليفَ قبل الشرعِ من حيثُ إنَّهم علَّلوا توبيخَهم بإتيان الرُّسلِ وتبليغَ الكُتبِ ﴿قالُوا بَلَى﴾ قد أتَونا وأنذرونا ﴿ولكنْ حقَّت كلمةُ العذابِ على الكافرين﴾ حيثُ قال الله تعالى لإبليسَ: ﴿لأملأنَّ جهنَّم منك وممَّن تبعك منهم أجمعينَ﴾ [سورة ص، الآية ٨٥] وقد كنَّا ممَّن تبعَه وكذَّبنا الرُّسلَ وقلنا ما نزَّل الله من شيءٍ إنْ أنتمُ إلا تكذبُون[3].

﴿قيل ادخلُوا أبوابَ جهنَّم خالدين فيها﴾ أي مقدَّرًا خلودُكم فيها. وإبهامُ[4] القائلِ لتهويلِ المَقُولِ ﴿فبئسَ مثوى المتكبِّرين﴾ اللامُ للجنسِ والمخصوصُ بالذمِّ محذوفٌ ثقةً بذكرِه آنِفا أي فبئسَ مثواهُم جهنَّمُ. ولا يقدُح ما فيه من الإشعارِ بأنَّ كونَ مثواهُم جهنَّمَ لتكبُّرِهم عن الحقِّ في أنَّ دخولَهم النَّارَ لسبق كلمةِ العذابِ عليهم فإنَّها إنَّما حُقَّتْ عليهم بناء على تكبُّرِهم وكُفرِهم وقد مرَّ تحقيقُه في سُورة الم السَّجدةِ.

﴿وسِيق الذين اتَّقوا ربَّهم إلى الجنَّةِ﴾ مساقَ إعزازٍ وتشريفٍ للإسراعِ بهم إلى دار الكرامةِ. وقيل: سِيق مراكبُهم إذْ لا يُذهبُ بهم إلا راكبينَ ﴿زُمَرًا﴾ متفاوتينَ حسب تفاوت مراتبِهم في الفضلِ وعلوِّ الطَّبقةِ. ﴿حتَّى إذا جاءوها وفُتِحتْ أبوابُها﴾ وقرئ بالتَّشديدِ. وجوابُ إذا محذوفٌ للإيذانِ بأن لهم حينئذٍ من فُنون الكراماتِ ما لا يَحدِقُ به نطاقُ العباراتِ كأنَّه قيل حتَّى إذَا جَاؤوها وقد فُتِحتْ أبوابُها ﴿وقالَ لَهُم خزنتُها سلامٌ عليكم﴾ من جميعِ المكارِه والآلام ﴿طبتُم﴾ طهرتم من دَنَس المعاصي أو طبتُم نَفْسًا بما أُتيح لكُم من النَّعيم. ﴿فادخلُوها خالدين﴾ كان ما كان مما يقصر عنه البيانُ ﴿وقالوا الحمدُ لله الذي صدقَنا وعدَه﴾ بالبعث والثَّوابِ ﴿وأورثنَا الأرضَ﴾ يريدونَ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٨)، والتيسير للداني ص (١٩٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٣٩)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٠٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٤).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٠).

(٣) في خ: في ضلال كبير.

(٤) في ط: وإيهام.

المكانَ الذي استقرُّوا فيه على الاستعارةِ وإيراثُها تمليكُها[١] مخلَّفة عليهم من أعمالِهم أو تمكينُهم من التَّصرُّفِ فيها تمكينَ الوارثِ فيما يَرِثُه ﴿**نتبوأُ من الجنَّةِ حيثُ نشاءُ**﴾ أي يتبوأُ كلُّ واحدٍ منا في أي مكانٍ أراده من جنَّتهِ الواسعة على أنَّ فيها مقاماتٍ معنويةً لا يتمانعُ واردُها ﴿**فنعمَ أجرُ العاملين**﴾ الجنَّةُ ﴿**وترى الملائكة حافِّين**﴾ محدقين[٢] ﴿**من حولِ العرش**﴾ أي حوله ومِن مزيدةٌ أو لابتداءِ الحفوفِ ﴿**يسبِّحون بحمدِ ربِّهم**﴾ أي ينزهونَه تعالى عما لا يليقُ به ملتبسينَ بحمدِه. والجملة حالٌ ثانيةٌ أو مقيِّدةٌ للأُولى والمعنى ذاكرينَ له تعالى بوصفي جلالِه وإكرامِه تلذُّذًا به، وفيه إشعارٌ بأنَّ أقصى درجاتِ العلِّيينَ وأعلى لذائذِهم هو الاستغراقُ في شؤونه عزَّ وجلَّ ﴿**وقُضي بينهم بالحقِّ**﴾ أي بين الخلقِ بإدخال بعضِهم النَّارَ وبعضهم الجَّنةَ أو بين الملائكةِ بإقامتِهم في منازِلهم على حسبِ تفاضُلِهم ﴿**وقيل الحمدُ لله ربِّ العالمين**﴾ أي على ما قَضَي بيننا بالحقِّ وأنزل كلاًّ منَّا منزلتَه التي هي حقُّه. والقائلون هم المؤمنون ممَّن قُضيَ بينهم أو الملائكةُ. وطيُّ ذكرِهم لتعينهم وتعظيمِهم.

عنِ النبيِّ ﷺ: «**مَن قرأَ سُورة الزُّمَر لم يقطعِ الله تعالى رجاءَهُ يومَ القيامةِ وأعطاهُ ثوابَ الخائفينَ**»[٣] وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كانَ يقرأُ كلَّ ليلةٍ بني إسرائيلَ والزُّمَرَ[٤].

---

(١) أي استعارة تمثيلية، ويجوز أن يكون أهل الجنة نطقوا بكلام عربي ألهمهم الله إياه، فقد جاء في الآثار أن كلام أهل الجنة بالعربية الفصحى، ولفظ الأرض جار على مراعاة التركيب التمثيلي لأن الأرض قد اضمحلت أو بدلت، ويجوز أن يكون لفظ (الأرض) مستعارًا للجنة لأنها قرارهم كما أن الأرض قرار الناس في الحياة الأولى، وإطلاق الإيراث استعارة تشبيها للإعطاء بالتوريث في سلامته من تعب الاكتساب.
ينظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ٧٢، ٧٣).

(٢) في خ: محلقين.

(٣) حديث موضوع وتقدم الكلام عليه.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٧٥)، كتاب الدعوات: حديث (٣٤٠٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٧١٢)، والحاكم (٢/ ٤٣٤)، وأحمد (٦/ ٦٨، ١٢٢) من حديث عائشة.

سورة المؤمن

مَكِّيةٌ وَآيُها خمسٌ أو ثمانٍ وثمانون آيةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنۢبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَاتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا۟ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَٰحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْءَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

﴿حم﴾ بتفخيم الألفِ وتسكينِ الميم. وقُرئ[١] بإمالةِ الألفِ وبإخراجِها بينَ بينَ[٢] وبفتحِ الميم[٣] لالتقاءِ الساكنينِ أو نَصبِها بإضمارِ اقرأْ وَنَحوِهِ، ومنعُ الصرفِ للتعريفِ والتأنيث أو للتعريف وكونِها على زنةِ قابيلَ وهابيلَ. وبقيةُ الكلامِ فيه وفي قولِه تَعالى ﴿تنزيلُ الكتابِ﴾ كالذي سَلَفَ في آلم السجدةِ. وقولُه تعالى ﴿مِنَ اللهِ العزيزِ العليمِ﴾ كما في مَطْلعِ سُورةِ الزُّمَرِ في الوجوه كُلِّها. ووجْهُ التعرضِ لنعتَي العزةِ والعلم ما ذُكرَ هناك. ﴿غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ ذِي الطَّولِ﴾ إمَّا صفاتٌ أُخَرُ لتحقيق ما فيها منَ الترغيبِ والترهيبِ والحثِّ على ما هو المقصودُ، والإضافةُ فيها حقيقيةٌ على أنَّه لمْ يُرَدْ بها زمانٌ مخصوصٌ وأريدَ بشديدِ العقابِ مشدِّدُه أو الشديدُ عقابُهُ بحذف اللام للازدواجِ وأمنِ الالتباسِ أوْ إبدالٍ وجعلُهُ وحْدَه بدلًا كما فعَلُه الزجَّاجُ مشوشٌ للنظَم، وتوسيطُ الواو بينَ الأولَيَنِ لإفادةِ الجمعِ بينَ محوِ الذنوبِ وقبول التوبةِ أو تغايرِ الوصفينِ إذْ رُبَّما يتوهمُ الاتحادُ أو تغايرُ موقعِ الفعلينِ لأنَّ الغفرَ هو السترُ معَ بقاءِ الذنبِ وذلكَ لمن لَمْ يتُبْ «فإنَّ التائبَ منَ الذنبِ كمنْ لا ذنبَ لَهُ» والتوبُ مصدرٌ كالتوبةِ.

وقيل: هُوَ جَمعُها والطَّولُ الفضلُ بترك العقابِ المستَحقِ، وفي توحيد صفةِ العذابِ مغمورةً بصفاتِ الرحمةِ دليلُ سَبْقِها ورُجْحانِها.

﴿لا إلَه إلَّا هُو﴾ فيجبُ الإقبالُ الكُلِّي عَلى طاعتِهِ في أوامرِهِ ونواهيهِ ﴿إليهِ المصيرُ﴾ فحسبُ لا إلى غيرِهِ لا استقلالًا ولا اشتراكًا فيجازِي كلاًّ من المطيعِ

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، وخلف، وعبيد، واليزيدي، وحماد، ومحمد بن سعدان، وعباس، وأحمد بن موسى، وابن ذكوان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٧)، والتيسير للداني ص (١٩١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٠)، والكشف للقيسي (١/ ١٨٨)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥١٣)، السبعة لابن مجاهد (٥٦٦، ٥٦٧).

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وأبو جعفر، والأزرق، وشيبة، وعبد الوارث، واليزيدي، وورش، وقالون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣١٢)، والسبعة لابن مجاهد (٥٦٦، ٥٦٧)، والكشف للقيسي (١/ ١٨٨)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٧١).

(٣) قرأ بها: ابن أبي إسحاق، وعيسى.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٥٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٢٩٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٢)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٥).

والعاصِي ﴿ما يجادلُ في آياتِ الله﴾ أي بالطعنِ فيها واستعمالِ المقدماتِ الباطلةِ لإدحاضِ الحقِّ كقولِه تَعَالى: ﴿وجادلُوا بالباطلِ ليُدحِضُوا به الحقَّ﴾ [سورة الكهف، الآية ٥٦]. ﴿إلا الذينَ كفرُوا﴾ بها وأمَّا الذينَ آمنُوا فلا يخطرُ ببالهم شائبةُ شبهةٍ منها فضلًا عن الطعنِ فيها وأما الجدالُ فيها لحلِّ مشكلاتها وكشفِ معضلاتها واستنباطِ حقائقِها الكلية وتوضيحِ مناهجِ الحقِّ في مضايقِ الأفهامِ ومزالقِ الأقدامِ وإبطالِ شبهِ أهلِ الزيغِ والضلالِ فمنْ أعظمِ الطاعاتِ.

ولذلكَ قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ جدالًا في القرآنِ كفرٌ»[1] بالتنكيرِ للفرقِ بينَ جدالٍ وجدالٍ والفاءُ فِي قولِهِ تَعَالَى ﴿فلا يَغْرُرك تقلبُهم في البلادِ﴾ لترتيبِ النَّهي أوْ وجوبِ الانتهاءِ عَلَى ما قبلها منَ التسجيلِ عليهمْ بالكُفرِ الذي لاَ شيءَ أمقت منْهُ عندَ الله تعالىَ وَلاَ أجلبُ لخُسرانِ الدُّنيا وَالآخرةِ فإنَّ منْ تحققَ ذلكَ لايكادُ يَغترُّ بمَا لهُم من حظوظِ الدُّنيا وزخارِفِها فإنَّهم مأخوذونَ عَمَّا قليلٍ أخْذَ منْ قبلَهُمْ منَ الأممِ حسبَما ينطق بِهِ قولُه تَعَالَى ﴿كذبتْ قبلُهم قومُ نوحٍ والأحزابُ من بعدِهم﴾ أي الذينَ تحزبُوا على الرسلِ وناصبوهم بعدَ قوم نوحٍ مثلُ عادٍ وثمودَ وأضرابِهم ﴿وهمتْ كلُّ أمةٍ﴾ مِنْ تلكَ الأممِ العاتيةِ ﴿برسولِهم﴾ وقرئ[2] برسولِها ﴿ليأخذُوه﴾ ليتمكنُوا منْهُ فيصيبوا بهِ مَا أرادُوا مِن تعذيبٍ أو قتلٍ منَ الأخذِ بمَعْنى الأَسْرِ ﴿وجادلُوا بالباطلِ﴾ الذي لاَ أصلَ وَلاَ حقيقةَ لهُ أصلًا ﴿ليُدحضُوا به الحقَّ﴾ الذي لا محيدَ عَنْه كما فعلَ هؤلاءِ

---

(١) جاء من حديث أبي هريرة، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فأما حديث أبي هريرة.
فأخرجه أبو داود (٤/ ١٩٩)، وكتاب السنة، باب: النهي عن الجدال في القرآن، ورقم (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٢٥٨، ٢٨٦، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٢١٢، ٢١٣)، والخطيب وفي تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦)، (٤/ ٨١)، والحاكم (٢/ ٢٢٣)، كتاب: التفسير، باب: الجدل في القرآن كفر، وابن حبان (٤/ ٣٢٤، ٣٢٥)، كتاب: الصلاة، باب: الوعيد على ترك الصلاة، رقم (١٤٦٤)، والطبراني في الصغير (١/ ١٧٨)، باب: من اسمه شباب، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣٠٣)، رقم (٥٧)- (٥٨٩٧)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤١٦)، الباب التاسع عشر، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في ترك المماراة في القرآن، رقم (٢٢٥٦).
وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١٧) لإسحاق بن راهويه في مسنده، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأما حديث عبد الله بن عمرو، فأخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ٤١٦، ٤١٧)، الباب: التاسع عشر، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في ترك المماراة في القرآن، رقم (٢٢٥٧).

(٢) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٤٩)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٥).

المذكورونَ ﴿**فأخذتُهم**﴾ بسببِ ذلك أخذَ عَزيزٍ مُقتدرٍ ﴿**فكيفَ كانَ عقابِ**﴾ الذي عاقبتُهمْ بهِ فإنَّ آثارَ دمارِهم عبرةٌ للناظرينَ ولآخذنَّ هؤلاءِ أيْضًا لاتحادِهم فِي الطريقةِ واشتراكِهم في الجَريرةِ كما ينبئ عنْهُ قولُه تعالَى:

﴿**وكذلكَ حقتْ كلمةُ ربِّك**﴾ أيْ كَما وجبَ وثبتَ حكمُه تَعالى وقضاؤُهُ بالتعذيبِ عَلى أولئكَ الأممِ المكذبةِ المُتحزبةِ عَلى رُسلِهم المجادلةِ بالباطلِ لإدحاضِ الحقِّ بهِ وجبَ أَيْضًا ﴿**على الذينَ كفرُوا**﴾ أيْ كفرُوا بكَ وتحزبُوا عليكَ وَهمُّوا بَما لَمْ ينالُوا كما ينبئ عنْهُ إضافةُ اسمِ الربِّ إلى ضميرِه عليه الصَّلاةُ وَالسلامُ فإنَّ ذلكَ للإشعارِ بأنَّ وجوبَ كلمةِ العذابِ عَليهمْ مِنْ أحكامِ تربيتِهِ التي مِنْ جُمْلتِها نصرتُهُ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ وتعذيبُ أعدائِهِ وذلكَ إنَّما يتحققُ بكونِ الموصولِ عبارةً عن كفارِ قومِهِ لاَ عنِ الأممِ المهلكةِ وَقولُه تعالَى ﴿**أنَّهم أصحابُ النَّارِ**﴾ فِي حَيِّزِ النصبِ بحذفِ لام التعليلِ أيْ لأَنهُمْ مستحقو أشدِّ العُقوباتِ وأفظعِها التي هيَ عذابُ النارِ وَملازمُوهَا أبدًا لكونهمْ كُفَّارًا معاندينَ متحزبينَ عَلى الرسولِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ كدأبِ مَنْ قبلهُم منَ الأممِ المهلكةِ فهُم لسائرِ فنونِ العقوباتِ أشدُّ استحقاقًا وأحقُّ استيجابًا وقيلَ: هو في محلِ الرفعِ على أنَّه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرةِ المهلكةِ كونُهم من أصحابِ النارِ أي كما وجبَ إهلاكُهم في الدُّنيا بعذابِ الاستئصالِ كذلكَ وجبَ تعذيبُهم بعذابِ النَّارِ في الآخرةِ وَمحلُّ الكافِ عَلى التقديرينِ النصبُ عَلى أنَّه نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ ﴿**الذين يحملونَ العرشَ ومَنْ حولَه**﴾ وَهُم أعلى طبقاتِ الملائكةِ عليهم السلامُ وأولُهم وجُودًا وحملهم إيَّاهُ وحفيفُهم حولَهُ مجازٌ عن حفظِهم وتدبيرِهم له وكنايةٌ عن زُلفاهُم منْ ذِي العرشِ جَلَّ جَلالُه ومكانتِهم عِنْدُه وَمحلُّ الموصولِ الرفعُ عَلى الابتداءِ خبرُه:

﴿**يُسبحونَ بحمدِ ربِّهم**﴾ والجملةُ استئنافٌ مَسوقٌ لتسليةِ رسولِ الله ﷺ ببيانِ أنَّ أشرافَ الملائكةِ عليهمُ السلامُ مثابرونَ عَلَى ولايةِ مَنْ معهُ منَ المُؤمنينَ ونُصْرتِهم واستدعاءِ مَا يُسعِدُهم في الدارينِ أيْ ينزهونهُ تعالى عن كُلِّ ما لاَ يليقُ بشأنِه الجليلِ ملتبسينَ بحمدِهِ عَلى نعمائِه التي لاَ تتناهَى ﴿**ويؤمنونَ بهِ**﴾ إيمانًا حقيقيًا بحالِهم، والتصريحُ بهِ مع الغنِيَ عن ذِكْرِهِ رَأْسًا لإظهارِ فضيلةِ الإيمانِ وإبرازِ شرفِ أهلِه والإشعارِ بعلةِ دُعَائهم للمؤمنينَ حسبما ينطِقُ بِهِ قولُه تَعالى: ﴿**ويستغفرونَ للَّذينَ آمنُوا**﴾ فَإنَّ المشاركةَ في الإيمانِ أقْوَى المناسباتِ وأتمُّها وأدعى الدَّواعِي إِلى النصحِ والشفقةِ، وفي نظمِ استغفارِهم لهم في سلكِ وظائِفهم المفروضةِ عليهم منْ تسبيحهم وتحميدِهم وإيمانهم إيذانٌ بكمالِ اعتنائِهم بهِ وإشعارٌ بوقوعِهِ عندَ الله تعالى فِي مَوقعِ

القَبولِ. رُوي أنَّ حملةَ العرشِ أرجلُهم في الأَرْضِ السُّفلى ورؤوسُهم قدْ خرقتِ العرشَ وهم خشوعٌ لا يرفعونَ طَرفهم. وعن النبيِّ ﷺ: «**لا تتفكروا في عِظَمِ ربكم ولكنْ تفكروا فيمَا خلقَ الله من الملائكةِ فإنَّ خلقًا من الملائكةِ يقالُ لهُ إسرافيلُ زاويةٌ منْ زَوَايا العرشِ عَلى كاهلِهِ وقدماهُ في الأرضِ السُّفْلى وَقَدْ مرقَ رأسُهُ منْ سبعِ سمواتٍ وإنَّه ليتضاءلُ منْ عظمةِ الله حتَّى يصيرَ كأنُه الوصعُ**»[١] وَفِي الحديثِ: «إنَّ الله أمرَ جميعَ الملائكةِ أَنْ يغدُوا ويروحُوا بالسلامِ عَلى حملةِ العرشِ تفضيلًا لهم عَلى سائِرهم»[٢].

وقيل: خلقَ الله تعالى العرشَ من جوهرةٍ خضراءَ وبينَ القائمتينِ من قوائمِهِ خفقان الطيرِ المسرعِ ثمانينَ عامٍ وقيل: حولَ العرشِ سبعونَ ألفَ صفّ منَ الملائكةِ يطوفونَ به مهللينَ مكبرينَ ومن ورائهم سبعونَ ألفَ صفٍ قيامٌ قد وضعُوا أيديَهُم عَلى عواتقِهم رافعينَ أصواتَهُم بالتهليلِ والتكبيرِ ومنْ ورائِهم مائةُ ألفِ صفٍ قدْ وضعُوا أيمانَهُم عَلى الشمائلِ ما منهمْ أحدٌ إلا وهو يسبحُ بما لا يسبحُ بهِ الآخرُ ﴿**ربَّنا**﴾ عَلى إرادةِ القولِ أيْ يقولونَ ربَّنا عَلى أنَّه إمّا بيانٌ لاستغفارِهم أوْ حالٌ.

﴿**وسعتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا**﴾ أيْ وَسِعتْ رحمتُكَ وعلمُكَ فأزيلَ عنْ أصلِه للإغراقِ في وصفهِ تعالَى بالرحمةِ والعلمِ والمبالغةِ في عمومهمَا وتقديمُ الرحمةِ لأنَّها المقصودةُ بالذات هاهنا والفاءُ في قولِه تعالَى ﴿**فاغفرْ للذينَ تابُوا واتبعُوا سبيلكَ**﴾ أي للذين علمتَ منهم التوبةَ واتباعَ سبيلِ الحقِّ لترتيبِ الدعاءِ عَلَى ما قبلها مِنْ سعةِ الرحمةِ والعلم ﴿**وقهمْ عذابَ الجحيمِ**﴾ وَاحفظْهُم عنْهُ وهُوَ تصريحٌ بعدَ إشعارٍ للتأكيدِ. ﴿**ربَّنَا وأدخلهُم**﴾ عطفٌ عَلَى قِهِمْ وتوسيطُ النداءِ بينَهما للمبالغةِ في الجؤارِ[٣] ﴿**جنَّاتِ عدنٍ التي وعدتَّهُم**﴾ أيْ وعَدَتهم إيَّاهَا وقرئَ[٤] جَنَّةَ عَدْنٍ ﴿**ومَنْ**

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢/ ٦٩٧، ٦٩٨) رقم (٢٨٨) -(٢٧)، (٣/ ٩٤٩-٩٥٠)، ذكر حملة العرش وعظم خلقهم، رقم (٤٧٧)- (٢)، من طريق ابن عباس.
قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢١٨): غريب، وفي تفسير الثعلبي: وروي عن شهر بن حوشب عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «لا تتفكروا في عظم ربكم ...» إلى آخره، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وروى شهر بن حوشب: أن ابن عباس رفعه بهذا تعليقًا، وهو في كتاب العظمة لأبي الشيخ. انتهى.

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢١٨)، وبيض له.

(٣) الجؤار: رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة.

(٤) قرأ بها: زيد بن علي، والأعمش، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٥٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٥).

صلح من آبائِهم وأزواجِهم وذريَّاتِهم﴾ أيْ صلاحًا مصحِّحًا لدخولِ الجنةِ في الجملةِ وإنْ كانَ دونَ صلاحِ أصولِهم وهُوَ عطفٌ على الضميرِ الأولِ أيْ وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعفُ ابتهاجُهم أوْ عَلى الثانِي لكنْ لا بناءً عَلى الوعدِ العام للكلِّ كما قيل إذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاصِّ بهمْ بقولِه تعالَى: ﴿ألحقْنا بهم ذرّيتَهم﴾ [سورة الطور، الآية ٢١] بأنْ يكونُوا أعلى درجةً منْ ذريتِهم.

قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: يدخلُ المؤمنُ الجنةَ فيقولُ أينَ أبي أينَ ولدي أينَ زَوْجي فيقالُ إنَّهم لمْ يعملُوا مثلَ عملكَ فيقولُ إني كنتُ أعملُ لي ولهُم فيقالُ: أدخلوهم الجنةَ. وسبقُ الوعدِ بالإدخالِ والإلحاقِ لاَ يستدعي حصولَ الموعودِ بلا توسطِ شفاعةٍ واستغفارٍ وعليهِ مَبْنى قولِ منْ قالَ فائدةُ الاستغفارِ زيادةُ الكرامةِ والثوابِ والأولُ هو الأَولى لأنَّ الدعاءَ بالإدخالِ فيه صريحٌ وفي الثاني ضمنيٌّ وقرئ[1] صَلُح بالضَّم وذرّيتِهم[2] بالإفرادِ ﴿إنَّك أنتَ العزيزُ﴾ أي الغالبُ الذَّي لاَ يمتنعُ عليه مَقْدورٌ ﴿الحكيمُ﴾ أي الذي لا يفعلُ إلاَّ ما تقتضيهِ الحكمةُ الباهرةُ مَن الأمورِ التي منْ جُمْلتها إنجازُ الوعدِ فالجملةُ تعليلٌ لما قَبْلها.

﴿وقهم السيئاتِ﴾ أي العقوباتِ لأَنَّ جزاءَ السيئةِ سيئةٌ مثلُهَا أو جزاءَ السيئاتِ عَلَى حذْفِ المُضافِ وَهُوَ تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ أوْ مخصوصٌ بالأَتْباعِ أو المعاصي في الدُّنيا فمعنى قولِه تعالَى ﴿ومن تقِ السيئاتِ يومئذٍ فقد رحمتَهُ﴾: ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته فِي الآخرةِ كأنَّهم طلَبوا لهُمْ السببَ بعدَ مَا سألُوا المُسبَّبَ ﴿وذلكَ﴾إشارةٌ إلى الرحمةِ المفهومةِ من (رَحْمتَه) أوْ إليَها وإِلى الوقايةِ وَمَا فيه منْ مَعْنى البُعدِ لما مَرَّ مِرارًا منَ الإشعارِ ببُعْدِ درجةِ المُشارِ إليهِ ﴿هو الفوزُ العظيمُ﴾ الذِي لاَ مطمعَ وَرَاءَهُ لطامعٍ.

﴿إنَّ الذينَ كفرُوا﴾ شروعٌ في بيانِ أحوالِ الكفرة بعدَ دخولِهم النَّارَ بعدَ ما بينَ فيما سبقَ أنهُمْ أصحابُ النارِ ﴿يُنادَون﴾ أيْ مِنْ مكانٍ بعيدٍ وهُمْ في النارِ وقَدْ مقتُوا أنفسَهُم الأمَّارةَ بالسُّوءِ التي وقعُوا فيمَا وقعُوا باتباعِ هَوَاهَا أوْ مقتَ بعضُهم بعضًا من الأحبابِ كقولِه تَعَالَى: ﴿يكفر بعضُكم ببعضٍ ويلعن بعضُكم بعضًا﴾ [سورة

---

(١) قرأ بها: ابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٥٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٥).

(٢) قرأ بها: عيسى.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٥٢).

العنكبوت، الآية ٢٥] أيْ أبغضوهَا أشدَّ البغضِ وَأنكروهَا أبلغَ الإنكارِ وَأظهرُوا ذلكَ على رءوسِ الأشهادِ فيقالُ لهم عندَ ذلكَ ﴿لمقتُ الله أكبرُ من مقتِكم أنفسَكُم﴾ أيْ لمقتُ الله أنفسَكُم الأمَّارةَ بالسوءِ أوْ مقتُه إيَّاكم في الدُّنيا ﴿إذْ تُدعونَ﴾ منْ جهةِ الأنبياءِ ﴿إلى الإيمانِ﴾ فتأبَوْنَ قَبولَهُ ﴿فتكفرونَ﴾ اتّباعًا لأنفسكمْ الأمَّارةِ ومسارعةً إلى هَوَاها أوِ اقتداءً بِأخِلَّائِكُم المضلينَ واستحبابًا لآرائِهم أكبرُ منْ مقتِكم أنفسَكُم الأمارةَ بالسوءِ أوْ مِنْ مقتِ بعضِكم بعضًا اليومَ فـ «إذ» ظرفٌ للمقتِ الأولِ وإنْ توسطَ بينَهما الخبرُ لما فِي الظروفِ من الاتساعِ وقيل: لمصدرٍ آخرَ مقدرٍ أيْ مقتُه إيَّاكم إذْ تدعونَ وقيلَ: مفعولٌ لـ (أذكرُوا) والأولُ هو الوجْه وقيلَ: كلا المقتينِ في الآخرةِ وإذْ تدعَونَ تعليلٌ لَما بينَ الظرفِ والسببِ منْ علاقةِ اللزومِ والمعنى لمقتُ الله إيَّاكم الآنَ أكبرُ منْ مقتكم أنفسَكم لمَّا كنتمُ تُدعَونَ إلى الإيمانِ فتكفرونَ، وتخصيصُ هَذا الوجهِ بصورةِ كونِ المرادِ بأنفسِهم أضرابَهُم مما لاَ دَاعيَ إليهِ.

﴿قالوا ربَّنَا أمتنَا اثنتينِ وأحييتَنا اثنتينِ﴾ صفتانِ لمصدرَيْ الفعلينِ المذكورينِ أيْ إماتتينِ وإحياءتينِ أوْ موتتينِ وحياتينِ عَلى أنَّهما مصدرانِ لهما أيضًا بحذفِ الزوائدِ أو لفعلينِ يدلُّ عليهما المذكوران فإنَّ الإماتةَ والإحياءَ ينبئانِ عن الموتِ والحياةِ حَتْمًا كأنَّه قيلَ: أمتنَا فمُتنَا موتتينِ اثنتينِ وأحييتَنا فحَيينَا حياتينِ اثنتينِ على طريقةِ قولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

وعضةُ دهرٍ يا ابْنَ مروانَ لمْ تَدَعْ　　منَ المالِ إلاَّ مُسْحَتٌ أو مُجلّفُ[(١)]

أيْ لَم تدعْ فلمْ يبقَ إلا مسحتٌ إلخ قيلَ: أرادُوا بالإماتةِ الأُولى خلْقَهُم أمواتًا وبالثانيةِ إماتَتَهُم عندَ انقضاءِ آجالِهم على أنَّ الإماتةَ جعلُ الشيءِ عادمَ الحياةِ أعمُّ منْ أنْ يكونَ بإنشائِه كذلكَ كما في قولِهم سبحانَ منْ صغَّر البعوضَ وكبَّر الفيلَ أو بجعلِهِ كذلكَ بعدَ الحياةِ وبالإحياءينِ الإحياءَ الأولَ وإحياءَ البعثِ وقيل: أرادُوا بالإماتةِ الأُولى ما بعدَ حياةِ الدُّنيا وبالثانيةِ ما بعدَ حياةِ القبرِ وبالإحياءينِ ما في القبرِ وما عند البعثِ وهو الأنسبُ بحالِهم، وأما حديثُ لزومِ الزيادةِ على النصِّ ضرورةَ تحققِ حياةِ الدُّنيا فمدفوعٌ لكنْ لا بما قيلَ من عدم اعتدادِهم بها لزوالِها وانقضائِها وانقطاعِ آثارِها وأحكامِها بل بأنَّ مقصودَهُم إحداثُ الاعترافِ بما كانوا يُنكِرونه في الدُّنيا كما ينطِقُ به قولُهم: ﴿فاعترفَنا بذنُوبنا﴾ والتزامُ العملِ بموجب ذلك الاعترافِ ليتوسلُوا بذلكَ إلى ما علقوا بِهِ أطماعَهُم الفارغةَ من الرجْعِ إلى الدُّنيا كما قد صرَّحوا بِهِ حيثُ قالوا:

---

(١) تقدم.

﴿فارجِعْنا نعملْ صالحًا إنا موقنون﴾ [سورة السجدة، الآية ١٢] وَهُو الذي أرادُوه بقولِهم ﴿فهلْ إلى خروجٍ من سبيلٍ﴾ معَ نوعِ استبعادٍ لهُ واستشعارِ يأسٍ منْهُ لاَ أنَّهم قالوه بطريقِ القنوطِ البحتِ كما قيلَ: ولا ريبَ في أنَّ الذي كانَ يُنكرونَهُ ويُفرِّعون عليهِ فنونَ الكفرِ والمعاصِي ليسَ إلا الإحياءَ بعدَ الموتِ وأمَّا الإحياءُ الأولُ فلم يكونُوا يُنكرونَه لينظِمُوه في سلكِ ما اعترفُوا بهِ وزعمُوا أنَّ الاعترافَ يُجديهُم نفعًا وإنما ذكرُوا الموتَةَ الأُولى معَ كونِهم معترفينَ بَها في الدُّنيا لتوقف حياةِ القبرِ عليهَا وكَذا حالُ الموتةِ في القبرِ فإنَّ مقصدَهُم الأصليَّ هوَ الاعترافُ بالإحياءينِ وإنَّما ذكرُوا الإماتتينِ لترتيبِهما عليهِما ذكرًا حسبَ ترتبهِما عليهِما وجُودًا وتنكيرُ سبيلٍ للإبهامِ أيْ منْ سبيلٍ مَا كيفَما كانَ.

وقولُه تعاَلى: ﴿ذلكُم﴾ . . .إلخ جوابٌ لَهُم باستحالةِ حصولِ مَا يرجُونه ببيانِ ما يوجبُها مِن أعمالِهم السيئةِ أيْ ذلكم الذي أنتمُ فيهِ منَ العذابِ مُطلقاِ لا مقيدًا بالخلودِ كَما قيلَ: ﴿بأنَّه﴾ أيْ بسببِ أنَّ الشأنَ ﴿إذا دُعِي الله﴾ فِي الدُّنيا أيْ عُبدَ ﴿وحده﴾ أيْ مُنْفَرِدًا ﴿كفرتُم﴾ أيْ بتوحيدِهِ ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أيْ بالإشراكِ به وتسارعوا فيه، وفي إيرادِ إذَا وصيغةِ الماضِي في الشرطيةِ الأُولى وإنْ وصيغةِ المضارعِ في الثانيةِ ما لا يَخْفى منَ الدلالةِ على كمالِ سوءِ حالِهم وحيثُ كان حالُكم كذلكَ ﴿فالحكم لله﴾ الذي لاَ يحكُم إلا بالحقِّ ولاَ يقضِي إلاَّ بَما تقتضيهِ الحكمةُ ﴿العلي الكبير﴾ الذي ليسَ كمثلِه شيءٌ في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا في أفعالِه يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ لا معقّبَ لحكمِهِ وقد حكمَ بأنَّه لا مغفرةَ للمشركِ ولا نهايةَ لعقوبتِه كَما لا نهايةَ لشناعتِه فلا سبيلَ لكُم إلى الخروجِ أبدًا. ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ الدالةَ عَلى شؤونِه العظيمةِ الموجبةِ لتفرده بالألوهيةِ لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبِهَا فتوحِّدوه تعالَى وتخُصُّوه بالعبادةِ ﴿وينزل﴾ بالتشديدِ وقرئ[1] بالتخفيفِ منَ الإنزالِ ﴿لكم من السماء رزقًا﴾ أيْ سببَ رزقٍ وهو المطرُ وإفرادُه بالذكرِ مع كونِه من جملةِ الآياتِ الدالةِ على كمالِ قُدرتِهِ تَعَالى لتفردِّه بعنوانِ كونِه من آثارِ رحمتِه وجلائلِ نعمتِه الموجبةِ للشكرِ، وصيغةُ المضارعِ في الفعلينِ للدّلالةِ على تجددِ الإراءةِ والتنزيلِ واستمرارِهما، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ لما مَرَّ غيرَ مرةٍ ﴿وما يتذكرُ﴾ بتلكَ الآياتِ الباهرةِ ولا يَعملُ بمقتضَاهَا ﴿إلا مَنْ ينيبُ﴾ إلى الله تَعَالى ويتفكرُ فيما أودَعهُ في تضاعيفِ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٠).

مصنوعاتِهِ من شواهدِ قدرتِه الكاملةِ ونعمتِه الشاملةِ الموجبةِ لتخصيصِ العبادةِ بهِ تَعالَى ومن ليسَ كذلكَ فهُو بمعزلٍ منَ التذكرِ والاتعاظِ ﴿فادعُوا الله مخلصينَ له الدينَ﴾ أيْ إذا كانَ الأمرُ كَما ذكرَ منَ اختصاصِ التذكرِ بمنْ ينيبُ فاعبدُوه أيُّها المؤمنونَ مخلصينَ له دينَكُم بموجبَ إنابتِكم إليهِ تعالَى وإيمانِكم به ﴿ولو كره الكافرونَ﴾ ذلكَ وغاظَهُم إخلاصُكم.

﴿رفيعُ الدَّرجاتِ﴾ نحوُ بديعِ السمواتِ عَلى أنه صفةٌ مشبّهةٌ أضيفتْ إلى فاعِلها بعدَ النقلِ إلى فُعُلٍ بالضمِّ كما هُوَ المشهورُ وتفسيرُه بالرافعِ ليكونَ منْ إضافِه اسمِ الفاعلِ إلى المفعولِ بعيدٌ في الاستعمالِ أيْ رفيعُ درجاتِ ملائكتِه أي معارجِهم ومصاعدِهم إلى العرشِ ﴿ذو العرشِ﴾ أيْ مالكُه وهُمَا خبرانِ آخرانِ لقولِه تعالى: (هوَ) أخبرَ عنْهُ بهما إيذانًا بعلوِّ شأنِه تَعالى وعظمِ سُلطانِه الموجَبَيْنِ لتخصيصِ العبادةِ بهِ وإخلاصِ الدينِ لهُ إمَّا بطريقِ الاستشهادِ بهمَا عليهِما فإنَّ ارتفاعَ معارجِ ملائكتِه إلى العرشِ وكونَ العرشِ العظيمِ المحيطِ بأكنافِ العالمِ العلويِّ والسفليِّ تحتَ ملكوتِه وقبضةِ قدرتِه مما يقضِي بكونِ علوِّ شأنِه وعظمِ سُلطانِه في غايةٍ لاغايةَ وراءَهَا وإمَّا بجعلَهما عبارةً عنهما بطريقِ المجازِ المتفرعِ على الكنايةِ كالاستواءِ على العرشِ وتمهيدًا لما يعقُبهما من قولِه تعالى ﴿يُلقي الروحَ من أمرِه﴾ فإنَّه خبرٌ آخرُ لمَا ذكرَ منبئ عن إنزالِ الرزقِ الرُّوحانِيِّ الذي هُو الوحيُ بعدَ بيانِ إنزالِ الرزقِ الجُسمانيِّ الذي هُو المطرُ أي ينزلُ الوحيَ الجاريَ من القلوبِ منزلةَ الروحِ منَ الأجسادِ وقولُه تعالَى مِنْ أمرِه بيانٌ للروحِ الذي أريدَ بهِ الوحيُ فإنَّه أمرٌ بالخيرِ أو حالٌ منهُ أيْ حالَ كونِه ناشئًا ومبتدأً منْ أمرِهِ أو صفةٌ لهُ عَلى رأْيِ منْ يجوزُ حذفَ الموصولِ معَ بعضِ صلتِه أي الروحَ الكائنَ منْ أمرِهِ أو متعلقٌ بـ (يُلقِي) وَمنْ للسببيةِ كالباءِ مثلُ ما في قولِه تَعالى: ﴿ممَّا خطيئاتِهم﴾ [سورة نوح، الآية ٢٥] أي يُلقِي الوحيَ بسببِ أمرِهِ ﴿عَلى من يشاءُ من عبادِه﴾ وهوَ الذي اصطفاهُ لرسالتِه وتبليغ أحكامِه إليهمْ ﴿لينذرَ﴾ أي الله تعالَى أو المُلقىٰ عليه أو الروح، وقرئ[1] لتنذر علَى أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الرُّوحُ لأنَّها قد تؤنث ﴿يومَ التلاقِ﴾ إما ظرفٌ للمفعولِ الثاني أي لينذرَ الناسَ العذابَ يوم التلاقِ وهو يومُ القيامةِ لأنَّه يتلاقَى فيهِ الأرواحُ والأجسامُ

(١) قرأ بها: الحسن، واليماني، وابن عباس، وابن السميفع، وروح، وزيد، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٥٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٠٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٩)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥١٦).

وأهلُ السمواتِ والأرضِ أو هُو المفعولُ الثاني اتساعًا أوْ أصالةً فإنَّه منْ شدةِ هولِه وفظاعتِه حقيقٌ بالإنذارِ أصالةً وقرئ[1] لِيُنْذَرَ عَلَى البناءِ للمفعولِ ورفعِ اليومِ.

﴿**يومَ هُم بارزونَ**﴾ بدلٌ من يومِ التلاقِ أيْ خارجونَ من قبورِهم أو ظاهرونَ لا يستُرُهُم شيءٌ من جبلٍ أو أَكَمةٍ أوْ بناءٍ لكونِ الأرضِ يومئذٍ قاعًا صفصفًا ولا عليهم ثيابٌ إنما هُم عراةٌ مكشوفونَ كما جاءَ فِي الحديثِ «**يحشرونَ عُراةً حُفاة غُرْلا**»[2] وقيلَ: ظاهرةٌ نفوسُهم لا تحجبُهم غواشِي الأبدانِ. أوْ أعمالُهم وسرائرُهم ﴿**لا يخفى على الله منْهُم شيءٌ**﴾ استئنافٌ لبيانِ بروزِهم وتقريرٌ له وإزاحةٌ لَما يتوهمُّه المتوهمونَ في الدُّنيا منَ الاستتارِ توهمًا باطلًا أو خبرٌ ثانٍ وقيلَ: حَالٌ منْ ضميرِ بارزونَ أيْ لا يخْفى عليهِ تَعَالى شيءٌ مَا منْ أعيانِهم وأعمالِهم وأحوالِهم الجلية والخفيةِ السابقةِ واللاحقةِ.

﴿**لمنِ الملكُ اليوم لله الواحدِ القهَّارِ**﴾ حكايةٌ لَمَا يقعُ حينئذٍ منَ السؤال والجوابِ بتقديرِ قولٍ معطوفٍ على ما قَبلَهُ من الجملةِ المنفيةِ المستأنفةَ أو مستأنفٌ يقعُ جوابًا عنْ سؤالٍ نشأَ منْ حكايةِ بروزِهم وظهورِ أحوالِهم كأنَّه قيلَ فماذَا يكونُ حينئذٍ فقيلَ: يقالُ . . .إلخ أيْ يُنادِي منادٍ لَمنِ الملكُ اليومَ فيجيبُهُ أهلُ المحشرِ لله الواحدِ القهارِ وقيلَ المجيبُ هُوَ السائلُ بعينِه لما رُوي أنَّه يجمعُ الله الخلائقَ يومَ القيامةِ في صعيدٍ واحدٍ في أرضٍ بيضاءَ كأنَّها سبيكةُ فضةٍ لم يعصَ الله فيَها قطُّ فأولُ ما يتكلَّم بِهِ أنْ ينادِيَ منادٍ لمنِ الملكُ اليومَ لله الواحدِ القهارِ[3] وقيلَ حكايةً لما ينطقُ بِهِ لسانُ الحالِ من تقطعِ أسبابِ التصرفاتِ المجازيةِ واختصاصِ جميعِ الأفاعيلِ بقبضةِ القدرةِ الإلهيةِ ﴿**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت**﴾ . . .إلخ إمَّا منْ تتمةِ الجوابِ لبيانِ حكمِ اختصاصِ الملكِ بِهِ تعالَى ونتيجتِه التي هيَ الحكُم السويُّ والقضاءُ الحقُّ أوْ حكايةً لِمَا سيقولُه تعالى يومئذٍ عقيبَ السؤالِ والجوابِ أيْ تُجزى كُلُّ نفسٍ منَ النفوسِ البَرّةِ والفاجرةِ بما كسبتْ منْ خَيرٍ أوْ شرٍّ.

﴿**لا ظُلَم اليومَ**﴾ بنقصِ ثوابٍ أوْ زيادةِ عذابٍ ﴿**إنَّ الله سريعُ الحسابِ**﴾ أيْ سريعٌ حسابُه تمامًا إذْ لا يشغلُه تعالَى شأنٌ عنْ شأنٍ فيحاسبُ الخلائقَ قاطبةً في أقربِ

---

(١) قرأ بها: اليماني.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ١٨٧، ١٨٨) كتاب الرقاق: باب الحشر، حديث (٦٥٢٧)، ومسلم (٩/ ٢١٠-نووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب فناء الدنيا حديث (٢٨٥٩) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢/ ١١٥)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١/ ١٤٦)، عن ابن مسعود موقوفًا.

زمانٍ كما نُقلَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عَنْهما أنَّه تعالَى إذَا أخذَ في حسابِهم لم يقِلْ أهلُ الجنةِ إلاَّ فيهَا ولا أهلُ النارِ إلا فيهَا فيكونُ تعليلًا لقولِه تعالَى اليومَ تُجزى إلخ فإنَّ كونَ ذلكَ اليوم بعينِه يومَ التلاقِي ويومَ البروزِ ممّا يوهم استبعادَ وقوعِ الكُلِّ فيهِ أو سريعٌ مَجيئًا فيكونُ تعليلًا للإنذارِ.

﴿وأنذرْهُم يومَ الآزفةِ﴾ أي القيامةِ سميتْ بَها لأُزوفِهَا وهُو القربُ غيرَ أنَّ فيهِ إشعارًا بضيقِ الوقتِ وقيلَ الخطةُ الآزفةُ وهي مشارفةُ أهلِ النارِ دخولَها وقيل: وقتَ حضورِ الموتِ كما في قولِه تعالَى: ﴿فلولا إذا بلغت الحُلقومَ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٨٣] وقولِه: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [سورة القيامة، الآية ٢٦]. وقولُه تعالَى: ﴿إذِ القلوبُ لدى الحناجرِ﴾ بدلٌ منْ يومَ الآزفةِ فإنَّها ترتفعُ من أماكِنها فتلتصقُ بحلوقِهم فلا تعودُ فيتروّحوا ولا تخرجُ فيستريحوا بالموتِ ﴿كاظمينَ﴾ عَلى الغَمِّ حالٌ منْ أصحابِ القلوبِ عَلى المَعْنى إذِ الأصلُ قلوُبُهم أوْ مِنْ ضميرِهَا في الظرفِ وجمعُ السلامةِ باعتبارِ أنَّ الكظَم منْ أحوالِ العُقلاءِ كقولِه تعالَى: ﴿فظلت أعناقُهم لها خاضعين﴾ [سورة الشعراء، الآية ٤] أوْ منْ مفعولِ أنذرْهم عَلى أنَّها حالٌ مقدرةٌ أيْ أنذرهُم مقدرًا كظمَهُم أوْ مشارفينَ الكظمَ.

﴿ما للظالمينَ منْ حميمٍ﴾ أيْ قريبٍ مشفقٍ ﴿ولا شفيعٍ يُطاعُ﴾ أيْ لاَ شفيعَ مُشفَّعٌ على مَعْنى نفِي الشفاعةِ والطاعةِ معًا على طريقةِ قولِه: [الطويل]

علـى لاحـبٍ لا يُـهـتـدى بـمـنـارِ ....[1]

والضمائرُ إنْ عادتْ إلى الكُفارِ وهو الظاهرُ فوضعُ الظالمينَ موضعَ ضميرِهم للتسجيلِ عليهم بالظلمِ وتعليلِ الحكم بهِ ﴿يعلمُ خائنةَ الأعينِ﴾ النظرةَ الخائنةَ كالنظرةِ الثانيةِ إلى غيرِ المَحْرمِ واستراقِ النظرِ إليهِ أو خيانةَ الأعينِ على أنها مصدرٌ كالعافيةِ ﴿وما تُخفي الصدورُ﴾ من الضمائرِ والأسرارِ والجملةُ خبرٌ آخرُ مثلُ يُلقي الروحَ للدِّلالةِ على أنَّه ما مِنْ خفيٍّ إلا وهُو متعلقُ العلمِ والجزاءِ. ﴿والله يقضي بالحقِّ﴾ لأنَّه المالكُ الحاكُم على الإطلاقِ فلا يقضِي بشيءٍ إلا وهُو حقٌّ وعدلٌ ﴿والذينَ يدعُون﴾ يعبدونَهم ﴿مِنْ دونِه﴾ تعالَى ﴿لا يقضونَ بشيءٍ﴾ تهكمٌ بهم لأنَّ الجمادَ لا يُقالُ في حقِّه يَقْضِي أو لا يَقْضِي. وقرئ[2] تَدْعُون عَلى الخطابِ التفاتًا أو على إضمارِ قُلْ

---

(١) تقدم.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وابن ذكوان، والمطوعي، والصوري، والأخفش، وأبو جعفر، وشيبة، وهشام.

﴿إنَّ اللهَ هُو السميعُ البصيرُ﴾ تقريرٌ لعلمِه تعالَى بخائنةِ الأعينِ وقضائِه بالحقِّ ووعيدٌ لهمُ على ما يقولونَ ويفعلو نَ وتعريضٌ بحالِ ما يدْعونَ من دونِه.

۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٥٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٦٣)، والتيسير للداني ص (١٩٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥).

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

﴿أولم يسيرُوا في الأرضِ فينظرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ كانُوا من قبلِهم﴾ أي مآلُ حالِ مَنْ قبلَهم من الأُممِ المكذبةِ لرُسلِهم كعادٍ وثمودَ وأضرابِهم. **﴿كانُوا هم أشدَّ منهم قوةً﴾** قدرةً وتمكنًا من التصرفاتِ. وإنَّما جيءَ بضميرِ الفصلِ معَ أنَّ حقَّه التوسطُ بينَ معرفتينِ لمضاهاةِ أفعلَ للمعرفةِ في امتناعِ دخولِ اللامِ عليهِ. وقرئَ[1] أشدَّ منكم بالكافِ **﴿وآثارًا في الأرضِ﴾** مثلُ القلاعِ الحصينةِ والمدائنِ المتينةِ، وقيلَ: المَعْنى وأكثرَ آثارًا، كقولِه: [مجزوء الكامل]

.... مـتـقـلـدًا سـيـفًـا ورُمـحـا[2]

---

(١) قرأ بها: ابن عامر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٥٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٦٥)، والتيسير للداني ص (١٩١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٢).

(٢) عجز بيت وصدره:
يــا لـيــت زوجَــك قــد غــدا ....
والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر (٢/ ١٠٨)، (٦/ ٢٣٨)، وأمالي المرتضى (١/ ٥٤)، والإنصاف =

﴿فأخذهُم الله بذنوبِهم﴾ أخذًا وبيلًا ﴿وما كانَ لهمُ من الله من واقٍ﴾ أي منْ واقٍ يقيهم عذابَ الله ﴿ذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من الأخذِ ﴿بأنَّهم﴾ بسببِ أنَّهم ﴿كانتْ تأتيهم رسلُهم بالبيناتِ﴾ أي المعجزاتِ أو بالأحكامِ الظاهرةِ ﴿فكفرُوا فأخذَهُم الله إنَّه قويٌّ﴾ متمكنٌ مما يريدُ غايةَ التمكنِ ﴿شديدُ العقابِ﴾ لا يُؤبَهُ عندَ عقابِه بعقابٍ. ﴿ولقد أرسلنَا مُوسى بآياتِنا﴾ وهي معجزاتُه ﴿وسلطانٍ مبينٍ﴾ أي وحجَّةٍ قاهرةٍ وهيَ إما عينُ الآياتِ والعطفُ لتغايرِ العنوانينِ وإما بعضُ مشاهيرِها كالعَصا أفردتْ بالذكرِ مع اندراجِها تحتَ الآياتِ لإنافتِها إفرادَ جبريلَ وميكالَ به معَ دخولِها في الملائكةِ عليهم السَّلامُ.

﴿إلى فرعونَ وهامانَ وقارونَ فقالُوا ساحرٌ كذاب﴾ أي: فيما أظهرَهُ من المعجزاتِ وفيمَا ادَّعاهُ من رسالةِ ربِّ العالمينَ. ﴿فلما جاءَهُم بالحقِّ من عندِنا﴾ وهو ما ظهرَ على يدِه من المعجزاتِ القاهرةِ ﴿قالُوا اقتلُوا أبناءَ الذينَ آمنُوا معَه واستحيُوا نساءَهُم﴾ كما قالَ فرعونُ سنقتلُ أبناءَهُم ونستحيي نساءَهُم أي أعيدُوا عليهم ما كنتُم تفعلونَهُ أولًا وكانَ فرعونُ قد كفَّ عن قتلِ الوِلْدانِ فلما بُعثَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأحسَّ بأنَّه قد وقعَ ما وقعَ أعادَهُ عليهم غيظًا وَحنَقًا وزعمًا منْهُ أنَّه يصدُّهم بذلكَ عن مظاهرتِه ظنًّا منهُم أنَّه المولودُ الذي حكَم المنجّمونَ والكهنةُ بذهابِ ملكِهم على يدِه ﴿وما كيدُ الكافرينَ إلا في ضلالٍ﴾ أي: في ضَياعٍ وبُطلانٍ لا يُغني عنهُم شيئًا وينفذ عليهم لا محالةَ القدرُ المقدورُ والقضاءُ المحتومُ. واللامُ إمَّا للعهدِ والإظهارُ في موقعِ الإضمارِ لذمِّهم بالكفرِ والإشعارِ بعلةِ الحكمِ، أو للجنسِ وهم داخلونَ فيه دخولًا أوليا. والجملةُ اعتراضٌ جيءَ بِهِ في تضاعيفِ مَا حُكيَ عنْهم من الأباطيلِ للمسارعةِ إلى بيانِ بطلانِ ما أظهروه من الإبراقِ والإرعادِ واضمِحْلالِه بالمرةِ.

﴿وقالَ فرعونُ ذَرُوني أقتلْ مُوسى﴾ كانَ مَلؤُه إذَا هَمَّ بقتلِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ كفُّوه بقولِهم ليسَ هَذا بالذي تخافُه فإنَّه أقلُّ من ذاكَ وأضعفُ وما هُو إلا بعضُ السحرةِ، وبقولِهم إذا قتلتَهُ أدخلتَ على النَّاسِ شُبهةً واعتقدُوا أنَّكَ عجَزتَ عن معارضتِه بالحجَّةِ وعَدلتَ إلى المقارعةِ بالسيفِ، والظاهرُ من دهاءِ اللعينِ ونكارتِه أنَّه

= (٢/ ٦١٢)، والخصائص (٢/ ٤٣١)، وشرح شواهد الإيضاح، ص (١٨٢)، وشرح المفصل (٢/ ٥٠)، وخزانة الأدب (٢/ ٢٣١)، (٣/ ١٤٢)، (٩/ ١٤٢). ولسان العرب (١/ ٤٢٢) (رغب)، (٢/ ٢٨٧) (زجج)، (٢/ ٥٩٣) (هدى)، والمقتضب (٢/ ٥١).

كانَ قد استيقنَ أنَّه نبيٌّ وأنَّ ما جاءَ بهِ آياتٌ باهرةٌ وما هُو بسحرٍ ولكنْ كانَ يخافُ إنْ همَّ بقتلِه أنْ يُعاجلَ بالهلاكِ، وكانَ قولُه هذا تمويهًا على قومِه وإيهامًا أنَّهم هم الكافُّونَ له عن قتلِه ولولاهُم لقتلَه وما كانَ الذي يكفُّه إلا ما في نفسِه من الفزعِ الهائل. وقولُه: ﴿وليدعُ ربَّه﴾ تجلدٌ منه وإظهارٌ لعدمِ المُبالاةِ بدعائِه ولكنَّه أخوفُ ما يخافُه ﴿إنِّي أخافُ﴾ إنْ لم أقتلْهُ ﴿أنْ يبدلَ دينَكُم﴾ أنْ يغيرَ ما أنتُم عليهِ من الدينِ الذي هُو عبارةٌ عن عبادتِه وعبادةِ الأصنامِ لتقربَهم إليه ﴿أو أنْ يُظهرَ في الأرضِ الفسادَ﴾ ما يُفسدُ دُنياكُم من التحاربِ والتهارجِ إنْ لم يقدرُ على تبديلِ دينِكم بالكلِّيةِ. وقرئ[1] بالواوِ الجامعةِ، وقرئ[2] بفتحِ الياءِ والهاءِ ورفعِ الفساد، وقرئ[3] يَظَّهَّر بتشديدِ الظَّاءِ والهاءِ من تظهَّرَ بمعنى تظَاهرَ أي تتابعَ وتعاونَ ﴿وقالَ مُوسى﴾ أي لقومِه حينَ سمعَ بمَا تقوَّلَهُ اللعينُ من حديثِ قتلِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿إنِّي عذتُ بربِّي وربِّكم منْ كلِّ متكبرٍ لا يؤمنُ بيومِ الحسابِ﴾ صدَّرَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ كلامَهُ بإنَّ تأكيدًا له وإظهارًا لمزيدِ الاعتناءِ بمضمونِه وفرطِ الرغبةِ فيهِ، وخصَّ اسمَ الربِّ المنبئ عن الحفظِ والتربيةِ لأنَّهما الذي يستدعيه وأضافَهُ إليهِ وإليهم حثًّا لهم على موافقتِه في العياذِ بهِ تعالى والتوكلِ عليه فإنَّ في تظاهرِ النفوسِ تأثيرًا قويا في استجلابِ الإجابةِ ولم يسمِّ فرعونَ بل ذكرَهُ بوصفٍ يعمُّه وغيرَهُ منَ الجبابرةِ لتعميمِ الاستعاذةِ والإشعارِ بعلةِ القساوةِ والجرأةِ على الله تعالَى.

وقرئ[4] عُتُّ بالإدغامِ.

---

(١) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٧)، والتيسير للداني ص (١٩١)، الحجة لابن خالويه ص (٢١٣)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٢٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٩).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم، والأعمش، وابن وثاب، وعيسى، وابن محيصن، والحسن، وشعبة، والأعرج، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٦٩)، والتيسير للداني ص (١٩١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٦٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٣٤).

(٣) قرأ بها: مجاهد.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٣).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ونافع، وأبو جعفر، وخلف، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٠)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٢٠).

مؤمن آل فرعون

﴿**وقالَ رجلٌ مؤمنٌ مِنْ آلِ فرعونَ**﴾ قيلَ كانَ قبطيًّا ابْنَ عمٍّ لفرعونَ آمنَ بموسى سِرا، وقيلَ: كانَ إسرائيليًّا، أو غَريبًا مُوحدًا ﴿**يكتُم إيمانَهُ**﴾ أيْ مِنْ فرعونَ وملئِه ﴿**أتقتلونَ رَجُلًا**﴾ أتقصِدونَ قتلَهُ. ﴿**أنْ يقولَ**﴾ لأنْ يقولَ، أو كراهةَ أنْ يقولَ ﴿**رَبِّيَ اللهُ**﴾ أيْ وحدَهُ من غيرِ رويةٍ وتأملٍ في أمرِه ﴿**وقد جاءكُم بالبيناتِ**﴾ والحالُ أنَّه قد جاءكُم بالمعجزاتِ الظاهرةِ التي شاهدتمُوها وعهدتمُوها ﴿**مِنْ ربِّكم**﴾ أضافَهُ إليهم بعدَ ذكرِ البيناتِ احتجاجًا عليهم واستنزالًا لَهمُ عن رُتبةِ المكابرةِ ثم أخذَهُم بالاحتجاجِ من بابِ الاحتياطِ، فقالَ ﴿**وإن يكُ كاذبًا فعليه كذبُهُ**﴾ لا يتخطَّاهُ وبالُ كذبِه فيُحتاجَ في دفعه إلى قتلِه ﴿**وإنْ يكُ صَادِقًا يُصبْكُم بعضُ الذي يَعِدُكُم**﴾ أيْ إنْ لَم يُصبكم كلُّه فلا أقلَّ منْ إصابةِ بعضِه لا سيَّما إنْ تعرضتُم له بسوءٍ، وهَذا كلامٌ صادرٌ عن غايةِ الإنصافِ وعدمِ التعصبِ ولذلكَ قدَّمَ من شِقَّيْ الترديدِ كونَهُ كاذبًا أو يُصبْكُم ما يعدُكُم من عذابِ الدُّنيا وهو بعضُ ما يعدُهم كأنَّه خوَّفهم بما هو أظهرُ احتمالًا عندَهُم، وتفسيرُ البعضِ بالكُلِّ مستدَلًا بقولِ لَبيدٍ: [الكامل]

تـرَّاكُ أمـكـنـةٍ إذَا لَـمْ أَرْضَـهـا ... أو يرتبطْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[1]

مردودٌ لمَا أنَّ مرادَهُ بالبعضِ نَفْسُه ﴿**إنَّ اللهَ لاَ يَهدِي مَنْ هُو مُسرِفٌ كَذَّابٌ**﴾. احتجاجٌ آخرُ ذُو وجهينِ أحدُهما أنَّه لوْ كانَ مُسرفًا كذابًا لما هداهُ الله تعالَى إلى البيناتِ ولَما أيَّدهُ بتلكَ المعجزاتِ وثانيهما إنْ كان كذلك خذلَه الله وأهلكَهُ فَلا حاجةَ لكُم إلى قتلِه ولعلَّه أراهُم المعنى الثَّانِي وهُو عاكفٌ على المَعْنى الأول لتلينَ شكيمتُهم وقد عَرَّضَ به لفرعونَ بأنَّه مسرفٌ كذَّابٌ لا يهديه الله سبيلَ الصوابِ ومنهاجَ النجاةِ. ﴿**يا قومِ لكُم الملكُ اليومَ ظاهرينَ**﴾ غالبينَ عالينَ عَلى بني إسرائيلَ ﴿**في الأرضِ**﴾ أي أرضِ مصرَ لا يُقاومكُم أحدٌ في هذا الوقتِ ﴿**فَمَنْ ينصُرنا مِنْ بأسِ اللهِ**﴾ من أخذِه وعذابِه. ﴿**إنْ جاءَنا**﴾ أي فَلاَ تُفسدُوا أمرَكُم ولا تتعرضُوا لبأسِ الله بقتلِه فإنَّه إنْ جاءَنا لم يمنعنا منه أحدٌ وإنَّما نسبَ ما يسرُّهم من المُلكِ والظهورِ في الأرضِ إليهم خَاصَّة ونظمَ نفسَهُ في سلكِهم فيما يسوؤُهم من مجيءِ بأسِ الله تعالى تطييبًا لقلوبِهم وإيذانًا

---

(١) ينظر البيت في: ديوانه ص(٣١٣)، والخصائص (١/ ٧٤)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص(٧٧٢)، وشرح شواهد الشافية ص(٤١٥)، والصاحبي في فقه اللغة ص(٢٥١)، ومجالس ثعلب (٦٣، ٣٤٦، ٤٣٧)، والمحتسب (١/ ١١١)، وبلا نسبة في خزانة الأدب (٧/ ٣٤٩)، والخصائص (٢/ ٣١٧، ٣٤١).

بأنَّه ناصحٌ لهم ساعٍ في تحصيلِ ما يُجديهم ودفعِ ما يُرديهم سعيهُ في حقِّ نفسِه ليُتأثَرَ بنصحِه.

﴿قالَ فرعونُ﴾ بعد ما سَمِع نُصحَهُ ﴿ما أُريكُم﴾ أيْ ما أُشيرُ عليكُم ﴿إلَّا ما أَرَى﴾ وأستصوبُهُ مِنْ قتلِه ﴿وما أَهْديكُم﴾ بهذَا الرَّأي ﴿إلاَّ سبيلَ الرشادِ﴾ أي الصوابِ، أو لا أُعلِّمُكم إلَّا ما أعلمُ ولا أُسرُّ عنكُم خلافَ ما أُظهِرُهُ، ولقدْ كذبَ حيثُ كانَ مستشعرًا للخوفِ الشديدِ ولكنَّه كان يتجلدُ ولولاهُ لما استشارَ أحدًا أبدًا.

وقرئ[1] بتشديدِ الشِّينِ للمبالغةِ من رشُد كعلام أو من رشَد كعبّاد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصورٌ على السماع أو للنسبة إلى الرُّشْد كعوّاج وبتّات غير منظور فيه إلى فَعْل.

﴿وقالَ الذي آمنَ﴾ مخاطبًا لقومِه: ﴿يا قومِ إنِّي أخافُ عليكُم﴾ في تكذيبِه والتعرضِ بالسوءِ ﴿مثلَ يومَ الأحزابِ﴾ مثلَ أيامِ الأممِ الماضيةِ يعني وقائِعَهُم، وجمعُ الأحزابِ مع التفسيرِ أغنى عَن جمعِ اليوم ﴿مثلَ دأبِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ﴾ أيْ مثلَ جزاءِ ما كانوا عليهِ من الكفرِ وإيذاءِ الرُّسلِ. ﴿والذينَ منْ بعدِهم﴾ كقومِ لوطٍ ﴿ومَا الله يريدُ ظُلمًا للعبادِ﴾ فَلا يُعاقبُهم بغيرِ ذنبٍ ولا يُخلّي الظالَم منُهم بغيرِ انتقام وهُو أبلغُ من قولِه تعالى: ﴿وما ربُّك بظلامٍ للعبيدِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٤٦] لما أنَّ المنفيّ فيهِ إرادةُ ظلمٍ مَا فينتفي الظلمُ بطريقِ الأولويةِ.

﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عليكُم يومَ التنادِ﴾ خوَّفهم بالعذابِ الأُخروي بعدَ تخويفِهم بالعذابِ الدنيويِّ ويومُ التنادِ يومُ القيامةِ لأنَّه يُنادِي فيهِ بعضُهم للاستغاثةِ أو يتصايحونَ بالويلِ والثبورِ أو يتنادَى أصحابُ الجنةِ وأصحابُ النارِ حسبَما حُكِيَ في سورةِ الأعرافِ. وقرئ[2] بتشديدِ الدَّالِ وهُو أنْ ينِدَّ بعضُهم من بعضٍ كقولِه تعالى: ﴿يومَ يفِرُّ المرءُ من أَخيه﴾ [سورة عبس، الآية ٣٤] وعنِ الضحَّاكِ إذا سمعُوا زفيرَ النارِ ندُّوا هَربًا فلا يأتونَ قُطرًا من الأقطارِ إلاَّ وجدُوا ملائكةً صفوفًا فبينَا هُم يموجُ بعضهم في

---

(١) قرأ بها: معاذ بن جبل، والحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٢)، والمجمع للطبرسي (٢/ ٢٤١).

(٢) قرأ بها: ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح الكلبي، والزعفراني، وابن مقسم، عكرمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٧٤)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١١)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٢٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٤٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٨).

بعضٍ إذْ سمعُوا مُناديًا أقِبلوا إلى الحسابِ[١].

﴿يومَ تُولُّون مدبرينَ﴾ بدلٌ من يومَ التنادِ أي منصرفينَ عن الموقفِ إلى النارِ أو فارينَ منها حسبَما نُقلَ آنِفًا ﴿ما لكُم من الله منْ عاصمٍ﴾ يعصمُكم من عذابِه. والجملةُ حالٌ أُخْرَى من ضميرِ تُولُّون. ﴿ومَنْ يُضللِ الله فمَا لَهُ من هادٍ﴾ يهديه إلى طريقِ النجاةِ.

﴿ولقد جاءكُم يوسفُ﴾ هو يوسفُ بنُ يعقوبَ عليهما السَّلامُ على أنَّ فرعونَهُ فرعونُ مُوسَىٰ أو على نسبةِ أحوالِ الآباءِ إلى الأولادِ، وقيلَ سِبْطُه يوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يوسفَ الصدِّيقِ. ﴿مِنْ قبلُ﴾ من قبلِ موسى ﴿بالبيناتِ﴾ بالمعجزاتِ الواضحةِ ﴿فَمَا زِلْتُم في شك ممَّا جَاءكُم بِهِ﴾ من الدينِ ﴿حتَّى إذا هلكَ﴾ بالموتِ ﴿قلتُم لنْ يبعثَ الله من بعدِه رَسُولًا﴾ ضمًّا إلى تكذيبِ رسالتِه تكذيبَ رسالةِ مَنْ بعدَهُ أو جزمًا بألا يُبعثَ بعدَهُ رسولٌ معَ الشكِّ في رسالتِه. وقرئ[٢] ألنْ يبعثَ الله على أنَّ بعضَهُم يقررُ بعضًا بنفي البعثِ ﴿كذلكَ﴾ أي مثل ذلكَ الإضلالِ الفظيعِ ﴿يضلُّ الله مَنْ هُو مسرفٌ﴾ في عصيانِه ﴿مُرتابٌ﴾ في دينِه شاكٌّ فيما تشهدُ به البيناتُ لغلبةِ الوهمِ والانهماكِ في التقليدِ.

﴿الذينَ يُجادلونَ في آياتِ الله﴾ بدلٌ من الموصولِ الأولِ أو بيانٌ له أو صفةٌ باعتبارِ معناهُ كأنَّه قيلَ كلُّ مسرفٍ مرتابٍ أو المسرفينَ المرتابينَ ﴿بغيرِ سُلطانٍ﴾ متعلقٌ بيجادلونَ أي بغيرِ حُجَّةٍ صالحةٍ للتمسكِ بها في الجُملةِ ﴿أتاهُم﴾ صفةُ سلطانٍ ﴿كبُر مقتًا عندَ الله وعندَ الذينَ آمنُوا﴾ فيه ضربٌ من التعجبِ والاستعظامِ وفي كبُر ضميرٌ يعودُ إلى مَنْ وتذكيرُه باعتبارِ اللفظِ وقيلَ إلى الجدالِ المستفادِ من يُجَادلونَ ﴿كذلكَ﴾ أي مثل ذلكَ الطبعِ الفظيعِ ﴿يطبعُ الله على كلِّ قلبِ متكبرٍ جبَّارٍ﴾ فيصدرُ عنه أمثالُ ما ذُكَر من الإسرافِ والارتيابِ والمجادلةِ بالباطلِ.

وقرئ[٣] بتنوينِ قلبِ، ووصفُه بالتكبرِ والتجبرِ لأنَّه منبعُهما ﴿وقالَ فرعونُ يا هامانُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٤/ ٤١).
وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٩٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١١).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٦٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٧).

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، واليزيدي، وابن محيصن، وهشام، والداجوني، وابن ذكوان، والأخفش، والأعرج، وقتيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٧٨، ٣٧٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٧٢)، والتيسير للداني ص (١٩١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١).

ابنِ لي صَرْحًا﴾ أي بناءً مكشُوفًا عاليًا من صرُحَ الشيءُ إذَا ظهرَ **﴿لعلي أبلغُ الأسبابَ﴾** أي الطرقَ **﴿أسبابَ السمواتِ﴾** بيانٌ لها وفي إبهامِها ثمَّ إيضاحِها تفخيمٌ لشأنِها وتشويقٌ للسامعِ إلى معرفتِها **﴿فأَطّلعَ إلى إلِه مُوسى﴾** بالنصبِ على جوابِ الترجّي.

وقرئ[1] بالرفعِ عطفًا على أبلغُ، ولعلَّه أرادَ أنْ يبنيَ له رَصَدًا في موضعٍ عالٍ ليرصُدَ منْهُ أحوالَ الكواكبِ التي هي أسبابٌ سماويةٌ تدلُّ على الحوادثِ الأرضيةِ فيرى هَلْ فيها ما يدلُّ على إرسالِ الله تعالَى إيَّاهُ أو أنْ يَرَى فسادَ قولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بأنَّ إخبارَهُ من إلِه السماءِ يتوقفُ على اطّلاعِه عليهِ ووصولِه إليهِ وذلكَ لا يتأتَّى إلا بالصُّعودِ إلى السماءِ وهُو ممَّا لا يقْوَى عليهِ الإنسانُ وما ذاكَ إلا لجهلِه باللهِ سبحانَهُ وكيفيةِ استنبائِه.

﴿وَإِنِّي لأظنُّه كَاذِبًا﴾ فيما يدعيهِ من الرسالةِ **﴿وكذلكَ﴾** أيْ ومثلَ ذلكَ التزيينِ البليغِ المُفْرطِ **﴿زُينَ لفرعونَ سوءُ عملِه﴾** فانهمكَ فيهِ انهماكًا لا يرْعَوِي عنه بحال **﴿وصُدَّ عنِ السبيلِ﴾** أي الرشادِ. والفاعلُ في الحقيقةِ هُو الله تعالَى، ويؤيدُه قراءةُ[2] زَيَّنَ بالفتحِ وبالتوسطِ الشيطانُ. وقرئ[3] وصَدَّ على أنَّ فرعونَ صدَّ الناسَ عنِ الهُدى بأمثالِ هذهِ التمويهاتِ والشبهاتِ. ويُؤيدُه قولُه تعالى: **﴿وما كيدُ فرعونَ إلاَّ في تبابٍ﴾** أي خسَارٍ وهلاكٍ أو على أنَّه من صَدَّ صُدودًا أي أعرضَ. وقرئ[4] بكسرِ الصَّادِ على نقلِ حركةِ الدَّالِ إليهِ. وقرئ[5] وصَدٌّ على أنَّه عطفٌ على سوءُ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، وخلف، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، والإعراب للنحاس ص (١١٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٧٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٤)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٢٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٨)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٦٧).

(٣) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحميد، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٦)، والتيسير للداني ص (١٣٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٦٧).

(٤) قرأ بها: ابن وثاب، وعلقمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٦٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٨).

(٥) قرأ بها: ابن أبي إسحاق، وعبد الرحمن بن أبي بكرة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٢)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٦)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١٥).

عملِه وقرئ[١] وصَدُّوا أيْ هُو وقومُهُ.

﴿وقالَ الذي آمنَ﴾ أي مؤمنُ آلِ فرعونَ، وقيلَ مُوسَى عليهِ السَّلامُ. ﴿يا قومِ اتَّبِعُونِ﴾ فيما دَلَلْتكُم عليهِ ﴿أَهْدكُم سبيلَ الرَّشادِ﴾ أيْ سبيلًا يصلُ سالكُه إلى المقصودِ وفيه تعريضٌ بأنَّ ما يسلُكُه فرعونُ وقومُه سبيلُ الغيِّ والضلالِ. ﴿يا قوم إنَّما هذه الحياةُ الدُّنيا متاعٌ﴾ أي تمتعٌ يسيرٌ لسرعةِ زوالِها أجملَ لَهمُ أولًا ثمَّ فسرَ فافتتحَ بذمِّ الدُّنيا وتصغيرِ شأنِها لأنَّ الإخلادَ إليها رأسُ كلِّ شرٍّ ومنه تتشعبُ فنونُ ما يُؤدِّي إلى سخطِ الله تعالَى ثمَّ ثنَّى بتعظيم الآخرةِ فقالَ: ﴿وإنَّ الآخرةَ هيَ دارُ القرارِ﴾ لخلودِها ودوامِ ما فيها. ﴿من عَمِلَ﴾ في الدُّنيا ﴿سيئةً فلاَ يُجزَى﴾ في الآخرةِ ﴿إلاَّ مثلَها﴾ عدلًا من الله سبحانَهُ وفيه دليلٌ على أنَّ الجناياتِ تُغْرمُ بأمثالِها.

﴿ومنْ عملَ صالحًا من ذكرٍ أو أُنثى وهو مؤمنٌ فأولئكَ﴾ الذينَ عملِوا ذلَك ﴿يدخلونَ الجنةَ يُرزقونَ فيها بغيرِ حسابٍ﴾ أيْ بغيرِ تقديرٍ وموازنةٍ بالعملِ بَلْ أضعافًا مُضاعفةً فضلًا من الله عزَّ وجلَّ ورحمةً. وجعلُ العملِ عمدةً والإيمانِ حالًا للإيذانِ بأنَّه لا عبرةَ بالعملِ بدونِه، وأنَّ ثوابَهُ أَعْلَى منْ ذلك ﴿ويا قومِ ما لي أدعُوكم إلى النجاةِ وتدعونني إلى النارِ﴾ كررَ نداءَهم إيقاظًا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحَهُ. ومدارُ التعجبِ الذي يلوحُ به الاستفهامُ دعوتُهم إيَّاهُ إلى النارِ ودعوته إياهم إلى النجاة كأنه قبل: أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشرِّ وقد جعلَه بعضُهم من قبيلِ ما لي أراكَ حزينًا أي ما لكَ تكونُ حزينًا. وقولُه تعالَى: ﴿تدعونَنِي لأكفرَ باللهِ﴾ بدلٌ أو بيانٌ فيه تعليلٌ والدعاءُ كالهدايةِ في التعديةِ بإلى واللام ﴿وأشركَ به ما ليسَ لي بهِ﴾ بشركتِه له تعالى في المعبوديةِ وقيل بربوبيتِه ﴿علمٌ﴾ والمرادُ نفيُ المعلوم والإشعارُ بأنَّ الألوهيةَ لا بُدَّ لها من بُرهانٍ موجبٍ للعلم بَها. ﴿وأنا أدعُوكم إلى العزيزِ الغفَّارِ﴾ الجامع لجميعِ صفاتِ الألوهيةِ من كمالِ القُدرةِ والغَلبةِ وما يتوقفُ عليهِ من العلمِ والإرادةِ والتمكنِ من المجازاةِ والقدرةِ على التعذيبِ والغفرانِ.

﴿لا جرمَ﴾ لا ردَّ لما دعَوهُ إليهِ وجرمَ فعلٌ ماضٍ بمعَنْى حَقَّ وفاعلُه قولُه تعالى: ﴿أنَّ ما تدعونني إليهِ ليسَ له دعوةٌ في الدُّنيا ولا في الآخرةِ﴾ أيْ حق ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلًا أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابةِ دعوةٍ لهَا وقيلَ جرمَ بمعنى كسبَ وفاعلُه مستكنٌّ فيهِ أي كسبَ ذلكَ الدعاءُ إليهِ بطلانَ دعوتِه بمعنى ما

(١) ينظر: تفسير الألوسي (٢٤/ ٧٠).

حصلَ من ذلكَ إلا ظهورُ بطلانِ دعوتِه وقيل: جرمَ فعلٌ من الجَرْم وهو القطعُ كما أن بُدًّا من لا بد فُعْلٌ من التبديد أي التفريق والمعنى لا قطع لبطلانَ ألوهية الأصنام أي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقًا ويؤيده قولهم لا جُرْم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفُعْلٌ وفَعَلٌ أخوان كرُشْد ورَشَد ﴿وأنَّ مردَّنا إلى الله﴾ أي بالموتِ عطفٌ على أنَّ ما تدعونني داخلٌ في حُكمِه وكذا قولُه تعالى: ﴿وأنَّ المُسرفينَ﴾ أي في الضلالِ والطغيانِ كالإشراكِ وسفكِ الدِّماءِ ﴿هُم أصحابُ النَّارِ﴾ أي مُلازمُوهَا ﴿فستذكرونَ﴾ وقرئ فَستدكَّرُونَ أي فسيذكِّرُ بعضُكم بعضًا عند معاينةِ العذابِ ﴿ما أقولُ لكُم﴾ من النصائحِ ﴿وأفوضُ أمري إلى الله﴾ قالَه لما أنَّهم كانُوا توعَّدُوه ﴿إنَّ الله بصيرٌ بالعبادِ﴾ فيحرُسُ مَنْ يلوذُ به من المكارِه ﴿فوقاهُ الله سيئاتِ ما مكرُوا﴾ شدائدَ مكرِهم وما همّوا به من إلحاقِ أنواعِ العذابِ بمن خالفَهم قيلَ نَجا معَ مُوسى عليهِ السَّلامُ ﴿وحاقَ بآلِ فرعونَ﴾ أي بفرعونَ وقومِه، وعدمُ التصريحِ بهِ للاستغناءِ بذكرِهم عنْ ذكرِه ضرورةَ أنَّه أولى منُهم بذلكَ وقيل: بطَلَبةِ المؤمنِ منْ قومِه لما أنَّه فرَّ إلى جبلٍ فاتبعَهُ طائفةٌ ليأخذُوه فوجدُوه يُصلِّي والوحوشُ صفوفٌ حولَهُ فرجعُوا رُعْبًا فقتلَهُم ﴿سوءُ العذابِ﴾ الغرقُ والقتلُ والنَّارُ.

﴿النَّارُ يُعرضُونَ عليها غدُوًّا وعَشِيًّا﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مَسْوقةٌ لبيانِ كيفيةِ سوءِ العذابِ، أو النَّارُ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، كأنَّ قَائِلًا قالَ ما سوءُ العذابِ فقيلَ هُو النَّارُ ويُعرضونَ استئنافٌ للبيانِ، أو بدلٌ من سوءِ العذابِ ويُعرضون حالٌ منَها أو من الآلِ ولا يشترطُ في الحَيْقِ أنْ يكونَ الحائقُ ذلكَ السوءَ بعينِه حَتَّى يردَ أنَّ آلَ فرعونَ لم يهمُّوا بتعذيبِه بالنَّارِ ليكونَ ابتلاؤهم بها من قبيلِ رجوع ما هَمُّوا بهِ عليهم بلْ يكفي في ذلكَ أنْ يكونَ مما يطلقُ عليهِ اسمُ السوءِ. وقُرِئتْ[١] منصوبةً على الاختصاصِ أو بإضمار فعلٍ يفسرُه يُعرَضونَ مثلُ يُصْلَون فإنَّ عرضَهُم على النَّارِ بإحراقِهم بها من قولِهم عُرِضَ الأُسَارى على السيفِ إذا قُتِلُوا بهِ وذلكَ لأرواحِهم كما رَوَىَ ابنُ مسعودٍ رضَي الله عنْهُ أنَّ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ سُودٍ تُعرضُ على النَّارِ بُكرةً وعشيًّا إلى يوم القيامةِ[٢]، وذكرُ الوقتينِ إمَّا للتخصيصِ وإمَّا فيما بينهُمَا فالله تعالَى أعلمُ بحالِهم وإمَّا للتأبيدِ هذا ما دامتِ الدُّنيا.

---

(١) ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٠).

(٢) تقدم تخريجه في سورة البقرة الآية (١٥٤).

﴿ويومَ تقومُ الساعةُ﴾ يقالُ للملائكةِ ﴿أَدْخِلُوا آلَ فرعونَ أَشدَّ العذابِ﴾ أي عذابَ جهنَم فإنَّه أشدُّ ممَّا كانُوا فيه، أو أشدّ عذابِ جهنَم، فإنَّ عذابَها ألوانٌ بعضُها أشدُّ من بعضٍ. وقرئ[١] ادخُلُوا من الدخولِ أي يُقالُ لهم ادخُلُوا يا آلَ فرعونَ أشدَّ العذابِ ﴿وإذْ يتحاجُّون في النَّارِ﴾ أي واذكُر لقومِكَ وقتَ تخاصُمِهم فيَها ﴿فيقولُ الضعفاءُ﴾ منهم ﴿للذينَ استكبرُوا﴾ وهُم رؤساؤُهم ﴿إنَّا كنَّا لكُم تبعًا﴾ أتباعًا كخَدَم في جمعِ خَادِمٍ، أو ذَوِي تبعٍ أي أتْباعٍ على إضمارِ المضافِ أو تَبَعًا على الوصفِ بالمصدرِ مبالغةً ﴿فهل أنتم مُّغنونَ عنَّا نصيبًا منَ النَّارِ﴾ بالدفعِ أو بالحملِ، ونصيبًا منصوبٌ بمضمرٍ يدلُّ عليه مغنونَ أي دافعونَ عنَّا نصيبًا إلخ. أو بمغنونَ على تضمينِه مَعْنى الحملِ أي مغنونَ عنَّا حاملينَ نصيبًا إلخ أو نُصبَ على المصدريةِ كشيئًا في قوله تعالى: ﴿لنْ تُغنيَ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم منَ الله شيئًا﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٠ و١١٦ - وسورة المجادلة، الآية ١٧] فإنَّه في موقعِ غَناءٍ فكذلكَ نصيبًا.

﴿قالَ الذينَ استكبرُوا إنَّا كلٌّ فيَها﴾ أي نحنُ وأنتُم فكيفَ تُغنِي عنكُم ولو قَدرنا لأغنَيَنا عن أنفسِنا. وقرئ[٢] كُلا على التأكيدِ لاسم إنَّ بمَعنى كُلّنا وتنوينُه عوضٌ عن المضافِ إليهِ ولا مساغَ لجعلِه حالًا من المستكنِّ في الظرفِ فإنَّه لا يعملُ في الحالِ المتقدمةِ كما يعملُ في الظرفِ المتقدمِ فإنَّك تقولُ كلَّ يوم لكَ ثوبٌ ولاَ تقولُ جديدًا لك ثوبٌ ﴿إنَّ الله قد حكَم بينَ العبادِ﴾ وقَضَى قضاءً متقنًا لاً مردَّ لهُ ولا معقّبَ لحُكمِهِ.

﴿وقالَ الذينَ في النَّارِ﴾ من الضعفاءِ والمستكبرينَ جميعًا لمَّا ضاقتْ حيلُهم وعيّتْ بهم عِللُهم ﴿لخزنةِ جهنَم﴾ أي للقُوَّام بتعذيبِ أهلِ النَّارِ، ووضعُ جهنَمَ موضعَ الضميرِ للتهويلِ والتفظيعِ أو لبيانِ محلِّهم فيَها بأنْ تكونَ جهنمُ أبعدَ دركاتِ النَّارِ وفيها أَعْتَى الكفرةِ وأطغاهُم أو لكونِ الملائكةِ الموكلينَ بعذابِ أهلِها أقدرَ على الشفاعةِ لمزيدِ قُربهم منَ الله تعالى: ﴿ادعُوا ربّكم يخففْ عنَّا يومًا﴾ أي مقدارَ يومٍ أو في يومٍ ما منَ الأيامِ على أنه ظرفٌ لا معيارُ شيئًا ﴿من العذابِ﴾ واقتصارهُم في الاستدعاءِ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن، وأبو الحسن، وعلي، وقتادة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، الإعراب للنحاس (٣/ ١٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٧٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١).

(٢) قرأ بها: ابن السميفع، وعيسى بن عمر.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٦٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٠).

على ما ذُكرَ من تخفيفِ قدرٍ يسيرٍ من العذابِ في مقدارٍ قصيرٍ من الزمانِ دونَ رفعِه رأسًا أو تخفيفِ قدرٍ كثيرٍ منْهُ في زمانٍ مديدٍ لأنَّ ذلكَ عندهُم مما ليسَ في حيزِ الإمكانِ ولا يكادُ يدخلُ تحتَ أمانِيِّهم.

﴿قالُوا﴾ أي الخزنةُ ﴿أَوَ لَمْ تكُ تأتيكُم رسلُكم بالبيناتِ﴾ أيْ ألم تُنبهوا على هَذا ولم تكُ تأتيكُم رسلُكم في الدُّنيا على الاستمرارِ بالحججِ الواضحةِ الدالةِ على سُوءِ مغبةِ ما كنتُم عليهِ من الكُفرِ والمَعَاصِي، كَما في قولِه تعالَى: ﴿ألم يأتِكُم رسلٌ منكُم يتلونَ عليكُم آياتِ ربِّكم وينذرونكم لقاءَ يومِكم هَذا﴾ [سورة الزمر، الآية ٧١] أرادُوا بذلكَ إلزامَهُم وتوبيخَهُم على إضاعةِ أوقاتِ الدُّعاءِ وتعطيلِ أسبابِ الإجابةِ ﴿قالُوا بَلَى﴾ أي أتَونا بها فكذَّبناهُم كما نطقَ به قولُه تعالَى: ﴿بلى قد جاءَنا نذيرٌ فكذَّبنا وقُلنَا ما نَّزل الله من شيءٍ إنْ أنتُم إلاَّ في ضَلالٍ كبيرٍ﴾ [سورة الملك، الآية ٩] والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿قالُوا فادْعُوا﴾ فصحيةٌ كما في قولِ مَنْ قالَ: [البسيط]

فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا[1]

أيْ إذَا كانَ الأمرُ كذلكَ فادعُوا أنتُم فإنَّ الدعاءَ لمن يفعلُ ذلكَ مما يستحيلُ صدورُه عنَّا وتعليلُ امتناعِهم عنِ الدعاءِ بعدمِ الإذنِ فيه معَ عرائِه عن بيانِ أنَّ سببَهُ من قبلِهم كَما تُفصحُ عنه الفاءُ رُبَّما يُوهُم أنَّ الإذنَ في حيزِ الإمكانِ وأنَّهم لو أُذنَ لهم فيهِ لفعلُوا ولم يريدُوا بأمرِهم بالدعاءِ إطماعَهُم في الإجابةِ بلِ إقناطَهم منَها وإظهارَ خيبتهم حسبما صرَّحُوا بهِ في قولِهم: ﴿وما دعاءُ الكافرينَ إلاَّ في ضلالٍ﴾ أي ضياعٍ وبُطلانٍ. وقولُه تعالَى:

﴿إنَّا لننصرُ رُسلنَا والذينَ آمنُوا﴾ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ من جهتِه تعالَى لبيانِ أنَّ ما أصابَ الكفرةَ من العذابِ المحِكيِّ من فروعِ حكمٍ كليٍّ تقتضيه الحكمةُ وهو أنَّ شأنَنا المستمرَّ أنَّا ننصرُ رسلنَا وأتباعَهُم ﴿في الحياةِ الدُّنيا﴾ بالحجَّةِ والظفرِ والانتقامِ لهم من الكفرةِ بالاستئصالِ والقتلِ والسَّبي وغيرِ ذلكَ من العقوباتِ ولا يقدحُ في ذلكَ ما قدْ يتفقُ لهم من صورةِ الغلبةِ امتحانًا إذِ العبرةُ إنَّما هيَ بالعواقبِ وغالبِ الأمر.

﴿ويومَ يقومُ الأشهادُ﴾ أي: يومَ القيامةِ عبرَ عنْهُ بذلكَ للإشعارِ بكيفيةِ النُصرةِ وأنَّها تكونُ عندَ جميعِ الأولينَ والآخِرينَ بشهادةِ الأشهادِ للرسلِ بالتبليغِ وعلى الكفرةِ بالتكذيبِ ﴿يومَ لا ينفَعُ الظالمينَ معذرتُهم﴾ بدلٌ من الأولِ وعدمُ نفعِ المعذرةِ لأنَّها

---

(١) تقدم.

باطلةٌ. وقرئ[(١)] لا تنفعُ بالتاءِ ﴿**ولهُم اللعنةُ**﴾ أيْ البُعدُ عن الرحمةِ ﴿**ولهم سوءُ الدارِ**﴾ أي جهنَّم ﴿**ولقد آتينا مُوسى الهُدَى**﴾ ما يُهتدَى بهِ من المعجزاتِ والصحفِ والشرائعِ ﴿**وأورثنا بني إسرائيلَ الكتابَ**﴾ وتركنَا عليهم من بعدِه التوراةَ ﴿**هُدى وذِكْرى**﴾ هدايةً وتذكرةً أو هاديًا ومذكرًا ﴿**لأُولِي الألبابِ**﴾ لذوِي العقولِ السليمةِ العاملينَ بما في تضاعيفِه ﴿**فاصبرْ**﴾ على ما نالكَ من أذيةِ المشركينَ ﴿**إنَّ وعدَ الله**﴾ أيْ وعدَه الذي ينطقُ بهِ قولُه تعالَى: ﴿ولقد سبقتْ كلمتُنا لعبادِنا المُرسلينَ إنَّهم لَهُم المنصورونَ وإنَّ جندَنا لهُم الغالبون﴾ [سورة الصافات، الآية ١٧١] أو وعدَهُ الخاصَّ بكَ أو جميعَ مواعيدِه التي من جُمْلتِها ذلكَ ﴿**حقٌّ**﴾ لا يحتملُ الإخلافَ أصلًا واستشهدْ بحالِ مُوسى وفرعونَ ﴿**واستغفرْ لذنبِكَ**﴾ تداركًا لما فرَطَ منكَ من تركِ الأَوْلى في بعضِ الأحايينِ فإنَّه تعالَى كافيكَ في نُصرةِ دينكَ وإظهارِه على الدِّينِ كُلِّه ﴿**وسبِّحْ بحمدِ ربِّك بالعشيِّ والإبْكارِ**﴾ أيْ ودُمْ على التسبيحِ ملتبسًا بحمدِه تعالَى، وقيلَ صَلِّ لهذينِ الوقتينِ إذْ كانَ الواجبُ بمكةَ ركعتينِ بُكرةً وركعتينِ عشيا، وقيلَ صلِّ شُكرًا لربِّكَ بالعشيِّ والإبكارَ، وقيلَ هُمَا صلاةُ العصرِ وصلاةُ الفجرِ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٧)، والبحر المحيط (٧/ ٤٧٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣١٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٥).

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿**إنَّ الذينَ يُجادلون في آياتِ الله**﴾ ويجحدونَ بها ﴿**بغيرِ سُلطانٍ أتاهُم**﴾ في ذلكَ من جهتِه تعالَى، وتقييدُ المجادلةِ بذلكَ مع استحالةِ إتيانِه للإيذانِ بأنَّ التكلَم في أمِر الدِّينِ لا بُدَّ من استنادِه إلى سطانٍ مبينٍ ألبتةَ وهذا عامٌ لكلِّ مجادلٍ مُبطلٍ وإنْ نزلَ في مُشركِي مكة. وقولُه تعالَى: ﴿**إنْ في صدورهم إلا كِبرٌ**﴾ خبرٌ لإنَّ، أيْ ما فِي قلوبِهم إلا تكبرٌ عن الحقِّ وتعظّمٌ عن التفكرِ والتعلم، أو إلاَّ إرادةُ الرياسةِ والتقدم على الإطلاقِ أو إلا إرادةُ أنْ تكونَ النبوةُ لهم دونَك حسدًا وبغيًا حسبَما قالُوا: ﴿لولَا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتينِ عظيم﴾ [سورة الزخرف، الآية ٣١] وقالُوا: ﴿لو كانَ خيرًا ما سبقونَا إليهِ﴾ [سورة الأحقاف، الآية ١١] ولذلكَ يُجادلون فيها لا أنَّ فيها موقعَ جدالٍ ما أو أنَّ لهمُ شيئًا يتوهم أنْ يَصلُحَ مدارًا لمُجادلتِهم في الجُملةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿**مَا هُم ببالغيه**﴾ صفةٌ لكِبرٌ. قال مجاهدٌ ما هُم ببالغي مقتضَى ذلكَ الكِبرِ وهُو ما أرادُوه من الرياسةِ أو النبوةِ، وقيلَ[1] المجادلونَ هم اليهودُ وكانُوا يقولونَ لستَ صاحبَنا المذكورَ في التوراةِ بلْ هُو المسيحُ بنُ داودَ يريدونَ الدجَّالَ يخرجُ في آخرِ الزمانِ ويبلغُ سلطانُه البَرَّ والبحرَ وتسيرُ معه الأنهارُ وهُو آيةٌ من آياتِ الله تعالى فيرجعُ إلينا المُلكُ فسمَّى الله تعالَى تمنِّيَهم ذلكَ كبْرًا ونَفَى أنْ يبلُغوا مُتمنَّاهُم ﴿**فَاستعذْ بالله**﴾ أي فالتجىءْ إليهِ من كيدِ مَنْ يحسدُكَ ويبغِي عليكَ وفيهِ رمزٌ إلى أنَّه من هَمَزاتِ الشياطينِ

---

(١) ذكره الألوسي في روح المعاني (٢٤/ ٧٨).

﴿إنَّه هُو السميعُ البصيرُ﴾ لأقوالِكم وأفعالِكم. وقولُه تعالَى:

﴿لخلقُ السمواتِ والأرضِ أكبرُ من خلقِ النَّاسِ﴾ تحقيقٌ للحقِّ وتبيينٌ لأشهرِ ما يُجادلونَ فيهِ من أمرِ البعثِ على منهاجِ قولِه تعالى: ﴿أوليسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أنْ يخلقَ مثلَهُم﴾ [سورة يس، الآية ٨١] ﴿ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمونَ﴾ لقصُورِهم في النظرِ والتأملِ لفرطِ غفلتِهم واتباعِهم لأهوائِهم. ﴿وما يستوى الأَعْمى والبصيرُ﴾ أي الغافلُ والمستبصرُ[1] ﴿والذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ ولا المسيءُ﴾ أي والمحسنُ والمسيءُ فلا بُدَّ أنْ تكونَ لهم حالٌ أُخرى يظهرُ فيها ما بينَ الفريقينِ من التفاوتِ وهيَ فيما بعدَ البعثِ وزيادةُ لا في المسيءِ لتأكيدِ النفي لطولِ الكلامِ بالصلةِ ولأنَّ المقصودَ نفي مساواتِه للمحسنِ فيما له من الفضلِ والكرامةِ والعاطفُ الثاني عطفُ الموصولِ بما عُطفَ عليهِ على الأعمى والبصيرُ لتغايرِ الوصفينِ في المقصودِ أو الدلالةِ بالصراحةِ والتمثيلِ.

﴿قليلًا ما تتذكَّرُونَ﴾ على الخطابِ بطريقِ الالتفاتِ أي تذكرًا قليلًا تتذكرون، وقرئ[2] على الغَيبةِ والضميرُ للناسِ أو الكفَّارِ ﴿إنَّ الساعةَ لآتيةٌ لا ريبَ فيها﴾ أي في مجيئِها لوضوحِ شواهدِها وإجماعِ الرسلِ على الوعدِ بوقوعِها. ﴿ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يُؤمنونَ﴾ لا يُصدقونَ بها لقصورِ أنظارِهم على ظواهرِ ما يُحسُّون به.

﴿وقالَ ربُّكم ادعُوني﴾ أي اعبدونِي ﴿استجبْ لكُم﴾ أي أُثِبْكُم لقولِه تعالى: ﴿إنَّ الذينَ يستكبرونَ عنْ عبادتِي سيدخُلونَ جهنَّم داخرينَ﴾ أيْ صاغرينَ أذلاَّء وإنْ فُسِّرِ الدعاءُ بالسؤالِ كانَ الأمرُ الصارفُ عنه منزّلًا منزلةَ الاستكبارِ عن العبادةِ للمبالغةِ أو المرادُ بالعبادةِ الدعاءُ فإنَّه من أفضلِ أبوابِها. وقرئ[3] سيُدخلُونَ على

---

(١) أي استعارة تصريحية لأنه قد صرح فيها بالمستعار.
ينظر: المثل السائر (٢/ ٨٣) وما بعدها، ومفتاح العلوم (٣٨٠)، وشروح التلخيص (٤/ ٥٦)، والصناعتين (٢٩٥).

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والأعرج، والحسن، وأبو جعفر، وشيبة، وأبو عبيد، وأبو حاتم، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٤٧٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٨٦)، والتيسير للداني ص (١٩٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٢٧).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس، وزيد بن علي، وشعبة، وابن محيصن، ويعقوب، وعباس، والمفضل، وسهل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٧٩)، والبحر المحيط (٧/ ٤٧٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٨٦)، =

صيغةِ المبنيِّ للمفعولِ من الإدخالِ.

﴿الله الذي جعلَ لكُم الليلَ لتسكنُوا فيهِ﴾ بأنْ خلقَهُ باردًا مُظلمًا ليُؤدِّيَ إلى ضعفِ المحركاتِ وهُدءِ الحواسِّ لتستريحُوا فيهِ. وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ قد مرَّ سرُّه مرارًا ﴿والنهارَ مُبصِرًا﴾ أي مُبصَرًا فيهِ أو بهِ. ﴿إنَّ الله لذُو فضلٍ﴾ عظيمٍ لا يُوازِيه ولا يدانِيه فضلٌ. ﴿على النَّاسِ ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يشكرُونَ﴾ لجهلِهم بالمُنعمِ وإغفالِهم مواضعَ النعمِ، وتكريرُ النَّاسِ لتخصيصِ الكفرانِ بهم.

﴿ذلكُم﴾ المتفردُ بالأفعالِ المقتضيةِ للألوهيةِ والربوبيةِ ﴿الله رَّبكُم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إلَه إلا هُو﴾ أخبارٌ مترادفةٌ تخصصُ اللاحقةُ منها السابقةَ وتُقررها. وقرئ خالقَ بالنصبِ على الاختصاصِ فيكونُ لاَ إلَه إلا هُو استئنافًا بما هُو كالنتيجة للأوصاف المذكورةِ ﴿فأنَّى تُؤفكونَ﴾ فكيفَ، ومن أيِّ وجهٍ تُصرفونَ عن عبادتِه خاصَّةً إلى عبادةِ غيرِه ﴿كذلكَ يُؤفكُ الذينَ كانُوا بآياتِ الله يجحدونَ﴾ أي مثلَ ذلكَ الإفكِ العجيبِ الذي لا وجَه لهُ ولا مصححَ أصلًا يؤفكُ كلُّ من جحدَ بآياتِه تعالَى أيَّ آية كانتْ لا إفكًا آخرَ له وجهٌ ومصحِّحٌ في الجملة ﴿الله الذي جعلَ لكم الأرضَ قرارًا والسماءَ بناءً﴾ بيانٌ لفضلِه تعالى المتعلقِ بالمكانِ بعد بيانِ فضلِه المتعلقِ بالزمانِ. وقولُه تعالَى: ﴿وصوَّرَكُم فأحسنَ صُورَكُم﴾ بيانٌ لفضلِه المتعلقِ بأنفسِهم، والفاءُ في فأحسنَ تفسيريةٌ فإنَّ الإحسانَ عينُ التصويرِ أي صوَّركُم أحسنَ تصويرٍ حيثُ خلقَكُم مُنتصِبَ القامةِ باديَ البَشَرةِ متناسبَ الأعضاءِ والتخطيطاتِ متهيئًا لمزاولةِ الصنائعِ واكتسابِ الكمالاتِ.

﴿ورزقكُم من الطيباتِ﴾ أي اللذائذِ ﴿ذلكُم﴾ الذي نُعتَ بما ذُكرَ من النعوتِ الجليلةِ ﴿الله رُّبكم﴾ خبرانِ لذلكُم ﴿فتباركَ الله﴾ أي تعالَى بذاتِه ﴿ربُّ العالمينَ﴾ أي مالكُهم ومربيِهم والكلُّ تحتَ ملكوتِه مفتقرٌ إليه في ذاتِه ووجودِه وسائرِ أحوالِه جميعًا بحيثُ لو انقطعَ فيضُه عَنه آنًا لانعدمَ بالكليةِ ﴿هُو الحيُّ﴾ المتفردُ بالحياةِ الذاتيةِ الحقيقةِ ﴿لا إلَه إلَّا هُو﴾ إذْ لاَ موجودَ يدانيهِ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه ﴿فادعُوه﴾ فاعبدُوه خاصَّةً لاختصاصِ ما يُوجبه به تعالَى ﴿مخلصينَ له الدينَ﴾ أي الطاعةَ من الشركِ الجليِّ والخفيِّ ﴿الحمدُ لله ربِّ العالمينَ﴾ أيْ قائلينَ ذلكَ، عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا:

= والتيسير للداني ص (١٩٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٤٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٢).

مَنْ قالَ لا إلهَ إلَّا الله فليقُلْ علَى أثرِها الحُمد الله ربِّ العالمينَ[١].

من دلائل التوحيد

﴿قل إنِّي نُهيت أنْ أعبدَ الذينَ تدعونَ من دونِ الله لما جاءنِيَ البيناتُ من ربِّي﴾ من الحججِ والآياتِ أو من الآياتِ لكونِها مؤيدةً لأدلةِ العقلِ منبهةً عليها فإنَّ الآياتِ التنزيليةَ مفسراتٌ للآياتِ التكوينيةِ الآفاقيةِ والأنفُسية. ﴿وأُمرتُ أنْ أُسلمَ لربِّ العالمينَ﴾ أيْ بأنْ أنقادَ لهُ وأخلصَ له دِيني ﴿هُو الذي خلقكُم مِنْ تُرابٍ﴾ أيْ في ضمنِ خلقِ آدمَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منه حسبَما مرَّ تحقيقُه مرارًا. ﴿ثُمَّ منْ نطفةٍ﴾ أي ثمَّ خلقكُم خلقًا تفصيليًا من نطفة أي منيٍّ. ﴿ثمَّ مِنْ علقةٍ ثم يُخرجكم طفلًا﴾ أي أطفالًا. والإفراد لإرادة الجنسِ، أو لإرادةِ كلِّ واحدٍ من أفرادِه. ﴿ثمَّ لتبلغُوا أشدَّكُم﴾ علةٌ ليخرجَكم معطوفةً على علةٍ أُخرى له مناسبةٌ لها كأنَّه قيلَ ثم يُخرجَكُم طِفْلًا لتكبَروا شيئًا فشيئًا ثم لتبلُغوا كمالَكُم في القوةِ والعقلِ وكَذا الكلامُ في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ لتكونُوا شيوخًا﴾ ويجوزُ عطفُه عَلى لتبلغُوا. وقرئَ[٢] شيخًا كقولِه تعالَى طِفْلًا ﴿ومنكُم منْ يُتوفَّى من قبلُ﴾ أي من قبلِ الشيخوخةِ بعد بلوغِ الأشدِّ أو قبلَه أيضًا. ﴿ولتبلغُوا﴾ متعلقٌ بفعلٍ مقدرٍ بعدَهُ أي ولتبلغُوا ﴿أجلًا مُسمًّى﴾ هُو وقتُ الموتِ، أو يومَ القيامةِ يفعلُ ذلكَ ﴿ولعلَّكم تعقلونَ﴾ ولكي تعقلُوا ما في ذلكَ من فنونِ الحِكَم والعِبر ﴿هُو الذي يحيي﴾ الأمواتَ ﴿ويُميتُ﴾ الأحياءَ أو الذي يفعلُ الإحياءَ والإماتةَ ﴿فإذا قَضَى أمرًا﴾ أي أرادَ أمرًا من الأمورِ ﴿فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكون﴾ من غيرِ توقفٍ على شيءٍ من الأشياءِ أصلًا وهذا تمثيلٌ لتأثيرِ قُدرتِه تعالى في المقدوراتِ عند تعلقِ إرادتِه بها وتصويرٌ لسرعةِ ترتبِ المكوناتِ على تكوينِه من غيرِ أنْ يكونَ هناكَ أمرٌ ومأمورٌ. والفاءُ الأُولَى للدِلالةِ على أنَّ ما بعدَها من نتائج ما قبلها من اختصاصِ الإحياءِ والإماتةِ به سبحانَه.

﴿ألم تَرَ إلى الذينَ يُجادلون في آياتِ الله أنَّى يُصرفون﴾ تعجيبٌ من أحوالِهم الشنيعةِ وآرائِهم الركيكةِ وتمهيدٌ لما يعقُبه من بيانِ تكذيبِهم بكلِّ القُرآنِ وبسائرِ الكتبِ

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣٨)، كتاب: التفسير، باب: «من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله»، والطبري في تفسيره (١١/ ٧٥)، رقم (٣٠٣٩١)، كلاهما من طريق مجاهد عن ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢١) للبيهقي في الأسماء والصفات، وللثعلبي في تفسيره، وكذا لابن مردويه جميعهم من نفس الطريق السابق.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٦).

والشرائعِ وترتيبُ الوعيدِ على ذلكَ كَما أنَّ ما سبقَ من قولِه تعالَى: ﴿إنَّ الذينَ يُجادلونَ في آياتِ الله﴾ [سورة غافر، الآية ٥٦] إلخ بيانٌ لابتناءِ جدالِهم على مَبْنى فاسدٍ لا يكادُ يدخلُ تحتَ الوجودِ هُو الأمنيَّةُ الفارغةُ فلا تكريرَ فيهِ أي انظُرْ إلى هؤلاءِ المكابرينَ المُجادلينَ في آياتِه تعالَى الواضحةِ الموجبةِ للإيمانِ بها الزاجرةِ عن الجدالِ فيها كيفَ يُصرفونَ عنها معَ تعاضدِ الدَّواعِي إلى الإقبالِ عليها وانتفاءِ الصوارفِ عنها بالكُلِّيةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿**الذينَ كذَّبُوا بالكتابِ**﴾ أيْ بكُلِّ القُرآنِ أو بجنسِ الكُتبِ السماويةِ فإنَّ تكذيبَهُ تكذيبٌ لهَا في محلِّ الجرِّ على أنَّه بدلٌ من الموصولِ الأولِ أو في حيزِ النصبِ أو الرفعِ على الذمِّ، وإنما وُصلَ الموصولُ الثَّانِي بالتكذيبِ دُونَ المُجادلةِ لأنَّ المعتادَ وقوعَ المُجادلةِ في بعضِ الموادِ لا في الكُلِّ. وصيغةُ الماضِي للدلالة على التحقق كما أنَّ صيغةَ المضارعِ في الصلةِ الأُولى للدلالةِ على تجددِ المجادلةِ وتكررِها ﴿**وبما أرسلنَا به رسلَنا**﴾ من سائرِ الكتبِ أو مطلقِ الوَحيِ والشرائعِ ﴿**فسوفَ يعلمونَ**﴾ كُنْهَ ما فعلُوا من الجدالِ والتكذيبِ عند مشاهدتِهم لعقوباتِه ﴿**إذِ الأغلالُ في أعناقِهم**﴾ ظرفٌ ليعلمونَ إذِ المَعْنى على الاستقبالِ. ولفظُ الماضِي لتيقنِه.

﴿**والسَّلاسلُ**﴾ عطفٌ على الأغلالِ. والجارُّ في نيةِ التأخيرِ وقيل: مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه، وقيل: قوله تعالى: ﴿**يسحبون**﴾ بحذفِ العائدِ أي يُسحبونَ بَها وهُو على الأولَينِ حالٌ من المُستكنِّ في الظرفِ وقيل: استئنافٌ وقعَ جوابًا عن سؤالٍ نشأَ من حكايةِ حالِهم كأنَّه قيلَ فماذَا يكونُ حالُهم بعدَ ذلكَ فقيلَ يُسحبونَ ﴿**في الحميمِ**﴾ وقرئَ[1] والسلاسلَ يَسحبون بالنَّصبِ وَفتحِ الياءِ عَلَى تقديمِ المفعولِ وعطفِ الفعلَيةِ على الاسميةِ، والسَّلاسلِ بالجرِّ حملًا على المَعْنى لأنَّ قولَه تعالى: ﴿الأغلالُ في أعناقِهم ﴾ في مَعْنى أعناقُهم في الأغلالِ أو إضمارًا للباءِ ويدلُّ عليه القراءةُ بهِ ﴿**ثم في النارِ يُسجرونَ**﴾ أي يُحرقونَ مِنْ سجرَ التنورَ إذا ملأَهُ بالوقودِ ومنُه السَّجيرُ للصديقِ كأنَّه سُجِّر بالحبِّ أي مُلىءَ والمرادُ بيانُ أنَّهم يُعذبونَ بأنواعِ العذابِ ويُنقلونَ من بابٍ إلى بابٍ ﴿**ثُمَّ قيلَ لَهمُ أينَ ما كنتُم تُشركونَ من دونِ الله قالُوا ضَلُّوا عنَّا**﴾ أي يقالُ لَهمُ ويقولونَ. وصيغةُ المَاضِي للدلالةِ على التحقيقِ ومَعْنى

---

(١) قرأ بها: أبو الجوزاء، وابن عباس، وابن مسعود، وزيد بن علي، وابن وثاب، وعكرمة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٢١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٧٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٩٣)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٥٥)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٦)، والمجمع للطبرسي (٨/ ٥٣٢).

ضلُّوا عنَّا غابُوا عنَّا وذلكَ قبلَ أنْ يُقرنَ بهم آلهتُهم أو ضاعُوا عنَّا فلم نجدْ ما كُنَّا نتوقعُ منُهم. **﴿بَلْ لم نكُنْ ندعُو من قبلُ شيئًا﴾** أي بَلْ تبينَ لنَا أنَّا لم نكُنْ نعبدُ شيئًا بعبادتِهم لما ظهرَ لنا اليومَ أنَّهم لم يكونُوا شيئًا يعتدُّ بِهِ كقولِك حسبتُه فلم يكُنْ.

﴿كذلكَ﴾ أي مثلَ ذلكَ الضلالِ الفظيعِ **﴿يُضلُّ الله الكافرينَ﴾** حيثُ لا يهتدونَ إلى شيءٍ ينفعُهم في الآخرةِ أو كما ضلَّ عنُهم آلهتُهم يُضلّهم عن آلهتِهم حتَّى لو تطالبُوا لم يتصادفُوا **﴿ذلكُم﴾** الإضلالُ **﴿بما كنتُم تفرحونَ في الأرضِ﴾** أي تبطَرون وتتكبرون **﴿بغيرِ الحقِّ﴾** وهُو الشركُ والطغيانُ **﴿وبما كنتُم تمرحُون﴾** تتوسعونَ في البطر والأشَر. والالتفاتُ للمبالغة في التوبيخِ.

﴿ادخلُوا أبوابَ جهنَم﴾ أي أبوابَها السبعةَ المقسومةَ لكُم **﴿خالدينَ فيَها﴾** مقدرًا خلودُكم فيها **﴿فبئسَ مثوى المتكبرينَ﴾** أي عن الحقِّ جهنمُ والتعبيرُ عن مدخلِهم بالمَثْوى لكونِ دخولِهم بطريقِ الخلودِ **﴿فاصبرْ﴾** إلى أنْ يُلاقُوا ما أُعدَّ لهمُ من العذابِ **﴿إنَّ وعدَ الله﴾** بتعذيبِهم **﴿حقٌّ﴾** كائنٌ لا محالَة **﴿فإمَّا نرينَّكَ﴾** أي فإنْ نُرِكَ ومَا مزيدةٌ لتأكيدِ الشرطيةِ ولذلكَ لحقتِ النونُ الفعلَ ولا تلحقُه مع إنْ وحدَها **﴿بعضَ الذي نعدهم﴾** وهو القتلُ والأسرُ **﴿أو نتوفينكَ﴾** قبلَ ذلكَ **﴿فإلينَا يُرجعونَ﴾** يومَ القيامةِ فنجازِيهم بأعمالِهم وهُو جوابُ نتوفينكَ وجوابُ نرينك محذوفٌ مثلُ فذاكَ ويجوزُ أن يكونَ جوابًا لهما بَمعْنى إنْ نُعذبهم في حياتِك أو لم نُعذبْهم فإنَّا نعذبهم في الآخرةِ أشدَّ العذابِ وأفظَعه كما ينبئ عنْهُ الاقتصارُ على ذكِر الرجوعِ في هذا المعرضِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ولقد أرسلَنا رسلًا من قبلكَ منْهم من قصصنَا عليكَ ومنُهم منْ لَم نقصُصْ عليك﴾ إذْ قيلَ عددُ الأنبياءِ عليهم السلام مائةٌ وأربعةٌ وعشرونَ ألفًا، والمذكورُ

قصصُهم أفرادٌ معدودةٌ وقيلَ أربعةُ آلافٍ من بني إسرائيلَ وأربعةُ آلافٍ من سائرِ النَّاسِ. ﴿وما كانَ لرسولٍ﴾ أي وما صحَّ وما استقامَ لرسولٍ منهم ﴿أنْ يأتيَ بآيةٍ إلا بإذنِ الله﴾ فإنَّ المعجزاتِ على تشعب فنونِها عطايَا من الله تعالَى قسمها بينهم حسبَما اقتضتْهُ مشيئتُه المبنيةُ على الحكم البالغةِ كسائرِ القَسْم ليسَ لهم اختيارٌ في إيثارِ بعضِها والاستبدادِ بإتيانِ المقترحِ منهَا ﴿فإذَا جاءَ أمرُ الله﴾ بالعذابِ في الدُّنيا والآخرةِ ﴿قُضيَ بالحقِّ﴾ بإنجاءِ المُحقِّ وإثابتِه وإهلاكِ المُبطلِ وتعذيبِه ﴿وخسِرَ هُنالكَ﴾ أي وقتَ مجيءِ أمرِ الله، اسمُ مكانٍ استعيرَ للزمانِ ﴿المُبطلونَ﴾ أي المتمسكونَ بالباطلِ على الإطلاقِ فيدخلُ فيهم المعاندونَ المقترحونَ دخولًا أوليا.

﴿الله الذي جعلَ لكُم الأنعامَ﴾ قيلَ هيَ الإبلُ خَاصَّةً، أي خلقَها لأجلِكُم ومصلحتِكم. وقولُه تعالى: ﴿لتركبُوا منهَا ومنهَا تأكلونَ﴾ تفصيلٌ لما دلَّ عليهِ اللامُ إجمالًا، ومِنْ لابتداءِ الغايةِ ومعناهَا ابتداءُ الركوبِ والأكلِ منهَا أي تعلقهُما بهَا، وقيل: للتبعيضِ أي لتركبُوا بعضَها وتأكلُوا بعضَها لا على أنَّ كلاًّ من الركوبِ والأكلِ مختصٌّ ببعضٍ معينٍ منها بحيثُ لا يجوزُ تعلقُه بما تعلقَ به الآخرُ بلْ على أنَّ كلَّ بعضٍ منَها صالحٌ لكلٍّ منهما، وتغييرُ النظمِ الكريمِ في الجُملةِ الثانيةِ لمُراعاةِ الفواصلِ معَ الإشعارِ بأصالةِ الركوبِ ﴿ولكُم فيها منافعُ﴾ أُخرُ غيرُ الركوبِ والأكلِ كألبانِها وأوبارِها وجلودِها ﴿ولتبلغُوا عليها حاجةً في صدورِكم﴾ بحملِ أثقالِكم من بلدٍ إلى بلدٍ ﴿وعليَها وعلى الفُلكِ تُحملون﴾ لعلَّ المرادَ به حملُ النساءِ والولدانِ عليها بالهودجِ، وهو السرُّ في فصلِه عن الركوبِ. والجمعُ بينَها وبينَ الفلكِ في الحملِ لما بينَهمَا من المناسبةِ التامَّةِ حتى سُميتْ سفائنَ البرِّ وقيلَ: هي الأزواجُ الثمانيةُ فمعنى الركوبِ والأكلِ منها تعلقُهمَا بالكلِّ لكنْ لا على أنَّ كلاًّ منهُمَا تعلقُه بما تعلقَ به الآخرُ بل على أنَّ بعضَها يتعلقُ به كلاهُما كالإبلِ والبقرِ، والمنافعُ تعمُّ الكلَّ، وبلوغُ الحاجةِ عليها يعمُّ البقرَ ﴿ويريكُم آياتِه﴾ دلائلَه الدالةَ على كمالِ قُدرتِه ووفورِ رحمتِه ﴿فأيَّ آياتِ الله﴾ أي فأيَّ آيةٍ من تلكَ الآياتِ الباهرةِ ﴿تُنكرونَ﴾ فإنَّ كلًا منها من الظهورِ بحيثُ لا يكادُ يجترئ على إنكارِها مَنْ له عقلٌ في الجملةِ وهو ناصبٌ لأيَّ، وإضافةُ الآياتِ إلى الاسم الجليلِ لتربيةِ المهابةِ وتهويلِ إنكارِها وتذكير أيْ هُو الشائعُ المستفيضُ، والتأنيثُ قليلٌ لأنَّ التفرقةَ بين المذكرِ والمؤنثِ في الأسماءِ غيرُ الصفاتِ نحوُ حمارٌ وحمارةٌ غريبٌ وهيَ في أيٍّ أغربُ لإبهامِه.

﴿أفلم يسيرُوا﴾ أي أقعدُوا فلم يسيرُوا ﴿في الأرضِ فينظرُوا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلِهم﴾ من الأمم المُهلكةِ. وقولُه تعالَى: ﴿كانُوا أكثرَ منهُم وأشدَّ قوةً﴾ إلخ استئنافٌ مسوقٌ لبيان مبادِي أحوالِهم وعواقِبها ﴿وآثارًا في الأرضِ﴾ باقيةً بعدَهُم من الأبنيةِ

والقصورِ والمصانعِ، وقيلَ هي آثارُ أقدامِهم في الأرضِ لعظمِ أجرامِهم **﴿فما أغنَى عنهُم ما كانُوا يكسبونَ﴾** مَا الأُولى نافيةٌ أو استفهاميةٌ منصوبةٌ بأَغْنَى، والثانيةُ موصولةٌ أو مصدريةٌ مرفوعةٌ، أيْ لَم يُغنِ عنهُم أو أيَّ شيءٍ أغنَى عنهُم مكسوبُهم أو كسبُهم **﴿فلما جاءتْهُم رسلُهم بالبيناتِ﴾** بالمعجزاتِ أو بالآياتِ الواضحةِ **﴿فرحُوا بما عندَهُم من العلمِ﴾** أي أظهرُوا الفرحَ بذلكَ وهو ما لَهُم من العقائدِ الزائغةِ والشُّبهِ الداخصةِ.

وتسميتُها علمًا للتهكمِ بهم، أو علم الطبائعِ والتنجيم والصنائعِ ونحوِ ذلك، أو هو علمُ الأنبياءِ الذي أظهرَهُ رسلُهم على أنَّ مَعْنَى فرحِهم بِهِ ضحِكُهم منْهُ واستهزاؤُهم بِهِ، ويؤيدُه قولُه تعالى: **﴿وحاقَ بهم ما كانُوا به يستهزءونَ﴾** وقيلَ الفرحَ أيضًا للرسلِ فإنَّهم لمَّا شاهدُوا تماديَ جهلِهم وسوءَ عاقبتِهم فرِحُوا بمَا أُوتوا منَ العلمِ المُؤدِّي إلى حُسنِ العاقبةِ وشكرُوا الله عليهِ وحاقَ بالكافرينَ جزاءُ جهلِهم واستهزائِهم **﴿فلَّما رَأَوا بأسَنَا﴾** شدةَ عذابِنا ومنْهُ قولُه تعالى: **﴿بعذابٍ بئيسٍ﴾** [سورة الأعراف، الآية ١٦٥] **﴿قالُوا آمنَّا بالله وحدَهُ وكفرنَا بما كُنَّا به مشركِينَ﴾** يعنونَ الأصنامَ **﴿فلم يكُ ينفعُهم إيمانُهم لمَّا رأَوا بأسَنا﴾** أي عندَ رؤيةِ عذابِنا لامتناعِ قَبولِه حينئذٍ ولذلكَ قيلَ فلم يكُ بمعَنْى لَم يصحَّ ولم يستقمْ. والفاءُ الأُولى لبيانِ عاقبةِ كثرتِهم وشدةِ قوتِهم وما كانُوا يكسبونَ بذلكَ زعمًا منهُم أنَّ ذلكَ يُغنِي عنُهم فلم يترتبْ عليهِ إلا عدمُ الإغناءِ فبهذا الاعتبارِ جرى مَجرى النتيجةِ وإنْ كانَ عكسَ الغرضِ ونقيضَ المطلوبِ كَما في قولِك وعظتُه فلم يتعظْ.

والثانيةُ تفسيرٌ وتفصيلٌ لما أُبهمَ وأُجملَ من عدمِ الإغناءِ وقد كثُر في الكلامِ مثلُ هذه الفاءِ ومبناهَا على أنَّ التفسيرَ بعدَ الإبهامِ والتفصيلَ بعد الإجمالِ.

والثالثةُ لمجردِ التعقيبِ وجعلِ ما بعدَها تابعًا لما قبلَها واقعًا عقيبه لأنَّ مضمونَ قولِه تعالَى: فلمَّا جاءتْهُم . . . إلخ هُو أنَّهم كفرُوا فصارَ مجموعُ الكلامِ بمنزلةِ أنْ يقالَ فكفرُوا ثمَّ لما رَأَوا بأسَنا آمنُوا، والرابعةُ للعطفِ على آمنُوا كأنَّه قيلَ فآمنُوا فلم ينفعْهُم لأنَّ النافعَ هُو الإيمانُ الاختياريُّ **﴿سنةَ الله التي قَد خلتْ في عبادِه﴾** أي سَنَّ الله تعالَى ذلكَ سُنَّةً ماضيةً في العبادِ وهو من المصادرِ المؤكدةِ **﴿وخَسِرَ هُنالكَ الكافرونَ﴾** أي وقتَ رؤيتِهم البأسَ على أنَّه اسمُ مكانٍ قد استُعيرَ للزمانِ كما سلفَ آنِفًا.

عن رسولِ الله ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ المؤمنِ لم يبقَ روحُ نبيٍّ ولا صدِّيقٍ ولا شهيدٍ ولا مؤمنٍ إلا صلَّى عليه واستغفرَ له»**(١).

---

(١) أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣)، من حديث أبي.
وهو حديث موضوع وتقدم الكلام عليه.

سُورةُ فصلت

مكيةٌ وآيُها ثلاثٌ أو أربعٌ وخمسونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

﴿حم﴾ إنْ جُعِلَ اسمًا للسورةِ فهو إما خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ وهو الأظهرُ لما مرَّ مِنْ [سرِّه][1] مِرارًا أو مبتدأٌ خبرُهُ ﴿تنزيلٌ﴾ وهو على الأولِ خبرٌ بعدَ خبرٍ، وخبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ إن جُعلَ مسرودًا على نمطِ التعديدِ وقولُه تعالى: ﴿من الرحمٰن الرحيم﴾ متعلقٌ به مؤكدٌ لما أفاده التنوينُ من الفخامةِ الذاتيةِ بالفخامة الإضافيةِ، أو خبرٌ آخَرُ. أو تنزيلٌ مبتدأٌ لتخصصه بالصفةِ خبرُهُ ﴿كتابٌ﴾ وهو على الوجوهِ[2] الأُوَل بدلٌ منه أو خبرٌ آخرُ أو خبرٌ لمحذوفٍ. ونسبةُ التنزيلِ إلى الرحمٰنِ الرحيم للإيذانِ بأنه[3] مدارٌ للمصالحِ[4] الدينيةِ والدنيويةِ، واقعٌ بمقتضى الرحمةِ الربانيةِ حسبما ينبئ عنه قولُه تعالى: ﴿وما أرْسلناكَ إلا رحمةً للعالمينَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠٧]. ﴿فُصِّلَتْ آياتُه﴾ ميزتْ بحسبِ النظمِ والمَعنْى وجُعلتْ تفاصيلَ في أساليبَ مختلفةٍ ومعانٍ متغايرةٍ من أحكامٍ وقصصٍ ومواعظَ وأمثالٍ ووعدٍ ووعيد.

وقرئ[5] فَصَلَتْ، أي فَرَقتْ بينَ الحقِّ والباطلِ، أو فُصلَ بعضُها من بعضٍ باختلافِ الأساليبِ والمعاني من قولكَ فَصلَ من البلدِ فُصُولًا ﴿قرآنا عربيًا﴾ نصبٌ

---

(١) سقط في خ.
(٢) في خ: وجوه.
(٣) في خ: بأن.
(٤) في خ: المصالح.
(٥) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤١).

على المدحِ أو الحاليةِ من (كتابٌ) لتخصصه[١] بالصفة أو[٢] من آياته ﴿**لقومٍ يعلمونَ**﴾ أي معانيَهُ لكونِه على لسانِهم، وقيلَ لأهلِ العلم والنظر، لأنهم المنتفعونَ به. واللامُ متعلقةٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ أُخرى لقرآنًا، أي كائنًا لقومٍ إلخ، أو بتنزيلٌ على أنَّ منَ الرحمٰنِ الرحيم ليستْ بصفة له أو بفصِّلَتْ ﴿**بَشيرًا ونَذيرًا**﴾ صفتانِ أُخريانِ لقرآنًا أي بشيرًا لأهلِ الطاعة ونذيرًا لأهلِ المعصية، أو حالانِ منْ كتابٌ، أو من آياتِه. وقُرِئَا[٣] بالرفع على الوصفية لكتابٌ أو الخبريةِ لمحذوف ﴿**فأعرضَ أكثرُهم**﴾ عنْ تدبره مع كونه على لغتهم ﴿**فهُم لا يسمعونَ**﴾ سماعَ تفكرٍ وتأملٍ حتى يفهمُوا جلالَة قدرِه فيؤمنُوا به ﴿**وقالُوا**﴾ أي لرسولِ الله ﷺ عندَ دعوتِه إيَّاهم إلى الإيمان والعملِ بما في القرآن ﴿**قلوبُنا في أكنةٍ**﴾ أي أغطيةٍ متكاثفةٍ ﴿**مما تدعونَا إليه وفي آذانِنا وقرٌ**﴾ أي صممٌ، وأصلُه الثقلُ. وقرئ[٤] بالكسرِ، وقرئ[٥] بفتحِ القافِ ﴿**ومنْ بينِنا وبينِكَ حجابٌ**﴾ غليظٌ يمنعنَا عن التواصلِ، ومنْ للدلالةِ على أن الحجابَ مبتدأٌ من الجانبينِ بحيثُ استوعبَ ما بينهما من المسافةِ المتوسطةِ ولم يبقَ ثمةَ فراغٌ أصلًا وهذه تمثيلاتٌ لنُبوِّ قلوبِهم عنْ إدراكِ الحقِّ وقبولِه ومجِّ أسماعِهم له كأنَّ بها صممًا وامتناع مواصلتِهم وموافقتِهم للرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ.

﴿**فاعملْ**﴾ أي على دينكَ وقيلَ في إبطال أمرنا ﴿**إننا عاملونَ**﴾ أي على دينِنا، وقيل في إبطال أمرك والأولُ هو الأظهرُ فإن قولَه تعالى: ﴿**قُلْ إنَّما أنَا بشرٌ مثلُكم يُوحى إليَّ إنما إلٰهُكُم إلهٌ واحدٌ**﴾ تلقينٌ للجوابِ عنه أي لستُ منْ جنس مغايرٍ لكم حتى يكونَ بيني وبينكم حجابٌ وتباينٌ مصححٌ لتباين الأعمالِ والأديان، كما ينبئ عنه قولُكم. ﴿فاعملْ إننَا عاملونَ﴾ [سورة فصلت، الآية ٥] بلْ إنما أنا بشرٌ مثلُكم مأمورٌ بما أُمرتم به حيثُ أُخبرْنا جميعًا بالتوحيدِ بخطابٍ جامع بيني وبينكم فإن الخطابَ في إلٰهُكم محكيٌ منتظمٌ لكلٍّ لا أنه خطابٌ منه عليه الصلاةُ والسلامُ للكفرةِ كما في مثلُكم، وقيلَ المعنى لستُ مَلَكًا ولا جِنيًا[٦] لا يمكنكم التلقّي منه ولا أدعوكم إلى ما تنبُو عنه العقولُ والأسماعُ وإنما أدعوكُم إلى التوحيدِ والاستقامةِ في العملِ، وقد تدلُّ

---

(١) في خ: لتخصيصه. (٢) في خ: و.

(٣) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٣٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤١).

(٤) قرأ بها: طلحة بن مصرف.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٢).

(٥) ينظر: تفسير الألوسي (٢٤/ ٩٦). (٦) في خ: نبيا.

عليهما دلائلُ العقلِ وشواهدُ النقلِ.

وقيلَ المَعْنى إني لستُ بملَكٍ وإنما أنا بشرٌ مثلُكم وقد أُوحي إليّ دونَكم فصحَّتْ[١] بالوحي إليَّ وأنا بشرٌ نبوتِي وإذا صحَّت نبوتِي وجبَ عليكم اتباعِي، فتأمل. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فاستقيمُوا إليهِ﴾ لترتيبِ ما بعدَها على ما قبلَها من إيحاءِ الوحدانيةِ فإن ذلك موجبٌ لاستقامتِهم إليه تعالى بالتوحيدِ والإخلاصِ في الأعمالِ ﴿واستغفرُوه﴾ مما كنتم عليهِ من سُوءِ العقيدةِ والعملِ. وقولُه تعالى: ﴿وويلٌ للمشركينَ﴾ ترهيبٌ وتنفيرٌ لهم عن الشركِ إِثَر ترغيبِهم في التوحيدِ. ووصفَهُم بقولِه تعالى: ﴿الذينَ لا يُؤتونَ الزكاةَ﴾ لزيادة التحذيرِ والتخويفِ عن منع الزكاةِ حيثُ جُعلَ من أوصافِ المشركينَ وقُرنَ بالكفر بالآخرة، حيث قيل ﴿وهُم بالآخرةِ هم كافرونَ﴾ وهو عطفٌ على لا يُؤتون داخلٌ في حيزِ الصلةِ، واختلافُهما بالفعلية والاسميةِ لما أنَّ عدمَ إيتائِها متجددٌ والكفرُ أمرٌ مستمرٌ. ونُقلَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه فسرَ لا يُؤتون الزكاةَ بقوله لا يقولون لا إلَه إلا الله فإنها زكاةُ الأنفسِ[٢]، والمعنى لا يطهرون أنفسَهُم من الشرك بالتوحيد، وهو مأخوذٌ من قولِه تعالى: ﴿ونفسٍ وما سوَّاها﴾ [سورة الشمس، الآية ٧] وقال الضحاكُ ومقاتلٌ لا ينفقون في الطاعات ولا يتصدقُون[٣] وقال مجاهدٌ لا يزكون أعمالَهُم[٤].

﴿إن الذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ لهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ﴾ أي لا يُمنُّ به عليهم من المَنِّ وأصله الثقلُ أو لا يُقطع من مننتُ الحبلَ قطعتُه. وقيل نزلتْ في المَرضى والهَرمى إذا عجزُوا عن الطاعة كُتب لهم الأجرُ كأصحِّ ما كانوا يعملونه ﴿قل أئنكم لتكفرونَ﴾ إنكارٌ وتشنيعٌ لكفرهم وإنَّ واللامُ إما لتأكيد الإنكارِ وتقديمُ الهمزةِ لاقتضائها الصدارةَ لا لإنكارِ التأكيدِ وإما للإشعارِ بأن كفرَهُم من البعد بحيثُ ينكرُ العقلاءُ وقوعَهُ فيحتاجُ إلى التأكيد وإنما علق كفرُهم بالموصول حيثُ قيل: ﴿بالذي خلقَ الأرضَ في يومينِ﴾ لتفخيم شأنِه تعالى واستعظامِ كفرِهم به أي بالعظيم الشأنِ الذي قدَّرَ وجودَها أي حكَم بأنها ستوجدُ في مقدار يومينِ أو في نوبتينِ على أن ما يُوجدُ في كلِّ نوبةٍ يوجدُ بأسرعِ ما يكونُ وإلا فاليومُ الحقيقيُّ إنما يتحققُ بعدَ وجودِها

---

(١) في خ: وصحت.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٨٦) رقم (٣٠٤٢٢).
وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٠٧).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٠٧).

(٤) المصدر السابق.

وتسويةِ السمواتِ وإبداعِ نيرّاتِها وترتيبِ حركاتِها.

﴿وتجعلونَ له أندادًا﴾ عطفٌ على تكفرُونَ داخلٌ في حكم الإنكارِ والتوبيخ. وجمعُ[1] الأندادِ باعتبار ما هو الواقعُ لا بأن يكونَ مدارُ الإنكارِ[2] هو التعددُ أي وتجعلونَ له أندادًا والحالُ أنه لا يمكنُ أن يكونَ له ندٌّ واحدٌ ﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ باعتبار اتصافِه بما في حيز الصلةِ وما فيه من معنى البعدِ مع قرب العهدِ بالمشار إليه للإيذانِ ببُعدِ منزلتِه في العظمة وإفرادُ الكافِ لما مرَّ مِرارًا من أنَّ المرادَ ليس تعيينَ المخاطبينَ وهو مبتدأٌ خبرُهُ ما بعدَهُ أي ذلكَ العظيمُ الشأنِ الذي فعلَ ما ذُكرَ ﴿ربُّ العالمينَ﴾ أي خالقُ جميعِ الموجوداتِ و[3]مربيها دونَ الأرضِ خاصَّة فكيف يتُصورُ أن يكونَ أخسُّ مخلوقاتِه نِدًّا له!.

وقولُه تعالَى: ﴿وجعلَ فيها رواسيَ﴾ عطفٌ على خلقَ داخلٌ في حكم الصلةِ والجعلُ إبداعيٌّ وحديثُ لزومِ الفصلِ بينهما بجملتينِ خارجتينِ عن حيزِ الصلةِ مدفوعٌ بأن الأُولى متحدةٌ بقولِه تعالى: تكفرونَ فهو بمنزلةِ الإعادةِ له، والثانيةُ اعتراضيةٌ مقررةٌ لمضمون الكلامِ بمنزلة التأكيدِ فالفصلُ بهما كلاَ فصلٍ على أن فيه فائدةَ التنبيهِ على أن مجردَ المعطوفِ عليه كافٍ في تحقق ربوبيتِه للعالمينَ واستحالةِ أنْ يجعلَ له ندٌّ فكيفَ إذا انضمَّ إليه المعطوفاتُ وقيلَ هو عطفٌ على مقدرٍ أي خلقَها وجعلَ إلخ وقيلَ هو كلامٌ متسأنفٌ وأيًّا ما كان فالمرادُ تقديرُ الجعلِ لا الجعلُ بالفعلِ.

وقولُه تعالى: ﴿من فوقِها﴾ متعلقٌ بجعلَ أو بمضمر هو صفةٌ لرواسِي أي كائنةً من فوقها مرتفعةً عليها لتكونَ منافعُها معرضةً لأهلها ويظهرَ[4] للنظّارِ ما فيها من مراصدِ الاعتبارِ ومطارحِ الأفكارِ ﴿وباركَ فيها﴾ أي قدرَ أن يكثرَ خيرُها بأن يخلقَ أنواعَ الحيواناتِ التي من جُملتها الإنسانُ وأصنافُ النباتِ التي منها معايشُهم ﴿وقدّرَ فيها أقواتَها﴾ أي حكَم بالفعلِ بأن يوجدَ فيما سيأتي لأهلها من الأنواع المختلفةِ أقواتُها المناسبةُ لها على مقدار معينٍ تقتضيه الحكمةُ. وقرئ[5] وقَسَّم فيَها أقواتَها.

﴿في أربعةِ أيامٍ﴾ متعلقٌ بحصول الأمورِ المذكورةِ، لا بتقديرها أي قدرَ حصولَها

---

(١) في خ: وجميع.
(٢) في خ: لإنكارهم.
(٣) في خ: أو.
(٤) زاد في خ: فيها.
(٥) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: التبيان للطوسي (٩/ ١٠٦)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١١).

في يومينِ وإنما قيلَ في أربعة أيام أي تتمةِ أربعةٍ تصريحًا بالفذلكةِ ﴿سواءً﴾ مصدرٌ مؤكدٌ لمضمرٍ، هو صفةٌ لأيامٍ أي استوتْ سواءً أيَّ استواءً كما ينبئ عنه القراءةُ[١] بالجرِّ وقيلَ هو حالٌ من الضميرِ في أقواتها أو في فيَها. وقرئ[٢] بالرفع أي هو سواءٌ ﴿للسائلين﴾ متعلقٌ بمحذوف تقديرُه هذا الحصرُ للسائلينَ عن مدةِ خلقِ الأرضِ وما فيها أو بـ (قدَّرَ) أي قدَّرَ فيها أقواتَها لأجل السائلينَ أي الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين. وقوله تعالى:

﴿ثم استوى إلى السماءِ﴾ شروعٌ في بيان كيفيةِ التكوينِ إثرَ كيفيةِ التقديرِ، ولعلَّ تخصيصَ البيانِ بما يتعلقُ بالأرض وأهلِها لما أن بيان اعتنائِه تعالى بأمر المخاطبين وترتيبِ مبادِي معايشِهم قبلَ خلقِهم مما يحملُهم على الإيمان ويزجُرهم عن الكفر والطغيانِ أي ثم قصدَ نحوهَا قصدًا سويًا لا يلوِي على غيرِه ﴿وهي دخان﴾ أي أمرٌ ظلمانيٌّ عبرَ به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرةِ التي ركبتْ هي منها أو دخانٌ مرتفعٌ من الماءِ كما سيأتي وإنما خصَّ الاستواءَ بالسماءِ مع أن الخطابَ المترتبَ عليه متوجهٌ إليهما معًا حسبما ينطقُ به قولُه تعالى:

﴿فقالَ لها وللأرضِ﴾ اكتفاءً بذكر تقديرِ ما فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التي قدرَ وجودَ ما فيها: ﴿ائتيا﴾ أي كُونا واحدُثا على وجه معينٍ وفي وقت مقدرٍ لكل منكُما وهو عبارةٌ عن تعلق إرادتِه تعالى بوجودهما تعلقًا فعليا بطريق التمثيلِ بعد تقديرِ أمرِهما من غير أن يكونَ هناك أمرٌ ومأمورٌ كما في قوله تعالى كُنْ وقولُه تعالى: ﴿طوعًا أو كَرْهًا﴾ تمثيلٌ لتحتم تأثيرِ قدرتِه تعالى فيهما واستحالةِ امتناعِهما من ذلكَ لا إثباتُ الطوعِ والكرهِ لهما وهما مصدرانِ وقعا موقعَ الحالِ، أي طائعتينِ أو كارهتينِ.

وقولُه تعالى: ﴿قالتا أتينا طائعينِ﴾ أي منقادينِ تمثيلٌ لكمال تأثرهما بالذات عن

---

(١) قرأ بها: يعقوب، والحسن، وزيد بن علي، وابن أبي إسحاق، وعمرو بن عبيد، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٩٨٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٤)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٦٥)، والمعاني للفراء (٣/ ١١)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٠٣).

(٢) قرأ بها: أبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٨)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٠٤)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٦٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٤٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٦).

القدرة الربانيةِ[١] وحصولِهما كما أُمرتا بهِ وتصويرٌ لكونِ وجودِهما كما هما عليه جاريًا على مُقتضى الحكمةِ البالغةِ، فإن الطوعَ منبئٌ عن ذلكَ والكُرهَ موهمٌ لخلافهِ وإنما قيلَ طائعينَ باعتبارِ كونِهما في معرض الخطابِ والجوابِ كقوله تعالى: ﴿ساجدينَ﴾ [سورة يوسف، الآية ٤] وقولُه تعالى: ﴿فقضاهن سبعَ سمواتٍ﴾ تفسيرٌ وتفصيلٌ لتكوين السماءِ المجملِ المعبرِ عنه بالأمر وجوابِه لا أنه فعلٌ مترتبٌ على تكوينها[٢] أي خلقهنَّ خلقًا إبداعيا وأتقنَ أمرَهنَّ حسبما تقتضيهِ الحكمةُ. والضميرُ: إما للسماء على المَعْنى أو مبهمٌ وسبعَ سمواتٍ حالٌ على الأول تمييزٌ على الثانِي ﴿في يومينِ﴾ في وقتٍ مقدرٍ بيومينِ وقد بينَ مقدارُ زمانِ خلقِ الأرضِ وخلقِ ما فيها عند بيانِ تقديرهما فكانَ خلقُ الكلِّ في ستة أيامٍ حسبما نصَّ عليهِ في مواقعَ من التنزيلِ.

﴿وأَوْحى في كلِّ سماءٍ أمرَها﴾ عطفٌ على (قضاهُنَّ) أي خلقَ في كلٍّ منها ما فيها من الملائكة والنيّراتِ وغيرِ ذلك مما لا يعلمُه إلا الله تعالى كما قاله قَتَادةُ والسدِّيُّ[٣] فالوحي عبارةٌ عن التكوينِ كالأمر[٤] مقيدٌ بما قُيد به المعطوفُ عليه من الوقت أو أوحى[٥] إلى أهل كلٍّ منَها أو أمرَهُ وكلَّفهم ما يليقُ بهم من التكاليف فهو بمعناهُ ومطلقٌ عن القيد المذكورِ، وأيا ما كان فعلى ما قُررَ من التفصيل لا دِلالةَ في الآية الكريمةِ على الترتيب بين إيجادِ الأرضِ وإيجادِ السماءِ وإنما الترتيبُ بين التقديرِ والإيجادِ. وإما على تقديرِ كونِ الخلقِ وما عُطفَ عليهِ من الأفعالِ الثلاثةِ على معانيها

---

(١) وذلك مبني على أن المجيء والإقبال لا يراد بهما المعنى الحقيقي، لأن السماء والأرض لا يتصور أن يأتيا، ولا يتصور منهما طواعية أو كراهية إذ ليستا من أهل العقول والإدراكات، ولا يتصور أن الله يكرهها على ذلك، لأنه يقتضي خروجها عن قدرته بادئ ذي بدء تعين الصرف عن المعنى الحقيقي، وذلك بأحد وجهين لهما من البلاغة المكانة العليا؛ الوجه الأول: أن يكون الإتيان مستعارًا لقبول التكوين كما استعير للعصيان الإدبار في قوله: ﴿ثم أدبر يسعى﴾ فمعنى ائتيا: امتثلا أمر التكوين، وهذا الامتثال مستعار للقبول، وهو من بناء المجاز على المجاز، وله مكانة في البلاغة والوجه الثاني أن تكون جملة ﴿فقال لها وللأرض ...﴾ مستعملة تمثيلاً لهيئة تعلق قدرة الله تعالى لتكوين السماء والأرض لعظمة خلقهما بهيئة صدور الأمر من آمر مطاع للعبد. أي على سبيل الاستعارة التمثيلية. ينظر: الكشاف (٣/ ٤٤٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨٧)، والفتوحات الإلهية (٣/ ٣٣)، والتحرير والتنوير (٢٤/ ٢٤٧).

(٢) في خ: تكوينهما.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٣) رقم (٣٠٤٥٦)، عن السدي، وبرقم (٣٠٤٥٧) عن قتادة. وينظر: معالم التنزيل (٤/ ١٠٩)، والوسيط (٤/ ٣٧).

(٤) في خ: فالأمر.

(٥) في خ: الوحي.

الظاهرة فهيَ وما في سورةِ البقرةِ من قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقَ لكم ما في الأرضِ جميعًا ثم استوى إلى السماءِ فسواهنَّ سبعَ سمواتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٩] تدلانِ على تقدم خلقِ الأرضِ وما فيها على خلق السماءِ وما فيها، وعليه إطباقُ أكثرِ أهلِ التفسيرِ.

وقد رُوِيَ أن العرشَ العظيمَ كان قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ على الماء ثم إنه تعالى أحدثَ في الماء اضطرابًا فأزبدَ فارتفعَ منه دخانٌ فأما الزبدُ فبقيَ على وجه الماءِ فخلقَ فيه اليُبوسةَ فجعلَه أرضًا واحدةً ثم فتقَها فجعلَها أرَضينَ، وأما الدخانُ فارتفعَ وعلا فخلقَ منه السمواتِ.

ورُويَ أنه تعالَى خلقَ جِرْمَ الأرضِ يومَ الأحدِ ويومَ الاثنينِ ودحاهَا وخلقَ ما فيها يومَ الثلاثاءِ ويومَ الأربعاءِ وخلق السمواتِ وما فيهن يومَ الخميسِ ويومَ الجمعةِ وخلق آدمَ عليه السلامُ في آخرِ ساعةٍ منه وهي الساعةُ التي تقومُ فيها القيامةُ وقيل إن خلقَ جرم الأرضِ مقدمٌ على خلقِ السمواتِ لكنْ دحوُها وخلقُ ما فيها مؤخرٌ عنه لقولِه تعالَى: ﴿والأرضَ بعد ذلك دحاهَا﴾ [سورة النازعات، الآية ٣٠] ولما رُويَ عن الحسنِ رحمه الله من أنه تعالى خلقَ الأرضَ في [موضع][1] بيتِ المقدسِ كهيئة الفِهْرِ[2] عليه دخانٌ ملتزقٌ بهَا ثم أصعدَ الدخانَ وخلقَ منه السمواتِ وأمسك الفِهرَ في موضَعها وبسطَ منها الأرضَ وذلك قولُه تعالى: ﴿كانتَا رتْقًا ففتقناهُمَا﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٣٠] الآيةَ.

وليسَ المرادُ بنظمها مع السماءِ في سلكِ الآمرِ بالإتيانِ إنشاءَها وإحداثَها بل إنشاءَ دحوِها وجعْلِها على وجهٍ خاصٍّ يليقُ بها من شكلٍ معينٍ ووصفٍ مخصوصٍ كأنه قيلَ ائتيَا على ما ينبغي أنْ تأتيَا عليه ائتِي يا أرضُ مدحوّةً قرارًا ومِهادًا لأهلكِ وائتِي يا سماءُ مُقبيةً سقفًا لهم. ومعنى الإتيانِ الحصولُ على ذلك الوجهِ كما تنبئ عنه قراءةُ[3] آتِيا وآتينا منَ المُواتاةِ وهي الموافقةُ.

وأنتَ خبيرٌ بأنَّ المذكورَ قبلَ الأمرِ بالإتيان ليسَ مجردَ خلقِ جِرْمِ الأرضِ حتى يتأتَّى ما ذكرَ بل خلقِ ما فيَها أيضًا من الأمور المتأخرةِ عن دحوِها قطعًا، فالأظهرُ أن

---

(١) سقط في خ. (٢) الفِهر: الحجر.

(٣) قرأ بها: ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، عكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٤٥).

يُسلكَ مسلكَ الأولينَ ويُحملَ الأمرُ بالإتيانِ على تكوينهما متوافقتينِ على الوجهِ[١] المذكورِ وليسَ من ضرورتِه أن يكونَ دحوُهَا مترتبًا على ذلك التكوينِ وإنما اللازمُ ترتبُ حصولِ التوافقِ عليه، ولا ريبَ في أن تكوينَ السماءِ على الوجه اللائقِ بها كافٍ في حصولِه، ولا يقدحُ في ذلكَ تكوينُ الأرضِ على الوجه المذكورِ قبل ذلك وأن يجعلَ الأرض في قولِه تعالى: ﴿والأرضَ بعد ذلك دحَاهَا﴾ منصوبًا بمضمرٍ قد حُذفَ على شرطية التفسيرِ ويجعلَ ذلكَ إشارةً إلى ذكرِ ما ذُكرَ من بناءِ السماءِ ورفع سَمكِها وتسويتِها وغيرها لا إلى أنفسِها وتحمل البعديةُ إما على أنه قاصرٌ عن الأولِ في الدلالةِ على القدرة القاهرةِ كما قيلَ وإمَّا على أنه أدخلُ في الإلزامِ لما أنَّ المنافعَ المنوطةَ بما في الأرض أكثرُ وتعلقَ مصالحِ الناسِ بذلكَ أظهرُ وإحاطَتَهُم بتفاصيلِها أكملُ وليسَ ما رُويَ عنِ الحسنِ رضي الله عنه نصا في تأخر دحوِ الأرضِ عن خلق السماءِ فإن بسطَ الأرضِ معطوفٌ على إصعاد الدخانِ وخلقِ السماءِ بالواوِ فلا دلالةَ في ذلكَ على الترتيب قطعًا وقد نقلَ الإمامُ الواحديُّ عن مقاتلٍ أن خلقَ السماءِ مقدمٌ على إيجادِ الأرضِ فضلًا عن دَحْوِها فلا بدَّ من حمل الأمرِ بإتيانهما حينئذٍ أيضًا على ما ذكرَ من التوافقِ والمواتاةِ ولا يقدحُ في ذلكَ تقدمُ خلقِ السماء على خلقِ الأرضِ كما لم يقدحْ فيهِ تقدمُ خلقِ الأرضِ على خلقِ السماءِ، هذا كلُّه على تقدير كونِ كلمةِ ثمَّ للتراخِيِّ الزمانيِّ وأما عَلى تقديرِ كونِها للتراخِي الرتبِي كما جنحَ إليهِ الأكثرونَ فلا دَلالةَ في الآيةِ الكريمةِ على الترتيب كما في الوجهِ الأولِ وعلى ذلك بُنيَ الكلامُ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٩] الآيةَ وإنما لم يُحملْ الخلقُ هناكَ على معنى التقديرِ كما حُملَ عليه ههُنا لتوفيةِ مقامِ الامتنانِ حقَّهُ.

﴿**وزينا السماءَ الدُّنيا بمصابيحَ**﴾ من الكواكب فإنها كلَّها تُرى متلألئةً عليها كأنَّها فيها والالتفاتُ إلى نونِ العظمةِ لإبرازِ مزيدِ العنايةِ بالأمرِ. وقولُه تعالى: ﴿**وحِفظًا**﴾ مصدرٌ مؤكدٌ لفعلٍ معطوفٍ على زيَّنا أيْ وحفظناهَا من الآفاتِ أو من المُسترقة حِفظًا وقيل مفعولٌ لهُ على المَعنى كأنَّه قيلَ وخلقنَا المصابيحَ زينةً وحِفْظًا ﴿**ذلكَ**﴾ الذي ذُكِرَ بتفاصيلِه ﴿**تقديرُ العزيزِ العليمِ**﴾ المبالغ في القدرةِ والعلم.

﴿**فإنْ أعرضُوا**﴾ متصلٌ بقولِه تعالَى: ﴿قُلْ أئنكم﴾ [سورة السجدة، الآية ٩] إلخ أي فإنْ أعرضُوا عن التدبرِ فيما ذُكِرَ من عظائمِ الأمورِ الداعيةِ إلى الإيمانِ أو عن

---

(١) في خ: الأمر.

الإيمانِ بعد هذا البيانِ ﴿فقُل﴾ لهم ﴿أنذرتُكم﴾ أي أنذركُم وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على تحقيقِ الإنذارِ المنبئ عن تحقيقِ المنذَرِ به ﴿صاعقةً﴾ أي عذابًا هائلًا شديدَ الوقع كأنه صاعقةٌ ﴿مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودٍ﴾ وقرئَ[١] صعقةً مثلَ صعقةِ عادٍ وثمودٍ[٢] وهي المرةُ من الصعْقِ أو الصَّعَقُ يقالَ صعقتْهُ الصاعقةُ صعْقًا فصَعِقَ صعْقًا وهو من باب فعلته فَفَعِلَ.

﴿إذْ جَاءتُهم الرُّسلُ﴾ حَالٌ منْ صَاعقةِ عادٍ ولا سَدادَ لجعلِه ظرفًا لـ (أنذرتكُم) أو صفةً لصاعقةً لفسادِ المَعْنى وأما جعلُه صفةً لـ (صاعقةِ) عادٍ أي الكائنةِ إذْ جاءتهُم ففيهِ حذفُ الموصولِ مع بعضِ صلتِه ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ متعلقٌ بجاءتْهم أي من جميعِ جوانبِهم واجتهدُوا بهم من كلِّ جهةٍ أو من جهةِ الزمانِ الماضِي بالإنذارِ عما جَرى فيهِ على الكفارِ ومن جهةِ المستقبل بالتحذيرِ عما سيحيقُ بهم من عذابِ الدُّنيا وعذابِ الآخرةِ وقيلَ المَعْنى جاءتْهم الرسلُ المتقدمونَ وَالمتأخرونَ على تنزيلِ مجيءِ كلامِهم ودعوتِهم إلى الحقِّ منزلةَ [مجيءِ][٣] أنفسِهم فإنَّ هُودًا وصَالحًا كانا داعيينِ لهُم إلى الإيمانِ بهما وبجميعِ الرسلِ ممن جاءَ من بينِ أيديِهم أي من قبلِهم وممن يجيءُ من خلفِهم أي من بعدِهم فكأنَّ الرسلَ قد جاءُوهم وخاطبُوهم بقولِه تعالى: ﴿ألَّا تعبدُوا إلا الله﴾ أي بألا تعبدُوا على أَنَّ أنْ[٤] مصدريةٌ أو ألا تعبدُوا على أنَّها مفسرةٌ ﴿قالوا لو شآء ربنا﴾ أي إرسالَ الرسلِ لا إنزالَ الملائكةِ كما قيل فإنه عارٍ[٥] عن إفادةِ ما أرادُوه منْ نفي رسالةِ البشرِ وقد مرَّ فيما سلفَ.

﴿لأنزلَ ملائكةً﴾ أي لأرسلَهُم لكنْ لما كانَ إرسالُهم بطريقِ الإنزالِ قيل لأنزلَ ﴿فإنا بما أرسلتُم به﴾ أي على زعمِكم وفيه ضربُ تهكمٍ بهم ﴿كافرون﴾ لِما أنّكم بشرٌ مثلُنا من غيرِ فضلٍ لكُم علينا.

رُوِيَ أنَّ أَبا جهلٍ قالَ في ملأٍ من قُريشٍ: قد التبسَ علينا أمرُ محمدٍ فلو التمستُم لنا رجلًا عالمًا بالشعرِ والكهانةِ والسحرِ فكلَّمه ثم أتانَا ببيانٍ من أمرِه فقالَ عتبةُ بنُ ربيعةَ والله لقد سمعتُ الشعرَ والكهانةَ والسحرَ وعلمتُ من ذلكَ علمًا وما يَخْفى عليَّ فأَتاهُ فقالَ أنتَ يا محمدُ خيرٌ أَمْ هاشمٌ أنتَ خيرٌ أمْ عبدُ المطلبِ أنت خيرٌ أم عبدُ اللهِ

---

(١) قرأ بها: ابن الزبير، والسلمي، والنخعي، وابن محيصن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٣٠)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٧)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١١٠).

(٢) يجوز منعه وصرفه.

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: ما.

(٥) في خ: عبارة.

فيمَ تشتمُ آلهتَنا وتضللنَا[١] فإنْ كنتَ تريدُ الرياسةَ عقدنَا لكَ اللواءَ فكنتَ رئيسًا وإن تكُ بكَ الباءةُ زوجناكَ عشرَ[٢] نسوةٍ تختارهُنَّ أيَّ بناتِ قريشٍ شئتَ وإنْ كانَ بكَ المالُ جمعنَا لكَ ما تستغِني[٣] ورسولُ الله ﷺ ساكتٌ فلما فرغَ عتبةُ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**بسم الله الرحمٰنِ الرحيمِ حم**» إلى قولِه تعالى: ﴿**مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ**﴾ [سورة فصلت، الآية ١٣] فأمسكَ عتبةُ على فيهِ عليه الصلاةُ والسلامُ وناشدَهُ بالرحمَ ورجعَ إلى أهلِه ولم يخرجْ إلى قريشٍ فلما احتبسَ عنْهُم قالُوا ما نَرى عتبةَ إلا قدْ صبأَ فانطلقُوا إليه وقالُوا يا عتبةُ ما حبسكَ عَنَّا إلا أنكَ قد صبأتَ فغضبَ ثم قال والله لقد كلَّمتُه فأجابني بشيءٍ والله ما هو بشعرٍ ولا كهانةٍ ولا سحرٍ ولما بلغَ صاعقةَ عادٍ وثمودَ أمسكتُ بفيه وناشدتُه بالرحم أنْ [يكفَّ][٤] وقد علمتُم أن محمدًا إذا قالَ شيئًا لم يكذبْ فخفتُ أن ينزلَ بكُم العذابُ[٥].

﴿**فأما عادٌ فاستكبرُوا في الأرضِ**﴾ شروعٌ في حكايةِ ما يخصُّ بكلٍّ واحدةٍ من الطائفتينِ من الجنايةِ والعذابِ إثرَ حكايةِ ما يعمُّ الكلَّ من الكفرِ المطلقِ أي فتعظمُوا فيَها على أهلِها أو[٦] استعلَوا فيَها واستولَوا[٧] على أهلِها ﴿**بغيرِ الحقِّ**﴾ أي بغيرِ استحقاقٍ للتعظيمِ والولايةِ ﴿**وقالُوا**﴾ مدلين بشدَّتِهم وقوَّتِهم ﴿**من أشدُّ منا قوةً**﴾ حيثُ كانُوا ذوي أجسامٍ طوالٍ وخَلْقٍ عظيم وقد بلغَ من قوتهم أنَّ الرجلَ كان ينزعُ الصخرةَ من الجبلِ فيقتلعهاَ بيدِه ﴿**أوَ لم يَرَوا**﴾ أي أغفَلُوا أو ألم ينظرُوا ولم يعلُموا علمًا جليا شبيهًا بالمشاهدةِ والعيانِ ﴿**أنَّ الله الذي خلَقهُم هو أشدُّ منهُم قوةً**﴾ أي قدرةً فإنه

---

(١) في خ: تضلُّنا.
(٢) في خ: عشرة.
(٣) زاد في خ: به.
(٤) سقط في خ.
(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ٢٠٤-٢٠٥)، باب: «اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز...»، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٣٠، ٣٣١)، كتاب المغازي، باب: «في أذى قريش للنبي ﷺ...» رقم (٣٦٥٦٠)، وأبو يعلى (٣/ ٣٤٩-٣٥١)، رقم (٥١)-(١٨١٨)، وابن هشام في السيرة (١/ ٣٦٨-٣٧١)، في ذكر ما كان من أمر عتبة بن ربيعة، رقم (٢٨٣)، والحاكم (٢/ ٢٥٣)، كتاب التفسير، باب: ما أحسن محسن من مسلم ولا كافر إلا أثابه الله، والبغوي في تفسيره (٤/ ١١٠)، كلهم من طريق جابر بن عبد الله، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/ ١٩٩، ٢٠٠)، باب: اعتراف القدماء بأعلام النبوة، رقم (٨٢٢٨٥)، والهيثمي في المجمع (٦/ ٢٢، ٢٣)، وعزاه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٢٢٩) للثعلبي ولابن مردويه في تفسيريهما، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.
(٦) في خ: و.
(٧) في خ: وتولوا.

تعالَى قادرٌ بالذاتِ مقتدرٌ على ما لا يتناهى قويٌّ على ما لا يَقدرُ عليهِ غيرُه مفيضٌ للقُوى والقُدرِ على كُلِّ قوي وقادرٍ وإنما أوردَ في حيز الصلةِ خلقَهم دونَ خلقِ السمواتِ والأرضِ لادِّعائِهم الشدةَ في القوةِ وفيه ضربٌ من التهكمِ بهم.

﴿وكانُوا بآياتِنا﴾ المنزلةِ على الرُّسلِ ﴿يجحدونَ﴾ أي ينكرونَها وهم يعرفونَ حقيقتَها وهو عطفٌ على فاستكبرُوا كقولِه تعالَى وقالُوا وما بينَهمَا اعتراضٌ للردِّ على كلمتِهم الشنعاءِ ﴿فأرسلنَا عليهم ريحًا صَرْصَرًا﴾ أي باردةً تهلكُ وتحرقُ بشدةِ بردِها من الصِرِّ وهو البردُ الذي يصِرُّ أي يجمعُ ويقبضُ، أو عاصفةً تصوّتُ في هبوبِها من الصريرِ ﴿في أيام نحساتٍ﴾ جمعُ نحِسةٍ من نحِس نَحْسًا نقيضُ سَعِدَ سَعْدًا.

وقرئ[١] بالسكونِ على التخفيفِ أو على أنه نعتٌ على فَعْلٍ أو وصفٌ بمصدرٍ مبالغةً. قيلَ كُنَّ آخرَ شوالٍ منَ الأربعاءِ [إلى الأربعاءِ][٢] وما عذِّبَ قومٌ إلا في يومِ الأربعاءِ ﴿لنذيقَهُم عذابَ الخزي في الحياةِ الدُّنيا﴾ وقرئ[٣] لتُذيقَهمُ على إسنادِ الإذاقةِ إلى الريحِ أو إلى الأيام وأُضيفَ العذابُ إلى الخزْي الذي هُو الذُّلُّ والاستكانةُ على أنه وصفٌ له [كما يُعربُ عنه][٤] قولُه سبحانَهُ ﴿وَلَعذابُ الآخرةِ أَخْزَى﴾ وهُو في الحقيقةِ وَصفٌ للمعذَّبِ وَقد وُصفَ به العذابُ للمبالغةِ ﴿وهم لا يُنصرونَ﴾ بدفعِ العذابِ عنهم بوجهٍ من الوجوهِ.

﴿وأما ثمودُ فهديناهُم﴾ فدللناهُم على الحقِّ بنصبِ الآياتِ التكوينيةِ وإرسالِ الرسلِ وإنزالِ الآياتِ التشريعيةِ وأزحنَا عللَهمُ بالكليةِ وقد مرَّ تحقيقُ [مَعنى][٥] الهُدى في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿هُدى للمتقينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢]. وقرئ[٦] ثمودَ بالنصبِ بفعلٍ يفسرُه ما بعدَهُ ومنونًا في الحالينِ وبضمِّ الثاءِ ﴿فاستحبُّوا العَمَى على الهُدى﴾ أي اختارُوا الضلالةَ على الهدايةِ ﴿فأخذتْهم صاعقةُ العذابِ الهُونِ﴾ داهيةُ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، ونافع، وابن كثير، والنخعي، وعيسى، والأعرج، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٨٠، ٣٨١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٣٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١١٩)، والبحر المحيط (٧/ ٤٩٠)، والتيسير للداني ص (١٩٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٢).

(٢) سقط في خ.

(٣) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٩).

(٤) في خ: فيه.

(٥) سقط في خ.

(٦) قرأ بها: عاصم، والمفضل، والمطوعي، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والبحر المحيط (٧/ ٤٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٩)، والمعاني للفراء (٣/ ١٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١١٣).

العذابِ وقارعةُ العذابِ والهُون الهَوانُ وصفَ به العذابُ مبالغةً أو أُبدلَ منْهُ ﴿بما كانُوا يكسبونَ﴾ منَ اختيارِ الضلالةِ ﴿ونجينا الذين آمنْوا وكانُوا يتقونَ﴾ منْ تلكَ الصاعقةِ ﴿ويومَ يُحشرُ أعداءُ الله﴾ [شروعٌ في بيانِ عقوباتِهم الآجلةِ إثرَ بيانِ عقوباتِهم العاجلةِ. والتعبيرُ عنهم بأعداءِ الله تعالى][١] لذمِّهم والإيذانِ بعلةِ ما يحيقُ بهم منِ ألوانِ العذابِ، وقيلَ: المرادُ بهم الكفارُ من الأولينَ والآخرينَ ويردُّه ما سيأتِي من قولِه تعالى: ﴿في أممٍ قد خلتْ من قبلِهم من الجنِّ والإنسِ﴾ [سورة فصلت، الآية ٢٥. وسورة الأحقاف، الآية ١٨] وقرئ يَحْشُر[٢] على بناءِ الفاعلِ ونصبِ (أعداء الله) وبنونِ العظمةِ وضمِّ الشينِ وكسرِهَا ﴿إلى النارِ﴾ أيْ إلى موقفِ الحسابِ إذْ هناكَ تتحققُ الشهادةُ الآتيةُ لا بعد تمامِ السؤالِ والجوابِ وسَوقهم إلى النَّارِ والتعبير عنه بالنَّارِ إما للإيذانِ بأنَّها عاقبةُ حشرِهم وأنهم على شرفِ دخولِها وإما لأنَّ حسابَهُم يكونُ على شفيرِها. ويومَ إما منصوبٌ باذكُرْ أو ظرفٌ لمضمرٍ مُؤخرٍ قد حُذِفَ إيهاماً لقصورِ العبارةِ عن تفصيلِه كَما مرَّ في قولِه تعالَى: ﴿يومَ يجمعُ الله الرسلَ﴾ [سورة المائدة، الآية ١٠٩].

وقيل: ظرفٌ لما يدلُّ[٣] عليه قولُه تعالى ﴿فهُم يُوزَعُون﴾ أي يُحبسُ[٤] أولهم على آخِرهم ليتلاحقُوا وهو عبارةٌ عنْ كثرتِهم وقيل: يساقُون ويُدفعون إلى النَّارِ.

وقولُه تعالَى ﴿حَتَّى إذَا ما جاءُوها﴾ أي جميعًا غايةٌ ليُحْشَرُ[٥] أو ليوزعونَ [أي][٦] حتَّى إذَا حضرُوها. ومَا مزيدةٌ لتأكيدِ اتصالِ الشهادةِ بالحضورِ ﴿شهِد عَليهم سَمعُهم وأَبْصارُهم وجُلودُهم بَما كانُوا يعملونَ﴾ في الدُّنيا من فنونِ الكفرِ والمعاصِي بأنْ يُنطقَها الله تعالى أو يظهرَ عليها آثارَ ما اقترفُوا بهَا. وعن ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما أنَّ المرادَ بشهادةِ الجلودِ شهادةُ الفروجِ[٧] وهو الأنسبُ بتخصيصِ السؤالِ بَها في قولِه تعالى ﴿وقالوا لجلودِهم لم شهدتُم علَينا﴾ فإن ما تشهدُ[٨] به من الزنا أعظمُ جنايةً وقبحًا وأجلبُ للخِزي والعقوبةِ مما[٩] يشهدُ به السمعُ والأبصارُ من الجناياتِ

(١) سقط في خ.
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٠).
(٣) في خ: دل.
(٤) في خ: يحشر.
(٥) في خ: ليحشروا.
(٦) سقط في خ.
(٧) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٠) عن ابن عباس.
وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٩٩) رقم (٣٠٤٨٥، ٣٠٤٨٦) عن الحكم الثقفي، وعبيد الله بن أبي جعفر.
(٨) في خ: نشهد.
(٩) في خ: بما.

المكتسبةِ بتوسُّطِهما. وقيلَ: المرادُ بالجلودِ الجوارحُ أي سألُوها سؤالَ توبيخٍ، لما رُوي أنَّهم قالُوا لها فعنكُنَّ كنا نناضِلُ[١].

وفي روايةٍ بُعدًا لكُنَّ وسُحْقًا، عنكنَّ كنتُ أجادلُ. وصيغةُ جمعِ العقلاءِ في خطابِ الجلودِ وفي قولِه تعالى: ﴿قالوا أنطقَنا الله الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ﴾ لوقوعِها في موقعِ السؤالِ والجوابِ المختصَّينِ بالعقلاءِ أي أنطقَنا الله الذي أنطقَ كلَّ شيء وأقدرنا على بيانِ الواقعِ فشهدنَا عليكم بمَا عملتُم بواسطتِنا من القبائحِ ما[٢] كتمناهَا.

وقيلَ: ما نطقنَا باختيارِنا بلْ أنطقنَا الله الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ وليسَ بذاكَ لما فيهِ من إيهامِ الاضطرارِ في الإخبارِ.

وقيلَ: سألُوها سؤالَ تعجبٍ فالمَعْنى حينئذٍ ليس نطقُنا بعجبٍ من قُدرةِ الله الذي أنطقَ كلَّ حَي[٣].

﴿وهُو خلقكُم أولَ مرةٍ وإليهِ تُرجعون﴾ فإن[٤] من قدرَ على خلقِكم وإنشائِكم أولًا وعلى إعادتِكم ورجْعِكم إلى جزائِه ثانيًا لا يُتعجبُ[٥] من إنطاقِه لجوارِحِكم. ولعل صيغةَ المضارعِ مع أنَّ هذهِ المحاورةَ بعدَ البعثِ والرجعِ لَمَّا أنَّ المرادَ بالرجعِ ليسَ مجردَ الردِّ إلى الحياةِ بالبعثِ بلْ مايعمُّه وما يترتبُ عليهِ منَ العذابِ الخالدِ المترقَّبِ[٦] عندَ التخاطبِ على تغليبِ المتوقعِ على الواقعِ على أنَّ فيه مراعاةَ الفواصلِ.

وقولُه تعالى: ﴿وما كُنتم تستترونَ أنْ يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودُكم﴾ حكايةٌ لما سيقالُ لهُمْ يومئذٍ من جهتِهِ تعالى بطريقِ التوبيخ والتقريعِ تقريرًا لجوابِ الجلودِ أي ما كنتُم تستترونَ في الدُّنيا عند مباشرتِكم الفواحشَ مخافةَ أن تشهدَ عليكُم جوارِحُكم بذلكَ كما كنتُم تستترونَ من الناسِ مخافةَ الافتضاحِ عندهم بلْ كنتُم جاحدينَ بالبعثِ والجزاءِ رأسًا ﴿ولكنْ ظننتُم أن الله لا يعلمُ كثيرًا مما تعملونَ﴾ من القبائحِ المخفيةِ فلا يُظهرها في الآخرةِ ولذلكَ اجترأتُم على ما فعلتُم، وفيهِ إيذانٌ بأنَّ شهادةَ الجوارحِ بإعلامِه تعالَى [حينئذٍ][٧] لا بأنَّها كانتْ عالمةً بما[٨] شهدتْ به عند صدورِه عنهم.

عن ابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنه: كنتُ مستترًا بأستارِ الكعبةِ فدخلَ ثلاثةُ نفرٍ، ثقفيانِ وقرشيٌّ، أو قرشيانِ وثقفيٌّ فقال أحدُهم أترونَ أنَّ الله يسمعُ ما نقولُ[٩] قال الآخرُ

---

(١) في خ: نستأصل. (٢) في خ: وما. (٣) في خ: شيء.
(٤) في خ: فإنه. (٥) في خ: تعجب. (٦) في خ: المترتب.
(٧) سقط في خ. (٨) في خ: مما. (٩) في خ: يقول.

يسمعُ إنْ جهَرنا، ولا يسمعُ أنْ أخفينَا فذكرتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ فأنزلَ الله تعالَى: ﴿وما كنتُم تستترونَ﴾ الآيةَ[١].

فالحكمُ المحكيُّ حينئذٍ يكونُ خاصًّا بمن كانَ على ذلكَ الاعتقادِ من الكَفَرةِ، ولعلَّ الأنسبَ أنْ يرادَ بالظنِّ مَعْنى مجازيٌّ يعمُّ معناهُ الحقيقيَّ ومَا يَجري مَجراهُ من الأعمالِ المنبئةِ عنْهُ كما في قولِه تعالَى: ﴿يحسب أنَّ مالَه أخلدَه﴾ [سورة الهمزة، الآية ٣] ليعمَّ ما حُكي من الحالِ جميعَ أصنافِ الكَفَرةِ فتدبرْ.

﴿وذلُكم﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ منْ ظنِّهم، وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ للإيذانِ بغايةِ بُعدِ منزلتِه في الشرِّ و السوءِ وهُو مبتدأ. وقولُه تعالى: ﴿ظَنُّكم الذي ظَننتُم بربِّكم أرْدَاكُم﴾ خبرانِ لهُ ويجوزُ أن يكونَ ظنُّكُم بدلًا وأرداكُم خبرًا. ﴿فأصبحتم﴾ بسببِ ذلكَ الظنِّ السوءِ الذي أهلككُم ﴿منَ الخاسرين﴾ إذْ صارَ ما مُنِحوا لنيلِ سَعادةِ الدارينِ سببًا لشقاءِ النشأتينِ ﴿فإن يصبرُوا فالنارُ مَثْوى لهم﴾ أي محلُّ ثُواءٍ وإقامةٍ أبديةٍ لهم بحيثُ لا براحَ لهم منهَا. والالتفاتُ إلى الغَيبةِ للإيذانِ باقتضاءِ حالِهم أن يُعرضَ عنهم ويُحكى سوءُ حالِهم لغيرِهم، أو للإشعارِ بإبعادِهم عن حيزِ الخطابِ وإلقائِهم في غيابةِ دركاتِ النارِ. ﴿وإنْ يستعتبُوا﴾ أي يسألُوا العُتْبَى وهُو الرجوعُ إلى ما يحبونَهُ جزعًا مما هُم فيهِ. ﴿فما هُم من المُعتبين﴾ المجابينَ إليَها، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿سواءٌ علينا أجزِعنا أم صبرنا ما لنَا من محيص﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٢١] وقرئَ[٢] وإنْ يسْتعتبُوا فما هُم من المعتبِين أيْ إنْ يسألُوا أن يُرضوا ربَّهم، فما هُم فاعلونَ لفواتِ المُكنةِ.

﴿وقَيَّضْنَا لهم﴾ أيْ قدّرنا وقرنّا للفكرةِ في الدُّنيا ﴿قرناءَ﴾ جمعُ قرينٍ أي أخدانًا من الشياطينِ يستولُون عليهم استيلاءَ القيضِ على البيضِ وهو القشرُ وقيل: أصلُ [القيضِ البدلُ][٣] ومنه المقايضةُ للمعاوضةِ. ﴿فزينُوا لهم ما بينَ أيديهم﴾ مِن أمورِ الدُّنيا واتباعِ الشهواتِ ﴿وما خلفَهُم﴾ من أمورِ الآخرةِ حيثُ أرَوهم ألا بعثَ ولا حسابَ ولا مكروَه قطُّ. ﴿وحقَّ عليهم القولُ﴾ أيْ ثبتَ وتقررَ عليهم كلمةُ العذابِ وتحققَ موجبُها

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٥٢٨) كتاب التفسير، حديث (٤٨١٦)، ومسلم (٤/ ٢١٤١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث (٥/ ٢٧٧٥) من حديث ابن مسعود.

(٢) قرأ بها: الحسن، وعمرو بن عبيد، وموسى الأسواري، وأبو العالية.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١٩)، (٧/ ٤٩٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ١١٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٤٥).

(٣) في خ: البدل البيض.

ومصداقُها، وهو قولُه تعالَى لإبليسَ: ﴿فالحقُّ والحقَّ أقولُ لأملأنَّ جهنَم منكَ وممن تبعكَ منهم أجمعينَ﴾ [سورة ص، الآية ٨٥].

وقولُه تعالَى: ﴿لمن تبعكَ منهم لأملأنَّ جهنَم منكم أجمعينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٨] كما مرَّ مِرارًا. ﴿في أممٍ﴾ حالٌ من الضميرِ المجرورِ أي كائنينَ في[١] جملةِ أممٍ وقيلَ: فِي بمعْنى مَعَ، وهَذا كما ترَى صريحٌ في أنَّ المرادَ بأعداءِ الله تعالى فيما سبقَ المعهودونَ من عادٍ وثمودَ لا الكفارُ من الأولينَ والآخرينَ كما قيلَ.

﴿قد خلتْ﴾ صفةٌ لأمم، أي مضتْ ﴿من قبلِهم من الجنِّ والإنسِ﴾ على الكُفر والعصيانِ كدأبِ هؤلاءِ ﴿إنهُم كانُوا خاسرينَ﴾ تعليلٌ لاستحقاقِهم العذابَ، والضميرُ للأولينَ والآخرينَ. ﴿وقال الذينَ كفرُوا﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قالَ بعضُهم لبعضٍ ﴿لا تسمعُوا لهذا القرآنِ﴾ أي لا تُنصتوا له ﴿والغَوا فيهِ﴾ وعارِضُوه بالخُرافاتِ من الرجزِ والشعرِ والتصديةِ[٢] والمُكاءِ، أو ارفعُوا أصواتَكم بَها لتشوشُوه[٣] على القارئ. وقرئ[٤] بضمِّ الغينِ والمَعْنى واحدٌ، يُقالُ لَغَى يَلْغَى، كلقِي يَلْقَى. ولَغَا يلغُو، إذا هَذَى ﴿لعلكم تغلبونَ﴾ أي تغلبونَهُ على قراءتِه ﴿فلنذيقنَّ الذين كفرُوا﴾ أي فوالله لنذيقنَّ هؤلاءِ القائلينَ واللاغينَ أو جميعَ الكفارِ وهم داخلونَ فيهم دخولًا أوليا ﴿عذابًا شديدًا﴾ لا يُقادرُ قَدرُهُ ﴿ولنجزينَّهُم أسوأَ الذي كانوا يعملونَ﴾ أيْ جزاءَ سيئاتِ أعمالِهم، التي هيَ في أنفسِها أسوأُ، وقيلَ: إنه لا يجازيهم بمحاسنِ[٥] أعمالِهم، كإغاثةِ الملهوفينَ وصلةِ الأرحامِ. وَقِرَى الأضيافِ لأنَّها مُحبطةٌ بالكفرِ. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما «عَذابًا شَديدًا يومَ بدرٍ، وأسوأَ الذي كانُوا يعملونَ في الآخرةِ»[٦].

﴿ذلكَ﴾ مبتدأ. وقولُه تعالَى: ﴿جزاءُ أعداءِ الله﴾ خبرُهُ أيْ ما ذُكِرَ منَ الجزاءِ جزاءٌ معدٌّ لأعدائِه تعالَى. وقولُه تعالَى: ﴿النَّارُ﴾ عطفُ بيانٍ للجزاءِ أو ذلكَ خبرُ

---

(١) في خ: من.
(٢) التصدية: التصفيق، والمكاء: التصفير.
(٣) في خ: لتشوشوا.
(٤) (٦) قرأ بها: بكر بن حبيب السهمي، وقتادة، وعبد الله بن بكر السهمي، والزعفراني، وأبو حيوة، وابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، والجحدري.
ينظر: المعاني للأخفش (٢/ ٤٦٦)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١١٩).
(٥) في خ: محاسن.
(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٥/ ٣٨٠).

مبتدأ محذوفٍ، أي الأمرُ ذلكَ على أنه عبارةٌ عن مضمونِ الجملةِ لا عن الجزاءِ، وما بعدَهُ جملةٌ مستقلةٌ مبنيةٌ لما قبلَها. وقولُه تعالى ﴿**لهم فيها دارُ الخلدِ**﴾ جملةٌ مستقلةٌ مقررةٌ لما قبلَها، أو النارُ مبتدأٌ هيَ خبرُهُ أي هيَ بعينِها دارُ إقامتِهم على أنَّ التجريدَ - وهُو أنْ يُنتزَعَ من أمرٍ ذي صفةٍ أمرٌ آخرُ مثلُه - مبالغةٌ لكمالِه فيهَا، كما يقالُ: في البيضةِ عشرونَ منًّا[١] حديدٌ وقيلَ: هيَ على مَعناها والمرادُ أنَّ لهم في النارِ المشتملةِ على الدركاتِ دارًا مخصوصةً هم فيها خالدونَ ﴿**جزاءً بما كانُوا بآياتِنا يجحدونَ**﴾ منصوبٌ بفعلٍ مقدرٍ، أي يُجزون جزاءً أو بالمصدرِ السابقِ فإن المصدرَ ينتصبُ بمثلِه كما في قولِه تعالى: ﴿فإن جهنَم جزاؤُكم جزاءً موفُورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٦٣] والباءُ الأُولى متعلقةٌ بجزاءً، والثانيةُ بيجحدونَ قدمتْ عليهِ لمراعاةِ الفواصلِ، أي بسببِ ما كانُوا يجحدونَ بآياتِنا الحقَّةِ أو يلغَون فيها وذِكْرُ الجحودِ لكونِه سببًا للغوِ.

﴿**وقالَ الذينَ كفرُوا**﴾ وهُم متقلَّبونَ فيما ذُكِرَ من العذابِ[٢] ﴿**ربنَا أرِنا اللذَينِ أضلَّانا من الجنِّ والإنسِ**﴾ يعنونَ فريقَي شياطينِ النوعينِ المقيضينِ لهم الحاملينَ لهم على الكفرِ والمعاصِي بالتسويلِ والتزيينِ، وقيلَ: هما إبليسُ وقابيلُ، فإنَّهما سنَّا[٣] الكفرَ والقتلَ بغيرِ الحقِّ.

وقرئ[٤] أَرْنَا تخفيفًا، كفَخْذٍ في فَخِذٍ، وقيلَ: معناهُ أعطِناهُما. وقرئ[٥] باختلاسِ كسرةِ الراءِ ﴿**نجعلهما تحتَ أقدامِنا**﴾ أيْ ندوسُهُما[٦] انتقامًا منهُمَا وقيلَ: نجعلْهُما في الدركِ الأسفلِ. ﴿**ليكونَا منَ الأسفلينَ**﴾ أي ذلًا ومهانةً أو مكانًا.

﴿**إنَّ الذينَ قالُوا ربُّنا الله**﴾ شروعٌ في بيانِ حُسنِ أحوالِ المؤمنينَ في الدُّنيا

---

(١) المنُّ: كيل أو ميزان أو رطلان جمعه أمنان.

(٢) في خ: العقاب. (٣) في خ: بينا.

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، ويعقوب، وهشام، وابن محيصن، والسوسي، والمفضل، وابن ذكوان، وعبد الوارث.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والتيسير للداني ص (١٩٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣١٧)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٣٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٣).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، والدوري، واليزيدي، وهشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والتيسير للداني ص (١٩٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣١٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٢).

(٦) في خ: قدمهما.

والآخرةِ بعد بيانِ [سوءِ حالِ][١] الكفرةِ فيهِما، أيُ قالُوه اعترافًا بربوبيتِه تعالَى وإقرارًا بوحدانيتِه ﴿ثم استقامُوا﴾ أي ثبتُوا على الإقرارِ[٢] ومقتضياتِه على أن ثمَّ للتراخِي في الزمانِ أو في الرتبةِ فإنَّ الاستقامةَ لها الشأنُ كلُّه.

وما رُويَ عن الخلفاءِ الراشدينَ رضي الله تعالى عنْهُم فِي معناهَا من الثباتِ على الإيمانِ وإخلاصِ العملِ وأداءِ الفرائضِ بيانٌ لجزئياتِها ﴿تتنزلُ عليهم الملائكةُ﴾ من جهتِه تعالَى يُمدونُهم فيما يَعِنُّ لهم من الأمورِ الدينيةِ والدنيويةِ بما يشرح صدورَهُم ويدفعُ عنهم الخوفَ والحزنَ بطريقِ الإلهامِ، كما أن الكفرةَ يُغويهم ما قُيضَ لهم من قرناءِ السوءِ بتزيينِ القبائحِ.

وقيلَ: تتنزلُ عندَ الموتِ بالبُشرى.

وقيلَ: إذَا قامُوا من قبورِهم.

وقيلَ: البُشرى في مواطنَ ثلاثةٍ: عندَ الموتِ وفي القبرِ وعند البعثِ، والأظهر هو العمومُ والإطلاقُ كما ستعرفُه ﴿ألَا تخافُوا﴾ ما تُقْدمونَ عليهِ، فإن الخوفَ غمٌّ يلحقُ لتوقعِ المكروهِ ﴿ولا تحزنُوا﴾ على ما خلّفتُم، فإنه غمٌّ يلحقُ لوقوعِه، من فواتِ نافعٍ أو حصولِ ضارٍّ.

وقيلَ: المرادُ نهيُهم عن الغمومِ على الاطلاقِ والمَعنْى الله أن تعالى كتبَ لكُم الأمنَ من كلِّ غمٍّ فلنْ تذوقُوه أبدًا. وأنْ إمَّا مفسرةٌ أو مخففةٌ من الثقيلةِ والأصلُ بأنَّه[٣] لا تخافُوا، والهاءُ ضميرُ الشأنِ. وقرئ[٤] لا تخافُوا، أيْ يقولونَ لا تخافُوا على أنه حالٌ منَ الملائكةِ أو استئنافٌ ﴿وأبشرُوا﴾ أي سُرُّوا ﴿بالجنةِ التي كُنتم توعدونَ﴾ في الدُّنيا على ألسنةِ الرُّسلِ، هَذا منْ بشاراتِهم في أحدِ المواطنِ الثلاثةِ.

وقولُه تعالى: ﴿نحن أولياؤكم في الحياةِ الدُّنيا﴾ إلخ من بشاراتِهم[٥] في الدُّنيا، أي أعوانُكم في أمورِكم نُلهمكُم الحقَّ، ونُرشدكم إلى ما فيهِ خيرُكُم وصلاحُكُم، ولعلَّ ذلكَ عبارةٌ عما يخطرُ ببال المؤمنينَ المستمرينَ على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالَى وتأييدِه لهم بواسطة الملائكةِ عليهم السلام. ﴿وفي الآخرةِ﴾ نمدكُم

---

(١) في خ: حال سوء. (٢) في خ: الاستقرار. (٣) في خ: بأن.

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.

ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٢١)، وتفسير الطبري (٢٤/ ٧٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٣)، والمعاني للفراء (٣/ ١٨).

(٥) في خ: بشاراتكم.

بالشفاعة ونتلقاكُم بالكرامةِ حينَ يقعُ بينَ الكفرةِ وقرنائِهم ما يقعُ من التعادِي والخصامِ ﴿ولكم فيها﴾ أي في الآخرة ﴿مَا تشتهِي أنفسُكم﴾ من فنون الطيباتِ ﴿ولكُم فيها مَا تدَّعُون﴾ ما تتمنَّون. افتعالٌ منَ الدُّعاء، بمعنى الطلبِ أي تدَّعون لأنفسِكم وهو أعمُّ من الأول، ولكُم في الموضعينِ خبرٌ ومَا مبتدأٌ. وفيها حالٌ من ضميره في الخبرِ، وعدمُ الاكتفاءِ بعطفِ ما تدَّعُون عَلى ما تشتهِي للإشباعِ في البشارة والإيذانِ باستقلالِ كلٍّ منهما ﴿نزلًا من غفورٍ رحيمٍ﴾ حالٌ مما تدَّعون مفيدةٌ لكون ما يتمنَّونَهُ بالنسبة إلى ما يُعطَون من عظائم الأجورِ كالنزل للضيفِ.

﴿ومن أحسنُ قولًا ممن دَعَا إلى الله﴾ أي إلى توحيده تعالى وطاعته. عن ابن عباس رضي الله عنهما: هُو رسولُ الله ﷺ [دعَا إلى الإسلام[1]][2]، وعنْهُ أنهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ[3].

وقيلَ: نزلتْ في المؤذّنين[4]، والحقُّ أنَّ حُكمَها عامٌّ لكلٍّ من جمعَ ما فيها من الخصالِ الحميدةِ، وإنْ نزلتْ فيمَنْ ذُكِرَ ﴿وعملَ صالحًا﴾ فيما بينَهُ وبينَ رِّبه ﴿وقال إنني منَ المسلمينَ﴾ ابتهاجًا بأنه منهُم أو اتخاذًا للإسلام دينا ونِحلةً من قولِهم هذا [قولُ][5] فلانٍ أي مذهبُه[6] لا أنَّه تكلَّم بذلكَ. وقرئ[7] إنِّي بنونٍ واحدةٍ.

العلاقات الاجتماعية

﴿ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ سيقت لبيان محاسنِ الأعمالِ الجاريةِ بين العبادِ إثرَ بيانِ محاسنِ الأعمالِ الجاريةِ بين العبدِ وبين الربِّ عزَّ وجل ترغيبًا لرسولِ الله ﷺ في الصبرِ على أذية المشركين، ومقابلةِ إساءتِهم بالإحسان، أي لا تستوي الخَصلةُ الحسنة والسيئةُ في الآثار والأحكام. ولا الثانيةُ مزيدةٌ لتأكيدِ النَّفي.

وقولُه تعالَى ﴿ادفعْ بالتي هي أحسنُ﴾ إلخ استئنافٌ مبيِّن لحسن عاقبةِ الحسنةِ، أي

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١١٤).
وأخرجه الطبري في «تفسير» (١١/ ١١٠) رقم (٣٠٥٤١، ٣٠٥٤٢) عن السدي وابن زيد.
(٢) (٥) سقط في خ.
(٣) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٣٨٢).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٢٠٤) كتاب الأذان والإقامة، باب: في فضل المؤذن وثوابه.
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٢٧)، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.
(٥) سقط في خ.
(٦) في خ: ومذهبه.
(٧) قرأ بها: ابن أبي عبلة، وإبراهيم بن نوح، وقتيبة الميال.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٧).

ادفعْ السيئةَ حيثُ اعترضتْكَ من بعضِ أعاديكَ بالتي هيَ أحسنُ ما يمكنُ دفعُها به من الحسناتِ كَالإحسان إلى مَنْ أساءَ فإنه أحسنُ منَ العفوِ، وإخراجُه مُخرجَ الجوابِ عنْ سؤالِ منْ قالَ كيفَ أصنعُ للمبالغةِ ولذلكَ وضعَ أحسنُ موضعَ الحسنةِ. وقولُه تعالى: ﴿فإذَا الذي بينكَ وبينه عداوةٌ كأنه وليٌّ حميمٌ﴾ بيانٌ لنتيجة الدفع المأمورِ بهِ، أيْ فإذَا فعلتَ ذلكَ صارَ عدوُّك المُشاقُّ مثلَ الوليِّ الشفيقِ ﴿وَمَا يُلقّاها﴾ أيُ ما يُلقَّ هذهِ الخَصلةَ والسجيةَ[١] التي هي مقابلُة الإساءةِ بالإحسانِ ﴿إلَّا الذينَ صبرُوا﴾ أي شأنُهم الصبرُ ﴿وما يُلقّاها إلاَّ ذُو حظٍّ عظيم﴾ من الخيرِ وكمالِ النفسِ، وقيلَ: الحظُّ العظيم: الجنةُ، وقيلَ: هو الثوابُ. قيلَ: نزلتْ في أبي سفيانَ بنِ حربٍ وكانَ مؤذيًا لرسولِ الله ﷺ فصارَ وليا مصافيًا[٢].

﴿وإمَّا ينزغنَّك من الشيطانِ نزغٌ﴾ النزغُ والنسغُ بَمعْنى وهو شبه النخْسِ، شُبِّه بهِ وسوسةُ الشيطانِ لأنَّها بعثٌ على الشرِّ، وجُعلَ نازغًا على طريقةِ جدَّ جِدُّه، أو أريدَ: وإمَّا ينزغنَّكَ نازغٌ وصفًا للشيطانِ بالمصدرِ أيْ وإن صرفكَ الشيطانُ عمَّا وُصِّيتَ به من الدفعِ بالتي هي أحسنُ ﴿فاستعذْ بالله﴾ من شرِّه ولا تُطِعْهُ ﴿إنَّه هُو السميعُ﴾ باستعاذتِك ﴿العليمُ﴾ بنيتكَ أو بصلاحِكَ. وفي جَعْلِ تركِ الدفعِ بالأحسنِ منْ آثار نزغاتِ الشيطانِ مزيدُ تحذيرٍ وتنفيرٍ عنه.

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

(١) في خ: النتيجة.
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١١٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٧).

ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿ومن آياتِه﴾ الدالةِ على شؤونه العظيمةِ **﴿الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ﴾** كلٌّ منَها مخلوقٌ منْ مخلوقاتِه مسخرٌ[1] لأمره **﴿لا تسجدُوا للشمسِ ولا للقمرِ﴾** لأنهما من جملةِ مخلوقاتِه المسخرةِ لأوامرِه مثلَكُم **﴿واسجدُوا لله الذي خلقهنَّ﴾** الضميرُ للأربعةِ لأنَّ حُكَم جماعة ما لا يعقلُ حكمُ الأنثى أو الإناثِ، أو لأنها عبارةٌ عن الآياتِ. وتعليقُ الفعلِ بالكل مع كفايةِ بيانِ مخلوقيةِ الشمسِ والقمرِ للإيذان بكمال سقوطِهما عن رتبة المسجوديةِ بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراضِ التي لا قيامَ لها بذاتها، وهو السرُّ في نظم الكلِّ في سلك آياتِه تعالى **﴿إن كنتم إياه تعبدونَ﴾** فإن السجودَ أقصى مراتبِ العبادةِ فلا بُدَّ من تخصيصه به سبحانَهُ. وهو موضعُ السجودِ عند الشافعيِّ رحمَهُ الله وعندنا آخرُ الآيةِ الأُخرى لأنَّه تمامُ المعْنى **﴿فإنِ استكبرُوا﴾** عن الامتثالِ **﴿فالذينَ عند ربِّك﴾** من الملائكة **﴿يسبحون له بالليلِ والنهارِ﴾** أي دائمًا **﴿وهم لا يسأمُون﴾** لا يفترُون ولا يَملّون. وقرئ[2] لا يِسْأمُون بكسرِ الياءِ.

من آيات الله

﴿ومِنْ آياتِه أنَّك تَرى الأرضَ خاشعةً﴾ يابسةً متطامنةً مستعارٌ من الخشوع بمعنى التذللِ **﴿فإذا أنزلنَا عليها الماءَ﴾** أي المطرَ **﴿اهتزتْ وربتْ﴾** أي تحركتْ بالنبات وانتفختْ، لأنَّ النبتَ إذَا دَنا أنْ يظهرَ ارتفعتْ له الأرضُ وانتفختْ ثم تصدعتْ عن النباتِ، وقيلَ: تزخرفتْ بالنباتِ. وقرئ[3] رَبَأَتْ أي ارتفعتْ **﴿إنَّ الذي أَحْياهَا﴾** بما ذُكِرَ بعدَ موتِها **﴿لمحيي المَوْتَى﴾** بالبعث **﴿إنه على كلِّ شيءٍ﴾** من الأشياءِ التي منْ جُملتها الإحياءُ **﴿قديرٌ﴾** مبالغٌ في القُدرة.

﴿إن الذين يُلحدونَ﴾ يميلونَ عن الاستقامةِ. وقرئ[4] يَلحدون **﴿في آياتِنا﴾**

---

(١) في خ: مسخرة.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٤).

(٣) قرأ بها: أبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٢)، والبحر المحيط (٧/ ٤٩٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٢٧)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٦٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٤٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٥).

(٤) قرأ بها: حمزة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والتيسير للداني ص (١١٤)، والحجة لأبي زرعة ص =

بالطعنِ فيَها وتحريفُها بحملها على المحاملِ الباطلةِ ﴿لا يَخفوَن علينا﴾ فنجازيَهم بإلحادِهم. وقولُه تعالَى: ﴿أفمن يُلْقى في النارِ خيرٌ أم مَّن يأتي آمنًا يومَ القيامة﴾ تنبيةٌ على كيفيةِ الجزاءِ ﴿اعملُوا ماشئتم﴾ من الأعمال المؤديةِ إلى ما ذُكِرَ من الإلقاءِ في النارِ والإتيانِ آمنًا، وفيه تهديدٌ شديدٌ ﴿إنه بما تعملونَ بصيرٌ﴾ فيجازيكُم بحسبِ أعمالِكم. وقولُه تعالَى:

﴿إن الذينَ كفرُوا بالذّكرِ لمّا جاءَهُم﴾ بدلٌ من قولِه تعالى إنَّ الذينَ يُلحدونَ إلخ وخبرُ إنَّ هُو الخبرُ السابقُ وقيلَ: مستأنفٌ وخبرُها محذوفٌ وقالَ الكِسائِيُّ: سدَّ مسدّه الخبرُ السابقُ، والذكرُ القرآنُ. وقولُه تعالى ﴿وإنه لكتابٌ عزيزٌ﴾ أي كثيرُ المنافعِ عديمُ النظيرِ، [أو منيعٌ لاَ تتأتّى][1] معارضتُه. جملةٌ حاليةٌ مفيدةٌ لغاية شناعةِ الكُفرِ بهِ. وقولُه تعالى: ﴿لا يأتيه الباطلُ من بينِ يديهِ ولا منْ خلفِه﴾ أي لا يتطرقُ إليه الباطلُ من جهةٍ من الجهاتِ. صفةٌ أُخرى يديهِ لكتابٌ.

وقولُه تعالَى: ﴿تنزيلٌ منْ حكيم حميدٍ﴾ خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ، أو صفةٌ أُخرى لكتابٌ مفيدةٌ لفخامتهِ الإضافيةِ كما أن الصفتينِ السابقتينِ مفيدتانِ لفخامتِه الذاتيةِ. وقولُه تعالَى: ﴿لا يأتيه﴾ إلخ اعتراضٌ عندَ من لا يجوزُ تقديمَ غير الصريحِ من الصفاتِ على الصريح، كلُّ ذلكَ لتأكيد بطلانِ الكفرِ بالقرآنِ.

وقوله تعالى: ﴿ما يُقالُ لكَ﴾ إلخ تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ عَّما يصيبُه من أذيةِ الكفار أي ما يُقالُ في شأنك وشأنِ ما أُنزلَ إليكَ منَ القُرآن من جهةِ كفارِ قومِك ﴿إلا ما قد قيلَ للرسلِ من قبلكَ﴾ أي إلا ما قد قيلَ في حقِّهم مما لا خيرَ فيه: ﴿إن ربَّك لذُو مغفرةٍ﴾ لأنبيائِه ﴿وذُو عقابٍ أليم﴾ لأعدائِهم وقد نصرَ مَنْ قبلكَ من الرسلِ وانتقمَ من أعدائِهم وسيفعلُ مثلَ ذلكَ بكَ وبأعدائِك أيضًا.

﴿ولو جعلناهُ قُرآنًا أعْجَميًا﴾ جوابٌ لقولِهم: هَلاَّ أُنزلَ القرآنُ بلغةِ العجم، والضميرُ للذكرِ ﴿لقالُوا لولاَ فصِّلتْ آياتُه﴾ أي بينتْ بلسانٍ نفقهُه[2]. وقولُه تعالَى: ﴿أأعجميٌ وعربيٌّ﴾ إنكارٌ مقررٌ للتحضيضِ. والأعجميُّ يُقالُ لكلام لا يُفهمُ، وللمتكلم[3] بهِ. والياءُ للمبالغةِ في الوصفِ كأحمريٍّ، والمَعْنى أكلامٌ أعجَميٌّ ورسولٌ أو مرسلٌ إليه عربيٌّ على أن الإفرادَ مَعَ كونِ المرسلِ إليهمْ أمةً جمةً لما أنَّ المرادَ

= (٦٣٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٧٣).

(١) في خ: لا يتأتى. (٢) في خ: يفقهه. (٣) في خ: للتكلم.

بيانُ التنافِي والتنافُرِ بينَ الكلامِ وبينَ المُخاطَبِ بهِ لا بيانُ كونِ المخاطبِ واحدًا أو جمعًا.

وقرئَ[١] أَعَجميٌّ أيْ أكلامٌ منسوبٌ إلى أمةِ العجمِ. وقرئَ[٢] أعجميٌّ علَى الإخبارِ بأنَّ القرآنَ أعجميٌّ والمتكلمُ والمخاطَبُ عربيٌّ ويجوزُ أن يرادَ[٣] هَلاَّ فصِّلتْ آياتُه فجعلَ بعضُها أعجميا لإفهامِ العجمِ وبعضُها عربيا لإفهامِ العربِ وأيا ما كانَ فالمقصودُ بيانُ أنَّ آياتِ الله تعالَى على أي وجهٍ جاءتهم وجدُوا فيها متعنتًا يتعللونَ به.

﴿قل هو للذين آمنُوا هُدى﴾ يهديهِمْ إلى الحقِّ ﴿وشفاءٌ﴾ لَما في الصدورِ منْ شكٍّ وشُبهةٍ ﴿والذين لا يؤمنونَ﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿في آذانِهم وَقْرٌ﴾ على أن التقدير هُو أي القرآنُ في آذانِهم وَقْرٌ على أنَّ وقرٌ خبرٌ للضمير المقدرِ، وفي آذانِهم متعلقٌ بمحذوفٍ وقعَ حالًا من وقرٌ وهُو أوفقُ لقولِه تعالى: ﴿وهو عليهم عَمًى﴾.

وقيلَ: خبرُ الموصولِ في آذانِهم ووَقْرٌ فاعلُ الظرفِ وقيلَ: وقرٌ مبتدأٌ والظرفُ خبرُهُ والجملةُ خبرٌ للموصولِ وقيلَ: التقديرُ والذينَ لا يؤمنونَ في آذانِهم منْهُ وقرٌ، ومن جوَّزَ العطفَ على عاملينِ عطفَ الموصولَ على الموصولِ الأولِ أي هُو للأولينَ هُدى وشفاءٌ وللآخرينَ وقرٌ في آذانِهم.

﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ الثانِي باعتبارِ اتصافِه بما في حيزِ صلتِه وملاحظة ما أُثبتَ لهُ، وما فيهِ منْ مَعنى البعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ للإيذانِ ببعدِ منزلتِه في الشرِّ معَ ما فيه من كمالِ المناسبةِ للنداءِ من بعيدٍ أي أولئكَ البُعداءُ الموصوفونَ بما ذكرَ من التصامِّ عن الحقِّ الذي يسمعُونَهُ والتعامِي عن الآياتِ الظاهرةِ التي يشاهدونَها ﴿يُنادون من مكانٍ بعيدٍ﴾ تمثيلٌ لهم في عدمِ قبولِهم واستماعِهم له بمنْ يُنادىٰ من مسافةٍ نائيةٍ لا يكادُ يَسمعُ من مثلِها الأصواتِ.

﴿ولقد آتينا مُوسى الكتابَ فاختلفَ فيهِ﴾ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لبيانِ أن الاختلافَ في شأنِ الكتبِ عادةٌ قديمةٌ للأممِ غيرُ مختصٍّ بقومكَ على منهاجِ قولِه تعالى: ﴿ما

---

(١) قرأ بها: عمرو بن ميمون، والحسن.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١١٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٣١).

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وابن عباس، والحسن، وأبو الأسود، والجحدري، وسلام، والضحاك، وقنبل، ورويس، وهشام، وحفص، وأبو العالية، ونصر بن عاصم، والقواس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٣).

(٣) في خ: تزاد.

يُقال لكَ إلا ما قَدْ قيلَ للرسلِ من قبلك﴾ [سورة فصلت، الآية ٤٣] أيْ وبالله لقد آتيناه التوراةَ فاختُلفَ فيها [فمن مصدقٍ][1] لها ومكذبٍ وهكذا حالُ قومكَ في شأنِ ما آتيناكَ من القرآنِ فمن مؤمنٍ به وكافرٍ.

﴿**ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّكَ**﴾ في حقِّ أمتكَ المكذبةِ وهي العِدَةُ بتأخيرِ عذابِهم وفصلُ ما بينهم وبينَ المؤمنينَ من الخصومةِ إلى يومِ القيامةِ بنحو قوله تعالى: ﴿بلِ الساعةُ موعدُهم﴾ [سورة القمر، الآية ٤٦] وقولِه تعالى: ﴿ولكنْ يؤخرهُم إلى أجلٍ مُسمَّى﴾ [سورة النمل، الآية ٦١. وسورة فاطر، الآية ٤٥] ﴿**لقُضي بينهمُ**﴾ باستئصالِ المكذبينَ كما فعلَ بمكذِبي الأمم السالفةِ ﴿**وإنهم**﴾ أي كفارُ قومِكَ ﴿**لفي شكٍّ مِنْهُ مريبٌ**﴾ أي من القرآنِ، وَجَعْلُ الضميرِ الأولِ لليهودِ والثاني للتوراةِ مما لا وجْهَ لَهُ.

﴿**من عملَ صالحًا**﴾ بأنْ آمنَ بالكتبِ وعملَ بموجِبها ﴿**فلنفسِه**﴾ أي فلنفسِه يعملُه أو فنفعُه لنفسه لا لغيرِه ﴿**ومن أساءَ فعليها**﴾ ضررُه[2] لا على غيرِه ﴿**وما ربُّكَ بظلَّامٍ للعبيدِ**﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مقررٌ لمضمونِ ما قبلَهُ مبنيٌّ على تنزيلِ تركِ إثابةِ المحسنِ بعملِه أو إثابةِ الغيرِ بعملِه وتنزيلِ التعذيبِ بغيرِ إساءةٍ أو بإساءةِ غيرِه منزلةَ الظلمِ الذي يستحيلُ صدورُه عنه سبحانَهُ وتعالَى وقد مرَّ ما في المقامِ من التحقيقِ والتفصيلِ في سورةِ آلِ عمرانَ وسورةِ الأنفالِ.

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿**إليه يُردُّ علمُ الساعةِ**﴾ أي إذا سئلَ عنها يقالُ الله يعلمُ أو لا يعلمُها إلا الله تعالى ﴿**وما تخرجُ من ثمراتٍ من أكمامِها**﴾ أي من أوعيتِها جمعُ كِمٍ بالكسرِ وهُو وعاءُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) في خ: ضرورة.

الثمرةِ كَجُفِّ الطلعةِ. وقرئ[(١)] من ثمرةٍ على إرادةِ الجنسِ والجمعُ لاختلافِ الأنواعَ. وقد قرئ[(٢)] بجمعِ الضميرِ أيضًا، ومَا نافيةٌ ومِنْ الأُولى مزيدةٌ للاستغراقِ، واحتمالُ أَنْ تكونَ [مَا موصولةً][(٣)] معطوفةً على الساعةِ ومِنْ مبينةً بعيدٌ ﴿**وما تحمِلُ من أُنثى ولا تضعُ**﴾ أي حَملَها. وقولُه تعالى ﴿**إلا بعلمِه**﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعمِّ الأحوالِ أيْ وما يحدثُ شيء من خروجِ ثمرةٍ ولا حملِ حاملٍ ولا وضعِ واضعٍ ملابسًا بشيءٍ من الأشياءِ إلا ملابسًا بعلمِهِ المحيطِ.

﴿**ويومَ يناديهم أينَ شركائِي**﴾ أي بزعمِكم كما نصَّ عليه في قولِه تعالى: ﴿نادُوا شركائيَ الذين زعمتُم﴾ [سورة الكهف، الآية ٥٢] وفيهِ تهكمٌ بهِم وتقريعٌ لَهُم ويومَ منصوبٌ باذكُرْ أو ظرفٌ لمضمرٍ مؤخرٍ قد تُرك إيذانًا بقصورِ البيانِ عنْه كما مرَّ في قولِه تعالى: ﴿يومَ يجمعُ الله الرسلَ﴾ [سورة المائدة، الآية ١٠٩] ﴿**قالُوا آذنَّاكَ**﴾ أي أخبرناكَ ﴿**ما منّا مِن شهيدٍ**﴾ لهم بالشركةِ إذ تبرأنَا منهم لَمَّا عاينَّا الحالَ وما منا أحدٌ إلا وهو موحدٌ لكَ، أو ما منا من أحدٍ يشاهدُهم لأنهم ضلُّوا عنهُم حينئذٍ وقيلَ: هو قولُ الشركاءِ أي ما منَّا من شهيدُ لهم بأنَّهم كانُوا محقِّينَ.

وقولُهم آذناكَ إما لأنَّ [هذا][(٤)] التوبيخَ [مسبوقٌ بتوبيخٍ][(٥)] آخر مجابٍ [عْنُه][(٦)] بهذا الجوابِ أو لأنَّ معناهُ أنك علمتَ من قلوبِنا وعقائدِنا الآنَ أنا لا نشهدُ تلكَ الشهادةَ الباطلةَ لأنَّه إذا علمَهُ من نفوسِهم فكأنَّهم أعلمُوه، أو لأنَّ معناهُ الإنشاءُ لا الإخبارُ بإيذانٍ قد كانَ قبلَ ذلكَ.

﴿**وضلَّ عنهم ما كانُوا يدْعُون**﴾ أي يعبدونَ ﴿**من قبل**﴾ أي غابُوا عنْهم أو[(٧)] ظهر عدمُ نفعِهم فكانَ حضورُهم كغَيبتهم ﴿**وظنوا**﴾ أي أيقنُوا ﴿**ما لهم من محيصٍ**﴾ مهربٍ والظنُّ معلقٌ عنْه بحرفِ النفي[(٨)].

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وشعبة، والحسن، وطلحة، والأعمش، ويعقوب، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٥)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٣٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٧٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧).
(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٦).
(٣) في خ: موصوفة.
(٤) سقط في خ.
(٥) سقط في خ.
(٦) سقط في خ.
(٧) في خ: و.
(٨) في خ: النهي.

﴿لا يسأم الإنسان﴾ أي لا يملُّ ولا يفترُ ﴿من دعاءِ الخيرِ﴾ من طلبِ السعةِ في النعمةِ وأسبابِ المعيشةِ وقرئ[١] من دعاءٍ بالخيرِ ﴿وإنْ مسَّهُ الشرُّ﴾ أي العسرُ والضيقةُ ﴿فيئوس قنوطٌ﴾ فيه مبالغةٌ من جهة البناءِ ومن جهةِ التكريرِ ومن جهةِ أن القنوطُ عبارةٌ عن يأسٍ مفرطٍ يظهرُ أثرُه في الشخصِ فيتضاءلُ وينكسرُ أي مبالغٌ في قطعِ الرجاءِ من فضلِ الله تعالَى ورحمتِه، وهذا وصفٌ للجنسِ بوصفِ غالبِ أفرادِه لما أنَّ اليأسَ من رحمتِه تعالى لا يتأتَّى إلا من الكافرِ وسيصرحُ به ﴿ولئن أذقناهُ رحمةً منا من بعدِ ضراء مستْهُ﴾ بتفريجِها عنْهُ ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي حَقِّي أستحقُّه لما لِي من الفضلِ والعملِ أو لي لا لغَيري فَلاَ يزولَ عنِّي أبدًا ﴿وما أظنُّ الساعةَ قائمةً﴾ أي تقومُ فيما سيأتي ﴿ولئن رُجعتُ إلى ربِّي﴾ على تقديرِ قيامِها ﴿إن لي عندَهُ للحُسنى﴾ أي للحالةَ الحُسنى من الكرامةِ وذلك لاعتقادِه أن ما أصابَهُ من نعم الدنيا لا ستحقاقِه له وأنَّ نعمَ الآخرةِ كذلكَ ﴿فلننبئن الذينَ كفرُوا بما عملوا﴾ أي لنعلمنَّهم بحقيقةِ أعمالِهم حينَ أظهرناهَا بصورةِ الحقيقيةِ وقد مرَّ تحقيقُه في الأعرافِ عند قولِه تعالى: ﴿والوزنُ يؤمئذٍ الحقُّ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٨] وفي قولِه تعالَى: ﴿إنما بغيكُم على أنفسِكم﴾ [سورة يونس، الآية ٢٣] من سورةِ يونس ﴿ولنذيقنَّهم منْ عذابٍ غليظٍ﴾ لا يُقادرُ قدُره ولا يُبلغ كُنهه.

﴿وإذا أنعمنَا على الإنسانِ أعرضَ﴾ أي عنِ الشكرِ ﴿ونأى بجانبه﴾ أي ذهبَ بنفسِه وتباعدَ بكليتِه تكبرًا وتعظيمًا والجانبُ مجازٌ عن النفسِ كما في قولِه تعالَى: ﴿في جنبِ الله﴾ [سورة الزمر، الآية ٥٦] ويجوزُ أن يرادَ به عِطْفُه ويكونَ عبارةً عن الانحرافِ والازورارِ كما قالُوا: «ثَنَى عِطْفَهُ وتولَّى بركنِه»: ﴿وإذا مسَّه الشرُّ فذو دعاءٍ عريضٍ﴾ أي كثيرٍ مستعار مما لَه عَرْضٌ متسعٌ للإشعارِ بكثرتِه[٢] واستمرارِه وهو أبلغُ من الطّويلُ إذ الطول أطولُ الامتدادينِ فإذا كان عرضُه كذلكَ فما ظنُّك بطولِه. ولعلَّ هذا شأنُ بعضٍ غيرِ البعضِ الذي حُكِيَ عنه اليأسُ والقنوطُ أو شأنُ الكلِّ في بعضِ الأوقاتِ.

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥٠٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٠).

(٢) وذلك لأن العرض ضد الطول والشيء العريض هو المتسع مساحة العرض، فشبه الدعاء المتكرر الملح فيه بالثوب أو المكان العريض، وهي استعارة تخييلية شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد، ثم أثبت له العرض.
ينظر: الفتوحات الإلهية (٣/ ٤٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٥)، والكشاف (٣/ ٤٥٧)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ١٥).

﴿قل أرأيتُم﴾ أي أخبروني ﴿إن كانْ﴾ أي القرآنُ ﴿من عندِ الله ثم كفرتمُ به﴾ مع تعاضدِ موجباتِ الإيمانِ به ﴿من أضلُّ ممن هُو في شقاقٍ بعيدٍ﴾ أي من أضلُّ منكُم، فوضعَ الموصولَ موضعَ الضميرِ شرحًا لحالهِم وتعليلًا لمزيدِ ضلالِهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالَة على حقّيته وكونِه من عندِ الله ﴿في الآفاق﴾ هو ما أخبرهم [به][1] النبي ﷺ من الحوادثِ الآتيةِ وآثارِ النوازلِ الماضيةِ وما يسرّ الله تعالَى له ولخلفائِه من الفتوحِ والظهورِ على آفاقِ الدنيا والاستيلاءِ على بلادِ المشارقِ والمغاربِ على وجهٍ خارقٍ للعادةِ.

﴿وفي أنفسهم﴾ هو ما ظهرَ فيما بينَ أهلِ مكةَ وما حلَّ بهم وقال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في الآفاق أي منازلِ الأممِ الخاليةِ وآثارِهم وفي أنفسِهم يومُ بدرٍ[2] وقال مجاهدٌ والحسنُ والسُّدِّيُّ في الآفاقِ ما يفتحُ الله من القُرَى عليهِ عليه الصلاةُ والسلامُ والمسلمينَ وفي أنفسِهم فتحُ مكةَ[3].

وقيلَ: في الآفاقِ أي في أقطار السمواتِ والأرضِ من الشمسِ والقمرِ والنجومِ وما يترتبُ عليها من الليلِ والنهارِ والأضواءِ والظلالِ والظلماتِ ومن النباتِ والأشجارِ والأنهارِ وفي أنفسهم من لطيفِ الصنعة وبديعِ الحكمةِ في تكوينِ الأجنةِ في ظلماتِ الأرحامِ وحدوثِ الأعضاءِ العجيبةِ والتركيباتِ الغريبةِ كقولِه تعالَى: ﴿وفي أنفسِكم أفلا تبصرونَ﴾ [سورة الذاريات، الآية ٢١] واعتذرَ بأنَّ معنَى السينِ مع أنَّ إراءةَ تلك الآياتِ قد حصلتْ قبلَ ذلكَ أنه تعالَى سيطلعُهم على تلك الآياتِ زمانًا فزمانا ويزيدُهم وقوفًا على حقائِقِها يومًا فيومًا ﴿حتى يتبينَ لهم﴾ بذلكَ ﴿أنه الحقُّ﴾ أي القرآنُ أو الإسلامُ والتوحيدُ.

﴿أَوَلم يكفِ بربِّكَ﴾ استئنافٌ واردٌ لتوبيخِهم عَلى ترددهم في شأنِ القرآنِ وعنادِهم المُحوجِ إلى إراءةِ الآياتِ وعدم اكتفائِهم بإخبارِه تعالَى، والهمزةُ للإنكارِ، والواوُ للعطفِ عَلى مقدرَ يقتضيه المقامُ أيْ ألَمْ يغنِ ولم يكفِ ربُّكَ والباءُ مزيدةٌ لتأكيدِ ولاَ تكادُ تزاد إلا معَ كَفَى.

وقولُه تعالَى: ﴿أنه على كلِّ شيءٍ شهيد﴾ بدلٌ منهُ أيْ أَلَم يُغنِهم عن إراءةِ الآياتِ الموعودةِ المبينةِ لحقيةِ القُرآنِ ولم يكفهم في ذلكَ أنه تعالَى شهيدٌ على جميعِ

---

(١) سقط في خ.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١١٨).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١١٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠).

الأشياءِ، وقد أخبرَ بأنَّه منْ عندِه وقيلَ: معناهُ أنَّ هَذا الموعودَ من إظهارِ آياتِ الله في الآفاقِ وفي أنفسِهم سيرونَهُ ويشاهدونَهُ فيتبينونَ عند ذلكَ أنَّ القرآنَ تنزيلُ عالمِ الغيبِ الذي هُو عَلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ أي مطّلعٌ يستوِي عندَهُ غيبُه وشهادتُه فيكفيهم ذلكَ دليلًا على أنه حقٌّ وأنَّه منْ عندِه ولو لم يكُن كذلكَ لما قُوِيَ هذه القوةَ ولما نُصرَ حاملُوه هذهِ النُصرةَ فتأملْ.

وأما ما قيلَ: من أنَّ المَعنى أَوَلَم يكفكَ أنِه تعالَى على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ محققٌ له فيحققَ أمرَكَ بإظهارِ الآياتِ الموعودةِ كما حققَ سائرَ الأشياءِ الموعودةِ فمع إشعارِه بما لا يليقُ بجلالةِ منصبِه عليه السلامُ من الترددِ فيما ذكر من تحقيق الموعودِ - يرده قولُه تعالى: ﴿ألا إنهم في مريةٍ من لقاءِ ربِّهم﴾أي في شكٍّ عظيم منْ ذلكَ بالبعثِ والجزاءِ فإنه صريحٌ في أن عدمَ الكفايةِ معتبرٌ بالنسبةِ إليهم وقرئَ[١] مُريةٍ بالضمِّ وهُو لُغةٌ فيها ﴿ألا إنه بكُلِّ شيءٍ محيطٌ﴾ عالمٌ بجميع الأشياءِ جُمَلِها وتفاصيلِها وظواهرِها وبواطنِها فلا تَخْفى عليه خافيةٌ منهم وهو مجازيهُمْ على كُفرِهم ومريتِهم لا محالةَ.

عن رسولِ الله ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ فصلت أعطاهُ الله تعالَى بكُلِّ حرفٍ عشرَ حسناتٍ» والله أعلمُ[٢].

---

(١) قرأ بها: السلمي، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٥٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٨).

(٢) حديث موضوع وقد تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ حم عسق

وَتُسمَّى الشُّورَى مَكِّيةٌ وَهِيَ ثَلاثٌ وَخَمْسُونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ

ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

﴿**حم * عسق**﴾ اسمانِ للسورةِ، ولذلكَ فصِلَ بينهما. وعُدَّا آيتينِ، وقيلَ: اسمٌ واحدٌ والفصلُ ليناسبَ سائرَ الحواميمِ. وقرئ[1] حم سق. فعلى الأولِ هُما خبرانِ لمبتدأٍ محذوفٍ، وقيلَ: حم مبتدأٌ وعسق خبرُهُ وعَلى الثَّانِي الكلُّ خبرٌ واحدٌ. وقولُه تعالَى: ﴿**كذلكَ يُوحِي إليكَ وإلى الذينَ من قبلكَ اللهُ العزيزُ الحكيمُ**﴾ كلامٌ مستأنفٌ واردٌ لتحقيق أنَّ مضمونَ السورةِ موافقٌ لما في تضاعيفِ سائرِ الكتبِ المنزَّلةِ على الرسلِ المتقدمةِ في الدعوةِ إلى التوحيدِ والإرشادِ إلى الحقِّ أو أنَّ إيحاءَهَا مثلُ إيحائِها بعدَ تنويهِها بذكرِ اسمِها والتنبيه على فخامةِ شأنها. والكافُ في حيزِ النصبِ على أنَّه مفعولٌ ليُوحِي عَلى الأولِ وعلى أنه نعتٌ لمصدرٍ مؤكدٍ لهُ على الثَّانِي وذلك على الأولِ إشارةٌ إلى ما فيها وعلى الثَّانِي إلى إيحائِها، وما فيه مِنْ مَعْنى البُعدِ للإيذانِ بعلوِّ رتبة المشارِ إليه وبُعدِ منزلتِه في الفضل أي مثل ما في هذه السورةِ من المعانِي أُوحيَ إليكَ في سائر السورِ وإلى من قبلك من الرسلِ في كتبِهم، على أنَّ مناطَ المماثلةِ ما أُشيرَ إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاحُ العبادِ في المعاشِ والمعادِ، أو مثلَ إيحائِها أُوحيَ إليكَ عند إيحاءِ سائرِ السورِ وإلى سائرِ الرسلِ عند إيحاءِ كتبِهم إليهم لا إيحاءً مغايرًا له كما في قوله تعالى: ﴿إنا أوحينَا إليكَ كما أوحينَا إلى نوحٍ﴾ [سورة النساء، الآية ١٦٣] الآيةَ. على أنَّ مدارَ المْثليةِ

---

(١) قرأ بها: ابن عباس، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: التبيان للطوسي (٩/ ١٣٩)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١-٢) والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٢١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٤٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٢١).

كونُه بواسطةِ الملكِ. وصيغةُ المضارعِ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ للإيذان باستمرارِ الوحي وأنَّ إيحاءَ مثلِه عادتُه. وفي جعلِ مضمونِ السورةِ أو إيحائها مشبهًا به من تفخيمِها مالا يخفى وكذا في وصفِه تعالَى بوصفي العزةَ والحكمةِ. وتأخيرُ الفاعلِ لمراعاةِ الفواصلِ مع ما فيهِ من التشويقِ. وقرئ[1] يُوحَى، على البناءِ للمفعولِ على أنَّ كذلكَ مبتدأٌ ويُوحَى خبره المسندُ إلى ضميرِه أو مصدرٍ، ويُوحَى مسندٌ إلى إليكَ والله مرتفعٌ بما دلَّ عليهِ يُوحَى كأنَّه قيلَ: مَنْ يُوحِي، فقيلَ الله. والعزيزُ الحكيمُ صفتان لهُ، أو مبتدأٌ كما في قراءةِ[2] نُوحِي، والعزيزُ وما بعدَهُ خبرانِ له أو العزيزُ الحكيمُ صفتانِ له.

وقولُه تعالى: **﴿له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وهو العليُّ العظيمُ﴾** خبرانِ له وعلى الوجوهِ السابقةِ استئنافٌ مقرٌّ لعزتِه وحكمتِه.

﴿تكادُ السمواتُ﴾ وقرئ[3] بالياءِ **﴿يتفطّرن﴾** يتشقّقنَ من عظمةِ الله تعالى وقيلَ: من دعاءِ الولدِ له كما في سُورةِ مريمَ وقرئ[4] يَنْفَطرنَ، والأولُ أبلغُ لأنَّه مطاوعُ فطَّر، و هذا مطاوعُ فَطَر. وقرئ[5] تَنْفِطِرْنَ بالتاءِ لتأكيدِ التأنيثِ وهو نَادرٌ **﴿مِنْ فَوقِهنَّ﴾** أي يبتدأُ التفطرُ من جهتهنَّ الفوقانيةِ وتخصيصُها على الأولِ لما أنَّ أعظمَ

---

(١) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، ومجاهد، وعباس، ومحبوب، وابن عمر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ٤٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٠)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٣٩)، والتيسير للداني ص (١٩٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣)، والغيث للصفاقسي ص (٢٤٦).

(٢) قرأ بها: أبو حيوة، والأعشى، وشعبة، وأبان.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٤٩)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩).

(٣) قرأ بها: نافع، والكسائي، وابن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٤٠)، والتيسير للداني (١٥٠، ١٩٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣١٩).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وعاصم، وشعبة، ويعقوب، واليزيدي، والشنبوذي، والمفضل، وأبو عبيد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٨٢، ٣٨٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٤)، والحجة لابن خالويه (٢٣٩، ٣١٨)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٤٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣١٩).

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، ويونس.
ينظر: مختصر ابن خالويه ص (١٣٤)، والألوسي (٢٥/ ١٢).

الآياتِ وأدلَّها على العظمةِ والجلالِ من تلكَ الجهةِ، وعلى الثَّاني للدلالةِ على التفطرِ من تحتهنَّ بالطريقِ الأَولى، لأنَّ تلكَ الكلمةَ الشنعاءَ الواقعةَ في الأرضِ حيثُ أثرتْ في جهةِ الفوقِ فلأنْ تؤثرَ في جهةِ التحتِ أَوْلى وقيلَ: الضميرُ للأرضِ فإنَّها في مَعنى الأرضينَ.

﴿**والملائكةَ يسبحونَ بحمدِ ربِّهم**﴾ ينزهونَهُ تعالى عمَّا لا يليقُ به ملتبسينَ بحمدِه ﴿**ويستغفرونَ لمن في الأرضِ**﴾ بالسَّعي فيما يستدعِي مغفرتَهُم من الشفاعةِ والإلهامِ وترتيبِ الأسبابِ المقربةِ إلى الطاعةِ واستدعاءِ تأخيرِ العقوبةِ طمعًا في إيمانِ الكافرِ وتوبةِ الفاسقِ. وهذا يعمُّ المؤمنَ والكافرَ، بلْ لو فُسِّر الاستغفارُ بالسَّعي فيما يدفعُ الخللَ المتوقعَ عمَّ الحيوانَ بلِ الجمادَ وحيثُ خُصَّ بالمؤمنينَ كَما في قولِه تعالى: ﴿ويستغفرونَ للذينَ آمنُوا﴾ [سورة غافر، الآية ٧] فالمرادُ به الشفاعةُ.

﴿**ألاَ إنَّ الله هُو الغفورُ الرحيمُ**﴾ إذْ ما منْ مخلوقٍ إلا ولَهُ حظٌّ عظيمٌ من رحمتِه تعالَى، والآيةُ عَلى الأولِ زيادةُ تقرير لعظمتِه تعالَى، وعلى الثَّاني بيانٌ لكمالِ تقدُّسِهِ عمَّا نُسبَ إليهِ، وأنَّ تركَ معاجلتِهم بالعقابِ على تلك الكلمةِ الشنعاءِ بسببِ استغفارِ الملائكةِ وفرطِ غفرانِه ورحمتِه، ففيها رمزٌ إلى أنَّه يقبلُ استغفارَهُم ويزيدُهُم على ما طلبُوه من المغفرةِ رحمةً. ﴿**والذين اتخذُوا من دونِه أولياءَ**﴾ شركاءَ وأندادًا ﴿**الله حفيظٌ عليهم**﴾ رقيبٌ على أحوالِهم وأعمالِهم فيجازيَهُمْ بها ﴿**وما أنتَ عليهم بوكيلٍ**﴾ بموكَّلٍ بهم أو بموكولٍ إليك[1] أمرُهم وإنما وظيفتُكَ الإنذارُ.

﴿**وكذلكَ أوحينا إليكَ قُرآنا عَربيا**﴾ ذلكَ إشارةٌ إلى مصدر أَوْحَينا ومحلُّ الكافِ النصبُ على المصدريةِ، وقرآنا عربيًا مفعول لأوحينَا أي ومثلَ ذلكَ الإيحاءِ البديعِ البيِّنِ المفُهم أَوْحينا إليكَ قرآنًا عربيًّا لا لَبْسَ فيه عليكَ ولا على قومكَ، وقيلَ: إشارةٌ إلى مَعْنى الآيةِ المتقدمةِ من أنَّه تعالى هُو الحفيظُ عليهم وإنما أنتَ نذيرٌ فحسب، فالكافُ مفعولٌ به لأوحينا، وقرآنًا عربيًا حالٌ من المفعولِ بِه أيْ أوحيناهُ إليكَ وهو قرآنٌ عربيٌّ بيِّنٌ.

﴿**لتنذرَ أُمَّ القُرى**﴾ أيْ أهلَها وهيَ مكةُ ﴿**ومَنْ حولَها**﴾ من العربِ ﴿**وتنذرَ يومَ الجمعِ**﴾ أي يومَ القيامةِ لأنه يُجمعُ فيه الخلائقُ قال تعالى: ﴿يومَ يجمعُكم ليومِ الجمعِ﴾ [سورة التغابن، الآية ٩] وقيلَ: تُجمعُ فيه الأرواحُ والأشباحُ، وقيلَ: الأعمالُ والعُمالُ.

---

(١) في ط: إليه.

والإنذارُ يتعدَّى إلى مفعولينِ، وقد يستعملُ ثانيهما بالباءِ، وقد حُذفَ هاهنا ثانِي مفعولَيْ الأولِ وأولُ مفعولَيْ الثَّانِي للتهويلِ وإيهامِ التعميم. وقرئ[1] لينذرَ بالياءِ على أنَّ فاعلَهُ ضميرُ القرآنِ. ﴿**لا ريبَ فيهِ**﴾ اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ ﴿**فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السعيرِ**﴾ أي بعدَ جمعِهم في الموقفِ فإنَّهم يُجمعونَ فيه أولًا ثمَّ يفرقونَ بعد الحسابِ، والتقديرُ منهمُ فريقٌ والضميرُ للمجموعينَ لدلالةِ الجمعِ عليهِ وقرِئَا منصوبينِ على الحاليةِ منهُم أيْ وتنذرَ يومَ جمعِهم متفرقين أي مشارفينَ للتفرقِ أو متفرقينَ في دارَيْ الثوابِ والعقابِ. ﴿**ولو شاءَ الله لجعلَهم**﴾ أي في الدُّنيا ﴿**أمةً واحدةً**﴾ وقيل: مهتدينَ أو ضَالِّينَ وهو تفصيلٌ لما أجملَهُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قولِه على دينٍ واحدٍ فمعنى قولِه تعالى ﴿**ولكنْ يدخلُ من يشاءُ في رحمتِه**﴾ أنه تعالَى يُدخلُ في رحمتِه من يشاءُ أنْ يدخلَهُ فيها ويدخلُ في عذابِه من يشاءُ أن يدخلَهُ فيهِ ولا ريبَ في أنَّ مشيئَته تعالَى لكلٍّ من الإدخالينِ تابعةٌ لاستحقاقِ كلٍّ من الفريقينِ لدخولِ مُدخلِه. ومن ضرورةِ اختلافِ الرحمةِ والعذابِ اختلافُ حالِ الداخلينَ فيهما قطعًا فلم يشأْ جعلَ الكلِّ أمةً واحدةً بلْ جعلَهُم فريقينِ، وإنَّما قيلَ: ﴿**والظالمونَ ما لهُم من وَلي ولا نصيرٍ**﴾ للإيذانِ بأنَّ الإدخالَ في العذابِ من جهةِ الداخلينَ بموجبِ سُوءِ اختيارِهم لا من جهتِه تعالَى كما في الإدخال في الرحمة لا لِما قيلَ من المبالغةِ في الوعيدِ وقيلَ مؤمنين كلَّهم وهو ما قالَه مقاتلٌ على دينِ الإسلام كما في قولِه تعالى: ﴿وَلَو شاءَ الله لجمعهم عَلى الهُدَى﴾ [سورة الأنعام، الآية ٣٥] وقوله تعالَى: ﴿ولو شئنا لآتينَا كلّ نفسٍ هُداها﴾ [سورة السجدة، الآية ١٣] والمَعنْى ولو شاءَ الله مشيئةَ قُدرةٍ لقسرَهُم على الإيمانِ ولكنَّه شاءَ مشيئةَ حكمةٍ، وكلَّفَهم وبنى أمرَهُم على مَا يختارُون ليدخلَ المؤمنينَ في رحمتِه وهم المُرادونَ بقولِه تعالى: ﴿يُدخلُ من يشاءُ﴾ وتركَ الظالمينَ بغيرِ وَليٍّ ولا نصيرٍ، وأنت خبيرٌ بأنَّ فرضَ جعلِ الكلِّ مؤمنينَ يأباهُ تصديرُ الاستدراكِ بإدخالِ بعضِهم في رحمته إذِ الكلُّ حينئذٍ داخلونَ فيَها فكانَ المناسبُ حينئذٍ تصديرُه بإخراجِ بعضِهم مِنْ بينِهم وإدخالِهم في عذابِه فالذي يقتضيهِ سياقُ النظمِ الكريم وسباقُه أنْ يرادَ الاتحادُ في الكُفرِ، كما في قولِه تعالى: ﴿كان الناسُ أمةً واحدةً فبعثَ الله النبيينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٣] الآيةَ على أحدِ الوجهينِ بأنْ يُرادَ بهم الذين في فترةِ إدريسَ أو في فترةِ نوحٍ عليهما السلامُ.

فالمَعْنى ولو شاءُ الله لجعلَهُم أمةً واحدةً متّفقةً على الكُفرِ، بألا يرسلَ إليهم

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦١).

رسولًا لينذرَهُم ما ذُكِرَ من يوم الجمعِ وما فيهِ من ألوانِ الأهوالِ فيبقُوا على ما هُم عليهِ من الكُفرِ ولكنْ يدخلُ مَنْ يشاءُ في رحمتِه أي شأنُه ذلكَ فيرسلُ إلى الكلِّ مَن ينذرُهم ما ذُكِرِ فيتأثرُ بعضُهم بالإنذارِ فيصرفونَ اختيارَهُم إلى الحقِّ فيوفقُهم الله للإيمانِ والطاعةِ ويُدخلِهُم في رحمتِه ولا يتأثرُ به الآخرونَ ويتمادَوْنَ في غيِّهم، وهم الظالمونَ فيبقَونَ في الدُّنيا على ما هُم عليهِ من الكُفرِ ويصيرونَ في الآخرة إلى السعير من غير وَليٍّ يَلي أمرَهُم ولا نصيرٍ يخلصُهم من العذابِ.

﴿أم اتخذُوا من دونه أولياءَ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مقربةٌ لما قبلَها من انتفاءِ أنْ يكونَ للظالمينَ ولي أو نصيرٌ وأمْ منقطعةٌ وما فيَها من بلْ للانتقال من بيانِ ما قبلَها إلى بيانِ ما بعدَها والهمزةُ لإنكارِ الوقوعِ ونفيه على أبلغِ وجهٍ وآكَدِه لا لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه كما قيلَ، إذِ المرادُ بيانُ أنَّ ما فعلُوا ليسَ من اتخاذِ الأولياءِ في شيءٍ لأنَ ذلك فرعُ كونِ الأصنامِ أولياءَ، وهو أظهرُ الممتنِعاتِ أيْ بلْ اتخذُوا متجاوزينَ الله أولياءَ من الأصنامِ وغيرِها هيهاتَ.

وقولُه تعالَى ﴿فالله هُو الوليُّ﴾ جوابُ شرطٍ محذوفٍ، كإنَّه قيلَ بعدَ إبطالِ ولايةِ ما اتخذُوه أولياءَ إنْ أرادُوا وليا في الحقيقةِ فالله هُو الوليُّ لا وليَّ سواهُ ﴿وهُو يُحيي المَوْتَى﴾ أيْ ومن شأنِه ذلكَ ﴿وهو عَلى كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ فهُو الحقيقُ بأنْ يتخذَ وليا فليخصُّوه بالاتخاذِ دونَ من لا يقدرُ على شيءٍ.

﴿ومَا اختلفتُم فيهِ من شيءٍ﴾ حكايةٌ لقولِ رسولِ الله ﷺ للمؤمنينَ أيْ وما خالفَكُم[1] الكفارُ فيهِ منْ أمورِ الدِّينِ فاختلفتُم أنتمُ وهُم ﴿فحكمُه﴾ راجعٌ ﴿إلى الله﴾ وهو إثابةُ المحقِّينَ وعقابُ المُبطلينَ ﴿ذلكُم﴾ الحاكمُ العظيمُ الشأنِ ﴿الله ربِّي﴾ مالِكِي ﴿عليهِ توكلتُ﴾ في مجامعِ أُمُورِي خاصَّة لاَ على غيرِه ﴿وإليهِ أنيبُ﴾ أرجعُ في كلِّ ما يَعنُّ لي منْ مُعضلاتِ الأمورِ لا إلى أحدٍ سواهُ وحيثُ كانَ التوكُّل أمرًا واحدًا مستمرًّا والإنابةُ متعددة متجددة حسب تجدُّدِ موادّهِا أُوثرَ في الأولِ[2] صيغةُ الماضِي، وفي الثَّانِي صيغةُ المضارعِ.

وقيلَ: وما اختلقتُم فيه وتنازعتُم في شيءٍ من الخصوماتِ فتحاكمُوا فيهِ إلى رسولِ الله ﷺ ولا تُؤثروا على حكومتِه حكومةَ غيرِه، وقيلَ: وما اختلفتُم فيه من تأويلِ واشتبَه عليكُم فارجِعوا في بيانه إلى المحكمِ[3] من كتابِ الله والظَّاهرِ من سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) في خ: خلقكم. (٢) في خ: الأولى. (٣) في خ: المحكوم.

وقيلَ: وما وقعَ بينكُم الخلافُ فيهِ من العلومِ التي لا تتعلقُ بتكليفِكم ولا طريقَ لكُم إلى علمِه فقولُوا الله أعلمُ كمعرفةِ الرُّوحِ ولا مساغَ لحملِ هذا على الاجتهادِ لعدمِ جوازِه بحضرةِ الرَّسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

﴿**فاطر السمواتِ والأرضِ**﴾ خبرٌ آخرُ لذلكُم أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أو مبتدأ خبرُهُ ﴿**جعلَ لكُم**﴾ وقرئ[1] بالجرِّ على أنَّه بدلٌ منَ الضميرِ أو وصفٌ للاسمِ الجليلِ في قولِه تعالَى إلى الله وما بينَهُما اعتراضٌ بينَ الصفةِ والموصوفِ ﴿**من أنفسِكم**﴾ من جنسِكم ﴿**أزواجًا**﴾ نساءً وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ الصريحِ قد مرَّ سرُّه غيرَ مرةٍ ﴿**ومن الأنعامِ**﴾ أي وجعلَ للأنعامِ من جنْسِها ﴿**أزواجًا**﴾ أو خلقَ لكُم من الأنعامِ أصنافًا أو ذكورًا وإناثًا ﴿**يذرُؤكم**﴾ يكثّركم من الذرْءِ وهو البثُّ وفي معناهُ الذَّرو والذَّرُّ ﴿**فيهِ**﴾ أي فيما ذُكِرَ من التدبيرِ فإنَّ جعلَ الناسِ والأنعامِ أزواجًا يكونُ بينَهم توالدٌ كالمنبعِ للبثِّ والتكثيرِ ﴿**ليس كمثلِه شيءٌ**﴾ أي ليسَ مثلَه شيءٌ في شأنٍ من الشؤونِ التي من جُملَتِها هَذا التدبيرُ البديعُ والمراد من مثله ذاتُه كَما في قولِهم مثلُكَ لا يفعلُ كَذا على قصدِ المبالغةِ في نفيهِ عنهُ فإنَّه إذا نُفيَ عمَّن يناسبُه كانَ نفيُه عَنهُ أَوْلى ثمَّ سُكلتْ هذهِ الطريقةُ في شأنِ مَنْ لا مثلَ لهُ وقيلَ: مثلُه صفتُه أيْ ليسَ كصفتِه صفةٌ ﴿**وهو السميعُ البصيرُ**﴾ المبالغُ في العلمِ بكلِّ ما يسمعُ ويُبصَرُ.

وحدة الإسلام

﴿**له مَقَاليدُ السمواتِ والأرضِ**﴾ أيْ خَزَائنُهُما ﴿**يبسطُ الرزقَ لمنْ يشاءُ ويقدرُ**﴾ يوسعُ ويضيقُ حسبما تقتضيهِ مشيئتُه المؤسسةُ على الحِكَمِ البالغةِ ﴿**إنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ**﴾ مبالغٌ في الأحاطةِ به فيفعلُ كلَّ ما يَفعلُ على ما ينبغِي أنْ يُفعلَ عليه، والجملةُ تعليلٌ لما قبلَها وتمهيدٌ لما بعدَها من قولِه تعالى: ﴿**شرعَ لكُمْ من الدينِ ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينَا إليكَ وما وصَّينا به إبراهيمَ ومُوسَى وعيُسَى**﴾ وإيذانٌ بأنَّ ما شرعَ لهم صادرٌ عن كمالِ العلمِ والحكمةِ كما أن بيانَ نسبتِهِ إلى المذكورينَ عليهم الصلاةُ والسلامُ تنبيهٌ على كونِه دينًا قديمًا أجمعَ عليه الرسلُ. والخطابُ لأمَّتِهِ عليهِ

---

(١) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٠)، والبحر المحيط (٧/ ٥٠٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٢)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٤٩).

الصَّلاةُ والسَّلامُ أيْ شرعَ لكُم من الدينِ ما وصَّى به نوحًا ومَنْ بعدَه من أربابِ الشرائعِ وأولي العزائمِ من مشاهيرِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وأمرَهُم به أمرًا مؤكدًا، على أنَّ تخصيصَهُم بالذكرِ لما ذُكِرَ من علوِّ شأنِهم ولاستمالةِ قلوبِ الكفرةِ إليه لاتفاقِ الكلِّ على نبوةِ بعضِهم، وتفردِ اليهودِ في شأنِ مُوسى عليه السَّلامُ وتفردِ النَّصارى في حقِّ عيسى عليه السلام وإلا فَما منْ نبيٍّ إلا وهُو مأمورٌ بما أُمِروا به، وهو عبارةٌ عنِ التوحيدِ ودينِ الإسلام وما لا يختلفُ باختلافِ الأممِ وتبدلِ الأعصارِ من أصولِ الشرائعِ والأحكامِ كما ينبئ عنه التوصيةُ فإنها معربةٌ عن تأكيد الأمرِ والاعتناءِ بشأن المأموريةِ والمرادُ بإيحائِه إليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إمَّا مَا ذُكِرَ في صدرِ السُّورةِ الكريمةِ وفي قولِه تعالى: ﴿وكذلكَ أَوْحينَا﴾ [سورة الشورى، الآية ٧] الآيَةَ أو ما يعمُّهما وغيرَهُما مما وقعَ في سائر المواقعِ التي من جُمْلتِها قولُه تعالَى: ﴿ثم أَوْحينا إليكَ أن اتبعْ ملَّةَ إبراهيمَ حَنيفًا﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٣]. وقولُه تعالَى: ﴿قُلْ إنَّما أَنَا بشرٌ مثلُكم يُوحى إليَّ أنَّما إلهُكم إلهٌ واحدٌ﴾ [سورة الكهف، الآية ١١٠] وغيرُ ذلكَ. والتعبيرُ عن ذلكَ عند نسبتِه إليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالذي لزيادة تفخيمِ شأنِه من تلك الحيثيةِ، وإيثارُ الإيحاءِ على ما قبلَهُ وما بعَدُه من التوصيةِ لمراعاة ما وقعَ في الآيات المذكورةِ ولِما في الإيحاءِ من التصريحِ برسالتهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ القامعِ لإنكار الكفرةِ، والالتفاتُ إلى نون العظمةِ لإظهار كمالِ الاعتناءِ بإيحائِه وهو السرُّ في تقديمِه على ما بَعدُه مع تقدُّمهِ عليهِ زمانًا، وتقديمُ توصيةِ نوحٍ عليهِ السَّلامُ للمسارعة إلي بيان كونِ المشروعِ لهم دينًا قديمًا، وتوجيه الخطابِ إليهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام بطريق التلوين للتشريفِ والتنبيهِ على أنَّه تعالَى شرعَهُ لهم على لسانِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

﴿أنْ أقيمُوا الدينَ﴾ أي دينَ الإسلامِ الذي هو توحيدُ الله تعالى وطاعتُه والإيمانُ بكتبه وبرسله وبيوم الجزاءِ وسائرِ ما يكونُ الرجلُ بهِ مُؤمنًا. والمرادُ بإقامتِه تعديلُ أركانِه وحفظُه منْ أنْ يقعَ فيه زيغٌ أو المواظبةُ عليه والتشمّرُ له، ومحلُّ أنْ أقيمُوا إما النصبُ على أنَّه بدلٌ منْ مفعول شرع، والمعطوفين عليهِ أو الرفعُ على أنه جوابٌ عن سؤالٍ نشأَ منْ إبهام المشروع كأنَّه قيلَ: وما ذاكَ فقيلَ هو إقامةُ الدينِ، وقيلَ: بدلٌ من ضمير به وليسَ بذاكَ لما أنَّه معَ إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاءِ إلى النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مستلزمٌ لكون الخطابِ في قوله تعالَى: ﴿ولا تتفرقُوا فيهِ﴾ للأنبياءِ المذكورينَ عليهمْ الصَّلاةُ والسَّلامُ وتوجيه النَّهي إلى أممهم تمحّلٌ ظاهرٌ مع أنَّ الأظهرُ أنَّه متوجهٌ إلى أمته ﷺ وأنَّهم المتفرقونَ كما ستحيطُ به خبرًا أي تتفرقُوا في الدين

الذي هُو عبارةٌ عمَّا ذكر من الأصولِ دونَ الفروعِ المختلفةِ حسبَ اختلافِ الأمم باختلافِ الأعصارِ كما ينطقُ بهِ قولُه تعالَى: ﴿لِكلٍّ جعلَنا منكم شرعةً ومنهاجًا﴾ [سورة المائدة، الآية ٤٨]. وقولُه تعالَى: ﴿كَبُرَ على المشركينَ﴾ شروعٌ في بيانِ أحوالِ بعضِ مَنْ شرعَ لهم ما شرع من الدينِ القويمِ أي عظُم وشقّ عليهم ﴿ما تدعُوهم إليه﴾ من التوحيدِ ورفضِ عبادةِ الأصنامِ واستبعدُوه حيثُ قالُوا: ﴿أجعلَ الآلهةَ إلهًا واحدًا إنَّ هذَا لشيءٌ عجابٌ﴾ [سورة ص، الآية ٥]. وقولُه تعالَى: ﴿اللهُ يجتبي إليهِ من يشاءُ﴾ استئنافٌ واردٌ لتحقيق الحقِّ وفيه إشعارٌ بأنَّ منهُم من يجيبُ إلى الدعوة أي الله يجتلبُ[١] إلى ما تدعُوهم إليهِ مَنْ يشاءُ أنْ يجتبَيُه إليهِ وهُو من صَرفَ اختيارَهُ إلى ما دُعِيَ إليه كما ينبئُ عنه قولُه تعالى: ﴿ويهدي إليهِ من يُنيبُ﴾ أي يُقبلُ إليه حيثُ يمدُّه بالتوفيق والألطافِ.

وقولُه تعالَى: ﴿وما تفرقُوا﴾ شروعٌ في بيان أحوالِ أهلِ الكتابِ عقيبَ الإشارةِ الإجماليةِ إلى أحوالِ أهلِ الشركِ قال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا هُم اليهودُ والنَّصارى[٢]، لقولِه تعالَى: ﴿وما تفرقَ الذينَ أُوتُوا الكتابَ إلا من بعدِ ما جاءتهم البينةُ﴾ [سورة البينة، الآية ٤] أي وما تفرقُوا في الدينِ الذي دُعوا إليهِ ولم يُؤمنوا كما آمنَ بعضُهم ﴿إلا من بعد ما جاءَهُم العلمُ﴾ بحقِّيتِه بما شاهُدوا في رسول الله ﷺ والقرآنِ من دلائلِ الحقِّيةِ حسبما وجدُوه في كتابِهم، أو العلمُ بمبعثِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وهو استثناءٌ مفرغٌ من أعمِّ الأحوالِ أو من أعمِّ الأوقاتِ أي وما تفرقُوا في حالٍ من الأحوالِ أو في وقتٍ من الأوقاتِ إلا حالَ مجيءَ العلم ﴿بغيًا بينَهم﴾ وحميةً وطلبًا للرياسة لا لأنَّ لهم في ذلكَ شبهةً ﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّك﴾ وهي العِدَةُ بتأخير العقوبةِ ﴿إلى أجلٍ مُسمًّى﴾ هو يومُ القيامةِ ﴿لقضي بينَهم﴾ لأوقعَ القضاءَ بينَهم باستئصالِهم لاستيجاب جناياتِهم لذلك قطعًا. وقولُه تعالَى ﴿وإنَّ الذينَ أُورثوا الكتابَ من بعدِهم﴾ إلخ بيانٌ لكيفية كفر المشركينَ بالقرآنِ إثْرَ بيانِ كيفيةِ كفرِ أهلِ الكتابِ. وقرئ[٣] وَرِثُوا ووُرِّثُوا[٤] أيْ وإنَّ المشركينَ الذينَ أُورثوا القرآنَ من بعدِ ما أُورثَ أهلُ الكتابِ كتابَهم ﴿لفي شكٍّ منْهُ﴾ من القرآن ﴿مريبٌ﴾ موقعٌ في القلق أو في

---

(١) هكذا في الأصل ولعله يجتبي محل يجتلب.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٢٣).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٤).

(٤) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٤).

الريبةِ ولذلكَ لا يُؤمنونَ به لا لمحض البغي والمكابرةِ بعد ما علمُوا بحقِّيتِه كدأب أهلِ الكتابينِ.

هذا وأمَّا ما قيلَ: منْ أنَّ ضميرَ تفرقُوا لأمم الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وأنَّ المرادَ تفرقُ كلِّ أمةٍ بعدَ نبيِّها مع علمِهم بأنَّ الفرقةَ ضلالٌ وفسادٌ وأمرٌ متوعدٌ عليهِ على ألسنة الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ فيردّه قولُه تعالَى: ﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّك إلى أجلٍ مُسمًّى لقُضِيَ بينُهم﴾.

وكذا ما قيلَ من أنَّ الناسَ أمةً واحدةً مؤمنينَ بعد ما أهلكَ الله تعالَى الأرضَ بالطوفان فلما ماتَ الآباءُ اختلفَ الأبناءُ فيما بينُهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهُم العلمُ وإنما اختلفُوا للبغْي بينَهم فإنَّ مشاهيرَ الأمم المذكورةِ قد أصابهم عذابُ الاستئصالِ من غير إنظارٍ وإمهالٍ، على أنَّ مساقَ النظْم الكريم لبيان أحوالِ هذه الأمةِ، وإنما ذُكِرَ من ذُكِرَ من الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ لتحقيقَ أنَّ ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيدًا لوجوب إقامتِه وتشديدًا للزجرِ عن التفرق والاختلافِ فيه فالتعرضُ لبيان تفرقِ أممِهم عنه ربَّما يُوهم الإخلالَ بذلكَ المرامِ.

﴿**فلذلكَ**﴾ أي فلأجل ما ذُكِرَ من التفرق والشكِّ المريبِ أو فلأجلِ أنَّه شرعَ لهم الدينَ القويمَ القديمَ الحقيقَ بأنْ يتنافس فيهِ المتنافسونَ ﴿**فادعُ**﴾ أي الناسَ كافةً إلى إقامةِ ذلكَ الدينِ والعمل بموجبِه فإنَّ كلا من تفرقِهم وكونِهم في شكٍّ مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله ﷺ سببٌ للدعوةِ إليهِ والأمرِ بَها، وليسَ المشارُ إليهِ ما ذُكرَ من التوصية والأمرِ بالإقامة والنَّهي عن التفرقِ حتى يُتوهمُ شائبةُ التكرارِ، وقيلَ: المشارُ إليهِ نفسُ الدينِ المشروعِ، واللامُ بمَعْنى إلى كَما في قولِه تعالى: ﴿بأنَّ ربكَ أَوْحى لها﴾ [سورة الزلزلة، الآية ٥] أي فإلى ذلكَ الدينِ فادعُ ﴿**واستقمْ**﴾ عليه وعلى الدعوة إليه ﴿**كما أُمرتَ**﴾ وأُوحيَ إليكَ.

﴿**ولا تتبع أهواءَهُم**﴾ الباطلةَ ﴿**وقلْ آمنتُ بما أنزل الله من كتابٍ**﴾ أيَّ كتابٍ كان من الكتبِ المنزلةِ لا كالذينَ آمنُوا ببعضٍ منها وكفرُوا ببعضٍ، وفيه تحقيقٌ للحقِّ وبيانٌ لاتفاق الكتبِ في الأصول وتأليفٌ لقلوب أهلِ الكتابينِ وتعريضٌ بهم وقد مرَّ بيانُ كيفيةِ الإيمانِ بها في خاتمةِ سورةِ البقرةِ ﴿**وَأُمرتُ لأعدلَ بينكُم**﴾ في تبليغ الشرائعِ والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام، وقيل معناه لأسوي بيني وبينكُم ولا آمرَكم بما لا أعملُه ولا أخالفَكم إلى ما أنهاكُم عْنهُ ولا أفرقَ بين أكابرِكم وأصاغرِكم، واللام إمَّا على حقيقتها والمأمورُ به محذوفٌ أيْ أمِرت بذلكَ لأعدلَ،

أو زائدةٌ أيْ أمرتُ أنْ أعدلَ والباءُ محذوفةٌ.

﴿الله ربُّنا وربُّكم﴾ أي خالقُنا جميعًا ومتولِّي أمورنا **﴿لنا أعمالُنا﴾** لا يتخطانَا جزاؤُها ثوابًا كانَ أو عقابًا **﴿ولكُم أعمالُكم﴾** لا تجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم **﴿لا حجَّة بيننا وبينكم﴾** أيْ لا مُحاجَّةَ ولا خصومةَ لأنَّ الحقَّ قد ظهرَ ولم يبقَ للمحاجَّةِ حاجةٌ ولا للمخالفة محملٌ سوى المكابرةِ **﴿الله يجمعُ بينَنا﴾** يومَ القيامةِ **﴿وإليهِ المصيرُ﴾** فيظهرُ هناكَ حالُنا وحالُكم. وهذا كما ترَى محاجزةٌ في مواقف المجاوبةِ لا متاركَةٌ في مواطن المحاربةِ حتى يُصارَ إلى النسخ بآيةِ القتالِ.

﴿والذين يحاجُّونَ في الله﴾ أي في دينِه **﴿من بعدِ ما استُجيبَ له﴾** من بعدِ ما استجابَ له الناسُ ودخلُوا فيهِ، والتعبيرُ عن ذلكَ بالاستجابةِ باعتبار دعوتِهم إليهِ أو من بعد ما استجابَ الله لرسولهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وأيَّده بنصره أو من بعد ما استجابَ له أهلُ الكتابِ بأنْ أقرُّوا بنبوته عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ واستفتحُوا به قبلَ مبعثِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وذلكَ أنَّ اليهودَ والنَّصارى كانوا يقولونَ للمؤمنين كتابُنَا قبلَ كتابِكم ونبيُنا قبلَ نبيِّكُم ونحنُ خير منكُم وأولى بالحقِّ.

﴿حجتُهم داحضةٌ عند ربِّهم﴾ زالَّةٌ زائلةٌ باطلةٌ بلْ لا حجةَ لهم أصلًا وإنما عبَّر عن أباطيلهم بالحجة مجاراةً معهم على زعمهم الباطلِ. **﴿وعليهم غضبٌ﴾** عظيمٌ لمكابرتِهم الحقَّ بعدَ ظهورِه **﴿ولهم عذابٌ شديدٌ﴾** لا يُقَادرُ قَدرُهُ.

﴿الله الذي أنزلَ الكتابَ﴾ أي جنسَ الكتابِ **﴿بالحقِّ﴾** ملتبسًا به في أحكامه وأخبارِه أو بما يحقُّ إنزالُه من العقائدِ والأحكامِ. **﴿والميزانَ﴾** والشرع الذي يُوزنُ[1] به الحقوقُ ويُسوَّىٰ بينَ الناسِ، أو نفسُ العدلِ بأنْ أنزلَ الأمرَ بهِ أو آلةُ الوزنِ **﴿وما يُدريكَ﴾** أيْ أيُّ شيءٍ يجعلكَ عالمًا **﴿لعلَّ الساعةَ﴾** التي يخبرُ بمجيئها الكتابُ الناطقُ بالحقِّ **﴿قريبٌ﴾** أيْ شيءٌ قريبٌ أو قريب مجيئُها، وقيلَ: القريبُ بمعنى ذاتِ قربٍ، أو الساعةُ بمعنى البعثِ والمَعْنى أنَّها على جناحِ الإتيانِ فاتبعِ الكتابَ واعملْ بهِ وواظبْ على العدل قبل أنْ يفاجئكَ اليومُ الذي يوزنُ فيه الأعمالُ ويوفي جزاؤها.

﴿يستعجلُ بَها الذين لا يؤمنونَ بها﴾ استعجالَ إنكارٍ واستهزاءٍ، كانُوا يقولونَ متى هيَ ليتها قامتْ حَتَّى يظهرَ لنا الحقُّ أهُو الذي نحنُ عليهِ أم الذي عليهِ محمدٌ وأصحابُه **﴿والذينَ آمنُوا مشفقونَ منَها﴾** خائفونَ منَها معَ اعتناءٍ بها لتوقعِ الثوابِ **﴿ويعلمونَ أنها**

---

(١) في خ: يوازن.

الحقُّ﴾ أي الكائنُ لا محالةَ **﴿ألا إنَّ الذينَ يُمارونَ في الساعةِ﴾** يجادلونَ فيها، منَ المرية أو من مَرَيتُ الناقةَ إذا مسحت ضَرعَها بشدةٍ للحلب لأنَّ كلًا من المتجادلينِ يستخرجُ ما عند صاحبِهِ بكلامٍ فيه شدَّةٌ **﴿لفي ضلالٍ بعيدٍ﴾** عن الحقِّ فإن البعثَ أشبه الغائباتِ بالمحسوسات فمنَ لم يهتدِ إلى تجويزِه فهُو عن الاهتداءِ إلى ما وراءَهُ أبعدُ وأبعدُ.

﴿الله لطيفٌ بعبادِه﴾ أي برٌّ بليغُ البرِّ بهم يُفيض عليهم من فنون ألطافِه ما لا يكادُ ينالُه أيدي الأفكارِ والظنونِ **﴿يرزقُ مَنْ يشاءُ﴾** أنْ يرزقه كيفما يشاءُ فيخصُّ كلا من عباده بنوعٍ من البرِّ على ما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ على الحِكم البالغةِ. **﴿وهو القويُّ﴾** الباهرُ القدرةِ الغالبُ على كلِّ شيءٍ **﴿العزيزُ﴾** المنيعُ الذي لا يغلبُ. **﴿من كانَ يريدُ حرثَ الآخرةِ﴾** الحرثُ في الأصل إلقاءُ البَذْرِ في الأرض يُطلقُ على الزرعِ الحاصلِ منه المتضمن لتشبيهِ الأعمالِ بالبذورِ ويستعملُ في ثمرات الأعمالِ ونتائجِها بطرق الاستعارةِ المبنيةِ على تشبيهِها بالغلال الحاصلةِ من البذورِ[1] أي من كانَ يريدُ بأعماله ثوابَ الآخرةِ **﴿نزد له في حرثِه﴾** نضاعفْ له ثوابَهُ بالواحد عشرةً إلى سبعمائةٍ فما فوقَها **﴿ومن كانَ يريدُ﴾** بأعماله **﴿حرثَ الدُّنيا﴾** وهو متاعُها وطيباتُها **﴿نؤتِه منها﴾** أي شيئًا منها حسبما قسمنَا لهُ لا ما يريدُه ويبتغيه **﴿وما لَهُ في الآخرةِ من نصيبٍ﴾** إذْ كانتْ همتُه مقصورةً على الدُّنيا وقد مرَّ تفصيلُه في سورة الإسراء.

﴿أم لهم شركاءُ﴾ أي بلْ ألهُم شركاءُ من الشياطينِ، والهمزةُ للتقرير والتقريع **﴿شرعُوا لهم﴾** بالتسويل **﴿من الدينِ ما لم يأذنْ به الله﴾** كالشرك وإنكارِ البعثِ والعملِ للدُّنيا، وقيلَ: شركاؤُهم أوثانُهم وإضافتُها إليهم لأنَّهم الذينَ جعلُوها شركاءَ لله تعالَى وإسنادُ الشرعِ إليها لأنَّها سببُ ضلالتِهم وافتتانِهم كقوله تعالى: ﴿إنهنَّ أضللنَ كثيرًا﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣٦]أو تماثيلُ مَنْ سنَّ الضلالَةَ لهُم **﴿ولولا كلمةُ الفصلِ﴾** أي القضاءِ السابقِ بتأخيرِ الجزاءِ أو العدةُ بأنَّ الفصلَ يكونُ يومَ القيامةِ **﴿لقُضيَ بينَهم﴾** أي بين الكافرينَ والمؤمنينَ أو بينَ المشركينَ وشركائِهم **﴿وإنَّ الظالمينَ لهم عذابٌ أليمٌ﴾** وقرئَ[2] بالفتحِ عطفًا على كلمة الفصلِ أي ولولا كلمةُ

---

(١) قال ابن عاشور: والحرث في هذه الآية تمثيل للإقبال على كسب ما يعده الكاسب نفعًا له يرجو منه فائدة وافرة بإقبال الفلاح على شق الأرض وزرعها، ليحصل له سنابل كثيرة وثمار من شجر الحرث. ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ٧٤).

(٢) قرأ بها: الأعوج، ومسلم بن جندب.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٥٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٦٣).

الفصلِ وتقديرُ عذابِ الظالمينَ في الآخرةِ لقُضيَ بينهم في الدُّنيا فإنَّ العذابَ الأليمَ غالبٌ في عذابِ الآخرةِ.

﴿تَرَى الظالمينَ﴾ يومَ القيامةِ والخطابُ لكلِّ أحدٍ ممن يصلحُ له للقصدِ إلى أنَّ سوءَ حالِهم غيرُ مختصٍّ برؤية راءٍ دونَ راءٍ **﴿مشفقينَ﴾** خائفينَ **﴿ممَّا كسبُوا﴾** من السيئاتِ **﴿وهو واقعٌ بهم﴾** أيْ ووبالُه لاحقٌ بهم لا محالةَ أشفقُوا أو لم يُشفقُوا، والجملةُ حالٌ من ضمير مشفقينَ أو اعتراضٌ **﴿والذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ في روضاتِ الجنَّاتِ﴾** مستقرونَ في أطيب بقاعِها وأنزهِها **﴿لهُم ما يشاءونَ عندَ ربِّهم﴾** أي ما يشتهونَهُ من فنون المستلذاتِ حاصلٌ لهم عندَ ربِّهم على أنَّ عندَ ربِّهم ظرفٌ للاستقرارِ العاملِ في لهم، وقيلَ ظرفٌ ليشاءون **﴿ذلكَ﴾** إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من حال المؤمنين، وما فيهِ منْ مَعْنى البُعد للإيذان ببُعد منزلةِ المشارِ إليه **﴿هو الفضلُ الكبيرُ﴾** الذي لا يُقادَرُ قَدرُه ولا يُبلغُ غايتُه **﴿ذلكَ﴾** الفضلُ الكبيرُ هو **﴿الذي يبشرُ الله عبادَهُ﴾** أي يبشرُهم به، فحذفَ الجارُّ ثمَّ العائدَ إلى الموصول كما في قوله تعالى: ﴿أهَذا الذي بعثَ الله رسولًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٤١] أو ذلكَ التبشيرُ الذي يبشرُه الله تعالَى عبادَهُ **﴿الذينَ آمنُوا وعملوا الصالحاتِ﴾**. وقرئَ[١] يُبْشِرُ منْ أبشَرَ.

﴿قُلْ لا أَسأَلُكُم عليهِ﴾ رُويَ أنَّه اجتمعَ المشركونَ في مجمع لهم فقالَ بعضُهم لبعضٍ: أترونَ أنَّ محمدًا يسألُ على ما يتعاطاهُ أجرًا فنزلتْ. أيْ لا أطلبُ منكُم على ما أنا عليهِ من التبليغ والبشارة **﴿أجرًا﴾** نفعًا **﴿إلا الموَّدةَ في القُرْبَى﴾**[٢] أيْ إلا أن تودُّوني لقرابتي منكم أو تودُّوا أهل قرابتي، وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألُكم أجرًا قَطُّ ولكنْ أسألُكم الموَّدةَ. (وفي القُربي) حالٌ منها أيْ إلا الموَدَّةَ ثابتةً في القُربى متمكنةً في أهلِها أو في حقِّ القرابةِ. والقُرْبى مصدرٌ كالزُّلْفى بمَعْنى القَرَابةِ.

رُويَ أنَّها لما نزلتْ قيلَ: يا رسولَ الله مَنْ قرابتُكَ هؤلاءِ الذينَ وجبتْ علينا مودَّتُهم؟ قالَ عليٌّ وفاطمةُ وابناهُمَا[٣]. وعن النبيِّ ﷺ: **«حُرِّمتْ الجنةُ على مَنْ ظلمَ**

---

(١) قرأ بها: مجاهد، وحميد بن قيس.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٥٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٣١) كتاب التفسير، باب: قوله: ﴿إلا المودة في القربى﴾ حديث (٤٨١٨)، والترمذي (٥/ ٣٧٧) كتاب التفسير، باب: ومن سورة حمعسق، حديث (٣٢٥١) عن ابن عباس.
وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٤٤) رقم (١٢٢٥٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٠١) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه =

أهلَ بيتِي وآذانِي في عِتْرتِي، ومن اصطنعَ صنيعة إلى أحدٍ من ولدِ عبدِ المطلبِ ولمْ يجازِهْ فأَنَا أجازيهِ عليها غدًا إذا لَقِيَنِي يومَ القيامةِ»[١].

وقيلَ: القُرْبَى التقربُ إلى الله أيْ إلاَّ أن تودُّوا الله ورسولَهُ في تقربكم إليهِ بالطاعةِ والعملِ الصالحِ[٢]. وقرئ[٣] إلا مودَّةً في القُربَى. ﴿**وَمَنْ يقترفْ حسنةً**﴾ أي يكتسبْ أيَّ حسنةٍ كانتْ فتتناولُ مودَّةَ ذِي القُرْبى تناولًا أوليا. وعن السدِّيِّ: أنَّها المرادةُ[٤]، وقيلَ: نزلتْ في الصدِّيقِ رضيَ الله عنه ومودَّتهُ فيهم[٥]. ﴿**نَزِدْ لَهُ فيها**﴾ أيْ في الحسنة ﴿**حُسْنا**﴾ بمضاعفةِ الثوابِ. وقرئ[٦] يَزِدْ أيْ يزدِ الله وقرئ[٧] حُسْنَى. ﴿**إنَّ الله**

= والطبراني.
وذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٤٣)، وعزاه للحاكم في «مناقب الشافعي».
وفي إسناده حسين الأشقر وهو ضعيف شيعي ساقط.
وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١١٢)، وقال: هذا إسناد ضعيف فيه مُبهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل.

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ١٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٢٥-٢٣٣-٢٥٩).
حديث (٢٣٦) (٢٤٠٧) (٢٥٢٤)، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط عن عثمان بن عفان، قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلى أحد من ولد ابن المطلب يدًا فلم يكافئه بها في الدنيا فهي مكافأته غدًا إذا لقيني».
وللثعلبي في تفسيره بسند به بعض الكذابين على رفعه «من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة».
ورواه الجعابي في تاريخ الطالبيين بلفظ: «من اصطنع معروفًا إلى أحد من أهل بيتي يدًا كافأته عنها يوم القيامة، وقد بينه السخاوي في استجلاء وارتقاء الغرف».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٨)، والطبراني في «الكبير» (١١١٤٤)، والحاكم (٢/ ٤٤٣- ٤٤٤) عن ابن عباس مرفوعًا: «لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرًا إلا أن تودوا الله ورسوله وأن تقربوا إليه بطاعته».
وقال الحاكم: صحيح.
وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٤١٥).
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٠٣): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم قزعة ابن سويد -في الأصل سعيد وهو خطأ- وثقه ابن معين وغيره وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.
قلت: الراجح ضعفه.

(٣) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٨).

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٢٥)، والكشاف (٥/ ٤٠٦).

(٥) ينظر: الكشاف (٥/ ٤٠٦).

(٦) قرأ بها: أبو عمرو، والكسائي، وزيد بن علي، وعبد الوارث، وأحمد بن جبير.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٨). =

غفورٌ﴾ لمن أذنبَ. **﴿شكورٌ﴾** لمن أطاعَ بتوفيقِه للثوابِ والتفضلِ عليهِ بالزيادةِ.

﴿أم يقولونَ﴾ بلْ أيقولونَ **﴿افترَى﴾** محمدٌ **﴿عَلَى الله كذبًا﴾** بدعوى النبوةِ وتلاوةِ القُرآنِ، على أنَّ الهمزةَ للإنكار التوبيخيِّ كأنَّه قيلَ: أيتمالكونَ أنْ ينسُبُوا مثلَه عليهِ السَّلامُ. وهُوَ هُوَ. إلى الافتراء لا سيَّما الافتراءُ على الله الذي هُو أعظمُ الفِرَى وأفحشُها. وقولُه تعالَى **﴿فإنْ يشأِ الله يختمْ على قلبكَ﴾** استشهادٌ على بُطلان ما قالُوا ببيان أنَّه عليه السَّلامُ لو افترَى على الله تعالَى لمنعَهُ من ذلك قطعًا، وتحقيقُه أنَّ دعوى كونِ القرآنِ افتراءً عليه تعالَى قولٌ منهم بأنَّه تعالَى لا يشاءُ صدورَهُ عن النبِّي ﷺ بلْ يشاءُ عدمَ صدورِه عْنهُ ومن ضرورتِه منعُه عنْهُ قطعًا، فكأنَّه قيلَ: لو كانَ افتراءً عليه تعالَى لشاءَ عدمَ صدورِه عنكَ وإنْ يشأْ ذلكَ يختُم على قلبكَ بحيثُ لم يخطُرْ ببالك معنىً منْ معانيه ولم تنطقْ بحرفٍ من حروفِه وحيثُ لم يكُنِ الأمرُ كذلكَ بلْ تواترَ الوحي حينًا فحينًا تبين أنَّه من عندِ الله تعالَى.

هَذا وقيلَ: المَعْنى إنْ يشأْ يجعلْكَ من المختوم على قلوبهم فإنَّه لا يجترئ على الافتراءِ عليه تعالى إلا مَنْ كانَ كذلكَ ومؤدَّاهُ استبعاد الافتراءِ منْ مثله عليه السَّلامُ وأنَّه في البُعد مثلُ الشرك بالله والدخولِ في جملةِ المختوم على قلوبِهم. وعن قَتَادةَ يختمْ على قلبِكَ يُنْسكَ القُرآنَ ويقطعْ عنكَ الوَحيَ. يعني لَوا افترَى على الله الكذبَ لفعل به ذلك، وهذا مَعْنى ما قيلَ: لو كذب على الله لأنساهُ القرآنَ، وقيلَ: يختمْ على قلبِكَ يربطْ عليهِ بالصبرِ حتَّى لا يشقَّ عليك أذاهُم.

﴿ويمحُ الله الباطلُ ويحقُّ الحقَّ بكلماتِه﴾ استئنافٌ مقررٌ لنفي الافتراء غيرُ معطوفٍ عَلَى يختمُ كما ينبئ عنه إظهارُ الاسم الجليلِ، وسقوطُ الواوِ كما في بعض المصاحفِ لاتّباعِ اللفظِ كما في قولِه تعالى: ﴿ويدعُ الإنسانُ بالشرِّ﴾ [سورة الإسراء، الآية ١١] أيْ ومن عادته أنَّه تعالَى يمحُو الباطلَ ويثبتُ الحقَّ بوحيِهِ أو بقضائِه كقول تعالى: ﴿بل نقذفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمغُه﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٨] فلو كان افتراءً كما زعمُوا لمحقَهُ ودمغَهُ. أو عِدةٌ لرسولِ الله ﷺ بأنَّه تعالَى يمحُو الباطلَ الذي هم عليهِ من البَهتِ والتكذيبِ ويثبتُ الحق الذي هو عليهِ بالقرآنِ أو بقضائِه الذي لا مردَّ له بنصرته عليهم. **﴿إنَّه عليمٌ بذاتِ الصدورِ﴾** فيُجرِي عليها أحكامَها اللائقةَ من المحوِ والإثباتِ.

= (٧) قرأ بها: أبو عمرو، وعبد الوارث.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٨).

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ
ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم
مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ
ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ
وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ
ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ
فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم
مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ
مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ
يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ
أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن
تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًاۖ
وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن
وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ
عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ
أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿وَهُو الذي يقبلُ التوبةَ عنْ عبادِه﴾ التوبةُ هي الرجوعُ عنِ المعاصِي بالندمِ عليها والعزمُ على أنْ لا يعاودها أبدًا. ورَوَى جابرٌ رضيَ الله عْنهُ أنَّ أعرابيا دخلَ مسجدَ رسولِ الله ﷺ، وقالَ: اللهمَّ إنِّي أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ وكبَّرَ فلما فرغَ من صلاتِه قالَ له عليٌّ رضيَ الله عُنهُ يا هَذا إنَّ سرعةَ اللسانِ بالاستغفارِ توبةُ الكذَّابينَ وتوبتُكَ هذهِ تحتاجُ إلى [التوبةِ][1] فقالَ يا أميرَ المؤمنينَ، وما التوبةُ قالَ اسمٌ يقع على ستةِ معانٍ: على الماضِي من الذنوبِ الندامةُ، ولتضييع الفرائضِ الإعادةُ وردُّ المظالم وإذابةُ النفسِ في الطاعةِ كما ربَّيتها في المعصيةِ وإذاقتُها مرارةَ الطاعةِ كما أذقتَها حلاوةَ المعصيةِ والبكاءُ بدلُ كلِّ ضحكٍ ضحكتَهُ[2].

﴿ويعفُو عن السيئاتِ﴾ صغيرِها وكبيرِها لمنْ يشاءُ ﴿ويعلمُ ما يفعلونَ﴾ كائنًا ما كانَ من خيرٍ وشرٍّ فيجازِي ويتجاوزُ حسبما تقتضيه مشيئتُه المبنية على الحِكَمِ والمصالحِ. وقرئَ[3] ما تفعلونَ بالتاءِ. ﴿ويستجيبُ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ﴾ أي يستجيبُ الله لهم فحُذف اللامُ كما في قولِه تعالى: ﴿وإذا كالُوهم﴾ [سورة المطففين، الآية ٣] أي كالُوا لَهُم، والمرادُ إجابةُ دعوتِهم والإثابةُ على طاعتهم فإنَّها كدعاءٍ وطلبٍ لِما يترتبُ عليها، ومنْهُ قولُه عليهِ السَّلامُ: «**أفضلُ الدُّعاءِ الحمدُ لله**»[4]. أو يستجيبونَ الله بالطاعةِ إذا دَعَاهُم إليَها. وعن إبراهيمَ بنِ أدهم أنَّه قيلَ لَهُ ما بالُنَا ندعُو فلا نجابُ قالَ لأنَّه دعاكُم ولم تجيبُوه ثمَّ قرأَ: ﴿والله يدعُو إلى دارِ السلامِ﴾ [سورة يونس، الآية ٢٥] ﴿ويزيدُهم من فضلِه﴾ على ما سألوا واستحقوا بموجب

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٥) من حديث أبي الزبير عن جابر.
ولم أره عند غيره والله أعلم.

(٣) قرأها بالياء: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، ورويس، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥١٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٠٥)، والتيسير للداني ص (١٩٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥١)، والمعاني للفراء (٣/ ٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٦٢) كتاب الدعوات، باب: ما جاء إن دعوة المسلم مُستجابة، حديث (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٩) كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، حديث (٣٨٠٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١)، والحاكم (١/ ٤٩٨)، وابن حبان (٨٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٧٩) من حديث جابر بن عبد الله.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وصححه ابن حبان والحاكم.

الوعد. ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾. بدلَ مَا للمؤمنينَ من الثوابِ والفضلِ المزيدِ.

﴿**ولو بسطَ الله الرزقَ لعبادِهِ لبغَوا في الأرضِ**﴾ لتكبَّرُوا وأفسدُوا فيَها بَطَرًا أو لعَلاَ بعضُهم على بعضٍ بالاستيلاءِ والاستعلاء، كمَا عليهِ الجِبلَّةُ البشريةُ. وأصلُ البَغِي طلب تجاوز الاقتصادِ فيَما يُتحرَّى من حيثُ الكميَّةُ أو الكيفيَّةُ ﴿**ولكنْ ينزلُ بقدرٍ**﴾ أي بتقديرٍ ﴿**ما يشاءُ**﴾ أنْ ينزلَهُ مما تقتضيه مشيئتُه ﴿**إنَّه بعبادِهِ خبيرٌ بصيرٌ**﴾ محيطٌ بخفايا أمورهم وجلايَاها[1] فيقدرُ لكلِّ واحدٍ منهُم في كلِّ وقتٍ من أوقاتِهم ما يليقُ بشأنِهم فيفقرُ ويُغني ويمنعُ ويُعطِي ويَقْبِض ويبسُط حسبما تقتضيهِ الحكمةُ الربَّانيةُ. ولو أغناهُم جميعًا لبغَوا ولو أفقرهُم لهلكُوا.

ورُويَ أنَّ أهلَ الصُّفَّةِ تمنَّوا الغِنَى فنزلتْ[2] وقيل: نزلتْ في العرب كانُوا إذا أخصبوا تحاربُوا وإذا أجدبوا انتجعوا.

﴿**وهُوْ الذي يُنزِّلُ الغيثَ**﴾ أي المطرَ الذي يغيثُهم من الجدب ولذلك خُصَّ بالنافعِ منه. وقرئَ[3] يُنزل من الإنزال ﴿**من بعد ما قنطوا**﴾ يئسوا منه وتقييدُ تنزيلِه بذلكَ مع تحققه بدونه أيضًا لتذكر كمالِ النعمةِ. وقرئَ[4] بكسر النون ﴿**وينشرُ رحمَتهُ**﴾ أيْ بركاتِ الغيثِ ومنافعَهُ في كلِّ شيءٍ من السهلِ والجبلِ والنباتِ والحيوانِ، أو رحمتَهُ الواسعةَ المنتظمةَ لَما ذُكِرَ انتظامًا أوليا ﴿**وهو الوليُّ**﴾ الذي يتولَّى عبادَهُ بالإحسان ونشرِ الرحمة ﴿**الحميدُ**﴾ المستحقُ للحمدِ على ذلك لا غيرُهُ. ﴿**ومن آياتهِ خلقُ السمواتِ والأرضِ**﴾ على ما هُما عليهِ من تعاجيب الصنائع فإنَّها بذاتها وصفاتِها تدلُّ على شؤونه العظيمةِ ﴿**وما بثَّ فيهمَا**﴾ عطفٌ على السموات أو الخلق ﴿**من دابةٍ**﴾ من حَيٍّ، على إطلاقِ اسمِ المُسبَّبِ على السببِ أو ممَّا يدبُّ على الأرضِ فإنَّ ما يختصُّ

---

(١) في خ: جلائها.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٨- ١٤٩)، رقم (٣٠٦٩٧، ٣٠٦٩٨) عن عمرو بن حريث.
وينظر: «معالم التنزيل » (٤/ ١٢٧)، والوسيط (٤/ ٥٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٦/ ١٩).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف، وحميد، وابن محيصن، ومجاهد، وابن وثاب، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والتيسير للداني (٧٥، ١٧٧)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٦)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٧١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢١٨).

(٤) قرأ بها: الأعمش، وابن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥١٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦٩)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٧١).

بأحد الشيئين المتجاورين يصحُّ نسبتُه إليهما كَما في قولِه تعالَى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٢٢] وإنما يخرجُ من المِلحِ.

وقد جُوِّز أنْ يكونَ للملائكة عليهم السَّلامُ مشيٌ مع الطيرانِ فيوصفُوا بالدبيب وأن يخلقَ الله في السماءِ حيوانًا يمشُونَ فيها مشيَ الأنَاسيِّ على الأرض كما ينبئُ عنْهُ قولُه تعالى: ﴿ويخلقُ ما لا تعلمونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٨] وقد رُويَ أن النبيَّ ﷺ قال: **«فوقَ السماءِ السابعةِ بحرٌ من أسفله وأعلاهُ كَما بينَ السماءِ والأرضِ ثمَّ فوقَ ذلكَ ثمانيةُ أوعالٍ بين رُكَبهن وأظلافهنَّ كما بينَ السماءِ والأرضِ ثم فوقَ ذلكَ العرشُ العظيمُ»**[1].

﴿وهُو عَلى جَمْعِهم﴾ أي حشرِهم بعدَ البعثِ للمحاسبةِ. وقولُه تعالى: **﴿إذَا يشاءُ﴾** متعلقٌ بما قبلَهُ لا بقوله تعالَى **﴿قديرٌ﴾** فإنَّ المقيدَ بالمشيئةِ جمعُه تعالى لا قدرتُه، وإذَا عندَ كونِها بمَعْنى الوقتِ كَما تدخلُ الماضِي تدخلُ المضارعَ. **﴿وما أصابكُم من مصيبةٍ﴾** أيُّ مصيبةٍ كانتْ **﴿فبمَا كسبتْ أيديكُم﴾** أي فهيَ بسببِ معاصيكُم التي اكتسبتمُوها. والفاءُ لأنَّ ما شرطيةٌ أو متضمنةٌ لمَعْنى الشرطِ. وقرئَ[2] بدونِها اكتفاءً بما في الباء من مَعْنى السببيةِ. **﴿ويعفُو عَنْ كثيرٍ﴾** من الذنوبِ فلا يعاقبُ عليها. والآيةُ مخصوصةٌ بالمجرمينَ فإنَّ ما أصابَ غيرَهُم لأسبابٍ أُخرى منها تعريضُه للثوابِ بالصبرِ عليهِ **﴿وما أنتُم بمعجزينَ في الأرضِ﴾** فائتينَ ما قُضِيَ عليكُم من المصائبِ وإن هربتُم من أقطارِها كلَّ مهربٍ. **﴿وما لكُم من دونِ الله منْ وليٍّ﴾** يحميكُم منَها **﴿ولا نصيرٍ﴾** يدفعُها عنكُم.

﴿ومن آياتِه الجوارِ﴾ السفنُ الجاريةُ **﴿في البحرِ﴾** وقرئَ[3] الجَوَارِي

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧)، والترمذي (٥/ ٣٤٩) كتاب التفسير، باب: ومن سورة الحاقة، حديث (٣٣٢٠)، وأبو داود (٢/ ٦٤٣٠، ٦٤٤) كتاب السنة، باب: في الجهمية والمعتزلة، حديث (٤٧٢٣، ٤٧٢٤، ٤٧٢٥)، وابن ماجه (١/ ١٩٢) المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، حديث (١٩٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص (١٠١)، والحاكم (٢/ ٥٠١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٧)، والآجري في «الشريعة»، ص (٢٩٢)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (٦٥١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية».

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦١)، والبحر المحيط (٧/ ٥١٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٥٨)، والتيسير للداني ص (١٩٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٣٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٧٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧).

(٣) قرأ بها وصلًا ووقفًا: ابن كثير، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٦٢)، =

﴿كالأعلامِ﴾ أي كالجبالِ على الإطلاقِ لا التي عليها النارُ للاهتداءِ خاصَّة. ﴿إنْ يشأْ يُسكنِ الريحَ﴾ التي تُجريَها. وقرئ[1] الرياحَ. ﴿فيظللنَ رواكدَ على ظهرِه﴾ فيبقينَ ثوابتَ على ظهرِ البحرِ أي غيرَ جارياتٍ لا غيرَ متحركاتٍ أصلًا. ﴿إنَّ في ذلكَ﴾ الذي ذُكِرَ من السفنِ اللاتِي يجرينَ تارةً ويركُدنَ أُخْرى على حسب مشيئتِه تعالَى ﴿لآياتٍ﴾ عظيمةً في أنفسها كثيرةً في العددِ دالةً على ما ذُكِرَ منْ شؤونِه تعالَى. ﴿لكلِّ صبَّارٍ شكورٍ﴾ لكلِّ مَنْ حبسَ نفسَهُ عن التوجهِ إلى ما لا ينبغِي ووكَّلَ همَّتَهُ بالنظرِ في آياتِ الله تعالَى والتفكرِ في آلائِه أو لكلِّ مؤمنٍ كاملٍ، فإنَّ الإيمانَ نصفُهُ صبرٌ ونصفُهُ شكرٌ. ﴿أو يوبقهن بما كسبُوا﴾ عطفٌ على يُسكنْ والمعنى إن يشأ يسكن الريحَ فيركدنَ أو يرسلْهَا فيغرقنَ بعصفِها. وإيقاعُ الإيباقِ عليهنَّ مع أنَّه حالُ أهلهنَّ للمبالغةِ والتهويلِ. وإجراءُ حُكمِه على العفوِ في قولِه تعالَى ﴿ويعفُ عنْ كثيرٍ﴾ لِما أنَّ المَعْنى أو يُرسلْها فيوبقْ ناسًا ويُنجِ آخرينَ بطريق العفوِ عنهُم. وقرئ[2] ويعفُو على الاستئناف ﴿ويعلم الذينَ يجادلونَ في آياتِنا﴾ عطفٌ على علة مقدرةٍ مثل لينتقمَ منهم وليعلم إلخ كما في قولِه تعالَى: ﴿ولنجعلَه آيةً للناسِ﴾ [سورة مريم، الآية ٢١] وقوله: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ [سورة يوسف، الآية ٣١] ونظائرِهما. وقرئ[3] بالرفعِ على الاستئنافِ وبالجزمِ عطفًا على يعفُ فيكونُ المَعْنى وإنْ يشأْ يجمعْ

=والحجة لابن زرعة ص (٦٤٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥٤).
قرأ بها وصلا فقط: نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٦٢)، والتيسير للداني ص (١٩٥)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٤٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٥٤).

(١) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٠)، والتيسير للداني ص (٧٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشف للقيسي (١/ ٢٧٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٣).

(٢) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٧/ ٥٢٠، ٥٢١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧١)، وتفسير الرازي (٢٧/ ١٧٥).

(٣) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة، وزيد بن علي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢١)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧).

بينَ إهلاكِ قوم وإنجاءِ قوم وتحذيرِ قومٍ. **﴿ما لهُم منْ محيصٍ﴾** أي منْ مهربٍ من العذابِ. والجملةُ معلّقٌ عنها الفعلُ.

﴿فما أوتيتُم منْ شيءٍ﴾ مما ترغبونَ وتتنافسونَ فيهِ. **﴿فمتاعُ الحياةِ الدُّنيا﴾** أي فهُو متاعُها تتمتعونَ به مدةَ حياتِكم **﴿وما عندَ اللهِ﴾** من ثواب الآخرةِ **﴿خيرٌ﴾** ذاتًا لخلوصِ نفعِه **﴿وأبقى﴾** زمانًا حيثُ لا يزولُ ولا يَفْنى **﴿للذينَ آمنُوا وعلى ربِّهم يتوكلونَ﴾** لا على غيرِه أصلًا. والموصولُ الأولُ لما كانَ مُتضمنًا لمَعْنى الشرطِ منْ حيثُ أنَّ إيتاءَ مَا أُوتُوا سببٌ للتمتعِ بها في الحياة الدُّنيا دخلتْ جوابَها الفاءُ بخلافِ الثانِي. وعَنْ عليٍّ رضيَ الله عنه أنَّه تصدقَ أبُو بكرٍ رضيَ الله عنْهُ بمالِه كلِّه فلامَهُ جمعٌ من المسلمينَ فنزلتْ. وقولُه تعالَى: **﴿وَالذينَ يجتنبُونَ كبائرَ الإثمِ﴾** أي: الكبائرَ منْ هَذَا الجنُسِ **﴿والفواحشَ وَإذَا مَا غضبُوا هُم يغفرُونَ﴾** معَ ما بعدَهُ عطفٌ على الذينَ آمنُوا، أو مدحٌ بالنصبِ أو الرفعِ وبناءُ يغفرونَ على الضميرِ خبرًا لهُ للدلالةِ على أنَّهم الأَخِصَّاءُ بالمغفرةِ حالَ الغضبِ لعزةِ منالِها وقرئَ[1] كبيرَ الإثمِ وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهُمَا كبيرُ الإثم: الشركُ[2].

﴿وَالذينَ استجابُوا لربِّهم وأقامُوا الصلاةَ﴾ نزلَ في الأنصارِ دعاهُم رسولُ الله ﷺ إلى الإيمانِ فاستجابُوا له[3]. **﴿وأمرُهم شُورى بينَهم﴾** أي ذُو شُورى لا ينفردونَ برأيٍ حتى يتشاورُوا ويجتمعُوا عليهِ وكانُوا قبلَ الهجرةِ وبعدَهَا إذا حزبَهُم أمرٌ اجتمعُوا وتشاورُوا **﴿وممَّا رزقناهُم ينفقونَ﴾** أيْ فِي سبيلِ الخيرِ، وَلعلَّ فصلَهُ عن قرينِه بذكرِ المشاورةِ لوقوعِها عند اجتماعِهم للصلواتِ. **﴿والذينَ إذَا أصابَهُم البغيُ هم ينتصرونَ﴾** أي ينتقمونَ ممَّنْ بَغَى عليهِم على ما جعلَهُ الله تعالَى لهُم كراهةً التذللِ، وهو وصفٌ لهم بالشجاعةِ بعدَ وصفِهم بسائرِ مُهمَّاتِ الفضائلِ وهَذَا لا ينافِي وصفَهُم بالغُفرانِ فإنَّ كلا منهما فضيلةٌ محمودةٌ في موقعِ نفسهِ، ورذيلةٌ مذمومةٌ في موقعِ صاحبِهِ، فإنَّ الحِلْمَ عن العاجزِ وعوراءِ الكرام محمودٌ وعن المتغلبِ ولغواءِ اللئامِ مذمومٌ فإنَّه إغراءٌ على البَغي، وعليهِ قولُ مَنْ قالَ: [الطويل]

إِذَا أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ الـكَـرِيْـمَ مَـلَـكْـتَـهُ ... وَإِنْ أَنْـتَ أَكْـرَمْـتَ الـلَّـئِـيـمَ تَـمـرَّدَا

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٣، ٣٨٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٦٥)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٢)، والتيسير للداني ص (١٩٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧).

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٧٥)، وينظر: الكشاف (٥/ ٤١٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤٥- ١٥٥) عن ابن زيد.

فَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيفِ بالعُلا مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى[١]

وقولُه تعالَى: ﴿**وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها**﴾ بيانٌ لوجهِ كونِ الانتصارِ من الخصالِ الحميدةِ مع كونِه في نفسِه إساءةً إلى الغيرِ، بالإشارةِ إلى أنَّ البادئَ هُو الذي فعلَهُ لنفسهِ، فإنَّ الأفعالَ مستتبعةٌ لأجزيتِها حَتمًا إنْ خيرًا فخيرٌ وإنْ شرًا فشرٌّ، وفيه تنبيهٌ على حُرْمةِ التعدِّي، وإطلاقُ السيئةِ على الثانيةِ لأنَّها تسوءُ مَنْ نزلتْ بهِ[٢] ﴿**فَمَنْ عَفَا**﴾ عنِ المسيءِ إليهِ ﴿**وأصلحَ**﴾ بينَهُ وبينَ مَنْ يعاديهِ بالعفوِ والإغضاءِ كَما في قولِه تعالَى: ﴿فإذَا الذي بينكَ وبينَهُ عداوةٌ كأنَّه وَليٌّ حميمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية ٣٤] ﴿**فأجرُهُ عَلَى اللهِ**﴾ عِدَةٌ مُبهمةٌ منبئةٌ عن عظمِ شأنِ الموعودِ وخُروجِه عن الحدِّ المعهودِ. ﴿**إنَّه لا يحبُّ الظالمينَ**﴾ البادئينَ بالسيئةِ والمتعدِّينَ في الانتقامِ. ﴿**وَلَمَنِ انتصَر بعدَ ظُلمِه**﴾ أي بعدَ ما ظُلِمَ، وقَدْ قرئَ[٣] بهِ. ﴿**فأولئكَ**﴾ إشارةٌ إلَى مَنْ باعتبارِ المَعْنى، كَما أنَّ الضميرينِ لَها باعتبارِ اللفظِ. ﴿**مَا عليهم مِنْ سبيلٍ**﴾ بالمُعَاتبةِ أو المُعَاقبةِ ﴿**إنَّما السبيلُ عَلى الذينَ يظلمونَ النَّاسَ**﴾ يبتدئونَهُم بالإضرارِ أوْ يعتدونَ في الانتقامِ. ﴿**وَيبغُونَ فِي الأرضِ بغيرِ الحقِّ**﴾ أيْ يتكبرونَ فيها تجبُّرًا وفسادًا ﴿**أولئكَ**﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ من الظُّلم والبغي بغيرِ الحقِّ ﴿**لهمُ عذابٌ أليمٌ**﴾ بسببِ ظُلمهم وبغيِهم ﴿**ولَمَنْ صبرَ**﴾ على الأذَى ﴿**وغفرَ**﴾ لِمَنْ ظلمَهُ وَلم ينتصرْ وفوَّضَ أمرَهْ إلى الله تعالَى ﴿**إنَّ ذلكَ**﴾ الذي ذُكِرَ مِنَ الصبرِ والمغفرةِ ﴿**لَمِنْ عزمِ الأمورِ**﴾ أيْ إنَّ ذلكَ مِنْهُ، فحذفَ ثقةً بغايةِ ظهورِه كَما في قولِهم السمنُ مَنوانِ بدرهم[٤]، وهَذا في الموادِّ التي لا يُؤدِّي العفوُ إلى الشرِّ كَما أُشيرَ إليهِ. ﴿**وَمَنْ يُضللِ اللهُ فَما له منْ وليٍّ مِنْ**

---

(١) البيتان للمتنبي في شرح ديوان المتنبي، للواحدي (١/ ٢٦٦)، والحماسة المغربية للجراوي (١/ ٤٠).

(٢) وقد ذكر أبو حيان أنه قد سمى القصاص سيئة على سبيل المقابلة، أو لأنها تسوء من اقتص منه، وهي من المشاكلة من النوع الأول منها، وقد أشارت هذه المشاكلة إلى ما في الانتصار من الظالم، وما في العفو عنه من صلاح الأمة، ففي تخويل حق انتصار المظلوم من ظالمه ردع للظالمين عن الإقدام على الظلم خوفًا من أن يأخذ المظلوم بحقه؛ فالمعتدي يحسب لذلك حسابه حين الهم بالعدوان، والمشاكلة لون بديعي.
ينظر في الإيضاح (٤/ ٢٢)، وشروح التلخيص (٤/ ٣٠٩، ٣١٠)، والمصباح لبدر الدين بن مالك (٥١)، والإشارات والتنبيهات (٢٦٧)، والمطول (٤٢٣)، ومفتاح العلوم (٤٢٤)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٣)، والفتوحات الإلهية (٤/ ٦٩)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ١١٥).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٣).

(٤) منوان: مثنى منٍّ، والمنُّ: كيل أو ميزان أو رطلان.

﴿بعدِهِ﴾ من ناصرٍ يتولاَّهُ من بعدِ خذلانِه تعالى إيَّاهُ. **﴿وتَرَى الظالمينَ لَمَّا رَأَوْا العذابَ﴾** أيْ حينَ يَرَوْنَهُ. وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على التحقُّقِ. **﴿يقولونَ هَلْ إلى مَردٍّ﴾** أيْ إلى رجعةٍ إلى الدُّنيا **﴿مِنْ سبيلٍ﴾** حَتَّى نُؤمنَ ونعملَ صالحًا. **﴿وتراهُم يُعرضونَ عليها﴾** أيْ عَلَى النَّار المدلولِ عليها بالعذابِ، والخطابُ في الموضعينِ لكلِّ مَنْ يتأتَّى منْهُ الرؤيةُ. **﴿خاشعينَ منَ الذُّلِّ﴾** متذللينَ مُتضائلينَ مِمَّا دهاهُم.

﴿ينظرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي يبتدئ نظرُهم إلى النَّارِ من تحريكٍ لأجفانِهم ضعيفٍ كالمصبورِ[1] ينظرُ إلى السيفِ. **﴿وَقَالَ الذينَ آمَنُوا إنَّ الخاسرينَ﴾** أي المتصفينَ بحقيقةِ الخُسرانِ **﴿الذينَ خَسِرُوا أنفسَهُم وأهلِيهِم﴾** بالتعريضِ للعذابِ الخالدِ. **﴿يومَ القيامةِ﴾** إمَّا ظرفٌ لخسِرُوا فالقولُ في الدُّنيا أوْ لقالَ، فالقولُ يومَ القيامةِ أي يقولونَ حينَ يَرَونهم على تلك الحالِ. وصيغةُ الماضِي للدلالةِ على تحققهِ. وقولُه تعالى: **﴿أَلاَ إنَّ الظالمينَ في عذابٍ مُقيمٍ﴾** إمَّا من تمامِ كلامِهم، أو تصديقٌ منَ الله تعالى لَهُم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِنُ أَولياءَ ينصرونَهُم﴾ برفعِ العذابِ عنْهم **﴿مِنْ دونِ الله﴾** حسبما كانُوا يرجُون ذلكَ في الدُّنيا **﴿ومنْ يُضللِ الله فَما لهُ من سبيلٍ﴾** يُؤدِّي سلوكُه إلى النجاةِ.

﴿استجيبُوا لربِّكُم﴾ إذا دعاكُم إلى الإيمانِ على لسانِ نبيِّهِ **﴿منْ قبلِ أنْ يأتَي يومٌ لاَ مَردَّ لهُ من الله﴾** أيْ لا يردُّه الله بعدَ ما حَكَم بهِ على أنَّ مِنْ صلةُ مردَّ أو مِنْ قبل أن يأتيَ منَ الله يومٌ لا يُمكنُ رَدُّه. **﴿مَا لكُم مِنْ ملجإٍ يومئذٍ﴾** أي مفرٍّ تلتجئونَ إليهِ. **﴿وما لكُم منْ نكيرٍ﴾** أي إنكارٍ لَما اقترفتمُوه لأنَّه مدونٌ في صحائفِ أعمالِكم وتشهدُ عليكم جوارِحُكُم. **﴿فإن أَعرضُوا فَمَا أرسلناكَ عليهم حَفِيظًا﴾** تلوينٌ للكلامِ، وصرفٌ له عن خطابِ الناسِ بعدَ أمرِهم بالاستجابةِ، وتوجيهٌ له إلى الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أي فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه فما أرسلناك رقيبًا ومحاسبًا عليهم. **﴿إنْ عليكَ إلَّا البلاغُ﴾** وقد فعلتَ. **﴿وإنَّا إذَا أذقنَا الإنسانَ مِنَّا رحمةً﴾** أي نعمةً منَ الصحةِ والغنَى والأمنِ **﴿فَرِحَ بَها﴾** أُريد بالإنسانِ الجنس؛ لقولِه تعالَى: **﴿وإنْ تُصِبْهُم سيئةٌ﴾** أي بلاءٌ من مرضٍ وفقرٍ وخوفٍ. **﴿بما قدمتْ أيديهم فإنَّ الإنسانَ كفورٌ﴾** بليغُ الكفرِ ينسى النعمةَ رأسًا ويذكرُ البليةَ ويستعظمُها ولا يتأملُ سبَبَها بلْ يزعُم أنها أصابتْهُ بغيرِ استحقاقٍ لها، وإسنادُ هذه الخصلةِ إلى الجنسِ مع كونِها من خواصِّ المجرمينَ لغلبتِهم فيما بينَ الأفرادِ، وتصديرُ الشرطيةِ الأولى بإِذَا معَ إسنادِ الإذاقةِ إلى نونِ العظمةِ للتنبيهِ على أنَّ إيصالَ النعمةِ محققُ الوجودِ كثيرُ الوقوعِ وأنَّه

---

(١) المصبور: المصبور صبراً، هو المحبوس حتى يقتل وقد مرَّ تفسيره فيما سبق.

مُقْتضى الذاتِ، كما أنَّ تصديرَ الثانيةِ بإنْ وإسنادَ الإصابةِ إلى السيئةِ وتعليلَها بأعمالِهم للإيذانِ بنُدرةِ وقوعِها وأنَّها بمعزلٍ عن الانتظامِ في سلكِ الإرادةِ بالذاتِ. ووضعُ الظاهرِ موضعَ الضميرِ للتسجيلِ على أن هذا الجنسَ موسومٌ بكفرانِ النعمِ.

﴿**لله ملكُ السمواتِ والأرضِ**﴾ فمن قضيَّتِه أنْ يملكَ التصرفَ فيهما وفي كلِّ ما فيهما كيفما يشاءُ ومن جُمْلتِه أن يقسمَ النعمةَ والبليةَ حسبما يريدُه. ﴿**يخلقُ ما يشاءُ**﴾ مما تَعلمُه وَممَّا لاَ تعلمُه ﴿**يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا**﴾ من الأولادِ ﴿**وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾ منهُم منْ غيرِ أنْ يكونَ في ذلكَ مدخلٌ لأحد ﴿**أو يُزَوِّجَهُم**﴾ أي يقرن بين الصنفينِ فيهبهما جميعًا ﴿**ذُكرانًا وإناثًا**﴾ قالُوا مَعْنى يُزوِّجَهُم أنْ تَلِدَ غُلامًا ثم جَارِيةً أو جارية ثمَّ غُلامًا أو تلد ذكرًا وأُنْثى توأمينِ. ﴿**ويجعلُ مَنْ يشاءُ عقيمًا**﴾ والمَعْنى يجعلُ أحوالَ العبادِ في حقِّ الأولادِ مختلفةً على ما تقتضيه المشيئةُ فيهن فيهبُ لبعضٍ إمَّا صنفًا واحدًا منْ ذكرٍ أو أُنْثى وإمَّا صنفينِ ويُعقمُ آخرَين.

ولعلَّ تقديمَ الأناثِ لأنَّها أكثرُ لتكثيرِ النسلِ أو لأنَّ مساقَ الآيةِ للدلالةِ على أنَّ الواقعَ ما تتعلقُ به مشيئته تعالى لا ما تتعلقُ به مشيئة الإنسانِ والإناثُ كذلكَ أو لأنَّ الكلامَ في البلاءِ والعربُ تعدُّهنَّ أعظمَ البَلايا أو لتطييبِ قلوبِ آبائِهنَّ أو للمحافظةِ على الفواصلِ ولذلكَ عرَّفَ الذكورَ أو لجبرِ التأخيرِ. وتغييرُ العاطفِ في الثالثِ لأنه قسيمُ المشتركِ بينَ القسمينِ ولا حاجةَ إليهِ في الرابعِ لإفصاحهِ بأنَّ قسيمَ المشتركِ بين الأقسامِ المتقدمةِ وقيلَ: المرادُ بيانُ أحوالِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ حيثُ وهبَ لشعيبَ ولوطٍ إناثًا ولإبراهيمَ ذكورًا وللنبيِّ ﷺ ذكورًا وإناثًا وجعلَ يحيى وعيسى عقيمينِ ﴿**إنَّه عليمٌ قديرٌ**﴾ مبالغٌ في العلمِ والقدرةِ فيفعلُ ما فيهِ حكمةٌ ومصلحةٌ.

﴿**وما كانَ لبشرٍ**﴾ أيْ وما صَحَّ لفردٍ من أفراد البشرِ ﴿**أنْ يكلمه الله**﴾ بوجهٍ منِ الوجوهِ ﴿**إلَّا وحيًا**﴾ أيْ إلاَّ بأنْ يُوحيَ إليهِ ويلهمَهُ ويقذفَ في قلبهِ كما أَوْحى إلى أمِّ مُوسى وإلى إبراهيمَ عليهما السَّلامُ في ذَبْح ولدهِ، وقَدْ رُويَ عن مجاهدٍ: أَوْحَى الله الزبورَ إلى داودَ عليهِ السَّلامُ في صدرِه[1]. أو بأنْ يُسمعَهُ كلامَهْ الذي يخلُقه في بعضِ الأجرامِ من غيرِ أنْ يُبصرَ مَنْ يكلمُه وهُو المرادُ بقولِه تعالى ﴿**أو مِنْ وراءِ حجابٍ**﴾ فإنه تمثيلٌ له بحالِ الملكِ المحتجبِ الذي يكلِّمُ بعضَ خواصِّهِ من وراءِ الحجابِ يُسمعُ صوتَهُ ولا يَرَى شخصَهُ وذلكَ كما كلَّم مُوسى وكما يكلِّمُ الملائكةَ عليهم السَّلامُ أو بأنْ يكلمَهُ بواسطةِ المَلَكِ. وذلكَ قولُه تعالى ﴿**أو يرسلَ رَسُولًا**﴾ أي مَلَكًا

(١) ينظر: الكشاف (٥/ ٤٢١).

﴿فيُوحيَ﴾ ذلكَ الرسولُ إلى المرسلِ إليهِ الذي هو الرسولُ البشَريُّ ﴿بإذنِهِ﴾ أي بأمرِه تعالَى وتيسيرِه ﴿ما يشاءُ﴾ أنْ يوحيَهُ إليهِ وهَذا هو الذي يَجْري بينَهُ تعالى وبينَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ في عامَّةِ الأوقاتِ من الكلامِ.

وقيلَ: قولُه تعالى وحيًا وقولُه تعالى أو يرسلَ مصدرانِ واقعانِ موقعَ الحالِ وقولُه تعالَى أو منْ وراءِ حجابٍ ظرفٌ واقعٌ موقعَها، والتقديرُ وما صَحَّ أن يكلمَ إلا مُوحيًا أو مُسمعًا من وراءِ حجابٍ أو مُرسلًا. وقرئ[1] (أو يرسلُ) بالرفعِ على إضمار مبتدأٍ، ورُويَ أنَّ اليهودَ قالتْ للنبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ألا تكلمَ الله وتَنظرَ إليهِ إنْ كنتَ نبيًا كما كلَّمه مُوسى ونظرَ إليهِ فإنَّا لن نؤمنَ حتَّى تفعلَ ذلكَ فقال عليه السَّلامُ لَمْ ينظُرْ مُوسى عليه السَّلامُ إلى الله تعالى فنزلتْ[2].

وعنْ عائشةَ رضيَ الله عنها: «من زَعَمَ أنَّ محمدًا رأى ربَّه فقدْ أعظمَ على الله الفريةَ، ثم قالتْ رضيَ الله عنها: أو لم تسمعُوا ربَّكُم يقولُ فتلتْ هَذِهِ الآيَةَ»[3]. ﴿إنَّه

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن عامر، والزهري، وشيبة، وابن ذكوان، وشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧١)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٧)، والتيسير للداني ص (١٩٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٥/ ٤٢٢)، ولم يتكلم عليه الحافظ الزيلعي في تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥٩): كتاب بدء الخلق: باب إذا قال الحاكم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما ... حديث (٣٢٣٤) من طريق محمد بن عبد الله بن إسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن عون أنبأنا القاسم عن عائشة.
وأخرجه البخاري (٩/ ٥٨٧): كتاب التفسير: باب والنجم، حديث (٤٨٥٥).
وفي (١٥/ ٣١١) كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا» حديث (٧٣٨٠). ومسلم في صحيحه (٢/ ٩): كتاب الإيمان: باب قول الله عز وجل: ولقد رآه، حديث (٢٨٩) (١٧٧) وأحمد في مسنده (٦/ ٤٩).
من طريق إسماعيل بن خالد عن عامر الشعبي، به.
وأخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥٩): كتاب بدء الخلق: باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء ... حديث (٣٢٣٥).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٩): كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: ولقد رآه، حديث (٢٩٠) (١٧٧).
من طريق أبي أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشوع، عن الشعبي، به.
وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨): كتاب الإيمان: باب ولقد رآه، حديث (١٧٧). والترمذي في سننه (٥/ ٢٦٢): كتاب التفسير القرآن: باب ومن سورة الأنعام، حديث (٣٠٦٨) والطبري في تفسيره (١١/ ٥١٢-٥١٣). حديث برقم (٣٢٤٧٥)، (٣٢٤٧٦)، (٣٢٤٧٧)، (٣٢٤٧٨)، (٣٢٤٧٩). =

﴿عليٌّ﴾ متعالٍ عن صفاتِ المخلوقينَ لا يتأتَّى جَريانُ المفاوضةِ بينَهُ تعالى وبينَهم إلا بأحدِ الوجوهِ المذكورةِ **﴿حكيمٌ﴾** يُجْري أفعالَهُ على سُنَنِ الحكمةِ فيكلمُ تارةً بواسطةٍ وأُخرى بدونِها إمَّا إلهامًا وإما خطابًا **﴿وكذلكَ﴾** أيْ ومثلَ ذلكَ الإيحاءِ البديعِ **﴿أوحينَا إليكَ رُوحًا من أمرنا﴾** هو القرآنُ الذي هو للقلوب بمنزلةِ الروحِ[1] للأبدانِ حيثُ يُحيِيها حياةً أبديةً، وقيلَ: هُو جبريلُ عليهِ السَّلامُ. ومَعْنى إيحائِه إليهِ عليهما السَّلامُ إرسالُه إليهِ بالوحي **﴿ما كنتَ تَدري﴾** قبلَ الوَحي **﴿ما الكتابُ﴾** أيْ أيُّ شيءٍ هُو **﴿ولا الإيمانُ﴾** أيْ الإيمانُ بتفاصيلِ ما في تضاعيفِ الكتابِ من الأمورِ التي لا تهتدِي إليها العقولُ لا الإيمانُ بما يستقلُّ به العقلُ والنظرُ فإنَّ درايتَهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ له مما لا ريبَ فيهِ قطعًا **﴿ولكنْ جعلنَاهُ﴾** أي الرُّوحَ الذي أوحيناهُ[2] إليكَ **﴿نورًا نهدي به من نشاءُ﴾** هدايتَهُ **﴿من عبادِنا﴾** وهُو الذي يصرف اختيارَهُ نحو الاهتداءِ بهِ. وقولُه تعالَى **﴿وإنَّك لتهدي﴾** تقريرٌ لهدايتِهِ تعالى وبيانٌ لكيفيتِها.

ومفعولُ لتهدِي محذوفٌ ثقةً بغايةِ الظهورِ أيْ إنكَ لتهدِي بذلكَ النورِ من نشاءُ هدايَتهُ **﴿إلى صراطٍ مستقيم﴾** هو الإسلامُ وسائرُ الشرائعِ والأحكام. وقرئ[3] لتُهدَى أي ليَهديكَ الله، وقرئ[4] لتدعُو **﴿صراطِ الله﴾** بدلٌ من الأولِ وإضافتُه إلى الاسمِ الجليلِ ثمَّ وصفُه بقولِه تعالَى **﴿الذي له مَا في السمواتِ ومَا في الأرضِ﴾** لتفخيمِ شأنِه وتقريرِ استقامتِه وتأكيدِ وجوبِ سلوكِه فإنَّ كونَ جميعِ ما فيهما من الموجوداتِ له تعالى خَلْقًا ومِلْكًا وتصرُّفًا مما يوجبُ ذلكَ أتمَّ إيجابٍ. **﴿أَلاَ إلى الله تصيرُ الأمورُ﴾** أي أمورُ ما فيهما قاطبةً لا إلى غيرِه ففيهِ من الوعدِ للمهتدينَ إلى الصراطِ المستقيمِ والوعيدِ للضالينَ عنه ما لا يَخْفي.

عنْ رسولِ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ حم عسق كانَ ممَّن تُصلِّي عليهِ الملائكةُ ويستغفرونَ ويسترحمونَ لهُ**»[5].

= وابن حبان في صحيحه (١/ ٢٥٧): كتاب الإسراء: باب ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس الذي ذكرناه من أعظم الفرية، حديث (٦٠)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٨/ ٣٠٣)، حديث برقم (٤٩٠٠).

كلهم من طريق داود بن أبي هند عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة به.

(١) في خ: الأرواح. (٢) في خ: أوحينا.

(٣) قرأ بها: حوشب، والجحدري.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٧٤)، والبحر المحيط (٧/ ٥٢٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٦٠).

(٤) قرأ بها: أبي.
ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٦).

(٥) الحديث موضوع وقد تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مَكِّيةٌ [وقيلَ إلا قولَهُ: ﴿واسألْ مَنْ أرسَلْنَا﴾ [الزخرف: ٤٥]][(١)] وآياتُها تسعٌ وثمانونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟

---

(١) سقط في خ.

إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

﴿حم﴾ الكلامُ فيهِ كالذي مَرَّ في فاتحةِ سورةِ يس خَلاَ أنَّ الظاهرَ على تقديرِ اسميتِه كونُه اسمًا للقُرآنِ لا للسورةِ كما قيلَ: فإنَّ ذلكَ مُخِلٌّ بجزالةِ النظمِ الكريمِ ﴿والكتابِ﴾ بالجرِّ على أنه مُقسمٌ بهِ إمَّا ابتداءً أو عطفًا عَلى حم عَلى تقديرِ كونِه مجرورًا بإضمارِ باءِ القسمِ، على أنَّ مدارَ العطفِ المغايرةُ في العُنوانِ، ومناطُ تكريرِ القسمِ المبالغةُ في تأكيدِ مضمونِ الجملةِ القَسَميةِ ﴿المبينِ﴾ أي البيِّنِ لمن أُنزلَ عليهم لكونِه بلغتِهم وعَلى أساليبِهم، أو المبينِ لطريقِ الهُدى من طريقِ الضلالةِ المُوضحِ لكلِّ مَا يحتاجُ إليهِ في أبوابِ الديانةِ. ﴿إنا جعلناهُ قُرآنًا عربيا﴾ جوابٌ للقسمِ لكنْ [لا][1] على أنَّ مرجعَ التأكيدِ جعلُه كذلكَ كما قيلَ بلْ ما هُو غايتُه التي يُعربُ عنها قولُه تعالى ﴿لعلكم تعقلونَ﴾ فإنَّها المحتاجةُ إلى التحقيقِ والتأكيدِ لكونِها منبئةً عن الاعتناءِ بأمرِهم وإتمام النعمةِ عليهم وإزاحةِ أعذارِهم، أي جعلنَا ذلكَ الكتابَ قُرآنًا عربيا لكي تفهمُوه وتحيطُوا بما فيهِ من النظمِ الرائقِ والمَعْنى الفائقِ واتقفُوا على ما يتضمنُّه من الشواهدِ الناطقةِ بخروجِه عن طوقِ البشرِ وتعرفُوا حقَّ النعمةِ في ذلك وتنقطعَ أعذارُكم بالكليةِ.

﴿وإنَّه في أمِّ الكتابِ﴾ أي في اللوحِ المحفوظِ، فإنَّه أصلُ الكتبِ السماويةِ. وقرئ[2] إِمِّ الكتابِ بالكسرِ ﴿لدينا﴾ أي عندنَا ﴿لعليٌّ﴾ رفيعُ القدرِ بينَ الكتبِ شريفٌ. ﴿حكيمٌ﴾ ذُو حَكمةٍ بالغةٍ، أو محكمٌ وهُما خبرانِ لإنَّ وما بينهُمَا بيانٌ لمحلِّ الحكمِ، كأنَّه قيلَ بعدَ بيانِ اتصافِه بما ذُكِرَ منَ الوصفينِ الجليلينِ: هذا في أمِّ الكتابِ ولدينَا. والجملةُ إمَّا عطفٌ على الجملةِ المقسمِ عليها، داخلةٌ في حُكمها ففي الإقسامِ بالقرآنِ على علوِّ قدرِه عندَهُ تعالَى براعةٌ بديعةٌ وإيذانٌ بأنَّه من عُلُو الشأنِ بحيثُ لا يحتاجُ في بيانِه إلى الاستشهادِ عليهِ بالإقسامِ بغيرِه بل هُو بذاتِه كافٍ في الشهادةِ على ذلكَ من حيثُ الإقسامُ بهِ كَما أنَّه كافٍ فيهَا من حيثُ إعجازُه ورمزٌ إلى أنَّه لا يخطرُ بالبالِ عند ذكرِه شيءٌ آخرُ منه بالإقسامِ به. وإمَّا مستأنفةٌ مقررةٌ لعلوِّ شأنِه الذي أنبأَ عنه الإقسامُ به على منهاجِ الاعتراضِ في قولِه تعالى: ﴿وإنه لقسمٌ لو

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٤)، والبحر المحيط (٨/ ٥)، والتيسير للداني ص (٩٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٦٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشف للقيسي (٣/ ٤٤٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).

تعلمونَ عظيمٌ﴾ [سورة الواقعة، الآية ٧٦] وبعدما بيَّنَ علوَّ شأنِ القرآنِ العظيم وحقق أنَّ إنزالَهُ على لغتِهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبِه عقَّبَ ذلكَ بإنكارِ أَنْ يكونَ الأمرُ بخلافهِ فقيلَ ﴿**أفنضربُ عنكم الذكرَ**﴾ أي ننحّيهِ ونُبعدُه عنكم. مجازٌ من قولِهم: ضربُ الغرائبِ عن الحوضِ، وفيه إشعارٌ باقتضاءِ الحكمةِ توجُّهَ الذكر إليهم وملازمتَه لهم كأنَّه يتهافتُ عليهم. والفاءُ للعطف على محذوفٍ يقتضيه المقامُ أي أنهملكُم فننحِّي الذكرَ عنكُم ﴿**صفحًا**﴾ أي إعراضًا عنكم على أنه مفعولٌ له للمذكورِ أو مصدرٌ مؤكدٌ لما دَلَّ هو عليهِ فإن التنحيةَ منبئةٌ[1] عن الصفحِ والإعراضِ قطعًا كأنَّه قيلَ: أفنصفحُ عنكُم صفحًا أو بمَعْنى الجانبِ فينتصبُ على الظرفيةِ أي أفننحيهِ عنكُم جانبًا ﴿**أن كنتُم قومًا مسرفينَ**﴾ أي لأنْ كنتُم منهمكينَ في الإسرافِ مصرِّينَ عليهِ عَلى مَعْنى إنَّ حالَكُم وإنِ اقتَضَى تخليتَكُم وشأنَكُم حتَّى تموتُوا على الكفرِ والضلالةِ وتبقوا في العذابِ الخالدِ لكنا لسعةِ رحمتِنا لا نفعلُ ذلكَ بلْ نهديكُم إلى الحقِّ بإرسالِ الرسولِ الأمينِ وإنزالِ الكتابِ المبينِ. وقرئَ[2] بالكسرِ على أنَّ الجملةَ شرطيةٌ مخرجةٌ للمحققِ مُخرجَ المشكوكِ لاستجهالِهم، والجزاءُ محذوفٌ ثقةً بدلالةِ ما قبلَهُ عليه. وقولُه تعالَى: ﴿**وكَمْ أرسلنَا مِنْ نبيٍّ في الأولينَ**﴾ ﴿**وما يأتيهم من نبيٍّ إلا كانُوا به يستهزءونَ**﴾ تقريرٌ لما قبلَه ببيانِ أنَّ إسرافَ الأممِ السالفةِ لم يمنعْهُ تعالى من إرسالِ الأنبياءِ إليهم، وتسليةٌ لرسولِ الله ﷺ عن استهزاءِ قومِه به. وقولُه تعالى ﴿**فأهلكنَا أشدَّ منهُم بطشًا**﴾ أي من هؤلاءِ المسرفينَ، عِدَةٌ له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ووعيدٌ لهم بمثلِ ما جَرَى على الأولينَ، ووصفُهم بأشدِّيَّة البطشِ لإثباتِ حكمِهم لهؤلاءِ بطريقِ الأولويةِ. ﴿**ومَضَى مثلُ الأولينَ**﴾ أي سلَف في القُرآنِ غيرَ مرةٍ ذكرُ قِصَّتِهم التي حقُّها أن تسيرَ مسيرَ المثلِ. ﴿**ولئِن سألتَهُم منْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خلقهنَّ العزيزُ العليمُ**﴾ أي ليُسنِدُنَّ خلقَها إلى مَنْ هذا شأنُه في الحقيقةِ وفي نفسِ الأمرِ، لا أنَّهم يُعبِّرونَ عنه بهذا العُنوانِ. وسلوكُ هذه الطريقةِ للإشعارِ بأنَّ اتصافَهُ تعالى بَما سُردَ من جلائلِ الصفاتِ والأفعالِ وبما يستلزمُه ذلكَ من البعثِ والجزاءِ أمرٌ بينٌ لا ريبَ فيهِ وأنَّ الحجةَ قائمةٌ عليهم شاؤُا أو أبَوا. وقد جُوِّزَ أن

---

(١) في خ: مبنية.
(٢) قرأ بها: نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر، والحسن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ٧٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢١)، والبحر المحيط (٨/ ٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٧٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧).

يكونَ ذلك عينَ عبارتِهم. وقوله تعالى ﴿الذي جعلَ لكُم الأرضَ مَهْدًا﴾ استئنافٌ من جهتِه تعالى أي بسَطَها لكُم تستقرُّونَ فيها. ﴿وجعلَ لكُم فيها سُبُلًا﴾ تسلكونَها في أسفارِكم ﴿لعلَّكُم تهتدونَ﴾ أي لكيْ تهتدُوا بسلوكِها إلى مقاصدِكم أو بالتفكُّر فيها إلى التوحيد الذي هُو المقصدُ الأصليُّ ﴿وَالذي نزَّلَ منَ السَّماءِ ماءً بقدرٍ﴾ بمقدارٍ تقتضيه مشيئتُه المبنيةُ على الحِكَم والمصالحِ. ﴿فأنشرنَا بهِ﴾ أي أحيينَا بذلكَ الماءِ ﴿بلدةً ميتًا﴾ خاليًا عن النماءِ والنباتِ بالكُلّيةِ. وقرئ[1] مَيِّتًا بالتشديدِ.

وتذكيرُه لأنَّ البلدةَ في مَعْنى البلدِ والمكانِ. والالتفاتُ إلى نونِ العظيمةِ لإظهارِ كمالِ العنايةِ بأمرِ الإحياءِ، والإشعارِ بعِظَم خطرِه ﴿كذلكَ﴾ أي مثلَ ذلك الإحياءِ الذي هو في الحقيقةِ إخراجُ النباتِ[2] من الأرضِ ﴿تُخرجونَ﴾. أي تُبعثونَ من قبورِكم أحياءً. وفي التعبيرِ عن إخراجِ النباتِ بالإنشارِ الذي هُو إحياءُ المَوتى وعن إحيائِهم بالإخراجِ تفخيمٌ لشأنِ الإنباتِ وتهوينٌ لأمرِ البعثِ لتقويمِ سننِ الاستدلالِ وتوضيحِ منهاجِ القِياسِ.

﴿والذي خلقَ الأزواجَ كُلَّها﴾ أي أصنافَ المخلوقاتِ. وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا الأزواجُ: الضروبُ والأنواعُ كالحُلو والحامضِ والأبيضِ والأسودِ والذكرِ والأُنْثى[3].

وقيلَ: كلُّ ما سِوَى الله تعالى فهو زوجٌ كالفوقِ والتحتِ واليمينِ واليسار إلى غيرِ ذلكَ. ﴿وجعلَ لكُم من الفُلكِ والأنعامِ ما تركبونَ﴾ أي ما تركبونَهُ تغليبًا للأنعامِ على الفلكِ فإن الركوبَ متعدٍ بنفسهِ، واستعمالُه في الفُلكِ ونحوِها بكلمةِ فِي للرمزِ إلى مكانيَّتِها وكونِ حركتِها غيرَ إراديةٍ كما مرَّ في سورةِ هودٍ عندَ قولِه تعالَى وقال: ﴿اركبُوا فيها﴾ [سورة هود، الآية ٤١] ﴿لتستُووا على ظهورِه﴾ أي لتستعلُوا على ظهورِ ما تركبونَهُ من الفُلكِ والأنعامِ، والجمعُ باعتبارِ المَعْنى ﴿ثم تذكرُوا نعمةَ ربِّكم إذَا استويتُم عليهِ﴾ أي تذكرُوها بقلوبِكم معترفينَ بها مستعظمينَ لها، ثم تحمَدوا عليها

---

(١) قرأ بها: أبو جعفر، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٤)، والبحر المحيط (٨/ ٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٥٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٤).

(٢) والمقصود من التشبيه إظهار إمكان المشبه كقول أبي الطيب.
فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
ينظر: التحرير والتنوير (٢٥/ ١٧١، ١٧٢)، وحاشية السيد على الكشاف (١/ ٢١٠)، والمطول (٣٦٠)، وأسرار البلاغة، ص (٢٩٦).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٦٥).

بألسنتِكم. ﴿وتقولُوا سبحانَ الذي سخَّرَ لنَا هَذا﴾ مُتعجِّبينَ من ذلكَ، كمَا يُروى عن النبيِّ ﷺ أنه كانَ إذا وضعَ رجلَهُ في الركابِ قال: «بسم الله» فإذَا استوَى على الدابةِ قال «الحمدُ لله على كلِّ حالٍ سُبحانَ الذي سخَّرَ لنا هَذا» إلى قولِه تعالى ﴿لمنقلبونَ﴾ وكبَّر ثلاثًا وهلَّل ثلاثًا.

﴿وما كُنَّا له مُقْرِنينَ﴾[1] أي مُطيقينَ من أقرنَ الشيءَ إذا أطاقَهُ وأصلُه وجدُه قرينته لأن الصعْبَ لا يكونُ قرينةً للضعيفِ. وقرئَ بالتشديدِ، والمَعْنى واحدٌ. وهذا من تمامِ ذكرِ نعمتِه تعالى إذ بدونِ اعترافِ المنعم عليه بالعجزِ عن تحصيلِ النعمةِ، لا يعرفُ قدرَها ولا حق المنعم بها. ﴿وإنَّا إلى ربِّنا لمنقلبونَ﴾ أي راجعونَ وفيهِ إيذانٌ بأنَّ حقَّ الراكبِ أنْ يتأملَ فيما يُلابسُه من المسيرِ ويتذكَر منه المسافرةَ العُظْمى التي هيَ الانقلابُ إلى الله تعالى فيبنِي أمورَهُ في مسيرِه ذلكَ على تلكَ الملاحظةِ ولا يخطرُ ببالِه في شيءٍ مما يأتِي ويذرُ أمرًا ينافيها ومن ضرورتِه أن يكون ركوبُه لأمرٍ مشروعٍ.

﴿وجعلُوا له من عبادِه جُزْءًا﴾ متصلٌ بقولِه تعالى ولئِن سألتَهُم... إلخ أيْ وقد جعلُوا له سبحانَهُ بألسنتِهم واعتقادِهم بعد ذلك الاعترافِ من عبادِه ولدًا وإنَّما عبَّر عنهُ بالجُزءِ لمزيدِ استحالتهِ في حقِّ الواحدِ الحقِّ من جميعِ الجهاتِ. وقرئَ[2] جُزُؤا بضمَّتينِ. ﴿إنَّ الإنسانَ لكفورٌ مبينٌ﴾ ظاهرُ الكُفرانِ مبالغٌ فيهِ ولذلكَ يقولونَ ما يقولونَ، سبحانَ الله عمَّا يصفونَ. ﴿أم اتخذَ مما يخلقُ بناتٍ﴾ أمْ منقطعةٌ وما فيها من مَعْنى بَلْ للانتقالِ من بيانِ بطلانِ جَعْلِهم لهُ تعالى ولدًا على الإطلاقِ إلى بيانِ بُطلانِ جعلِهم ذلكَ الولدَ من أخسِّ صنفيهِ. والهمزةُ للإنكارِ والتوبيخِ والتعجبِ من شأنِهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٣٤) كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل إذا ركب، حديث (٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٥٠١) كتاب الدعوات باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة، حديث (٣٤٤٦)، والنسائي (٥/ ٢٤٧-٢٤٨) كتاب السير: باب التسمية عند ركوب الدابة والتحميد، والدعاء إذا استوى على ظهرها حديث (٨٧٩٩)، وأحمد (١/ ٩٧، ١١٥)، والطيالسي (١/ ١٢٢-منحة) رقم (٥٧٤)، وابن حبان (٢٣٨٠، ٢٣٨١- موارد) وعبد بن حميد رقم (٨٨)، والحاكم (٢/ ٩٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٢)، وفي «الأسماء والصفات» ص (٤٧١) كله من طريق أبي إسحاق عن علي بن ربيعة عن علي به.
وقال الترمذي: حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ووافقه الذهبي.

(٢) قرأ بها: عاصم، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والتيسير للداني ص (٨٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨١)، والكشف للقيسي (١/ ٢٤٧)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٠).

وقولُه تعالى ﴿وأصفاكُم بالبنينَ﴾ إما عطفٌ على اتخذَ داخلٌ في حُكْمِ الإنكارِ والتعجيبِ أو حالٌ من فاعلِه بإضمارِ قَدْ أو بدونِه على الخلافِ المشهورِ.

والالتفاتُ إلى خطابِهم لتأكيدِ الإلزامِ وتشديدِ التوبيخِ أي بلْ أتخذَ من خلقِه أخسَّ الصنفينِ واختارَ لكم أفضلَهُما: على مَعْنَى هَبُوا أنكم اجترأتُم على إضافةِ اتخاذِ جنسِ الولدِ إليه سُبحانَهُ مع ظهورِ استحالتِه وامتناعِه أما كانَ لكم شيءٌ من العقلِ ونُبذٌ من الحياءِ حتى اجترأتُم على التفوهِ بالعظيمةِ الخارقةِ للعقولِ من ادعاءِ أنَّه تعالى آثركُم على نفسِه بخيرِ الصنفينِ وأعلاهُما وتركَ له شرَّهُما وأدناهُما. وتنكيرُ بناتِ وتعريفُ البنينَ لتربيةِ ما اعتُبِرَ فيهما من الحقارةِ والفخامةِ.

[من دلائل الكفر]

﴿وَإِذَا بُشِّر أَحدُهم بَما ضربَ للرحمنِ مَثَلًا﴾ إلخ استئنافٌ مقررٌ لما قبلَهُ، وقيلَ حالٌ على مَعنْى أنَّهم نسبُوا إليه ما ذُكِرَ ومن حالِهم أنَّ أحدَهُم إذَا بُشِّرَ بهِ اغتمَّ. والالتفاتُ للإيذانِ باقتضاءِ ذكرِ قبائِحهم أنْ يُعرضَ عنهم وتُحكَى لغيرِهم تعجيبًا منها أيْ إذَا أخبرَ أحدُهم بولادةِ ما جعلَه مثلًا له سُبحانَه إذِ الولدُ لا بُدَّ أنْ يجانسَ الوالدَ ويماثلَهُ ﴿ظلَّ وجهُهُ مُسودًا﴾ أي صارَ أسودَ في الغايةِ من سوءِ ما بُشِّرَ به ﴿وهو كظيمٌ﴾ مملوءٌ من الكربِ والكآبةِ. والجملةُ حالٌ وقرئَ[1] مُسودٌّ (ومُسوادٌّ)[2]، على أنَّ في ظَلَّ ضميرُ المبشَّرِ، ووجهُهُ مسودٌّ جملةٌ وقعتْ خبرًا لهُ.

﴿أو مَنْ يُنشؤ في الحليةِ﴾ تكريرٌ للإنكارِ، وتثنية للتوبيخِ. ومَنْ منصوبةٌ بمضمرٍ معطوفٍ على جعلُوا أي أو جعلُوا مَنْ شأنُهُ أنْ يُربَّى في الزينةِ وهُو عاجزٌ عنْ أنْ يتولَّى أمره بنفسهِ، فالهمزةُ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه، وقد جُوِّزَ انتصابُها بمضمرٍ معطوفٍ على اتخذَ فالهمزةُ حينئذٍ لإنكارِ الوقوعِ واستبعادِه، وإقحامُها بين المعطوفينِ لتذكيرِ ما في أمِ المنقطعةِ من الإنكارِ وتأكيدِهِ. والعطفُ للتغايرِ العُنوانِي أيْ أوَ اتخذَ من هذهِ الصفةِ الذميمةِ صفتَهُ ﴿وهُو﴾ مع ما ذُكِرَ من القصورِ ﴿في الخصامِ﴾ أي الجدالِ الذي لا يكادُ يخلُو عنه الإنسانُ في العادةِ ﴿غيرُ مبينٍ﴾ غيرُ قادرٍ على تقريرِ دعواهُ وإقامةِ حُجَّتِه لنقصانِ عقلِه وضعفِ رأيه. وإضافةُ غيرُ لا تمنعُ عملَ ما بعدَهُ في الجارِّ المتقدمِ

---

(١) ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٢)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٢).

لأنَّه بمعْنى النَّفي. وقرئ[١] ينشأُ، و(يُنَاشَأُ)[٢] من الإفعالِ والمفاعلةِ[٣] والكلُّ بمَعْنى واحدٍ، ونظيرُه غَلاهُ وأغلاهُ وغالاهُ.

﴿وجعلُوا الملائكةَ الذين هُم عبادُ الرحمنِ إناثًا﴾ بيانٌ لتضمن كفرِهم المذكورِ لكفرٍ آخرَ، وتقريعٌ لهم بذلكَ وهو جعلُهم أكملَ العبادِ وأكرمَهم على الله عزَّ وجلَّ أنقصَهُم رأيًا وأخسَّهُم صِنفًا. وقرئ[٤] عبيدُ الرحمنِ، وقرئ[٥] عبد الرحمن على تمثيل زلفاهم، وقرئ[٦] أُنُثًا وهُو جمعُ الجمعِ. ﴿أشهِدوا خلقَهُم﴾ أي أحضرُوا خلقَ الله تعالى إيَّاهم فشاهدُوهم إناثًا حتى يحكموا بأنوثتِهم، فإنَّ ذلكَ مما يُعلم بالمشاهدةِ، وهو تجهيلٌ لهُم وتهكُّمٌ بهم. وقرئ[٧] أأشهِدُوا بهمزتينِ مفتوحةٍ ومضمومةٍ وآأُشهدوا[٨] بألفٍ بينهُما.

﴿ستكتبُ شهادتُهم﴾ هذه في ديوانِ أعمالِهم ﴿ويسألونَ﴾ عنها يوم القيامةِ. وقرئ[٩] سيكتبُ وسنكتبُ[١٠] بالياءِ والنونِ. وقُرئ شهاداتُهم. وهيَ قولُهم إنَّ لله جزءًا وإن له بناتٍ وأنها الملائكةُ. وقرئ[١١] يُساءلونَ من المساءلةِ للمبالغةِ.

---

(١) قرأ بها: الجحدري، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨).

(٢) قرأ بها: الحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والبحر المحيط (٨/ ٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٢).

(٣) في خ: الفاعلة.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

(٥) قرأ بها: أبي، وسعيد بن جبير، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٢).

(٦) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

(٧) قرأ بها: نافع، وعاصم، والمفضل، وعلي، وورش، وقالون.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٨٤)، والبحر المحيط (٨/ ١٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٨٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٨، ٣٦٩).

(٨) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر، والمسيبي، وقالون.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والبحر المحيط (٨/ ١٠)، والتيسير للداني ص (١٩٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٣)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٤٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٣).

(٩) قرأ بها: الزبيري، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠).

(١٠) قرأ بها: ابن عباس، وزيد بن علي، وأبو جعفر، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، والجحدري، والأعرج، والسلمي، وابن السميفع، وهبيرة، وحفص.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

(١١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٣).

﴿وقالُوا لو شاءَ الرحمنُ ما عبدناهُم﴾ بيانٌ لفنٍّ آخرَ من كُفرِهم، أيْ لو شاءَ عدمَ عبادتِنا للملائكةِ مشيئَةَ ارتضاءٍ ما عبدناهُم أرادُوا بذلكَ بيانَ أنَّ ما فعلُوه حقٌّ مرضيٌّ عندَهُ تعالى وأنَّهم إنَّما[1] يفعلُونه بمشيئتِهِ تعالى[2] إياه منهُم مع اعترافِهم[3] بقبحهِ حتى ينتهضَ[4] ذمُّهم به دليلًا للمعتزلةِ، ومَبْنى كلامِهم الباطلِ على مقدمتينِ: إحداهُما أنَّ عبادتَهُم لهم بمشيئتِهِ تعالى، والثانيةُ أنَّ ذلكَ مستلزمٌ لكونِها مرضيةً عندَهُ تعالَى ولقد أخطئُوا في الثانيةِ [حيث][5] جهلُوا أن المشيئةَ عبارةٌ عن ترجيحِ بعضِ الممكناتِ[6] على بعضٍ كائنًا ما كانَ من غيرِ اعتبارِ الرِّضا أوالسَّخطِ في شيءٍ من الطرفينِ ولذلكَ جُهِّلُوا بقولِه تعالى: ﴿ما لهم بذلكَ﴾ أي بما[7] أرادُوا بقولِهم ذلكَ من كونِ ما فعلُوه بمشيئةِ الارتضاءِ لا بمطلقِ[8] المشيئةِ فإنَّ ذلكَ محققٌ ينطقُ بهِ ما لا يُحصَى عن الآياتِ الكريمةِ ﴿من علمٍ﴾ يستندُ إلى سندٍ مَا﴿إنْ هُم إلا يخرصُونَ﴾ يتمحَّلُونَ تمحُّلًا باطلًا وقد جُوِّزَ أنْ يُشارَ بذلكَ إلى أصلِ[9] الدعوى كأنَّه لما أظهرَ وجوه فسادِها وحكى شُبهَهم المزيفةَ نَفَى أن يكونَ لهم بها علمٌ مِن طريقِ العقلِ ثم أضربَ عنه إلى إبطالِ أن يكونَ لهم سندٌ من جهةِ النقلِ فقيلَ:

﴿أم آتيناهُم كتابًا من قبلِه﴾ من قبلِ القُرآنِ أو من قبلِ ادعائِهم ينطقُ بصحةِ ما يدَّعُونَهُ ﴿فهم بهِ﴾ بذلكَ الكتابِ ﴿مستمسكونَ﴾ وعليهِ معوّلونَ[10] ﴿بل قالُوا إنا وجدنا آباءَنا على أمةٍ وإنا على أثارِهم مهتدونَ﴾ أي لم يأتُوا بحجةٍ عقليةٍ أو نقليةٍ بل اعترفُوا بألا سندَ[11] لهم سوى تقليدِ آبائِهم الجهلةِ مثلِهِمْ والأمةُ الدينُ والطريقةُ التي تُؤم أي تُقصدُ كالرُّحلةِ لما يُرحلُ إليهِ. وقرئَ[12] إمةٍ بالكسرِ، وهي الحالةُ التي يكونُ عليها الآمُّ أي القاصدُ. وقولُه تعالى على آثارِهم مهتدونَ خبرُ إنَّ والظرفُ صلةٌ لمهتدونَ ﴿وكذلكَ﴾ أي والأمرُ كما ذُكِرَ منْ عجزِهم عن الحجةِ [وتشبّثهم بذيلِ][13] التقليدِ.

وقولُه تعالَى ﴿ما أرسلنَا من قبلكَ في قريةٍ من نذيرٍ إلا قالَ مُترفُوها إنَّا وجدنَا آباءَنا

---

(١) في خ: ما.
(٢) زاد في خ: لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئته تعالى.
(٣) في خ: اعترافه. (٤) في خ: ينهض. (٥) سقط في خ.
(٦) في خ: التمكنات. (٧) في خ: ما. (٨) في خ: مطلق.
(٩) في خ: وجه. (١٠) في خ: يتولون. (١١) في خ: مسند.
(١٢) قرأ بها: عمر بن عبد العزيز، ومجاهد، وقتادة، والجحدري.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٨٥)، والبحر المحيط (٨/ ١١)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٨٩)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٣٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٦).
(١٣) في خ: ونسبتهم بدليل.

على أمةٍ وإنَّا على آثارِهم مقتدونَ﴾ استئنافٌ مبينٌ لذلكَ دالٌّ على أنَّ التقليدَ دالٌّ على أنَّ التقليدَ فيما بينَهم ضلالٌ قديمٌ ليسَ لأسلافِهم أيضًا سندٌ غيرُه، وتخصيصُ المُترفينَ بتلكَ المقالةِ للإيذانِ بأن التنعمَ وحبَّ البطالةِ هو الذي صَرَفَهُم عن النظرِ إلى التقليدِ **﴿قالَ﴾** حكايةٌ لما جَرى بين المنذرينَ وبينَ أُممهم عندَ تعللهم بتقليدِ آبائِهم، أي قالَ كلُّ نذيرٍ من أولئكَ المنذرينَ لأممِهم **﴿أوَلو جئتُكُم﴾** أي أتقتدونَ بآبائِكم ولو جئتُكم **﴿بأهْدى﴾** بدينٍ أهدَى **﴿مما وجدتُم عليه آباءكم﴾** من الضلالةِ التي ليستْ من الهدايةِ في شيءٍ وإنما عبر عنها بذلكَ مجاراةً معهم على مسلكِ الإنصافِ وقرئ[1] على[2] أنَّه حكايةُ أمرٍ ماضٍ أُوحيَ حينئذٍ إلى كلِّ نذيرٍ لا على أنَّه خطابٌ للرسولِ ﷺ كما قيل، لقولِه تعالى: **﴿قالُوا إنَّا بما أُرسلتُم به كافرونَ﴾** فإنَّه حكايةٌ عن الأممِ قطعًا أيْ قالتْ كلُّ أمةٍ لنذيرِها إنَّا بَما أرسلتَ بهِ إلخ وقد أجملَ عندَ الحكايةِ للإنجازِ كما مرَّ في قولِه تعالى: ﴿يا أيُّها الرسلُ كُلوا من الطيباتِ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٥١] وجعلُه[3] حكايةً عن قومِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بحملِ صيغةِ الجمعِ على تغليبِه على سائرِ المنذرينَ عليهم السَّلامُ، وتوجيُه كفرِهم إلى مَا أرسلَ به الكُلُّ من التوحيدِ لإجماعِهم عليهِ كما في نظائرِ قولِه تعالى: ﴿كذبتْ عادٌ المرسلينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٢٣] تمحُّلٌ بعيدٌ يردُّه بالكلِّيةِ قولُه تعالى **﴿فانتقمنَا منهم﴾** أي بالاستئصالِ **﴿فانظُر كيفَ كانَ عاقبة المكذبينَ﴾** من الأممِ المذكورينَ فلا تكترثْ بتكذيبِ قومِكَ.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويزيد بن القعقاع، وخلف، ويعقوب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٨٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٨/ ١١)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٨٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٧).

(٢) في خ: قل على. (٣) في خ: وجعل.

نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وإذ قالَ إبراهيمُ﴾ أي واذكُرْ لهم وقتَ قولِه[1] عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ **﴿لأبيهِ وقومِه﴾** المُكبِّينَ على التقليدِ كيفَ تبرأَ ممَّا هم فيهِ بقولِه **﴿إنني براءٌ ممَّا تعبدون﴾** وتمسكَ بالبرهانِ ليسلكُوا مسلكَهُ في الاستدلالِ أو ليقلدوه إن لم يكُن لهم بدٌّ من التقليدِ فإنه أشرفُ آبائِهم وبَراءٌ مصدرٌ نُعتَ به مبالغةً ولذلكَ يستوِي فيه الواحدُ والمتعددُ والمذكرُ والمؤنثُ. وقرئَ[2] بَرِيءٌ (وبُرَاءٌ)[3] بضمِّ الباءِ ككريمٍ وكرامٍ ومَا إمَّا مصدريةٌ أو موصولةٌ حذفَ عائدُها أيْ إنني بريءٌ من عبادتِكم أو معبودِكم.

﴿إلا الذي فطرني﴾ استثناءٌ منقطعٌ أو متصلٌ على أنَّ مَا تعمُّ أولي العلم وغيرهم وأنَّهم كانُوا يعبدونَ اللهَ والأصنامَ أو صفةٌ على أن مَا موصوفةٌ أي إنني براءٌ من آلهةٍ

(١) في خ: قول إبراهيم.

(٢) قرأ بها: المطوعي، وابن مسعود.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٨٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٨/ ١١)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٣٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٣٠).

(٣) قرأ بها: نافع، وابن المناذري، وأبو جعفر، والزعفراني.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٤).

تعبدونَها غيرَ الذي فَطَرني ﴿فإنَّه سيهدينِ﴾ أي سيثبتنِي على الهدايةِ أو سيهدينِ إلى ما وراءَ الذي هَدَاني إليهِ إلى الآنَ والأوجهُ أنَّ السينَ للتأكيدِ دونَ التسويفِ، وصيغةُ المضارعِ للدلالةِ على الاستمرارِ ﴿وجعلَها﴾ أي جعلَ إبراهيمُ كلمةَ التوحيدِ التي ما تكلمَ به عبارةٌ عنْهَا ﴿كلمةً باقيةً في عقبِه﴾ أي في ذريتِه حيثُ وصَّاهُم بها كما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿ووصَّى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٣٢] الآيةَ فلا يزالُ فيهم مَن يوحدُ الله تعالى ويدعُو إلى توحيدِه. وقرئ[1] كِلْمةً و(في عقْبِهِ)[2] على التخفيفِ ﴿لعلَّهم يرجعونَ﴾ علةٌ للجعلِ أي جعلَها باقةً في عقبِهِ رجاءَ أنْ يرجعَ إليها من أشركَ منهم بدعاءِ الموحدِ ﴿بل متعتُ هؤلاءِ﴾ إضرابٌ عن محذوفٍ ينساقُ إليهِ الكلامُ كأنَّه قيلَ: جعلَها كلمةً باقيةً في عقبِهِ بأنْ وصَّى بها بنيهِ رجاءَ أنْ يرجعَ إليها مَنْ أشركَ منهم بدعاءِ الموحدِ فلم يحصل ما رجاهُ بل متعتُ [منهم][3] هؤلاءِ المعاصرينَ للرسولِ ﷺ من أهلِ مكةَ [﴿وآباءَهُم﴾ بالمدِّ في العمرِ والنعمةِ فاغترُّوا بالمهلةِ وانهمكُوا في الشهواتِ وشُغلوا بها عنْ كلمةِ التوحيدِ][4]. ﴿حتَّى جاءهُم﴾ أي هؤلاءِ.

﴿الحقُّ﴾ أي القرآنُ ﴿ورسولٌ﴾ أيُّ [رسولٍ][5] ﴿مبينٌ﴾ ظاهرُ الرسالةِ واضحُها بالمعجزاتِ الباهرةِ، أو مبينٌ للتوحيدِ بالآياتِ البيناتِ والحججِ. وقرئ[6] متَّعنَا و(متَّعتَ)[7] بالخطابِ على إنَّه تعالى اعترضَ به على[8] ذاتِه في[9] قولِه تعالى: ﴿وجعلَها كلمةً باقيةً﴾ [سورة الزخرف، الآية ٢٨] إلخ مبالغةً في تعييرِهم، فإنَّ التمتعَ بزيادةِ النعمِ يوجبُ عليهم أنْ يجعلُوه سببًا لزيادةِ الشكرِ والثباتِ على التوحيدِ والإيمانِ فجعلَه سببًا لزيادةِ الكُفرانِ أقصى مراتبِ الكفرِ والضلالِ.

﴿ولما جاءُهم الحقُّ﴾ [لينبههَمُ عمَّا][10] هم فيهِ من الغفلةِ ويرشدَهُم إلى التوحيدِ ازدادُوا كفرًا وعَتَوا وضمُّوا إلى كفرِهم السابقِ معاندةَ الحقِّ والاستهانةَ بِهِ حيثُ ﴿قالُوا هذا سحرٌ وإنا بِهِ كافرونَ﴾ فسمَّوا القرآنَ سِحْرًا، وكفُروا بِهِ واستحقرُوا الرسولَ ﷺ.

---

(١) قرأ بها: حميد بن قيس، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٤، ٤٨٥).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٥).
(٣) سقط في خ. (٤) سقط في خ. (٥) سقط في خ.
(٦) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٥).
(٧) قرأ بها: نافع، ويعقوب، وقتادة، والأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٥)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٠٨).
(٨) في خ: في. (٩) في خ: على. (١٠) في خ: بين لهم ما.

﴿وقالُوا لَوْلاَ نُزلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتينِ﴾ أي من إحْدَى القريتينِ مكةَ والطائفِ على نهجِ قولِه تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [سورة الرحمٰن، الآية ٢٢] ﴿عظيم﴾(١) [أي](٢) بالجاهِ والمالِ كالوليدِ بنِ المغيرةَ المخزوميِّ وعروةَ بنِ مسعودٍ الثقفيِّ وقيلَ: حبيبُ بنُ عُمرَ بنِ عميرٍ الثقفيَّ. وعن مجاهدٍ عتبةُ بنُ ربيعةَ وكنانةُ بنُ عبدِ ياليلَ(٣) ولم يتفوهُوا بهذهِ العظيمةِ حَسَدًا على نزولِه إلى الرسولِ ﷺ دونَ مَنْ ذُكر من عظمائِهم مع اعترافِهم بقرآنيتِه بل استدلالًا على عدمِها بمَعْنى أنَّه لو كانَ قرآنا لنزلَ إلى [أحدِ هؤلاءِ](٤) بناءً على ما زعمُوا من أنَّ الرسالةَ منصبٌ جليلٌ لا يليقُ بهِ إلا مَنْ له جلالةٌ من حيثُ المالُ والجاهُ ولم يدرُوا أنَّها رتبةٌ روحانيةٌ لا يترقَّى(٥) إليها إلا همَمُ الخواصِّ المختصينَ بالنفوسِ الزكيةِ المؤيدينَ بالقوةِ القدسيةِ المتجلينَ بالفضائلِ الأنسيةِ، وأما المتزخرفونَ(٦) بالزخارفِ الدنيويةِ المتمتعونَ(٧) بالحظوظِ(٨) فهُم من استحقاقِ تلكَ الرتبةِ بألفِ منزلٍ.

وقولُه تعالى ﴿أهم يقسمون رحمةَ ربِّك﴾ إنكارٌ فيهِ تجهيلٌ لهم وتعجيبٌ من تحكمِهم والمرادُ بالرحمةِ النبوةُ ﴿نحنُ قسمنا بينَهُم معيشتَهُم﴾ أي أسبابَ معيشتِهم ﴿في الحياةِ الدُّنيا﴾ قسمةً تقتضيها مشيئتُنا المبنيةُ على الحِكَمِ والمصالحِ ولم نفوضْ أمرَها إليهم علمًا منا بعجزِهم عن تدبيرِها بالكُلِّيةِ ﴿ورفعَنا بعضَهُم فوقَ بعضٍ﴾ في الرزقِ وسائرِ مبادِي المعاشِ ﴿درجاتٍ﴾ متفاوتة بحسبِ القُربِ والبُعدِ حسبَما تقتضيهِ الحكمةُ فمنْ ضعيفٍ وقويٍّ وفقيرٍ وغنيٍّ وخادمٍ ومخدومٍ وحاكمٍ ومحكومٍ ﴿ليتخذَ بعضُهم بعضًا سُخْريًّا﴾ ليُصرِّفَ بعضُهم بعضًا في مصالحِهم ويستخدمُوهم في مهمتِهم ويتسخرُوهم في أشغالِهم حتَّى يتعايشُوا ويترافدُوا ويصلُوا إلى مرافقِهم لا لكمالٍ في المُوسعِ ولا لنقصٍ في المُقترِ، ولو فوَّضنا ذلكَ إلى تدبيرِ خُويِّصةِ أمرِهم وما يُصلِحُهم من متاعِ الدُّنيا الدنيئةِ وهو طرفِ التّمام على هذه الحالةِ فما ظنُّهم بأنفسِهم في تدبيرِ أمرِ الدِّينِ وهو أبعدُ من مناطِ العَيُّوقِ ومنْ أينَ لهُم البحثُ عن أمرِ النبوةِ والتخيرُ لها مَنْ يصلُح لَها ويقومُ بأمرِها.

﴿ورحمةُ ربِّك﴾ أي النبوةُ وما يتبعُها من سعادةِ الدارينِ ﴿خيرٌ ممَّا يجمعونَ﴾ من حُطامِ الدُّنيا الدنيئةِ الفانيةِ. وقولِه تعالَى: ﴿ولولا أنْ يكونَ النَّاسُ أمةً واحدةً﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) رقم (٣٠٨٣١، ٣٠٨٣٢) عن قتادة.
(٢) سقط في خ.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) رقم (٣٠٨٣٠) عن مجاهد.
(٤) في خ: أحدهما. (٥) في خ: يرتقي. (٦) في خ: المزخرفون.
(٧) في خ: المستمتعون. (٨) زاد في خ: الدينية.

استئنافٌ مبينٌ لحقارةِ متاعِ الدُّنيا ودناءةِ قدرِهِ عندَ الله عزَّ وجلَّ، والمَعْنى أنَّ حقارةَ شأنِه بحيثُ لولا أنْ يرغبَ النَّاسُ لحبِّهم الدُّنيا في الكفرِ إذا رأَوا أهلَهُ في سَعةٍ وتنعم فيجتمعُوا عليه لأعطيناهُ بحذافيرِه من هو شرُّ الخلائقِ وأدناهُم منزلةً وذلكَ قولُه تعالى: ﴿**لجعلَنا لِمنْ يكفرُ بالرحمنِ لبيوتِهم سُقُفًا من فضةٍ**﴾ أي متخَذةً منها، ولبيوتِهم بدلُ اشتمالٍ منْ لِمَنْ. وجمعُ الضميرِ باعتبارِ مَعْنى مَنْ كَما أنَّ إفرادَ المستكنِّ في يكفرُ باعتبارِ لفظِها. والسُّقُفُ جمعُ سَقْفٍ كرُهُنٍ جمعُ رَهْنٍ، وعن الفرَّاءِ أنَّه جمعُ سقيفةٍ كسفنٍ وسَفينةٍ. وقرئَ[١] سُقْفًا بسكونِ القافِ تخفيفًا، و(سَقْفًا)[٢] اكتفاءً بجمعِ البيوتِ، وسَقَفًا[٣] كأنَّه لغةٌ في سقفٍ وسقوفًا ﴿**ومعارجَ**﴾ أي جعلَنا لهم معارجَ من فضةٍ أي مصاعدَ جمعُ معرَجٍ وقرئَ[٤] معاريَج جمع معراج ﴿**عليها يظهرونَ**﴾ أي يعلُون[٥] السطوحَ والعلاليَ ﴿**ولبيوتِهم**﴾ أي وجعلنَا لبيوتِهم ﴿**أبوابًا وسُررًا**﴾ من فضةٍ ﴿**عليها**﴾ أي على السررِ ﴿**يتكئونَ**﴾ ولعل تكريرَ ذكرِ بيوتهم لزيادةِ التقريرِ.

﴿**وزُخرُفًا**﴾ أي زينةً عطفٌ على سُقُفًا أو ذهبًا عطفٌ على محلِّ من فضةٍ. ﴿**وإنْ كلُّ ذلكَ لمَّا متاعُ الحياةِ الدُّنيا**﴾ أيْ وما كُلُّ ما ذُكِرَ من البيوتِ الموصوفةِ بالصفاتِ المفصَّلةِ إلا شيءٌ يتمتعُ بِهِ في الحياةِ الدُّنيا. وفي معناهُ ما قُرِئَ[٦]: «ومَا كلُّ ذلكَ إلا متاعُ الحياةِ الدُّنيا» وقرئَ[٧] بتخفيفِ مَا عَلى أنَّ أنْ هيَ المخففةُ، واللامُ هيَ الفارقةُ.

وقرئَ[٨] بكسرِ اللامِ، على أنَّها لامُ العلةِ ومَا موصولةٌ قد حُذفَ عائدُها أي للذي

---

(١) قرأ بها: أبو رجاء، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والحسن، وابن محيصن، وشبل، وحميد، ومجاهد. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ٨٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ١٩٣)، والتيسير للداني ص (١٩٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٨).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧).

(٤) قرأ بها: طلحة بن مصرف، وأبو رجاء، والعطاردي. ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٨٥)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢١١).

(٥) في خ: يعملون.

(٦) قرأ بها: أبي، ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢١١).

(٧) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وهشام، وخلف، ويعقوب، وأبو جعفر. ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٨٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٢١)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٤٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٦)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٧٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩١).

(٨) قرأ بها: أبو رجاء، وأبو حيوة. ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٨٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٥٥).

هُو متاعُ إلخ كما في قولِه تعالى: ﴿تمامًا على الذي أحسنَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٥٤] ﴿والآخرةُ﴾ بما فيها من فنونِ النعم التي يقصُر عنها البيانُ. ﴿عندَ ربِّكَ للمتقينَ﴾ أي عنِ الكفرِ والمعاصِي، وبهذا تبينَ أنَّ العظيمَ هو العظيمُ في الآخرةِ لا في الدُّنيا ﴿ومَنْ يعشُ﴾ أيْ يتعامَ ﴿عنْ ذكرِ الرحمنِ﴾ وهو القرآنُ. وإضافتُه إلى اسم الرَّحمنِ للإيذانِ بنزولِه رحمةً للعالمينَ. وقرئَ[1] يعشَ بالفتحِ، أي يعمَ يقالُ عَشَى يعْشَى إذا كانَ في بصرِه آفةٌ وعشَا يعشُو إذا تَعشَّى بلا آفةٍ كعَرَجٍ وعَرُج. وقرئَ[2] يعشُو على أنَّ منْ موصولةٌ مضمنة[3] مَعْنى الشرطِ، والمَعْنى ومَنْ يُعرضْ عنه لفرطِ اشتغالِه بزهرةِ الحياة الدُّنيا وانهماكِه في حظوظِها الفانيةِ والشهواتِ.

﴿نقيضْ لهُ شيطانًا فهُو له قرينٌ﴾ لا يفارقُه ولا يزالُ يوسوسُه ويُغويهِ. وقُرِئَ يُقيضْ بالياءِ، على إسناده إلى ضميرِ الرحمنِ، ومَنْ رفعَ يعشُو فحقُّه أنْ يرفعَ يقيضْ. ﴿وإنَّهم﴾ أي الشياطينَ الذين قُيضَ كلٌّ واحدٍ منهم لكلِّ واحدٍ مِمَّن يعشُو ﴿ليصدونُهم﴾ أي قرناءَهُم فمدارُ جمعِ الضميرينِ باعتبارِ مَعْنى مَنْ كَما أنَّ مدارَ إفرادِ الضمائرِ السابقةِ اعتبارُ لفظِها. ﴿عنِ السبيلِ﴾ المستبينِ الذي يدعُو إليه القرآنُ ﴿ويحسبونَ﴾ أي العاشُونَ ﴿أنهم﴾ أي الشياطينَ ﴿مهتدونَ﴾ أي إلى السبيلِ المستقيم وإلا لما اتبعوهُم أو يحسبونَ أنَّ أنفسَهُم مهتدونَ لأنَّ اعتقادَ كونِ الشياطينِ مهتدينَ مستلزمٌ لاعتقادِ كونِهم كذلكَ لاتحادِ مسلكِهما. والجملةُ حالٌ من مفعولِ يصدونَ بتقديرِ المبتدأِ أو من فاعلِه أو منهُمَا لاشتمالِها على ضميريهما أيْ وأنَّهم ليصدونُهم عن الطريقِ الحقِّ وهم يحسبونَ أنَّهم مهتدون إليهِ. وصيغةُ المضارعِ في الأفعالِ الأربعةِ للدلالةِ على الاستمرار التجدديِّ لقوله تعالى:

﴿حَتىَّ إذا جاءَنا﴾ فإنَّ حتَّى وإنْ كانتْ ابتدائيةً داخلةً على الجملةِ الشرطيةِ لكنَّها تقتضِي حتْمًا أن تكونَ غايةً لأمرٍ ممتدٍّ كما مرَّ مِرارًا. وإفرادُ الضميرِ في جاءَ وما بعَدُه لما أنَّ المرادَ حكايةُ مقالة كلٍّ واحدٍ واحدٍ من العاشينَ[4] لقرينه لتهويلِ الأمرِ وتفظيعِ الحالِ والمَعْنى يستمرُّ العاشونَ على ما ذُكِرَ منْ مقارنةِ الشياطينِ والصدِّ والحُسبانِ الباطلِ حتَّى إذا جاءَنا كلٌّ واحدٍ منهُم مع قرينِه يومَ القيامةِ ﴿قالَ﴾ مُخاطبًا له ﴿يا ليتَ

---

(١) قرأ بها: يحيى بن سلام البصري، وعكرمة، وابن عباس.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٦)، تفسير الطبري (٢٥/ ٤٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٨٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٣٢)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢١٢).

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٨).

(٣) في خ: متضمنة.

(٤) في خ: الغاشون.

بيني وبينكَ﴾ في الدُّنيا ﴿**بعدَ المشرقينِ**﴾ أي بعدَ المشرقِ والمغربِ أي تباعُدَ كلٍّ منهما عن الآخرِ فغلَّبَ المشرقَ وثنَّى، وأُضيفَ البُعد إليهما ﴿**فبئسَ القرينُ**﴾ أيْ أنتَ وقولُه تعالى: ﴿**ولن ينفعَكُم**﴾ إلخ حكايةٌ لما سيقالُ لهم حينئذٍ من جهةِ الله عزَّ وجلَّ توبيخًا وتقريعًا أي لنْ ينفعَكُم. ﴿**اليومَ**﴾ أي يومَ القيامةِ تمنّيكُم لمباعدتِهم.

﴿**إذْ ظلمتُم**﴾ أي لأجلِ ظلمِكم أنفسَكم في الدُّنيا باتِّباعِكم إيَّاهُم في الكُفرِ والمَعَاصِي، وقيلَ: إذْ ظلمتُم بدلٌ منَ اليومَ أي إذْ تبينَ عندكُم وعندَ النَّاسِ جميعًا أَنكُم ظلمتُم أنفسَكُم في الدُّنيا وعليهِ قولُ منْ قالَ: [الطويل]

إذَا مَا انتسبنَا لم تلدنِي لئيمةٌ ....[1]

أي تبينَ أنِّي لم تلدنِي لئيمةٌ بلْ كريمةٌ وقولُه تعالَى: ﴿**أنكُم في العذاب مشتركونَ**﴾ تعليلٌ لنفِي النفعِ أي لأنَّ حقكُم أنْ تشتركُوا أنتُم وقرناؤُكم في العذابِ كما كنتُم مشتركينَ في سببه في الدُّنيا، ويجوزُ أنْ يُسندَ الفعلُ إليهِ لكن لا بمعنى لنْ ينفعَكم اشتراكُكم في العذابِ كما ينفعُ الواقعين في شدائدِ الدُّنيا اشتراكُهم فيها لتعاونِهم في تحملِ أعبائِها وتقسّمِهم لعنائِها لأنَّ لكلٍّ منُهم ما لا تبلغُه طاقتُه كما قيلَ لأنَّ الانتفاعَ بذلكَ الوجهِ ليسَ مما يخطرُ ببالِهم حتى يردَّ عليهم بنفيهِ بل بمَعْنى لن يحصل لكم التشفِّي بكونِ قرنائِكم معذبينَ مثلَكم حيثُ كنتُم تدعونَ عليهم بقولِكم: ﴿ربَّنا آتِهم ضعفينِ من العذابِ والعنُهم لعنًا كبيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية ٦٨] وقولِكم: ﴿فآتِهم عذابًا ضعفًا من النارِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٣٨] ونظائرِهما لتتشفَوا بذلكَ. كانَ رسولُ الله ﷺ يبالغُ في المجاهدةِ في دعاءِ قومهِ وهُم لا يزيدونَ إلا غيا وتعاميًا عمَّا يشاهدونَهُ من شواهدِ النبوةِ وتصامًّا عما يسمعونَهُ من بيناتِ القُرآنِ فنزلَ.

﴿**أفأنتَ تُسمع الصمَّ أو تَهدي العُميَ**﴾ وهو إنكارُ تعجيبٍ مِنْ أنْ يكونَ هُو الذي يقدرُ على هدايتِهم وهم قد تمرَّنُوا في الكفرِ واستغرقُوا في الضَّلالِ بحيثُ صارَ ما بهم من العَشَى عميً مقرونًا بالصمم. ﴿**ومَنْ كانَ في ضلالٍ مبينٍ**﴾ عطفٌ على العُمي باعتبارِ تغايرِ الوصفينِ، ومدارُ الإنكارِ هو التمكنُ والاستقرارُ في الضلالِ المفرطِ بحيثُ لا ارعواءَ له منه لا توهُم القصورِ من قِبل الهادِي ففيهِ رمزٌ إلى أنَّه لا يقدرُ على ذلكَ إلا الله تعالَى وحدَهُ بالقسرِ والإلجاءِ. ﴿**فإمَّا نذهبنَّ بكَ**﴾ أي فإنْ قبضناكَ قبلَ أنْ نُبصِّرك عذابَهم ونشفيَ بذلكَ صدركَ وصدورَ المؤمنينَ ﴿**فإنَّا منهُم منتقمونَ**﴾ لا محالةَ في الدُّنيا والآخرةِ. فَما مزيدةٌ للتأكيدِ بمنزلةِ لام القسمِ في أنَّها لا تفارقُ النونَ

---

(١) تقدم.

المؤكدةَ ﴿أو نُرينَّكَ الذي وعدناهُم﴾ أيْ أو أردنا أنْ نُريكَ العذابَ الذي وعدناهُم ﴿فإنَّا عليهم مقتدرونَ﴾ بحيثُ لا مناصَ لهُم من تحتِ ملَكتِنا وقهرِنا، ولقد أراهُ عليه السَّلامُ ذلكَ يومَ بدرٍ ﴿فاستمسكْ بالذي أُوحيَ إليكَ﴾ من الآياتِ والشرائعِ سواءٌ عجَّلنا لكَ الموعودَ أو أخرنَاهُ إلى يومِ الآخرةِ.

وقرئ[1] أَوْحَى على البناءِ للفاعلِ، وهو الله عزَّ وجلَّ. ﴿إنَّك على صراطٍ مستقيمٍ﴾ تعليلٌ للاستمساكِ أو للأمرِ بهِ ﴿وإنَّه لذكرٌ﴾ لشرفٌ عظيمٌ ﴿لكَ ولقومِك وسوفَ تُسألونَ﴾ يومَ القيامةِ عنْهُ وعنْ قيامِكم بحقوقِه. ﴿واسألْ منْ أرسلَنا من قبلكَ من رُسلنا﴾ أي واسألْ أممَهم وعلماءَ دينِهم كقولِه تعالى: ﴿فأسألِ الذينَ يقرءوَنَ الكتابَ من قبلك﴾ [سورة يونس، الآية ٩٤] وفائدةُ هَذا المجازِ التنبيهُ على أنَّ المسئولَ عنه عينُ ما نطقتْ به ألسنةُ الرسلِ لا ما يقولُه أممُهم وعلماؤُهم من تلقاءِ أنفسِهم.

قالَ الفَرَّاءُ: هُم إنما يخبرونَهُ عن كتبِ الرسلِ فإذا سألَهم فكأنَّه سألَ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿أجعلنَا من دونِ الرحمنِ آلهةً يُعبدون﴾ أي هلَ حكمنَا بعبادةِ الأوثانِ وهل جاءتْ في ملةٍ من مللِهم، والمرادُ به الاستشهادُ بإجماعِ الأنبياءِ على التوحيدِ، والتنبيهُ على أنَّه ليسَ بِبدْعٍ ابتدعَهُ حتى يكذَّبَ ويُعادَى.

﴿ولقد أرسلَنا مُوسَى بآياتِنا﴾ ملتبسًا بَها ﴿إلى فرعونَ وملئه فقالَ إنِّي رسولُ ربِّ العالمينَ﴾ أريدَ باقتصاصِه تسليةُ رسولِ الله ﷺ والاستشهادُ بدعوةِ مُوسى عليهِ السَّلامُ إلى التوحيدِ إثرَ ما أُشيرَ إلى إجماعِ جميعِ الرُّسلِ عليهم السَّلامُ عليهِ. ﴿فلمَّا جَاءهُم بآياتِنا إذَا هُم منها يضحكُون﴾ أي فاجَئوا وقتَ ضحكِهم منها أي استهزءوا بها أولَ ما رأَوها ولم يتأملُوا فيَها. ﴿وما نُريهم من آيةٍ﴾ من الآياتِ ﴿إلَّا هيَ أكبرُ من أختِها﴾ إلا وهيَ بالغةٌ أَقصَى مراتبِ الإعجازِ بحيثُ يحسبُ كلُّ منْ ينظرُ إليها أنها أكبرُ من كلِّ ما يقاسُ بها من الآياتِ، والمرادُ وصفُ الكلِّ بغايةِ الكِبَرِ من غيرِ ملاحظةِ قصورٍ في شيءٍ منَها أو إلاَّ وهي مختصَّةٌ بضربٍ من الإعجازِ مفضلةٌ بذلكَ الاعتبارِ على غيرِها ﴿وأخذناهُم بالعذابِ﴾ كالسنينَ والطوفانِ والجرادِ وغيرِها. ﴿لعلَّهم يرجعونَ﴾ لكيْ يرجعُوا عمَّا هُم عليهِ من الكفرِ. ﴿وقالُوا يا أيُّها الساحرُ﴾ نادَوُه بذلكَ في مثلِ تلكَ الحالةِ لغايةِ عُتوِّهم ونهايةِ حماقتِهم، وقيلَ كانُوا يقولونَ للعالمِ الماهرِ ساحرٌ لاستعظامِهم علمَ السحرِ. وقرئ[2] أيهُ الساحرُ بضمِّ الهاءِ. ﴿ادعُ

---

(١) قرأ بها: الضحاك، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٨) الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٠).

(٢) قرأ بها: ابن عامر، ويحيى بن وثاب، وأبو حيوة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٩٣)، والتيسير للداني (١٦١، =

لنَا ربّك﴾ ليكشفَ عنَّا العذابَ ﴿بما عَهِدَ عندكَ﴾ بعهدِه عندكَ من النبوةِ أو استجابةِ دعوتِكَ أو من كشفِ العذابِ عمَّن اهتدَى أو بما عَهِدَ عندكَ فوفيتَ به منَ الإيمانِ والطاعةِ ﴿إنّنا لمهتدونَ﴾ أي لمؤمنونَ على تقديرِ كشفِ العذابِ عنَّا بدعوتِك كقولِهم: ﴿لئِن كشفتَ عنَّا الرجزَ لنؤمنن لكَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٣٤] ﴿فلما كشفَنا عنهم العذابَ﴾ بدعوتِه ﴿إذا هُم ينكثونَ﴾ فاجئوا وقتَ نكثِ عهدِهم بالاهتداءِ وقد مرَّ تفصيلُه في الأعرافِ.

﴿ونادَى فرعونُ﴾ بنفسِه أو بمناديه ﴿في قومِه﴾ في مجمعِهم وفيما بينَهم بعد أنْ كشفَ العذابَ عنْهم مخافةَ أنْ يُؤمنوا ﴿قالَ يا قوم أليسَ لي ملكُ مصرَ وهذهِ الأنهارُ﴾ أنهارُ النيلِ ومعظمُها أربعةُ أنهرٍ: الملكُ [ونهرُ][1] طولونَ ونهرُ دمياطٍ ونهرُ تنيسَ ﴿تجري مِنْ تحتي﴾ أي منْ تحتِ قَصرِي أو أمرِي وقيلَ: من تحتِ سريرِي لارتفاعِه، وقيلَ: بين يديَّ في جنانِي وبساتِيني. والواوُ إمَّا عاطفةٌ لهذهِ الأنهارِ على مُلكِ مصرَ فتجري حالٌ منها أو للحالِ فهذهِ مبتدأٌ والأنهارُ صفتُها وتجري خبرٌ للمبتدأِ ﴿أفلا تُبصرونَ﴾ ذلكَ يريدُ به استعظامَ مُلكِه.

﴿أمْ أنَا خيرٌ﴾ معَ هذه المملكةِ والبسطةِ ﴿منْ هذا الذي هُو مهينٌ﴾ ضعيفٌ حقيرٌ من المهانةِ، وهي القلةُ. ﴿ولا يكادُ يُبينُ﴾ أي الكلامَ قالَه افتراءً عليهِ عليه السَّلامُ تنقيصًا له عليهِ السَّلامُ في أعينِ النَّاسِ باعتبارِ ما كانَ في لسانِه عليهِ السَّلامُ من نوعِ رتةٍ وقد كانتْ ذهبتْ عنْهُ لقولِه تعالى: ﴿قد أوتيتَ سُؤلَكَ﴾ [سورة طٰه، الآية ٣٦] وأمْ إمَّا منقطعةٌ والهمزةُ للتقريرِ كأنَّه قالَ إثرَ ما عدَّدَ أسبابَ فضلِه ومبادِي خيريتِه أثبتَ عندكُم واستقرَّ لديكُم أنِّي أنَا خيرٌ وهذه حالِي[2] منْ هَذا إلخ وإمَّا متصلةٌ فالمَعْنى أفلاَ تُبصرونَ أمْ تبصرونَ خلا أنه وضعَ قولِه: ﴿أنا خيرٌ﴾ موضعَ تبصرونَ لأنَّهم إذا قالُوا له: أنتَ خيرٌ فهُو عندَهُ بُصَراءُ، وهذا من بابِ تنزيلِ السبب منزلة المسبب، ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبَّب منزلة السبب فإن إبصارِهم لما ذُكرَ من أسبابِ فضله سببٌ على زعمِه لحُكمِهم[3] بخيريتِه.

﴿فلولاَ أُلقيَ عليه أَسْورَةٌ من ذهبٍ﴾ أي فهلاً أُلقي إليهِ مقاليدُ الملكِ إنْ كانَ صادقًا، لما أنَّهم كانُوا إذَا سوَّدُوا رجلًا سوَّرُوه وطوَّقُوه بطوقٍ من ذهبٍ. وأَسورةٌ جمعُ

= ١٦٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٩٧)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٥٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٨).

(١) في خ: نهر. (٢) في خ: حال. (٣) في خ: محكم.

سوارٍ. وقرئ[(١)] أَساورُ جمعُ أسورةٍ، وقرئ[(٢)] أساورةٌ جمعُ أسوارٍ بمعنى السِّوارِ على تعويضِ التاءِ من ياءِ أساويرَ، وقد قرئ[(٣)] كذلكَ، وقرئ[(٤)] عليه أسورةً وأساورَ[(٥)]، على البناءِ للفاعلِ وهُو الله تعالَى: ﴿أو جاءَ معَهُ الملائكةُ مقترنينَ﴾ مقرونينَ يعينونَهُ أو يصدقونَهُ من قرنتُه به فاقترنَ أو متقارنينَ من اقترنَ بمعنى تقارنَ. ﴿فاستخفَّ قومَهُ﴾ فاستفزَّهُم وطلبَ منهُم الخفةَ في مطاوعتِه، أو فاستخفَّ أحلامَهُم. ﴿فأطاعُوه﴾ فيما أمرَهُم به ﴿إنَّهم كانُوا قومًا فاسقينَ﴾ فلذلكَ سارعُوا إلى طاعةِ ذلكَ الفاسقِ الغويِّ.

﴿فلما آسفُونَا﴾ أي أغضبونا أشدَّ الغضبِ، منقولٌ منْ أَسِفَ إذا اشتدَّ غضبُه. ﴿انتقمنَا منُهم فأغرقناهُم أجمعينَ﴾ في اليمِّ. ﴿فجعلناهُم سلفًا﴾ قدوةً لمن بعدَهُم من الكُفَّارِ يسلكونَ مسلكَهُم في استيجابِ مثلِ ما حلَّ بهم من العذابِ، وهُو إما مصدرٌ نُعتَ بِهِ أو جمعُ سالفٍ كخَدَم جمعُ خادم. وقرئ[(٦)] بضمِّ السينِ واللامِ، على أنَّه جمعُ سليفٍ أي فريقٍ قد سلفَ كرُغُفٍ أو سَالِفٍ كصُبُرٍ أو سَلَفٍ كأسدٍ. وقرئ[(٧)] سُلَفًا بإبدالِ ضمةِ اللامِ فتحةً أو على أنَّه جمعُ سُلْفةٍ أي ثُلَّةٍ قد سلفتْ. ﴿ومثلًا للآخرينَ﴾ أي عظةً لهم أو قصةً عجيبةً تسيرُ مسيرَ الأمثالِ لَهُم فيقالُ: [مثلُكم][(٨)] مثلُ قوم فرعونَ.

۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وعبد الله، وأبي، والأعمش، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٩٥)، والبحر المحيط (٨/ ٢٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٠٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٣).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن عامر، ويحيى بن وثاب.
ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٠)، والحجة لابن زرعة ص (٦٥١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٧)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٥٠)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٧٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٣٥)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢١٤).

(٣) قرأ بها: أبي، وعبد الله.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٠٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٣).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٣).

(٥) ينظر: السابق (٣/ ٤٩٣).

(٦) قرأ بها: حمزة، والكسائي، والأعمش، ويحيى بن وثاب، وأبو عبد الله الأعرج، وسعيد بن عياض، وطلحة، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٣٨٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٩٥).

(٧) قرأ بها: حميد الأعرج، وعلي، ومجاهد، وابن مسعود، وعلقمة، وأبو وائل النخعي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٤)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٥١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٠٢).

(٨) سقط في خ.

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[أمثلة ضربها الكفار]

﴿**ولمَّا ضُرِبَ ابنُ مريمَ مثلًا**﴾ أي ضربَهُ ابنُ الزِّبَعْرَى حينَ جادلَ رسولَ الله ﷺ في قولِه تعالى: ﴿إنكُم وما تعبدونَ من دونِ الله حصبُ جهنمَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية ٩٨] حيثُ قالَ أهذَا لنَا ولآلهتِنا أو لجميعِ الأمم. فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «هو لكُم ولآلهتِكم ولجميعِ الأممِ». فقالَ اللعينُ: خصمتُكَ وربِّ لكعبةِ، أليسَ[1] النَّصارى يعبُدونَ المسيحَ واليهودَ عزيرًا وبنوُ مُلَيحِ الملائكةَ فإنْ كانَ هؤلاءِ في النَّارِ فقد رضينا أن نكونَ نحنُ وآلهتُنا معهُم. ففرِحَ به قومُه وضحِكُوا وارتفعتْ

---

(١) في خ: أليست.

أصواتُهم[١]. وذلكَ قولُه تعالى ﴿إذَا قومُكَ منْهُ﴾ أي منْ ذلكَ المثلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾ أي يرتفعُ[٢] لهم جلبةٌ وضجيجٌ فرحًا وجذلًا. وقرئ[٣] يَصُدُّونَ أيْ من أجلِ ذلكَ المثلِ يُعرضُونَ عنِ الحقِّ أي يثبُتونَ على ما كانُوا عليهِ من الإعراضِ أو يزدادونَ فيهِ.

وقيلَ: هو أيضًا من الصديدِ، وهما لغتانِ فيه نحوُ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ وهو الأنسبُ بمَعْنى المفاجأةِ. ﴿وقالُوا أآلهتُنا خيرٌ أمْ هُوَ﴾ حكايةٌ لطرفٍ من المثلِ المضروبِ، قالُوه تمهيدًا لما بَنَوا عليهِ من الباطلِ المُموَّهِ بَما يغترُّ به السُّفهاءُ، أي ظاهرٌ أنَّ عيسَى خيرٌ من آلهتِنا فحيثُ كانَ هُو في النَّارِ فلا بأسَ بكونِنا مع آلهتِنا فيها. واعلمْ أنَّ ما نُقلَ عنهم من الفرحِ ورفعِ الأصواتِ لم يكُن لما قيلَ: من أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ سكتَ عندَ ذلكَ إلى أنْ نزَلَ قولُه تعالى: ﴿إنَّ الذينَ سبقتْ لهُم منَّا الحُسنى﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٢١] الآيةَ. فإنَّ ذلكَ معَ إيهامِه لما يجبُ تنزيه ساحتِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عنْهُ من شائبةِ الإفحامِ من أولِ الأمرِ خلافُ الواقعِ كيفَ لاَ وقد رُويَ أن قولَ ابنِ الزِّبعرَى: خصمتُكَ وربُّ الكعبةِ صدرَ عنْهُ من أولِ الأمرِ عند سماعِ الآيةِ الكريمةِ فرد عليه النبي ﷺ بقوله عليه الصلاة والسلام: ما أجهلك بلغةِ قومِك أما فهمتَ أنَّ مَا لما لا يعقلُ[٤]. وإنَّما لم يخصَّ عليهِ السَّلامُ هذا الحكمَ بآلهتِهم حينَ سألَ الفاجرُ عن الخصوصِ والعمومِ عملًا بما ذُكرَ من اختصاصِ كلمةِ مَا بغيرِ العُقلاءِ لأنَّ إخراجَ بعضِ المعبودينَ عنْهُ عند المحاجَّةِ موهمٌ للرخصةِ في عبادتِه في الجملةِ فعمَّمَهُ عليه السَّلامُ للكلِّ لكنْ لا بطريقِ عبارةِ النصِّ بل بطريقِ الدلالة بجامعِ الاشتراكِ في المعبوديةِ من دونِ الله تعالى، ثمَّ بينَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بقولِه بل هُم عبدُوا الشياطينَ التي أمرتْهُم بذلكَ أن الملائكةَ والمسيحَ بمعزلٍ من أنْ يكونُوا معبوديهم كما نطقَ به قولُه تعالى: ﴿سبحانَك أنتَ ولينا منْ دونِهم بلْ كانُوا يعبدونَ الجنَّ﴾ [سورة سبأ، الآية ٤١] الآيةَ وقد مرَّ تحقيقُ المقام عند قولِه تعالى: ﴿إنَّ الذينَ سبقتْ لهم منَّا الحُسنى﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠١] الآيةَ.

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) في خ: ترتفع.

(٣) قرأ بها: نافع، وابن عامر، والكسائي، وعاصم، وأبو جعفر، وخلف، والحسن، والأعمش، وإبراهيم النخعي، وشيبة، ويحيى بن وثاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبيد بن عمير، والأعرج، وأبو رجاء، والأعشى، والبرجمي، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٦)، والتيسير للداني ص (١٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٨)، والمعاني للأخفش (٢/ ٤٧٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٦١)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٢١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٩).

(٤) تقدم تخريجه.

بلْ إنَّما كانَ ما أظهرُوه من الأحوالِ المنكرةِ لمحضِ وقاحتِهم وتهالُكِهم على المكابرةِ والعنادِ كما ينطقُ به قولُه تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوه لكَ إلا جَدَلًا﴾ أي ما ضَربُوا لكَ ذلكَ المثلَ إلا لأجلِ الجدالِ والخصامِ لا لطلبِ الحقِّ حتَّى يذعنُوا له عندَ ظهورِه ببيانكَ. ﴿بلْ هُم قومٌ خَصِمونَ﴾ أي لُدٌّ شدادُ[1] الخصومةِ مجبولونَ على المحْكِ واللَّجاجِ. وقيلَ: لمَّا سمعُوا قولَه تعالى: ﴿إنَّ مثلَ عيسَى عندَ الله كمثلِ آدمَ خلقَهُ من ترابٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٥٩] قالُوا نحنُ أهدَى من النَّصارى لأنَّهم عبدُوا آدميًا ونحنُ نعبدُ الملائكةَ فنزلتْ، فقولُهم: ﴿أآلهتُنا خيرٌ أمْ هُو﴾ [سورة الزخرف، الآية ٥٨] حينئذٍ تفضيلٌ لآلهتِهم عَلَى عيسَى عليهِ السَّلامُ؛ لأنَّ المرادَ بهم الملائكةُ، ومَعْنى ما ضربُوه إلخ ما قالُوا هذا القولَ إلا للجدلِ، وقيلَ: لمَّا نزلتْ ﴿إنَّ مثلَ عيسَى﴾ [سورة آل عمران، الآية ٥٩] الآيةَ قالُوا ما يريدُ محمدٌ بهذَا إلا أنْ نعبدَهُ وأنه يستأهلُ أنْ يعبدَ وإنْ كانَ بشرًا كما عبدتِ النَّصارى المسيحَ وهو بشرٌ. ومَعْنى يَصِدُّونَ يَضجُّونَ ويضجرونَ. والضميرُ في أمْ هُو لمحمدٍ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، وغرضُهم بالموازنةِ بينَهُ عليهِ السَّلامُ وبين آلهتِهم الاستهزاءُ به، وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ مرادُهم التنصلَ عمَّا أُنكرَ عليهم من قولِهم: الملائكةُ بناتُ الله تعالَى. ومن عبادتِهم لهم كأنَّهم قالُوا ما قُلنا بدعًا[2] من القولِ ولا فعلنَا مُنكرًا من الفعلِ فإنَّ النَّصارَى جعلُوا المسيحَ ابنَ الله وعبدُوه فنحنُ أشفُّ منُهم قولًا وفعلًا حيثُ نسبنَا إليهِ الملائكةَ وهُم نسبُوا إليهِ الأنَاسِيّ.

فقولُه تعالى: ﴿إنْ هُو إلا عبدٌ أنعمنَا عليهِ﴾ أي بالنبوةِ ﴿وجعلناهُ مثلًا لبني إسرائيل﴾ أي أمرًا عجيبًا حقيقًا بأن يسيرَ ذكرُه كالأمثالِ السائرةِ. على الوجهِ الأولِ استئنافٌ مسوقٌ لتنزيههِ عليهِ السَّلامُ عن أنْ يُنسبَ إليه ما نُسبَ إلى الأصنامِ بطريقِ الرمزِ كما نطقَ به صريحًا قولُه تعالى: ﴿إن الذينَ سبقتْ لهم منَّا الحُسنى﴾ [سورة الأنبياء، الآية ١٠١] الآيةَ وفيه تنبيهٌ على بُطلانِ رأي من رفعَهُ عن رُتبةِ العبوديةِ وتعريضٌ بفسادِ رأي مَنْ يَرَى رأيَهم في شأنِ الملائكةِ وعلى الثاني والرابعِ لبيانِ أنَّه قياسُ باطلٍ بباطلٍ أو بأبطلَ على زعمِهم وما عيسَى إلا عبدٌ كسائرِ العبيدِ قُصَارى أمرِه أنَّه ممن أنعمَنا عليهم بالنبوةِ وخصصنَاهُ ببعضِ الخواصِّ البديعةِ بأنْ خلقناهُ بوجهٍ بديعٍ وقد خلقنَا آدمَ بوجهٍ أبدعَ منْهُ فأينَ هُو من رُتبةِ الربوبيةِ، ومن أينَ يتوهمُ صحةُ مذهبِ عبدتِه حتَّى يفتخرَ عبدةُ الملائكةِ بكونِهم أهْدَى منهُم أو يعتذرُوا بأنَّ حالَهم أشفُّ أو أخفُّ من حالِهم، وأمَّا على الوجهِ الثَّالثِ فهو لردِّهم وتكذيبِهم في افترائِهم عَلى

---

(١) في خ: كشديد. (٢) في خ: منكرا.

رسولِ الله ﷺ ببيانِ أنَّ عيسَى في الحقيقةِ وفيما أُوحيَ إلى الرسولِ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ليسَ إلاَّ أنَّه عبدٌ منعمٌ عليهِ كما ذُكِرَ فكيفَ يرضى عليهِ السَّلامُ بمعبوديتِه أو كيفَ يُتوهُم الرضَا بمعبوديةِ نفسهِ.

وقولُه تعالَى: ﴿ولو نشاءُ﴾ إلخ لتحقيقِ أنَّ مثلَ عيسَى عليهِ السلامُ ليسَ ببدعٍ من قدرةِ الله وأنَّه تعالَى قادرٌ على أبدعَ منْ ذلكَ وأبرعَ، مع التنبيهِ على سقوطِ الملائكةِ أيضًا من درجةِ المعبوديةِ أي قدرتُنا بحيثُ لو نشاءُ ﴿لجعلْنا﴾ أي لخلقنَا بطريقِ التوالدِ ﴿منكُم﴾ وأنتمُ رجالٌ ليسَ من شأنِكم الولادةُ ﴿ملائكةً﴾ كما خلقناهُم بطريقِ الإبداعِ ﴿في الأرضِ﴾ مستقرينَ فيها كما جعلناهُم مستقرينَ في السماءِ ﴿يخلفُونَ﴾ أي يخلُفونكُم مثلَ أولادِكم فيمَا تأتونَ وما تذرونَ ويُباشرونَ الأفاعيلَ المنوطةَ بمباشرتِكم مع أنَّ شأنَهُم التسبيحُ والتقديسُ في السماءِ فمَنْ شأنُهم بهذه المثابةِ بالنسبةِ إلى القدرةِ الربانيةِ كيفَ يُتوهمُ استحقاقُهم للمعبوديةِ أو انتسابُهم إليهِ تعالَى عن ذلكَ عُلوا كبيرًا.

﴿وإنَّه﴾ وإنَّ عيسَى ﴿لعِلمٌ للساعةِ﴾ أي إنَّه بنزولِه شرطٌ من أشراطِها، وتسميتُه عِلمًا لحصولِه به أو بحدوثِه بغيرِ أبٍ، أو بإحيائِه المَوْتى دليلٌ على صحةِ البعثِ الذي هو معظمُ ما ينكرهُ الكفرةُ من الأمورِ الواقعة في الساعةِ وقرئ[١] لَعَلَمٌ أي علامةٌ وقُرِئ[٢] لَلْعَلَمُ وقرئ[٣] لذِكرٌ على تسميةِ ما يُذكرُ بهِ ذكرًا كتسميةَ ما يُعلمُ بهِ علمًا.

وفي الحديثِ: «إنَّ عيسَى عليهِ السَّلامُ ينزلُ على ثنيةٍ بالأرضِ المقدسةِ يقالُ لها أفيقُ وعليهِ مُمصَّرتانِ[٤] وبيدِه حَرْبةٌ وبها يقتلُ الدجَّالَ فيأتِي بيتَ المقدسِ، والنَّاسُ في صلاةِ الصُّبح فيتأخرُ الإمامُ فيُقدِّمُهُ[٥] عيسَى عليهِ السَّلامُ [ويُصلِّي خلفَهُ على][٦] شريعةِ محمدٍ ﷺ ثم يقتلُ الخنازيرَ ويكسرُ الصليبَ ويُخرِّبُ البِيعَ والكنائسَ

---

(١) قرأ بها: الأعمش، وابن عباس، وقتادة، وأبو هريرة، وأبو مالك الغفاري، وزيد بن علي، ومجاهد، والضحاك، ومالك بن دينار، والكلبي، والأعمش، وأبو نصرة، وعكرمة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٥٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٥٤).

(٢) قرأ بها: أبو نصرة، وعكرمة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٠٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٢٢).

(٣) قرأ بها: أبي.
ينظر: تفسير الطبري (٢٥/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٢٢).

(٤) الممصَّرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة.

(٥) في خ: فيتقدمه.

(٦) في خ: فيصلي خلف.

ويقتلُ النَّصارَى إلا منْ آمنَ به»[١]. وقيلَ: الضميرُ للقُرآنِ لِما أنَّ فيهِ الإعلامَ بالسَّاعةِ ﴿فلاَ تمترُنَّ بَها﴾ فلا تشكنَّ في وقوعِها ﴿واتبعون﴾ أيْ واتبعُوا هُدايَ أو شَرْعي أو رَسُولي، وقيلَ: هُو قولُ الرسولِ مأمورًا من جهتِه تعالَى ﴿هذا﴾ أي الذي أدعُوكم إليهِ أو القُرآنُ على أنَّ الضميرَ في إنَّه لهُ ﴿صراطٌ مستقيمٌ﴾ موصلٌ إلى الحقِّ ﴿ولا يصُدَّنكُم الشيطانُ﴾ عن اتِّباعِي ﴿إنَّه لكُم عدوٌّ مبينٌ﴾ بيِّنُ العداوةِ حيثُ أخرجَ أباكُم من الجنةِ وعرَّضكُم للبليةِ.

﴿ولمَّا جاءَ عيسَى بالبيناتِ﴾ أي بالمعجزاتِ أو بآياتِ الإنجيلِ أو بالشرائعِ الواضحاتِ ﴿قالَ﴾ لبني إسرائيلَ ﴿قد جئتُكم بالحكمةِ﴾ لأعلِّمَكُم إيَّاها ﴿ولأبيِّنَ لكُم بعضَ الذي تختلفونَ فيهِ﴾ وهُو ما يتعلقُ بأمورِ الدِّينِ[٢]، [وأما ما يتعلقُ بأمورِ][٣] الدُّنيا

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٥٤): غريب بهذا اللفظ وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند وهو مفرق في غضون الأحاديث.
أما: قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ، وهو في تفسير الثعلبي هكذا من غير سند وهو مفرق في الأحاديث.
أ-قوله ثنية أفيق أخرجه أحمد (٤/ ٢١٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٨): كتاب الفتن والملاحم، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٤٩١): كتاب الفتن باب ما ذكر في فتنة الدجال، حديث (٣٧٤٧٨)، وفي كنز العمال (٣٨٨٢٩) وذكره المتقي الهندي. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٤٣) وزاد نسبته إلى الطبراني. قوله: «وعليه ممصرتان».
وأخرجه أبو داود في سننه (٤/ ١١٧): كتاب الملاحم باب خروج الدجال، (٤٣٢٤)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٤٠٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) كتاب التاريخ، وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٢٣٣): كتاب التاريخ باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن، والحوادث، حديث (٦٨٢١).
من حديث أبي هريرة: قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وقوله: «والناس في صلاة الصبح».
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٥٩): كتاب الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، حديث (٤٠٧٧).
وقوله: «فيقتل الخنزير ويكسر الصليب».
وأخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٤١٥): كتاب المظالم: باب كسر الصليب وقتل الخنزير، حديث (٢٤٧٦)، أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٦): كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكما حديث (١٥٥)، وأبو داود في سننه (٤/ ١١٧): كتاب الملاحم: باب خروج الدجال، حديث (٤٣٢٤)، والترمذي في سننه (٤/ ٥٠٦): كتاب الفتن باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، حديث برقم (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٦٣): كتاب الفتن: باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم... حديث (٤٠٧٨)، وأحمد بن حنبل في مسنده (٢/ ٢٤٠)، والحميدي في مسنده (٢/ ٤٦٨)، حديث (١٠٩٧) من حديث أبي هريرة.
(٢) في خ: الدنيا.
(٣) سقط في خ.

فليسَ بيانُه من وظائفِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ كما قالَ عليهِ السَّلامُ: «**أنتمُ أعلمُ بأمورِ دُنياكُم**»[١]. ﴿**فاتَّقُوا اللهَ**﴾ في مُخَالفتِي ﴿**وأطيعونِ**﴾ فيما أبلِّغه عنْهُ تعالى ﴿**إنَّ اللهَ هو ربيِّ وربُّكم فاعبدُوه**﴾ بيانٌ لما أمرَهُم بالطاعةِ فيهِ، وهُو اعتقادُ التَّوحيدِ والتَّعبدُ بالشرائعِ ﴿هَـٰذا﴾ أي التوحيدُ والتَّعبدُ بالشرائعِ ﴿**صراطٌ مستقيمٌ**﴾ لا يضِلّ سالِكه وهُو إمَّا من تتمة كلامِه عليه السَّلامُ أو استئنافٌ من جهتِه تعالى مقررٌ لمقالةِ عيسَى عليه السَّلامُ.

﴿**فاختلفَ الأحزابُ**﴾ الفِرقُ المتحزبةُ ﴿**من بينهِمْ**﴾ أي مِن بينِ مَنْ بُعثَ إليهم من اليهودِ والنصارَى. ﴿**فويلٌ للذينَ ظلمُوا**﴾ من المختلفينَ ﴿**مِنْ عذابِ يوم أليمٍ**﴾ هو يومُ القيامةِ. ﴿**هَلْ ينظرونَ**﴾ أيْ ما ينتظرُ النَّاسُ ﴿**إلَّا الساعةَ أنْ تأتيَهم**﴾ [أَي][٢] إلا إتيانَ الساعةِ. ﴿**بغتةً**﴾ أيْ[٣] فجأةً لكنْ لا عندَ كونِهم مترقبينَ لها بل غافلينَ عنها مشتغلينَ بأمورِ الدُّنيا منكرينَ لها وذلكَ قولُه تعالى: ﴿**وهُم لا يشعرونَ**﴾.

﴿**الأخِلَّاءُ**﴾ المتحابُّون في الدُّنيا على الإطلاقِ أو في الأمورِ الدُّنيويةِ ﴿**يومئذٍ**﴾ يومَ إذْ تأتيهُم الساعةُ ﴿**بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ**﴾ لانقطاعِ ما بينَهم منْ علائقِ الخُلَّةِ والتَّحابِّ لظهورِ كونِها أسبابًا للعذابِ. ﴿**إلا المتقينَ**﴾ فإنَّ خُلَّتَهم في الدُّنيا لمَّا كانتْ في اللهِ تبقَى على حالِها بل تزدادُ بمشاهدةِ كلٍّ منهُم آثارَ خُلَّتِهم من الثوابِ ورفعِ الدَّرجاتِ، والاستثناءُ على الأولِ متصلٌ وعلى الثَّاني منقطِعٌ.

﴿**يا عبادِ لا خوفٌ عليكُم اليومَ ولا أنتُم تحزنونَ**﴾ حكايةٌ لما يُنادَى به المتقونَ المتحابونَ في اللهِ يومئذٍ تشريفًا لهم وتطييبًا لقلوبِهم. ﴿**الذينَ آمنُوا بآياتِنا**﴾ صفةٌ للمُنادَى أو نُصب على المدحِ. ﴿**وكانُوا مُسلمينَ**﴾ أي مُخلصينَ وجوهَهُم لنَا جاعلينَ أنفسَهُم سالمةً لطاعتِنا، وهو حالٌ من واوِ آمنُوا. عن مقاتلٍ: إذَا بعثَ اللهُ النَّاسَ فزعَ كلُّ أحدٍ فُينادِي منادٍ [يا عبادِي][٤] فيرفعُ الخلائقُ رؤوسَهُم على الرجاءِ ثم يتبعُها الذينَ آمنُوا الآيةَ فينكِّسُ أهلُ الأديانِ الباطلةِ رؤوسَهُم.

﴿**ادخلُوا الجنةَ أنتُم وأزواجُكم**﴾ نساؤُكم المؤمناتُ. ﴿**تُحبرونَ**﴾ تُسرُّون سرورًا يظهرُ حَبارُه أي أثرُه على وجوهِكم، أو تُزينونَ من الحَبَرةِ وهو حُسن الهيئةِ، أو تُكرمونَ إكرامًا بليغًا. والحَبْرةُ المبالغةُ فيما وصفَ بجميلٍ. ﴿**يُطافُ عليهم**﴾ بعدَ دخولِهم الجنَّةَ حسبَما أُمروا بهِ. ﴿**بصحافٍ من ذهبٍ وأكوابٍ**﴾ كذلك. والصِّحافُ جمعُ صَحْفةٍ، قيلَ: هيَ كالقصعَةِ، وقيلَ: أعظمُ القِصَاعِ الجفنةُ ثم القصعةُ ثم الصحفةُ ثم المكيلةُ[٥]. والأكوابُ جمعُ كوبٍ وهو كوزٌ لا عُروَةَ لَهُ. ﴿**وفيهَا**﴾ أي في الجَنةِ

---

(١) تقدم تخريجه. (٢) سقط في خ. (٣) زاد في خ: إلا.
(٤) سقط في خ. (٥) في خ: الكيلة.

﴿ما تشتهيهِ الأنفسُ﴾ من فُنونِ الملاذِّ. وقرئ[١] ما تَشْتَهي. ﴿وتلذُّ الأعينُ﴾ أي تستلذُّه وتقرُّ بمشاهدتِه، وقرئ[٢] وتلذُّهُ ﴿وأَنتُم فيها خالدونَ﴾ إتمامٌ للنعمةِ وإكمالٌ للسرورِ، فإنَّ كلَّ نعيم له زوالٌ بالآخرةِ مقارن لخوفِه لا محالةَ. والالتفاتُ للتشريفِ.

﴿وتلكَ الجنَّةُ﴾ مبتدأٌ وخبرٌ ﴿التي أُورِثتمُوهَا﴾ وقرئ[٣] وُرِّثتمُوهَا ﴿بِمَا كنتُم تعملونَ﴾ في الدنيا الأعمالِ الصالحةِ، شبَّه جزاءَ العملِ بالميراثِ لأنَّه يخلُفه العامل عليه، وقيلَ تلكَ الجنةُ مبتدأٌ وصفةٌ والموصولُ مع صلتِه خبرُهُ، وقيلَ: هو صفةُ الجنةُ كالوجهِ الأولِ والخبرُ بما كنتُم تعملُون فتتعلقُ الباءُ بمحذوفٍ لا بأُورِثتمُوها كما في الأولَين. ﴿لكُم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ﴾ بحسبِ الأنواعِ والأصنافِ لا بحسبِ الأفرادِ فقطْ ﴿منها تأكلُون﴾ أي بعضَها تأكلونَ في كلِّ نوبةٍ، وأمَّا الباقِي فَعَلى الأشجارِ على الدوام لا ترى فيها شجرةً خلتْ عن ثمرِهَا لحظةً فهي مزينةٌ بالثمارِ أبدًا مُوقَرةٌ بَها.

وعنِ النبيِّ ﷺ: **«لا ينزعُ رجلٌ من الجنَّةِ من ثمرِها إلا نبتَ مثلاَهَا مكانَها»**[٤].

﴿إنَّ المجرمينَ﴾ أي الراسخينَ في الإجرامِ وهم الكفارُ حسبَما ينبئ عنْهُ إيرادُهم في مقابلةِ المؤمنينَ بالآياتِ ﴿في عَذابِ جهنَّمَ خالدونَ﴾ خبرُ إنَّ، أو خالدونَ هُو الخبرُ، وفي متعلقةٌ بهِ. ﴿لا يُفتَّرُ عنهُم﴾ أي لا يخففُ العذابُ عنهُم، من قولِهم فَترتْ عنْهُ الحُمَّى إذا سكنتْ قليلًا، والتركيبُ للضعفِ. ﴿وهُم فيهِ﴾ أي في العذابِ. وقرئ[٥] فيها أي في النَّارِ ﴿مُبلسونَ﴾ آيسونَ منَ النَّجاةِ. ﴿وما ظلمناهُم﴾ بذلكَ ﴿ولكنْ كانُوا هم الظَّالمينَ﴾ لتعريضِهم أنفسَهُم للعذابِ الخالدِ. ﴿ونادَوا﴾ خازنَ النَّارِ ﴿يا مالكُ﴾ وقرئ[٦] يا مَالِ على التَّرخيم بالضمِّ والكسرِ، ولعلَّه رمزٌ إلى ضعفِهم وعجزِهم عن تأديةِ اللفظِ بتمامِه. ﴿لِيَقْضِ علينا ربُّك﴾ أي لِيُمتنا حتَّى نستريحَ

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، وابن كثير، وعاصم، ويعقوب، وخلف، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٠١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢١٣)، والتيسير للداني ص (١٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩).

(٢) قرأ بها: ابن مسعود، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦).

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٦).

(٤) تقدم تخريجه في سورة البقرة.

(٥) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٠١)، والبحر المحيط (٨/ ٢٧)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٥٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٦).

(٦) قرأ بها: عبد الله، وعلي، وابن وثاب، والأعمش، وأبو الدرداء.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٠٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٢)، والبحر المحيط (٨/ ٢٨)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٥٦)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٥٧)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٢٧).

من قضَى عليه إذا أماتَهُ والمعنى سَلْ ربَّك أنْ يقضي علينا، وهَذا لا يُنافِي ما ذُكرَ من إبلاسِهم لأنَّه جؤارٌ وتمنٍّ للموتِ لفرطِ الشدَّةِ ﴿قالَ إنَّكُم ماكثونَ﴾ أيْ فِي العذابِ أبدًا لا خلاصَ لكُم منْهُ بموتٍ ولا بغيرِه، عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُما: أنَّه لا يُجيبُهم إلا بعدَ ألفِ سنةٍ[1]، وقيلَ: بعد مائةٍ[2]، وقيلَ: بعدَ أربعينَ سنةً[3].

﴿لقد جئناكُم بالحقِّ﴾ في الدُّنيا بإرسالِ الرُّسلِ وإنزال الكتبِ وهو خِطَابُ توبيخٍ وتقريعٍ من جهةِ الله تعالَى مقررٌ لجوابِ مالكٍ ومبينٌ لسببِ مكثِهم، وقيلَ: في قالَ ضميرُ الله تعالَى: ﴿ولكنَّ أكثرَكُم للحقِّ﴾ أي حقٍّ كانَ ﴿كارهونَ﴾ لا يقبلونَهُ وينفرونَ عنْهُ، وأما الحقُّ المعهودُ الذي هو التوحيدُ أو القرآنُ فكلُّهم كارهونَ له مشمئزّونَ منْهُ ﴿أمْ أبرمُوا أمرًا﴾ كلامٌ مبتدأٌ ناعٍ على المشركينَ ما فعلُوا من الكيدِ برسولِ الله ﷺ. وأمْ منقطعةٌ وما فيها من مَعنَى بلْ للانتقالِ من توبيخِ أهلِ النَّارِ إلى حكايةِ جنايةِ هؤلاءِ، والهمزةُ للإنكارِ، فإنْ أُريدَ بالإبرام الإحكامُ حقيقةً فهيَ لإنكارِ الوقوعِ واستبعادِه، وإنْ أُريدَ الإحكامُ صورةً فهيَ لإنكارِ الواقعِ واستقباحِه أيْ أأبرمَ مشركُو مكَة أمرًا من كيدِهم ومكرِهم برسولِ الله ﷺ.

﴿فإنَّا مُبرِمُون﴾ كيدنَا حقيقةً لا هُمْ أو فإنَّا مبرمونَ كيدنَا بهم حقيقةً كما أبرمُوا كيدَهُم صورةً كقولِه تعالَى: ﴿أم يريدونَ كيدًا فالذينَ كفرُوا همُ المكيدونَ﴾ [سورة الطور، الآية ٤٢] وكانُوا يتناجَون في أنديتِهم ويتشاورُون في أمورِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿أم يحسبونَ﴾ أي بلْ أيحسبونَ ﴿أنَّا لا نسمعُ سرَّهُم﴾ وهو ما حدَّثُوا به أنفسَهُم أو غيرَهُم في مكانٍ خالٍ ﴿ونجواهُم﴾ أي ما تكلمُوا به فيما بينهم بطريقِ التَّناجِي ﴿بلَى﴾ نحن نسمعُهما ونطَّلِعُ عليهما ﴿ورسلُنَا﴾ الذينَ يحفظونَ عليهم أعمالَهم ويلازمونَهم أينَما كانُوا ﴿لديهم﴾ عندَهُم ﴿يكتبونَ﴾ أي يكتبونهما أو يكتبونَ كلَّ ما صدرَ عنهُم من الأفعالِ والأقوالِ التي من جُمْلتِها ما ذُكرَ من سرِّهم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٨): كتاب التفسير، والطبري في جامع البيان (١١/ ٢١٣): حديث برقم (٣٠٩٩١)، وسفيان الثوري في تفسيره (٢٧٣): حديث (٨٨٦)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٠٢)، وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٨٢)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٣٥)، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في وصفه النار وابن المنذر والبيهقي في البعث والنشور قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) (٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٣) رقم (٣٠٩٩٢، ٣٠٩٩٥) عن الحسن عن نوفل.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٣) رقم (٣٠٩٩٣، ٣٠٩٩٤) عن عبد الله بن عمرو.

ونجواهم. والجملةُ إما عطفٌ على ما يترجمُ عنْهُ بَلَى، أو حالٌ، أي نسمعُهما والحالُ أنَّ رسلَنا يكتبونَ ﴿قُل﴾ أي للكَفرةِ تحقيقًا للحقِّ وتنبيهًا لهم على أنَّ مخالفتَكَ لهم بعدمِ عبادتِك لما يعبدونَهُ من الملائكةِ عليهم السَّلامُ ليستْ لبغضِكَ وعداوتِكَ لَهُم أو لمعبوديهم، بلْ إنَّما هُو لجزمِكَ باستحالةِ ما نسبُوا إليهم وبنَوا عليه عبادتَهُم من [كونِهم بناتِ][(١)] الله تعالى.

﴿إنْ كانَ للرحمنِ ولدٌ فأنَا أولُ العابدينَ﴾ أيْ لَهُ وذلكَ لأنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أعلمُ النَّاسِ بشئونِه تعالَى وبما يجوزُ عليهِ وبما لا يجوزُ وأولاهُم بمراعاةِ حقوقِه ومن مواجبِ تعظيم الوالدِ تعظيمُ ولدِه، وفيهِ من الدلالةِ على انتفاءِ كونِهم كذلكَ على أبلغِ الوجوهِ وأقوَاها وعلى كونِ رسولِ الله ﷺ على قوةِ يقينٍ وثباتِ قدمٍ في بابِ التَّوحيدِ ما لا يَخْفى معَ ما فيهِ من استنزالِ الكفرةِ عن رُتبةِ المكابرةِ حسبمَا يُعربُ عنْهُ إيرادُ إنْ مكانَ لَوْ المنبئةِ عن امتناعِ مقدمِ الشرطيةِ، وقيلَ: إنْ كان للرحمنِ ولدٌ في زعمِكم فأنَا أولُ العابدينَ الموحدينَ لله تعالَى، وقيلَ: فأنا أولُ الآنفينَ أي المستنكفينَ منْهُ أو منْ أنْ يكونَ له ولدٌ، منْ عَبِدَ يَعْبَدُ إذَا اشتدَّ أنَفُه.

وقيلَ: إنْ نافيةٌ أي ما كانَ للرحمنِ ولدٌ فأنَا أولُ من قالَ بذلكَ. وقرئ[(٢)] وُلْدٌ.

﴿سبحانَ ربِّ السمواتِ والأرضِ ربِّ العرشِ عمَّا يَصِفُونَ﴾ أي يصفونَهُ بهِ منْ أنْ يكونَ له ولدٌ. وفي إضافةِ اسم الربِّ إلى أعظمِ الأجرامِ وأقواها تنبيهٌ على أنَّها وما فيها من المخلوقاتِ حيثُ كانَتْ تحتَ ملكوتِه وربوبيتِه كيفَ يتوهمُ أنْ يكونَ شيءٌ منها جُزْءًا منْهُ سبحانَهُ وفي تكريرِ اسم الربِّ تفخيمٌ لشأنِ العرشِ. ﴿فذرْهُم﴾ حيثُ لم يُذعنُوا للحقِّ بعد ما سمعُوا هذا البرهانَ الجليَّ. ﴿يخوضُوا﴾ في أباطيلِهم ﴿ويلعبُوا﴾ في دُنياهُم فإنَّ ما هُم فيهِ من الأفعالِ والأقوالِ ليستْ إلا من بابِ الجهلِ واللعبِ. والجزمُ في الفعلِ لجوابِ الأمرِ. ﴿حتَّى يُلاقُوا يومَهُم الذي يُوعدونَ﴾ من يومِ القيامةِ فإنَّهم يومئذٍ يعلمونَ ما فعلُوا وما يُفعلُ بهم.

﴿وهُو الذي في السماءِ إلهٌ وفي الأضِ إلهٌ﴾ الظرفانِ متعلقانِ بالمَعْنى الوصفيِّ، الذي ينبئ عنْهُ الاسمُ الجليلُ من مَعْنى المعبوديةِ بالحقِّ بناءً على اختصاصهِ بالمعبودِ بالحقِّ كما مرَّ في تفسيرِ البسملةِ، كأنَّه قيلَ: وهُو الذي مستحقٌّ لأنْ يعبدَ فيهمَا، وقد

---

(١) في خ: كفرهم بآيات.

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعبد الله، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩)، والتيسير للداني (١٤٩، ١٥٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢٠)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٥٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩).

مرَّ تحقيقُه في سورةِ الأنعام. وقرئ[(١)] وهُو الذي في السماءِ الله وفي الأرضِ الله، والراجعُ إلى الموصولِ مبتدأٌ قد حذفَ لطولِ الصلةِ بمتعلقِ الخبرِ والعطفِ عليهِ، ولا مساغَ لكونِ الجارِّ خبرًا مقدمًا وإلهٌ مبتدأً مؤخرًا للزوم عراءِ الجُملةِ حينئذٍ عن العائدِ، نعمَ يجوزُ أن يكونَ صلةً للموصولِ وإلهٌ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، على أنَّ الجملةَ بيانٌ للصلةِ وأنَّ كونَهُ في السماءِ على سبيلِ الإلهيةِ لا على سبيلِ الاستقرارِ، وفيهِ [نفيُ الآلهةِ][(٢)] السماويةِ والأرضيةِ وتخصيصٌ لاستحقاقِ الإلهيةِ به تعالَى. وقولُه تعالَى: ﴿وهُو الحكيمُ العليمَ﴾ كالدليلِ على ما قبلَهُ. ﴿وتباركَ الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ وما بينَهُما﴾ إمَّا على الدوامِ كالهواءِ أو في بعضِ الأوقاتِ كالطيرِ. ﴿وعندَهُ علمُ الساعةِ﴾ أي العلمُ بالساعةِ التي فيها تقومُ القيامةُ ﴿وإليه تُرجعونَ﴾ للجزاءِ. والالتفاتُ للتهديدِ، وقرئ[(٣)] على الغَيبةِ، وقرئ تُحشرونَ.

﴿ولا يملكُ الذين يدعُون﴾ أي يدعُونهم، وقرئ بالتَّاءِ مخففًا[(٤)] ومشددًا[(٥)] ﴿مِن دُونِه الشفاعةَ﴾ كما يزعمُونَ ﴿إلا مَن شهدَ بالحقِّ﴾ الذي هُو التوحيدُ ﴿وهم يعلمونَ﴾ بما يشهدونَ بهِ عن بصيرةٍ وإيقانٍ وإخلاصٍ، وجمعُ الضميرِ باعتبارِ مَعْنى مَنْ كمَا أنَّ الإفرادَ أولًا باعتبارِ لفظِها، والاستثناءُ إمَّا متصلٌ والموصولُ عامٌّ لكلِّ ما يُعبدُ من دونِ الله، أو مُنفصلٌ[(٦)] على أنَّه خاصٌّ بالأصنامِ. ﴿ولئِن سألتَهم من خلقَهم﴾ أي سألتَ العابدينَ والمعبودينَ ﴿ليقولُنَّ الله﴾ لتعذرِ الإنكارِ لغايةِ بطلانِه ﴿فأنَّى يُؤفكونَ﴾ فكيفَ يُصرفونَ عن عبادتِه إلى عبادةِ غيرِه مع اعترافِهم بكونِ الكلِّ مخلوقًا له تعالى.

﴿وقيلِه﴾ بالجرِّ، إمَّا على أنَّه عطفٌ على الساعةِ أيْ عندَهُ علمُ الساعةِ وعلم قولِه

---

(١) قرأ بها: عمر، وعبد الله، وأبي، وعلي، والحكم، وابن يعمر، وبلال بن أبي بردة، وجابر، وابن زيد، وعمر بن عبد العزيز، وأبو الشيخ الهنائي، وحميد، وابن مقسم، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٧، ٤٩٨).

(٢) في خ: كبنية للآلهة.

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وروح، ويعقوب، وخلف، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٢٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢١٩)، والتيسير للداني ص (١٩٧)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٦٢).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٨).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٨).

(٦) في خ: متصلة.

عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿يا ربِّ﴾ الخ. فإنَّ القولَ والقيلَ والقالَ كلَّها مصادرُ، أو عَلى أنَّ الواوَ للقسم، وقولَه تعالَى: ﴿إنَّ هؤلاءِ قومٌ لا يُؤمنونَ﴾ جوابُه. وفي الإقسامِ بهِ من رفع شأنِه عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام وتفخيم دُعائِه والتجائِه إليهِ تعالَى ما لا يَخْفى. وقرئَ[١] بالنصب بالعطفِ على سرَّهم أو علَى محلِّ الساعةِ أو بإضمارِ فعلهِ أو بتقديرِ فعلِ القسم، وقرئَ بالرفعِ على الابتداءِ والخبرُ مابعدَهُ، وقد جُوِّزَ عطفُه على علمُ الساعةِ. ﴿فاصفحْ عنْهم﴾ فأعرضْ عن دعوتِهم واقنَطْ عن إيمانِهم ﴿وقُل سلامٌ﴾ أيْ [أمري تسلمٌ][٢] منكم ومتاركةٌ. ﴿فسوفَ يعلمونَ﴾ حالَهم ألبتةَ وإنْ تأخرَ ذلكَ، وهو وعيدٌ من الله تعالَى لهم وتسليةٌ لرسولِ الله ﷺ. وقرئَ[٣] تعلمونَ على أنَّه داخلٌ في حيزِ قُلْ.

عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ قرأَ سورةَ الزخرفِ كانَ ممَّن يقالُ لهُ يوم القيامةِ يا عبادِ لا خوفٌ عليكُم اليومَ ولا أنتُم تحزنونَ ادخلُوا الجنةَ بغيرِ حسابٍ**»[٤].

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، والمفضل، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٠٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٣)، والتيسير للداني ص (١٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩).

(٢) في خ: أمَّن يسلم.

(٣) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو عمرو، والحسن، وهشام، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٠٥)، والبحر المحيط (٨/ ٣٠)، والتيسير للداني ص (١٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٨٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٥٨).

(٤) الحديث موضوع وهو حديث فضائل القرآن الطويل المروي عن أُبي بن كعب، وقد أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي وقد تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الدُّخَانِ

مَكِّيةٌ إلَّا قولهُ: ﴿إنَّا كاشفُوا العذابِ﴾ [الدخان: ١٥] الآيةَ وَهِيَ سبعٌ أو تسعٌ وخمسونَ آيةً

حمٓ (١) وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٢) وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٤٤) كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ

إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿حم * والكتابِ المبينِ﴾ الكلامُ فيهِ كالذي سلفَ في السورةِ السابقةِ. **﴿إِنَّا أنزلناهُ﴾** أي الكتابَ المبينَ الذي هُو القُرآنُ. **﴿في لَيْلَةٍ مُباركةٍ﴾** هيَ ليلةُ القدرِ، وقيلَ ليلةُ البراءةِ ابتدئ فيها إنزالُه، أوأُنزلَ فيها جُملةً إلى السماءِ الدُّنيا من اللوحِ وأملاهُ جبريلُ عليهِ السَّلامُ على السَّفرةِ ثم كانَ ينزله على النبيِّ ﷺ نحوَ ما في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً كما مرَّ في سورةِ الفاتحةِ. ووصفُها بالبركةِ لما أنَّ نزولَ القُرآنِ مستتبعٌ للمنافعِ الدينيةِ والدنيويةِ بأجمعِها أو لِما فيها من تنزلِ الملائكةِ والرحمةِ وإجابةِ الدعوةِ وقسم النعمةِ وفصلِ الأقضيةِ وفضيلةِ العبادةِ وإعطاءِ تمام الشفاعةِ لرسولِ الله ﷺ، وقيلَ: يزيدُ في هذهِ الليلةِ ماءُ زمزمَ زيادةً ظاهرةً **﴿إِنَّا كُنَّا مُنذرينَ﴾** استئنافٌ مبينٌ لما يقتضِي الإنزالَ كأنَّه قيلَ: إِنَّا أنزلناهُ لأن من شأنِنا الإنذارَ والتحذيرَ من العقابِ، وقيلَ: جوابٌ للقسمِ وقولُه تعالى إِنَّا أنزلناهُ . . .إلخ اعتراضٌ وقيلَ: جوابٌ ثانٍ بغيرِ عاطفٍ.

﴿فيها يفرقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ﴾ استئنافٌ كما قبلَهُ فإنَّ كونَها مفْرَقَ الأمورِ المحكمةِ أو الملتبسةِ بالحكمةِ الموافقةِ لَها يستدعِي أنْ ينزلَ فيها القرآنُ الذي هُو من عظائِمها.

وقيلَ: صفةٌ أُخرى لليلةِ وما بينَهُما اعتراضٌ وهذا يدلُّ على أنَّها ليلةُ القدرِ ومَعْنى يُفرقُ أنه يكتبُ ويفصلُ كلُّ أمرٍ حكيم من أرزاقِ العبادِ وآجالِهم وجميعُ أمورِهم من هذِه الليلةِ إلى الأُخرى من السنةِ القابلَةِ، وقيلَ: يبدأُ في استنساخِ ذلك من اللوحِ في ليلةِ البراءةِ ويقعُ الفراغُ في ليلةِ القدرِ فتدفعُ نسخةُ الأرزاقِ إلَى ميكائيلَ ونسخةُ الحروبِ إلى جبريلَ وكذا الزلازلُ والخسفُ والصواعقُ، ونسخةُ الأعمالِ إلى إسماعيلَ صاحبِ سماءِ الدُّنيا وهُو مَلكٌ عظيمٌ ونسخةُ المصائبِ إلى مَلكِ الموتِ عليهم السَّلامُ. وقرئ[1] يُفرَّقُ بالتشديدِ، وقرئ[2] يَفرُقُ على البناءِ للفاعلِ أي يفرق

---

(١) قرأ بها: الحسن، والأعمش، وزائدة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٠).

(٢) قرأ بها: الحسن، والأعرج، والأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٠).

الله تعالى كلَّ أمرٍ حكيمٍ، وقرئ[١] نَفْرُقُ بنونِ العظمةِ.

﴿أمرًا من عندِنا﴾ نصبَ على الاختصاصِ أيْ أعنِي بهذا الأمرِ أمرًا حاصلًا من عندِنا على مُقتضَى حكمتِنا وهو بيانٌ لفخامتِه الإضافيةِ بعدَ بيانِ فخامتِه الذاتيةِ ويجوزُ كونُه حالًا من كلِّ أمرٍ لتخصصِه بالوصفِ أو من ضميرِه في حكيم وقد جُوِّزَ أنْ يرادَ به مقابلَ النهيِ ويجعلَ مصدرًا مؤكدًا لـ (يُفرَقُ) لاتحادِ الأمرِ والفرقانِ في المَعْنى، أو لفعلِه المضمرِ لما أنَّ الفرقَ بهِ، أو حالًا من أحدِ ضميرَيْ أنزلناهُ أي آمرينَ أو مأمورًا بهِ.

﴿إنَّا كُنَّا مُرسلينَ﴾ بدلٌ من إنَّا كُنَّا منذرينَ وقيلَ: جوابٌ ثالثٌ وقيل: مسأنفٌ، وقولُه تعالى ﴿رحمةً من ربِّك﴾ غايةٌ للإرسالِ متأخرةٌ عنه على أنَّ المرادَ بها الرحمةُ الواصلةُ إلى العبادِ وباعثٌ متقدمٌ عليه على أنَّ المرادَ مبدؤُها أي إنَّا أنزلَنا القُرآنَ لأنَّ من عادتِنا إرسالَ الرسلِ بالكتبِ إلى العبادِ لأجلِ إفاضةِ رحمتِنا عليهم أو لاقتضاءِ رحمتِنا السابقةِ إرسالَهم، ووضعُ الربِّ موضعَ الضميرِ للإيذانِ بأنَّ ذلكَ من أحكام الربوبيةِ ومقتضياتِها، وإضافتُه إلى ضميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لتشريفهِ أو تعليلٌ لـَ (يُفرقُ) أو لقولِه تعالى أمرًا، على أنَّ قولَه تعالى رحمةً مفعولٌ للإرسالِ كَما في قولِه تعالى: ﴿وما يُمسكْ فَلا مرسلَ لهُ﴾ [سورة فاطر، الآية ٢] أي يفرقُ فيها كلُّ أمرٍ أو تصدرُ الأوامرُ من عندِنا لأنَّ من عادتِنا إرسالَ رحمتِنا. ولا ريبَ في أنَّ كلًا من قسمةِ الأرزاقِ وغيرِها و[٢]الأوامرِ الصادرةِ منه تعالَى من بابِ الرحمةِ فإن الغايةَ لتكليفِ العبادِ تعريضُهم للمنافعِ. وقرئ[٣] رحمةٌ بالرفعِ، أي تلكَ رحمةٌ. وقولُه تعالى: ﴿إنَّه هُو السميعُ العليمُ﴾ تحقيقٌ لربوبيتِه تعالى وأنَّها لا تحِقُّ إلا لمَنْ هذهِ نعوتُه.

﴿ربِّ السمواتِ والأرضِ وما بينَهُما﴾ بدلٌ من ربِّك أو بيانٌ أو نعتٌ، وقرئ[٤]

---

(١) قرأ بها: زيد بن علي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٠)

(٢) في خ: من.

(٣) قرأ بها: زيد بن علي، والحسن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠١).

(٤) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، والأعرج، وابن أبي إسحاق، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٠٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٣)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩)، والمعاني للفراء (٣/ ٣٩).

بالرفعِ على أنَّه خبرٌ آخرُ أو استئنافٌ على إضمارِ مبتدأٍ ﴿إِنْ كنتُم مُوقنينَ﴾ أي إنْ كنتُم من أهلِ الإيقانِ في العلومِ أو إنْ كنتُم موقنينَ في إقرارِكم بأنَّه تعالَى ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينَهُما[١] إذَا سئلتُم مَنْ خلقَها فقلتُم الله علمتُم أنَّ الأمرَ كمَا قُلنا أو إنْ كنتُم مريدينَ[٢] اليقينَ فاعلمُوا ذلكَ ﴿لا إِلَه إلا هُوَ﴾ جملةٌ مستأنفةٌ مقررةٌ لما قبلَها، وقيلَ: خبرٌ لقولِه ربِّ السمواتِ إلخ وما بينهما اعتراضٌ ﴿يُحيي ويمُيتُ﴾ مستأنفةٌ لما قبلَها وكَذا قولُه تعالى ﴿ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولينَ﴾ بإضمارِ مبتدأٍ أو بدلٌ من (ربِّ السمواتِ)[٣] على قراءةِ الرفعِ، أو بيانٌ أو نعتٌ له.

وقيلَ: فاعلٌ لـ (يميتُ)، وفي يُحيي ضميرٌ راجعٌ إلى ربِّ السمواتِ. وقرئَ[٤] بالجرِّ بدلًا من ربِّ السمواتِ عَلى قراءةِ الجرِّ.

﴿بَلْ هُم في شك﴾ مما ذُكِرَ من شؤونِه تعالَى غيرُ موقنينَ في إقرارِهم ﴿يلعبونَ﴾ لا يقولونَ ما يقولونَ عن جِدٍّ وإذعانٍ بلْ مخلوطًا بهُزؤٍ ولعبٍ، والفاءُ في قولِه تعالى ﴿فارتقبْ﴾ لترتيبِ الارتقابِ أو الأمرِ به على ما قبلَها فإنَّ كونَهُم في شكٍّ مما يُوجِبُ ذلكَ حَتْمًا أي فانتظر لَهُم ﴿يومَ تأتِي السماءُ بدخانٍ مبينٍ﴾ أي يومَ شدَّةٍ ومَجَاعةٍ فإنَّ الجائعَ يَرَى بينَهُ وبينَ السماءِ كهيئةِ الدُّخانِ إما لضعفِ بصرِه أو لأنَّ في عامِ القحطِ يُظلمُ الهواءُ لقلةِ الأمطارِ وكثرةِ الغُبارِ أو لأنَّ العربَ تُسمِّي الشرَّ الغالبَ دُخانًا وذلكَ أنَّ قريشًا لمَّا استعصتْ على رسولِ الله ﷺ دعَا عليهم فقالَ: «**اللهّم اشدُدْ وطأتَك على مضرَ واجعلْها عليهم سنينَ كسِنِي[٥] يوسفَ**»[٦] فأخذتْهُم سَنةٌ حتى أكلُوا الجيفَ والعظامَ [والعِلْهِزَ][٧] وكانَ الرجلُ يَرَى بينَ السماءِ والأرضِ الدُّخانَ وكان يحدثُ الرجلَ ويسمعُ كلامَهُ ولا يراهُ من الدخانِ وذلكَ قولُه تعالى:

﴿يغشَى الناسَ﴾ أي يحيطُ بهم ﴿هذا عذابٌ أليمٌ﴾ أي قائلينَ ذلكَ، فمشَى إليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أبُو سفيانَ ونَفَرٌ معَهُ وناشدُوه الله تعالَى والرحمَ وواعدُوه إنْ دعَا لهم وكشفَ عنهم أنْ يُؤمنوا، وذلكَ قولُه تعالى ﴿ربَّنا اكشفْ عنَّا العذابَ إنَّا مؤمنون﴾.

---

(١) زاد في خ: اعتراض مقرر لما قبلها وكذا قوله تعالى.

(٢) في خ: موقنين. (٣) زاد في خ: الأرض.

(٤) قرأ بها: الكسائي، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وأبو حيوة، الزعفراني، وابن مقسم، والحسن، وأبو موسى، وعيسى بن سليمان، وصالح الناقط.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٠٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣).

(٥) في خ: كسنين. (٦) تقدم تخريجه. (٧) سقط في خ.

وهَذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مسعودٍ رضيَ الله عنُهم وبه أخذَ مجاهدٌ ومقاتلٌ وهو اختيارُ الفَرَّاء والزَّجَّاجِ، وقيلَ: هو دُخانٌ يأتِي من السماءِ قبلَ يوم القيامةِ، فيدخلُ في أسماعِ الكفرةِ حتَّى يكونَ رأسُ الواحدِ كالرأسِ الحنيذِ ويعترِي المؤمنَ منه كهيئةِ الزكامِ وتكونُ الأرضُ كُّلها كبيتٍ أُوقدَ فيه ليسَ فيه خصاصٌ.

وعن رسولِ الله ﷺ: «**أولُ الآياتِ: الدُّخانُ ونزولُ عيسى ابنِ مريمَ ونارٌ تخرجُ من قعرِ عدنِ أبْينَ تسوقُ النَّاسَ إلى المحشرِ، قالَ حذيفةُ: يا رسولَ الله وما الدُّخانُ؟ فتَلا الآيَةَ، وقالَ يملأُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ يمكثُ أربعينَ يومًا وليلةً أمَّا المؤمنُ فيصيبُه كهيئةِ الزكمةِ وأما الكافرُ فهو كالسكرانِ يخرجُ من مَنْخِرِيهِ وأذنيهِ ودبُرِه**»[١]. والأولُ هُو الذي يستدعيهِ مساقُ النظمِ الكريمِ قطعًا. فإنَّ قولَه تعالى: ﴿**أَنَّى لَهُم الذكرَى**﴾ . . .إلخ ردٌّ لكلامِهم واستدعائِهم الكشفَ وتكذيبٌ لهم في الوعدِ بالإيمانِ المنبئ عن التذكرِ والاتعاظِ بما اعتراهُم من الداهيةِ أي كيفَ يتذكرونَ أو مِنْ أين بتذكرون بذلك ويفُون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذابِ عنهم ﴿**وَقَد جاءَهُم رسولٌ مبينٌ**﴾ أيْ والحالُ أنَّهم شاهُدوا منْ دَوَاعي التذكرِ [وموجباتِ][٢] الاتعاظِ ما[٣] هو أعظمُ منهُ في إيجابِها حيثُ جاءَهُم رسولٌ عظيمُ الشأنِ وبين[٤] لهم مناهجَ الحقِّ بإظهار آياتٍ ظاهرةٍ ومعجزاتٍ قاهرةٍ[٥] تخرُّ لها صُمُّ الجبال. [﴿**ثمَّ تولوا عنه**﴾ عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظائم الموجبةِ للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولِّي][٦] ﴿**وقالُوا**﴾ في حقِّهِ ﴿**مُعَلَّمٌ مجنونٌ**﴾ أي قالوا[٧] تارة يعلمُه غلامٌ أعجميٌّ لبعض ثقيفٍ وأُخرى مجنونٌ، أو يقولُ بعضهم كذَا وآخرونَ كَذا فَهلْ يتوقعُ من قوم هذه صفاتُهم أنْ يتأثرُوا بالعظة والتذكير، وما مثلُهم إلا كمثلِ الكلبِ إذَا جاعَ ضَغَا[٨] وإذا شبعَ طَغَى.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١١/ ٢٢٧) حديث (٣١٠٦١)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٥٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٤٥)، والزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٦٦)، وعزاه إلى الثعلبي.
هذا، وقد ضعفه الطبري فقال: وحدثني محمد بن خلف العسقلاني أنه سأل روادًا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان؟ فقال: لا قال: فقلت: أقرأته عليه؟ قال: لا، قال: فقلت له: أقرئ عليه وأنت حاضر؟ فقال: لا ، قلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني قوم فعرضوه علي، وقالوا علي: أسمعه منا، فقرؤوه ثم ذهبوا فحدثوا عني».

(٢) سقط في خ. (٣) في خ: لما. (٤) في خ: يبين.

(٥) زاد في خ: باهرة. (٦) سقط في خ. (٧) زاد في خ: في حقه.

(٨) ضغا: ضغا ضغواً وضغاءً: صاح.

وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا كاشِفُو العذابِ قليلًا إنَّكم عائدونَ﴾ جوابٌ من جهتِهِ تعالى عن قولِهم ربَّنا اكشفْ عنَّا العذابَ إنَّا مؤمنونَ بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراضٌ أيْ إنا نكشفُ العذابَ المعهودَ عنكم كشفًا قليلًا [أو زمانًا قليلًا][١] إنكم تعودون إثرَ ذلك إلى ما كنتم عليه من العُتوِّ والإصرارِ على الكفر وتنسَون هذه الحالَة. وصيغةُ الفاعلِ في الفعلين للدِلالة على تحقُّقهما لا محالةَ، ولقد[٢] وقعَ كلاهُما حيثُ كشَفهُ الله تعالى بدعاءِ النبيِّ ﷺ فمَا لبِثُوا أنْ عادُوا إلى ما كانوا عليهِ من العُتوِّ والعِنادِ. ومَن فسر الدخانِ بما هُو من الأشراطِ قال إذَا جاء الدخانُ تضوّرَ المعذبونَ به من الكفارِ والمنافقينِ وغوَّثُوا وقالُوا ربَّنا اكشفْ عنَّا العذابَ إنَّا مؤمنونَ فيكشفه الله تعالَى عنهُم بعدَ أربعينَ يومًا وريثما[٣] يكشفُه عنهم يرتدونَ ولا يتمهلونَ.

﴿يومَ نبطشُ البطشةَ الكُبرى﴾ يومَ القيامةِ وقيل: يومَ بدرٍ وهو ظرفٌ لما دلَّ عليه قولُه تعالى ﴿إنا منتقمونَ﴾ لا لـ (منتقمون) لأن إنَّ مانعةٌ من ذلكَ أي يومئذٍ ننتقمُ إنَّا منتقمون وقيلَ: هو بدلٌ من بدلٍ منْ يومَ تأتِي إلخ وقرئَ[٤] نُبطش أي نحملُ الملائكةَ على أن يبطشُوا بهم البطشةَ الكُبرى وهو التناولُ [بعنفٍ وصَولةٍ أو نجعل][٥] البطشةَ الكُبرى باطشةً بهم وقرئَ[٦] نبطُش بضمِّ الطاءِ وهي لغةٌ.

﴿ولقد فتنَّا قبلهم قومَ فرعونَ﴾ أي امتحناهُم بإرسالِ مُوسى عليه السلامُ أو أوقعناهُم في الفتنةِ بالإمهالِ وتوسيعِ الرزقِ عليهم وقرئَ[٧] بالتشديدِ، للمبالغة أو لكثرة القوم. ﴿وجاءهُم رسولٌ كريمٌ﴾ على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لأن الله تعالى لم يبعثْ نبيا إلا منْ سَراةِ قومِه وكرامِهم. ﴿أَنْ أدُّوا إليَّ عبادَ الله﴾ أيْ بأنْ أدُّوا إليَّ بني إسرائيلَ وأرسلُوهم معي[٨] أو بأنْ أَدُّوا إليَّ يا عبادَ الله حقَّه من الإيمانِ وقبولِ الدَّعوةِ، وقيلَ: أنْ مفسرةٌ، لأنَّ مجيءَ الرسولِ لا يكونُ إلا برسالةٍ

---

(١) سقط في خ. (٢) في خ: وقد. (٣) في خ: فريثما.

(٤) قرأ بها: أبو رجاء، والحسن، وطلحة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١١٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٣)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٤).

(٥) في خ: بالعنف والصولة؛ أي تجيء.

(٦) قرأ بها: أبو جعفر، وطلحة، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٧٤).

(٧) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٢).

(٨) في خ: إليَّ.

ودعوةٍ، وقيل: مخففةٌ من الثقيلةِ أيْ جاءَهُم بأنَّ الشأنَ أدُّوا إلى . . . إلخ.

وقولُه تعالى: ﴿إنِّي لكُم رسولٌ أمينٌ﴾ تعليلٌ للأمر أو لوجوب المأمورِ به أيْ رسولٌ غيرُ ظَنِينٍ قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدَّقنِي بالمعجزاتِ القاهرةِ. ﴿وأنْ لاَ تعلُوا على الله﴾ أي لا تتكبرُوا عليه تعالى بالاستهانة بوحيهِ وبرسوله وأنْ كالتي سلفتْ، وقولُه تعالى: ﴿إنِّي آتيكُم﴾ أي من جهته تعالى ﴿بسلطانٍ مبينٍ﴾ تعليلٌ للنَّهي أيْ آتيكُم بحجةٍ واضحةٍ لا سبيلَ إلى إنكارها وآتيكم على صيغةِ الفاعلِ أو المضارعِ، وفي إيراد الأداءِ معَ الأمين، والسلطانِ مع العُلاَ منَ الجزالةِ مَا لا يَخْفى.

﴿وَإنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكم﴾ أي التجأتُ إليه وتوكلتُ عليهِ ﴿أنْ ترجُمونِ﴾ من أنْ ترجمُونِي أيْ تُؤذونِي ضربًا أو شتمًا أو أنْ تقتلوني، قيلَ لمَّا قالَ وأنْ لا تعلُوا على الله توعّدوه بالقتلِ. وقرئَ[1] بإدغامِ الذالِ في التَّاءِ. ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ أي وإنْ كابرتُم مقتضَى العقلِ ولم تُؤمنوا لي فخلُّوني كَفافًا لا عليَّ ولا ليَ، ولا تتعرضُوا لي بشرٍّ ولا أذَى فليس ذلك جزاءَ من يدعُوكم[2] إلى ما فيهِ [فلاحُكم. و][3] حملُه على مَعْنى فاقطعُوا أسبابَ الوصلةِ عنِّي فلا موالاةَ بيني وبينَ منْ لا يُؤمنُ يأباهُ المقامُ.

﴿فدعا ربَّهُ﴾ بعدما تمُّوا على تكذيبهِ عليه السَّلامُ ﴿أنَّ هؤلاءِ﴾ أي بأنَّ هؤلاءِ ﴿قومٌ مجرمونَ﴾ وهو تعريضٌ بالدُّعاءِ عليهم بذكرِ ما استوجبُوه بهِ ولذلك سُمِّيَ دعاءً وقرئَ[4] بالكسرِ على إضمارِ القولِ. قيلَ كانَ دعاؤُه اللَّهم عجِّلْ لهُم[5] ما يستحقونَهُ بإجرامِهم.

وقيلَ: هُو قولُه: ﴿ربَّنا لا تجعلْنا فتنةً للقومِ الظالمينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٨٥] ﴿فأسرِ بعبادِي ليلًا﴾ بإضمارِ القولِ إمَّا بعدَ الفاءِ أيْ فقالَ ربُّه: أسرِ بعبادِي وإما قبلَها كأنَّه قيلَ قال: إنْ كانَ الأمرُ كَما تقولُ فأسرِ بعبادِي أيْ ببنِي[6] إسرائيلَ فقد دبَّر الله تعالى أنْ تتقدمُوا. وقرئَ[7] بوصلِ الهمزةِ منْ سَرَى. ﴿إنَّكم مُتَّبعُونَ﴾ أي يتبعُكم

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وهشام، وأبو جعفر، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٣٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٣).

(٢) في خ: يعدكم.

(٣) في خ: صلاحكم.

(٤) قرأ بها: ابن أبي إسحاق، وعيسى، والحسن، وزيد بن علي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥).

(٥) في خ: لنا.

(٦) في خ: بني.

(٧) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو جعفر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٣٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٠).

فرعونُ وجنودُه بعد ما علمُوا بخروجِكم. ﴿واتركِ البحرَ رَهْوًا﴾ مفتوحًا ذا فجوةٍ واسعةٍ، أو ساكنًا على هيئته بعدَ ما جاوزْتَه، ولا تضربْهُ بعصاكَ لينطبقَ ولا تغيِّرْهُ عن حالِه ليدخلَه القبطُ. ﴿إنَّهم جندٌ مغرقونَ﴾ وقرئ[١] أنَّهم بالفتحِ أيْ لأنَّهم ﴿كم تركُوا﴾ أي كثيرًا تركوا بمصرَ ﴿مِنْ جنَّاتٍ وعيونٍ وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ﴾ محافلَ مزيّنة ومنازلَ محسَّنةٍ ﴿ونعمةٍ﴾ أي تنعم ﴿كانُوا فيها فاكهينَ﴾ متنعمينَ وقرئ[٢] فكِهينَ ﴿كذلكَ﴾ الكافُ في حيِّز النصْب وذلك إشادة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا، أي[٣] مثل ذلك السلبِ سلبناهُم إيَّاها ﴿وأورثناهَا قومًا آخرينَ﴾.

وقيلَ: مثلَ ذلكَ الإخراجِ أخرجناهُم منها، وقيلَ: في حيزِ الرفعِ [على الخبريةِ][٤] أيِ الأمرُ كذلكَ فحينئذٍ يكونُ أورثناهَا معطوفًا على تركُوا وعلى الأولَينِ على الفعلِ المقدرِ.

﴿فما بكتْ عليهم السماءُ والأرضُ﴾ مجازٌ عن عدمِ الاكتراثِ بهلاكِهم والاعتدادِ بوجودِهم، فيهِ تهكمٌ بهِم وبحالهِم المنافيةِ لحالِ من يعظَمُ فقدُه[٥] فيقالُ له بكتْ عليه السماءُ والأرضُ، ومنْهُ (ما رُويَ إنَّ المؤمنَ ليبكي عليه مُصَلاهُ ومحلُّ عبادتِه ومصاعدُ عملِه ومهابطُ رزقِه وآثارُه في الأرضِ)[٦]، وقيلَ: تقديرُه أهلُ السماءِ والأرضِ. ﴿ومَا كانُوا﴾ لمَّا جاءَ وقتُ هلاكِهم ﴿منظرَينَ﴾ ممهلينَ إلى وقتٍ آخرَ أو إلى الآخرةِ، بلْ عُجِّلَ لهم في الدُّنيا.

﴿ولقد نجينا بني إسرائيلَ﴾ بأنْ فعلنا بفرعونَ وقومِه ما فعلنا ﴿من العذابِ المهينِ﴾ من استعبادِ فرعونَ إيَّاهم وقتلِ أبنائِهم واستحياءِ نسائِهم على الخسفِ والضيمِ ﴿مِن

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٣).

(٢) قرأ بها: أبو جعفر، وأبو رجاء، والحسن، وأبو الأشهب، والأعرج، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٢٨)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٧٤)، وتفسير القرطبي (٦/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٦).

(٣) في خ: في. (٤) سقط في خ. (٥) في خ: قدره.

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٩) كتاب التفسير، باب: ومن سورة الدخان، حديث (٣٢٥٥)، وأبو يعلى (٤١٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٣)، والخطيب في «تاريخه» (١١/ ٢١٢) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: «ما من مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾، والحديث ضعيف لأن في سنده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف وأيضًا فيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان يضعفان في الحديث.

فرعونَ﴾ بدلٌ من العذابِ [إمَّا على جعلِه نفسَ العذابِ][١] لإفراطِه فيهِ، وإمَّا على حذفِ المضافِ أي عذابِ فرعونَ، أو حالٌ من المهينِ أي كائنًا منْ فرعونَ.

وقرئ (مَنْ فرعونُ)[٢] على مَعْنى هل تعرفونَهُ من هُو في عُتوِّه وتفَرْعُنِهِ، وفي إبهامِ أمرِهِ أولًا وتبيينِه بقولِه تعالَى ﴿إنَّه كانَ عاليًا من المسرفينَ﴾ ثانيًا من الإفصاحِ عن كُنِه أمرِه في الشرِّ والفسادِ ما لا مزيدَ عليهِ. وقولُه تعالَى منَ المُسرفينَ إمَّا خبرٌ ثانٍ لكانَ أي [كان][٣] متكبرًا مسرفًا، أو حالٌ من الضميرِ في عاليًا أي كانَ رفيعَ الطبقةِ من بينِ المسرفينَ فائقًا لهُم بليغًا في الإسرافِ. ﴿ولقدِ اخترناهُم﴾ أي بنِي إسرائيلَ ﴿عَلَى علم﴾ أي عالمينَ بأنَّهم أحِقَّاءُ بالاختيارِ أو عالمينَ بأنَّهم يزيغونَ في بعضِ الأوقاتِ ويكثرُ منُهم الفرطاتُ ﴿على العالمينَ﴾ جميعًا لكثرةِ الأنبياءِ فيهم أو على عالَمِيْ زمانِهم ﴿وآتيناهُم من الآياتِ﴾ [كفلْقِ البحرِ وتظليلِ الغمامِ وإنزالِ المنِّ والسَّلْوى وغيرِها من عظائمِ الآياتِ][٤] التي لم يُعهدْ مثلُها في غيرِهم. ﴿ما فيهِ بلاءٌ مبينٌ﴾ نعمةٌ جليةٌ أو اختبارٌ ظاهرٌ لننظرَ كيفَ يعملونَ.

﴿إنَّ هؤلاءِ﴾ يَعْني كفارَ قريشٍ لأنَّ الكلامَ فيهم وقصةُ فرعونَ وقومِه مَسوقةٌ للدلالةِ على تماثِلهم[٥] في الإصرارِ عَلَى الضَّلالةِ والتحذيرِ عن حلولِ مثلِ ما حَلَّ بهم. ﴿ليقولونَ إنْ هيَ إلا موتتُنا الأُولى﴾ أي ما العاقبةُ ونهايةُ الأمرِ إلا الموتةُ الأُولى المزيلَة للحياةِ الدُّنيويةِ، ولا قصدَ فيهِ إلى إثباتِ موتةٍ أُخْرى كمَا في قولِك حجَّ زيد الحجَّةَ الأُولى وماتَ.

وقيلَ لمَّا قيلَ لهم: إنكُم تموتونَ موتةً تعقبُها حياةٌ كمَا تقدمتكم موتةٌ كذلكَ قالُوا ما هيَ إلا موتتُنا الأُولى أي ما الموتةُ التي تعقُبها حياةٌ إلا الموتةُ الأُولى.

وقيل: المَعْنى ليست الموتةُ إلا هذهِ الموتة دونَ الموتةِ[٦] التي تعقبُ حياةَ القبرِ كَما تزعمونَ ﴿وما نحنُ بمنشرينَ﴾ بمبعوثينَ ﴿فأتُوا بآبائِنا﴾ خطابٌ لمن وعَدَهُم بالنُّشورِ من الرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ والمؤمنينَ ﴿إنْ كنتُم صادقينَ﴾ فيمَا تعِدونه مِنْ قيامِ السَّاعةِ وبعثِ الموتَى ليظهر أنَّه حقٌّ وقيلَ: كانُوا يطلبونَ [إليهم][٧] أنْ يدعُوا الله تعالى فينشُرَ لهم قُصَيَّ بنَ كلابٍ ليشاورُوه وكانَ كبيرَهُم ومفزَعَهُم في المهمَّاتِ والملمَّاتِ.

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٤)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٨).

(٣) سقط في خ. (٤) سقط في خ. (٥) في خ: تماديهم.

(٦) في خ: الموت. (٧) سقط في خ.

﴿أهم خيرٌ﴾ ردٌّ لقولِهم وتهديدٌ لَهُم أيْ أهُم خيرٌ في القوةِ والمنعةِ اللتينِ يُدفعُ بهما أسبابُ الهلاكِ[(١)] **﴿أم قومُ تبع﴾** هو تبعٌ الحميريُّ الذي سارَ بالجيوشِ وحيَّر الحِيرةَ وبنى سمرقندَ وقيل هدمَها وكان مؤمنًا وقومُه كافرينَ ولذلكَ ذمَّهم الله تعالَى دونَهُ وكان يكتبُ في [عنوانِ][(٢)] كتابِه بسمِ الله [الذي][(٣)] ملكَ بحرًا وبحرًا أي بحارًا كثيرةً وعنِ النبيِّ ﷺ: «**لا تسبُّوا تُبعًا فإنَّه كانَ قد أسلمَ**»[(٤)] وعنْهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ما أدْرِي أكانَ تبعٌ نبيا أو غيرَ نبيٍّ**»[(٥)] وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: «أنَّه كانَ نبيا»[(٦)].

وقيلَ لملوكِ اليمنِ التابعةِ لأنَّهم يُتبعونَ، كما يقالُ لهم الأقيالُ لأنَّهم يتقيَّلونَ.

﴿والذينَ من قبلِهم﴾ عطفٌ على قومُ تبعٍ والمرادُ بهم عادٌ وثمودُ وأضرابُهم من كلِّ جبَّارٍ عَنيدٍ أولي بأسٍ شديدٍ. والاستفهامُ لتقريرِ أنَّ أولئكَ أقوى مِنْ هؤلاءِ. وقولُه تعالَى **﴿أهلكناهُم﴾** استئنافٌ لبيانِ عاقبةِ أمرِهم. وقولُه تعالَى: **﴿إنَّهم كانُوا مجرمينَ﴾** تعليلٌ لإهلاكِهم ليَعلمَ أنَّ أولئكَ حيثُ أُهلكُوا بسببِ إجرامِهم معَ ما كانُوا

---

(١) في خ: الهلكة. (٣) سقط في خ.

(٤) هذا الحديث مروي عن سهل بن سعد وابن عباس أما حديث سهل بن سعد.
أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣)، حديث (٦٠١٣) والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٥٤)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٩): كتاب الأدب: باب النهي عن سب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١). وزاد نسبته إلى أبي حاتم وابن مردويه.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب.
أما حديث ابن عباس.
أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٩٦). حديث (١١٧٩٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣/ ٢٠٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٩)، كتاب الأدب: باب النهي عن سب الأموات، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣١). وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن أبي برة المكي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٧٠) وعزاه إلى الثعلبي.
وللحديث لفظ آخر: «ما أدري أتبع العين هو أم لا» أخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١/ ١٥٣).وأبو داود في سننه (٤/ ٢١٨): كتاب السنة: باب التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حديث (٤٦٧٤)، والحاكم النيسابوري (٢/ ١٤-٤٥٠). كتاب البيوع والتفسير.
وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢٨): باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم، حديث رقم (١٥٥٢).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٤٠)، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه.

(٦) ينظر: الكشاف (٥/ ٤٧٥).

في غاية القوةِ والشدةِ فلأنْ يَهلكَ هؤلاءِ وهم شركاءُ لهم في الإجرامِ أضعفُ منهم في الشدةِ والقوةِ أَوْلَى.

﴿وما خلقنَا السمواتِ والأرضِ وَمَا بينهُمَا﴾ أي ما بينَ الجنسينِ. وقرئ[1] وما بينهنَّ ﴿لاعبينَ﴾ لاهينَ من غيرِ أَنْ يكونَ في خلقِهما غرضٌ صحيحٌ وغايةٌ حميدةٌ. ﴿ما خلقناهُمَا﴾ وما بينَهما ﴿إلا بالحقِّ﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعمِّ الأحوالِ أو أعمِّ الأسبابِ أي ما خلقناهُمَا ملتبسًا بشيءٍ من الأشياءِ [إلا ملتبسًا بالحقِّ][2] أو ما خلقناهُمَا بسببٍ من الأسبابِ إلا بسببِ الحقِّ الذي هُو الإيمانُ والطَّاعةُ والبعثُ والجزاءُ. ﴿ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلمونَ﴾ أَنَّ الأمرَ كذلكَ فينكرون البعثَ والجزاءَ ﴿إنَّ يومَ الفصلِ﴾ أي فصلِ الحقِّ عن الباطلِ وتمييزِ المحقِّ من المبطلِ أو فصلِ الرجلِ عن أقاربِه وأحبَّائِه ﴿ميقاتُهم﴾ وقتَ موعدِهم ﴿أجمعينَ﴾ وقرئ[3] ميقاتَهُم بالنصبِ على أنَّه اسمُ إنَّ ويوم الفصلِ خبرُها أي أنَّ ميعادَ حسابِهم وجزائِهم في يوم الفصلِ ﴿يومَ لا يُغني﴾ بدلٌ من يومَ الفصلِ أو صفةٌ لـ (ميقاتُهم) أو ظرفٌ لما دلَّ عليه الفصل لا لنفسِه ﴿مَوْلى﴾ مِنْ قرابةٍ أو غيرِها ﴿عن مَوْلى﴾ أيُّ مَوْلَى كانَ ﴿شيئًا﴾ أيْ شيئًا من الإغناءِ ﴿ولا هُم يُنصرون﴾ الضميرُ لمولَى الأول باعتبارِ المَعْنى لأنَّه عامٌّ.

﴿إلاَّ مَنْ رحمَ اللهُ﴾ بالعفوِ عنْهُ وقبولِ الشفاعةِ في حقِّه، ومحلُّه الرفعُ على البدلِ من الواوِ أو النصبُ على الاستثناءِ ﴿إنَّه هُو العزيزُ﴾ الذي لا يُنصرُ من أرادَ تعذيبَهُ ﴿الرحيمُ﴾ لمنْ أرادَ أنْ يرحَمهُ ﴿إنَّ شجرةَ الزقوم﴾ وقرئ[4] بكسرِ الشينِ وقد مرَّ مَعْنى الزقومِ في سورةِ الصَّافاتِ ﴿طعامُ الأثيم﴾ أي الكثيرِ الآثام والمرادُ به الكافرُ لدلالةِ ما قبلَهُ وما بعدَه عليهِ ﴿كالمُهلِ﴾ وهو ما يُمهلُ في النَّارِ[5] حتَّى يذوبَ وقيلَ: هو دُرْدِيُّ الزَّيتِ ﴿يَغْلي في البطونِ﴾ وقرئ[6] بالتاءِ على إسنادِ الفعلِ إلى الشَّجرةِ.

﴿كغلي الحميمِ﴾ غليانًا كغليهِ ﴿خُذوه﴾ عَلى إرادةِ القولِ والخطابُ للزبانيةِ

---

(١) قرأ بها: عبيد بن عمير، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٥).

(٢) سقط في خ.

(٣) قرأ بها: عبيد بن عمير، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٥).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٣٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٦)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٤٨).

(٥) وهذه عبارة عامة تشمل كل ما يذاب وقد ذكروا أنه الصديد والقيح، وقيل: هو عكر القطران، وقيل: عكر الزيت، وقد شبه بالمهل في سواد لونه، وقيل: في ذوبانه، والحميم الماء الشديد الحرارة الذي انتهى غليانه، وهو غاية في الترهيب وهو تشبيه مرسل لذكر الأداة فيه.
ينظر: الكشاف (٣/ ٥٠٧)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١١٠)، والتحرير والتنوير (٢٥/ ٣١٥).

(٦) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وخلف، ويعقوب، وعمرو بن ميمون، وأبو رزين، والأعرج، وشيبة، وابن محيصن، وطلحة، والحسن، وأبو جعفر، وشعبة. =

﴿فاعتلُوه﴾ أي جُرُّوه، والعَتلُ الأخذُ بمجامعِ الشيءِ وجرُّه بقهرٍ وعنفٍ وقرئ[١] بضمِّ التاءِ وهي لغةٌ فيهِ. ﴿إلى سواءِ الجحيمِ﴾ أي وسطِه ﴿ثمَّ صُبُّوا فوقَ رأسِه من عذابِ الحميمِ﴾ كانَ الأصلُ يصبُّ من فوقِ رؤوسِهم الحميمُ فقيلَ يصبُّ من فوقِ رؤوسِهم عذابٌ هو الحميمُ للمبالغةِ ثم أضيفَ العذابُ إلى الحميمِ للتخفيفِ وزيدَ من للدلالةِ على أنَّ المصبوبَ بعضُ هذا النوعِ.

﴿ذُقْ إنَّك أنتَ العزيزُ الكريمُ﴾ أي وقولُوا له ذلكَ استهزاءً بهِ وتقريعًا له على ما كانَ يزعمُه، رُويَ أنَّ أبا جهلٍ قالَ لرسولِ الله ﷺ: ما بينَ جبليَها أعزُّ ولا أكرمُ منِّي فوالله ما تستطيعُ أنتَ ولا ربُّكَ أنْ تفعَلا بي شيئًا[٢].

وقرئ[٣] بالفتحِ أي لأنَّك أو عذابُ أنَّك ﴿إنَّ هذَا﴾ أي العذابَ ﴿ما كنتُم بهِ تمترونَ﴾ تشكونَ وتُمارونَ فيهِ والجمعُ باعتبارِ المعنى لأنَّ المرادَ جنسُ الأثيمِ.

﴿إنَّ المتقينَ﴾ أيْ عن الكفرِ والمَعَاصِي ﴿في مقامٍ﴾ في موضعَ قيامٍ، والمرادُ المكانُ على الإطلاقِ فإنَّه من الخاصِّ الذي شاعَ استعمالُه في مَعْنى العمومِ. وقُرئ[٤] بضمِّ الميمِ وهو مَوضعُ إقامةٍ ﴿أمينٍ﴾ يأمن صاحبُه الآفاتِ والانتقالَ عنْهُ وهو منَ الأمنِ الذي هُوَ ضدُّ الخيانةِ، وصفَ به المكانُ بطريقِ الاستعارةِ، كأنَّ المكانَ المخيفَ يخونُ صاحبَهُ لما يَلْقى فيهِ من المكارهِ ﴿في جنَّاتٍ وعيونٍ﴾ بدلٌ من مقامٍ جيءَ بهِ دِلالةً على نزاهتِه واشتمالِه على طيباتِ المآكلِ والمشاربِ ﴿يلبسون من سندسٍ واستبرقٍ﴾ إما خبرٌ ثانٍ أو

= ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٣٩، ٤٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٧٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٦٧).

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن محيصن، وأبو جعفر، والحسن، وزيد بن علي، وقتادة، والأعرج، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤٦) رقم (٣١١٧٠، ٣١١٧١) عن قتادة.

(٣) قرأ بها: الكسائي، والحسن بن علي، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٣٨)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، وتفسير الطبري (٢٥/ ٨١).

(٤) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والأعمش، وعبد الله بن عمر، وزيد بن علي، وشيبة، والأعرج، والحسن، وقتادة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١١٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٣٨)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠).

حالٌ من الضميرِ في الجارِّ، أو استئنافٌ. والسندسُ ما رقَّ من الحريرِ، والإستبرقُ ما غلُظَ منْهُ معرَّبٌ. ﴿مُتقابلينَ﴾ في المجالسِ ليستأنسَ بعضُهم ببعضٍ.

﴿كذلكَ﴾ أي الأمرُ كذلكَ أو كذلكَ أثبناهُم ﴿وزوَّجناهُم بحورٍ عينٍ﴾ على الوصفِ وقرئ[١] بالإضافةِ أي قرنّاهم بهنَّ والحورُ جمعُ الحوراءِ وهي البيضاءُ، والعينُ جمعُ العيناءِ وهي العظيمةُ العينينِ واختُلفَ في أنهنَّ نساءُ الدُّنيا أو غيرُها ﴿يدعون فيها بكلِّ فاكهةٍ﴾ أي يطلبونَ ويأمرونَ بإحضارِ ما يشتهونَهُ من الفواكهِ لا يتخصصُ شيءٌ منها بمكانٍ ولا زمانٍ ﴿آمنينَ﴾ من كلِّ ما يسوؤهم ﴿لا يذوقونَ فيها الموتَ إلا الموتةَ الأُولى﴾ بل يستمرُّونَ على الحياةِ أبدًا والاستثناءُ منقطعٌ أو متصلٌ على أنَّ المرادَ بيانُ استحالةِ ذوقِ الموتِ فيها على الإطلاقِ كأنَّه قيلَ: لا يذوقونَ فيها الموتَ إلا إذا أمكن ذوقُ الموتةِ الأُولى حينئذٍ ﴿ووقاهُم عذابَ الجحيمِ﴾ وقرئ[٢] مشددًا للمبالغةِ في الوقايةِ.

﴿فضلًا من ربِّك﴾ أي أُعطوا ذلكَ كلُّه عطاءً وتفضلًا منه تعالَى. وقرئ بالرفعِ أي ذلكَ فضلٌ ﴿ذلكَ هُو الفوزُ العظيمُ﴾ الذي لا فوزَ وراءَهُ إذ هُو خلاصٌ عن جميعِ المكارِه ونيلٌ لكلِّ المطلبِ. وقولُه تعالى ﴿فإنَّما يسرناهُ بلسانِكَ لعلَّهم يتذكرونَ﴾ فذلكةٌ للسورةِ الكريمةِ إنَّما أنزلنَا الكتابَ المبينَ بلغُتكَ كي يفهمه قومُك ويتذكروا[٣] ويعملُوا بموجبِه وإذْ لم يفعلُوا ذلكَ ﴿فارتقبْ﴾ فانتظرْ ما يحِلُّ بهم ﴿إنَّهم مرتقبونَ﴾ ما يحلُّ بكَ.

رُويَ عنِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قرأَ حم الدخان ليلةَ الجمعةِ أصبحَ مغفورًا لهُ»[٤].

---

(١) قرأ بها: عكرمة، ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ١٥٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦١).

(٢) قرأ بها: أبو حيوة، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٠)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٥٤).

(٣) أي الآية من قبيل المجاز المرسل بعلاقة الآلية حيث ذكر الآلة وأراد أثرها.
ينظر: المجاز المرسل: المطول (٣٥٣)، والإيضاح مع البغية (٣/ ٨٧)، ومفتاح العلوم للسكاكي (٥٣)، وشروح التلخيص (٤/ ١٦٨)، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام (٢٨)، وأسرار البلاغة (٢٨١)، والطراز للعلوي (١/ ٦٦ - ٦٨)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١/ ٥٧ - ٦٣)، والكشاف (٣/ ٤٠٩)، والإحكام للآمدي (١/ ٤٦)، والفوائد (١٠)، والصناعتين (١٥)، وبدائع الفوائد (٤/ ٢٠٥)، والخصائص لابن جني (٢/ ٤٤٢ - ٤٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي: (٥/ ١٦٣) كتاب فضائل القرآن: باب ما جاء في فضل حم الدخان حديث (٢٨٨٩)، والدارمي (٢/ ٣٥٧) كتاب فضائل القرآن: باب في فضل (يس)، والطيالسي (٢/ ٢٣-منحة) رقم (١٩٧٠)، وأبو يعلى (٦٢٢٤)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧٤)، والطبراني (١/ ١٤٩) كلهم من طريق الحسن عن أبي هريرة.
وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهشام أبو المقدام يضعف ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، هكذا قال أيوب ويونس بن عبيد، وعلي بن زيد.

سُورةُ الجاثيةِ

مَكِّيةٌ وهيَ سبعٌ أو ستٌّ وثلاثونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١) ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (١٦) وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)

﴿حم﴾ الكلامُ فيه كما مرَّ في فاتحةِ سورةِ المؤمنِ فإنْ[١] جُعلَ اسمًا للسورةِ، فمحلُّه الرفعُ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي هذا مُسمَّى بـ (حم). والإشارةُ إلى السورةِ قبلَ جريانِ ذكرِها قد وقفتَ على سرِّه مرارًا، وإنْ جُعلَ مسرودًا على نمطِ التعديدِ فلا حظَّ له من الإعرابِ. وقولُه تعالى: ﴿تنزيلُ الكتابِ﴾ على الأولِ خبرٌ بعدَ خبرٍ، على أنَّه مصدرٌ أطلقَ على المفعولِ مبالغةً، وعلى الثاني خبرٌ لمبتدأٍ مضمرٍ يلوحُ به ما قبلَهُ أي المؤلفُ من جنسِ ما ذُكِرَ تنزيلُ الكتابِ وقيلَ: هو خبرٌ لحَم أي المُسمَّى به تنزيلُ. . .إلخ وقد مرَّ مرارًا أنَّ الذي يُجعلُ عُنوانًا للموضوعِ حقَّه أنْ يكونَ قبلَ ذلكَ معلومَ الانتسابِ إليه، وإذ لا عهدَ بالتسميةِ بعدُ فحقُّها الإخبارُ بَها، وأما جعلُه خبرًا له بتقديرِ المضافِ وإبقاءِ التنزيلِ على أصلِه أي تنزيلُ حم تنزيلُ الكتابِ فمعَ عرائهِ عن إفادةِ فائدةٍ يُعتدُّ بها تمحلٌ على تمحلٍ.

وقولُه تعالى: ﴿منِ اللهِ العزيزِ الحكيمِ﴾ كما مرَّ في صدرِ سورةِ الزمرُ على التفصيلِ، وقيلَ: حم مقسمٌ به، وتنزيلُ الكتابِ صفتُه، وجوابُ القسمِ قولُه تعالى: ﴿إنَّ في السمواتِ والأرضِ لآياتٍ للمؤمنينَ﴾ وهو على الوجوهِ المتقدمةِ كلامٌ مسأنفٌ مسوقٌ للتنبيهِ على الآياتِ التكوينيةِ الآفاقيةِ والأنفسيةِ، ومحلُّ الآياتِ إمَّا نفسُ السمواتِ والأرضِ فإنَّهما منطويتانِ من فنونِ الآياتِ على ما يقصرُ عنه البيانُ وإما خلقُهما كما في قولِه تعالى: ﴿إن في خلقِ السمواتِ والأرضِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٦٤] وهو الأوفقُ بقولِه تعالى ﴿وفي خلقِكم﴾ أي من نطفةٍ ثم من علقةٍ متقلبةٍ في أطوارٍ مختلفةٍ إلى تمامِ الخلقِ ﴿وما يبث من دابةٍ﴾ عطفٌ على المضافِ دونَ المضافِ إليه أي وفيمَا ينشرُه ويفرّقُه من دابةٍ.

﴿آياتٌ﴾ بالرفعِ على أنَّه مبتدأٌ خبرُهُ الظرفُ المقدمُ. والجملةُ معطوفةٌ على ما قبلَها من الجملةِ المصدرةِ بـ (إنَّ) وقيلَ: آياتٌ عطفٌ على ما قبلَها من آياتٍ باعتبارِ المحلِّ عندَ من يُجوِّزُه وقُرِئَ آيةٌ[٢] بالتوحيدِ، وقرئ آياتٍ[٣] بالنصب عطفًا على ما قبلها من اسم إنَّ والخبر هو الخبر كأنه قيل: وإن في خلقكم وما يبث من دابة آياتٍ

---

(١) في خ: فإنه.

(٢) قرأ بها: زيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٩).

(٣) قرأ بها: حمزة، والكسائي، ويعقوب، والأعمش، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٢٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٦٧).

﴿لقوم يُوقنون﴾ أي من شأنِهم أنْ يُوقنوا بالأشياءِ على ما هيَ عليهِ ﴿واختلافِ الليلِ والنَّهارِ﴾ بالجرِّ على إضمارِ الجارِّ المذكورِ في الآيتينِ قبلَهُ. وقد قُرِئ[١] بذكرِه. والمرادُ باختلافِهما إمَّا تعاقُبهما أو تفاوتُهما طولًا وقِصَرًا.

﴿وما أنزلَ الله من السماءِ﴾ عطفٌ على اختلافِ ﴿مِنْ رزقٍ﴾ أي من مطرٍ، وهو سببٌ للرزقِ عُبرَ عنهُ بذلكَ تنبيهًا على كونِه آيةً من جِهتَيْ القُدرةِ والرحمةِ. ﴿فأَحيا به الأرضَ﴾ بأنْ أخرجَ منها أصنافَ الزروعِ والثمراتِ والنباتِ. ﴿بعد موتِها﴾ وعرائها عن آثارِ الحياةِ وانتقاءِ قوةِ التنميةِ عنها وخُلوِّ أشجارِها عن الثمارِ. ﴿وتصريفِ الرياحِ﴾ من جهةٍ إلى أُخرى، ومن حالٍ إلى حالٍ. وقُرِئ[٢] بتوحيدِ الريحِ. وتأخيرُه عن إنزالِ المطرِ مع تقدمِه عليهِ في الوجودِ، إمَّا للإيذانِ بأنه آيةٌ مستقلةٌ حيثُ لو رُوعيَ الترتيبُ الوجوديُّ لربما تُوهم أنَّ مجموعَ تصريفِ الرياحِ وإنزالِ المطرِ آيةٌ واحدةٌ، وإمَّا لأنَّ كونَ التصريفِ آيةً ليسَ لمجردِ كونِه مبدأً لإنشاءِ المطرِ بل لهُ ولسائرِ المنافعِ التي من جُملتها سوقُ السفنِ في البحارِ.

﴿آياتٌ لقوم يعقلونَ﴾ بالرفعِ على أنَّه مبتدأٌ خبرُهُ ما تقدمَ من الجارِّ والمجرورِ. والجملةُ معطوفةٌ على ما قبلَها. وقُرِئ[٣] بالنصبِ على الاختصاصِ، وقيلَ: على أنَّها اسمُ إنَّ والمجرورُ المتقدمُ خبرُها بطريقِ العطفِ على معمولَيْ عاملينِ مختلفينِ هُمَا (إنَّ) و(في) أقيمتِ الواوُ مُقامَهُما فعملتِ الجرَّ في اختلافِ والنصبَ في آياتٍ. وتنكيرُ آياتٍ في المواقعِ الثلاثةِ للتفخيمِ كمًا وكيفًا واختلافُ الفواصلِ لاختلافِ مراتبِ الآياتِ في الدقةِ والجلاءِ.

﴿تلكَ آياتُ الله﴾ مبتدأٌ وخبرٌ. وقولُه تعالَى: ﴿نتلُوها عليكَ﴾ حالٌ عاملُها معنى الإشارةِ وقيلَ: هو الخبرُ وآياتُ الله بدلٌ أو عطفُ بيانٍ ﴿بالحقِّ﴾ حالٌ من فاعلِ نتلُو ومن مفعولِه أي نتلُوها مُحِقينَ أو ملتبسةً بالحقِّ ﴿فبأيِّ حديثٍ﴾ من الأحاديثِ ﴿بعد الله وآياتِه﴾ أي بعد آياتِ الله، وتقديمُ الاسمِ الجليلِ لتعظيمِها، كَما في قولِهم: أعجبنِي زيدٌ وكرمُه، أو بعدَ حديثِ الله الذي هُو القرآنُ حسبما نَطقَ به قولُه تعالى:

---

(١) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٢٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٨).

(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧١).

(٣) قرأ بها الأخوان.
ينظر: السبعة لابن مجاهد، ص (٥٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر، ص (٣٨٩).

﴿الله نزّلَ أحسنَ الحديثِ﴾ [سورة الزمر، الآية ٢٣] وهو المرادُ بآياتِه أيضًا ومناطُ العطفِ التغايرُ العُنوانِي.

﴿يُؤمنون﴾ بصيغةِ الغَيبةِ وقُرِئ[١] بالتاءِ. ﴿ويلٌ لكلِّ أفَّاكٍ﴾ كذابٍ ﴿أثيم﴾ كثيرِ الآثام. ﴿يسمعُ آياتِ الله﴾ صفةٌ أخرى لـ (أفَّاكٍ) وقيلَ: حالٌ من الضميرِ في أثيم. ﴿تُتلى عليه﴾ حالٌ من آياتِ الله ولا مساغَ لجعلِه مفعولًا ثانيًا لـ (يسمعُ)، لأنَّ شرطَهُ أنْ يكونَ ما بعَدهُ ممَّا لا يُسمعُ كقولِكَ سمعتُ زيدًا يقرأُ. ﴿ثم يُصرُّ﴾ أي يقيمُ على كُفره. وأصلُه من إصرارِ الحمارِ على العانة[٢]. ﴿مُستكبرًا﴾ عن الإيمانِ بما سمعهُ من آياتِ الله تعالى والإذعانِ لما تنطقُ بهِ من الحقِّ مُزدريًا لها مُعجَبًا بما عندَهُ من الأباطيلِ.

وقيلَ: نزلتْ في النَّضرِ بنِ الحارثِ[٣] وكان يشترِي من أحاديثِ الأعاجمِ ويشغلُ بها النَّاسَ عن استماعِ القُرآنِ، لكنَّها وردتْ بعبارةٍ عامةٍ ناعية عليهِ وعلى كلِّ من يسيرُ سيرتَهُ ما هم فيه من الشرِّ والفسادِ. وكلمةُ ثمَّ لاستبعادِ الإصرارِ والاستكبارِ بعد سماعِ الآياتِ التي حقُّها أنْ تُذعنَ لها القلوبُ وتخضعَ لها الرقابُ كَما في قولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

.... يَرَى غَمَراتِ الموتِ ثمَّ يزورُهَا[٤]

﴿كأنْ لم يسمعْهَا﴾ أي كأنَّه لم يسمعْهَا فخففَ وحُذفَ ضمير الشأنِ. والجملةُ حالٌ من يُصرُّ أي يصرُّ شبيهًا بغيرِ السامعِ[٥]. ﴿فبشرْهُ بعذابٍ أليمٍ﴾ على إصرارِه واستكبارِه.

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، وابن عامر، واليزيدي، والأعمش، وشعبة، وخلف، وابن محيصن، والأعشى، والبرجمي، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٨٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٢٦)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٩)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٦٧).

(٢) العانة: القطيع من حُمُرِ الوحش.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٠٥) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٤) عجز بيت وصده:
وما يكشف الغماء إلا ابن حرة ....
ينظر: الحماسة البصرية (١/ ١٥٠)، والسراج المنير (٣/ ٢١٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢٠٤) والكشاف (٣/ ٢٤٦) وشرح شواهد الكشاف (٤/ ٤١٧)، وتفسير البيضاوي (٢/ ١٢٦).

(٥) وازن العلماء بين هذا التشبيه وبين تشبيه سورة لقمان قال الخطيب: لأن الإصرار عزم لا يتهم معه بإقلاع فإذا أصر على التصام فهو كمن في أذنيه وقر، فصار أحد اللفظين يغني عن الآخر، وكان الموضوع الذي ذكر فيه ﴿ولى مستكبرا﴾ أحق بقوله: ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ والموضع الذي ذكر فيه الإصرار على ترك الاستماع أغنى عن ذكر ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾، وقد ذكر الغرناطي جوابًا آخر وقد =

﴿وإذَا علم من آياتِنا شيئًا﴾ أي إذا بلغَهُ من آياتِنا شيءٌ وعلم أنَّه من آياتِنا لا أنه علمهُ كما هُو عليهِ فإنَّه بمعزلٍ عن ذلك العلم، وقيلَ: إذا علم منها شيئًا يمكنُ أنْ يتشبثَ به المعاندُ ويجدَ له محملًا فاسدًا يتوصلُ به إلى الطعنِ والغميزةِ ﴿اتخذَها﴾ أي الآياتِ كلَّها ﴿هُزُوًا﴾ أي مَهْزُوءًا بَها لا ما سَمِعَهُ فقطْ، وقيلَ: الضميرُ للشيءِ، والتأنيثُ لأنَّه في معنى الآيةِ. ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى كلِّ أفاكٍ من حيثُ الاتصافُ بما ذُكرَ من القبائِحِ، والجمعُ باعتبارِ الشمولِ للكلِّ كما في قولِه تعالى: ﴿كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٥] كما أنَّ الإفرادَ فيما سبقَ من الضمائرِ باعتبارِ كلِّ واحدٍ واحدٍ. ﴿لهم﴾ بسببِ جناياتِهم المذكورةِ ﴿عذابٌ مهينٌ﴾ وصفُ العذابِ بالإهانةِ توفيةً لحقِّ استكبارِهم واستهزائِهم بآياتِ الله سبحانه وتعالى. ﴿من ورائِهم جهنمُ﴾ أي من قُدامِهم لأنهم متوجهونَ إلى ما أُعدَّ لهُم، أو من خلفِهم لأنهم معرضونَ عن ذلكَ مقبلونَ على الدُّنيا فإن الوراءَ اسمٌ للجهةِ التي يُواريها الشخصُ من خلفٍ وقُدام. ﴿ولا يُغني عنهم﴾ ولا يدفعُ ﴿ما كسبُوا﴾ من الأموالِ والأولادِ ﴿شيئًا﴾ من عذابِ الله تعالى أو شيئًا من الإغناءِ ﴿ولا ما اتخذُوا من دونِ الله أولياءَ﴾ أي الأصنامَ، وتوسيطُ حرفِ النفي بينِ المعطوفينِ مع أنَّ عدمَ إغناءِ الأصنام أظهرُ وأجلى من عدمِ إغناءِ الأموالِ والأولادِ قطعًا مبنيٌّ على زعمِهم الفاسدِ حيثُ كانُوا يطمعونَ في شفاعتِهم وفيه تهكمٌ. ﴿ولَهُم﴾ فيما وراءَهُم من جهنمَ ﴿عذابٌ عظيمٌ﴾ لا يُقادرُ قدرُه.

﴿هذا﴾ أي القرآنُ ﴿هدى﴾ في غايةِ الكمالِ من الهدايةِ كأنَّه نفسُها ﴿والذينَ كفرُوا﴾ أي بالقرآنِ وإنما وضعَ موضعَ ضميرِه [في][1] قوله تعالى: ﴿بآياتِ ربِّهم﴾ لزيادةِ تشنيعِ كفرِهم به وتفظيعِ حالِهم ﴿لهم عذابٌ من رجزٍ﴾ أي من أشدِّ العذابِ ﴿أليمٌ﴾ بالرفع صفةُ عذابٌ، وقُرِئَ[2] بالجرِّ على أنَّه صفة رجزٍ، وتنوينُ عذابٌ في المواقعِ الثلاثةِ للتفخيمِ، ورفعُه إما على الابتداء وإما على الفاعلية.

= تناول عبد القاهر التشبيه في دلائل الإعجاز أيضًا.
ينظر في ذلك بتوسع: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات من كتاب الله العزيز للخطيب الإسكافي، ص (٤٣٧، ٤٣٨)، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل للغرناطي (٢/ ٩٤١، ٩٤٢)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٢١/ ١٤٤)، ودلائل الإعجاز (٢٢٨).

(١) سقط في ط.

(٢) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، والحسن، وشيبة، وعيسى، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٧٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٦٢)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٠١، ٢٠٢).

﴿اللهُ الذي سخَّرَ لكُم البحرَ﴾ بأنْ جعلَه أملسَ السطحِ يطفُو عليهِ ما يتخلَلُ كالأخشابِ ولا يمنعُ الغوصَ والخرقَ لمَيَعانه. ﴿لتجريَ الفلكُ فيه بأمرِه﴾ وأنتم راكبوها ﴿ولتبتغُوا من فضلِه﴾ بالتجارةِ والغوصِ والصيدِ وغيرِها ﴿ولعلَّكُم تشكرونَ﴾ ولكيْ تشكرُوا النعَم المترتبةَ على ذلكَ ﴿وسخَّر لكُم ما في السمواتِ وَمَا فِي والأرضِ﴾ من الموجوداتِ بأنْ جعلَها مدارًا لمنافعِكم ﴿جميعًا﴾ إما حالٌ مِنْ ما في السمواتِ والأرضِ، أو توكيدٌ له ﴿مِنْهُ﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ لـ (جميعًا) أو حالٌ منْ مَا، أيْ جميعًا كائنًا منْهُ تعالَى، أو سخَّر لكُم هذهِ الأشياءَ كائنةً منه مخلوقةً له تعالى أو خبرٌ لمحذوفٍ أيْ هي جميعًا منْهُ تعالَى. وقرئَ[1] مِنَّةً عَلى المفعولِ لَهُ ومِنَّةٌ[2] على أنه فاعلُ سخَّر على الإسنادِ المجازيِّ أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ أي ذلكَ مِنَّةٌ ﴿إنَّ في ذلكَ﴾ أي فيما ذُكِرَ من الأمورِ العظامِ ﴿لآياتٍ﴾ عظيمةَ الشأنِ كثيرةَ العددِ ﴿لقومٍ يتفكرونَ﴾ في بدائعِ صُنْعِ الله تعالى فإنَّهم يقفونَ بذلكَ على جلائلِ نعمهِ تعالى ودقائِقها ويوفقونَ لشكرِها.

﴿قُلْ للذينَ آمنُوا﴾ حُذفَ المقولُ لدلالةِ ﴿يغفرُوا﴾ عليهِ فإنَّه جوابٌ للأمرِ باعتبارِ تعلقِهِ به لا باعتبارِ نفسِه فقطْ أي قُلْ لهم اغفِروا يغفروا. ﴿للذينَ لا يرجُون أيَّامَ الله﴾ أي يعفُوا ويصفحوا عنِ الذينَ لا يتوقعونَ وقائعَهُ تعالى بأعدائِه من قولِهم أيامُ العربِ لوقائِعها، وقيلَ: لا يأملون الأوقاتَ التي وقَّتها الله تعالى لثوابِ المؤمنينَ ووعدهم الفوزَ فيها. قيلَ: نزلتْ قبلَ آيةِ القتالِ ثمَّ نُسختْ بها[3]، وقيلَ: نزلتْ في عمرَ رضيَ الله عنه حينَ شتمَهُ غفاريٌّ فهَّم أنْ يبطشَ [بهِ][4]، وقيلَ: حينَ قالَ ابنُ أُبيٍّ ما قالَ، وذلكَ أنَّهم نزلُوا في غزوةِ بني المصطلِقِ على بئرٍ يقالُ لها المريْسِيْعُ فأرسلَ ابنُ أُبيٍّ غلامَهُ يستَقي فأبطأَ عليهِ فلمَّا أتاهُ قالَ له: ما حبسكَ؟ قال: غلامُ عمرَ قعدَ على طرفِ

---

(١) قرأ بها: ابن محيصن، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، والجحدري، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وعبيد بن عمير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٢٧)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٤، ٤٥) وتفسير القرطبي (١٦/ ١٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢).

(٢) قرأ بها: سلمة بن محارب، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٥٦) رقم (٣١١٥٨) عن ابن عباس.
وبرقم (٣١١٨٧) عن مجاهد، وبرقم (٣١١٨٨) عن قتادة، وكذا رقم (٣١١٨٩)، وبرقم (٣١١٩٠) عن الضحاك، وبرقم (٣١١٩١) عن أبي صالح، وبرقم (٣١١٩٢) عن ابن زيد.

(٤) سقط في خ.

البئرِ فما تركَ أحدًا يستقي حتى ملأَ قُرَبَ النبيِّ ﷺ وقُرَبَ أبي بكرٍ، فقالَ ابنُ أُبيٍّ: ما مثلُنا ومثلُ هؤلاءِ إلا كَما قيلَ: سمِّنْ كلْبكَ يأكلْكَ فبلغَ ذلكَ عمرَ رضيَ الله عنه فاشتملَ[١] سيفَهُ يريدُ التوجُّه إليهِ فأنزلَها الله تعالَى[٢].

﴿ليجزيَ قومًا بَما كانُوا يكسبونَ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالمغفرةِ، والمرادُ بالقومِ المؤمنونَ والتنكيرِ لمدحِهم والثناءِ عليهم، أي أُمروا بذلكَ ليجزيَ يومَ القيامةِ قومًا أيَّما قومٍ قومًا مخصوصينَ بما كسبوا في الدُّنيا من الأعمالِ الحسنةِ التي من جُملتها الصبرُ على أذيةِ الكفارِ والإغضاءُ عنهم بكظمِ الغيظِ واحتمالِ المكروهِ ما يقصرُ عنه البيانُ من الثوابِ العظيمِ. هذا وقد جُوِّزَ أنْ يرادَ بالقومِ الكفرةُ وبما كانُوا يكسبونَ سيئاتُهم التي من جُملتها ما حُكِيَ من الكلمةِ الخبيثةِ، والتنكيرُ للتحقيرِ، وفيهِ أنَّ مطلقَ الجزاءِ لا يصلحُ تعليلًا للأمرِ بالمغفرةِ لتحققِه على تقديريْ المغفرةِ وعدمِها فلا بُدَّ من تخصيصِه بالكلِّ بألا يتحققَ بعضٌ منه في الدُّنيا أو بما يصدرُ عنه تعالى بالذاتِ وفي ذلكَ من التكلفِ ما لا يخفى وأنْ يرادَ كلا الفريقينِ وهو أكثرُ تكلفًا وأشدُّ تمحلًا. وقرئ لِيُجْزَى قومٌ ولِيُجْزَى[٣] قومًا أي لِيُجْزَى الجزاءُ قومًا، وقرئ لَنَجْزِي[٤] بنونِ العظمةِ. ﴿مَنْ عمل صالحًا فلنفسهِ ومَنْ أساءَ فعليها﴾ لا يكادُ يسري عملٌ إلى غيرِ عاملِه.

﴿ثم إلى ربِّكم﴾ مالكِ أمورِكم ﴿تُرجعونَ﴾ فيجازيكُم على أعمالِكم خيرًا كانَ أو شرًّا ﴿ولقد آتينا بني إسرائيلَ الكتابَ﴾ أي التوراةَ ﴿والحكمَ﴾ أي الحكمةَ النظريةَ والعمليةَ والفقهَ في الدِّينِ أو فصلَ الخصوماتِ بينَ النَّاسِ إذْ كانَ الملكُ فيهم. ﴿والنبوةَ﴾ حيثُ كثُرَ فيهم الأنبياءُ ما لم يكثرْ في غيرِهم ﴿ورزقناهُم من الطيباتِ﴾ مما أحلَّ الله تعالى من اللذائذِ كالمنِّ والسلوى ﴿وفضلناهُم على العالمينَ﴾ حيث آتيناهُم ما لم نؤتِ من عَداهُم من فلقِ البحرِ وإظلالِ الغمامِ ونظائرِهما.

وقيلَ: على عالَمِي زمانِهم ﴿وآتيناهُم بيناتٍ منَ الأمرِ﴾ دلائلَ ظاهرةً في أمرِ الدينِ ومعجزاتٍ قاهرةً وقال ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما هو العلمُ بمبعثِ النبيِّ ﷺ

---

(١) في خ: فاستل.

(٢) ينظر: «معالم التنزيل» للبغوي (٤/ ١٥٨)، و«الوسيط» للواحدي (٤/ ٩٦).

(٣) قرأ بها: ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وزيد بن علي، وأبو عبد الرحمن، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٩٠)، والسبعة لابن مجاهد، ص (٥٩٥).

(٤) قرأ بها: عاصم، وشيبة، وأبو جعفر، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٢٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٧٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٤٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

وما بين لهُم من أمرِه[1] وأنَّه يُهاجرُ من تِهامةَ إلى يثربَ ويكونُ أنصارُه أهلَ يثربَ. **﴿فما اختلفُوا﴾** في ذلك الأمرِ **﴿إلا منْ بعدِ ما جاءهُم العلمُ﴾** بحقيقتِه وحقِّيتِه فجعلُوا ما يوجبُ زوالَ الخلافِ مُوجبًا لرسوخهِ **﴿بغيًا بينهم﴾** أي عداوةً وحسدًا لا شكًّا فيه **﴿إنَّ ربَّك يقضِي بينَهم يومَ القيامةِ﴾** بالمُؤاخذةِ والجَزاءِ **﴿فيمَا كانُوا فيهِ يختلفونَ﴾** من أَمْرِ الدِّينِ.

﴿ثمَّ جَعلناكَ عَلَى شريعةٍ﴾ أي سنةٍ وطريقةٍ عظيمةِ الشَّأْنِ **﴿من الأمرِ﴾** أي أمرِ الدينِ **﴿فاتبعها﴾** بإجراءِ أحكامِها في نفسِك وفي غيرِك من غيرِ إخلالٍ بشيءٍ منَها **﴿ولا تتبعْ أهواءَ الذينَ لا يعلمونَ﴾** أي آراءَ الجهلةِ واعتقاداتِهم الزائغةَ التابعةَ للشهواتِ وهم رؤساءُ قريشٍ كانُوا يقولونَ له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: ارجعْ إلى دينِ آبائِك **﴿إنَّهم لن يُغنوا عنكَ من اللهِ شيئًا﴾** مما أرادَ بكَ إن اتبعتَهُم **﴿وَإِنَّ الظالمينَ بعضُهم أولياءُ بعضٍ﴾** لا يوُاليهم ولا يتبعُ أهواءَهُم إلا من كانَ ظالمًا مثلَهم **﴿واللهُ وليُّ المتقينَ﴾** الذين أنتَ قدوتُهم فدُمْ على ما أنتَ عليهِ من تولِّيه خَاصَّة والإعراضِ عمَّا سواهُ بالكُلِّيةِ. **﴿هذا﴾** أي القرآنُ أو اتباعُ الشريعةِ **﴿بصائرُ للنَّاسِ﴾** فإنَّ ما فيهِ من معالمِ الدينِ وشعائرِ الشرائعِ بمنزلةِ البصائرِ في القلوبِ **﴿وهُدى﴾** منْ ورطةِ الضلالةِ **﴿ورحمةٌ﴾** عظيمةٌ **﴿لقومٍ يوقنونَ﴾** منْ شأنِهم الإيقانُ بالأمورِ. **﴿أمْ حسبَ الذينَ اجترحُوا السيئاتِ﴾** استئنافٌ مَسوقٌ لبيانِ تباينِ حالَيْ المسيئينَ والمحسنين إثرَ تباينِ حالَيْ الظالمينَ والمتقينَ. وأمْ منقطعةٌ وما فيها مِنْ مَعْنى بَلْ للانتقالِ من البيانِ الأولِ إلى الثَّانِي. والهمزةُ لإنكارِ الحُسبانِ لكنْ لا بطريقِ إنكارِ الوقوعِ ونفيهِ كَما في قولِه تعالَى: ﴿أم نجعل الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ كالمفسدينَ في الأرضِ أم نجعل المتقينَ كالفُجَّارِ﴾ [سورة ص، الآية ٢٨] بل بطريقِ إنكارِ الواقعِ واستقباحِه والتوبيخِ عليه، والاجتراحُ الاكتسابُ **﴿أنْ نجعلَهُم﴾** أي نُصيِّرَهُم في الحُكمِ والاعتبارِ وهُم على ما هُم عليهِ منْ مَسَاوِي الأحوالِ.

﴿كالذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ﴾ وهُم فيمَا هُم فيهِ من محاسنِ الأعمالِ ونعاملُهُم معاملتهم في الكرامةِ ورفعِ الدرجةِ. وقولُه تعالَى: **﴿سواءً محياهُم ومماتُهم﴾** أيْ محيَا الفريقينِ جميعًا ومماتُهم. حالٌ من الضميرِ في الظرفِ والموصولِ معًا لاشتمالِه على ضميريهما على أنَّ السواءَ بمَعْنى المُستوي، ومحياهُم ومماتُهم مرتفعانِ بهِ على الفاعليةِ. والمعْنى أمْ حسبُوا أنْ نجعلَهم كائنينَ مثلَهُمْ حالَ كونِ الكُلِّ مستويًا محياهُم ومماتُهم، كلا لا يستوونَ في شيءٍ منهُمَا فإنَّ هؤلاءِ في عزِّ الإيمانِ

---

(١) ينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ١٥٨)، و«الوسيط» (٤/ ٩٧).

والطاعةِ وشرفِهما في المَحيا وفي رحمةِ الله تعالَى ورضوانِه في المماتِ وأولئكَ في ذُلِّ الكُفرِ والمَعَاصِي وهوانِهما في المَحيا وفي لعنةِ الله والعذابِ الخالدِ في المماتِ شتانَ بينهما.

وقد قيلَ: المراد إنكارُ أنْ يستووا في المماتِ كما استَووا في الحياةِ لأن المسيئينَ والمحسنينَ مستوٍ محياهُم في الرزقِ والصحةِ وإنما يفترقونَ في المماتِ.

وَقرئ (محياهم ومماتَهم)[1] بالنصبِ على أنَّهما ظرفانِ كمقْدَم الحاجِّ، وسواءً حالٌ على حالِه أي حالَ كونِهم مستوينَ في محياهُم ومماتِهم وقد ذُكرَ في الآيةِ الكريمةِ وجوُهُ أُخرُ من الإعرابِ والذي يليقُ بجزالةِ التنزيلِ هُو الأولُ فتدبرْ.

وقرئ سواءٌ[2] بالرفعِ على أنَّه خبرٌ ومحياهُم مبتدأٌ فقيلَ الجملةُ بدل من الكافِ وقيل: حالٌ وأيًّا ما كانَ فنسبةُ حسبانِ التَّساوي إليهم في ضمنِ الإنكارِ التوبيخيِّ مع أنَّهم بمعزلٍ منه جازمونَ بفضلِهم على المؤمنينَ للمبالغةِ في الإنكارِ والتشديدِ في التوبيخِ فإنَّ إنكارَ حسبانِ التَّساوِي والتوبيخ عليه إنكارٌ لحسبانِ الجزم بالفضلِ وتوبيخٌ عليهِ على أبلغ وجهٍ وآكدِه. ﴿ساءَ ما يحكمُون﴾ أي ساءَ حكمُهم هَذا أو بئسَ شيئًا حكموا [به ذلكَ][3].

﴿وخلقَ الله السمواتِ والأرضَ بالحقِّ﴾ استئنافٌ مقررٌ لما سبقَ من الحكم فإنَّ خلقَ الله تعالى لَهُما وَلِما فيهما بالحقِّ المُقتضِي للعدلِ يستدعِي لا محالةَ تفضيلَ المُحْسنِ على المُسيءِ في المَحْيا والمَمَاتِ وانتصارَ المظلومِ من الظالم وإذَا لم يطّردْ ذلك في المَحيا فهُو بعد المماتِ حَتْمًا ﴿ولتُجْزَى كلُّ نفسٍ بَما كسبتْ﴾ عطفٌ عَلى بالحقِّ لأنَّ فيهِ مَعْنى التعليلِ إذْ معناهُ خلَقها مقرونةً بالحكمةِ[4] والصوابِ دُونَ العبثِ والباطلِ فحاصلُه خلقَها لأجلِ ذلكَ ولتُجزَى. . .إلخ أو على علةٍ محذوفةٍ مثلُ ليدلَّ بَها على قدرتِه أو ليعدل ولتُجزى ﴿وهُم﴾ أي النفوسُ المدلولُ عليها بكلِّ نفسٍ ﴿لا يُظلمون﴾ بنقصِ ثوابٍ أو بزيادةِ عقابٍ، وتسميةُ ذلكَ ظُلمًا معَ أنَّه ليسَ كذلكَ على

---

(١) قرأ بها: الأعمش، وعيسى، وابن عمر.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٤٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٥٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٦٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٦٧).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٣٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والتيسير للداني ص (١٩٨)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٦٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

(٣) في خ: بذلك.

(٤) في خ: بالحكم.

ما عُرفَ من قاعدةِ أهلِ السنةِ لبيانِ غايةِ تنزهِ ساحةِ لُطفهِ تعالى عمَّا ذُكرَ تنزيلُه منزلةَ الظلمِ الذي يستحيلُ صدورُه عنْهُ تعالَى. ﴿أفرأيتَ من اتخذَ إلهه هَوَاهُ﴾ تعجيبٌ من حالِ مَنْ تركَ متابعةَ الهُدى إلى مُطاوعةِ الهَوَى فكأنَّه عبدُه أيْ أنظرتَ فرأيتَهُ فإنَّ ذلكَ مِمَّا يُقْضَى منه العجبُ. وقرئ (آلهةً هواهُ)[1] لأنَّ أحدَهُم كانَ يستحسنُ حجرًا فيعبدُه فإذا رَأى أحسنَ منه رفضَهُ إليهِ فكأنَّه اتخذَ آلهةً شتَّى ﴿وأضلَّه الله﴾ وخذلَه ﴿على علمٍ﴾ أي عالمًا بضلالِه وتبديلِه لفطرةِ الله تعالى التي فطرَ النَّاسَ عليها. ﴿وَختمَ على سمعِه وقلبِه﴾ بحيثُ لا يتأثرُ بالمواعظِ ولا يتفكرُ في الآياتِ والنذرِ. ﴿وجَعَلَ على بصرِه غشاوةً﴾ مانعةً عن الاستبصارِ والاعتبارِ. وقرئ بفتحِ[2] الغينِ وضمِّها[3]، وقرئ (غشوةً)[4] ﴿فمن يهديهِ من بعدِ الله﴾ أي من بعدِ إضلالِه تعالى إيَّاهُ بموجبِ تعاميهِ عنِ الهُدى وتماديهِ في الغيِّ ﴿أفلاَ تذكَّرونَ﴾ أي ألاَ تلاحظونَ فلا تذكَّرونَ وقُرئ تتذكرونَ[5] على الأصلِ.

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) قرأ بها: الأعرج.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٢) قرأ بها: عبد الله، والأعمش.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٣) قرأ بها: عكرمة، وعبد الله.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٣٣)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٤) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، وطلحة، وأبو حنيفة، ومسعود بن صالح، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٥٥)، والتيسير للداني ص (١٩٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٦٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

(٥) قرأ بها: الأعمش.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

﴿هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾

﴿**وقالُوا**﴾ بيانٌ لأحكام ضلالِهم المحكيِّ أي قالُوا من غايةِ غيِّهم وضلالِهم ﴿**مَا هيَ**﴾ أيْ ما الحَيَاةُ ﴿**إلا حَياتُنا الدُّنيا**﴾ التي نحنُ فيهَا ﴿**نموتُ ونحيا**﴾ أي يصيبنا الموتُ والحياةُ فيها وليسَ وراءَ ذلكَ حياةٌ وقيلَ: نكونُ نطفًا وما قبلَها وما بعدَها ونحيا بعدَ ذلكَ، أو نموتُ بأنفسِنا ونحيَا ببقاءِ أولادِنا أو يموتُ بعضُنا ويحيا بعضُنا وقد جُوِّزَ أنْ يريدُوا به التناسخَ فإنَّه عقيدةُ أكثرِ عبدةِ الأوثانِ. وقرئ (نُحْيَا)[1] ﴿**وَمَا يُهلكُنا إلا الدَّهرُ**﴾ إلا مرورُ الزمانِ وهُو في الأصلِ مدةُ بقاءِ العالمِ من دَهَرهُ أي غلَبه. وقرِئ إلا دهرٌ يمرُّ[2] وكانُوا يزعمونَ أن المؤثرَ في هلاكِ الأنفسِ هُو مرورُ الأيامِ والليالِي وينكرونَ ملكَ الموتِ وقبضَه للأرواحِ بأمرِ الله تعالى ويضيفونَ الحوادثَ إلى الدهرِ والزمانِ.

ومنْهُ قولُه ﷺ: «**لا تسبُّوا الدهرَ فإنَّ الله هو الدهرُ**»[3] أي فإنَّ الله هُو الآتِي بالحوادثِ لا الدهرُ. ﴿**وما لَهُم بذلكَ**﴾ أي بما ذُكِرَ من اقتصارِ الحياةِ على ما في الدُّنيا واستنادِ الحياةِ والموتِ إلى الدهرِ ﴿**مِنْ علم**﴾ مَا مستندٍ إلى عقلٍ أو نقلٍ ﴿**إنْ هُم إلا يظنونَ**﴾ ما هُم إلا قومٌ قُصارى أمرِهم الظنُّ والتقليدُ من غيرِ أنْ يكونَ لهم شيءٌ يصحُّ أنْ يتمسكَ به في الجملةِ، هذا معتقدُهم الفاسدُ في أنفسِهم ﴿**وَإِذَا تتلَى عليهم آياتُنا**﴾

---

(١) قرأ بها: زيد بن علي، وابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٤٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٢) قرأ بها: عبد الله.
ينظر: تفسير الطبري (٢٥/ ٩٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٧٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٥٤٥): كتاب التفسير: باب وما يهلكنا إلا الدهر، حديث (٤٨٢٦) وفي (١٥/ ٤٣٢) كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى «يريدون أن يبدلوا كلام الله»، حديث (٧٤٩١)، ومسلم (٤/ ١٧٦٢): كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها. باب النهي عن سب الدهر، حديث برقم (٢، ٣/ ٢٢٤٦) الحميدي في مسنده (٢/ ٤٦٨) حديث (١٠٩٦). كلهم من طريق ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

النَّاطقةُ بالحقِّ الذي من جُمْلَته البعثُ ﴿بيناتٍ﴾ واضحاتِ الدلالةِ على ما نطقت بهِ أو مبيناتٍ له ﴿ما كانَ حُجَّتَهم﴾ بالنصبِ على أنَّه خبرُ كانَ أيْ مَا كانَ متمسكًا لهم شيءٌ من الأشياءِ. ﴿إلا أنْ قالُوا ائتُوا بآبائِنا إنْ كنتُم صَادقينَ﴾ في أنَّا نبعثُ بعدَ الموتِ أيْ إلاَّ هذا القولُ الباطلُ الذي يستحيلُ أنْ يكونَ من قبيلِ الحُجَّةِ، وتسميتُه حجةً إمَّا لسوقِهم إيَّاهُ مساقَ الحُجَّةِ على سبيلِ التهكمِ بهم أو لأنَّه من قبيلِ: [الوافر]

.... تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ[(١)]

وقُرِئ برفعِ[(٢)] حجَّتَهم على أنها اسمُ كانَ فالمَعْنى ما كانَ حجَّتُهم شيئًا من الأشياءِ إلا هَذا القولَ الباطلَ.

﴿قُلِ اللهُ يُحييكُم﴾ ابتداءً ﴿ثُمَّ يُميتُكم﴾ عندَ انقضاءِ آجالِكم لا كما تزعمونَ من أنَّكم تحيَونَ وتموتونَ بحُكمِ الدهرِ. ﴿ثمَّ يجمعُكُم﴾ بعدَ الموتِ ﴿إلى يومِ القيامةِ﴾ للجزاءِ ﴿لاَ رَيْبَ فيهِ﴾ أي في جمعِكم فإنَّ مَنْ قدرَ عَلَى البدءِ قدرَ علَى الإعادةِ والحكمةُ اقتضتْ الجمعَ للجزاءِ لا محالةَ والوعدُ المصدقُ بالآياتِ دلَّ على وقوعِها حتمًا، والإتيانُ بآبائِهم حيثُ كانَ مُزاحمًا للحكمةِ التشريعيةِ امتنعَ إيقاعُه ﴿ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمونَ﴾ استدراكٌ من قولِه تعالَى لا رَيْبَ فيهِ وهُو إمَّا من تمامِ الكلامِ المأمورِ بهِ أو كلامٌ مسوقٌ من جهتِه تعالَى تحقيقًا للحقِّ وتنبيهًا على أنَّ ارتيابَهُم لجهلِهم وقُصُورِهم في النظرِ والتفكرِ لا لأنَّ فيه شائبةَ رَيْبٍ مَا ﴿ولله مُلكُ السمواتِ والأرضِ﴾ بيانٌ لاختصاصِ المُلكِ المطلقِ والتَّصرفِ الكُليِّ فيهمَا وفيمَا بينهُمَا باللهِ عزَّ وجلَّ إثرَ بيانِ تصرفِه تعالَى في النَّاسِ بالإحياءِ والإماتةِ والبعثِ والجمعِ للمُجازاةِ. ﴿ويومَ تقومُ السَّاعةُ يومئذٍ يَخسرُ المُبطلونَ﴾ العاملُ في يومَ يَخْسرُ ويومئذٍ بدلٌ منه.

﴿وتَرَى كلَّ أمةٍ﴾ منَ الأُممِ المجموعةِ ﴿جاثيةً﴾ باركةً على الركبِ مُستوفزةً، وقُرِئَ[(٣)] جاذيةً أي جالسةً على أطرافِ الأصابعِ والجَذْوُ أشدُّ استيفازًا منَ الجُثُوِّ. وعنِ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا جائيةً مجتمعةً[(٤)] وقيلَ: جماعاتٍ من الجُثْوةِ وهيَ

(١) تقدم.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، وعاصم، وعمرو بن عبيد، وزيد بن علي، وعبيد بن عمير، وهارون، وشعبة، والحسن البصري، ورويس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٩٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣)، وتفسير الرازي (٢٧/ ٢٧٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣).

(٤) ينظر: الكشاف (٥/ ٤٨٩).

الجماعةُ. ﴿كلُّ أمةٍ تُدعَى إلى كتابِها﴾ إلى صحيفةِ أعمالها. وقرئ كُلَّ[١] بالنصبِ على أنَّه بدل من الأولِ وَتُدْعَى صفةٌ أو حالٌ أو مفعولٌ ثانٍ. ﴿اليومَ تُجزونَ ما كنتُم تعملونَ﴾ أي يقالُ لهم ذلكَ.

وقوله تعالى: ﴿هَذَا كتابُنا﴾... إلخ من تمامِ ما يُقالُ حينئذٍ وحيثُ كانَ كتابُ كلِّ أمةٍ مكتوبًا بأمرِ الله تعالى أضيفَ إلى نونِ العظمةِ تفخيمًا لشأنِه وتهويلًا لأمرِه فهذَا مبتدأٌ وكتابُنا خبرُهُ. وقولُه تعالى: ﴿ينطقُ عليكُم﴾ أيْ يشهد عليكُم ﴿بالحقِّ﴾ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ، خبرٌ آخرُ أو حالٌ وبالحقِّ حالٌ من فاعلِ ينطقُ. وقولُه تعالَى ﴿إنَّا كُنَّا نستنسخُ﴾... إلخ تعليلٌ لنطقهِ عليهم بأعمالِهم من غيرِ إخلالٍ بشيءٍ منَها أي إنَّا كُنَّا فيما قبلُ نستكتبُ الملائكةَ ﴿ما كنتُم تعملونَ﴾ في الدُّنيا منَ الأعمالِ حسنةً كانتْ أو سيئةً. وقولُه تعالى: ﴿فأمّا الذينَ آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ فيدخلهم ربُّهم في رحمتِه﴾ أي في جنتِه، تفصيلٌ لما يُفعلُ بالأممِ بعد بيانِ ما خُوطِبوا بهِ من الكلامِ المُنطوي على الوعدِ والوعيدِ. ﴿ذلكَ﴾ أي الذي ذُكرَ من الإدخالِ في رحمتِه تعالى ﴿هُو الفوزُ المبينُ﴾ الظاهرُ كونُه فوزًا لا فوزَ وراءَهُ ﴿وأما الذينَ كفرُوا أفلم تكُن آياتِي تُتلى عليكُم﴾ أي فيقالُ لهم بطريقِ التوبيخِ والتقريعِ ألم يكنْ يأتيكم رُسلي أفلم تكُنْ آياتِي تُتلى عليكُمْ فخذفَ المعطوف عليه ثقةً بدلالةِ القرينةِ عليهِ.

﴿فاستكبرتُم﴾ عن الإيمانِ بها ﴿وكنتُم قومًا مُجرمينَ﴾ أي قومًا عادتُهم الإجرامُ ﴿وإذا قيلَ إنَّ وعد الله﴾ أي ما وعدَهُ من الأمورِ الآتيةِ أو وعدُه بذلكَ ﴿حقٌّ﴾ أي واقعٌ لا محالةَ أو مطابقٌ للواقعِ ﴿والسَّاعةُ﴾ التي هيَ أشهرُ ما وعدَهُ ﴿لا ريبَ فيها﴾ أي في وقوعِها. وقرئ والساعةَ[٢] بالنصبِ عطفًا على اسمِ إنَّ وقراءةُ الرفعِ للعطفِ على محلِّ إنَّ واسمِها.

﴿قلتُم﴾ لغايةِ عُتوِّكُم ﴿مَا نَدْري مَا السَّاعةُ﴾ أيْ أيُّ شيءٍ هي استغرابًا لَها ﴿إنْ

---

(١) قرأ بها: يعقوب الحضرمي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والإعراب للنحاس (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٧٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٧٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢).

(٢) قرأ بها: حمزة، وأبو عمرو، والأعمش، وعيسى، وأبو حيوة، والعبسي، والمفضل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٤٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والتيسير للداني ص (١٩٩)، والحجة لابن زرعة ص (٦٦٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠).

نظنُّ إلا ظنًّا﴾ أيْ ما نفعلُ إلا ظنًا وقد مرَّ تحقيقُه في قولِه تعالى: ﴿إنْ أتبعُ إلا ما يُوحَى إلي﴾ [سورة الأنعام، الآية ٥٠] وقيلَ: ما نعتقدُ إلا ظنًا أي لا علمًا وقيلَ: ما نحنُ إلا نظنُّ ظنا وقيلَ: ما نظنُّ إلا ظنا ضعيفًا ويردُّه قولُه تعالى ﴿وما نحنُ بمستيقنينَ﴾ أي لإمكانِه فإنَّ مقابلَ الاستيقانِ مطلقُ الظنِّ لا الضعيفُ منه ولعلَّ هؤلاءِ غيرُ القائلينَ ما هيَ إلا حياتُنا الدُّنيا ﴿وبَدا لَهُم﴾ أي ظهرَ لَهُم حينئذٍ ﴿سيئاتُ ما عملُوا﴾ على ما هيَ عليهِ من الصُّورةِ المُنكرةِ الهائلةِ وعاينوا وخامةَ عاقبتِها أو جزاءَها فإنَّ جزاءَ السيئةِ سيئةٌ ﴿وَحَاقَ بهم مَا كَانُوا بهِ يستهزئونَ﴾ من الجزاءِ والعقابِ.

﴿وقيلَ اليومَ ننساكُم﴾ نتركُكُم في العذابِ تركَ المنسيِّ ﴿كما نسيتُم﴾ في الدُّنيا ﴿لقاءَ يومِكم هَذَا﴾ أيْ كَما تركتُم عِدتَهُ ولم تُبالُوا بهِ، وإضافةُ اللقاءِ إلى اليوم إضافةُ المصدرِ إلى ظرفِه. ﴿ومأواكُم النارُ وما لكُم منْ نَاصرينَ﴾ أي مَا لأَحدٍ منكُم نَاصِرٌ وَاحِدٌ يخلصكُم منَها ﴿ذلكُم﴾ العذابُ ﴿بأنَّكُم﴾ بسببِ أنَّكم ﴿اتخذتُم آياتِ الله هُزوًا﴾ مَهْزوءًا بَها ولم ترفعوا لها رأسًا ﴿وغرتكُم الحياةُ الدُّنيا﴾ فحسبتُم ألا حياةَ سواهَا ﴿فاليومَ لا يُخْرجُون منها﴾ أيْ من النَّارِ. وقرئَ يَخرجُون[1] من الخُروجِ. والالتفاتُ إلى الغَيبةِ للإيذانِ بإسقاطِهم عن رُتبةِ الخطابِ استهانةً أو بنقلِهم من مقامِ الخطابِ إلى غيابةِ النارِ ﴿ولا هُم يُستعتبونَ﴾ أي يُطلبُ منهم أنْ يُعتبوا ربَّهم أيْ يُرضُوه لفواتِ أوانِه ﴿فلله الحمدُ﴾ خاصَّة ﴿ربِّ السمواتِ وربِّ الأرضِ ربِّ العالمينَ﴾ فلا يستحقُ الحمد أحدٌ سواهُ، وتكريرُ الربِّ للتأكيدِ والإيذانِ بأنَّ ربوبيتَهُ تعالى لكُلٍّ منها بطريقِ الأصالةِ. وقرئَ[2] برفعِ الثلاثةِ على المدحِ بإضمارِ هُو ﴿وله الكبرياءُ في السمواتِ والأرضِ﴾ لظهورِ آثارِها وأحكامِها فيهما، وإظهارُهما في موقعِ الإضمارِ لتفخيمِ شأنِ الكبرياءِ ﴿وهُو العزيزُ﴾ الذي لا يُغلبُ ﴿الحكيمُ﴾ في كلِّ ما قضَى وقدَّر فاحَمدوه وكبروه وأطيعُوه.

عنِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**منْ قرأَ حم الجاثيةُ سترَ الله تعالى عورتَهُ وسكَّنَ روعتَهُ يومَ الحسابِ**»[3].

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والحسن، وابن وثاب، وابن ذكوان، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٠)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢)، والتيسير للداني ص (١٧٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٢٦)، والحجة لابن زرعة ص (٦٦٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٠).

(٢) قرأ بها: ابن محيصن، ومجاهد، وحميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٧٨).

(٣) الحديث موضوع وهو عند الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٩٤) وتقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الأحقافِ

مكية وآيُها أربعٌ أو خمسٌ وثلاثون آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿حم * تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ الحكيم﴾ الكلامُ فيه كالذي مرَّ في مطلعِ السورةِ السابقةِ. ﴿ما خلقنَا السمواتِ والأرضَ﴾ بما فيهما من حيثُ الجزئيةُ منهما ومن حيثُ الاستقرارُ فيهما. ﴿وَمَا بينَهُما﴾ من المخلوقاتِ ﴿إلّا بالحقِّ﴾ استثناءٌ مفرغٌ من أعمِّ المفاعيلِ. أي إلاّ خلقًا مُلتبسًا بالحقِّ الذي تقتضيهِ الحكمةُ التكوينيةُ والتشريعيةُ، أو من أعمِّ الأحوالِ من فاعلِ خلقنا أو من مفعولِه أي ما خلقنَاها في حالٍ من الأحوالِ إلا حالَ ملابستِنا بالحقِّ أو حالَ ملابستِها به. وفيهِ من الدلالةِ على

وجودِ الصَّانعِ تعالى وصفاتِ كمالِه وابتناءِ أفعالِه على حِكمٍ بالغةٍ وانتهائِها إلى غاياتٍ جليلةٍ ما لا يَخْفى.

﴿وأجلٍ مُسمَّى﴾ عطفٌ على (الحقِّ) بتقديرِ مضافٍ أي وبتقديرِ أجلٍ مُسمَّى ينتهي إليهِ أمرُ الكلِّ وهو يوم القيامةِ يومَ تُبدلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ وبرزوا لله الواحدِ القهارِ، وقيلَ: هُو آخرُ مُدةِ البقاءِ المقدرِ لكلِّ واحدٍ، ويأباهُ قولُه تعالى ﴿والذينَ كفرُوا عَمَّا أُنذروا معرضونَ﴾ فإنَّ ما أُنذروه يومُ القيامةِ وما فيهِ من الطامَّةِ التَّامَّةِ والأهوالِ العامةِ لا آخرُ أعمارِهم وقد جُوِّزَ كونُ ما مصدريةً، والجملةُ حاليةٌ. أي ما خلقنا الخلقَ إلا بالحقِّ وتقديرِ الأجلِ الذي يُجازونَ عندَهْ، والحالُ أنَّهم غيرُ مؤمنينَ به معرضونَ عنه وعن الاستعدادِ له.

﴿قلْ﴾ توبيخًا لهم وتبكيتًا ﴿أرأيتُم﴾ أخبرُوني، وقرئ أَرَيْتُكُمْ[١]. ﴿ما تدعُون﴾ ما تعبدونَ ﴿من دونِ الله﴾ منَ الأصنام ﴿أَرُونِي﴾ تأكيدٌ لأرأيتُم. ﴿ماذا خلقُوا من الأرضِ﴾ بيانٌ للإبهامِ في ماذَا ﴿أَمْ لَهُم شِرْكٌ﴾ أي شرْكةٌ معَ الله تعالَى. ﴿في السَّمواتِ﴾ أي في خلقِها أو مُلكِها وتدبيرِها حتَّى يُتوهم أن يكونَ لهم شائبةُ استحقاقٍ للمعبوديةِ فإنَّ ما لا مدخلَ له في وجودِ شيءٍ من الأشياءِ بوجهٍ من الوجوهِ فهُو بمعزلٍ منْ ذلكَ الاستحقاقِ بالمرَّةِ وإنْ كانَ منَ الأحياءِ العُقلاءِ فَما ظنُّكم بالجمادِ.

وقولُه تعالَى: ﴿ائتونِي بكتابٍ﴾ إلخ. تبكيتٌ لهم بتعجيزِهم عن الإتيانِ بسندٍ نقليٍّ بعد تبكيتِهم بالتعجيزِ عن الإتيانِ بسندٍ عقليٍّ أي ائتونِي بكتابٍ إلهيٍّ كائنٍ ﴿مِن قبلِ هذا﴾ الكتابِ أي القُرآنِ الناطقِ بالتَّوحيدِ وإبطالِ الشركِ دالٍ على صحةِ دينِكم ﴿أو أثارةٍ من علمٍ﴾ أو بقيةٍ من علمٍ بقيتْ عليكُم من علومِ الأولينَ شاهدةٍ باستحقاقِهم للعبادةِ ﴿إنْ كُنتُم صادقينَ﴾ في دَعْواكُم فإنَّها لا تكادُ تَصحُّ ما لم يقُم عليها برهانٌ عقليٌّ أو سلطانٌ نقليٌّ، وحيثُ لَم يقُمْ عليها شيءٌ منهُمَا وقد قامتْ على خلافِها أدلةُ العقلِ والنقلِ تبينَ بطلانُها.

وقرئ إِثَارَةٍ[٢] بكسرِ الهمزةِ أي مناظرةٍ فإنها تُثيرُ المعانيَ، وأَثَرةٍ[٣] أيْ شيءٍ

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود، ينظر: المعاني للفراء (٣/ ٤٩).

(٢) ينظر: تفسير الألوسي (٢٦/ ٦).

(٣) قرأ بها: علي، وابن عباس، وزيد بن علي، وعكرمة، وقتادة، والحسن، والسلمي، والأعمش، وعمرو بن ميمون، وأبو رجاء.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٨٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤).

أُوثِرتُم بهِ وخُصِصتُم منْ علمٍ مطويٍّ من غيرِكم، وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء، أما المكسورةُ[١] فبمعنَى الإِثْرةِ، وأمَّا المفتوحةُ[٢] فهي المرةُ من أثرَ الحديثَ أي رَواه، وأمَّا المضمومةُ[٣] فاسمُ ما يُؤثرُ كالخُطبةِ التي هي اسمُ ما يُخطبُ بهِ.

﴿وَمَنْ أَضلُّ ممَّن يدعُو من دونِ الله مَنْ لا يستجيبُ له﴾ إنكارٌ ونفيٌ لأنْ يكونَ أحدٌ يُساوي المُشركينَ في الضَّلالِ. وإنْ كانَ سبكُ التركيبِ لنفي الأضلِ منهم من غيرِ تعرضٍ لنفي المُساوِي كما مرَّ غيرَ مرةٍ أي هُم أضلُّ من كلِّ ضالٍّ، حيثُ تركُوا عبادةَ خالقِهم السميعِ القادرِ المجيبِ الخبيرِ إلى عبادةِ مصنُوعِهم العارِي عن السمعِ والقدرةِ والاستجابةِ ﴿إلى يومِ القيامةِ﴾ غايةٌ لنفي الاستجابةِ ﴿وهُمْ عن دُعَائهم﴾ الضميرُ الأولُ لمفعولِ يدعُو والثاني لفاعلِه والجمعُ فيهما باعتبارِ مَعْنى مَنْ كما أنَّ الإفرادَ فيما سبقَ باعتبارِ لفظِها ﴿غافلونَ﴾ لكونِهم جماداتٍ، وضمائرُ العقلاءِ لإجرائِهم إيَّاها مُجرى العُقلاءِ، ووصفُها بما ذُكِرَ منْ تركِ الاستجابةِ والغفلةِ مع ظهورِ حالِها للتهكم بَها وبعبدَتِها كقولِه تعالى: ﴿إنْ تدعُوهم لا يسمعُوا دُعَاءكم﴾ [سورة فاطر، الآية ١٤] الآيةَ. ﴿وإذا حُشر الناسُ﴾ عند قيامِ القيامةِ ﴿كانُوا لهم أعداءً وكانُوا بعبادتِهم كافرينَ﴾ أي مُكذبينَ بلسانِ الحالِ أو المقالِ، علَى ما يُروى أنَّه تعالَى يُحيي الأصنامَ فتتبرأُ عن عبادتِهم. وقد جُوِّزَ أنْ يرادَ بهم كلُّ من يُعبد من دونِ الله من الملائكةِ والجنِّ الإنسِ وغيرِهم، ويبنَى إرجاعُ الضمائرِ وإسنادُ العداوةِ والكفرِ إليهم على التغليبِ، ويرادُ بذلكَ تبرؤُهم عنهُم وعنْ عبادتِهم، وقيلَ: ضميرُ كانُوا للعبدةِ وذلكَ قولُهم: ﴿والله ربِّنا ما كُنَّا مُشركين﴾ [سورة الأنعام، الآية ٢٣].

﴿وإذا تُتلى عليهمُ آياتُنا بيناتٍ﴾ واضحاتٍ أو مبيناتٍ ﴿قال الذينَ كفرُوا للحقِّ﴾ أي لأجلِه وفي شأنِه وهو عبارةٌ عن الآياتِ المتلوةِ وضعَ موضعَ ضميرِها تنصيصًا على حقِّيتِها ووجوبِ الإيمانِ بَها كما وضعَ الموصولُ موضعَ ضميرِ المتلوِّ عليهم تسجيلًا عليهم بكمالَ الكفرِ والضلالةِ. ﴿لمَّا جاءَهُم﴾ أي في أول ما جاءَهُم من غيرِ تدبرٍ

---

(١) قرأ بها: الكسائي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٤).

(٢) قرأ بها: عبد الرحمن، والسلمي، وعلي، وقتادة، والحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٤٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٥)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٨٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٨٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤).

(٣) قرأ بها: الكسائي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٤).

وتأملِ ﴿هذا سحرٌ مبينٌ﴾ أي ظاهرٌ كونُه سحرًا ﴿أم يقولونَ افتراهُ﴾ إضرابٌ وانتقالٌ من حكايةِ شناعتِهم السابقةِ إلى حكايةِ ما هو أشنعُ منها. وما في أمْ من الهمزةِ للإنكارِ التوبيخيِّ المتضمنِ للتعجيبِ أي بل أيقولونَ افترى القُرآنَ.

﴿قُلْ إنِ افتريتَهُ﴾ على الفرضِ ﴿فلا تملكونَ لي من الله شيئًا﴾ إذْ لا ريبَ في أنَّه تعالَى يُعاجلني حينئذٍ بالعقوبةِ فكيفَ أجترئ على أنْ أفتريَ عليهِ تعالى كذبًا فأُعرِّضَ نفسيَ للعقوبةِ التي لا مناصَ عنها ﴿هو أعلمُ بما تُفيضُون فيهِ﴾ أي تندفعونَ فيهِ من القدحِ في وَحي الله والطعنِ في آياتِه وتسميتِه سحرًا تارةً وفريةً أُخرى ﴿كَفَى به شهيدًا بيني وبينَكُم﴾ حيثُ يشهدُ لي بالصدقِ والبلاغِ وعليكم بالكذبِ والجحودِ وهو وعيدٌ بجزاءِ إفاضتِهم. وقولُه تعالى: ﴿وهو الغفورُ الرَّحيمُ﴾ وعدٌ بالغُفرانِ والرحمةِ لمن تابَ وآمنَ، وإشعارٌ بحلمِ الله تعالى عنْهم مع عظمِ جرائمِهم.

﴿قُلْ ما كُنتُ بدعًا من الرُّسلِ﴾ البدعُ بمعنى البديعِ كالخِلِّ بمعنى الخليلِ وهو ما لا مثلَ له. وقرئ[1] بفتحِ الدالِ على أنه صفةٌ كقِيَم وزِيَم، أو جمعٌ مقدرٌ بمضافٍ أيْ ذَا بِدَعٍ، وقد جُوِّزَ ذلكَ في القراءةِ الأُولى أيضًا على أنهُ مصدرٌ. [كانُوا][2] يقترحونَ عليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ آياتٍ عجيبةً ويسألونَهُ عن المُغيباتِ عِنادًا ومُكابرةً فأُمَر عليهِ السَّلامُ بأنْ يقولَ لهم ما كنتُ بديعًا من الرسلِ قادرًا على ما لم يقدرُوا عليهِ حَتَّى آتيَكُم بكلِّ ما تقترحونَهُ وأخبركم بكلِّ ما تسألونَ عنْهُ من الغيُوبِ فإنَّ مَنْ قبلي من الرُّسلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ما كانُوا يأتونَ إلا بما آتاهُم الله تعالى من الآياتِ ولا يُخبرونَهم إلا بَما أُوحيَ إليهم ﴿وما أَدْرِي ما يُفعلُ بي ولا بِكُم﴾ أيُ أيُّ شيءٍ يُصيبنَا فيما يُستقبلُ من الزمانِ من أفعالِه تعالى وماذا يُقدَّرُ لنا من قضاياهُ.

وعن الحسنِ رضيَ الله عنْهُ ما أَدري ما يصيرُ إليه أَمري وأمرُكم في الدُّنيا[3]. وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: ما يفعلُ بي ولا بكُم في الآخرةِ[4] وقال: هيَ منسوخةٌ بقولِه تعالى: ﴿ليغفرَ لكَ الله ما تقدمَ من ذنبكَ وما تأخرَّ﴾ [سورة الفتح، الآية ٢]، وقيل: يجوزُ أن يكونَ المنفيُّ هي الدرايةَ المفصَّلةَ، والأظهرُ الأوفقُ لما ذُكِرَ من سببِ

---

(١) قرأ بها: عكرمة، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٨٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٧)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤).

(٢) سقط في خ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٦، ٢٧٧) رقم (٣١٢٤٣).
وينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ١٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٦) رقم (٣١٢٣٩) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

النزولِ أنَّ مَا عبارةٌ عمَّا ليسَ علمُه منْ وظائفِ النبوةِ من الحوادثِ والواقعاتِ الدنيويةِ دونَ ما سيقعُ في الآخرةِ فإنَّ العلمَ بذلكَ من وظائفِ النبوةِ، وقد وردَ به الوحيُ الناطق بتفاصيلِ ما يُفعلُ بالجانبينِ. هذا وقد رُويَ عن الكلبيِّ أنَّ أصحابَ النبيِّ ﷺ قالُوا له عليه السَّلامُ وقد ضجروا من أذيةِ المشركينَ حتَّى متى نكونُ على هَذا فقالَ: **«ما أدري ما يُفعلُ بي ولا بكُم أأُتركُ بمكةَ أم أُومرُ بالخروجِ إلى أرضٍ ذاتِ نخيلٍ وشجرٍ قد رُفعتْ لي ورأيتُها»** يعني في منامِه[1]، وجُوِّزَ أنْ تكونَ ما موصولةً، والاستفهاميةُ أقضى لحقِّ مقام التبرؤِ عن الدرايةِ. وتكريرُ لا لتذكيرِ النفيِّ المنسحبِ إليهِ وتأكيدِه. وقرئَ ما يَفعلُ[2] على إسنادِ الفعلِ على ضميرِه تعالَى.

﴿إِنْ أتبعُ إلَّا ما يُوحى إليّ﴾ أيْ ما أفعلُ إلا اتباعَ ما يُوحَى إليَّ، على مَعْنى قصرِ أفعالِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على اتباعِ الوَحي لا قصرِ اتباعِه على الوَحي كما هو المتسارعُ إلى الأفهامِ وقد مرَّ تحقيقُه في سورةِ الأنعام. وقرئَ (يُوحِي)[3] على البناءِ للفاعلِ، وهو جوابٌ عن اقتراحِهم الأخبارَ عمَّا لم يُوحَ إليه عليه السَّلامُ من الغيوبِ، وقيلَ: عن استعجالِ المسلمينَ أنْ يتخلصُوا عن أذيةِ المشركينَ والأولُ هو الأوفقُ لقولِه تعالى: ﴿وما أنَا إلا نذيرٌ﴾ أُنذركم عقابَ[4] الله تعال حسبمَا يُوحى إليَّ ﴿مبينٌ﴾ بينُ الإنذارِ بالمعجزاتِ الباهرةِ.

﴿قل أرأيتُم إنْ كانَ﴾ أي ما يُوحَى إليَّ من القُرآنِ ﴿من عندِ الله﴾ لاَ سحرًا ولا مُفترى كما تزعمونَ. وقولُه تعالى ﴿وكفرتُم بهِ﴾ حالٌ بإضمارِ قَدْ من الضميرِ في الخبرِ وُسّطتْ بين أجزاءِ الشرطِ مسارعةً إلى التسجيلِ عليهم بالكفرِ، أو عطفٌ على كانَ كمَا في قولِه تعالى: ﴿قل أرأيتُم إن كانَ من عندِ الله ثم كفرتُم به﴾ [سورة فصلت، الآية ٥٢] لكنْ لا على أنَّ نظمَهُ في سلكِ الشرطِ المتردد[5] بينَ الوقوعِ وعدمِه عندهُم باعتبارِ حالِه في نفسهِ بل باعتبارِ حالِ المعطوفِ عليه عندَهُم فإنَّ كفرَهُم به أمرٌ محققٌ عندهم أيضًا وإنَّما ترددُهم في أنَّ ذلكَ كفرٌ بَما من عندِ الله تعالى أم لا وكذا الحالُ في قولِه تعالى: ﴿وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيل﴾ وما بعدَهُ من الفعلينِ فإنَّ الكُلَّ أمورٌ محققةٌ عندَهُم وإنَّما ترددُهم في أنَّها شهادةٌ وإيمانٌ بما مِن عندِ الله تعالى واستكبار عنه

---

(١) ينظر: «الكشاف» (٥/ ٤٩٥)، وقد ذكره البغوي بنحوه في «معالم التنزيل» (٤/ ١٦٤) عن ابن عباس.

(٢) قرأ بها: زيد بن علي، وابن أبي عبلة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٧)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٨).

(٣) قرأ بها: ابن عمير.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٧)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٨٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٨).

(٤) في خ: عذاب.

(٥) في ط: المترددين.

أولًا والمعنى أخبروني إن كان ذلك في الحقيقة من عند الله تعالى وكفرتُم به وشهدَ شاهدٌ عظيمُ الشأنِ منْ بني إسرائيلَ الواقفينَ على شؤونِ الله تعالى وأسرارِ الوحي بما أُوتُوا من التوراةِ. ﴿على مثلِه﴾ أي مثلِ القرآنِ من المَعَاني المنطويةِ في التوراةِ المطابقةِ لما في القرآنِ من التوحيدِ والوعدِ والوعيدِ وغيرِ ذلكَ فإنَّها عينُ ما فيه في الحقيقةِ كما يعربُ عنه قولُه تعالَى: ﴿وإنه لفي زُبر الأولينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية ١٩٦] وقولُه تعالى: ﴿إنَّ هذَا لفي الصحفِ الأُولى﴾ [سورة الأعلىٰ، الآية ١٨] والمثليةُ باعتبارِ تأديتِها بعباراتٍ أُخرَ أو على مثلِ ما ذُكرَ من دونِه من عندِ الله تعالى والمثليةُ لما ذُكِرَ وقيل: المثلُ صلةٌ والفاء في قولِه تعالى: ﴿فآمَنَ﴾ للدلالةِ على أنَّه سارعَ إلى الإيمانِ بالقُرآنِ لما علمَ أنَّه من جنسِ الوحي الناطقِ بالحقِّ وهو عبدُ الله بن سَلام لمَّا سمعَ بمقدمِ رسولِ الله ﷺ[1] المدينةَ أتاهُ فنظرَ إلى وجههِ الكريم فعلمَ أنَّه ليسَ بوجهِ كذَّابٍ وتأملَهُ فتحققَ أنَّه النبيُّ المنتظرُ فقالَ له إنِّي سائلكَ عن ثلاثٍ لا يعلمُهنَّ إلا نبيٌّ ما أولُ أشراطِ الساعةِ، وما أولُ طعام يأكلُه أهلُ الجنةِ، والولدُ ينزعُ إلى أبيهِ أو إلى أمه فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أمَّا أَولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشرُهم منَ المشرقِ إلى المغربِ، وأمَّا أولُ طعامِ أهلِ الجنَّةِ فزيادةُ كبدِ حوتٍ، وأما الولُد فإنْ سبقَ ماءُ الرجلِ نزعَهُ وإنْ سبقَ ماءُ المرأةِ نزعتْهُ**» فقال أشهدُ أنَّكَ رسولُ الله حَقًّا فقامَ ثمَّ قالَ يا رسولَ الله إنَّ اليهودَ قومُ بُهت فإن علمُوا بإسلامِي قبلَ أنْ تسألَهم عنِّي بهتوني عندكَ فجاءتِ اليهود فقالَ لهم النبيُّ عليه السَّلامُ: «**أيُّ رجلٍ عبدُ اللَّهِ فيكم**» فقالُوا خيرُنا وابنُ خيرِنا وسيدُنا وابنُ سيدِنا وأعلمُنَا وابنُ أعلمِنا قال: «**أرأيتُم إنْ أسلمَ عبدُ اللَّهِ**»، قالُوا: أعاذَهُ الله من ذلكَ فخرجَ إليهم عبدُ اللَّهِ فقالَ: أشهدُ أنَّ لا إلَه إلا الله وأشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله. فقالُوا شرُّنا وابنُ شرِّنا وانتقصُوه، قالَ: هذَا ما كنتُ أخافُ يا رسولُ الله وأحذرُ. قالَ سعدُ بنُ أبي وقاصٍ رضيَ الله عنْهُ: «ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لأحدٍ يمشِي على الأرضِ إنَّه من أهلِ الجنَّةِ إلا لعبدِ اللَّه بنِ سَلامٍ، وفيهِ نزلَ ﴿وشهدَ شاهدٌ﴾ الآية[2] [سورة الأحقاف، الآية ١٠]. وقيلَ:

---

(١) زاد في خ: إلى.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤): كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته حديث (٣٣٢٩)، وفي (٧/ ٦٩١) كتاب مناقب الأنصار: باب منه حديث (٣٩٣٨)، وفي (٩/ ١٦) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: «من كان عدوا لجبريل» حديث (٤٤٨٠)، والنسائي في سننه الكبرى (٥/ ٣٣٨): كتاب عشرة النساء: باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل. حديث (٩٠٧٤).
والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٢٨) والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ١٦٥). من طريق عن حميد الطويل عن أنس.

=

الشاهدُ مُوسى عليه السَّلامُ وشهادتُه بما في التوراةِ من بعثةِ النبيِّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ وبهِ قال الشعبيُّ[1]. وقالَ مسروقٌ: والله ما نزلتْ في عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ فإنَّ آلَ حم نزلتْ بمكةَ وإنَّما أسلمَ عبدُ الله بالمدينةِ[2]، وأجابَ الكلبيُّ: بأنَّ الآيةَ مدنية وإنْ كانتْ السورةُ مكيةً. ﴿واستكبرتُم﴾ عطفٌ على شهدَ شاهدٌ. وجوابُ الشرطِ محذوفٌ، والمَعْنى أخبروني إنْ كانَ من عندِ الله تعالَى وشهدَ على ذلكَ أعلمُ بني إسرائيلَ فآمنَ به من غيرِ تلعثم واستكبرتُم عن الإيمانِ به بعد هذه المرتبةِ مَنْ أضلُّ منكم بقرينةِ قولِه تعالى: ﴿قل أريتُم إنْ كانَ من عندِ الله ثم كفرتُم به من أضلُّ ممّن هو في شقاقٍ بعيدٍ﴾ [سورة فصلت، الآية ٥٢] وقولِه تعالى: ﴿إنَّ الله لا يَهدِي القومَ الظَّالمينَ﴾ فإنَّ عدمَ الهدايةِ مما ينبئُ عن الضَّلالِ قطعًا، ووصفُهم بالظلمِ للإشعارِ بعلَّةِ الحُكمِ، فإنَّ تركَهُ تعالَى لهدايتِهم لظلمِهم.

﴿وقالَ الذينَ كفرُوا﴾ حكايةٌ لبعضٍ آخرَ من أقاويلِهم الباطلةِ في حقِّ القُرآنِ العظيمِ والمؤمنينَ بهِ، أي قالَ كُفَّارُ مكةَ. ﴿للذينَ آمنُوا﴾ أي لإجلِهم ﴿لو كانَ﴾ أي ما جاءَ به عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منَ القرآنِ والدينِ ﴿خيرًا ما سبقونَا إليهِ﴾ فإنَّ معاليَ الأمورِ لا ينالُها أَيْدِي الأراذلِ، وهُم سُقَّاط، عامَّتُهم فقراءُ ومَوالٍ ورعاةٌ قالُوه زعمًا منهم أنَّ الرياسةَ الدينيةَ مما يُنالُ بأسبابٍ دنيويةٍ كَما قالُوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتينِ عظيمٍ، [وزلَّ عنْهم][3] أنَّها منوطةٌ بكمالاتٍ نفسانيةٍ وملكاتٍ رُوحانيةٍ مبناهَا الإعراضُ عن زخارفِ الدُّنيا الدنيةِ والإقبالُ على الآخرةِ بالكليةِ وأنَّ من فازَ بها فقد حازَها بحذافيرِها ومنْ حُرمها فَما لَهُ منها من خَلاقٍ، وقيلَ: قالَه بنُو عامرٍ وغطفانُ وأسدٌ وأشجعُ لما أسلمَ جهينةُ ومزينةُ وأسلمُ وغفارُ، وقيلَ: قالتْهُ اليهودُ حينَ أسلمَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلاَم وأصحابُه، ويأباهُ أنَّ السورةَ مكيةٌ ولا بُدَّ حينئذٍ من الالتجاءِ إلى ادعاءِ أنَّ الآيَةَ نزلَتْ بالمدينةِ.

= وأخرج ابن حبان في صحيحه (١٦/ ١١٧): كتاب إخباره عن مناقب الصحابة: باب ذكر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده (٧٦/ ٤٥٨): (٣٨٥٦) كلاهما عن يزيد بن هارون عن حميد به.
وأخرج طرفه الخاص بإسلام عبد الله بن سلام: البخاري في صحيحه (٧/ ٦٦٢): كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، حديث (٣٩١١)، وأحمد (٣/ ٢١١)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٥٢٦): من طريق عبد الوارث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٨) رقم (٣١٢٤٦، ٣١٢٤٧).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٨) رقم (٣١٢٤٥).
وينظر: «معالم التنزيل» (٤/ ١٦٦).
(٣) في خ: وزعمهم.

﴿وإذْ لم يهتدُوا بهِ﴾ ظرفٌ لمحذوفٍ يدلُّ عليهِ ما قبلَهُ ويترتبُ عليهِ ما بعدَهُ أيْ وإذ لم يهتدُوا بالقُرآنِ قالُوا ما قالُوا ﴿فسيقولونَ﴾ غيرَ مكتفينَ بنفي خيريّتهِ ﴿هَذا إفكٌ قديمٌ﴾ كما قالُوا أساطيرُ الأولينَ، وقيلَ المحذوفُ ظهرَ عنادُهم وليسَ بذاكَ. ﴿ومن قبلِه﴾ أي منْ قبلِ القُرآنِ وهو خبرٌ لقولِه تعالى ﴿كتابُ مُوسى﴾ قيلَ: والجملةُ حاليةٌ أو مستأنفةٌ، وأيًّا ما كانَ فهو لردِّ قولِهم هذا إفكٌ قديمٌ وإبطاله، فإنَّ كونَهُ مُصدقًا لكتابِ مُوسى مقرر لحقِّيتهِ قطعًا. ﴿إمامًا ورحمةً﴾ حالانِ من كتابِ مُوسى أي إمامًا يُقتدَى به في دينِ الله تعالى وشرائعِه كما يُقتدى بالإمامِ ورحمةً من الله تعالى لمن آمنَ به وعملَ بموجبِهِ ﴿وهذا﴾ الذي يقولونَ في حقِّه ما يقولَونَ ﴿كتابٌ﴾ عظيم الشأنِ ﴿مُصدقٌ﴾ أي لكتابِ مُوسى الذي هو إمامٌ ورحمةٌ أو لِما من بين يديهِ من جميعِ الكتبِ الإلهيةِ. وقد قرئَ كذلكَ[١] ﴿لسانًا عربيًا﴾ حالٌ من ضميرِ الكتابِ في مصدقٌ أو من نفسِه لتخصصهِ بالصفةِ وعاملُها معنى الإشارةِ، وعلى الأولِ مصدقٌ وقيلَ: مفعولٌ لمصدقٌ أي يصدقُ ذا لسانٍ عربيٍّ. ﴿لينذرَ الذينَ ظلمُوا﴾ متعلقٌ بمصدقٌ وفيه ضميرُ الكتابِ أو الله تعالى أو الرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ويؤيدُ الأخيرَ القراءةُ بتاءِ[٢] الخطابِ ﴿وبُشرى للمحسنينَ﴾ في حيزِ النصبِ عطفًا على محل لينذرَ وقيل: في محلِ الرفعِ على أنَّه خبرُ مبتدأٍ مضمرٍ أي وهو بُشرى وقيلَ: على أنَّه عطفٌ على مصدقٌ.

﴿إنَّ الذينَ قالُوا ربُّنا الله ثمَّ استقامُوا﴾ أي جمعُوا بينَ التوحيدِ الذي هُو خلاصةُ العلمِ، والاستقامةِ في أمورِ الدينِ التي هيَ مُنتهى العملِ وثُمَّ للدلالةِ على تَراخِي رتبةِ العملِ وتوقفِ الاعتدادِ به على التوحيدِ ﴿فلاَ خوفٌ عليهم﴾ من لحوقِ مكروهٍ ﴿ولا هُم يحزنونَ﴾ من فواتِ محبوبٍ. والفاءُ لتضمنِ الاسم معنى الشرطِ والمرادُ بيانُ دوامِ نفي الحزنِ [لا بيانُ نفي دوامِ الحزنِ][٣] كما يُوهمه[٤] كونُ الخبرِ مضارعًا وقد مرَّ بَيانُه مرارًا ﴿أولئكَ﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ من الوصفينِ الجليلينِ ﴿أصحابُ الجنةِ خالدينَ فيها﴾ حالٌ من المستكنِّ في أصحابُ.

وقولُه تعالَى: ﴿جزاءً﴾ منصوبٌ إمَّا بعاملٍ مُقدرٍ أي يُجزون جزاءً أو بمَعْنى ما

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٠)، والمعاني للفراء (٣/ ٥١).

(٢) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وابن كثير، والبزي، ويعقوب، والشنبوذي، والداني، وأبو رجاء، وشيبة، والأعرج، وأبو جعفر، وأبو عبيد، وأبو حاتم.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٤٨)، والتيسير للداني ص (١٩٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٨٢).

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: توهمه.

تقدمَ فإنَّ قولَه تعالى أولئكَ أصحابُ الجنَّةِ في معنى جازيناهُم. ﴿بما كانُوا يعملونَ﴾ من الحسناتِ العلميةِ والعمليةِ.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَوَصَّينا الإنسانَ﴾ بأنْ يُحسنَ ﴿بوالديهِ إحْسَانًا﴾ وقرئ حُسْنًا[(١)] أي بأنْ يفعلَ بهمَا حُسْنًا أي فعلًا ذَا حُسنٍ أو كأنَّه في ذاتِه نفسُ الحسنِ لفرطِ حُسنهِ. وقرئ بضمٍّ[(٢)] السينِ أيضًا، وبفتحِهما[(٣)] أيْ بأنْ يفعلَ بهما فعلًا حَسَنًا أو وصيناهْ إيصاءً حسنًا. ﴿حملتْهُ أمهُ كُرهًا ووضعَتْه كُرهًا﴾ أي ذاتَ كُرهٍ أو حملًا ذَا كُرهٍ وهو المشقةُ، وقرئ بالفتحِ[(٤)] وهما لغتانِ كالفقرِ، وقيلَ: المضمومُ اسمٌ والمفتوحُ مصدرٌ. ﴿وحَمْلُه وفِصَالُه﴾ أيْ مدةُ حملِه وفصالِه، وهو الفطامُ، وقرئ وفَصلُه[(٥)]، والفصالُ كالفطمِ والفِطامِ بناءً ومَعْنى، والمرادُ

---

(١) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٥٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧١).

(٢) قرأ بها: عيسى، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٠)..

(٣) قرأ بها: عيسى بن عمر، وعلي، والسلمي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٥٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤).

(٤) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وهشام، وشيبة، والأعرج، وأبو رجاء، ومجاهد، وعيسى، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).

(٥) قرأ بها: يعقوب، وعاصم، والجحدري، وأبو رجاء، والحسن، وقتادة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٥١)، والبحر المحيط (٨/ ٦١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٨٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٣).

بِهِ الرَّضاعُ التامُّ المُنتهِي بِهِ، كَمَا أرادَ بالأمدِ المدةَ من قالَ: [المنسرح]

كُـلُّ حَـيٍّ مُـسـتـكـمِـلٌ مُـدَّةَ الـعـمـ ـرِ ومُـودٍ إذَا انـتـهـى أمـدُهْ[١]

﴿ثلاثونَ شهرًا﴾ تمضي عليهَا بمعاناةِ المشاقِّ ومقاساةِ الشدائدِ لأجلِه وهذا دليلٌ على أن أقلَّ مدةِ الحملِ ستةُ أشهرٍ لما أنَّه إذا حُطَّ عنْهُ للفصالِ حولانِ لقولهِ تعالى: ﴿حولينِ كاملينِ لمن أرادَ أنْ يتمَّ الرضاعةَ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٣٣] يبقي للحملِ ذلكَ، قيلَ: ولعل تعيينَ أقلِ مدةِ الحملِ وأكثرِ مدةِ الرَّضاعِ لانضباطِهما وتحققِ ارتباطِ النسبِ والرضاعِ بهما ﴿حتَّى إذا بلغ أشدَّهُ﴾ أي: اكتملَ[٢] واستحكمَ قوتُه وعقلُه ﴿وبلغَ أربعينَ سنةً﴾ قيلَ: لم يبعثْ نبيٌّ قبلَ أربعينَ. وقرئ حتَّى[٣] إذَا استَوى وبلغَ أشدَّهُ. ﴿قالَ ربِّ أَوْزِعْني﴾ أي ألهمنِي، وأصلُه أَوْلِعنِي من أوزعتُه بكذَا ﴿أنْ أشكرَ نعمتَكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ﴾ أي نعمةَ الدِّينِ أو ما يعمُّها وغيرَها. ﴿وأنْ أعملَ صالحًا ترضاهُ﴾ التنكيرُ للتفخيمِ والتكثيرِ ﴿وأَصلِحْ لي في ذُريتي﴾ أيْ واجعلِ الصلاحَ ساريًا في ذُريتِي راسخًا فيهم كَما في قولِه: [الطويل]

.... يـجـرحْ فـي عَـراقـيـبِـهـا نَـصْـلِـي[٤]

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أجابَ الله تعالَى دعاءَ أبي بكرٍ رضيَ الله عنه فأعتقَ تسعةً من المؤمنينَ منهم[٥] عامرُ بنُ فُهيرةَ ولم يُردْ شيئًا من الخيرِ إلا أعانَهُ الله تعالى عليهِ ودَعَا أيضًا فقالَ وأصلحْ لي في ذُرِيتِي فأجابَهُ الله عزَّ وجلَّ فلم يكُن لهُ ولدٌ إلا آمنُوا جميعًا فاجتمعَ له إسلامُ أبويهِ وأولادِه جميعًا فأدركَ أبُوه أبُو قحافةَ رسولَ الله ﷺ وابنُه عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ وابنُ عبدِ الرَّحمنِ أبُو عتيقٍ كلُّهم أدركُوا النبيَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ولم يكُنْ ذلكَ لأحدٍ من الصَّحابةِ رضوانُ الله تعالَى عليهم أجمعينَ[٦]. ﴿إنِّي تبتُ إليكَ﴾ عمَّا لا ترضاهُ أو عمَّا يشغلُني عن ذكرِك ﴿وإني منَ المُسلمينَ﴾ الذينَ أخلصُوا لكَ أنفسَهُم.

﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى الإنسانِ، والجمعُ لأنَّ المرادَ به الجنسُ المتصفُ بالوصفِ المَحكِيِّ عنْهُ، وما فيهِ من مَعْنى البُعدِ للإشعارِ بعُلوِّ رُتبتهِ وبُعدِ منزلتِه، أي أولئكَ المنعوتونَ بما ذُكِرَ من النعوتِ الجليلةِ. ﴿الذينَ نتقبلُ عنهم أحسنَ ما عملُوا﴾ من الطاعاتِ، فإنَّ المباحَ حسنٌ ولا يثابُ عليهِ. ﴿ونتجاوزُ عن سيئاتِهم﴾ وقُرئ

---

(١) البيت للطرماح كما في ديوانه، والفائق للزمخشري (١/ ٥٨).
(٢) في ط: اكتهل.
(٣) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢١)، والمعاني للفراء (٣/ ٥٢).
(٤) تقدم تخريجه. (٥) زاد في خ: بلال.
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٦٧).

الفعلانِ[١] بالياءِ على إسنادِهما إلى الله تعالى، وعلى بنائِهما[٢] للمفعولِ، ورفعِ أحسنَ على أنَّه قائمٌ مقامَ الفاعلِ، وكذا الجارُّ والمجرور. **﴿في أصحابِ الجنَّةِ﴾** أي كائنينَ في عدادِهم منتظمينَ في سلكِهم **﴿وعدَ الصدقِ﴾** مصدرٌ مؤكدٌ لما أنَّ قولَه تعالَى نتقبلُ ونتجاوزُ وعدٌ من الله تعالى لهُم بالتقبلِ والتجاوزِ. **﴿الذي كانُوا يُوعدونَ﴾** عَلى ألسنةِ الرُّسلِ.

﴿وَالذي قالَ لوالديهِ﴾ عندَ دعوتِهما لهُ إلى الإيمانِ **﴿أُفٍّ لَكُما﴾** هو صوتٌ يصدرُ عنِ المرءِ عندَ تضجرِه، واللامُ لبيانِ المؤفَّفِ له كمَا في هَيْتَ لكَ. وقرئَ أُفَّ بالفتحِ[٣] والكسرِ[٤] بغيرِ تنوينٍ وبالحركاتِ [الثلاثِ][٥] معَ التنوينِ[٦]، والموصولُ

---

(١) قرأ يَتَقَبل: المطوعي، والحسن، والأعمش، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٦١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢١)، وقرأ «يَتَجاوز»: المطوعي، والحسن، والأعمش، وعيسى.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٦١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٩٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢١).

(٢) قرأ يُتَقَبَّلُ: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدي، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٦١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧٢)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٨٦).
وقرأ «يُتَجَاوز»: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدي، وشعبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩١)، والبحر المحيط (٨/ ٦١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧٤)، والتيسير للداني ص (١٩٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧٢).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وابن محيصن، والمفضل، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والتيسير للداني ص (١٣٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٤٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وعاصم، وشعبة، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والتيسير للداني ص (١٣٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٩٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٥٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشف للقيسي (٢/ ٤٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٥) سقط في خ.

(٦) بالفتح ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٢)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٢٣).
بالضم ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٢)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٢٣).

عبارةٌ عن الجنسِ القائلِ ذلكَ القولَ ولذلكَ أُخبرَ عنه [بالمجموعِ][١] كما سبقَ. قيلَ: هُو في الكافرِ العاقِّ لوالديهِ المكذبِ بالبعثِ[٢]. وعن قَتَادَةَ[٣]: هُو نعتُ [عبدٍ سوءٍ][٤] عاقٍّ لوالديهِ فاجرٍ لربِّه[٥]، وما رُويَ [من][٦] أنَّها نزلتْ في عبدِ الرَّحمنِ[٧] بن أبي بكرٍ رضيَ الله عنهُمَا قبلَ إسلامِه يردُّه ما سيأتِي من قولِه تعالى: ﴿أُولَئِكَ الذينَ حَقَّ عليهم القولُ﴾ [سورة الأحقاف، الآية ١٨] الآيةَ، فإنَّه[٨] كانَ من أفاضلِ المسلمينَ وسَرواتِهم، وقد كذَّبتِ الصدِّيقةُ رضيَ الله عنها مَنْ قالَ ذلكَ[٩]. ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ أُبعثَ من القبرِ بعدَ الموتِ.

وقرئَ أَخْرُجَ[١٠]، من الخُروجِ. ﴿وَقَدْ خلتِ القرونُ منْ قَبلي﴾ ولم يُبعثْ منهم أحدٌ

---

(١) في خ: المجموع.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٧) رقم (٣١٢٧٦) عن الحسن.

(٣) زاد في خ: رضي الله عنه.

(٤) في خ: عتاب هو. (٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٧) رقم (٣١٢٧٧).

(٦) سقط في خ. (٧) في خ: الله. (٨) في خ: فإن.

(٩) أخرجه النسائي في تفسيره: (٢/ ٢٩٠)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٤٨١)، وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي: فيه انقطاع؛ فإن محمدًا لم يسمع من عائشة.ا.هـ.
وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٨٢) إلى ابن أبي خيثمة في أول تاريخه، وإلى ابن مردويه في تفسيره، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ١١)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
كلهم من طريق: ابن زياد عن عائشة به.
وللقصة طريق آخر: أخرجه البزار في مسنده (٢/ ٢٤٧) رقم (١٦٢٤-كشف) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي مولى الزبير، قال: كنت في المسجد ومروان يخطب، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: «والله ما استخلف أحدًا من أهله، فقال مروان أنت الذي نزلت فيك: «والذي قال لوالديه أف لكما» فقال عبدالرحمن: كذبت ولكن رسول الله ﷺ «لعن أباك» وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٤٤). وقال: رواه البزار وإسناده حسن.
وللحديث شاهد أيضًا عند البخاري: فقد أخرجه البخاري (٩/ ٥٤٧): كتاب التفسير باب سورة الأحقاف، حديث (٤٨٢٧) من طريق يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية؛ لكي يبايع له، وبعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئًا فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: «والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني» فقالت عائشة من رواء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئًا إلا أن الله أنزل عذري».
قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (٤/ ١٥٨-١٥٩): «وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر- رضي الله عنهما- فقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر -رضي الله عنهما- أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان في خيار أهل زمانه. ا.هـ.

(١٠) قرأ بها: الحسن، وابن يعمر، والأعمش، وابن مصرف، ونصر، وأبو العالية، وأبو معمر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٥٣)، والبحر المحيط (٨/ ٦٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٩٧)، والمعاني للفراء (٣/ ٥٣)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٢٤).

﴿وهُما يستغيثانِ الله﴾ يسألانِه أنْ يغيثَهُ ويوفقَهُ للإيمانِ. ﴿ويلكَ﴾ أي قائلينَ له ويلكَ، وهو في الأصلِ دعاءٌ عليه بالثبورِ [أُريدَ به][(١)] الحثَّ والتحريضَ على الإيمانِ لا حقيقةَ الهلاكِ. ﴿آمِنْ إنَّ وعدَ الله حقٌّ﴾ أي البعثَ أضافاهُ إليهِ تعالى تحقيقًا للحقِّ وتنبيهًا على خطئهِ في إسنادِ الوعدِ إليهما. وقرئ أنَّ وعدَ[(٢)] الله أي: آمِنْ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ ﴿فيقولُ﴾ مكذبًا لهُما ﴿ما هَذا﴾ الذي تسميانِه وعدَ الله ﴿إلا أساطيرُ الأولينَ﴾ أباطيلُهم التي سَطرُوها في الكتبِ من غيرِ أنْ يكونَ لها حقيقةٌ. ﴿أولئكَ﴾ القائلون هذه المقالاتِ الباطلةَ ﴿الذينَ حقَّ عليهم القولُ﴾ وهو قولُه تعالى لإبليسَ: ﴿لأملأنَّ جهنَم منكَ وممَّن تبعكَ منهمُ أجمعينَ﴾ [سورة ص، الآية ٨٥] كما ينبئُ عنهُ قولُه تعالى: ﴿في أممٍ قد خلتْ من قبلِهم من الجنِّ والإنسِ﴾ وقدْ مرَّ تفسيرُه في سورةِ الم السجدةُ ﴿إنَّهم﴾ جميعًا ﴿كانُوا خاسرينَ﴾ قد ضيَّعُوا فطرتَهُم الأصليةَ الجاريةَ مجرى رؤوسِ أموالِهم باتِّباعِهم الشيطانَ، والجملةُ تعليلٌ للحُكم بطريقِ الاستئنافِ التحقيقيِّ. ﴿ولكُلٍّ﴾ من الفريقينِ المذكورينِ ﴿درجاتٌ مما عمِلُوا﴾ مراتبُ من أجزيةِ ما عملوا من الخير والشرِّ. والدرجاتُ غالبةٌ في مراتبِ المَثوبة، وإيرادُها هَهُنا بطريقِ التغليبِ. ﴿وليُوفِّيَهم أعمالَهم﴾ أي أجزيةَ أعمالِهم، وقرئ بنونِ[(٣)] العظمةِ. ﴿وهُم لا يُظلمونَ﴾ بنقصِ ثوابِ الأولينَ وزيادةِ عقابِ الآخرينَ. والجملةُ [إمَّا][(٤)] حالٌ مؤكدةٌ للتوفية، [أو][(٥)] استئنافٌ مقررٌ لها، واللامُ متعلقةٌ بمحذوفٍ مُؤخرٍ كأنَّه قيلَ وليُوفِّيهم أعمالَهُم ولا يظلمَهُم حقوقَهم، فعلَ ما فعل من [تقديرِ][(٦)] الأجزيةِ على مقاديرِ أعمالِهم فجعلَ الثوابَ درجاتٍ والعقابَ دركاتٍ. ﴿ويومَ يُعرضُ الذينَ كفرُوا علَى النَّارِ﴾ أي يُعذَّبُونَ بَها منْ قولِهم عُرِض الأسارَى على السيفِ أي قُتلوا، وقيل: يُعرض[(٧)] النارُ عليهم بطريقِ القلبِ مبالغةً. ﴿أذهبتُم طيباتِكم﴾ أي يقالُ لهم ذلكَ وهو الناصبُ[(٨)] للظرفِ.

---

(١) في خ: أراد.

(٢) قرأ بها: الأعرج، وعمرو بن فائد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٢).

(٣) قرأ بها: حمزة، والكسائي، ونافع، وابن عامر، وهشام، والداجوني، والأعمش، والأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وابن ذكوان، والحلواني، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والبحر المحيط (٨/ ٦٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٢٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٣).

(٤) سقط في خ. (٥) في خ: و. (٦) سقط في خ.

(٧) في خ: تعرض. (٨) في خ: التناسب.

وقرئ أأُذهبتُم[١] بهمزتينِ وبألفٍ[٢] بينهمَا على الاستفهام التوبيخيِّ أي أصبتُم وأخذتُم ما كُتبَ لكُم من حُظوظِ الدُّنيا ولذائِذها. ﴿في حياتِكم الدُّنيا واستمتعتم بهَا﴾ فلم يبقَ لَكُم بعد ذلكَ شيءٌ منها. ﴿فاليومَ تُجزونَ عذابَ الهُونِ﴾ أيْ الهوانِ. وقد قرئ كذلكَ[٣]. ﴿بما كنتُم﴾ في الدُّنيا ﴿تستكبرونَ في الأرضِ بغيرِ الحقِّ﴾ بغيرِ استحقاقٍ لذلكَ ﴿وبما كنتُم تفسُقون﴾ أي تخرجونَ عن طاعةِ الله عزَّ وجلَّ أي بسببِ استكبارِكم وفسقِكم المستمرين. وقرئ تَفْسِقونَ[٤] بكسرِ السِّينِ.

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٢٨)

﴿واذكُرْ﴾ أيْ لكُفَّارِ مكةَ ﴿أخَا عادٍ﴾ أيْ هودًا عليهِ السلامُ، ﴿إذْ أنذرَ قومَهُ﴾ بدلُ اشتمالٍ منْهُ أي وقتَ إنذارِه إيَّاهُم. ﴿بالأحقافِ﴾ جمعُ حِقْفٍ، وهُو رملٌ مستطيلٌ مرتفعٌ فيهِ انحناءٌ مِن احقوقفَ الشيءُ إذا اعوجَّ. وكانتْ عادٌ أصحابَ عَمدٍ يسكنونَ بين رمالٍ مشرفةٍ على البحرِ بأرضٍ يُقالُ لها الشِّحْرُ[٥] من بلادِ اليمنِ، وقيلَ: بينَ عُمَانَ ومَهَرَةَ. ﴿وقَدْ خلتِ النُّذرُ﴾ أي الرُّسلُ جمعُ نذيرٍ بمعنى المنذرِ. ﴿من بينِ يديهِ﴾ أي من قبلهِ ﴿ومن خلفِهِ﴾ أي منْ بعدهِ. والجملةُ اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ مؤكدٌ

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وابن ذكوان، وروح.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والبحر المحيط (٨/ ٦٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٧٤)، والتيسير للداني ص (١٩٩)، والنشر لابن الجزري (١/ ٣٦٦).
(٢) قرأ بها: هشام.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١).
(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٣).
(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٣).
(٥) في خ: الشجر.

لوجوبِ العملِ بموجبِ الإنذارِ، وُسِّط بينَ أنذرَ قومَهُ وبينَ قولِه: ﴿**أَلا تعبدُوا إِلا اللهَ**﴾ مسارعةً إلى ما ذُكِرَ من التقريرِ والتأكيدِ وإيذانًا باشتراكِهم[1] في العبارةِ المحكيةِ، والمَعْنى واذكُرْ لقومِكَ إنذارَ هودٍ[2] قومَهُ عاقبةَ الشركِ والعذابِ العظيمِ، وقد أنذرَ مَنْ تقدمَهُ من الرسلِ، ومن تأخرَ عنْهُ قومَهُم مثلَ ذلكَ فاذكُرهم. وأَما جعلُها حالًا من فاعلِ أنذرَ على مَعْنى أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أنذرَهُم، وقالَ لَهُم لا تعبدُوا إلا الله ﴿**إنِّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ**﴾ وقد أعلمهم أنَّ الرسلَ الذين بُعثوا قبلَه والذينَ سيُبعثونَ بعدَهُ كلَّهم منذِرونَ نحوَ إنذارِه، فمعَ ما فيهِ من تكلفِ تقديرِ الإعلامِ لا بُدَّ في نسبةِ الخلوِّ إلى مَن بعدَهُ من الرسلِ من تنزيلِ الآتِي منزلةَ الخالِي.

﴿**قالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا**﴾ أيْ تَصرِفَنَا ﴿**عنْ آلهتِنا**﴾ عن عبادتِها ﴿**فأتِنا بمَا تَعِدنَا**﴾ منَ العذابِ العظيمِ ﴿**إنْ كنتَ مِنَ الصادقينَ**﴾ في وعدِك بنزولِهِ بنَا.

﴿**قالَ إنَّما العلمُ**﴾ أي بوقتِ نزولِه أو العلمُ بجميعِ الأشياءِ التي من جُمْلتِها ذلكَ ﴿**عندَ اللهِ**﴾ وحدَهُ لا علمَ لي بوقتِ نزولِه ولا مدخلَ لي في إتيانِه وحلولِه وإنَّما علمُه عندَ الله تعالَى فيأتيكُم بهِ في وقتِهِ المقدرِ لهُ. ﴿**وأُبلِّغكُم مَا أُرسلتُ بِهِ**﴾ من مواجبِ الرسالةِ التي من جُملتِها بيانُ نزولِ العذابِ إنْ لم تنتهُوا عن الشركِ من غيرِ وقوفٍ على وقتِ نزولِه. وقرئ[3] أُبْلِغُكُم من الإبلاغِ. ﴿**ولكنِّي أراكُم قومًا تجهلُون**﴾ حيثُ تقترحُون عليَّ ما ليسَ من وظائفِ الرسلِ من الإتيانِ بالعذابِ وتعيينِ وقتِهِ. والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿**فلمَّا رَأَوْهُ**﴾ فصيحةٌ، والضميرُ إما مُبهمٌ يوضحه قولُه تعالى ﴿**عَارِضًا**﴾ وإما تمييزٌ أو حالٌ أو راجعٌ إلى ما استعجلُوه بقولِهم: فأتنا بما تَعدُنا أي فأتاهُم فلمَّا رأَوهُ سحابًا يعرضُ في أفقِ السماءِ ﴿**مستقبلَ أوديتِهم**﴾ أي: متوجِّه أوديتِهم. والإضافةُ فيه لفظيةٌ كما في قولِه تعالى ﴿**قالُوا هذا عارضٌ مُمطرُنَا**﴾ ولذلكَ وَقَعا وصفينِ للنكرةِ ﴿**بلْ هُوَ**﴾ أي قالَ هُودٌ وقد قرئ[4] كذلكَ، وقرئ[5] قُلْ، وهُو ردٌّ

---

(١) في خ: باشتراكه. (٢) زاد في خ: و.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٢)، والتيسير للداني ص (١١١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، والكشف للقيسي (١/ ٤٦٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٧٠).

(٤) قرأ بها: ابن مسعود، ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، والمحتسب لابن جني ص (٢/ ٢٦٥).

(٥) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٥٥).

عليهم[١]، أيْ ليسِ الأمرُ كذلكَ بلْ هُو ﴿ما استعجلتُم بِهِ﴾ من العذابِ ﴿رِيحٌ﴾ بدلٌ منْ ما أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ. ﴿فيها عذابٌ أليمٌ﴾ صفةٌ لريحٌ وكذَا قولُه تعالى: ﴿تدمرُ﴾ أي تهلكُ ﴿كلَّ شيءٍ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿بأمرِ ربِّها﴾ وقرئ (يَدْمُرُ كلَّ شيءٍ)[٢] من دمر دمارًا إذا هلكَ فالعائدُ إلى الموصوفِ محذوفٌ أو هو الهاءُ في ربِّها ويجوزُ أن يكونَ استئنافًا واردًا لبيانِ أنَّ لكل ممكنٍ فناءً مقضيا منوطا بأمرِ بارئِهِ[٣]، وتكونُ الهاءُ لكلِّ شيءٍ لكونِه بمعنى الأشياءِ وفي ذكرِ الأمرِ والربِّ والإضافةِ إلى الريحِ من الدلالة على عظمةِ شأنِه عزَّ وجلَّ ما لا يَخْفى. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فأصبحُوا لا يُرى إلا مساكِنُهُم﴾ فصيحةٌ أي فجاءتْهُم الريحُ فدمرتْهُم فأصبحُوا بحيثُ لا يُرى إلا مساكنُهم. وقرئ تَرَى[٤] بالتاءِ ونصبِ مساكنهم، خطابًا لكلِّ أحدٍ يتأتَّى منه الرؤيةُ تنبيهًا على أنَّ حالَهُم بحيثُ لو حضرَ كلُّ أحدٍ بلادَهُم لا يَرَى فيها إلا مساكنَهُم. ﴿كذلكَ﴾ أي مثلَ ذلكَ الجزاء الفظيعِ. ﴿نجزي القومَ المُجرمينَ﴾ وقد مرَّ تفصيلُ القصةِ في سورةِ الأعرافِ. وقد رُوِيَ أنَّ الريحَ كانتْ تحملُ الفُسطاطَ والظَّعينةَ فترفعُها في الجوِّ حتى تُرى كأنَّها جرادةٌ[٥]. قيلَ: أولُ من أبصرَ العذابَ امرأةٌ منُهم قالتْ رأيتُ ريحًا فيها كشهبِ النَّارِ[٦]، ورُوِيَ أنَّ أولَ ما عرفُوا به أنَّه عذابٌ ما رأوا ما كانَ في الصحراءِ من رحالِهم ومواشيهم تطيرُ بها الريحُ بينَ السماءِ والأرضِ فدخلُوا بيوتَهم وغلَّقوا أبوابَهم فقلعتِ الريحُ الأبوابَ وصرعَتْهم فأمالَ الله تعالى الأحقافَ فكانُوا تحتَها سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام لهم أنينٌ ثم كشفتِ [الريحُ عنهُم][٧] فاحتملتهم فطرحتْهُم في البحرِ[٨]. ورُوِيَ أنَّ هُودًا عليهِ السَّلامُ [لمَّا أحسَّ بالريحِ خطَّ على نفسِه وعلى المؤمنينَ خطًّا إلى جنبِ عينٍ تنبعُ][٩]. وعن ابنِ عبَّاسٍ

---

(١) في خ: عليهما.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤).

(٣) في خ: ربه.

(٤) قرأ بها: ابن عامر، وأبو عمرو، والكسائي، وابن كثير، ونافع، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو جعفر، ومجاهد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٩٢)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٥٧)، والغيث للصفاقسي، ص (٣٥١).

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٠٦).

(٦) ينظر: المصدر السابق.

(٧) في خ: عنهم الريح.

(٨) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٧٠)، والزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٠٦)، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٣٢) عن ابن عباس.

(٩) ينظر: «الكشاف» (٥/ ٥٠٦).

رضيَ الله عنهُمَا اعتزلَ هودٌ][1] ومن معَهُ في حظيرةِ ما يصيبُهم من الريحِ إلا ما يلينُ على الجُلودِ وتلذه الأنفسُ وإنَّها لتمرُّ من عادٍ بالظعنِ بينَ السماءِ والأرضِ وتدمغُهم بالحجارةِ[2].

﴿ولقد مكنَّاهُم﴾ أي قررنَا عادًا أو أقدرنَاهُم، وما في قولِه تعالى: ﴿فيمَا إنْ مكنَّاكُم فيهِ﴾ موصولةٌ أو موصوفةٌ، وإنْ نافيةٌ، أيْ في الذِي أو في شيءٍ ما مكنَّاكُم فيهِ من السَّعةِ والبسطةِ وطولِ الأعمار وسائرِ مبادِي التصرفاتِ كَما في قولِه تعالى: ﴿ألم يرَوا كم أهلكنَا من قبلِهم من قرنٍ مكنَّاهُم في الأرضِ ما لم نمكنْ لكُم﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦] وممَّا يُحسِّنُ موقعَ إنْ هَهُنا التَّفَصِّي عن تكررِ لفظةِ مَا، وهُو الدَّاعِي إلى قلبِ ألِفها هاءً في مَهْمَا، وجعلُها شرطيةً أو زائدةً مِمَّا لاَ يليقُ بالمقامِ.

﴿وجعلنَا لهُم سمعًا وأبصارًا وأفئدةً﴾ ليستعملُوهَا فيمَا خُلقتْ لهُ ويعرفُوا بكلٍّ منها ما نِيطتْ بهِ معرفتُه من فنونِ النعمِ ويستدلُّوا بها على شؤونِ منعمِها عزَّ وجلَّ ويداومُوا على شُكرِه. ﴿فَما أَغْنى عنْهم سمعُهم﴾ حيثُ لم يستعملُوه في استماعِ الوَحي ومواعظِ الرسلِ. ﴿ولا أبصارُهم﴾ حيثُ لم يجتلُوا بها الآياتِ التكوينيةَ المنصوبةَ في صحائفِ العالَمِ. ﴿ولا أفئدتُهم﴾ حيثُ لم يستعملُوها في معرفةِ الله تعالَى. ﴿من شيءٍ﴾ أي شيئًا من الإغناءِ. ومِنْ مزيدةٌ للتأكيدِ. وقولُه تعالى: ﴿إذْ كانُوا يجحدونَ بآياتِ الله﴾ متعلقٌ بما أَغْنَى وهو ظرفٌ جَرَى مجرى التعليلِ من حيثُ إنَّ الحكمَ مرتبٌ على ما أضيفَ إليهِ فإنَّ قولَكَ أكرمتُه إذ أكرمنِي، في قوةِ قولِك أكرمتُه لإكرامِه لأنَّك إذا أكرمتَهُ وقتَ إكرامِه فإنَّما أكرمْتَه فيه لوجودِ إكرامِه فيهِ وكذا الحالُ في حيثُ ﴿وحاقَ بهم ما كانُوا به يستهزئونَ﴾ من العذابِ الذي كانُوا يستعجلونَهُ بطريقِ الاستهزاءِ ويقولونَ فأتنا بما تعدُنا إن كنتَ من الصادقينَ.

﴿ولقد أهلكنا ما حولَكُم﴾ يا أهلَ مكةَ ﴿من القُرى﴾ كحِجْرِ ثمودٍ، وقُرى قومِ لوطٍ. ﴿وصرَّفنا الآياتِ﴾ كررنَاها[3] لَهُم ﴿لعلهم يرجعونَ﴾ لكي يرجعُوا عمَّا هُم فيهِ من الكُفر والمَعَاصِي. ﴿فلولا نصرَهُم الذينَ اتخذُوا من دونِ الله قربانًا آلهةً﴾ القُربانُ: ما يُتقربُ بهِ إلى الله تعالَى. وأحدُ مفعولَيْ اتخذُوا ضميرُ الموصولِ المحذوفِ، والثانِي آلهةً، وقربانًا حالٌ، والتقديرُ فهلاَّ نصرهُم وخلَّصَهم من العذابِ الذين اتخذُوهم آلهةً حالَ كونِها متقرَّبًا بَها إلى الله تعالَى، حيثُ كانُوا يقولونَ ما نعبدُهم إلا ليقربونَا إلى الله زُلْفى، وهؤلاءِ شفعاؤُنا عندَ الله. وفيه تهكمٌ بهم، ولا

---

(١) سقط في خ.

(٢) ينظر: «الكشاف» (٥/ ٥٠٦).

(٣) في خ: كررنا الآيات.

مساغَ لجعلِ قرباناً مفعولًا ثانيًا، وآلهةً بدلًا منه لفسادِ المَعْنى؛ فإنَّ البدلَ وإنْ كانَ هو المقصودَ لكنَّه لا بُدَّ في غيرِ بدلِ الغلطِ من صحةِ المَعْنى بدونِه، ولا ريبَ في أنَّ قولَنا اتخذوهُم من دونِ الله قُرباناً، أي متقربًا به مما لا صحةَ له قطعًا؛ لأنَّه تعالَى متقرَّبٌ إليهِ لا متقرَّبٌ بهِ فلا يصحُّ أنَّهم اتخذُوهم قربانًا متجاوزينَ الله في ذلكَ وقرئ قُرُباناً[1] بضمِّ الراءِ ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي غابُوا عنْهم وفيه تهكمٌ آخرُ بهم كأنَّ عدمَ نصرِهم لغيبتِهم أو ضاعُوا عنُهم أي ظهرَ ضياعُهم عنهم بالكُليَّةِ، وقيل: امتنعَ نصرُهم امتناعَ نصرِ الغائبِ عن المنصورِ ﴿وذلكَ﴾ أي ضياعُ آلهتِهم عنُهم وامتناعُ نصرِهم ﴿إفكُهم﴾ أيْ أثرُ إفكِهم الذي هُو اتِّخاذُهم إيَّاهَا آلهةً ونتيجةُ شركِهم. وقرئ أفكُهم[2]، وكلاهُما مصدرٌ كالحِذْرِ والحَذَرِ، وقرئ أَفَكَهُم[3] على صيغةِ الماضِي، فذلكَ إشارةٌ حينئذٍ إلى الاتخاذِ أيْ وذلكَ الاتخاذُ الذي هذه ثمرتُه وعاقبتُه صرفهُم عن الحقِّ، وقرئ أَفَّكَهُم[4] بالتشديدِ للمبالغةِ، وآفَكَهُم[5] من الأفعالِ أي جعلهم آفكين، وقرئ آفِكُهُم[6] على صيغةِ اسم الفاعلِ مضافًا إلى ضميرِهم أي قولُهم الإفكُ أي ذُو الإفكِ، كما يقالُ قولٌ كاذبٌ. ﴿وما كانُوا يفترونَ﴾ عطفٌ على (إفكُهم): أي وأثرُ افترائِهم على الله تعالى، أو أثرُ ما كانُوا يفترونه عليه تعالى، وقرئ وذلك إفكٌ مما كانوا

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦).

(٢) قرأ بها: ابن عباس.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦).

(٣) قرأ بها: ابن عباس، وابن الزبير، وعكرمة، والصباح بن العلاء الأنصاري، وأبو عياض، وحنظلة بن النعمان بن مرة، ومجاهد.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٥٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٧)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٣٠).

(٤) قرأ بها: أبو عياض، وعكرمة.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٧)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٣٠).

(٥) قرأ بها: ابن الزبير، وابن عباس.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٧)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٣٠).

(٦) قرأ بها: ابن عباس، وابن الزبير.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٩٠)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٧).

يفترون أي بعض ما كانوا يفترونَ من الإفكِ.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وإذْ صرفنَا إليكَ نفرًا من الجنِّ﴾ أمَلْناهم إليكَ وأقبلنا بهم نحوَكَ. وقرئَ[1] صرَّفنا بالتشديدِ للتكثيرِ، لأنَّهم جماعةٌ، وهُو السرُّ في جمعِ الضميرِ في قولِه تعالى **﴿يستمعونَ القرآنَ﴾** وما بعدَهُ، وهو حالٌ مقدرةٌ من نفرًا لتخصصِه بالصفةِ، أو صفةٌ أُخرى لَه أي واذكُرْ لقومِكَ وقتَ صرفنا إليكَ نفرًا كائنًا من الجنِّ مقدَّرًا استماعَهم القُرآنَ. **﴿فلما حضرُوه﴾** أي القرآنَ عند تلاوتهِ أو الرسولَ عند تلاوتِه له على الالتفاتِ والأولُ هو الأظهرُ. **﴿قالُوا﴾** أي قالَ بعضُهم لبعضٍ **﴿أنصتُوا﴾** أي اسكتُوا لنسمعهُ **﴿فلما قُضيَ﴾** أُتمَّ وفُرغَ عن تلاوتِه، وقرئَ على البناءِ[2] للفاعلِ وهو ضميرُ الرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وهذا يؤيدُ عودَ ضميرِ حضروه إليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام. **﴿ولَّوا إلى قومِهم منذرينَ﴾** مقدِّرينَ إنذارَهُم عند رجوعِهم إليهم. رُويَ أنَّ الجِنَّ كَانتْ تسترق السمعَ فلما حُرستِ السماءُ ورُجموا بالشهبِ قالُوا ما هَذا إلا لنبأٍ حدثَ فنهضَ سبعةُ نفرٍ أو ستةُ[3] نفرٍ من أشرافِ جنِّ نصيبينَ أو نِينَوى، [منُهم زوبعةُ][4] فضربُوا حتى بلغوا تهامةَ ثم اندفعُوا إلى وادِي نخلةَ فوافَوا رسولَ الله ﷺ وهو قائمٌ في جوفِ الليلِ يُصلِّي أو في صلاةِ الفجرِ فاستمعُوا لقراءتِه وذلكَ عند منصرفِه من الطائفِ[5]. وعن سعيدِ بنِ جُبيرٍ: ما قرأَ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ ولا

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦).

(٢) قرأ بها: أبو مجلز، وحبيب بن عبد الله بن الزبير، ولاحق بن حميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٧)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٦).

(٣) في خ: تسعة. (٤) سقط في خ.

(٥) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٨٧): غريب بهذا اللفظ، ا.هـ والحديث أخرجه البخاري (٩/ =

رآهُم وإنَّما كان يتلُو في صلاتِه فمرُّوا به فوقفُوا مستمعينَ وهو لا يشعرُ بهم فأنبأهُ الله تعالَى باستماعِهِم[١]. وقيلَ: بلْ أمرَهُ الله تعالى أنْ ينذرَ الجنَّ ويقرأَ عليهم فصرفَ إليه نَفرًا منهم جمعَهُم له فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«إنِّي أُمرتُ أنْ أقرأَ على الجنِّ الليلةَ فمن يتبعُني قالَها ثلاثًا»** فأطرقُوا إلا عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ رضيَ الله عنْهُ قالَ فانطلقنَا حتَّى إذَا كُنَّا بأعلى مكةَ في شِعب الحجونِ خطَّ لي خطًّا، فقالَ: **«لا تخرجْ منه حتَّى أعودَ إليكَ»**. ثم افتتحَ القرآنَ وسمعتُ لغطًا شديدًا حتَّى خفتُ على رسولِ الله ﷺ[٢] وغشيتُه أسودةٌ كثيرة حالتْ بيني وبينَهُ حتى ما أسمعُ صوتَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ثم انقطعُوا كقطعِ السحابِ فقالَ لي رسولُ الله ﷺ: **«هلْ رأيتَ شيئًا»**[٣] قلتُ [نعم][٤] رجالًا سُودًا مستشعرِي ثيابٍ بيضٍ فقالَ: **«أولئكَ جنُّ نَصيبينَ وكانُوا اثني عشرَ ألفًا»**[٥] والسورةُ التي قرأَها عليهم اقرأْ باسمِ ربِّك.

﴿قالُوا﴾ أي عندَ رجوعِهم إلى قومِهم ﴿يا قومَنَا إنَّا سمعنا كتابًا أُنزلَ من بعدِ

= ٦٧٢-٦٧٣): كتاب التفسير: باب سورة «قل أوحي إلي»، حديث (٤٩٢١)، ومسلم (٢/ ٤٠٣- النووي) كتاب الصلاة: باب الجهد بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث (١٤٩/ ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٤٢٦): كتاب التفسير القرآن: باب ومن سورة الجن، حديث (٣٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٣)؛ كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم... الحديث ».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجه مسلم وحده من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله-رضي الله عنه-بطوله بغير هذه الألفاظ.ا.هـ.

وله شاهد من حديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٥٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. من طريق سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: هبطوا على النبي ﷺ فذكره.

(١) ينظر: تخريج الحديث السابق.

(٢) زاد في خ: ثم انقطعوا كقطع السحاب.

(٣) زاد في خ: قط.

(٤) سقط في خ.

(٥) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٢٨٩): غريب بهذا اللفظ. ا.هـ.

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩٨) رقم (٣١٣١٥) عن يزيد عن سعيد عن قتادة؛ أنه قال في قوله تعالى: «وإذا صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرءان» قال: ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى...» فذكره وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة كما في تخريج الكشاف (٣/ ٢٩٠-٢٩١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٥٠٣-٥٠٤) في تفسير سورة الجن من حديث الزهري عن أبي عثمان بن شيبة الخزاعي عن عبد الله بن مسعود قال: إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل؟» فلم يحضر منهم أحد غيري... فذكره.

وأخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩٨) رقم (٣١٣١٧) من حديث معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبدالله بن عمرو بن غيلان الثقفي؛ أنه قال لابن مسعود فذكر نحوه.

مُوسى﴾ قيلَ: قالُوه لأنَّهم كانُوا على اليهوديةِ. وعنِ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا: إنَّ الجنَّ لم تكُن سمعت بأمرِ عِيْسَى عليه السَّلامُ[١]. ﴿مُصدقًا لما بينِ يديهِ﴾ أرادُوا به التوراةَ ﴿يهدي إلى الحقِّ﴾ من العقائدِ الصحيحةِ ﴿وإلى طريقٍ مستقيم﴾ مُوصلٍ إليهِ وهُو الشَّرائعُ والأعمالُ الصالحةُ ﴿يا قومنَا أجيبُوا داعيَ الله وآمنُوا بِهِ﴾ أرادُوا به ما سمعُوه من الكتابِ وصفُوه بالدَّعوةِ إلى الله تعالى بعدَ ما وصفُوه بالهدايةِ إلى الحقِّ والصراطِ المستقيم لتلازمِهما، دَعَوهم إلى ذلكَ بعدَ بيانِ حقِّيتِه واستقامتِه ترغيبًا لهم في الإجابةِ ثم أكَّدُوه بقولِهم ﴿يغفرُ لكُم من ذُنُوبكم﴾ أي بعضَ ذنوبكم وهو ما كانَ في خالصِ حقِّ الله تعالى فإنَّ حقوقَ العبادِ لا تُغفرُ بالإيمانِ. ﴿ويجركم من عذابٍ أليم﴾ معدٍّ للكفرةِ. واختُلفَ في أنَّ لهم أجرًا غيرَ هذا أو لاَ والأظهرُ أنَّهم في حُكمِ بني آدمَ ثوابًا وعقابًا. وقولُه تعالى: ﴿ومَنْ لا يُجبْ داعيَ الله فليسَ بمعجزٍ في الأرضِ﴾ إيجابٌ للإجابةِ بطريقِ الترهيبِ إثرَ إيجابِها بطريقِ الترغيبِ، وتحقيقٌ لكونهم منذرينَ. وإظهارُ دَاعي الله من غيرِ اكتفاءٍ بأحدِ الضميرينِ للمبالغةِ في الإيجابِ بزيادةِ التقريرِ وتربيةِ المهابةِ وإدخالِ الرَّوعةِ، وتقييدُ الإعجازِ بكونِه في الأرضِ لتوسيعِ الدائرةِ أي فليسَ بمعجزٍ له تعالى بالهربِ وإن هربَ كلَّ مهربٍ من أقطارِها أو دخلَ في أعماقِها. وقولُه تعالى ﴿وليسَ له من دونه أولياءُ﴾ بيانٌ لاستحالةِ نجاتِه بواسطةِ الغيرِ إثرَ بيانِ استحالةِ نجاتِه بنفسِهِ. وجمعُ الأولياءِ باعتبارِ مَعْنى منْ فيكونُ من بابِ مقابلةِ الجمعِ بالجمعِ لانقسامِ الآحادِ إلى الآحادِ كما أنَّ الجمعَ في قولِه تعالى ﴿أولئكَ﴾ بذلكَ الاعتبارِ، أي أولَئكَ الموصوفونَ بعدمِ إجابةِ داعِي الله. ﴿في ضلالٍ مبينٍ﴾ أي ظاهرٌ كونَهُ ضلالًا بحيثُ لا يَخْفى على أحدٍ حيثُ أعرضُوا عن إجابةِ مَنْ هَذا شأنُه.

﴿أَوَلم يَرَوا﴾ الهمزةُ للإنكارِ، والواو للعطفِ على مقدرٍ يستدعيهِ المقامُ. والرؤيةُ قلبيةٌ أيْ ألم يتفكَّروا ولم يعلمُوا علمًا جازمًا مُتاخِمًا للمشاهدةِ والعيانِ ﴿أنَّ الله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ﴾ ابتداءً من غيرِ مثالٍ يحتذيهِ ولا قانونٍ ينتحيهِ. ﴿وَلَمْ يَعْيَ بخلقهنَّ﴾ أي لم يتعبْ ولم ينصَبْ بذلك أصلًا أو لم يعجزْ عنهُ. يقالُ عييتُ بالأمرِ إذا لم يُعرفْ[٢] وجههُ. وقولُه تعالى: ﴿بقادرٍ﴾ في حيزِ الرفعِ لأنَّه خبرُ أنَّ كما ينبئُ عنْهُ القراءةُ بغيرِ باءٍ، ووجُه دخولِها في القراءةِ الأولى اشتمالُ النفيِّ الواردِ في صدرِ الآيةِ على أنَّ وَمَا في حيزِها كأنَّه قيلَ: أوليسَ الله بقادرٍ. ﴿على أنْ يحيي الموتى﴾ ولذلكَ أجيبَ عنه بقولِه تعالى: ﴿بلى إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾ تقريرًا للقدرةِ على

---

(١) ينظر: «الكشاف» (٥/ ٥١٢). (٢) في خ: تعرف.

وجهٍ عامٍّ يكونُ كالبرهانِ على المقصودِ. ﴿ويومَ يعرضُ الذين كفرُوا على النارِ﴾ ظرفٌ عاملُه قولٌ مضمرٌ، مقولُه ﴿أليسَ هَذا بالحقِّ﴾ على أنَّ الإشارةَ إلى ما يشاهدونَهُ حينئذٍ من حيثُ هو من غيرِ أنْ يخطرَ بالبالِ لفظٌ يدلُّ عليهِ فضلًا عن تذكيرِه وتأنيثِه إذ هُو اللائق بتهويلِهِ وتفخيمِه وقد مرَّ في سورةِ الأحزابِ، وقيل: هيَ إلى العذابِ وفيه تهكمٌ بهم وتوبيخٌ لهم على استهزائِهم بوعدِ الله ووعيدِه وقولِهم وما نحنُ بمعذبينَ ﴿قالُوا بَلَى وربِّنَا﴾ أكَّدُوا جوابَهُم بالقسم كأنَّهم يطمعونَ في الخلاصِ بالاعترافِ بحقِّيتها كما في الدُّنيا وأنَّى لهُم ذلكَ. ﴿قَال فذوقُوا العذابَ بما كنتُم تكفرونَ﴾ بها في الدُّنيا ومَعْنى الأمرِ الإهانةُ بهم والتوبيخُ لهم. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فاصبُر كما صبرَ أولُو العزمِ من الرسلِ﴾ جوابُ شرطٍ محذوفٍ أيْ إذا كان عاقبةُ أمرِ الكفرةِ ما ذُكِرَ فاصبرْ على ما يصيبكَ من جهتِهم كما صبرَ أولُو الثباتِ والحزم من الرسلِ فإنكَ من جُمْلتِهم بل من عليتِهم ومِنْ للتبيينِ، وقيل: للتبعيضِ، والمرادُ بأُولي العزم أصحابُ الشرائعِ الذينَ اجتهدُوا في تأسيسِها وتقريرِها وصبرُوا على تحملِ مشاقِّهاَ ومعاداةِ الطاعنينَ فيَها، ومشاهيرُهُم نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعِيْسَى عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وقيلَ: هم الصابرونَ على بلاءِ الله كنوحٍ صبرَ على أذيةِ قومِه، كانُوا يضربونَهُ حتى يُغشَى عليهِ، وإبراهيمُ صبرَ على النَّارِ وعلى ذبحِ ولدِه، والذبيحُ على الذبحِ، ويعقوبُ على فقدِ الولدِ والبصرِ، ويوسفُ على الجُبِّ والسجنِ، وأيوبُ على الضُرِّ، ومُوسى قال له قومُه: ﴿إنا لمدركونَ قال كلا إنَّ معيَ ربِّي سيهدينِ﴾ [سورة الشعراء، الآية ٦١]، وداودُ بكى على خطيئتِه أربعينَ سنةً، وعيْسَى لم يضع لبنةً على لبنةٍ صلواتُ الله تعالَى وسلامُه عليهم أجمعينَ.

﴿ولا تستعجلْ لَهُم﴾ أي لكُفَّارِ مكةَ بالعذابِ فإنَّه على شرفِ النزولِ بهم ﴿كأنَّهم يومَ يرونَ ما يُوعدون﴾ من العذابِ ﴿لم يلبثُوا﴾ في الدُّنيا ﴿إلا ساعةً﴾ يسيرةً ﴿من نهارٍ﴾ لما يشاهدونَ من شدةِ العذابِ وطولِ مدتهِ[1]. وقولُه تعالى ﴿بلاغٌ﴾ خبر مبتدأٍ

(١) لقد ذكر بعض العلماء أن آية يونس المقاربة لهذه الآية ليس في التشبيه فقال: «التشبيه ليس مرادًا به ظاهره، فإن التشبيه كثيرًا ما يذكر، ويراد به معان أخرى تترتب عليه، كما صرح به في شرح المفتاح، فالمراد: إما التأسف على عدم انتفاعهم بأعمارهم أو تمني أن يطول مكثهم مثل ذلك حتى لا يشاهدوا الأهوال، ومن غفل عن ذلك قال: إن الظاهر أنها للظن، فإن تشبيههم بعدم لبثهم إلا ساعة كلام خال عن الفائدة، قال الشهاب: وهو من آفة الفهم فتدبر، وذلك جار على أنه قد تخرج كأن لمعان غير التشبيه كالشك أو الظن، وهو معنى نقله الشهاب وكثير من العلماء قد فسر الآيتين على أنهما من التشبيه منهم الزمخشري والبيضاوي والشيخ الجمل والطاهر بن عاشور وشيخنا أبو السعود فالآية من التشبيه ووجه الشبه استقصار المدة في كل، وهو تشبيه معنوي بحسي تشبيهًا مفردًا لإفراد الوجه، وجاء التشبيه بكأن لا للدلالة على أن المشابهة أبلغ بل فيها تأكيد الدلالة على مطلق التشبيه =

محذوفٍ، أي هَذا الذي وُعظتم بهِ كفايةٌ في الموعظةِ أو تبليغٌ من الرسولِ ويُؤيدُه أنَّه قرئ بَلِّغْ[١]، وقرئ بلاغًا[٢] أي بلغُوا بلاغًا **﴿فَهَل يُهلَكُ إلا القومُ الفاسقونَ﴾** أي الخارجونَ عن الاتِّعاظِ أو عن الطاعةِ. وقرئ بفتحِ الياءِ[٣] وكسرِ اللامِ، وبفتحِهما[٤]، منْ هَلِكَ وهَلَكَ، وبنونِ العظمةِ من الإهلاكِ ونصبِ القومِ ووصفِه.

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قرأَ سورةَ الأحقافِ كُتبَ له عشرُ حسناتٍ بعددِ كلّ رملةٍ في الدُّنيا»**[٥][٦].

= والاعتناء به كما قال السبكي.
ينظر: حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير القاضي البيضاوي المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي (٥/ ٣٣)، وعروس الأفراح للسبكي ضمن شروح التلخيص (٣/ ٤٩٢)، ومغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٦٣)، والكشاف (٢/ ٥٣٩)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (١/ ٤٤٩)، والفتوحات الإلهية (٢/ ٣٥٢)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٦٥)، والتحرير والتنوير (٢/ ٥٠٠)، وتفسير المنار (١١/ ٣٨٥)، ونظم الدرر للبقاعي (٩/ ١٣١)، والبرهان في توجيه متشابه القرآن لتاج القراء الكرماني (١٠٣).

(١) قرأ بها: أبو مجلز، وأبو سراج الهذلي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٨).

(٢) قرأ بها: الحسن، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٣)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٦)، والبحر المحيط (٨/ ٦٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، والمجمع للطبرسي (٩/ ٩٠).

(٣) قرأ بها: ابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٦٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٨).

(٤) قرأ بها: ابن محيصن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٦٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٨).

(٥) أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١٠٢) من حديث أُبي بن كعب، وهو حديث موضوع.

(٦) زاد في خ: والله الموفق.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ

[وتُسمَّى سورةَ القتالِ وهي مدنية وَقيلَ: مَكِّيةٌ][1]، وَآيُها تسعٌ أو ثمانٍ وَثلاثونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

﴿الذينَ كَفَروا وصَدُّوا عنْ سبيلِ اللهِ﴾ أي أعرضُوا عن الإسلامِ وسلوكِ طريقهِ، منْ صَدَّ صُدودًا، أو منعُوا النَّاسَ عن ذلكَ مِنْ صدَّهُ صَدا كالمُطعمينَ يومَ بدرٍ وقيلَ:

---

(١) سقط في خ.

هُم اثنا عشرَ رجُلًا من أهلِ الشركِ كانُوا يصدُّونَ الناسَ عن الإسلامِ ويأمرونَهُم بالكفرِ، وقيلَ أهلُ الكتابِ الذينَ كفرُوا وصدُّوا مَنْ أرادَ منْهم ومن غيرِهم أنْ يدخلَ في الإسلام، وقيلَ: هو عامٌّ في كلِّ مَن كفرَ وصدَّ ﴿أَضلَّ أعمالَهُم﴾ أي أبطلَها [وأحبطَها][(١)] وجعلَها ضائعةً لا أثرَ لَها أصلًا، لكنْ لا بمعنى أنَّه أبطلَها وأحبطَها بعد أنْ لم تكُنْ كذلك بلْ بمَعْنى أنَّه حكَم ببطلانِها وضياعِها، فإنَّ ما كانُوا يعملونَ من أعمالِ البرِّ كصلةِ الأرحامِ وقِرَى الأضيافِ وفكِّ الأسارَى وغيرِها من المكارمِ ليسَ لها أثرٌ منْ أصلِها لعدمِ مقارنتِها للإيمانِ أو أبطلَ ما عملوا من الكيدِ لرسولِ الله ﷺ والصدِّ عن سبيلِه بنصرِ رسوله وإظهارِ دينِه على الدِّينِ كُلِّه، وهُو الأوفقُ لما سيأتِي من قولِه تعالى: ﴿فتعسًا لهم وأضلَّ أعمالَهم﴾ [سورة محمد، الآية ٨]. وقولُه تعالى: ﴿فإذا لقيتُم﴾ [سورة محمد، الآية ٤] . . . إلخ. ﴿والذين آمنُوا وعملُوا الصالحاتِ﴾ قيلَ: هم ناسٌ من قُريشٍ وقيلَ: من الأنصارِ وقيلَ: هُم مُؤمنو أهلِ الكتابِ وقيلَ: عامٌّ للكُلِّ ﴿وآمنُوا بما نزِّلَ عَلى محمدٍ﴾ خُصَّ [بالذكرِ][(٢)] الإيمانُ بذلكَ مع اندراجِه فيما قبلَهُ تنويهًا بشأنِه وتنبيهًا على سُموِّ مكانِه منْ بينِ سائرِ ما يجبُ الإيمانُ بهِ وأنه الأصلُ في الكُلِّ، ولذلكَ أُكِّدَ بقولِه تعالى ﴿وهُو الحقُّ من ربِّهم﴾ بطريقِ حصرِ الحقِّيةِ [فيهِ][(٣)]، وقيلَ: حقِّيتُه بكونِه ناسخًا غيرَ منسوخٍ، فالحقُّ على هذا مقابلُ الزائلِ وعلى الأولِ مقابلُ الباطلِ، وأيًا ما كانَ فقولُه تعالى: ﴿من ربِّهم﴾ حالٌ من ضميرِ الحقِّ. وقرئ نزَّلَ[(٤)] على البناءِ للفاعلِ، وأُنزلَ[(٥)] على البناءينِ، ونَزَلَ[(٦)] بالتخفيفِ ﴿كفَّر عنْهم سيِّئاتِهم﴾ أي سترَهَا بالإيمانِ والعملِ الصالحِ. ﴿وَأَصْلَحَ بالَهُم﴾ أي حالَهم في الدِّينِ والدُّنيا بالتأييدِ والتوفيقِ.

﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى ما مرَّ من إضلالِ الأعمالِ وتكفيرِ السيئاتِ وإصلاحِ البالِ، وهو مبتدأٌ خبرُهُ قولُه تعالى: ﴿بأنَّ الذينَ كفرُوا اتَّبعُوا الباطلَ وأنَّ الذينَ آمنُوا اتَّبعُوا الحقَّ من ربِّهم﴾ أيْ ذلكَ كائنٌ بسببِ [أنَّ][(٧)] الأولينَ اتَّبعُوا الشيطانَ كما قالَهُ مجاهدٌ ففعلُوا ما فعلُوا منَ الكفرِ والصدِّ، فبيانُ سببيةِ اتباعِه للإضلالِ المذكورِ متضمنٌ لبيانِ

---

(١) سقط في خ. (٢) في خ: الآيات بذلك. (٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: زيد بن علي، وابن مقسم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٠).

(٥) للفاعل، ينظر: تفسير الألوسي (٢٦/ ٣٨).
وللمفعول: الأعمش، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٠).

(٦) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٠).

(٧) سقط في خ.

سببيتِهما له لكونِه أصلًا مُستتبعًا لهما قطعًا وبسببِ أنَّ الآخرينَ اتبعُوا الحقَّ الذي لا محيدَ عنه كائنًا من ربِّهم ففعلُوا ما فعلُوا من الإيمانِ به وبكتابِه ومن الأعمالِ الصالحة فبيانُ سببيةِ اتِّباعِه لما ذُكرَ من التكفيرِ والإصلاحِ بعدَ الإشعارِ بسببيةِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ له متضمنٌ لبيانِ سببيتِهما له لكونِه مبدأً ومنشأً لهما حتمًا فلا تدافُعَ بينَ الإشعارِ والتصريحِ في شيءٍ من الموضعينِ ويجوزُ أن يُحملَ الباطلُ على ما يُقابلُ الحقَّ وهو الزائلُ الذاهبُ الذي لا أصلَ له أصلًا فالتَّصريحُ بسببيةِ اتباعِهِ لإضلالِ أعمالِهم وإبطالِها لبيانِ أنَّ إبطالَها لبطلانِ مبناها وزوالِه، وأما حملُه على ما لا يُنتفعُ به فليسَ كَما ينبغِي لِما أنَّ الكفرَ والصدَّ أفحشُ منه فلا وجَه للتصريحِ بسببيتِه لما ذُكر من إضلالِ أعمالِهم بطريقِ القصرِ بعدَ الإشعارِ بسببيتِهما له فتدبر. ويجوزُ أنْ يرادَ بالباطلِ نفسُ الكفرِ والصدِّ وبالحقِّ نفسُ الإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ، فيكونُ التنصيصُ على سببيتِهما لما ذُكِرَ من الإضلالِ ومن التكفيرِ والإصلاحِ تصريحًا بالسببيةِ المُشعرِ بَها في المَوقعينِ[1] ﴿كذلكَ﴾ أي مثلَ ذلكَ الضربِ البديعِ ﴿يضربُ اللهُ﴾ أيْ يبينُ ﴿للنَّاسِ أمثالَهُم﴾ أي أحوالَ الفريقينِ وأوصافَهما الجاريةَ في الغرابةِ مَجْرى الأمثالِ وهي اتباعُ الأولينِ الباطلَ وخيبتُهم وخُسرانُهم واتباعُ الآخرينَ الحقَّ وفوزُهم وفلاحُهم، والفاءُ في قولِه تعالى ﴿فإذَا لقيتُم الذينَ كفرُوا﴾ لترتيبِ مَا في حيزِها من الأمرِ على ما قبلها فإنَّ ضلالَ أعمالِ الكفرةِ وخيبتَهم وصلاحَ أحوالِ المؤمنينَ وفلاحَهم ممَّا يُوجبُ أنْ يرتّب على كلٍّ من الجانبينِ ما يليقُ به من الأحكام أيْ فإذَا كانَ الأمرُ كما ذُكِرَ فإذَا لقيتُموهم في المُحاربةِ ﴿فضربَ الرِّقابِ﴾ أصلُه فاضربُوا الرقابَ ضربًا فحُذفَ الفعلُ وقُدِّمَ المصدرُ وأُنيبَ مُنابَهُ مُضافًا إلى المفعولِ، وفيهِ اختصارٌ وتأكيدٌ بليغٌ، والتعبيرُ به عن القتلِ تصويرٌ له بأشنعِ صورةٍ وتهويلٌ لأمرِه وإرشادٌ للغزاةِ إلى أيسر ما يكونُ منْهُ. ﴿حتَّى إذَا أثخنتُموهم﴾ أي أكثرتُم قتلَهم وأغلظتُموه، من الشيءِ الثخينِ وهو الغليظُ أو أثقلتمُوهم بالقتلِ والجراحِ حتَّى أذهبتُم عنهُم النهوضَ. ﴿فشُدُّوا الوثاقَ﴾ فأْسِرُوهم واحفظُوهم، والوَثاقُ اسمٌ لما يُوثقُ بِهِ وكذا الوِثاقُ بالكسرِ، وقَدْ قرئَ بذلكَ[2]. ﴿فإمّا منًا بعدُ وإمَّا فداءً﴾ أيْ فإمَّا تمنونَ منًّا بعد ذلكَ أو تفْدونَ فداءً. والمَعْنى التخييرُ بين القتلِ والاسترقاقِ والمنِّ والفداءِ وهذا ثابتٌ عند الشافعيِّ رحمه الله تعالى وعندنَا منسوخٌ، قالُوا نزلَ ذلكَ يومَ بدرٍ، ثُمَّ نُسخَ والحكمُ إما القتلُ أو الاسترقاقُ. وعن مجاهدٍ ليسَ اليومَ منٌّ ولا فداءٌ إنما هُو

(١) في خ: الموضعين.
(٢) ينظر: تفسير الألوسي (٢٦/ ٣٩).

الإسلامُ أو ضربُ العنقِ[(١)]، وقرئ فدًا[(٢)] كعَصَا.

﴿حتَّى تضعَ الحربُ أوزارَهَا﴾ أوزارُ الحربِ آلاتُها وأثقالُها التي لا تقومُ إلا بَها من السلاحِ والكُراعِ، [و][(٣)] أُسندَ وضعُها إليها وهو لأهلِها إسنادًا مجازيًا، [و][(٤)] حتَّى غايةٌ عندَ الشافعيِّ لأحدِ الأمورِ الأربعةِ أو للمجموعِ. والمَعْنى أنَّهم لا يزالونَ على ذلكَ أبدًا إلى ألا يكونَ مع المشركينَ حربٌ بألا تبقى لهم شوكةٌ، وقيلَ بأنْ ينزلَ عيسى عليه السلامُ وأما عند أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى فإنْ حُملَ الحربُ على حربِ بدرٍ فهي غايةٌ للمنِّ والفداءِ والمعنى يُمنُّ عليهم ويُفادون حتى تضعَ حربُ بدرٍ أوزارَها، وإنْ حُملتْ على الجنسِ فهي غايةٌ للضربِ والشدِّ والمَعْنى أنهم يُقتلون ويؤسرون حتَّى يضع جنسُ الحربِ أوزارَها بألا يبقى للمشركين شوكةٌ. وقيلَ أوزارُها آثامُها أي حتَّى يتركَ المشركونَ شركَهم ومعاصيَهم بأنْ أسلمُوا. ﴿ذلك﴾ أي الأمرُ ذلك أو افعلُوا ذلك ﴿ولو يشاءَ الله لانتصرَ منهُم﴾ لانتقمَ منُهم ببعضِ أسبابِ الهلكةِ والاستئصالِ ﴿ولكنْ﴾ لم يشأْ ذلك ﴿ليبلوَ بعضَكم ببعضٍ﴾ فأمرَكم بالقتالِ وبلاكُم بالكافرينَ لتجاهدُوهم فاستوجبُوا الثوابَ العظيمَ بموجبِ الوعدِ والكافرين بكم ليعاجلَهم على أيديكُم ببعضِ عذابِهم كيْ يرتدعَ بعضُهم عن الكفرِ. ﴿والذينَ قُتِلوا في سبيلِ الله﴾ أي استُشهدوا. وقرئ قاتلُوا[(٥)] أي: جاهدُوا [وقَتلُوا[(٦)]][(٧)] وقُتِّلوا[(٨)].

---

(١) وروي هذا -أيضًا- عن ابن جريج والسدي وقتادة.
أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٦) رقم (٣١٣٤١، ٣١٣٤٢، ٣١٣٤٣).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٢٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١).

(٣) سقط في خ. (٤) سقط في خ.

(٥) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وشيبة، والأعمش، وشعبة، وأبو جعفر، وأبو عبيد، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٣)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٦٨)، والبحر المحيط (٨/ ٧٥)، والتيسير للداني ص (٢٠٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١).

(٦) قرأ بها: عاصم الجحدري، وعيسى بن عمر، وأبو حيوة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٦٨)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٢٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٠).

(٧) (٧) في خ: وقاتلوا.

(٨) قرأ بها: الحسن.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٦٨)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٢٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣١)، والمعاني للفراء (٣/ ٥٨).

﴿فَلَنْ يُضِلَّ أعمالَهمْ﴾ أي فلنْ يُضَيِّعَها. وقرئ يُضَلَّ[١] أعمالُهم على البناءِ للمفعولِ. ويضِلَّ أعمالَهم من ضلَّ وعنْ قَتَادةَ أنَّها نزلتْ في يوم أحدٍ[٢]. ﴿سَيَهْدِيهم﴾ في الدُّنيا إلى أرشدِ الأمورِ وفي الآخرةِ إلى الثوابِ أو سُيُثبِّتَ هدايتَهم ﴿ويُصْلِحُ بالَهُم﴾ ﴿ويُدخلُهم الجنَّةَ عَرَّفَها لَهُم﴾ في الدُّنيا بذكرِ أوصافِها بحيثُ اشتاقُوا إليها أو بيَّنها لهم بحيثُ يعلم كلُّ أحدٍ منزلَه[٣] ويهتدي إليهِ كأنه كان ساكنَهُ منذُ خُلقَ وعن مقاتل: أنَّ الملكَ الموكلَ بعملِهِ في الدُّنيا يمشي بين يديه فيعرفُه كلَّ شيءٍ أعطاهُ الله تعالى. أو طيَّبها لهم من العَرْفِ وهو طيبُ الرائحةِ[٤]، أو حدَّدها لهم وأفرزَها، من عَرفُ الدَّارِ فجنةُ كلٍّ منهم محددةٌ مفرزةٌ. والجملةُ إمَّا مستأنفةٌ أو حالٌ بإضمارِ قَدْ أو بدونِه.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنْ تنصُروا الله﴾ أي دينَه ورسوله ﴿ينصُرْكم﴾ على أعدائِكم ويفتحْ لكُم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ في مواطنِ الحربِ ومواقفِها أو على مَحَجةِ الإسلام. ﴿والذين كفرُوا فتعسًا لهم﴾ التعسُ الهلاكُ والعِثارُ والسقوطُ والشرُّ والبعدُ والانحطاطُ، ورجلٌ تاعسٌ وتَعِسٌ. وانتصابُه بفعلِه الواجبِ حذفُه سماعًا أي فقالَ تعسًا لهم أو فقضى تعسًا لهم. وقولُه تعالى: ﴿وأضلَّ أعمالَهم﴾ عطفٌ عليهِ داخلٌ معه في حيزِ الخبريةِ للموصولِ.

﴿ذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من التعسِ وإضلالِ الأعمالِ ﴿بأنَّهم﴾ بسببِ أنَّهم ﴿كرهُوا ما أنزلَ الله﴾ من القرآنِ لما فيهِ من التوحيدِ وسائرِ الأحكام المخالفةِ لما ألِفُوه واشتهتْهُ أنفسُهم الأمارةُ بالسُّوءِ ﴿فأحبطَ﴾ لأجلِ ذلكَ ﴿أعمالَهم﴾ التي لو كانُوا عملوها مع الإيمان لأثيبُوا عليها ﴿أفلم يسيرُوا في الأرضِ﴾ أي أقَعدُوا في أماكنِهم فلم يسيرُوا فيها ﴿فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلِهم﴾ من الأممِ المكذبةِ فإنَّ آثارَ ديارِهم تنبئ عن أخبارِهم.

وقولُه تعالى: ﴿دمَّر الله عليهم﴾ استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من الكلام كأنَّه قيلَ كيفَ كان عاقبتُهم فقيلَ استأصلَ الله تعالىَ عليهم ما اختصَّ بهم من أنفسِهم وأهلِيهم وأموالِهم، يقالُ دمَّره أهلكَه ودمَّر عليهِ أهلكَ عليهِ ما يختصُّ بهِ. ﴿وللكافرينَ﴾ أي ولهؤلاءِ الكافرينَ السائرينَ بسيرتِهم ﴿أمثالُها﴾ أمثالُ عواقبِهم أو عقوباتِهم لكنْ لا على أنَّ لهؤلاءِ أمثالَ ما لأولئكَ وأضعافَهُ، بلْ مثلَه، وإنما جُمعَ باعتبارِ مماثلتِه لعواقبَ متعددةٍ حسبَ تعددِ الأممِ المُعذبةِ. وقيلَ يجوزُ أن يكونَ عذابُهم أشدَّ من عذابِ الأولينَ

---

(١) قرأ بها: علي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٩) رقم (٣١٣٥٨).

(٣) في خ: منزلته.

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥١٨).

وقد قُتلوا وأُسروا بأيدِي من كانُوا يستخفّونهم ويستضعفونهم والقتلُ بيد المثلِ أشدُّ ألمًا من الهلاكِ بسببٍ عام، وقيلَ المرادُ بالكافرينَ المتقدمونَ بطريقِ وضعِ الظاهرِ موضعَ الضميرِ، كأنَّه قيلَ دمَّرَ الله عليهم في الدُّنيا ولهُم في الآخرةِ أمثالُها.

﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى ثبوتِ أمثالِ عقوبةِ الأمم السَّالفةِ لهؤلاءِ ﴿بأنَّ الله مَوْلى الذينَ آمنُوا﴾ أي ناصرُهم على أعدائِهم. وقرئ وليُّ[1] الذينَ ﴿وأنَّ الكافرينَ لاَ مَوْلَى لَهُم﴾ فيدفعُ عنهم ما حلَّ بهم من العقوبةِ والعذابِ ولا يُخالفُ هَذا قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ ردُّوا إلى الله مولاهُم الحق﴾ [سورة الأنعام، الآية ٦٢] فإنَّ المَوْلَى هُناكَ بمعنى المالِك.

﴿إنَّ الله يدخلُ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصَّالحاتِ جنَّاتٍ تَجري منْ تحتِها الأنهارُ﴾ بيانٌ لحكمِ ولايتِه تعالى لَهُم وثمرتِها الأُخرويةِ. ﴿والذينَ كفرُوا يتمتَّعونَ﴾ أيْ ينتفعونَ في الدُّنيا بمتاعِها ﴿وَيأْكُلُونَ كَما تأكُلُ الأنعامُ﴾ غافلينَ عنْ عواقِبهم[2] ﴿والنَّارُ مَثْوى لَهُم﴾ أي منزلُ ثُواءٍ وإقامةٍ. والجملةُ إمَّا حالٌ مقدرةٌ منْ واوِ يأكُلونَ، أو استئنافٌ ﴿وكَأَيِّنْ﴾ كلمةٌ مركبةٌ من الكافِ، وأَيْ بمَعنى كَم الخبريةِ ومحلُّها الرفعُ بالابتداءِ. وقوله تعالى: ﴿من قريةٍ﴾ تمييزٌ لها. وقولُه تعالَى: ﴿هي أشدُّ قوةً مِنْ قريتَكَ﴾ صفةٌ لقريةٍ كما أنَّ قولَه تعالى: ﴿التي أخرجتْكَ﴾ صفةٌ لقريتكَ، وقد حُذفَ عنهُمَا المضافُ وأُجريَ أحكامُه عليهمَا كما يُفصحُ عنه الخبرُ الذي هو قولُه تعالى: ﴿أهلكناهُم﴾ أي وكم منْ أهلِ قريةٍ هُم أشدُّ قوةً من أهلِ قريتكَ الذين كانُوا سببًا لخروجِكَ من بينِهم. ووصفُ القريةِ الأولى بشدةِ القُوَّةِ للإيذانِ بأولويةِ الثانيةِ منها بالإهلاكِ لضعفِ قوَّتِها كما أنَّ وصفَ الثانيةِ بإخراجِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ للإيذانِ بأولويتِها به لقوةِ جنايتِها. وعلى طريقتِه قولُ النابغةِ: [الطويل]

[كُلَيبُ لعَمْرِي][3] كانَ أكثَر ناصرًا وَأيسَر جُرمًا منكَ ضُرِّجَ[4] بالدَّم[5]

وقولُه تعالى: ﴿فلا ناصرَ لَهُم﴾ بيانٌ لعدمِ خلاصِهم من العذابِ بواسطةِ الأعوانِ والأنصارِ إثرَ بيانِ عدمِ خلاصِهم منْهُ بأنفسِهم. والفاءُ لترتيبِ ذكرِ ما بالغيرِ على ذكرِ ما بالذاتِ وهو حكايةُ حالٍ ماضيةٍ ﴿أفمنْ كانَ على بينةٍ من ربِّه﴾ تقريرٌ لتباينِ حَالَيْ

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: الإملاء للعكبري (٣/ ١٧٠)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٣٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٥٩).

(٢) إشارة إلى وجه الشبه وهو تشبيه مرسل لذكر الأداة، والمقصود منه تقبيح حال الكافرين ينظر في التشبيه: شروح التلخيص (٣/ ٤٩٢).

(٣) في خ: لعمري كليب. (٤) في خ: خرج.

(٥) البيت للنابغة الجعدي كما في ديوانه، والعقد الفريد (٥/ ١٨٥)، والأغاني (١٥/ ٢٨٧).

فَريقَيْ المؤمنينَ والكافرينَ وكونِ الأولينَ في أعلى علّيينَ والآخرينَ في أسفلِ سافلينَ وبيانُ لعلةِ ما لكلٍّ منهُمَا من الحالِ. والهمزةُ للإنكارِ، والفاءُ للعطفِ على مقدرٍ يقتضيهِ المقامُ، وقد قرئ بدونها[١]، ومَنْ عبارةٌ عن المؤمنينَ المتمسكينَ بأدلةِ الدِّينِ، وجعلُها عبارةً عن النبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أو عنْهُ وعنِ المؤمنينَ لا يساعدُه النظمُ الكريمُ على أنَّ الموازنةَ بينه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وبينَهم مما يأباهُ منصبُه الجليلُ. والتقديرُ أليسَ الأمرُ كما ذُكِرَ فمنْ كانَ مستقرًا على حجةٍ ظاهرةٍ وبرهانٍ نيّرٍ من مالكِ أمرِه ومربّيهِ وهو القرآنُ الكريمُ وسائرُ المعجزاتِ والحججِ العقليةِ. ﴿**كَمَن زُيِّنَ له سوءُ عملِهِ**﴾ من الشركِ وسائرِ المعاصي مع كونِه في نفسِه أقبحَ القبائحِ ﴿**واتبعُوا**﴾ بسببِ ذلكَ التزيينِ ﴿**أهواءَهُم**﴾ الزائغةَ وانهمكُوا في فنونِ الضلالاتِ من غيرِ أنْ يكونَ لهم شبهةٌ توهمُ صحةَ ما هُم عليهِ فضلًا عن حجةٍ تدلُّ عليهِ. وجمعُ الضميرينِ الأخيرينِ باعتبارِ مَعْنى مَنْ، كما أنَّ إفرادَ الأولَينِ باعتبارِ لفظِها.

عجائب الجنة

﴿**مَثَلُ الجَنَّةِ التي وُعِدَ المُتَّقونَ**﴾ استئنافٌ مَسُوقٌ لشرحِ مَحَاسنِ الجنَّةِ الموعودةِ آنِفًا للمؤمنينَ، وبيانِ كيفيةِ أنهارِها التي أُشيرَ إلى جريانِها من تحتِها، وعُبِّرَ عنهُم بالمتقينَ إيذانًا بأنَّ الإيمانَ[٢] والعملَ الصالح من بابِ التقوى الذي هُو عبارةٌ عن فعلِ الواجباتِ بأسرِها وتركِ السيئاتِ عن آخرِها، ومَثَلُها: وصفُها العجيبُ الشأنِ. وهُو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ فقدَّرهُ النَّضْرُ بْنُ شُمَيلٍ: مثلُ الجنةِ ما تسمعونَ.

وقولُه تعالى: ﴿**فيها أنهارٌ**﴾ . . . إلخ مفسرٌ لَهُ وقدَّرهُ سيبويهِ فيما يُتلَى عليكُم مَثَلُ الجنةِ، والأولُ هو الأنسبُ لصدرِ النظمِ الكريمِ، وقيلَ المَثَلُ زائدةٌ كزيادةِ الاسمِ في قولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عليكما ....[٣]

والجنةُ مبتدأٌ خبرُهُ فيها أنهارٌ . . . إلخ. ﴿**من ماءٍ غيرِ آسنٍ**﴾ أيْ غيرِ متغيرِ الطعمِ والرَّائحةِ. وقرئ غيرِ أَسِنٍ[٤]. ﴿**وأنهارٌ من لبنٍ لَمْ يتغيَّرْ طعمُهُ**﴾ بأنْ صارَ قارِصًا وَلاَ

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٣).

(٢) في خ: الموت. (٣) تقدم تخريجه.

(٤) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، وحميد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٣)، والتيسير للداني ص (٢٠٠)، والحجة لابن خالويه ص (٣٢٨)، والحجة لابن زرعة ص (٦٦٧)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٤)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧٧).

خَازِرًا كألبانِ الدُّنيا. ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربينَ﴾ لذيذةٍ ليسَ فيها كراهةُ طعمٍ وريحٍ ولا غائلةُ سُكرٍ ولا خُمارٌ، وإنما هيَ تلذذٌ محضٌ. ولذةٍ إمَّا تأنيثُ لذٍّ بمعنى لذيذٍ، أو مصدرٌ نُعتَ به مبالغةً. وقرئ لذةٌ[١] بالرفعِ على أنَّها صفةُ أنهارٌ، وبالنصبِ[٢] على العلَّةِ أي لأجلِ لذةِ الشاربينَ ﴿وأنهارٌ من عَسَلٍ مُصفًّى﴾ لا يُخالطُه الشمعُ وفضلاتُ النحلِ وغيرُها. وفي هذا تمثيلٌ لما يَجْري مَجرى الأشربةِ في الجنةِ بأنواعِ ما يُستطابُ منها ويُستلذُّ في الدُّنيا بالتخليةِ عمَّا يُنغصها ويُنقصها والتحليةِ بما يُوجبُ غزارتُها ودوامَها. ﴿ولَهُم فيها﴾ مع ما ذُكر من فنونِ الأنهارِ ﴿من كُلِّ الثمراتِ﴾ أيْ صنفٌ من كلِّ الثمراتِ ﴿ومغفرةٌ﴾ أي ولهم مغفرةٌ عظيمةٌ لا يُقادَرُ قَدرُها. وقولُه تعالى: ﴿مِنْ ربِّهم﴾ متعلقٌ بمحذوفٍ هو صفةٌ لمغفرةٌ مؤكدةٌ لما أفاده التنكيرُ من الفخامةِ الذاتيةِ بالفخامةِ الإضافيةِ أي كائنةٌ من ربِّهم. وقولُه تعالى: ﴿كمَنْ هُو خالدٌ في النَّارِ﴾ خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ تقديرُهُ أمَّنْ هو خالدٌ في هذه الجنةِ حسبما جرى به الوعدُ كمن هو خالدٌ في النَّارِ كما نطقَ بهِ قولُه تعالى: والنَّارُ مَثْوىً لَهُم، وقيل هو خبرٌ لمثَلُ الجنةِ على أنَّ في الكلامِ حذفًا، تقديرُهُ أمثلُ الجنةِ كمثلِ جزاءِ من هُو خالدٌ في النَّارِ أو أمثلُ أهلِ الجنةِ كمثلِ من هو خالدٌ في النارِ، فعُرّيَ عن حرفِ الإنكارِ وحُذفَ ما حذفَ تصويرًا لمكابرةِ مَن يُسوي[٣] بين المتمسكِ بالبينةِ[٤] وبين التابعِ للهوى بمكابرةِ من سوَّى بين الجنةِ الموصوفةِ بما فُصِّلَ من الصفاتِ الجليلةِ وبين النارِ. ﴿وسُقوا ماءً حميمًا﴾ مكانَ تلك الأشربةِ ﴿فقطَّع أمعاءَهُم﴾ من فرْطِ الحرارةِ قيل إذا دنَا منهم شَوَى وجوهَهم وانمارتْ فروةُ رؤوسِهم فإذا شربوُه قطَّع أمعاءَهم.

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٤).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٩)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٤).
(٣) في خ: يستوي. (٤) في خ: بالمبنية.

وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

من أخلاق المنافقين

﴿ومنُهم منْ يستمعُ إليكَ﴾ هم المنافقونَ وإفرادُ الضميرِ باعتبارِ لفظِ مَنْ كما أنَّ جمعَهُ فيما سيأتي باعتبارِ معناها. كانُوا يحضُرون مجلسَ رسولِ الله ﷺ فيسمعونَ [كلامَهُ][1] ولا يَعُونَهُ ولا يُراعونَهُ حقَّ رعايتِه تهاونًا منهُم. ﴿حتَّى إِذَا خرجُوا من عندكَ قالُوا للذينَ أُوتوا العلمَ﴾ من الصحابةِ رضي الله عنهُم ﴿ماذا قال آنفْا﴾ أي ما الذي قالَ الساعةَ على طريقةِ الاستهزاءِ وإن كان بصورةِ الاستعلامِ. وآنِفًا من قولِهم أنْفُ الشيءِ لما تقدمَ منه مستعارٌ من الجارحةِ ومنه استأنفَ الشيءَ وائتنفَ، وهو ظرفٌ بمعنى وقتًا مؤتنفًا. أو حالٌ من الضمير في قالَ. وقرئ أَنِفًا[2]. ﴿أولئكَ﴾ الموصوفونَ بما ذُكِرَ ﴿الذين طبعَ الله على قلوبِهم﴾ لعدمِ توجههم نحوَ الخيرِ أصلًا. ﴿واتبعُوا أهواءَهُم﴾ الباطلةَ فلذلك فعلُوا ما فعلُوا مما لا خيرَ فيهِ. ﴿والذينَ اهتَدَوا﴾ إلى طريقِ الحقِّ ﴿زادهُم﴾ أي الله تعالَى ﴿هُدى﴾ بالتوفيقِ والإلهامِ ﴿وآتاهُم تقواهُم﴾ أعانهُم على تقواهُم أو أعطاهُم جزاءَها أو بيّنَ لهم ما يتقونَ.

﴿فَهَل ينظرونَ إلا الساعةَ﴾ أي القيامةَ. وقولُه تعالى: ﴿أنْ تأتيَهُم بغْتةً﴾ أي تُباغتُهم بغتةً وهي المفاجأةُ بدلُ اشتمالٍ من الساعةَ والمعنى أنَّهم لا يتذكرونَ بذكرِ أهوالِ الأممِ الخاليةِ ولا بالأخبارِ بإتيانِ الساعةِ وما فيها من عظائمِ الأهوالِ وما

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، والبزي، والداني، وابن محيصن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٩٥)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٤).

ينتظرونَ للتذكرِ إلا إتيانِ نفسِ الساعةِ بغتةً. وقرئ بَغَتةً[١] بفتح الغينِ. وقولُه تعالى: ﴿فقد جاءَ أشراطُها﴾ تعليلٌ لمفاجأتِها، لا لإتيانِها مُطلقًا على معنى أنه لم يبقَ من الأمورِ الموجبةِ للتذكرِ أمرٌ مترقبٌ ينتظرونَهُ سوى إتيانِ نفسِ الساعةِ إذْ قد جاءَ أشراطُها فلم يرفعُوا لها رأسًا ولم يعدّوها من مبادئِ إتيانِها فيكون إتيانُها بطريقِ المفاجأةِ لا محالةَ. والأشراطُ جمعُ شَرَطٍ بالتحريكِ، وهي العلامةُ والمرادُ بها مبعثه ﷺ وانشقاقُ القمرِ ونحوُهما. وقولُه تعالى: ﴿فأنَّى لهم إذَا جاءتُهم ذكراهُم﴾ حكمٌ بخطئهم وفسادِ رأيهم في تأخيرِ التذكرِ إلى إتيانِها ببيانِ استحالةِ نفعِ التذكرِ حينئذٍ كقولِه تعالى: ﴿يومئذٍ يتذكرُ الإنسانُ وأنَّى له الذِّكرى﴾ [سورة الفجر، الآية ٢٣] أي وكيفَ لهم ذكراهُم إذا جاءتْهُم على أن أنَّى خبرٌ مقدمٌ وذكراهُم مبتدأٌ وإذا جاءتْهُم اعتراضٌ وسطٌ بينهما رمزًا إلى غايةِ سرعةِ مجيئِها وإطلاقُ المجيء عن قيدِ البغتِه لما أن مدارَ استحالةِ نفعِ التذكرِ[٢] كونُه عند مجيئِه مطلقًا لا مقيدًا بقيدِ البغتِة. وقرئ (إن تأتِهم)[٣] على أنَّه شرطٌ مستأنفٌ جزاؤُه فأنَّى لهم . . .إلخ. والمعنى إنْ تأتِهم الساعةُ بغتةً لأنه قد ظهرَ أماراتُها فكيفَ لهم تذكرُهم واتعاظُهم إذا جاءتْهُم.

﴿فاعلم أنَّه لا إله إلا الله﴾ أي إذا علمتَ أنَّ مدارَ السعادةِ هو التوحيدُ والطاعةُ ومناطَ الشقاوةِ هو الإشراكُ والعصيانُ فاثبُتْ على ما أنتَ عليه من العلمِ بالوحدانيةِ والعملِ بموجبِه. ﴿واستغفرْ لذنبِكَ﴾ وهو الذي رُبَّما يصدرُ عنه عليه الصلاةُ والسلامُ من تركِ الأَوْلى، عُبِّر عنه بالذنبِ نظرًا إلى منصبِه الجليلِ، كيفَ لا وحسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربينَ وإرشادٌ له عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى التواضعِ وهضمِ النفسِ واستقصارِ العملِ. ﴿وللمؤمنينَ والمؤمناتِ﴾ [أي: لذنوبِهم بالدعاءِ لهم وترغيبِهم فيما يستدعي غفرانَهم. وفي إعادةِ صلةِ الاستغفارِ][٤] تنبيهٌ على اختلاف متعلّقَيه جنسًا، وفي حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليهِ مُقامَهُ إشعارٌ بعراقتِهم في الذنبِ وفرطِ افتقارِهم إلى الاستغفارِ.

---

(١) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٠)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٥).

(٢) زاد في خ: مع.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، وأبو جعفر الرؤاسي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٩٧)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٣٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٠)، والمعاني للفراء (٣/ ٦١)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٦٠).

(٤) سقط في خ.

﴿**والله يعلمُ متقلبكم**﴾ في الدُّنيا فإنَّها[1] مراحلُ لا بُدَّ من قطعِها لا محالةَ. ﴿**ومثواكُم**﴾ في العُقْبى فإنَّها موطنُ إقامتِكم فلا يأمرُكم إلا بما هو خيرٌ لكم فيهما فبادِرُوا إلى الامتثالِ بما أمركُم به فإنه المهمُّ لكم في المقامينِ وقيل يعلمُ جميعَ أحوالِكم فلا يَخْفى عليه شيءٌ منها.

﴿**ويقولُ الذينَ آمنُوا**﴾ حرصًا منُهم على الجهادِ ﴿**لولا نزلت سورةٌ**﴾ أي هلا نزلتْ سورةٌ نؤمرُ فيها بالجهادِ ﴿**فإذا أنزلتْ سورةٌ محكمةٌ وذُكرَ فيها القتالُ**﴾ بطريقِ الأمرِ به أي سورةٌ مبينةٌ لا تشابَه ولا احتمالَ فيها لوجهٍ آخرَ سوى وجوبِ القتالِ. عن قَتَادَةَ[2]: كُلُّ سورةٍ فيها ذكرُ القتالِ فهيَ محكمةٌ لم تنسخْ[3]. وقرئ فإذا[4] نزلتْ سورةٌ، وقرئ وذَكَرَ[5] على إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِه تعالى ونصبِ القتالِ. ﴿**رأيتَ الذين في قلوبهم مرضٌ**﴾ أي ضعفٌ في الدينِ وقيل نفاقٌ وهو الأظهرُ الأوفقُ لسياقِ النظمِ الكريم. ﴿**ينظرونَ إليك نظَر المغشيِّ عليهِ من الموتِ**﴾ أي تشخصُ أبصارُهم جُبنًا وهلعًا[6] كدأب منْ أصابتْهُ غشيةُ الموتِ ﴿**فأوْلى لهم**﴾ أي فويلٌ لهم وهو أفعلُ من الوَلي وهو القُربُ وقيلَ مِنْ آلَ ومعناهُ الدعاءُ عليهم بأنْ يليهَم المكروُه أو يؤولَ إليهِ أمرُهم، وقيل هو مُشتقٌ من الويلِ وأصله أَوْيَل نُقلتْ العينُ إلى مَا بعدِ اللامِ فوزنُه أَفْلَعَ. ﴿**طاعةٌ وقولٌ معروفٌ**﴾ كلامٌ مستأنفٌ أي أمرُهم طاعةٌ . . . إلخ. أو طاعةٌ وقولٌ معروفٌ خيرٌ لهم، أو حكايةٌ لقولِهم، ويؤيدُه قراءةُ أُبي: يقولونَ طاعةٌ[7] وقولٌ معروفٌ أي أمرُنا ذلكَ ﴿**فإذَا عزمَ الأمرُ**﴾ أسندَ العزم وهو الجِدُّ إلى الأمرِ وهو لأصحابِه مجازًا كما في قولِه تعالى: ﴿إن ذلكَ من عزمِ الأمورِ﴾ [سورة لقمان، الآية ١٧]. وعاملُ الظرفِ محذوفٌ أي خالَفُوا وتخلَّفُوا وقِيلَ ناقضُوا وقيل كرِهُوا وقيلَ هُو قولُه تعالى: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ**﴾ على طريقةِ قولِك إذا حضرني طعامٌ فلو جئتني لأطعمتُكَ أي فلو صدقُوه تعالى فيما قالُوا من الكلامِ المنبئ عن الحرصِ على الجهادِ بالجري على موجبهِ. ﴿**لكانَ**﴾ أي الصدقُ

---

(١) في خ: وإنها.
(٢) زاد في خ: رضي الله عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٨) رقم (٣١٣٩٢، ٣١٣٩٣)
(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٥).
(٥) قرأ بها: زيد بن علي، وابن عمر، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٣٤).
(٦) الآية من التشبيه البليغ، ووجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك أي ينظرون إليك نظر المتحير بحيث يتجه إلى صواب واحد ولا يشتغل بالمرئيات لأنه في شاغل عن النظر، فالمقصود المشابهة في هذه الصورة.
ينظر: التحرير والتنوير (٢٦/ ١٠٨).
(٧) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨١)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٦)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٦٣).

﴿خيرًا لهم﴾ وفيه دلالةٌ على اشتراكِ[(١)] الكلِّ فيما حُكِيَ عنهم من قولِه تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سورة﴾ [سورة محمد، الآية ٢٠] وقيل: فلو صدقُوه في الإيمانِ وواطأتْ قلوبُهم في ذلك ألسنتَهُم، وأيا ما كان فالمرادُ بهم الذين في قلوبِهم مرضٌ وهم المخاطبون بقولِه تعالى: ﴿فهل عَسَيْتم﴾ . . .إلخ بطريقِ الالتفاتِ لتأكيدِ التوبيخِ وتشديدِ التقريعِ أي هل يُتوقعُ منكم ﴿إنْ توليتُم﴾ أمورَ الناسِ وتأمَّرتُم عليهم[(٢)] ﴿أنْ تُفسدوا في الأرضِ وتُقطعوا أرحامَكم﴾ تناحرًا على المُلك وتهالُكًا على الدُّنيا فإن من شاهدَ أحوالَكم الدالَّةَ على الضعفِ في الدِّينِ والحرصِ على الدُّنيا حينَ أُمرتُم بالجهادِ الذي هو عبارةٌ عن إحرازِ كلِّ خيرٍ وصلاحٍ ودفعِ كلِّ شرٍّ وفسادٍ وأنتم مأمورون شأنُكم الطاعةُ والقولُ المعروفُ يتوقعُ منكم إذا أطلقتْ أعِنّتُكم وصرتُم آمرين ما ذكر من الإفسادِ وقطعِ الأرحامِ. وقيل: إن أعرضتُم عن الإسلامِ أنْ ترجعوا إلى ما كنتُم عليه في الجاهليةِ من الإفسادِ في الأرضِ بالتغاورِ والتناهبِ وقطعِ الأرحامِ بمقاتلةِ بعضِ الأقاربِ بعضًا ووأدِ البناتِ، وفيه أن الواقعَ في حيزِ الشرطِ في مثلِ هذا المقامِ لا بد أن تكون محذوريتُه باعتبارِ ما يستتبعُه من المفاسدِ لا باعتبارِ ذاتِه، ولا ريبَ في أنَّ الإعراضَ عن الإسلامِ رأسُ كلِّ شرٍّ وفسادٍ فحقُّه أنْ يجعلَ عمدةً في التوبيخِ لا وسيلةً [للتوبيخِ][(٣)] بما دونَهُ من المفاسدِ. وقرئ وُلِّيتُم[(٤)] على البناءِ للمفعولِ أي جُعلتْم ولاةً، وقرئ [تُولِّيتُم[(٥)] أي: تولاكُم ولاةُ جورٍ خرجتُم معهُم][(٦)] وساعدتمُوهم في الإفسادِ وقطيعةِ الرحمِ. وقرئ وتَقَطَّعُوا[(٧)] من التقطُّعِ بحذفِ إحدى التاءينِ، فانتصابُ[(٨)] أرحامَكم حينئذٍ على نزعِ

(١) في خ: اشتمال. (٢) في خ: عليها. (٣) سقط في خ.
(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٢) والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٠٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٢).
(٥) قرأ بها: رويس، وعلي، وأويس، ويعقوب، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٧٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٧)، والبحر المحيط (٨/ ٨٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٩٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٦).
(٦) في خ: حين خرجتم معهم.
(٧) قرأ بها: الحسن.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٦).
(٨) في خ: وانتصاب.

الجارِّ أي في أرحامِكم. وقرئ وتَقْطَعُوا[١] منَ القطعِ. [وإلحاقُ الضمير بعسَى][٢] لغةُ أهلِ الحجازِ، وأمَّا بنُو تميم فيقولونَ عسى أنْ تفعلَ وعسى أنْ تفعلُوا. ﴿أولئكَ﴾ إشارةٌ إلى المخاطبينَ بطريقِ الالتفاتِ إيذانًا بأنَّ ذكرَ هَنَاتِهم[٣] أوجبَ إسقاطَهُم عن رُتبةِ الخطابِ وحكايةَ أحوالِهم الفظيعةِ لغيرِهم، وهُو مبتدأٌ خبرُه ﴿الذينَ لعنَهم اللهُ﴾ أيْ أبعدَهُم من رحمتِه ﴿فأصمَّهُم﴾ عن استماعِ الحقِّ لتصامِّهم عنْهُ بسوءِ اختيارِهم. ﴿وأعمى أبصارَهُم﴾ لتعامِيهم عمَّا يشاهدونَهُ من الآياتِ المنصوبةِ في الأنفسِ والآفاقِ.

﴿أفَلاَ يتدبرونَ القُرآنَ﴾ أيْ ألاَ يلاحظونَهُ ولاَ يتصفحونَهُ وما فيهِ من المواعظِ والزواجرِ حتَّى لا يقعُوا فيَما وقعُوا فيهِ من الموبقاتِ ﴿أمْ على قلوبٍ أقفالُها﴾ فلا يكادُ يصلُ إليها ذكرٌ أصلًا. وأم منقطعةٌ وما فيها من معنى بلْ للانتقالِ من التوبيخِ بعدمِ التدبرِ إلى التوبيخِ بكونِ قلوبهم مقفلةً لا تقبلُ التدبرَ والتفكرَ. والهمزةُ للتقريرِ، وتنكيرُ القلوبِ إمَّا لتهويلِ حالِها وتفظيعِ شأنِها بإبهامِ أمرِها في القساوةِ والجهالةِ كأنَّه قيلَ على قلوبٍ منكَرةٍ لا يعرفُ حالُها ولاَ يُقادرُ قدرُها في القساوةِ وإما لأنَّ المرادَ بها قلوبُ بعضٍ منْهم وهم المنافقونَ. وإضافةُ الأقفالِ إليها للدلالةِ على أنَّها أقفالٌ مخصوصةٌ بها مناسبةٌ لها غيرُ مجانسةٍ لسائرِ الأقفالِ المعهودةِ. وقرئ أقْفُلُها[٤] وإقفالُها[٥] على المصدرِ.

﴿إنَّ الذينَ ارتدُّوا على أدبارِهم﴾ أي رجعُوا إلى ما كانُوا عليهِ من الكفرِ وهم المنافقونَ الذين وُصفوا فيما سلفَ بمرضِ القلوبِ وغيرِه من قبائحِ الأفعالِ والأحوالِ فإنَّهم قد كفرُوا به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿من بعدِ ما تبينَ لهم الهُدَى﴾ [بالدلائلِ الظاهرةِ][٦] والمعجزاتِ القاهرةِ، وقيل هم اليهودُ وقيل أهلُ الكتابينِ جميعًا كفرُوا به عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ بعدما وجدُوا نعتَهُ[٧] في كتابِهم وعرفُوا أنه المبعوثُ بذلكَ.

وقولُه تعالى: ﴿الشيطانُ سوَّلَ لَهُم﴾ جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ، وقعتْ خبرًا لإنَّ أي: سهَّلَ[٨] لهم ركوبَ العظائمِ من السَّولِ[٩] وهو الاسترخاءِ، وقيلَ: من [السُّؤْلِ

---

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وابن محيصن، وسلام، ويعقوب، وأبان، وعصمة، وعيسى، وهارون، وأبو حاتم، وسهل، ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٢٤٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٤).

(٢) في خ: والخلق يعني.

(٣) في خ: ضالتهم.

(٤) ينظر: مختصر شواذ القراءات ص (١٤٠)، وتفسير الألوسي (٢٦/ ٧٤).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٦).

(٦) في خ: بالآيات الباهرة.

(٧) زاد في خ: ﷺ.

(٨) في خ: سخر.

(٩) في خ: السؤال.

المخففِ من السُّؤلِ][1] لاستمرارِ القلبِ فمعنى سوَّلَ له أمرًا حينئذٍ أوقعه في أمنيته فإن السُّؤل[2] الأمنية. وقرئ[3] سُوِّل مبنيًا للمفعولِ على حذفِ المضافِ أي كيدَ الشيطانِ. ﴿وَأَمْلَى لَهُم﴾ ومَدَّ[4] لهم في الأمانِيِّ والآمالِ، وقيلَ أمهلهُم الله تعالى ولم يُعاجلْهم بالعقوبةِ، وقرئ[5] [و][6] أُمْلِي لَهُم على صيغةِ المتكلم فالمعنى أي الشيطانُ يُغويهم وأنا أُنْظِرُهم فالواوُ للحالِ أو للاستئنافِ. وقرئ أُمْلِيَ[7] لهُم على البناءِ للمفعولِ أي أُمْهِلُوا ومُدَّ في عمرِهم.

﴿ذلك﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من ارتدادِهم لا إلى الإملاءِ كما نُقلَ عن الواحديِّ ولا إلى التسويلِ كما قيل لأنَّ شيئًا منهما ليس مُسببًا عن القولِ الآتي وهو مبتدأٌ خبرُهُ قولُه تعالى: ﴿بأَنَّهم﴾ أي بسببِ أنَّهم ﴿قالُوا﴾ يعني المنافقينَ المذكورينَ لا اليهودَ الكافرينَ به عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعد ما وجدُوا نعتَهُ[8] في التوارةِ كما قيل فإن كفرَهم به ليسَ بسببِ هذا القولِ ولو فُرض صدورُه عنهم سواءٌ كان المقولُ لهم المنافقينَ أو المشركينَ على رأي القائلِ، بل من حينِ بعثتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ﴿للذين كرهُوا ما نزل الله﴾ أي لليهودِ الكارهينَ لنزولِ القرآنِ على رسولِ الله ﷺ مع علمِهم بأنَّه من عندِ الله تعالى حسدًا وطمعًا في نزولِه عليهم لا للمشركينَ كما قيلَ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿سنُطيعكم في بعضِ الأمرِ﴾ عبارةٌ قطعًا عما حُكِيَ عنهُم بقولِه تعالى: ﴿ألم تَر إلى الذينَ نافقُوا يقولونَ لإخوانِهم الذين كفرُوا من أهلِ الكتابِ لئن أخرجتُم لنخرجنَّ معكُم ولا نطيعُ فيكم أحدًا أبدًا وإنْ قُوتلتُم لننصرنَّكم﴾ [سورة الحشر، الآية ١١] وهم بنُو قريظةَ والنَّضيرِ الذين كانوا يوالونَهم ويوادُّونَهُم وأرادُوا[9] بالبعضِ الذي

---

(١) في خ: السؤال.

(٢) في خ: السؤال.

(٣) قرأ بها: زيد بن علي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٣).

(٤) في خ: قل.

(٥) قرأ بها: يعقوب، والمطوعي، ومجاهد، وسلام،وابن هرمز، والأعمش، والجحدري، ورويس. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٨/ ٨٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٢٩٩)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٠٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٤).

(٦) سقط في خ.

(٧) قرأ بها: أبو عمرو، والأعرج، وشيبة، وعاصم الجحدري، وابن سيرين، وعيسى بن عمر، ومجاهد، وأبو جعفر، وابن أبي إسحاق.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٧٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٧)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٠)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥).

(٨) زاد في خ: ﷺ.

(٩) في خ: فأرادوا.

أشارُوا إلى عدمِ إطاعتهم فيه إظهارَ كُفرِهم وإعلان أمرِهم بالفعلِ قبل قتالِهم وإخراجِهم من ديارِهم فإنَّهم كانوا يأبَون ذلك قبل مساسِ الحاجةِ الضروريةِ الداعيةِ إليه لِما كان لهم في[1] إظهارِ الإيمانِ من المنافعِ الدنيويةِ، وإنما كانوا يقولون لهم ما يقولون سِرا كما يُعربُ عنه قولُه تعالى: ﴿والله يعلمُ إِسرَارَهُم﴾ أي إخفاءَهُم لما يقولونَهُ لليهودِ. وقرئ أَسْرَارَهُم[2] أي جميعَ أسرارِهم التي من جُملتها قولُهم هذا، والجملةُ اعتراضٌ مقررٌ لما قبله متضمنٌ للإفشاءِ في الدنيا والتعذيبِ في الآخرةِ. والفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فكيف إِذَا توفَّتهم الملائكةُ﴾ لترتيبِ ما بعدها على ما قبلَها. وكيفَ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ هو العاملُ في الظرفِ كأنَّه قيلَ يفعلون في حياتِهم ما يفعلون من الحيلِ، فكيفَ يفعلونَ إذا توفَّتهم [الملائكةُ][3]، وقيلَ مرفوعٌ على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ أي فكيفَ حالُهم أو حياتُهم إذا توفَّتهم ...إلخ. وقرئ توفَّاهُم[4] على أنَّه إما ماضٍ أو مضارعٌ قد حُذفَ إحدى تاءيهِ. ﴿يضربونَ وجوهَهُم وأدبارَهُم﴾ حالٌ من فاعلِ توفَّتهم أو من مفعولِه، وهو تصويرٌ لتوفِّيهم على أهولِ الوجوهِ وأفظعِها. وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهُمَا لا يُتوفَّى أحدٌ على معصيةٍ إلا يضربُ[5] الملائكةُ وجهَهُ ودبُره[6]. ﴿ذلكَ﴾ التَّوفِّي الهائلُ ﴿بأنَّهم﴾ أي بسببِ أنَّهم ﴿اتَّبعُوا ما أسخطَ الله﴾ من الكفرِ والمعاصِي ﴿وكرِهُوا رضوانَهُ﴾ أي ما يرضاهُ من الإيمانِ والطاعةِ حيث كفُروا بعد الإيمانِ وخرجُوا عن الطاعةِ بما صنعُوا من المعاملةِ مع اليهودِ ﴿فأحبطَ﴾ لأجلِ ذلكَ ﴿أعمالَهُم﴾ التي عملوها حالَ إيمانِهم من الطاعاتِ أو بعد ذلك من أعمال البرِّ التي لو عملُوها حالَ الإيمانِ لانتفعُوا بها.

﴿أم حسبَ الذينَ في قلوبِهم مرضٌ﴾ هم المنافقون الذين فُصِّلتْ أحوالُهم الشنيعةُ، وُصفُوا بوصفِهم السابقِ لكونِه مدارًا لِما نُعِيَ عليهم بقولِه تعالى: ﴿أنْ لن

---

(١) في خ: من.

(٢) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وشعبة، وأبو عبيد، وأبو حاتم، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٧٩)، والبحر المحيط (٨/ ٨٣)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧٧).

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: الأعمش، والمطوعي.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والبحر المحيط (٨/ ٨٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٧).

(٥) في خ: تضرب.

(٦) ينظر: «الكشاف» (٥/ ٥٢٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ١٦٥).

يُخرجَ الله أضغانَهُم﴾ فأمْ منقطعةٌ وأنْ مخففةٌ من أنَّ وضميرُ الشأنِ[١] الذي هو اسمُها محذوفٌ ولنْ بما في حيزِها خبرُها. والأضغانُ جمعُ ضَغنٍ وهو الحقدُ، أي بل أحسبَ الذين في قلوبِهم[٢] حقدٌ وعداوةٌ للمؤمنين أنه لنْ يخرجَ الله أحقادَهم ولن يُبرزَها لرسولِه ﷺ وللمؤمنينَ فتبقى أمورُهم مستورةً والمعنى أنَّ ذلك مما لا يكادُ يدخلُ تحتَ الاحتمالِ.

﴿ولو نشاءُ﴾ إراءتَهم **﴿لأريناكهم﴾** لعرّفناكَهُم بدلائلَ تعرفهم بأعيانِهم معرفةً متاخمة للرؤيةِ. والالتفاتُ إلى نونِ العظمةِ لإبرازِ العنايةِ بالإراءةِ **﴿فلعرفتهم بسيماهُم﴾** بعلامتهم التي نسِمهُم بها. وعن أنسٍ رضيَ الله عنه ما خَفِيَ على رسولِ الله ﷺ بعد هذهِ الآيةِ شيءٌ من المنافقين كان يعرفُهم بسيماهم ولقد كنا في بعضِ الغزواتِ وفيها تسعةٌ من المنافقينَ يشكُوهم الناسُ فناموا ذاتَ ليلةٍ وأصبحوا وعلى كلِّ واحدٍ منهم مكتوبٌ هذا منافقٌ[٣]، واللامُ لامُ الجوابِ كُررتْ في المعطوفِ للتأكيدِ، والفاءُ لترتيبِ المعرفةِ على الإراءةِ، وأمَّا ما في قولِه تعالى: **﴿ولتعرفنَّهم في لحنِ القولِ﴾** فلجوابِ قسم محذوفٍ. ولحنُ القولِ نحوُه وأسلوبُه أو إمالتُه إلى جهةِ تعريضٍ وتوريةٍ، ومنه قيلَ للمُخطئ لاحنٌ لعدلِه بالكلامِ عن سمتِ الصوابِ. **﴿والله يعلم أعمالَكم﴾** فيجازيكُم بسحبِ قصدِكم، وهذا وعدٌ للمؤمنين وإيذانٌ بأنَّ حالَهم[٤] بخلافِ حالِ المنافقينَ.

﴿ولنبلونَّكم﴾ بالأمرِ بالجهادِ ونحوهِ من التكاليفِ الشاقةِ **﴿حتى نعلَم المجاهدينَ منكم والصابرينَ﴾** على مشاقِّ الجهادِ علمًا فعليًا يتعلقُ به الجزاءَ **﴿ونبلوَ أخبارَكُم﴾** ما يخبرُ به عن أعمالِكم فيظهرُ حسنُها وقبيحُها. وقرئ ويبلوَ[٥] بالياء، وقرئ نبلُوْ[٦]

---

(١) زاد في خ: محذوف.
(٢) زاد في خ: من.
(٣) ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٢٩٨)، وقال: غريب، وهو في الثعلبي هكذا.
(٤) زاد في ط: بخلاف حالهم.
(٥) قرأ بها: عاصم، وشعبة، وأبو جعفر الباقر.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٤)، والبحر المحيط (٨/ ٨٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٠٤)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٧٨).
(٦) قرأ بها: أويس، ورويس، ويعقوب، وروح.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٥)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٥٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥).

بسكونِ الواو، على [معنى][(١)]: ونحنُ نبلُو.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

﴿إنَّ الذينَ كفرُوا وصدُّوا﴾ الناسَ ﴿عن سبيلِ الله وشاقُّوا الرسولَ﴾ وعادَوه ﴿من بعدِ ما تبينَ لهم الهُدى﴾ بما شاهدُوا نعتَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في التوراةِ بما ظهرَ على يديهِ من المعجزاتِ ونزلَ عليه من الآياتِ وهم قريظةُ والنضيرُ أو[(٢)] المطعمونَ يومَ بدرٍ. ﴿لنْ يَضْرُّوا الله﴾ بكُفرِهم وصدِّهم ﴿شَيْئًا﴾ من الأشياءِ أو شيئًا من الضررِ أو لن يضرُّوا رسولَ الله ﷺ بمشاقَّتِه شيئًا. وقد حُذفَ المضافُ لتعظيمِه وتفظيعِ مشاقَّته. ﴿وسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُم﴾ أي مكايدَهُم التي نصبُوها في إبطالِ دينِه تعالى ومُشاقَّةِ رسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فلا يصلونَ بَها إلى ما كانُوا يبغونَ من الغوائلِ ولا تُثمر[(٣)] لهم إلا القتلَ والجلاء عن أوطانِهم.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا أطيعُوا الله وأطيعُوا الرسولَ ولا تُبطِلُوا أعمَالَكُم﴾ بما أبطلَ به هؤلاءِ أعمالَهم من الكفرِ والنفاقِ والعُجبِ والرياءِ والمنِّ والأذَى ونحوِها، وليسَ فيه دليلٌ على إحباطِ الطاعاتِ بالكبائرِ.

﴿إنَّ الذينَ كفرُوا وصَدُّوا عن سبيلِ الله ثـمَّ مَاتُوا وهُم كُفَّارٌ فلنْ يغفرَ الله لهُم﴾ حكمٌ يعمُّ كلَّ مَن ماتَ على الكُفر وإنْ صحَّ نزولُه في أصحابِ القَليبِ.

﴿فلاَ تَهِنُوا﴾ أي لا تضعُفوا ﴿وتَدْعُوا إلى السَّلم﴾ أي [و][(٤)] لا تدْعوا الكفارَ إلى[(٥)] الصلحِ خَورًا فإنَّ ذلك إعطاءُ الدنيَّةِ. ويجوزُ أنْ يكونَ منصوبًا بإضمارِ أنْ على جوابِ النَّهي. وقرئ ولا تدَّعُوا[(٦)] من ادَّعى القومُ بمعنى تَداعَوا نحوُ ارتَموا الصيدَ وتَرامَوهُ ومنه تراءَوا الهلالَ فإنَّ صيغةَ التفاعلِ قد يُرادُ بها صدورُ الفعلِ عن المتعددِ

---

(١) سقط في ط. (٢) في خ: و. (٣) في خ: يتم.
(٤) سقط في خ. (٥) زاد في خ: الكفر.
(٦) قرأ بها: السلمي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٣).

من غير اعتبار وقوعِه عليه. ومنه قولُه تعالى: ﴿عم يتساءلُون﴾ [سورة النبأ، الآية ١] على أحدِ الوجهين. والفاءُ لترتيبِ النَّهي على ما سبقَ من الأمرِ بالطَّاعةِ. وقولُه تعالى: ﴿وأنتُم الأَعْلَونَ﴾ جملةٌ حاليةٌ مقررةٌ لمعنى النَّهي مؤكدةٌ لوجوبِ الانتهاءِ، وكذا قولُه تعالى: ﴿والله مَعَكُم﴾ فإنَّ كونَهمُ الأعلينَ وكونَهُ عزَّ و[جلَّ][1] ناصرَهُم من أقْوى موجباتِ الاجتنابِ عمَّا يُوهم الذلَّ والضراعةَ وكذا توفيتُه[2] تعالى لأجور الأعمال حسبما يُعربُ عنه قولُه تعالى: ﴿ولنْ يَتِرَكُم أعمالَكُم﴾ أيْ ولن يضيعها من وتَرتَ الرجلَ إذا قتلتَ له قتيلًا من ولدٍ أو أخٍ أو حميمٍ فأفردتُه عنه من الوترِ الذي هُو الفردُ. وعُبِّرَ عن تركِ الإثابةِ في مقابلةِ الأعمالِ بالوترِ الذي هو إضاعةُ شيءٍ معتدٍّ به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنَّةِ إبرازًا لغايةِ اللطفِ بتصويرِ الثوابِ بصورةِ الحقِّ المستحقِّ وتنزيلِ تركِ الإثابةِ منزلةَ إضاعةِ أعظمِ الحقوقِ وإتلافِها، وقد مرَّ في قولِه تعالى: ﴿فاستجابَ لهُم ربُّهم أنِّي لا أضيعُ عملَ عاملٍ منكُم﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩٥].

﴿إنَّما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ﴾ لا ثباتَ لها ولا اعتدادَ بها ﴿وإنْ تُؤمنُوا وتَتَّقُوا يُؤتِكُم أُجُورَكُم﴾ أي ثوابَ إيمانِكم [وتقواكم من الباقياتِ الصالحاتِ التي يتنافسُ فيها المتنافسونَ. ﴿ولاَ يَسْأَلْكُم أَمْوَالَكُم﴾][3] بحيثُ يخلُّ أداؤُها بمعاشِكم، وإنما اقتصرَ على نَزْرٍ يسيرٍ منَها هُو ربعُ العُشرِ تُؤدونَها إلى فقرائِكم. ﴿إنْ يسأَلْكُموهَا﴾ أي أموالَكم ﴿فَيُحْفِكُم﴾ أي يُجهدْكُم بطلبِ الكلِّ فإن الإحفاءَ والإلحافَ المبالغةُ وبلوغُ الغايةِ، يقالُ أحفَى شاربَهُ إذا استأصلَهُ، ﴿تَبْخلُوا﴾ فلا تُعطُوا ﴿ويُخْرِجْ أَضْغَانَكُم﴾ أي أحقادَكُم. وضميرُ يُخرج لله تعالى ويعضدُه القراءةُ بنونِ[4] العظمةِ، أو للبخلِ لأنه سببُ الأضغانِ، وقرئ يَخرجُ من الخروجِ بالياءِ[5] والتاءِ[6] مُسنَدًا إلى الأضغانِ.

﴿هَا أنتُم هَؤُلاءِ﴾ أي أنتُم أيها المخاطبونَ هؤلاء الموصوفونَ.

وقولُه تعالى: ﴿تُدْعَوْنَ لتُنفِقُوا في سَبيلِ الله﴾ استئنافٌ مقررٌ لذلكَ أو صلةٌ لـ (هؤلاءِ)[7] على أنَّه بمَعْنى الذينَ، أي هَا أنتُم الذين تُدعَونَ ففيهِ توبيخٌ عظيمٌ وتحقيرٌ

---

(١) في خ: علا. (٢) في خ: توضيعَه. (٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: يعقوب الحضرمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٥٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٩).

(٥) قرأ بها: ابن محيصن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٩).

(٦) قرأ بها: ابن عباس، ومجاهد، وابن سيرين، وابن محيصن، وأيوب بن المتوكل، واليماني، وحميد.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٨٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٥٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٣٩).

(٧) في خ: بهؤلاء.

مَنْ شأنِهم. والإنفاقُ في سبيلِ الله يعمُّ نفقة الغزوِ والزكاةَ وغيرَهُما. ﴿فَمِنْكُم مَنْ يَبْخَلُ﴾ أي ناسٌ يبخلونَ وهو في حيزِ الدليلِ على الشرطيةِ السابقةِ. ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فإنَّما يَبْخَلُ عنْ نَفْسِهِ﴾ فإنَّ كلاً من نفعِ الإنفاقِ وضررِ البخلِ عائدٌ إليهِ، والبخلُ يستعملُ بعَنْ وعَلَى لتضمنِه معنى الإمساكِ والتعدِّي.

﴿والله الغَنيُّ﴾ دونَ مَنْ عَدَاهُ. ﴿وَأَنتُم الفُقَراءُ﴾ فما يأمُركم بهِ فهُو لاحتياجِكم إلى ما فيهِ من المنافعِ فإن امتثلتُم فلكُم وإنْ توليتُم فعليكُم.

وقولُه تعالى: ﴿وإنْ تَتَوَلَّوا﴾ عطفٌ على إنْ تؤمنُوا أي وإنْ تعرضوا عن الإيمانِ والتَّقوى ﴿يَسْتبدِلْ قَومًا غيرَكُم﴾ يُخلفُ مكانَكُم قومًا آخرينَ ﴿ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ في التولِّي عن الإيمانِ والتَّقوى بل يكونُوا راغبينَ فيهما. قيل: هُم الأنصارُ، وقيل: الملائكةُ، وقيل: أهلُ فارس؛ لما رُويَ أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ سُئلَ عن القومِ وكانَ سلمانُ إلى جنبِه [فضربَ على فخِذه][1] فقالَ: «هذا وقومُه والذي نفسي بيدِه لو كانَ الإيمانُ مَنوطًا بالثُّريا لتناولَه رجالٌ من فارسٍ»[2]، وقيل: كِنْدةُ والنَّخَعُ، وقيل: العجمُ، وقيل: الرومُ.

عنْ رسولِ الله ﷺ: «مَنْ قرأَ سورةَ محمدٍ كانَ حقا على الله عَزَّ وجلَّ أن يسقيَه مِنْ أنهارِ الجَنَّةِ»[3].

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب التفسير القرآن: باب ومن سورة محمد، حديث (٣٢٦١)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٦٢-٦٣) رقم (٧١٢٣)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٠) رقم (٣١٤٤٢-٣١٤٤٣-٣١٤٤٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٥٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٣٣، ٣٣٤).
كلهم من طرق مختلفة عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.ا.هـ. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥)، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة به.
وله طريق آخر: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٤): كتاب التفسير القرآن: باب ومن سورة محمد ﷺ، حديث (٣٢٦٠) من طريق عبد الرزاق عن شيخ من أهل المدينة عن العلاء به. وقال: هذا حديث غريب في إسناده مقال. ا.هـ. وأخرج طرفه الأخير:
مسلم (٨/ ٣٤١-٣٤٢-النووي): كتاب فضائل الصحابة: باب فضل فارس، حديث (٢٣١/ ٢٥٤٦) من طريق ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة به.
وأحمد في مسنده (٢/ ٣٠٩)، ومسلم (٨/ ٣٤١ - نووي) رقم (٢٣٠/ ٢٥٤٦) من طريق معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس أو أبناء فارس حتى يتناوله».

(٣) أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٤/ ١١٩)، من حديث أُبي، وهو حديث موضوع تقدم الكلام عليه.

سُورَةُ الفتح

مَدنيةٌ، [نَزَلتْ في مَرجع رَسُولِ الله ﷺ من الحُدَيبية وآيُها](١) تسعٌ وعشرونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا

---

(١) سقط في خ.

قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾

﴿إِنَّافتحنَا لكَ﴾ فتحُ البلدِ عبارةٌ عن الظَّفرِ به عُنوةً أو صُلحًا بحِراب أو بدونِه فإنَّه ما لم يُظفرْ به منغلقٌ، مأخوذٌ من فتح بابِ الدارِ. وإسنادُه إلى نونِ العظمةِ لاستنادِ أفعالِ العبادِ إليه تعالى خلقًا وإيجادًا، والمرادُ به فتحُ مكةَ شرَّفها الله وهو المرويُّ عن أنسٍ [رضيَ الله عنه][(١)]، بُشِّر به رسولُ الله ﷺ عند انصرافه من[(٢)] الحديبيةِ[(٣)]، والتعبيرُ عنه بصيغةِ الماضِي على سنَنِ سائرِ الأخبارِ الربانيةِ [للإيذانِ][(٤)] بتحققهِ لا محالةَ تأكيدًا للتبشيرِ كَما أنَّ تصديرَ الكلامِ بحرفِ التحقيقِ لذلكَ، وفيه من الفخامةِ المنبئةِ[(٥)] عن [عظمةِ][(٦)] شأنِ المخبِرِ جلَّ جَلالُه وعزَّ سلطانُه ما لا يخفى، وقيلَ هو ما أُتيحَ له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في تلك السنةِ من فتحِ خيبرَ وهو المرويُّ عن مجاهدٍ[(٧)] وقيل هو [صلحُ الحديبيةِ][(٨)] فإنَّه وإن لم يكُن فيه حِرابٌ شديدٌ بل ترام بين الفريقينِ بسهامٍ وحجارةٍ لكن لما كان الظهورُ للمسلمين حيثُ سألهم المشركون الصُّلحَ كان فتحًا بلاً ريب، ورُويَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: رَمَوا المشركين حتى أدخلُوهم ديارَهُم. وعن الكلبيِّ ظهرُوا عليهم حتى سألُوا الصُّلحَ وقد رُويَ أنه عليه الصلاةُ والسلامُ حين بلغه أنَّ رجلًا قال ما هذا بفتحٍ لقد صُدِدْنا[(٩)] عن البيت وصُدّ هدْيُنا قال بل هو أعظمُ الفتوحِ، وقد رضي المشركونَ أنْ يدفعوكم بالراحِ ويسألوكم القَضيّةَ ويرغبُوا إليكم في الأمانِ وقد رأوا منكم ما يكرهون[(١٠)]. وعن الشَّعبيِّ نزلتْ بالحديبيةِ وأصاب رسولُ الله ﷺ في

---

(١) سقط في خ. (٢) في خ: عن.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٥٥٦) كتاب التفسير، باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ حديث (٤٨٣٤)، ومسلم (٣/ ١٤١٣) كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية، حديث (٩٧/ ١٧٨٦)، والترمذي (٥/ ٣٨٦)، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الفتح، حديث (٣٢١٦٣)، وأحمد (٣/ ١٢٢، ١٣٤، ١٧٣، ١٩٧، ٢١٥)، وعبد بن حميد (١١٨٨- المنتخب)، وأبو يعلى (٢٩٣٢، ٣٠٤٥، ٣٢٠٢، ٣٢٠٤)، وابن حبان (٣٧٠، ٦٤١٠)، والواحدي في «أسباب النزول» ص (٢٥٥)، والبيهقي (٥/ ٢١٧)، وفي «الدلائل» (٤/ ١٥٨) من حديث أنس، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) سقط في خ. (٥) زاد في خ: المبينة. (٦) في خ: عظم.

(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ١٨٨).

(٨) في خ: فتح حديبية. (٩) في خ: صدونا.

(١٠) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٦٠) عن عروة، وينظر: «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي (٢/ ٣٩٧).

تلك الغزوةِ ما لم يُصِبْ في غزوةٍ حيثُ أصاب أن بويعَ بَيعةَ الرضوانِ وغُفرَ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ وبلغ الهديُ محِلَّه وأُطعِموا نخلَ خيبرَ وظهرت الرومُ على فارسَ ففرحَ به المسلمون وكان في فتح الحديبيةِ آيةٌ[١] عظيمةٌ هي أنه نُزح ماؤها حتى لم يبقَ فيها قطرةٌ فتمضمضَ رسولُ الله ﷺ ثم مجَّه فيها فدرَّتْ بالماءِ حتى شربَ جميعُ من كان معه وشبعَ وقيل: فجاش الماءُ حتى امتلأتْ ولم ينفدْ ماؤها بعدُ[٢]، وقيل هو جميعُ ما فتحَ له عليه الصلاةُ والسلامُ من الفتوحِ وقيل هو ما فتح [الله][٣] له عليه الصلاةُ والسلامُ من الإسلام والنبوةِ والدعوةِ بالحجةِ والسيفِ ولا فتحَ أبينُ منه وأعظمُ وهو رأسُ الفتوحِ كافةً إذ لا فتحَ من فتوحِ الإسلامِ إلا وهو شعبةٌ وفرعٌ من فروعِه وقيل الفتحُ بمعنى القضاءِ ومنه الفتاحةُ للحكومةِ والمعنى قضينا لك على أهلِ مكةَ أنْ تدخلَها من قابلٍ وهو المرويُّ عن قتادةَ رضي الله عنه وأيًا ما كان فحذفُ المفعولِ للقصدِ إلى نفسِ الفعلِ والإيذانِ بأن مناطَ التبشيرِ نفسُ الفتحِ الصادرِ عنه سبحانَهُ لا خصوصيةُ المفتوحِ ﴿فتحًا مبينًا﴾ بينًا ظاهرَ الأمرِ مكشوفَ الحالِ أو فارقًا بين الحقِّ والباطلِ. وقولُه تعالى: ﴿ليغفرَ لكَ اللهُ﴾ غاية للفتحِ منْ حيثُ إنَّه مترتبٌ على سعيِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في إعلاءِ كلمةِ الله تعالى بمكابدةِ مشاقِّ الحروبِ واقتحام مواردِ الخطوبِ، والالتفاتُ إلى اسم الذاتِ المستتبعِ لجميعِ الصفاتِ للإشعارِ بأن كلًّ واحدٍ ممَّا انتظم في سلك الغايةِ من أفعالِه تعالى صادرٌ عنه تعالى من حيثيةٍ غيرِ حيثيةِ الآخرِ مترتبةٍ على صفةٍ من صفاتِه تعالى: ﴿ما تقدَّمَ من ذنبِك وما تأخَّرَ﴾ أي جميعَ ما فرَطَ منك من تركِ الأوْلى، وتسميتُه ذنبًا بالنظرِ إلى منصبه الجليلِ. ﴿ويُتمَّ نعمتَهُ عليكَ﴾ بإعلاءِ الدِّين وضمِّ الملكِ إلى النبوةِ وغيرِهما مما أفاضَه عليه من النعمِ الدينيةِ والدنيويةِ. ﴿ويهديَك صِراطًا مستقيمًا﴾ في تبليغِ الرسالةِ وإقامةِ مراسمِ الرياسةِ. وأصلُ الاستقامةِ وإن كانتْ حاصلةً قبلَ الفتحِ لكنْ حصلَ بعد ذلكَ من اتِّضاحِ سبلِ[٤] الحقِّ واستقامةِ مناهجِهِ ما لم يكُنْ حاصلًا قبلُ.

﴿ويَنصُرَكَ اللهُ﴾ إظهارُ الاسمِ الجليلِ لكونِه خاتمةَ الغاياتِ ولإظهارِ كمالِ العنايةِ[٥] بشأنِ النصرِ كما يعربُ عنه تأكيدُه بقولِه تعالى: ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أي نصرًا فيه عزةٌ ومنعة أو قويا منيعًا على وصفِ المصدرِ بوصفِ صاحبِه مجازًا للمبالغةِ أو عزيزًا صاحبُه. ﴿هُو الذي أنزلَ السَّكِينةَ﴾ بيانٌ لما أفاضَ عليهم منْ مبادِي الفتحِ من الثباتِ والطُّمأنينةِ أي أنزلَها ﴿في قُلُوبِ المؤمنينَ﴾ بسبب الصلحِ والأمنِ إظهارًا لفضلِه تعالى

---

(١) في خ: آيات. (٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٤) رقم (٣١٤٦٤).
(٣) سقط في خ. (٤) في خ: سبيل. (٥) في خ: الغاية.

عليهم بتيسيرِ الأمنِ بعد الخوفِ ﴿لِيزدَادُوا إيمانًا مع إيمانِهم﴾ أي يقينًا مُنضمًا إلى يقينِهم أو أنزل فيها السكونَ إلى ما جاءَ به عليهِ الصلاةُ والسلامُ من الشرائع ليزدادُوا إيمانًا بها مقرونًا مع إيمانِهم بالوحدانيةِ واليوم الآخرِ عن ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنَّ أولَ ما أتاهُم به النبيُّ ﷺ التوحيدُ ثم الصلاةُ والزكاةُ ثم الحجُّ والجهادُ فازدادُوا إيمانًا معَ إيمانِهم[1]، أو أنزلَ فيها الوقارَ والعظمةَ لله تعالى ولرسولِه ليزدادوا باعتقادِ ذلك إيمانًا إلى إيمانهم.

﴿وَلله جنودُ السمواتِ والأرضِ﴾ يدبرُ أمَرها كيفما يريدُ يسلطُ بعضَها على بعضٍ تارةً ويوقعُ بينهما السلمَ أخرى حسبَما تقتضيهِ مشيئتُه المبنيةُ على الحِكَمِ والمصالحِ ﴿وكانَ الله عليمًا﴾ مُبالغًا في العلمِ بجميعِ الأمورِ ﴿حَكيمًا﴾ في تقديرِه وتدبيرِه.

وقولُه تعالى: ﴿لِيُدخِلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جنَّاتٍ تَجرْي منْ تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها﴾ متعلقٌ بما يدلُّ عليهِ ما ذُكِرَ من كونِ جنودِ السمواتِ والأرضِ لهُ تعالى من مَعْنى التصرفِ والتدبيرِ أي دبرَ ما دبرَ من تسليطِ المؤمنينَ ليعرفُوا نعمةَ الله في ذلكَ ويشكرُوها[2] فيدخلَهم الجنةَ ﴿ويُكفرَ عنْهم سيئاتِهم﴾ أي يُغطيها ولا يُظهرها. وتقديمُ الإدخالِ في الذكرِ على التكفيرِ مع أن الترتيبَ في الوجودِ على العكسِ للمسارعةِ إلى بيانِ ما هو المطلبُ الأَعْلى ﴿وكانَ ذلكَ﴾ أي ما ذُكِرَ من الإدخالِ والتكفيرِ ﴿عندَ الله فوزًا عظيمًا﴾ لا يُقادرُ قدره لأنَّه مُنتهى ما يمتدُّ إليه أعناقُ الهممِ من جلبِ نفعٍ ودفعِ ضُرٍّ. وعندَ الله حالٌ منْ فَوزًا لأنَّه صفتُه في الأصلِ فلمَّا قدمَ عليهِ صارَ حالًا أيْ كائنًا عند الله أي في علمِه تعالى وقضائِه والجملةُ اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ.

﴿ويعذبَ المنافقينَ والمنافقاتِ والمشركينَ والمشركاتِ﴾ عطفٌ على يُدخل. وفي تقديمِ المنافقينَ على المشركينَ ما لا يَخفى من الدلالةِ على أنَّهم أحقُّ منُهم بالعذابِ.

﴿الظَّانينَ بالله ظنَّ السَّوءِ﴾ أي ظنَّ الأمرِ السوءِ وهو ألا ينصرَ رسولَه والمؤمنين ﴿عليهم دائرةُ السَّوءِ﴾ أي ما يظنونَهُ ويتربصونَهُ بالمؤمنينَ فهو حائقٌ بهِم ودائرٌ عليهم. وقرئَ دائرةُ[3] السُّوء بالضمِّ وهُمَا لُغتانِ من ساءَ، كالكُره والكَره خلا أنَّ المفتوحَ غلبَ في أنْ يضافَ إليهِ ما يُرادُ ذمُّه من كلِّ شيءٍ وأما المضمومُ فجارٍ مَجْرى الشرِّ ﴿وغضِبَ الله عليهم ولعنهُم وأعدَّ لهم جهنمَ﴾ عطفٌ على ما استحقُّوه في الآخرةِ على ما

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٥) رقم (٣١٤٦٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٢) في خ: ويذكرونها.

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، ومجاهد، والحسن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٨٧)، والبحر المحيط (٨/ ٩١)، والتيسير للداني ص (١١٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٣٢٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٠).

استوجبُوه في الدُّنيا. والواوُ في الأخيرينِ مع أنَّ حقَّهما الفاءُ المفيدةُ لسببيةِ ما قبلَها لما بعدَها للإيذانِ باستقلالِ كلٍّ منهُما في الوعيدِ وأصالتِه من غيرِ اعتبارِ استتباعِ بعضِها لبعضٍ ﴿**وساءتْ مَصِيرًا**﴾ أي جهنمُ ﴿**ولله جنودُ السمواتِ والأرضِ وكان الله عزيزًا حكيمًا**﴾ إعادةٌ لما سبقَ قالُوا فائدتُها التنبيهُ على أنَّ لله تعالى جنودَ الرحمةِ وجنودَ العذابِ وأنَّ المرادَ هاهنا جنودُ العذابِ كما ينبئُ عنه التعرضُ لوصفِ العزةِ. ﴿**إنَّا أرسلناكَ شاهِدًا**﴾ أيْ على أُمتكَ لقولِه تعالى: ﴿ويكون الرسولُ عليكمُ شهيدًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٣] ﴿**ومُبشِّرًا**﴾ على الطاعةِ ﴿**ونَذِيرًا**﴾ على المعصيةِ.

﴿**لتؤمنوا بالله ورسولِه**﴾ الخطابُ للنبيِّ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ ولأُمَّتهِ ﴿**وتُعزِّرُوهُ**﴾ وتقوُّوه بتقويةِ دينِه ورسولِه ﴿**وتُوقِّروهُ**﴾ وتُعظِّمُوه ﴿**وتسبحوه**﴾ وتنزهوه أو تصلّوا له من السُّبحة[1]. ﴿**بكرة وأصيلًا**﴾ غدوة وعشيًا. عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: صلاةُ الفجرِ وصلاةُ الظهرِ وصلاةُ العصرِ. وقُرئَ الأفعالُ[2] الأربعةُ بالياءِ التحتانيةِ، وقرئَ وتُعزِرُوه بضمِّ التاءِ وتخفيفِ الزَّاي المكسورةِ، وقُرِئَ بفتحِ التَّاءِ[3] وضمِّ الزَّاي وكسرِها[4]، وتُعَزِّزوه[5] بزاءينِ، وتُوقِروه[6] منْ أوقرهُ بمعنى وَقَّره.

﴿**إنَّ الذين يُبَايِعُونكَ**﴾ أيْ على قتالِ قُريشٍ تحتَ الشجرةِ. وقولُه تعالى: ﴿**إنَّما يُبايعُونَ الله**﴾ خبرُ إن يعني أنَّ مبايعتَكَ هي مبايعةُ الله عزَّ وجلَّ لأنَّ المقصودَ توثيقُ العهدِ بمراعاةِ أوامِره ونواهِيه.

وقولُه تعالى: ﴿**يدُ الله فوقَ أيدِيهِم**﴾ حالٌ أو استئنافٌ مؤكدٌ له على طريقةِ التخييلِ، والمَعْنى أنَّ عقدَ الميثاقِ مَع الرسولِ كعقدِه مع الله تعالى من غيرِ تفاوتٍ بينَهما، كقولِه تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرسولَ فقدْ أطاعَ الله﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٠] وقرئَ (إنَّما يُبايعونَ لله)[7] أي لأَجلِه ولوجهِه.

---

(١) السُّبحة: النافلة.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، واليزيدي، والحسن، وأبو جعفر، وأبو حيوة. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٨٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٠).

(٣) قرأ بها: الجحدري، وجعفر بن محمد، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩١).

(٤) قرأ بها: ابن عباس، واليماني، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣).

(٥) قرأ بها: الجحدري، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١١٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٥).

(٦) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣).

(٧) قرأ بها: تمام بن العباس بن عبد المطلب، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩١)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٥).

﴿فمن نكَثَ فإنَّما ينكُثُ على نفسِه﴾ أي فمنَ نقضَ عهدَهُ فإنَّما يعودُ ضررُ نكثِه على نفسِه. وقرئ بكسرِ الكافِ. ﴿ومَنْ أوفى بمَا عاهدَ عليهُ الله﴾ بضمِّ الهاءِ فإنَّه أبقَى بعد حذفِ الواوِ توسلًا بذلكَ إلى تفخيمِ لامِ الجلالةِ. وقُرئ بكسرِها[1] أيْ ومَنْ وفَّى بعهدِه. [﴿فسيؤتيه أَجْرًا عَظيمًا﴾ هُو الجنةُ. وقرئ بما عَهد[2]، وقُرِئ فسنؤتيه[3]][4] بنونِ العظمةِ[5].

﴿سيقولُ لك المخلفونَ من الأعرابِ﴾ هم أعرابُ غِفارِ ومُزينةَ وجُهينةَ وأشجعَ وأسلمَ والدِّيلِ تخلفُوا عن رسولِ الله ﷺ حينَ استنفرَ من حولَ المدينةِ من الأعرابِ وأهلِ البوادِي ليخرجُوا معه عند إرادتِه المسيرَ إلى مكةَ عامَ الحديبيةِ معْتمرًا حذرًا من قريشٍ أنْ يتعرضُوا له بحربٍ أو يصدُّوه عن البيتِ وأحرمَ عليه الصلاةُ والسلامُ وساقَ معه الهديَ ليعلم أنَّه لا يريدُ الحربَ وتثاقلُوا عن الخروجِ وقالُوا نذهبُ إلى قومٍ قد غزَوه في عقرِ دارِه بالمدينةِ وقتلُوا أصحابَه فنقاتلُهم فأَوْحَى الله تعالى إليه عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ بأنَّهم سيعتلونَ ويقولونَ ﴿شغلتنا أموالُنا وأهلُونا﴾ ولم يكُن لنا مَنْ يخلفنَا فيهم ويقومُ بمصالحِهم ويحميهم من الضياعِ. [وقرئ][6] شَغَّلتنَا[7] بالتشديدِ للتكثيرِ ﴿فاستغفرْ لنَا﴾ الله تعالى ليغفرَ لَنَا تخلفنَا عنْكَ حيثُ [لم][8] يكن ذلكَ باختيارٍ[9] بلْ عنِ اضطرارٍ ﴿يقولونَ بألسنتِهم ما ليسَ في قلوبِهم﴾ بدلٌ من سيقولُ أو استئنافٌ لتكذيبِهم في الاعتذارِ والاستغفارِ.

﴿قُلْ﴾ رَدا لهم عندَ اعتذارِهم إليكَ بأباطيلِهم: ﴿فَمنْ يملكُ لكُم من الله شَيئًا﴾ أي فَمنْ يقدر لأجلكم منْ مشيئةِ الله تعالى وقضائِه على شيءٍ من النفعِ ﴿إنْ أرادَ بكُم ضرا﴾ أيْ مَا يضرُّكم من هلاكِ الأهلِ والمالِ وضياعِهما حتَّى تتخلفُوا عنِ الخروجِ

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو، وعاصم، وشعبة، وأبو جعفر، وخلف.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٥)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٨٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣١٧)، والتيسير للداني ص (١٤٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٠).
(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٢).
(٣) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وزيد بن علي، وهارون، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٥)، والبحر المحيط (٨/ ٩٢)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٠).
(٤) سقط في خ. (٥) زاد في خ: أجرًا عظيمًا. (٦) سقط في خ.
(٧) قرأ بها: إبراهيم بن نوح بن باذان، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٣).
(٨) سقط في خ. (٩) في خ: عن اختيار.

لحفظِهما ودفعِ الضررِ عنهُما وقُرِئ (ضُرًّا)[١] بالضمِّ. ﴿أو أرادَ بكُم نفعًا﴾ أيْ ومَنْ يقدرُ على شيءٍ من الضررِ إنْ أرادَ بكُم ما ينفعكُم من حفظِ أموالِكم وأهليكِم فأيُّ[٢] حاجةٍ إلى التخلفِ لأجلِ القيامِ بحفظِهما وهذا تحقيقٌ للحقِّ وردٌّ لهم بموجبِ ظاهرِ مقالتِهم الكاذبةِ، وتعميمُ الضرِّ والنفعِ لما يُتوقع ـ على تقديرِ الخروجِ من القتلِ والهزيمةِ والظفرِ والغنيمةِ ـ يردُّه قولُه تعالى: ﴿بل كانَ الله بما تعملونَ خبيرًا﴾ فإنه إضرابٌ عمَّا قالُوا وبيانٌ لكذبِه بعدَ بيانِ فسادِه عَلى تقديرِ صدقِهِ أي ليسَ الأمرُ كَما تقولونَ بلْ كانَ الله خبيرًا بجميعِ ما تفعلون من الأعمالِ التي من جُملتها تخلفُكم وما هُو من مبادِيه. وقولُه تعالى: ﴿بلْ ظننتُم﴾ . . .إلخ بدلٌ من كانَ الله. . .إلخ مفسرٌ لما فيه من الإبهامِ أي بل ظننتُم ﴿أنْ لن ينقلبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا﴾ بأن يستأصلَهم المشركون بالمرةِ فخشِيتم إنْ كنتُم معهم أنْ يصيبَكم ما أصابهم فلأجلِ ذلك تخلفتُم لا لما ذكرتُم من المعاذيرِ الباطلةِ. والأهلونَ جمعُ أهلٍ وقد يُجمع على أهلاتٍ كأرضاتٍ على تقديرِ تاءِ التأنيثِ، وأمَّا الأهالي فاسمُ جمعٍ كالليالي. وقرئ إلى[٣] أهلِهم ﴿وزُينَ ذلك في قلوبِكم﴾ وقبِلتموه واشتغلتُم[٤] بشأنِ أنفسِكم غيرَ مُبالينَ بهم. وقُرئ زَيَّنَ[٥] على البناءِ للفاعلِ بإسنادِه إلى الله سبحانَهُ أو[٦] إلى الشيطانِ ﴿وظننتُم ظنَّ السوءِ﴾ المرادُ به إما الظنُّ الأولُ، والتكريرُ لتشديدِ التوبيخِ والتسجيلِ عليه بالسوءِ أو ما يعمُّه وغيرَهُ من الظنونِ الفاسدةِ التي من جُمْلتها الظنُّ بعدمِ صحةِ رسالتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ فإنَّ الجازمَ بصحتِها لا يحومُ حولَ فكرِهِ وما ذُكِرَ من الاستئصال. ﴿وكنتُم قومًا بُورًا﴾ أي هالكينَ عند الله مستوجبينَ لسخطِه وعقابِه على أنه جمعُ بائرٍ كعائذٍ وعوذٍ أو فاسدينَ في أنفسِكم وقلوبِكم ونياتِكم لا خيرَ فيكُم، وقيلَ البُور من بارَ كالهُلك من هلكَ بناءً ومَعنًى ولذلك وصفَ به الواحدُ والجمعُ والمذكرُ والمؤنثُ. ﴿ومنْ لم يؤمْن بالله ورسولِه﴾ كلامٌ مبتدأٌ من جهتِه تعالى غيرُ

---

(١) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، ويحيى بن وثاب، والأعمش.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٨٩)، والبحر المحيط (٨/ ٩٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨١).

(٢) في خ: وأي.

(٣) قرأ بها: عبد الله بن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٦٥).

(٤) في خ: فاشتغلتم.

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٤).

(٦) في خ: و.

داخلٍ في الكلامِ الملقنِ مقررٌ لبوارهم ومبينٌ لكيفيتِه أي ومَنْ لم يؤمنْ بهما كدأبِ هؤلاءِ المخلفينَ. **﴿فإنا أعتدنَا للكافرينَ سعيرا﴾** أي لَهم، وإنما وضعَ موضعَ الضميرِ الكافرونَ إيذانًا بأنَّ منْ لم يجمعْ بينَ الإيمانِ باللهِ وبرسولِه[1] فهو كافرٌ وأنه مستوجبٌ للسعيرِ بكفرِه، وتنكيرُ سعيرًا للتهويلِ أو لأنَّها نارٌ مخصوصةٌ.

﴿ولله ملكُ السمواتِ والأرضِ﴾ وما فيهما يتصرفُ في الكلِّ كيفَ يشاءُ. **﴿يغفرُ لمنْ يشاءُ﴾** أنْ يغفرَ له **﴿ويعذبُ منْ يشاءُ﴾** أنْ يعذبهُ من غير دخلٍ لأحدٍ في شيءٍ منهُمَا وجُودًا وعدمًا، وفيه حسمٌ لأطماعِهم الفارغة في استغفارِه عليه الصلاةُ والسلامُ لهم **﴿وكان الله غفُورًا رحيمًا﴾** مُبالغًا في المغفرةِ والرحمةِ لمن يشاءُ، ولا يشاءُ إلا لمن تقتضِي الحكمةُ مغفرتَهُ ممن يؤمنُ به وبرسولِه وأما من عداهُ من الكافرينَ فهمُ بمعزلٍ من ذلك قطعًا **﴿سيقولُ المخلفونَ﴾** أي: المذكورونَ[2] وقوله تعالى: **﴿إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾** ظرفٌ لما قبله لا شرطٌ لما بعدَهُ أي سيقولونَ عند انطلاقِكم إلى مغانمِ خيبرَ لتحوزُوها حسبما وعدكُم إيَّاها وخصَّكم بها عوضًا مما فاتكُم من غنائم مكةَ **﴿ذرونا نتبعكم﴾** إلى خيبرَ ونشهدْ معكم قتالَ أهلها **﴿يريدون أن يبدلوا كلام اللهَ﴾** بأنْ يشاركُوا في الغنائمِ التي خصَّها بأهلِ الحديبيةِ فإنه عليه الصلاةُ والسلامُ رجعَ من الحديبيةِ في ذي الحجَةِ من سنة ستٍّ وأقام بالمدينةِ بقيتها وأوائلَ المحرمِ من سنة سبعٍ ثم غزا خيبرَ بمن شهدَ الحديبيةَ ففتحَها وغنم أموالًا كثيرةً فخصَّها بهم حسبما أمره الله عزَّ وجلَّ وقرئ كلمَ[3] الله وهو جُمع كِلمةٍ وأيًّا ما كانَ فالمرادُ ما ذُكِرَ من وعدِه تعالى غنائمَ خيبرَ لأهلِ الحديبيةِ خاصَّة لا قولُه تعالى: **﴿لنْ تخرجُوا معي أبدًا﴾** [سورة التوبة؛ الآية: ٨٣] فإنَّ ذلكَ في غزوةِ تبوكَ.

﴿قُل﴾ إقناطًا لهم **﴿لن تتبعونا﴾** أي لا تتبعونا فإنه نفيٌ في مَعْنى النهي للمبالغةِ **﴿كذلكُم قالَ الله من قبل﴾** أي عندَ الانصرافِ من الحديبيةِ **﴿فسيقولونَ﴾** للمؤمنين عند سماعِ هَذا النهي **﴿بل تحسدونَنا﴾** أي ليسَ ذلكَ النهيُ حكمَ الله بل تحسدوننا أن نشاركَكم في الغنائمِ وقرئ تحِسدوننا[4] بكسر السين وقوله تعالى **﴿بل كانُوا لا يفقهونَ﴾** أي لا يفهمونَ **﴿إلا قليلًا﴾** إلا فهمًا قليلًا وهو فطنتُهم لأمورِ الدُّنيا، ردٌّ

---

(١) في خ: ورسوله. (٢) في خ: المذكورين.

(٣) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، والأعمش، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٩٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥).

(٤) قرأ بها: أبو حيوة، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٤)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٥).

لقولِهم الباطلِ ووصفٌ لهم بما هُو أعظمُ من الحسدِ وأَطمُّ من الجهلِ المفرطِ وسوءِ الفهمِ في أمورِ الدينِ.

﴿قل للمخلفينَ من الأعرابِ﴾ كررَ ذكرَهُم بهذا العنوانِ مبالغةً في ذمِّهم **﴿ستدعون إلى قومٍ أولي بأس شديد﴾** هم بنُو حنيفةَ قومُ مسيلمةَ الكذابِ، أو غيرُهم ممن ارتدُّوا بعد رسولِ الله ﷺ، أو المشركونَ لقولِه تعالى **﴿تقاتلونهم أو يُسلمونَ﴾** أي يكونُ أحدُ الأمرينِ إما المقاتلةُ أبدًا أو الإسلامُ لا غيرُ، كما يفصحُ عنه قراءةُ[1] أو [يسلمُوا][2]. وأما من عداهُم فينتهي قتالهم بالجزيةِ كما ينتهِي بالإسلامِ. وفيه دليلٌ على إمامةِ أبي بكر رضيَ الله عنه إذ لم تتفقْ هذه الدعوةُ لغيرِه إلا إذا صَحَّ أنهم ثقيفٌ وهوازن فإنَّ ذلك كان في عهدِ النبوةِ فيخص دوامُ نفي الاتباعِ بما في غزوةِ خيبرَ كما قالَهُ محيو السنةِ وقيلَ هم فارسُ والرومُ ومعنى يُسلمون ينقادونَ فإنَّ الرومَ نَصارى وفارسَ مجوسٌ يُقبل منهم الجزيةُ. **﴿فإن تُطيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا﴾** هو الغنيمةُ في الدنيا والجنةُ في الآخرةِ **﴿وإنْ تتولَّوا﴾** عن الدعوةِ **﴿كما توليتُم من قبل﴾** في الحديبيةِ **﴿يعذبكم عذابًا أليمًا﴾** لتضاعفِ جُرمكم.

﴿ليسَ عَلى الأَعْمَى حَرجٌ ولاَ عَلى الأَعْرجِ حرجٌ ولاَ عَلى المَريضِ حرجٌ﴾ أي في التخلفِ عنِ الغزوِ لِما بِهمْ من العُذرِ وَالعاهةِ فإنَّ التَّكليفَ يدورُ على الاستطاعةِ. وفي نفي الحرجِ عن كل من الطوائفِ المعدودةِ مزيدُ اعتناءٍ بأمرِهم وتوسيعٌ لدائرةِ الرُّخصةِ. **﴿ومَنْ يُطعِ الله ورسولَهُ﴾** فيما ذُكِرَ من الأوامرِ والنَّواهِي **﴿يُدخله جنَّاتٍ تجري مِنْ تحتِها الأنهارُ﴾**، وقرئَ نُدخلْه[3] بنونِ العظمةِ **﴿ومن يتولَّ﴾** أي عن الطاعةِ **﴿يُعذبْهُ﴾** وقرئَ بالنونِ[4] **﴿عذابًا أليمًا﴾** لا يُقادرُ قدرُهُ.

۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ

(١) قرأ بها: أبي، وزيد بن علي.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ١٩١)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والبحر المحيط (٨/ ٩٤)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٢٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٦٦)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٩٣).

(٢) في خ: يسلمون.

(٣) قرأ بها: ابن عامر، ونافع، والحسن، وقتادة، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٩٥)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٢٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٤)، والغيث للصفاقسي (٣٥٥، ٣٥٦)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٠).

(٤) قرأ بها: ابن عامر، ونافع، والحسن، وقتادة، وأبو جعفر، والأعرج، وشيبة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والتيسير للداني ص (٢٠١)،والغيث للصفاقسي ص (٣٥٥، ٣٥٦)، والكشف للقيسي (١/ ٣٨٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٨).

ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾ وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

بيعة الشجرة

﴿لقد رضيَ الله عنِ المؤمنينَ﴾ هم الذينَ ذُكِرَ شأنُ مبايعتِهم. وبهذهِ الآيةِ سُميتْ بَيعةَ الرضوانِ. وقولُه تعالى ﴿إذْ يبايعونك تحتَ الشجرةِ﴾ منصوبٌ بـ (رضي). وصيغةُ المضارعِ لاستحضارِ صورتِها، و(تحتَ الشجرةِ) متعلقٌ به أو بمحذوفٍ هو حالٌ من مفعولِه. رُوِيَ أنَّه عليه الصلاةُ والسَّلامُ لما نزلَ الحديبيةَ بعثَ خراشَ بنَ أميةَ الخزاعيَّ رسولًا إلى أهلِ مكةَ فهمُّوا بهِ فمنعَه الأحابيشُ فرجعَ فبعثَ عثمانَ بنَ عفانَ رضيَ الله عنه فأخبرَهُم أنَّه عليه الصلاةُ والسلامُ لم يأتِ لحربٍ وإنما جاء زائرًا لهذا البيتِ مَعظمًا لحرمتِه فوقَّرُوه وقالُوا إنْ شئتَ أنْ تطوفَ بالبيتِ فافعلْ فقالَ ما كنتُ لأطوفَ قبلَ أنْ يطوفَ رسولُ الله ﷺ واحتبسَ عندهُم فأُرْجِفَ بأنَّهم قتلُوه فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «لا نبرحُ حتى نناجزَ القومَ» ودعا الناسَ إلى البيعةِ فبايعُوه تحتَ الشجرةِ

وكانتْ سَمُرةً[١] وقيلَ: سِدرةً على أن يقاتِلُوا قريشًا ولا يفرُّوا. ورُوِيَ على الموتِ دونَهُ وألا يفرُّوا فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ **«أنتمُ اليومَ خيرُ أهلِ الأرضِ»**[٢] وكانُوا ألفًا وخمسَمائةٍ وخمسةً وعشرينَ. وقيلَ: ألفًا وأربعمائةٍ. وقيلَ: ألفًا وثلاثمائةٍ. وقولُه

---

(١) السمرة: بضم الميم: من شجر الطلح، والسمر: ضرب من العضاه وقيل: من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٢٣، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣١)، من طرق مختلفة عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم، فذكراه.

وأخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٧)، رقم (٣١٥١٤) عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى مكة... فذكره.

وأخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٣٤٧، ٣٤٨) رقم (٣١٥١٥) عن عكرمة مولى ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له»... فذكره، وأخرج الطبري في تفسيره كذلك (١١/ ٣٤٨) رقم (٣١٥١٦) عن محمد بن إسحاق قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين بلغه أن عثمان قد قتل، قال: لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة... فذكره.

وقوله: فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة:

أخرجه مسلم (٧/ ٥)، كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، حديث (٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠/ ١٨٥٦) عن أبي الزبير عن جابر أنه سئل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة.

وقول جابر: لو كنت أبصر لأريتكم مكانها:

أخرجه البخاري (٨/ ٢١١) كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٤)، ومسلم (٧/ ٦) كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، حديث (٧١/ ١٨٥٦). كلاهما من طريق عمرو عن جابر -رضي الله عنه- به.

وحديث عبد الله بن المغفل: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٦٥) كتاب التفسير، سورة الفتح، قوله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم﴾، حديث (١١٥١٠/ ٢).

وقوله -عليه السلام-: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» تقدم قريبًا.

وأما عدد المبايعين: ففيه ثلاث روايات كما ذكر المصنف.

فالرواية الأولى: أخرجها البخاري (٨/ ٢١١) كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٣)، ومسلم (٧/ ٦) كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش، حديث (٧٢/ ١٨٥٦).

والرواية الثانية: أخرجاها في الصحيحين عن عمرو بن مرة عن جابر، قال: كنا يوم الحديبية... وقد تقدم قريبًا بتمامه.

والرواية الثالثة: أخرجها البخاري (٨/ ٢١١) كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، حديث (٤١٥٥)، ومسلم (٧/ ٧) كتاب الإمارة، باب: استحباب مبايعة الإمام الجيش، حديث (٧٥/ ١٨٥٧) عن عمرو عن عبد الله بن أبي أوفى به.

تعالى: ﴿فعلمَ ما في قلوبِهم﴾ عطفٌ على يُبايعونك لما عرفتَ من أنَّه بمعنى بايعوكَ لا على رضيَ فإن رضاهُ تعالى عنهم مترتبٌ على علمِه تعالى بما في قلوبِهم من الصدقِ والإخلاصِ عند مبايعتِهم له ﷺ.

وقولُه تعالَى ﴿فأنزلَ السكينةَ عليهم﴾ عطفٌ على رضيَ أي فأنزلَ عليهم الطُّمأنينةَ والأمنَ وسكونَ النفسِ بالربطِ على قلوبِهم وقيلَ: بالصلح. ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ هو فتح خيبرَ غِبَّ انصرافِهم من الحديبيةِ كما مرَّ تفصيلُه. وقرئ وآتاهُم[١] ﴿ومغانمَ كثيرةً يأخذونَها﴾ أي مغانمَ خيبرَ. والالتفاتُ إلى الخطابِ [على قراءةِ الأعمشِ وطلحةَ ونافع][٢] لتشريفِهم في مقام الامتنانِ. ﴿وكانَ الله عزيزًا﴾ غالبًا ﴿حكيمًا﴾ مراعيًا لمقتضَى الحكمةِ في أحكامِه[٣] وقضاياهُ.

﴿وعدكم الله مغانمَ كثيرةً﴾ هي ما يُفيؤُه على المؤمنينَ إلى يوم القيامةِ. ﴿تأخذونَها﴾ في أوقاتِها المقدرةِ لكلٍّ واحدةٍ منها. ﴿فعجَّلَ لكُم هذهِ﴾ أي غنائمَ خيبرَ ﴿وكفَّ أيديَ الناسِ عنكُم﴾ أي أيدِي أهلِ خيبرَ وحلفائِهم من بني أسدٍ وغطفانَ حيثُ جاءُوا لنُصرتِهم فقذفَ الله في قلوبِهم الرعبَ فنكصُوا وقيلَ: أيدِيَ أهلِ مكةَ بالصلح ﴿ولتكونَ آيةً للمؤمنينَ﴾ أمارةً يعرِفونَ بها صدقَ الرسولِ ﷺ في وعدِه إيَّاهُم عندَ [رجوعِه][٤] من الحديبيةِ ما ذُكِرَ من المغانم وفتح مكةَ ودخولِ المسجدِ الحرام. واللامُ متعلقةٌ إمَّا بمحذوفٍ مؤخرٍ أي ولتكونَ [آية لهم][٥] فعل ما فعل من التعجيلِ والكفِّ أو بَما تعلقَ به علةٌ أخرى محذوفةٌ من أحدِ الفعلينِ أي فعجل لكم هذه أو[٦] كفَّ أيديَ الناسِ لتغتنمُوها ولتكونَ. . .إلخ فالواوُ على الأولِ اعتراضيةٌ وعلى الثانِي عاطفةٌ ﴿ويهديكم﴾ بتلك الآيةِ ﴿صراطًا مستقيمًا﴾ هو الثقةُ بفضلِ الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون. ﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أي فعجلَ لكم هذه المغانمَ ومغانمَ أُخرى ﴿لم تقدروا عليها﴾ وهي مغانمُ هوازنَ في غزوةِ حُنينٍ ووصفُها بعدمِ القدرةِ عليها لما كانَ فيها من الجولةِ قبل ذلكَ لزيادةِ ترغيبِهم فيها وقولُه تعالى: ﴿قدْ أحاطَ الله بها﴾ صفةٌ أُخرى لـ (أُخرى) مفيدةٌ لسهولةِ تأتِّيها بالنسبةِ إلى قُدرتِه تعالى بعد بيانِ صعوبةِ منالها بالنظرِ إلى قدرتِهم أي: [قد][٧] قدَر الله عليها واستولَى وأظهركُم عليها وقيل: حفظَها لكُم ومنعها من غيرِكم هذا وقد قيلَ: إنَّ أُخرى

---

(١) قرأ بها: الحسن، ونوح القارئ، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٩٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٦).

(٢) سقط في خ. (٣) في خ: حكمه. (٤) في خ: الرجوع.

(٥) في خ: لهم آية. (٦) في خ: و. (٧) سقط في خ.

منصوبٌ بمضمرٍ يُفسره قد أحاطَ الله بَها أي وقضى الله أُخرى ولا ريبَ في أن الإخبارَ بقضاءِ الله إيَّاها بعد اندراجِها في جُملةِ المغانمِ الموعودةِ بقولِه تعالى: ﴿وعدكُم الله مغانمَ كثيرةً تأخذونَها﴾ [سورة الفتح؛ الآية: ٢٠] ليس فيه مزيدُ فائدةٍ وإنما الفائدةُ في بيانِ تعجيلِها. ﴿وكان الله على كلِّ شيءٍ قديرًا﴾ لأن قدرتَهُ تعالى ذاتيةٌ لا تختصُّ بشيءٍ دونَ شيءٍ.

﴿ولو قاتلكم الذين كفرُوا﴾ أي أهلُ مكةَ ولم يُصالِحوكُم، وقيلَ: حلفاءُ خيبرَ ﴿لولَّوا الأدبارَ﴾ مُنهزمينَ ﴿ثمَّ لا يجدونَ وليًا﴾ يحرسُهم ﴿ولا نصيرًا﴾ ينصرُهم ﴿سنةَ الله التي قدْ خَلتْ منْ قبلُ﴾ أي سنَّ الله غلبةَ أنبيائِه سنةً قديمةً فيمَنْ مَضى منَ الأمم. ﴿ولن تجدَ لسنةِ الله تبديلًا﴾ أي تغييرًا ﴿وهُو الذي كفَّ أيديَهمُ﴾ أي أيديَ كُفارِ مكةَ ﴿عنكُم وأيديَكم عنهم ببطنِ مكةَ﴾ أي في داخلِها ﴿من بعدِ أنْ أظفركم عليهم﴾ وذلكَ (أنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسمائةٍ إلى الحديبيةِ فبعثَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ على جندٍ فهزَمَهُم حتى أدخلَهُم حيطانَ مكة[١] ثم عادَ وقيلَ: كانَ يومَ الفتح وبه[٢] استشهدَ أبو حنيفةَ على أنَّ مكةَ فتحتْ عنوةً لا صُلحًا. ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من مقاتَلتهم وهزمِهم أولًا والكفِّ عنهم ثانيًا لتعظيمِ بيتِه الحرام. وقرئَ بالياءِ[٣]. ﴿بصيرًا﴾ فيجازيكُم بذلكَ أو يجازِيهم ﴿هم الذينَ كفرُوا وصَدُّوكُم عَنِ المسجدِ الحرامِ والهديَ﴾ بالنصبِ عطفًا على الضميرِ المنصوبِ في (صدُّوكم)[٤]. وقُرِئَ بالجرِّ[٥] عطفًا على المسجدِ بحذفِ المضافِ أي ونحرِ الهَدْي، وبالرفعِ[٦] على معنى وصُدَّ الهَدْيُ، وقولُه تعالَى ﴿مَعْكُوفًا﴾ حالٌ من الهَدْي أي محبوسًا.

وقولُه تعالَى: ﴿أنْ يبلُغَ مَحِلَّه﴾ بدلُ اشتمالٍ من الهَدْي أو منصوبٌ بنزعِ الخافضِ أي محبوسًا من أنْ يبلغَ مكانَهُ الذي يحلُّ فيهِ نحرُه، وبه استدلَّ أبُو حنيفةَ رحمَهُ الله تعالى على أنَّ المُحصَر مَحِلُّ هديِهِ الحرمُ، قالُوا بعضُ الحديبيةِ منَ الحرمِ. ورويَ أنَّ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٥٦) رقم (٣١٥٦٠) من طريق ابن حميد عن يعقوب القُمي عن جعفر عن ابن أبزى، قال: لما خرج النبي ﷺ بالهدي... إلى آخره. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٥)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن أبزى.

(٢) زاد في خ: مكة.

(٣) قرأ بها: أبو عمرو، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ٩٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٢٨)، والتيسير للداني ص (٢٠١)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٠)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٧٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٤).

(٤) في خ: صدودكم.

(٥) قرأ بها: أبو عمرو، والجعفي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٨).

(٦) قرأ بها: الجعفي، ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٨).

خيامَهُ ﷺ كانت في الحلِّ ومصلاهُ في الحرمِ. وهناكَ نحرتْ هداياهُ ﷺ والمرادُ صدُّها عن محلِّها المعهودِ الذي هُو مِنىً.

﴿ولولا رجالٌ مؤمنونَ ونساءٌ مؤمناتٌ لَمْ تعلمُوهم﴾ لم تعرفُوهم بأعيانِهم لاختلاطِهم وهو صفةٌ لرجالٌ ونساءٌ. وقولُه تعالى: ﴿أنْ تَطؤوهُم﴾ أي تُوقعوا بهم وتُهلِكوهُم بدلُ اشتمالٍ منهُم أو من الضميرِ المنصوبِ في تعلمُوهم ﴿فتصيبَكُم منهُم﴾ أي من جهتِهم ﴿مَعرَّةٌ﴾ أي مشقةٌ ومكروهٌ كوجوبِ الديةِ أو الكفارةِ بقتلِهم والتأسفِ عليهم وتعييرِ الكفارِ وسوءِ قالتِهم والإثم بالتقصيرِ [في البحثِ][1] عنهم وهي مَفْعَلَةٌ من عَرَّهُ إذا عَرَاهُ ودَهَاهُ ما يكرهُهُ. ﴿بغيرِ علمٍ﴾ متعلقٌ بأنْ تطؤوهم أي غيرَ عالمينَ بهم وجوابُ لَولا محذوفٌ لدلالةِ الكلامِ عليهِ، والمَعْنى لولا كراهةُ أن تُهلكُوا ناسًا مؤمنينَ بين الكافرينَ غيرَ عالمينَ بهم فيصيبَكُم بذلكَ مكروهٌ لما كفَّ أيديَكُم عنْهم. وقولُه تعالى ﴿ليُدخلَ اللهُ في رحمتِه﴾ متعلقٌ بما يدلُّ عليهِ الجوابُ المحذوفُ كأنَّه قيل عَقِيبَهُ لكن كفَّها عنهُم ليُدخلَ بذلك الكفِّ المؤدِّي إلى الفتحِ[2] بلا محذورٍ في رحمتِه الواسعةِ بقسميها. ﴿مَنْ يشاءُ﴾ وهم المؤمنونَ فإنَّهم كانُوا خارجينَ من[3] الرحمةِ الدنيويةِ التي منْ جُمْلتِها الأمنُ مستضعفينَ تحت أيدِي الكفرةِ، وأما الرحمةُ الأخرويةُ فهم وإن كانُوا [غيرَ][4] محرومينَ منها بالمرةِ لكنهم كانُوا قاصرينَ في إقامةِ مراسمِ العبادةِ كما ينبغي فتوفيقُهم لإقامتِها على الوجهِ الأتمِّ إدخالٌ لهم في الرحمةِ الأخرويةِ وقد جُوِّزَ أنْ يكونَ من يشاءُ عبارةً عمنْ رغبَ في الإسلامِ من المشركينَ ويأباهُ قولُه تعالَى: ﴿لو تزيَّلُوا﴾[5]... إلخ فإن فرضَ التنزيلِ وترتيبَ التعذيبِ عليه يقتضي تحققَ المباينةِ بين الفريقينِ بالإيمانِ والكفرِ قبلَ التزيلِ حتمًا أي لو تفرقُوا وتميَّزَ بعضُهم من بعضٍ. وقُرئَ لو تزايلُوا[6] ﴿لعذَّبنا الذين كفرُوا منهم عذابًا أليمًا﴾ بقتلِ مقاتِلتِهم وسبيِ ذراريهم. والجملةُ مُستأنفةٌ مقررةٌ لما قبلَها ﴿إذْ جعلَ الذينَ كفرُوا﴾ منصوبٌ باذكُرْ على المفعوليةِ، أو بعذَّبنَا على الظرفيةِ، وقيلَ: بمضمرٍ هو أحسنَ اللهُ إليكم وأيًا ما كان فوضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهم لذمِّهم بما في حيزِ الصلةِ وتعليلِ الحكم بهِ. والجعلُ إمَّا بمعنى الإلقاءِ فقولُه تعالى: ﴿في قلوبِهم الحميةَ﴾ أي الأنفةَ والتكبرَ متعلقٌ بهِ أو بمعنى التصييرِ فهوُ متعلقٌ بمحذوفٍ هو مفعولٌ ثانٍ له أي جعلُوها ثابتةً راسخةً في قلوبِهم ﴿حميَّةَ الجاهليةِ﴾

---

(١) في خ: بالحث. (٢) في خ: القبح. (٣) في خ: عن.
(٤) سقط في خ. (٥) في خ: في رحمته.
(٦) قرأ بها: ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وأبو حيوة، وابن عون.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ٩٩)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٨٨)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٧).

بدلٌ من الحميةَ [أي حميةِ الملَّةِ الجاهليةِ أو الحميةَ][١] الناشئةَ من الجاهليةِ.

وقولُه تعالَى: ﴿فأنزلَ الله سكينَتهُ علَى رسولِه وعَلى المؤمنينَ﴾ على الأولِ عطف على جعلَ والمرادُ تذكيرُ حسنِ صنيعِ الرسولِ ﷺ والمؤمنينَ بتوفيقِ الله تعالَى وسوءِ صنيعِ الكفرةِ وعلى الثَّانِي على ما يدلُّ عليهِ الجملةُ الامتناعيةُ كأنَّه قيلَ: لم يتزيّلوا فلمْ نعذبْ فأنزلَ . . .إلخ. وعلى الثالثِ على المضمرِ تفسيرٌ له. والسكينةُ الثباتُ والوقارُ. يُروى أنَّ رسولَ الله ﷺ لما نزلَ الحديبيةَ بعثتْ قريشٌ سهيلَ بْنَ عمروٍ القُرشيَّ وحُويطبَ بنَ عبدِ العُزَّى ومكرزَ بنَ حفصِ بنِ الأحنفِ على أنْ يعرضُوا على النبيِّ ﷺ أنْ يرجعَ من عامهِ ذلكَ عَلى أنْ تخليَ له قريشٌ مكةَ من العامِ القابلِ ثلاثةَ أيامٍ ففعلَ ذلكَ وكتبُوا بينهم كتابًا فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ لعليٍّ رضيَ الله عنْهُ اكتبْ «بسْمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم» فقالُوا ما نعرفُ ما هَذا اكتبْ باسمِك اللَّهم ثم قالَ: «اكتبْ هذا ما صالحَ عليه رسولُ الله أهلَ مكةَ» فقالُوا لو كُنَّا نعلمُ أنَّك رسولُ الله ما صددناكَ عن البيتِ وما قاتلناكَ اكتُبْ هَذا ما صالحَ عليه محمدُ بن عبدِ اللَّهِ أهلَ مكةَ فقال ﷺ اكتُبْ ما يُريدونَ[٢] فهمَّ المؤمنونَ أن يأْبَوا ذلكَ ويبطشُوا بهم فأنزلَ الله السكينةَ عليهم فتوقَّروا وحَلِمُوا. ﴿وألزمهم كلمةَ التَّقوى﴾ أي كلمةَ الشهادةِ، أو بسْم الله الرَّحمنِ الرَّحيم، أو محمدٌ رسولُ الله وقيلَ: كلمةُ التَّقوى هي الوفاءُ بالعهدِ والثباتُ عليهِ وإضافتُها إلى التَّقوى لأنَّها سببُ التَّقوى وأساسُها أو كلمةُ أهلِها. ﴿وكانُوا أحقَّ بها﴾ متصفينَ بمزيدِ استحقاقٍ لَها على أنَّ صيغةَ التفضيلِ للزيادة مُطلقًا، وقيلَ أحقُّ بَها منَ الكُفارِ ﴿وأهلَهَا﴾ أي المستأهلَ لها ﴿وكانَ الله بكلِّ شيءٍ عليمًا﴾ فيعلم حقَّ كلِّ شيءٍ فيسوقه إلى مستحقِّهِ.

﴿لقد صدقَ الله رسولَهُ الرُّؤيا﴾ رَأَى رسولُ الله ﷺ قبلَ خروجِه إلى الحُديبيةِ كأنَّه وأصحابَهُ قد دخلُوا مكةَ آمنينَ وقد حلقُوا رؤوسَهُم وقصَّروا[٣] فقصَّ الرؤيا على أصحابِهِ ففرحوا واستبشرُوا وحسبُوا أنَّهم داخلُوها[٤] في عامِهم فلمَّا تأخرَ ذلكَ قال عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ وعبدُ اللَّهِ بن نُفيلٍ ورفاعةُ بنُ الحارثِ والله ما حلقنَا ولا قصَّرنَا ولا

---

(١) سقط في خ.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٩٩- ١٠٨) عن عروة بن الزبير، وأخرجه النسائي في «تفسيره» (٢/ ٣١٢، ٣١٣) رقم (٥٣٠) من طريق ثابت البناني عن عبد الله بن المغفل بنحوه، ومن طريق ثابت أخرجه أحمد (٤/ ٨٦، ٨٧)، والحاكم (٢/ ٤٦٠، ٤٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٦/ ٥٨، ٥٩)، والبيهقي في سننه (٦/ ٣١٩)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» (٥/ ٣٥١).

(٣) في خ: ومقصرين. (٤) في خ: دخلوها.

رأينا المسجد الحرامَ فنزلتْ[١] أي صدَقه ﷺ في رُؤياهُ كَما في قولِهم صَدَقنِي سِنُّ[٢] بَكْرِهِ وتحقيقُه أراهُ الرؤيا الصادقةَ. وقوله تعالى: ﴿بالحقِّ﴾ إما صفةٌ لمصدرٍ مؤكدٍ محذوفٍ أي صدقًا ملتبسًا بالحقِّ أي بالغرضِ الصحيحِ والحكمةِ البالغةِ التي هيَ التمييزُ بين الراسخِ[٣] في الإيمانِ والمتزلزلِ فيه، أو حالٌ من الرُّؤيا أي ملتبسةً [بالحقِّ][٤] ليستْ من قبيلِ[٥] أضغاثِ الأحلامِ وقد جُوِّزَ أن يكونَ قسمًا بالحقِّ الذي هُو من أسماءِ الله تعالى [أو بنقيضِ][٦] الباطلِ.

وقولُه تعالَى: ﴿لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ﴾ جوابُه وهو عَلى الأولينِ جوابُ قسم محذوفٍ أيْ واللهِ لتدخلنَّ . . . إلخ. وقولُه تعالَى: ﴿إِنْ شَاءَ اللهُ﴾ تعليقٌ للعِدَة بالمشيئةِ لتعليمِ العبادِ أو للإشعارِ بأنَّ بعضَهُم لا يدخلونَهُ لموتٍ أو غَيبةٍ أو غيرِ ذلكَ أو [هيَ][٧] حكايةٌ لما قالَهُ ملكُ الرُّؤيا لرسولِ الله ﷺ أو لما قالَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لأصحابِه ﴿آمنينَ﴾ حالٌ من فاعلِ لتدخُلنَّ والشرطُ معترضٌ وكذا قولُه تعالَى: ﴿مُحلِّقين رُءُوسكُم ومُقَصِّرينَ﴾ أي مُحلِّقًا بعضُكم ومُقصِّرًا آخرونَ، وقيلَ: مُحلِّقينَ حالٌ منْ ضميرِ آمنينَ فتكون متداخلةً ﴿لا تخافونَ﴾ حالٌ مؤكدةٌ من فاعلِ (لتدخُلنَّ) و (آمنينَ) أو (محلِّقينَ) أو (مقصِّرينَ)، أو استئنافٌ أيْ لا تخافونَ بعدَ ذلكَ ﴿فعلمَ مَا لَمْ تعلمُوا﴾ عطفٌ على صدقَ، والمرادُ بعلمِه تعالَى العلمُ الفعليُّ المتعلقُ بأمرٍ حادثٍ بعد المعطوفِ عليه، أي فعلمَ عَقيبَ [ما][٨] أراهُ الرؤيا الصادقةَ ما لم تعلمُوا منَ الحكمةِ الداعيةِ إلى تقديمِ ما يشهدُ بالصدقِ علمًا فعليًا ﴿فجعلَ﴾ لأجلِه ﴿مِنْ دونِ ذلكَ﴾ أي من دونِ تحققِ مصداقِ ما أراهُ من دخولِ المسجدِ الحرامِ . . . إلخ ﴿فتحًا قريبًا﴾ وهُو فتحُ خيبرَ، والمرادُ بجعلِه وعده وإنجازه من غير تسويفٍ ليستدل به على صدقِ الرُّؤيا حسبمَا قالَ ولتكونَ آيةً للمؤمنينَ. وأمَّا جعلُ ما في قولِه تعالى ما لم تعلمُوا عبارةً عن الحكمةِ في تأخيرِ فتحِ مكةَ إلى العامِ القابلِ كما جنحَ إليه الجمهورُ فتأباه الفاءُ فإن علمَه تعالَى بذلكَ متقدمٌ على إراءةِ الرؤيا قطعًا.

﴿هُو الذي أرسل رسولَهُ بالهُدَى﴾ أي ملتبسًا به أو بسببِهِ ولأجلِه ﴿ودينِ الحقِّ﴾ وبدينِ الإسلامِ ﴿ليُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه﴾ ليُعْليه على جنسِ الدينِ بجميعِ أفرادِه التي

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٣/ ٣١٦)، وأخرجه الطبري (١١/ ٣٦٧) عن مجاهد، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦٧) رقم (٣١٦٠٤) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم به.

(٢) في خ: من.
(٣) في خ: الواضح.
(٤) سقط في خ.
(٥) في خ: قبل.
(٦) في خ: ونقض.
(٧) سقط في خ.
(٨) سقط في خ.

هي الأديانُ المختلفةُ بنسخِ ما كان حقًا من بعضِ الأحكامِ المتبدلةِ بتبدلِ الأعصارِ وإظهارِ بُطلانِ ما كانَ باطلًا أو بتسليطِ المسلمينَ على أهلِ سائرِ الأديانِ إذْ مَا من أهلِ دينٍ إلا وقَد قهرهُم المسلمونَ، وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتحُ لهم من البلادِ ويتيحُ لهم من الغلبةِ على الأقاليم ما يستقلُّون إليه فتحَ مكةَ ﴿وكَفى بالله شَهيدًا﴾ على أنَّ ما وعده كائنٌ لا محالةَ أَو على نبوتِه عليه الصلاةُ والسلامُ بإظهارِ المعجزاتِ.

﴿محمدٌ﴾ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ. وقولُه تعالى ﴿رسولُ الله﴾ بدلٌ أو بيانٌ أو نعتٌ، أيْ ذلكَ الرسولُ المرسلُ بالهُدَى ودينِ الحقِّ محمدٌ رسولُ الله، وقيلَ: محمدٌ، مبتدأ، رسولُ الله خبرُهُ والجملةُ مبينةٌ للمشهودِ بهِ. وقولُه تعالَى ﴿والذينَ مَعَهُ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿أشداءُ على الكفّارِ رحماءُ بينَهُم﴾ وأشداءُ جمعُ شديدٍ، ورحماءُ جمع رحيم، والمعنى أنَّهم يُظهرونَ لمن خالفَ دينَهُم الشدةَ والصَّلابةَ ولمن وافقَهُم في الدِّينِ الرحمةَ والرأفةَ، كقولِه[1] تعالى: ﴿أذلةٍ على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ [سورة المائدة؛ الآية: ٥٤]. وقُرئ أشداءَ[2] ورحماءَ بالنَّصبِ على المدحِ أو على الحالِ من المستكنِّ في معه لوقوعِه صلةً فالخبرُ حينئذٍ قولُه تعالى ﴿تراهُم رُكَّعًا سُجدًا﴾ أي تشاهدُهم حالَ كونِهم راكعينَ ساجدينَ لمواظبتِهم على الصَّلواتِ، وهُو على الأولِ خبرٌ آخرُ، أو[3] استئنافٌ. وقولُه تعالَى: ﴿يَبتغونَ فضلًا من الله ورِضوَانًا﴾ أي ثوابًا ورضًا إما خبرٌ آخرُ، أو حالٌ من ضميرِ تراهُم أو من المستترِ في ركَّعًا سُجَّدًا أو استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأَ من بيانِ مواظبتِهم على الركوعِ والسجودِ كأنَّه قيلَ ماذَا يريدونَ بذلكَ فقيلَ يبتغُون فضلًا من الله[4] . . . إلخ ﴿سيماهُم﴾ أي سَمْتُهم. وقُرِئ سيمياؤُهم[5] بالياءِ بعد الميمِ والمدِّ وهما لغتانِ، وفيها لغةٌ ثالثةٌ هي السيماءُ بالمدِّ وهُو مبتدأٌ خبرُهُ ﴿في وجُوهِهم﴾ أيْ في جِبَاهِهم.

وقوله تعالى ﴿منْ أثرِ السجودِ﴾ حالٌ من المستكنِّ في الجارِّ أي من التأثيرِ الذي يُؤثره كثرةُ السجودِ وما رُويَ عن النبيِّ ﷺ من قولِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «لا تقلبوا صورَكم»[6] أي لا تَسِمُوها إنَّما هُو فيما إذا اعتمدَ بجبهته على الأرضِ ليحدثَ فيها تلكَ السمةَ وذلك محضُ رياءٍ ونفاقٍ والكلامُ فيما حدثَ في جبهةِ [السَّجَّادِ][7] الذي

---

(١) في خ: لقوله.
(٢) قرأ بها: الحسن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٩٦)، والإعراب للنحاس (٣/ ١٩٦).
(٣) في خ: و. (٤) زاد في خ: ورضوانا. (٥) ينظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٠).
(٦) بيض له الزيلعي في «تخريجه» (٣/ ٣١٧)، وقال ابن حجر: لم أجده مرفوعًا وهو في الذي بعده موقوف.
(٧) سقط في خ.

لا يسجدُ إلا خالصًا لوجهِ الله عزَّ وجلَّ وكان الإمامُ زينُ العابدينَ وعليٌّ بنُ عبد اللَّهِ بنِ [العباسِ][(١)] رضيَ الله عنهُمَا يقالُ لهما ذُو الثفناتِ لما أحدثتْ كثرةُ سجودِهما في مواقعهِ منهما أشباهَ ثفناتِ البعيرِ قالَ قائلُهم: [الطويل]

دِيـارُ عَـلـيٍّ والـحُـسـيـنِ وجَـعْـفـر   وَحـمـزةَ والـسَّـجَّـادِ ذِي الـثَّـفِـنَـاتِ[(٢)]

وقيلَ: صفرةُ الوجهِ من خشيةِ الله تعالى وقيلَ: نَدى الطَّهورِ وترابُ الأرضِ، وقيل: استنارةُ وجوهِهم من طولِ ما صلَّوا بالليلِ قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«من كثُرَتْ صلاتُه بالليلِ حسُن وجهُه بالنهارِ»**[(٣)] وقرئَ من آثارِ[(٤)] السجودِ، [ومن إِثْرِ[(٥)] السجودِ][(٦)] بكسرِ الهمزةِ **﴿ذلكَ﴾** إشارةٌ إلى ما ذُكِرَ من نعوتِهم الجليلةِ وما فيه من مَعْنى البعدِ مع قُربِ العهدِ بالمشارِ إليه للإيذانِ بعلوِّ شأنِه وبُعد منزلتِه في الفضلِ وهو مبتدأٌ خبرُهُ قولُه تعالى **﴿مَثلُهم﴾** أي وصفُهم العجيبُ الشأنِ الجارِي في الغرابةِ مَجْرى

---

(١) في خ: عباس.

(٢) البيت لدعبل الخزاعي في ديوانه (ص ١٣١)، وتاج العروس (ثفن).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب الصلاة، باب: ما جاء في قيام الليل، حديث (١٣٣٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٥٢٦)، والعقيلي (١/ ١٧٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب»، ص (٤٠٨، ٤٠٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٤١، ١٣/ ١٢٦)، وابن حبان (١/ ٢٠٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٠٩- ١١١) كلهم من طريق ثابت بن موسى الضرير عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، وقال العقيلي: هذا حديث باطل ليس له أصل. وثابت بن موسى الضرير.

قال ابن حبان: كان يخطئ كثيرًا لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد، وهو الذي روى عن شريك وذكر القصة، ثم قال: وذكر هذا من ثابت جماعة من الضعفاء.

وقال ابن عدي: وبلغني عن محمد بن عبد الله بن نمير أنه ذكر له هذا الحديث عن ثابت فقال: باطل وكان شريك مزاحًا وكان ثابت رجلًا صالحًا فشبه أن يكون ثابت دخل على شريك وهو يقول: حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، فالتفت فرأى ثابتًا فقال يمازحه: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، فظن ثابت أن هذا الكلام هو متن الإسناد الذي قرأه فحمله على ذلك، وإنما هو قول شريك.

وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ونقل كلام ابن عدي وأقره. وللحديث شاهد من حديث أنس.

أخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١١١) من طريق حكامة بنت عثمان بن دينار قالت: حدثني أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس مرفوعًا وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وهذا السند فيه عثمان بن دينار روت عنه حكامة أحاديث بواطيل لا أصل لها.

وقال ابن أبي حاتم في العلل: قال أبي: هذا حديث موضوع.

(٤) قرأ بها: الحسن، وقتادة، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)،والبحر المحيط (٨/ ١٠٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٠).

(٥) قرأ بها: ابن هرمز، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٢).

(٦) سقط في خ.

الأمثالِ. وقولُه تعالَى ﴿في التَّوراةِ﴾ حالٌ من مثلُهم والعاملُ مَعْنى الإشارةِ.

وقولُه تعالى ﴿ومَثَلُهم في الإنجيلِ﴾ عطفٌ على مثلُهم الأولِ كأنَّه قيلَ: ذلكَ مثلُهم في التوراةِ والإنجيلِ، وتكريرُ مثلُهم لتأكيدِ غرابتهِ وزيادةِ تقريرِها. وقولُه تعالى ﴿كَزَرْعٍ أخرجَ شَطأَهُ﴾... إلخ تمثيلٌ مستأنفٌ أي هُم كزرعٍ أخرجَ فراخَهُ[1] وقيل: هو تفسيرٌ لذلك على أنه إشارةٌ مبهمةٌ وقيل: خبرٌ لقولِه تعالى ومثلُهم في الإنجيلِ على أنَّ الكلامَ قد تمَّ عند قولِه تعالى مثلُهم في التوراةِ وقرئَ شَطَأه[2] بفتحات. وقرئَ[3] شَطَاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشَطَاءَهُ[4] بالمدِّ وشَطَه[5] بحذفِ الهمزةِ ونقل حركتِها إلى ما قبلَها وشَطْوَه[6] بقلبِها واوًا ﴿فآزَرَهُ﴾ فقوَّاهُ مِن المؤازرةِ بمعنى المعاونةِ

---

(١) أي هو تشبيه تمثيلي وفي الصورة عدة استعارات، فالتمثيل يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم، وبأنهم يدعون الناس إلى الدين حتى يكثر المؤمنون، كما تنبت الحبة مائة سنبلة، وفي قوله ﴿أخرج شطأه﴾استعارة الإخراج إلى تفرع الفراخ من الجنة المشابهة التفرع بالخروج، ومشابهة الأصل المتفرع عنه بالذي يخرج شيئًا من مكان و﴿فآزره﴾ هو مشتق من اسم الإزار لأنه يشد ظهر المتزر به، ويعينه شده على العمل والحمل، وصيغة المفاعلة في ﴿فآزره﴾ مستعارة لقوة الفعل مثل قولهم: عافاك الله. ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا، وذلك يتضمن بدء دين الإسلام ضعيفًا، وتقويه يومًا فيومًا، حتى استحكم أمره وتغلب على أعدائه، وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه كما قال ابن عاشور
ينظر: الكشاف (٣/ ٥٥٠، ٥٥١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢/ ٤٠٥)، والبحر المحيط (٧/ ١٠٣)، والفتوحات الإلهية (٤/ ١٧٢، ١٧٣)، والتحرير والتنوير (٢٦/ ٢٠٩) وما بعدها.

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وابن ذكوان، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٦)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٣١)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٢٥).

(٣) قرأ بها: زيد بن علي، وأنس، ونصر بن عاصم، ويحيى بن وثاب، وعيسى الهمداني.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٢)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٢٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٧).

(٤) قرأ بها: أبو حيوة، وابن أبي عبلة، وعيسى الكوفي.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٢٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٦).

(٥) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر، وشيبة، والجحدري، وابن أبي إسحاق.
ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١).

(٦) قرأ بها: الجحدري، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٧).

أو من الإيزارِ وهي الإعانةُ وقرئ فأزَرَه[١] بالتخفيف وأَزَّرهُ[٢] بالتشديدِ أي شدَّ أزْرَهُ. وقولُه تعالى ﴿فاستغلظَ﴾ فصارَ غليظًا بعد ما كانَ دقيقًا ﴿فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ فاستقامَ على قَصَبهِ جمع ساقٍ وقرئ سُؤقِهِ[٣] بالهمزةِ.

﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ بقوتِه وكثافتِه وغلظِه وحسنِ منظرِه وهو مثلٌ ضربَهُ الله عزَّ وجلَّ لأصحابِهِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قلُّوا في بدءِ الإسلامِ ثم كثروا واستحكمُوا فترقَّى أمرُهم يومًا فيومًا بحيثُ أعجبَ الناسَ وَقيلَ: مكتوبٌ في الإنجيلِ سيخرُجُ قومٌ ينبُتون نباتَ الزرعِ يأمرونَ بالمعروفِ وينهونَ عن المنكرِ. [وقولُه تعالى][٤]: ﴿ليغيظَ بهِمُ الكُفَّارَ﴾ علَةٌ لما يعربُ عنه الكلامُ من تشبيههم بالزرعِ في زكائِه واستحكامِه أو لما بعده من قولِه تعالى: ﴿وَعَدَ الله الذينَ آمنُوا وَعَملُوا الصَّالِحاتِ منُهم مَغْفِرةً وأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فإنَّ الكفارَ إذا سمعُوا بما أُعدَّ للمؤمنينَ في الآخرةِ مع ما لهُم في الدُّنيا من العزةِ غاظَهُم ذلكَ أشدَّ غيظٍ ومنهم للبيانِ.

عن النبيِّ ﷺ: **«مَنْ قَرأَ سُورةَ الفتحِ فكأنَّما كانَ ممَّن شهدَ معَ رسُولِ الله ﷺ فتحَ مكةَ»**[٥].

---

(١) قرأ بها: ابن عامر، وهشام، والداجوني، وأبو حيوة، وحميد بن قيس، وابن ذكوان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٣١)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٢).(

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٠٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥١).

(٣) قرأ بها: ابن كثير، وقنبل، والقواس.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٣٦)، والتيسير للداني ص (١٦٨)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٥)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦).

(٤) سقط في خ.

(٥) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنِّه وكرمه.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ومدنيّة آيُها ثماني عشرةَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ
أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ
ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
(٥) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَـٰدِمِينَ (٦) وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ (٧)
فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ
فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا
بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ
مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ
ٱلْإِيمَـٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ (١١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل
لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِي قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ

أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿يأيها الذين آمنوا﴾ تصديرُ الخطابِ بالنداءِ لتنبيهِ المخاطبينَ عَلى أنَّ مَا في حيزهِ أمرٌ خطيرٌ يستدعِي مزيدَ اعتنائِهم بشأنِه وفرطَ اهتمامِهم بتلقّيهِ ومراعاتِه، ووصفهمْ بالإيمانِ لتنشيطِهمْ والإيذانِ بأنَّه داعٍ إلى المحافظةِ عليهِ ووازعٌ [عن الإخلالِ][1] بهِ ﴿لا تقدموا﴾ أيْ لا تفعلُوا التقديمَ عَلى أنَّ تركَ المفعولِ للقصدِ إلى نفسِ الفعلِ منْ غيرِ اعتبارِ تعلقِه بأمرٍ منَ الأمورِ عَلى طريقةِ قولِهم فلانٌ يُعطِي ويمنعُ أيْ يفعلُ الإعطاءَ والمنعَ، أو لا تقدّمُوا أمرًا منَ الأمورِ عَلى أنَّ حذفَ المفعولِ للقصدِ إلى تعميمِهِ، والأولُ أوفى بحقِّ المقامِ لإفادتِه النهيَ عنِ التلبسِ بنفسِ الفعلِ الموجبِ لانتفائِه بالكليةِ المستلزمِ لانتفاءِ تعلقِهِ بمفعولِه بالطريقِ البرهانيِّ وقدْ جُوِّزَ أنْ يكونَ التقديمُ بمعَنى التقدمِ ومنْهُ مقدمةُ الجيشِ للجماعةِ المتقدمةِ ويعضُده قراءةُ منْ قرأ [لا][2] تَقدّمُوا[3] بحذفِ إحْدَى التاءينِ منْ تتقدمُوا منَ القدومِ وقوله تعالى: ﴿بين يدي الله ورسوله﴾ مستعارٌ ممَّا بينَ الجهتينِ المسامتتينِ ليدي الإنسانِ تهجينًا لِما نُهوا عنْهُ، والمَعْنى لا تقطعُوا أمرًا قبلَ أنْ يحكُمَا بهِ وقيلَ المرادُ بين يدي رسولِ الله وذكرُ الله تَعالى لتعظيمِهِ والإيذانِ بجلالةِ محلِه عندَهُ عزَّ وجلَّ. قيلَ نزلَ فيما جَرى بينَ أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ الله عنهمَا لَدَى النبيِّ ﷺ في تَأْميرِ الأَقْرعِ بنِ حَابِسٍ أَوِ القعقاعِ بنِ مَعْبدٍ ﴿واتقوا الله﴾ في كُلِّ ما تأتونَ وما تذرونَ منَ الأقوالِ والأفعالِ التي منْ جُملتها مَا نحنُ فيهِ ﴿إن الله سميع﴾ لأقوالِكم ﴿عليم﴾ بأفعالِكم فمنْ حَقِّه أنْ يُتقَّى وَيُراقبَ.

﴿يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ شروعٌ في النَّهي عنِ التجاوزِ في كيفيةِ القولِ عندَ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بعدَ النَّهي عنِ التجاوزِ في

---

(١) في خ: من الإجلال. (٢) في خ: ألا.

(٣) قرأ بها: يعقوب، وابن عباس، والضحاك، وأبو حيوة، وابن مقسم، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٠٠)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٣٧، ٣٣٨)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٢٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٨)، وتفسير الرازي (٢٨/ ١١١).

نفسِ القولِ والفعلِ، وَإعادةُ النداءِ معَ قُربِ العَهْدِ بهِ للمبالغةِ في الإيقاظِ والتنبيهِ والإشعارِ باستقلالِ كُلٍّ مِنَ الكلامينِ باستدعاءِ الاعتناءِ بشأنِه أَيْ لاَ تبلُغوا بأصواتِكم وراءَ حدٍّ يبلُغه [عليهِ الصَّلاةُ والسلامُ بصوتِه][١] وقُرِئَ لا ترفعُوا[٢] بأصواتِكم عَلى أنَّ الباءَ زائدةٌ ﴿ولا تجهروا له بالقول﴾ إذَا كلمتُموه ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ أي: جهرًا كَائنًا كالجهرِ الجَارِي فيمَا بينكُم بلْ اجعلُوا صوتَكم أخفضَ منْ صوتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ وتعهّدُوا في مخاطبتِه اللينَ القريبَ منَ الهمسِ كَما هُو الدأبُ عندَ مخاطبةِ المَهيبِ المُعظم وحَافظُوا عَلى مُراعاةِ أُبَّهةِ النبوةِ وجَلالةِ مقدارِها، وَقيلَ مَعنَى لاَ تجهرُوا لهُ بالقولِ كجهرِ بعضِكُم لبعضٍ لا تقولُوا لهُ يَا محمدُ يَا أحمدُ وخَاطِبُوه بالنبوةِ قالَ ابْنُ عباسٍ، رضيَ الله عنهمَا لما نَزلتْ هذهِ الآيةُ قالَ أبوُ بكرٍ يا رسولَ الله والله لا أكلمكَ إلا السِّرارَ أَوْ أخَا السرارِ حَتَّى ألقى الله [تعالَى[٣]][٤] وعنْ عمَر رضيَ الله عنْهُ أنَّه كانَ يكلمُه عليهِ الصلاةُ والسلامُ كأخِي السِّرارِ لا يسمعُهُ حَتَّى يستفهمَهُ[٥] وكانَ أبوُ بكرٍ رضيَ الله عنْهُ إذَا قدمَ على رسُولِ الله صَلَّى الله عليهِ وسلَم الوفودُ أرسلَ إليهِمْ منْ يعلمُهُمْ كيفَ يسلّمونَ ويأمرُهُم بالسكينةِ والوقارِ عندَ رسولِ الله ﷺ[٦] وقولُه تعالَى: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ إمَّا علةٌ للنَّهي أيْ لا تجهرُوا خشيةَ أنْ تحبطَ أوْ كراهةَ أنْ تحبطَ كَما فِي قولِه تعالَى: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [سورة النساء؛ الآية: ١٧] أوْ للنهيّ أَيْ لا تجهرُوا [لأجلِ الحبوطِ][٧] فإنَّ الجهرَ حيثُ كانَ بصددِ الأداءِ إلى الحبوطِ[٨] فكأنَّهُ فعلَ لأجلِه عَلى طريقةِ التمثيلِ[٩] كقولِه تعالى: ﴿ليكون لهم عدوًا وحزنًا﴾

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: ابن مسعود، ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣٠٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٦٩).

(٣) قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: غريب والحديث أخرجه الواحدي في أسباب النزول، ص (٤٠٣)، رقم (٧٥٥)، وفي تفسيره (٤/ ١٥١)، وله شاهد من حديث أبي هريرة: لما نزلت: ﴿إن الذين يغضون ...﴾ الآية، قال أبو بكر...
أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) سقط في خ.

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٥٦٥، ٥٦٦) كتاب التفسير، باب: ﴿لا ترفعوا أصواتكم ...﴾ حديث (٤٨٤٥) من حديث ابن الزبير عن عمر.

(٦) قال الحافظ في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٢٧): غريب.

(٧) في خ، والأصل: الهبوط.

(٨) في خ: الهبوط.

(٩) إشارة إلى أنه قد وقعت استعارة في الحرف (أن) وفي إجرائها خلاف فهي عند الخطيب تبعية تصريحية وعند ابن يعقوب المغربي مكنية، والجمهور يجريها في متعلقات معانيها الكلية.
ينظر: الإيضاح مع البغية (٣/ ١٣٦) وما بعدها، وشروح التلخيص (٤/ ١٢٠) وما بعدها.

[سورة القصص؛ الآية: ٨] وليسَ المرادُ بما نُهيَ عنْهُ منْ الرَّفعِ والجَهْرِ ما يقارنُه الاستخفافُ[(١)] والاستهانةُ فإنَّ ذلكَ كفرٌ بلْ مَا يتُوهم أنْ يؤديَ إليهِ مما يجرِي بينَهمْ في أثناءِ المحاورةِ منَ الرَّفعِ والجهرِ حسَبما يعربُ عنْهُ قولُه تعالَى: ﴿كجهر بعضكم لبعض﴾ خَلاَ أنَّ رفعَ الصوتِ فوقَ صوتِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا كانَ منكرًا محضًا لَمْ يُقيدْ بشيءٍ ولا ما يقعُ منهما في حربٍ أو مجادلةِ معاندٍ أو إرهابِ عدوٍّ أو نحوِ ذلكَ وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ الله عنهما نزلتْ في ثَابتِ بن قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وكانَ في أُذنِه وَقْرٌ وكانَ جَهْوريَّ الصوتِ وربَّما كانَ يكلمُ رسولَ الله ﷺ فيتأذَى بصوتِه[(٢)] وعنْ أنسٍ رضيَ الله عَنْهُ أنهُ لمَّا نزلتْ الآيةُ فُقِدَ ثابتٌ وتفقدَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فأخبرَ بشأنِهِ فدعاهُ فسألَهُ فقالَ يَا رسولَ الله لقدْ أنزلتْ إليكَ هذهِ الآيةُ وإنِّي رجلٌ جهيرُ الصوتِ فأخافُ أنْ يكونَ عَمَلِي قدْ حَبِطَ فقالَ لَهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ «**لستَ هناكَ**[(٣)] **إنكَ تعيشُ بخيرٍ وتموتُ بخيرٍ وإنكَ منْ أهلِ الجنةِ**»[(٤)] وأمَّا مَا يُروى عنِ الحسنِ [منْ][(٥)] أنَّها نزلتْ في بعضِ المنافقينَ الذينَ كانُوا يرفعونَ أصواتَهُم فوقَ صوتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ فقدْ قيلَ محملُه أنَّ نهيهَمُ مندرجٌ تحتَ نهيِ المؤمنينَ بدلالةِ النصِّ ﴿**وأنتم لا تشعرون**﴾ حالٌ منْ فاعِلِ (تحبطُ) أيْ: وَالحالُ أنكُم لاَ تشعرونَ بحبوطِها وفيهِ مزيدُ تحذيرٍ مما نُهوا عنْهُ.

وقولُه تعالَى: ﴿**إنَّ الذينَ يغضونَ أصواتَهُم عندَ رسولِ الله**﴾... إلخ ترغيبٌ في الانتهاءِ عمَّا نُهوا عنْهُ بعدَ الترهيبِ عنِ الإخلالِ بهِ أيْ يخفِضونَها مراعاةً للأدبِ أوْ خشيةً منْ مخالفةِ النَّهيِ ﴿**أولئك**﴾ إشارةٌ إلى الموصولِ باعتبارِ اتصافِه بمَا فِي حيزِ الصلةِ، وما فيهِ منْ مَعنى البعدِ مَعَ قُربِ العهدِ بالمشارِ إليهِ لمَا مرَّ مِرارًا منْ تفخيمِ شأنِه وهُوَ مُبتدأٌ خبرُهُ ﴿**الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ أيْ جرّبَها للتَّقوى ومرَّنَها عليهَا أو عَرفَها كائنةً للتَّقوى خالصةً لهَا فإنَّ الامتحانَ سببُ المعرفةِ، واللامُ صلةٌ لمحذوفٍ أوْ للفعلِ باعتبارِ الأصلِ أوْ ضربَ قلوبَهُم بضروبِ المحنِ والتكاليفِ الشاقَّةِ لأجلِ التَّقوى

---

(١) في خ: الاستحقار.
(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٢٨) وبيض له.
(٣) في خ: لهناك.
(٤) أخرجه البخاري (٩/ ٥٦٦) كتاب التفسير، باب: ﴿لا ترفعوا أصواتكم ...﴾ حديث (٤٨٤٦)، ومسلم (١/ ٣٧٩) كتاب الإيمان، باب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله، حديث (١٨٧/ ١١٩)، وأحمد (٣/ ١٣٧)، وأبو يعلى (٦/ ٧٦)، رقم (٣٣٣١)، والواحدي في «أسباب النزول»، ص (٢٨٧) من حديث أنس بن مالك.
(٥) سقط في خ.

فإنَّها لا تظهرُ إلا بالاصطبارِ عليَها أو أخلصَها للتَّقوى من امتحنَ الذهبَ إذَا أذابَهُ وميزَ إبريزَهُ منْ خبثِهِ. وعنْ عمرَ رضيَ الله عنْهُ أذهبَ عَنْها الشهواتِ ﴿لهم﴾ في الآخرةِ ﴿مَغْفرةٌ﴾ عظيمةٌ لذنوبِهم ﴿وأجرٌ عظيمٌ﴾ لا يقادرُ قدرُهُ، والجملةُ إمَّا خبرٌ آخرُ لإنَّ كالجملةِ المصدرةِ باسمِ الإشارةِ أو أنه خارجة من خلفها أو أقدامها، و«من» ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهه استئناف لبيانِ جزائِهم إحمادًا لحالِهم وتعريضًا بسوءِ حالِ منْ ليسَ مثلَهُم ﴿إن الذين يُنادونَك من وراءِ الحجراتِ﴾ أيْ منْ خارجِها منْ خلفِها أوْ[1] قُدَّامِها، وَمِنِ ابتدائيةٌ دالةٌ عَلى أنَّ المناداةَ نشأتْ منْ جهةِ الوراءِ وأنَّ المُنَادَى داخلُ الحُجرةِ لوجوبِ اختلافِ المبدأِ والمُنتهى بحسبِ[2] الجهة بخلافِ ما لَوْ قيلَ ينادونَكَ وراءَ الحجراتِ وَقُرئَ الحُجَراتِ[3] بفتحِ الجيم وبسكونِها وثلاثتُها جمعُ حُجْرةٍ وهَي القطعةُ منَ الأرضِ المحجورةِ بالحائطِ ولذلكَ يقالُ لحظيرةِ الإبلِ حُجْرةٌ وهيَ فُعْلةٌ منَ الحَجْر بمَعْنى مفعول كالغُرفةِ والقُبضةِ والمرادُ بَها حجراتُ أمهاتِ المؤمنينَ ومناداتُهم منْ ورائِها إمَّا بأنَّهم أتوهَا حجرةً حجرةً فنادَوهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ ورائِها أَوْ بأنَّهم تفرقُوا عَلى الحجراتِ متطلبينَ له عليهِ الصلاةُ والسلامُ فناداهُ بعضٌ منْ وراءِ هذهِ وبعضٌ منْ وراءِ تلكَ فأسندَ فعلَ الأبعاضِ إلى الكُل وقدْ جُوِّز أنْ يكُونوا قدْ نادَوُه منْ وراءِ الحجرةِ التِّي كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فيها وَلكنَّها جُمعتْ إجلالًا لهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ وقيلَ إنَّ الذَّي ناداهُ عُييَنَةُ بنُ حِصْنٍ الفزاريُّ والأقرعُ بْنُ حابسٍ وَفَدا عَلَى رسولِ الله ﷺ في سبعينَ رجُلًا منْ بني تميم[4] وقتَ الظهيرةِ وهُوَ راقدٌ فقالاَ يا محمدُ اخرجْ إلينَا وإنَّما أسندَ النداءَ إلى الكُلِّ لأنَّهم رضُوا بذلكَ أوْ أُمروا بهِ أوْ لأنَّه وجدَ فيما بينَهمْ ﴿أكثرُهم لا يعقلونَ﴾ إذْ لَوْ كانَ لهُم[5] عقلٌ لمَا تجاسرُوا عَلى هذهِ المرتبةِ منْ سُوءِ الأدبِ ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم﴾ أيْ وَلَوْ تحققَ صبرُهُم وانتظارُهُم حتَّى تخرجَ إليهمْ فإنَّ «أنَّ» وَإنْ دلت بَما في حيزهَا عَلى المصدرِ لكِنَّها تفيدُ بنفسِها التحققَ والثبوتَ للفرقِ البينِ[6] بينَ قولِك بَلَغني قيامُك وبلغني أنَّك قائمٌ وحَتَّى تفيدُ أنَّ الصبرَ ينبغِي أنْ يكونَ مُغيًا بخروجِهِ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فإنَّها مختصةٌ بمَا هُوَ غايةٌ للشيءِ في نفسِه ولذلكَ تقولُ أكلتُ السمكةَ حتَّى رَأْسَها وَلا تقولُ حتَّى نصفَها أو

---

(١) في خ: و. (٢) في خ: بحساب.

(٣) قرأ بها: أبو جعفر، وشيبة.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٤٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٢٩)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٦).

(٤) زاد في خ: في. (٥) في خ: منهم. (٦) في خ: المبين.

ثلثَها بخلافِ إِلى فإِنَّها عامَّةٌ وفي إليهِمْ إشعارٌ بأنَّه لوْ خرجَ [لاَ][١] لأجلِهم[٢] ينبغِي أَنْ يصبرُوا حَتَّى يفاتحهَم بالكلامِ أوْ يتوجَّهَ إليهِم ﴿لكان﴾ أي الصبرُ المذكورُ ﴿خيرًا لهم﴾ منَ الاستعجالِ لِما فيهِ منْ رعايةِ حُسنِ الأدبِ وتعظيمِ الرسولِ الموجبَينِ للثناءِ والثوابِ والإسعافِ بالمسؤولِ إذْ رُوي أنَّهم وفدُوا شافعينَ في أُسارَى بنِي العَنْبرِ فأطلقَ النصفَ وفادَى النصفَ ﴿والله غفور رحيم﴾ بليغُ المغفرةِ والرحمةِ واسعُهما فلنْ يضيقَ ساحتُهما عنْ هؤلاءِ إنْ تابُوا وَأصلحُوا.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا إنْ جاءكُم فاسقٌ بنبإٍ فتبينُوا﴾ أيْ فتعرفُوا وتفحصُوا (رُويَ أنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ بعثَ الوليدَ بنَ عُقبةَ أخَا عُثْمانَ رضيَ الله عنْهُ لأُمهِ مُصدِّقًا[٣] إلى بَني المُصطلِق وكانَ بينَهُ وبينَهمْ إِحْنَةٌ[٤] فلمَّا سمعُوا بهِ استقبلُوه فحسبَ أنَّهم مقاتلُوه فرجعَ وقالَ لرسولِ الله ﷺ قدِ ارتدُوا ومنعُوا الزكاةَ فهمَّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بقتالِهم فنزلتْ) وقيلَ: (بعثَ إليهم خالدَ بنَ الوليدَ فوجدهُم منادينَ بالصلاةِ متهجدينَ فسلمُوا إليهِ الصدقاتِ فرجعَ). وفي ترتيبِ الأمرِ بالتبينِ عَلى فسقِ المُخبرِ إشارةٌ إلى قبولِ خبرِ الواحدِ العدلِ في بعضِ الموادِّ وَقُرِئَ فتثبتُوا[٥] أيْ توقفُوا إلى أنْ [يتبينَ][٦] لكُم الحالُ ﴿أن تصيبُوا﴾ حذار أنْ تصيبُوا ﴿قومًا بجهالةٍ﴾ ملتبسينَ بجهالةِ حالِهم ﴿فتصبحُوا﴾ بعدَ ظهورِ براءتِهم عَمَّا أُسندَ إليهِمْ ﴿على ما فعلتُم﴾ في حَقِّهم ﴿نادمينَ﴾ مغتمينَ غمًا لازمًا متمنينَ أنَّه لم يقعْ فإنَّ تركيبَ هذهِ الأَحْرُفِ الثلاثةِ يدورُ معَ الدوامِ.

﴿وَاعلمُوا أنَّ فيكُم رسولَ الله﴾ أنَّ بِما في حيزِهَا ساد مسدَّ مفعولَي اعلمُوا باعتبارِ ما بعدَهُ منْ قولِه تعالى: ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ فإِنَّهُ حالٌ منْ أحدِ الضميرينِ في فيكُم والمَعنْى أنَّ فيكُم رسولَ الله كائنًا عَلى حالةٍ لا يجبُ عليكُم تغييرُهَا أوْ كائنينَ على حالةٍ. . .إلخ وهي أنكُم تريدونَ أنْ يتبعَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ رأيَكُم في كثيرٍ منَ الحوادثِ ولَوْ فعلَ ذلكَ لوقعتُم في الجهدِ والهلاكِ، وفيه إيذانٌ بأنَّ بعضَهُم زينُوا لرسولِ الله ﷺ الإيقاعَ ببني المصطلقِ تصديقًا لقولِ الوليدِ وأنَّه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لَمْ يُطعْ أمرَهُم، وأما صيغةُ المضارعِ فقدْ قيلَ إنَّها للدلالةِ عَلى أنَّ

---

(١) سقط في خ.
(٢) زاد في خ: قد.
(٣) مصدِّقاً: جامعاً الصدقات.
(٤) إحنة: عداوة.
(٥) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وخلف، وعبد الله بن مسعود.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٠٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٠٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٤٢)، والتيسير للداني ص (٩٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٣١).
(٦) في خ: يصيبكم فيتبين.

امتناعَ عَنَتِهم لامتناعِ استمرارِ طاعتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لهُم لأنَّ عنتهَم إنما يلزمُ منَ استمرارِ الطاعةِ فيما يعِنُّ لهَمُ منَ الأمورِ إذْ فيهِ اختلالُ أمرِ الإيالةِ[١] وانقلابُ الرئيسِ مَرْءوسًا لا منْ إطاعتِه في بعضِ ما يرونَهُ نادرًا بلْ فيها استمالتُهم بلا معرةٍ، وقيل: إنَّها للدلالةِ عَلى أنَّ امتناعَ عنتِهم لاستمرارِ امتناعِ طاعتِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ لهُم في ذلكَ فإنَّ المضارعَ المنفيَّ قَدْ يدلُّ على استمرارِ النَّفي بحسبِ المقامِ كما في نظائرِ قولِه تعالَى ولا هُم يحزنونَ، والتحقيقُ أنَّ الاستمرارَ الذي تفيدُه صيغةُ المضارعِ يعتبرُ تارةً بالنسبةِ إلى ما يتعلقُ بالفعلِ منَ الأمورِ الزمانيةِ المتجددةِ وذلكَ بأنْ يعتبرَ الاستمرارُ في نفسِ الفعلِ على الإبهامِ ثم يعتبرُ تعلقُ ما يتعلقُ به بيانًا لما فيهِ الاستمرارُ، وأُخرى بالنسبةِ إلى ما يتعلقُ به من نفسِ الزمانِ المتجددِ وذلكَ إذا اعتبر تعلقُه بما يتعلقُ به أولًا ثم اعتبرَ استمرارُه، فيتعينُ أن يكونَ ذلك بحسبِ الزمانِ فإنْ أُريدَ باستمرارِ الطَّاعةِ استمرارُها وتجددُها بحسبِ تجددِ مواقعِها الكثيرةِ التي يفصحُ عنه قولُه تعالَى في كثيرٍ من الأمرِ فالحقُّ هو الأولُ ضرورةَ أنَّ مدارَ امتناعِ العنَتِ هو امتناعُ ذلك الاستمرارِ سواءٌ كان ذلكَ الامتناعُ بعدمِ وقوعِ الطاعةِ في أمرٍ ما من تلكَ الأمورِ الكثيرةِ أصلًا أو بعدمِ وقوعِها في كلِّها مع وقوعِها في بعضٍ يسيرٍ منها، حتَّى لو لم يمتنعْ ذلكَ الاستمرارُ بأحدِ الوجهينِ المذكورينِ بل وقعتْ الطاعةُ فيما ذُكِرَ من كثيرٍ من الأمرِ في وقتٍ من الأوقاتِ وقعَ العنتُ قطعًا وإنْ أُريدَ به استمرارُ الطَّاعةِ الواقعةِ في الكلِّ وتجدّدُها بحسبِ تجددِ الزمانِ واستمرارِه فالحقُّ هو الثانِي، فإنَّ مناطَ امتناعِ العنتِ حينئذٍ ليسَ امتناعَ استمرارِ الطاعةِ المذكورةِ ضرورةَ أنَّه موجبٌ لوقوعِ العنتِ بل هُو الاستمرارُ الزمانيُّ لامتناعِ تلك الطاعةِ الواقعةِ في تلكَ الأمورِ الكثيرةِ بأحدِ الوجهينِ المذكورينِ حتَّى لو لم يستمرَّ امتناعُها بأنْ وقعتْ تلك الطاعةُ في وقتٍ من الأوقاتِ وقعَ العنتُ حتمًا واعلمْ أنَّ الأحقَّ بالاختيارِ والأَولى بالاعتبارِ هو الوجهُ الأولُ لأنَّه أوفقُ بالقياسِ المُقتضِي لاعتبارِ الامتناعِ واردًا على الاستمرارِ حسبَ ورودِ كلمةِ لو المفيدةِ للأولِ على صيغةِ المضارعِ المفيدةِ للثانِي، على أنَّ اعتبارَ الاستمرارِ واردًا على النَّفي على خلافِ القياسِ بمعونةِ المقامِ، إنَّما يصارُ إليهِ إذا تعذرَ الجريانُ على موجبِ القياسِ أو لم يكنْ فيه مزيدُ مزيةٍ كما في[٢] قولِه تعالى: ﴿ولا هُم يحزنون﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٨] حيثُ حملَ على استمرارِ نفي الحزنِ عنهم إذْ ليسَ في استمرارِ الحزنِ مزيدُ فائدةٍ، وأما إذَا انتظمَ الكلامُ مع مراعاةِ موجبِ

---

(١) ذكر سيبويه الإيالة في فِعالة مما كان فيه معنى الولاية مثل الإمارة والنكاية.

(٢) زاد في خ: مثل.

القياسِ حقَّ الانتظام فالعدولُ عنه تمحلٌ لا يخفَى وقولُه تعالى: ﴿ولكنَّ الله حببَ إليكُم الإيمانَ﴾ . . .إلَخ تجريدٌ للخطابِ وتوجيه لهُ إلى بعضِهم بطريقِ الاستدراكِ بيانًا لبراءتِهم عنْ أوصافِ الأولينَ وإحمادًا لأفعالِهم أيْ ولكنَّهُ تعالَى جعلَ الإيمانَ محبوبًا لديكم. ﴿وزينه في قلوبكم﴾ حَتَّى رسخَ حبه فيها ولذلكَ أتيتُم بَما يليقُ بهِ منَ الأقوالِ والأفعالِ ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ ولذلكَ اجتنبتُم عَمَّا يليقُ بَها ممَّا لا خيرَ فيهِ منْ آثارها وأحكامِها، ولَمَّا كانَ في التحبيبِ والتكريهِ مَعْنى إنهاءِ[1] المحبةِ والكراهةِ وإيصالِهما إليهم استُعمِلا بكلمةِ إلى وقيلَ هو استدراكٌ ببيانِ عُذرِ الأولينَ كأنَّه قيلَ لمْ يكُنْ ما صدرَ عنكُم في حَقِّ بَني المصطلقِ منْ خللٍ في عقيدتِكم بلْ من فرطِ حبِّكم للإيمانِ وكراهتِكم للكفرِ والفسوقِ والعصيانِ والأولُ هو الأظهرُ لقولِه تعالَى: ﴿أولئك هم الراشدون﴾ أي السالكون إلى الطريق السويّ الموصل إلى الحق، والالتفات إلى الغيبة كالذي[2] في قولِه تعالَى: ﴿وما آتيتُم من زكاة تريدونَ وجه الله فأولئكَ هُم المُضعفونَ﴾ [سورة الروم؛ الآية: ٣٩].

﴿فضلًا من الله ونعمة﴾ أيْ وَإنعامًا تعليلٌ لـ (حببَ)[3] أو كرَّه، وما بينَهمَا اعتراضٌ وقيلَ نصبُهمَا بفعلٍ مضمرٍ أيْ جَرى ذلكَ فضلًا وقيلَ يبتغونَ فضلًا ﴿والله عليم﴾ مبالغٌ في العلم فيعلمُ أحوالَ المؤمنينَ وما بينَهم من التفاضلِ ﴿حكيم﴾ يفعلُ كُلَّ ما يفعلُ بموجبِ الحكمةِ.

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ أي تقاتلُوا والجمعُ باعتبارِ المَعْنى ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنُّصحِ والدعاءِ إلى حُكمِ الله [تعالى][4] ﴿فإن بغت﴾ أي تعدتْ ﴿إحداهما على الأخرى﴾ وَلَمْ تتأثرْ بالنصيحةِ ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء﴾ أيْ ترجعَ ﴿إلى أمر الله﴾ إلى حُكمهِ أوْ[5] إلى مَا أمرَ بهِ ﴿فإن فاءت﴾ إليهِ وأقلعتْ عن القتالِ حذارًا من[6] قتالِكم ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بفصلِ ما بينَهما على حُكم الله تَعالى ولا تكتفُوا بمجردِ متاركتِهما عَسى يكونُ بينَهما قتالٌ في وقتٍ آخرَ، وتقييدُ الإصلاحِ بالعدلِ لأنَّه مظِنةُ الحيفِ لوقوعِه بعدَ المقاتلةِ وقدْ أكَّد ذلكَ[7] حيثُ قيلَ: ﴿وأقسطوا﴾ أيْ واعدلُوا في كُلِّ ما تأتونَ وما تذرونَ ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ فيجازيهم أحسنَ الجزاءِ والآيةُ نزلتْ في قتالٍ حدثَ بينَ الأوسِ والخزرجِ في عهدِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ بالسَعَفِ[8] والنعالِ، وفيهَا دلالة على أنَّ الباغيَ لا يخرجُ بالبغِي

---

(١) في خ: أن. (٢) في خ: كما. (٣) في خ: لحب.
(٤) سقط في خ. (٥) في خ: و. (٦) في خ: عن.
(٧) زاد في خ: بقوله. (٨) في خ: بالسيف.

عنِ الإيمانِ وأنَّه إذَا أمسكَ عنِ الحربِ تُركَ لأنَّه فيءٌ إلى أمرِ الله تعَالى وأنه يجبُ معاونةُ منْ بُغيَ عليهِ بعدَ تقديمِ النُّصحِ والسعْيِ في المصالحةِ.

من أخلاق الإيمان

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ استئنافٌ مقررٌ لما قبلَهُ منَ الأمرِ بالإصلاحِ أيْ أنهم منتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ هُوَ الإيمانُ الموجبُ[١] للحياةِ الأبديةِ، والفاءُ في قولهِ تعالَى: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾ للإيذانِ [بأنَّ الأخوةَ][٢] الدينيةَ موجبةٌ للإصلاحِ، ووضعُ المُظهرِ مقامَ[٣] المضمرِ مُضافًا إلى المأمورينَ للمبالغةِ في تأكيدِ وجوبِ الإصلاحِ والتحضيضِ عليهِ وتخصيصُ الاثنينِ بالذكرِ لإثباتِ وجوبِ الإصلاحِ فيما فوقَ ذلكَ بطريقِ الأولويةِ لتضاعفِ الفتنةِ والفسادِ فيهِ وقيلَ المرادُ بالأخوينِ الأوسُ والخزرجُ وقُرئَ[٤] بينَ إخوتِكم[٥] وإخوانِكم ﴿واتقوا الله﴾ في كُلِّ ما تأتونَ وما تذرونَ من الأمورِ التي منْ جُملتِها ما أُمرتم بهِ منَ الإصلاحِ ﴿لعلكم ترحمون﴾ راجينَ أنْ ترحمُوا عَلى تقواكم.

﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم﴾ أيْ منكُم ﴿من قوم﴾ [آخرينَ][٦] أيضًا منكم وقولُه تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم﴾ تعليلٌ للنَّهي أو لموجبِه أيْ عَسى أنْ يكونَ المسخورُ منْهم خيرًا عندَ الله تَعَالى منَ الساخرينَ، والقومُ مختصٌّ بالرجالِ لأنُهم القَوّامُ على النساءِ وهُو في الأصلِ إمَّا جمعُ قائمٍ كصَوْم وزَوْرٍ في جمعِ صائمٍ وزائرٍ أو مصدرٌ نعتَ بهِ فشاعَ في الجمعِ[٧]، وأما تعميمُه للفريقَينِ[٨] في مثلِ قومِ عادٍ وقومِ فرعونَ فإمَّا للتغليبِ أو لأنهنَّ توابعُ، واختيارُ الجمعِ لغلبةِ وقوعِ السخريةِ في المجامعِ، والتنكيرُ إمَّا للتعميمِ أو للقصدِ إلى نَهْي بعضِهم عنْ سُخريةِ بعضٍ لما أنَّها مما يجرِي بينَ بعضٍ وبعضٍ ﴿ولا نساء﴾ [أيْ ولا تسخرْ نساءٌ من المؤمناتِ][٩] ﴿من نساء﴾ [منهنَّ][١٠] ﴿عسى أن يكن﴾ [أيْ: المسخورُ منهُنَّ][١١] ﴿خيرًا منهن﴾ أيْ منَ الساخراتِ فإنَّ[١٢] مناطَ الخيريةِ في الفريقينِ ليسَ ما يظهرُ [للناسِ][١٣] من الصورِ

---

(١) في خ: الواجب. (٢) في خ: بالإخوة. (٣) في خ: موضع.

(٤) قرأ بها: ابن عامر، وأبو عمرو، والحسن، وزيد بن علي، ويعقوب، وابن سيرين، ونصر بن عاصم، وأبو العالية، والجحدري.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٠٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٦).

(٥) في خ: أخويكم. (٦) سقط في خ. (٧) في خ: الجميع.

(٨) في خ: في الفريقين. (٩) سقط في خ. (١٠) سقط في خ.

(١١) سقط في خ. (١٢) في خ: وإن. (١٣) سقط في خ.

والأشكالِ ولا الأوضاعِ والأطوارِ التي عليها يدورُ أمرُ السخريةِ غالبًا بلْ إنما هُوَ الأمورُ الكامنةُ في القلوبِ فلا يجترئ أحدٌ على استحقارِ أحدٍ فلعلَّهُ أجمعُ منْهُ لما نيطَ بهِ الخيريةُ عندَ الله تعالَى فيظلم نفسَهُ بتحقيرِ منْ وقَّره الله تعالَى والاستهانةِ بَمنْ عظَّمه الله تعالَى وقُرئَ عَسَوا[١] أنْ يكونُوا وعَسَينَ[٢] أنْ يكنَّ فعسَى حينئذٍ هي ذاتُ الخبرِ كما في قولِه تعالَى: ﴿فهل عسيتم﴾ [سورة محمد؛ الآية: ٢٢] وَأمَّا على الأولِ فهيَ التي لا خيرَ لها ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أيْ ولا يعب بعضُكم بعضًا فإنَّ المؤمنينَ كنفسٍ واحدةٍ أو[٣] لا تفعلُوا ما تُلمَزونَ بهِ فإنَّ منْ فعلَ ما يستحقُّ بهِ اللمزَ فقدْ لمزَ نفسَهُ واللمزُ الطعنُ باللسانِ وقُرئَ بضمِّ[٤] الميم ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[٥] أيْ ولا يدْعُ بعضُكم بعضًا بلقبِ السوءِ فإنَّ النبزَ مختصٌّ بهِ عُرْفًا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئسَ الذكرُ المرتفعُ للمؤمنينَ أنْ يُذكرُوا بالفسقِ بعد دخولِهم[٦] الإيمانَ أو[٧] اشتهارِهم بهِ فإنَّ الاسمَ هَاهُنا بمَعنى الذكرِ منْ قولِهم طارَ اسمُه في الناسِ بالكرم أو باللؤم، والمرادُ بهِ إمَّا تهجينُ نسبةِ الكفرِ والفسوقِ إلى المؤمنينَ خصوصًا إذْ رُوي أنَّ الآيَةَ نزَلتْ في صفيةَ بنتِ حُيَيٍّ أتتْ رسولَ الله ﷺ فقالتْ إنَّ النساءَ يقُلنَ لي يَا يهوديةُ بنت يهوديينِ فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**هَلا قلتِ إنَّ أبي هارونَ وعَمِّي مُوسى وزَوْجي محمدٌ**» عليهمْ السلامُ[٨] أوِ الدلالةُ عَلى أنَّ التنابزَ فسقٌ والجمعُ بينَهُ

---

(١) قرأ بها: أبي، وابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٢).

(٢) قرأ بها: أبي، وابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٣)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٢).

(٣) في خ: و.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وعبيد، ويعقوب، والحسن، والأعرج.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٧)، والبحر المحيط (٨/ ١١٣)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٧)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٦)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٠).

(٥) زاد في خ: أي: بئس الذكر المرتفع.

(٦) في خ: قولهم. (٧) في خ: و.

(٨) أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٩) كتاب المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، حديث (٣٨٩٤)، وأحمد (٣/ ١٣٥، ١٣٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٢٩١، ٢٩٢)، كتاب عشرة النساء، باب: الافتخار، حديث (٨٩١٩)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ١٩٣، ١٩٤) رقم (٧٢١١)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٥٨) رقم (٣٤٣٧)، وعبد الرزاق (١١/ ٤٣٠) رقم (٢٠٩٢١).
كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. غريب من هذا الوجه.
وله طريق آخر: أخرجه الترمذي (٥/ ٧٠٨) كتاب المناقب، باب: فضل أزواج النبي ﷺ، حديث =

وبينَ الإيمانِ قبيحٌ ﴿ومن لم يتب﴾ عَمَّا نُهي عَنْهُ ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضعِ العصيانِ موضعَ الطاعةِ وتعريضِ النفسِ للعذابِ.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن﴾ أيْ كُونوا على جانبٍ منْهُ، وإبهامُ الكثيرِ لإيجابِ الاحتياطِ والتأملِ في كُلِّ ظَنٍ ظُنَّ حَتَّى يعلَم أنَّه من أيِّ قبيلٍ، فإنَّ منَ الظنِّ ما يجبُ اتباعُه كالظنِّ فيَما لا قاطعَ فيهِ من العملياتِ وحسنِ الظنِّ باللهِ تعَالَى، ومنْهُ ما يحرمُ كالظنِّ في الإلهياتِ والنبواتِ وحيثُ يخالفُه قاطعٌ وظنِّ السوءِ بالمؤمنينَ، ومنْهُ ما يباحُ كالظنِّ في الأمورِ المعاشيةِ ﴿إن بعض الظن إثم﴾ تعليلٌ للأمرِ بالاجتنابِ أوْ لموجبهِ بطريقِ الاستئنافِ التحقيقيِّ والإثمُ الذنبُ الذي يستحقُّ العقوبةَ عليهِ وهمزتُه منقلبةٌ منَ الواوِ كأنَّه يثم[1] الأعمالَ أي يكسرها. ﴿ولا تجسسوا﴾ أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، تفعّل من الجسِّ لما فيهِ منْ مَعْنى الطلبِ كما أن التلمسَ بمَعنى التطلبِ لما في اللمسِ من الطلبِ وقد جاءَ بمعنى الطلبِ في قولِه تعالَى: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ [سورة الجن؛ الآية: ٨] وقُرِئ بالحاءِ[2] من الحَسِّ الذي هُوَ أثرُ الجَسِّ وغايتُه ولتقاربهِما يقالُ للمشاعرِ الحواسُّ بالحاء والجيم وفي الحديث: **(لا تتبعُوا عوراتِ المسلمينَ فإنَّ منْ تتبعَ عوراتِ المسلمينَ تتبعَ الله عورتَهُ حَتَّى يفضَحهُ ولو في جوفِ بيتِه)**[3] ﴿ولا يغتب بعضكم بعضًا﴾ أي لا يذكرْ بعضُكم بعضًا بالسوءِ في غِيبتِه (وسُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الغيْبَةِ فقالَ: **«أنْ تذكَر أخاكَ بما يكرَهُ فإنْ كانَ فيهِ فقدِ اغتبتَهُ**

= (٣٨٩٢)، وقال: وهذا حديث غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس بإسناده بذلك القوي.

(١) في خ: يأثم.

(٢) قرأ بها: الحسن، وأبو رجاء، وابن سيرين.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١١٤)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٣٢)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٨).

(٣) ورد من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي برزة، ومن حديث البراء بن عازب، ومن حديث ثوبان، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث بريدة.
أما حديث ابن عمر: فرواه الترمذي (٤/ ٣٧٨) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٣٢)، وابن حبان (١٣/ ٧٥، ٧٦) كتاب الحظر والإباحة، باب: الغيبة، حديث (٥٧٦٣).
وأما حديث أبي برزة: فأخرجه أبو داود (٤/ ٢٧٠) كتاب الأدب، باب: في الغيبة، حديث (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/ ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت»، ص (١٩٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧)، كتاب الشهادات، باب: «من عضه غيره...»، وأبو يعلى في مسنده (١٣/ ٤١٩)، حديث (٤)- (٧٤٢٣).
وأما حديث البراء بن عازب: فأخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٣٧، ٢٣٨) حديث (٢٢)- (١٦٧٥)، وعزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ٣٤٥) لابن مردويه في «تفسيره»، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٦)، وقال: ورجاله ثقات. =

وإنْ لَمْ يكُنْ فيهِ فقدْ بهتهُ»[(١)] وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عَنْهما الغِيبةُ إدامُ كلابِ الناسِ[(٢)] **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا﴾** تمثيلٌ وتصويرٌ لما يصدرُ عنِ المغتابِ منْ حيثُ صدورُهُ عنْهُ ومنْ حيثُ تعلقُه بصاحبِه عَلى أفحشِ وجهٍ وأشنعِه طبعًا وعقلًا وشرعًا معَ مبالغاتٍ من فُنونٍ شَتَّى.

الاستفهامُ التقريري وإسنادُ الفعلِ إلى أحدٍ إيذانًا بأنَّ أحدًا من الأحدينَ لا يفعلُ ذلكَ وتعليقُ المحبةِ بَما هُوَ في غايةِ الكراهةِ وتمثيلُ الاغتيابِ بأكلِ لحمِ الإنسانِ وجعلُ المأكولِ[(٣)] أخًا للآكلِ وميتًا وإخراجُ تماثلها مُخرجَ أمرٍ بينٍ غنيٍّ عنِ الإخبارِ بهِ وقُرئ ميّتًا[(٤)] بالتشديدِ وانتصابُه عَلى الحاليةِ من اللحمِ وقيلَ من الأخِ والفاءُ في قولِه تعالَى: **﴿فكرهتموه﴾** لترتيبِ ما بعدَهَا عَلى ما قبلَها من التمثيلِ كأنَّه قيلَ وحيثُ كانَ الأمرُ كما ذكرَ فقد كرهتمُوه وقُرئ كُرِّهتمُوه[(٥)] أي جُبلتُمْ عَلى كراهتِهِ **﴿واتقوا الله﴾**

= وأما حديث ثوبان: فأخرجه أحمد (٥/ ٢٧٩)، ولفظه «لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإنه من طلب عورة أخيه المسلم، طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته».

وأما حديث ابن عباس: فأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٨٦)، حديث (١١٤٤٤)، وعزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٣٤٦) لابن عدي في الكامل، وأعله بقدامة.

وأما حديث بريدة: فعزاه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٣٤٦) لابن مردويه في «تفسيره».

(١) أخرجه مسلم (٨/ ٣٨٦، ٣٨٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الغيبة، حديث (٧٠-٢٥٨٩)، والترمذي (٤/ ٣٢٩) كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الغيبة، حديث (١٩٣٤)، وأبو داود (٤/ ٢٦٩) كتاب الأدب، باب: في الغيبة، حديث (٤٨٧٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٤٥٨)، والبيهقي (١٠/ ٢٤٧) كتاب الشهادات، باب: من عضه غيره، والبغوي في «شرح السنة» (٦/ ٥١٧) كتاب البر والصلة، باب: تحريم الغيبة، حديث (٣٤٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد»، ص (٤٢٥) كلهم من رواية أبي هريرة.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي الباب عن أبي برزة وابن عمر وعبد الله ابن عمرو.

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٥/ ٥٨٤) من قول ابن عباس -رضي الله عنهما-، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة والنميمة»، ص (١٦٩) من قول علي بن الحسين، قال: حدثني حسين، قال: سمع علي بن الحسين رجلًا يغتاب رجلًا فقال: إياك والغيبة؛ فإنها إدام كلاب الناس».

(٣) أي تشبيه تمثيلي، مثلت الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، وهو يستلزم تمثيل المولوع بها.

(٤) قرأ بها: نافع، وأبو جعفر، ورويس، ويعقوب.

ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٤٦)،والتيسير للداني ص (١٠٦)، وتفسير الطبري (٢٦/ ٨٧)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣١)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٨).

(٥) قرأ بها: أبو سعيد الخدري، وأبو حيوة.

ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٨)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٣).

بتركِ ما أمرتمْ باجتنابهِ والندمِ عَلى مَا صَدرَ عنكُم من قبلُ ﴿**إن الله تواب رحيم**﴾ مبالغٌ في قبولِ التوبةِ وإفاضةِ الرحمةِ حيثُ يجعلُ التائبَ كمنْ لَمْ يذنبْ ولا يخصُّ ذلكَ بتائبٍ دونَ تائبٍ بَلْ يعمُّ الجميعَ وإنْ كثرتْ ذنوبُهم. (رُوي أنَّ رجلينِ منَ الصحابةِ رضيَ الله عنهم بعثَا سلمانَ إلى رسولِ الله ﷺ يبغِي لهما إدَامًا وكانَ أسامةُ على طعامِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ فقالَ ما عندِي شيءٌ فأخبرهما سلمانُ فقالاَ: لو بعثنا سلمانَ إلى بئرِ سميحةٍ لغارَ ماؤُها فلمَّا رَاحا إلى رسولِ الله ﷺ قالَ لهُما: «**مَا لي أَرَى خُضرةَ اللحمِ في أفواهِكُمَا فقالاَ ما تناولنَا لحمًا فقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ إنكُما قدِ اغتبتُمَا فنزلتْ**»[(١)] ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى**﴾ من آدمَ وحواءَ أوْ خلقنَا كُلَّ واحدٍ منكُم من أبٍ وأمٍ فالكُلُّ سواءٌ في ذلكَ فلا وَجْهَ للتفاخرِ بالنسبِ وقَدْ جُوِّزَ أنْ يكونَ تأكيدًا للنَّهي السَّابقِ بتقريرِ الأخوةِ المانعةِ منَ الاغتيابِ ﴿**وجعلناكم شعوبًا وقبائل**﴾ الشَّعبُ الجمعُ العظيمُ المنتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ وهو يجمعُ القبائلَ، والقبيلَةُ تجمعُ العمائرَ، والعَمارةُ تجمعُ البطونَ والبطنُ يجمعُ الأفخاذَ والفَخِذُ يجمعُ الفصائلَ فخُزَيمةُ شعبٌ وكنانةُ قبيلةٌ وقريشٌ عمارةٌ وقُصَي بطنٌ وهاشمٌ فخذٌ والعباسُ فصيلةٌ وقيلَ الشعوبُ بطونُ العجمِ والقبائلُ بطونُ العربِ ﴿**لتعارفوا**﴾ ليعرفُ بعضُكم بعضًا بحسب الأنسابِ فلا يعتزَى أحدٌ إلى غيرِ آبائِه، لا لتتفاخرُوا بالآباءِ والقبائلِ وتَدَّعُوا التفاوتَ والتفاضلَ في الأنسابِ وقُرِئ تتعارفُوا[(٢)] عَلى الأصلِ [ولتّعارفُوا[(٣)]][(٤)] بالإدغام ولتعرِفُوا[(٥)] ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ تعليلٌ للنَّهي عنِ التفاخر بالأنسابِ المستفادِ من الكلام بطريقِ الاستئنافِ التحقيقيِّ كأنَّه قيلَ إنَّ الأكرمَ عندَهُ تعالَى هُو الأتقَى فإنْ فاخرتُم[(٦)] ففاخِروا بالتَّقوى وقُرِئ بأَنَّ[(٧)] المفتوحةِ عَلى

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٢) بغير سند ولا راوٍ.
(٢) قرأ بها: الأعمش، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٩).
(٣) قرأ بها: ابن كثير، والبزي، ومجاهد، وابن محيصن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١١٦)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٥٠)، والتيسير للداني ص (٨٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والكشف للقيسي (١/ ٣١٥)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٢).
(٤) في خ: ولتتعارفوا.
(٥) قرأ بها: عاصم، وأبان، وابن عباس، ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ١١٦)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٠).
(٦) في خ: تفاخرتم.
(٧) قرأ بها: ابن عباس، ينظر: الإملاء للعكبري (٢/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ١١٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٤٥)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٦٩).

حذفِ لامِ التعليلِ كأنَّه قيلَ لَم لا نتفاخرُ بالأنسابِ فقيلَ لأنَّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكُم لا أنسبُكَم فإنَّ مدارَ كمالِ النفوسِ وتفاوتِ الأشخاصِ هُو التَّقوى فمَنْ رامَ نيلَ الدرجاتِ العُلاَ فعليهِ التَّقوى قالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ سَرَّهُ أنْ يكونَ أكرمَ النَّاسِ فليتقِ الله**»[١] وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «**يَا أيُّها الناسُ إنمَّا الناسُ رجلانِ مؤمنٌ تقيٌّ كريمٌ عَلى الله تعَالَى وفاجرٌ شقيٌّ هينٌ على الله تعَالَى**»[٢] وعنِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما كرمُ الدُّنيا الغِنى وكرمُ الآخرةِ التَّقوى[٣] ﴿إن الله عليم﴾ بكُم وبأعمالِكم ﴿خبير﴾ ببواطنِ أحوالِكم.

﴿قالت الأعراب آمنا﴾ نزلتْ في نفرٍ من بَني أَسَدٍ قَدمُوا المدينةَ في سنةِ جَدْبٍ فأظهرُوا الشهادتينَ وكانُوا يقولونَ لرسولِ الله ﷺ أتيناكَ بالأثقالِ والعيالِ ولمْ نقاتِلْكَ كما قاتلكَ بنُو فلانٍ يريدونَ الصدقةَ ويمنونَ عليهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ ما فعلُوا ﴿قل﴾ رَدا لهُمْ ﴿لم تؤمنوا﴾ إذِ الإيمانُ هُوَ التصديقُ المقارنُ للثقةِ وطمأنينةِ القلبِ ولم

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٧٠) كتاب الأدب، باب: لا تتكلموا بالحكمة عند الجاهل، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ٣٣٩، ٣٤٠) رقم (١٩٤٦)، وأعله بهشام بن زياد، وقال: ليس لهذا الحديث طريق يثبت، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٨٨) مختصرًا، وقال: هشام بن زياد أبو المقدام: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات والمقلوبات عن الأثبات حتى يسبق إلى قلب المستمع أنه كان المعتمد لها، لا يجوز الاحتجاج به. جميعهم من طريق محمد بن كعب القرضي عن ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥١، ٣٥٢) لإسحاق بن راهويه في مسنده، ولابن عدي وللبيهقي في الزهد.

(٢) ورد من حديث ابن عمر ومن حديث أبي هريرة.
فأما حديث ابن عمر: فأخرجه الترمذي (٥/ ٣٨٩) كتاب تفسر القرآن، باب: ومن سورة الحجرات، حديث (٣٢٧٠)، والبغوي (٦/ ٥٠٦) كتاب البر والصلة، باب: الافتخار بالنسب، حديث (٣٤٣٨)، وأبو داود مختصرًا (٢/ ١٧٦) كتاب المناسك، باب: الطواف الواجب، حديث (١٨٧٦)، وأبو يعلى مختصرًا (١٠/ ١٣٤)، حديث (٣٤٧)- (٥٧٦١)، وعبد بن حميد في مسنده، ص (٢٥٣، ٢٥٤)، حديث (٧٩٥)، وذكره الحافظ في المطالب العالية (١/ ٣٣٤) برقم (١١٢٧) مختصرًا، وكذلك الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٤٦).
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عبد الله بن دينار إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن جعفر يضعف، ضعفه يحيى بن معين وغيره، وهو والد علي بن المديني، وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس.
قال الهيثمي: رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وقد وثق فيما رواه عن غير عبد الله بن دينار وهذا منها.
وأما حديث أبي هريرة: فأخرجه أبو داود (٤/ ٣٣١) كتاب الأدب، باب: في التفاخر بالأحساب، حديث (٥١١٦)، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٠، ٣٥١) لابن المبارك في كتاب البر والصلة، ولابن مردويه في تفسيره.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٨٨).

يحصُلْ لكُم ذلكَ وإلا لمَا مننتُمْ عليَّ ما ذكرتُم كَما ينبئُ عَنْه آخرُ السورةِ ﴿ولكن قولوا أسلمنا﴾ فإنَّ الإسلامَ انقيادٌ ودخولٌ في السلم[1] وإظهارُ الشهادةِ وتركُ المحاربةِ مشعرٌ بهِ، وإيثارُ مَا عليهِ النظمُ الكريمُ عَلى أنْ يقالَ لاَ تقولُوا آمنَّا ولكنْ قولُوا أسلمنَا أو لم تُؤمنِوا ولكن أسلمتُم للاحترازِ مِنِ النَّهي عنِ التلفظِ بالإيمانِ وللتفادِي[2] عنْ إخراجِ قولِهم مُخرجَ التسليمِ والاعتدادِ بهِ معَ كونِه تقولًا محضًا ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ حالٌ من ضميرِ (قولُوا) أيْ: ولكِنْ قولُوا أسلمنَا حالَ عدمِ مواطأةِ قلوبِكم لألسنتِكم، ومَا في لمَّا مِنْ مَعنَى التوقعِ مشعرٌ بأنَّ هؤلاءِ قَد آمنُوا فيمَا بعدُ ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ بالإخلاصِ وتركِ النفاقِ ﴿لا يلتكم من أعمالكم﴾ [لا ينُقصْكُم ﴿شيئًا﴾][3] من أجورِها مِنْ لاتَ يليتُ لَيْتًا إذَا نقصَ وقُرِئ لا يأْلتكُم[4] من الألْتِ وهيَ لغةُ غَطَفانَ أو شيئًا منَ النقصِ ﴿إن الله غفور﴾ لِمَا فرطَ منَ المطيعينَ ﴿رحيم﴾ بالتفضل عليهِمْ ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لَمْ يشكُّوا، من ارتابَ مطاوعُ رَابهُ إذَا أوقعَهُ في الشكِّ مع التهمةِ وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ فيهِمْ ما يوجبُ نَفي الإيمانِ عنهُمْ و(ثمَّ) للإشعارِ بأَنَّ اشتراطَ عدمِ الارتيابِ في اعتبارِ الإيمانِ ليسَ في حالِ إنشائِه فقطْ بلْ وفيما يُستقبلُ فهيَ كمَا في قولِه تعالَى ثم استقامُوا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ في طاعتِه عَلى تكثرِ فنونِها من العباداتِ البدنيةِ المحضِة والماليةِ الصرفةِ والمشتملةِ عليهما معًا كالحجِّ والجهادِ ﴿أولئك﴾ الموصوفونَ بمَا ذكرَ منَ الأوصافِ الجميلةِ[5] ﴿هم الصادقون﴾ أي الذينَ صدقُوا في دَعْوى الإيمانِ لا غيرُهم، رُوِي أنَّه لما نزلتْ الآيةُ جاءُوا وحلفُوا أنهم مؤمنونَ صادقونَ فنزلَ لتكذيبِهم قولُه تعالَى: ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ أيْ أتخبرونَهُ بذلكَ بقولِكم آمنَّا والتعبيرُ عَنْهُ بالتعليمِ لغايةِ تشنيعِهم وقولُه: ﴿والله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ حالٌ منْ مفعولِ تعلمونَ مؤكدةٌ لتشنيعِهم، وقولُه تعالَى: ﴿والله بكل شيء عليم﴾ تذييلٌ مقررٌ لمَا قبلَهُ أيْ مبالغٌ في العلمِ بجميعِ الأشياءِ التي منْ جُملتها ما أخفَوهُ من الكفرِ عندَ إظهارِهم الإيمانَ وفيهِ مزيدُ تجهيلٍ وتوبيخٍ لهم ﴿يمنون عليك

---

(١) في خ: العلم. (٢) في خ: وللتعادي. (٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: أبو عمرو، ويعقوب، والأعرج، واليزيدي، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٠٩)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ١١٧)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٦)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٤).

(٥) في خ: الحميدة.

أن أسلموا﴾ أيْ يعدّونَ إسلامَهم منَّةً عليكَ وهيَ النعمةُ التِّي لا يطلبُ مُوليها ثوابًا ممنْ أنعمَ بَها عليهِ من المَنِّ بمَعنى القطعِ لأَنَّ المقصودَ بها قطعُ حاجتِه وقيلَ النعمةُ الثقيلةُ من المَنِّ ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ أيْ لا تعدُوا إسلامَكُم منَّةً عليَّ أوْ لاَ تمنُّوا عليَّ بإسلامِكم فنصبَ بنزعِ الخافضِ ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ عَلى ما زعمتُم مَعَ[1] أنَّ الهدايةَ لا تستلزمُ الاهتداءَ وقُرئَ إنْ هداكُم[2] وإذْ هداكُم[3] ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ادعاءِ الإيمانِ وجوابُه محذوفٌ يدلُّ عليهِ ما قبلَهُ أيْ: فللهِ المنةُ عليكُمْ[4]، وفي سياقِ النظمِ الكريمِ منَ اللطفِ ما لا يَخفى فإنَّهمْ لمَّا سمَّوا ما صدرَ عنْهم إيمانًا ومنُّوا بهِ فنفي كونُهُ إيمانًا وسُمِّي إسلامًا قيلَ يمنونَ عليكَ بمَا هُو في الحقيقةِ إسلامٌ وليس بجديرٍ بالمَنِّ بلْ لو صَحَّ ادعاؤُهم للإيمانِ فلله المنةُ عليهِمْ بالهدايةِ إليهِ لا لهُمْ.

﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض﴾ أيْ ما غابَ فيهمَا ﴿والله بصير بما تعملون﴾ في سرِّكم وعلانيتِكم فكيفَ يَخْفَى عليهِ ما في ضمائرِكم وقُرئَ بالياءِ[5].

عن النبيِّ ﷺ «**منْ قرأَ سورةَ الحجراتِ أعطيَ من الأجرِ بعددِ منْ أطاعَ الله وعَصَاهُ**»[6].

---

(١) في خ: من.

(٢) قرأ بها: عاصم.
ينظر: تفسير القرطبي (١٦/ ٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٢).

(٣) قرأ بها: ابن مسعود، وزيد بن علي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١١٨)، وتفسير القرطبي (١٦/ ٣٥٠)، والكشاف للزمخشري (٣/ ٥٧٢)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٤).

(٤) في خ: عليهم.

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن محيصن، وأبان.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١١٨)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٥٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٦)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٤).

(٦) تقدم تخريجه، وفي خ: والله الموفق بمنه وكرمه للصواب.

سُورَةُ ق

مكيةٌ وهي خمسٌ وأربعونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾
أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾
بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا
وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ
﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ
ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ
ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ
جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ
يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ
سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ
نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ
﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ
﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن
كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ
أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ
بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن
قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ
قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

﴿ق * والقرآن المجيدِ﴾ أيْ ذي المجدِ والشرفِ عَلى سائرِ الكتبِ أوْ لأنَّه كلامُ المجيدِ أوْ لأنَّ منْ علم معانيه وعمِلَ بما فيهِ مَجُدَ عندَ الله تَعالَى وعندَ الناسِ والكلامُ فيهِ كالذَّي فُصِّلَ في مطلعِ سورةِ ص وَقولُه تعالَى: **﴿بَلْ عجبُوا أنْ جاءهُم منذرٌ منهمْ﴾** أيْ لأنْ جاءَهُم منذرٌ منْ جنسِهم لا من جنسِ المَلَكِ [أوْ مِنْ جِلدتِهم][1]، إضرابٌ عَمَّا ينبئُ عنْهُ جوابُ القسمِ المحذوفِ كأنَّه قيلَ والقرآنِ المجيدِ أنزلناهُ إليكَ لتنذرَ بهِ الناسَ حسَبما وردَ في صدرِ سورةِ الأعرافِ.

كأنَّه قيلَ بعدَ ذلكَ لم يؤمنُوا بهِ بلْ جعلُوا[2] كلًّا منَ المنذِرِ والمنذَرِ بهِ عُرضةً للنكيرِ[3] والتعجيبِ معَ كونِهما أوفقَ شيءٍ لقضيةِ[4] العقولِ وأقربَهُ إلى التلقِي بالقبولِ، وقيلَ التقديرُ والقرآنِ المجيدِ إنكَ لمنذرٌ ثمَّ قيلَ بعدَهُ إنَّهم شكُّوا فيهِ ثمَّ أُضربَ عنْهُ وقيلَ بلْ عجبُوا أيْ لم يكتفُوا بالشكِّ والردِّ بلْ جزمُوا بالخلافِ حتَّى جعلُوا ذلكَ منَ الأمورِ العجيبةِ وقيلَ هُوَ إضرابٌ عَمَّا يفهمُ منْ وصفِ القرآنِ بالمجيدِ[5] كأنَّه قيلَ ليسَ سببُ امتناعِهم من الإيمانِ بالقرآنِ أنَّه لا مجدَ لهُ ولكنْ لجهلِهم **﴿فقالَ الكافرونَ هَذا شيءٌ عجيبٌ﴾** تفسيرٌ لتعجبِهم وبيانٌ لكونِه مقارنًا لغايةِ الإنكارِ مع زيادةِ تفصيلٍ لمحلِّ التعجبِّ، وهذا إشارةٌ إلى كونِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ منذرًا بالقرآنِ وإضمارُهم أو[لًا][6] للإشعارِ بتبعيتِهم بما أسندَ إليهِم وإظهارِهم ثانيًا للتسجيلِ عليهِمْ بالكفرِ بموجبِه أوْ عطفٌ لتعجبِهم من البعثِ على تعجبِهم من البعثةِ على أنَّ هذَا إشارةٌ إلى مبهمٍ [يفسرُهُ][7] ما بعدَهُ من الجملةِ الإنكاريةِ، ووضعُ المظهرِ موضعَ المضمرِ إما لسبقِ اتصافِهم بَما يوجبُ كفرَهُم وإمَّا للإيذانِ بأنَّ تعجُّبهم منَ البعثِ لدلالتِه على استقصارِهم لقدرةِ الله سبحانَهُ عنْهُ معَ معاينتِهم لقدرتِه تعالَى على مَا هُو أشقُّ منْهُ في قياسِ العقلِ من مصنوعاتِه البديعةِ أشنعُ من الأولِ وأعرقُ في كونِه كفرًا.

(١) سقط في خ. (٢) في خ: عجلوا. (٣) في خ: للتنكير.
(٤) في خ: تقتضيه. (٥) في خ: المجيد. (٦) سقط في خ.
(٧) سقط في خ.

﴿أئذا متنا وكُنَّا تُرابًا﴾ تقريرٌ للتعجب وتأكيدٌ للإنكارِ والعاملُ في إذَا مضمرٌ غنيٌّ عنِ البيانِ لغايةِ شهرتِه معَ دلالةِ ما بعدَهُ عليهِ أيْ أحينَ[١] نموتُ ونصيرُ ترابًا نرجعُ كما ينطقُ به النذيرُ والمنذَر بهِ معَ كمالِ التباينِ بينَنا وبينَ الحياةِ حينئذٍ وَقُرِئَ إِذَا[٢] متنَا عَلى لفظِ الخبرِ أوْ على حذفِ أداةِ الإنكارِ ﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى محلِّ النزاعِ ﴿رجعٌ بعيدٌ﴾ أيْ عنِ الأوهامِ أو العادةِ أو الإمكانِ وقيلَ الرجعُ [بمعْنَى المرجوعِ][٣] الذي هُوَ الجوابُ فناصبُ الظرفِ حينئذٍ ما ينبئُ عنه المنذرُ من البعثِ ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ رَدٌّ لاستبعادِهم وإزاحةٌ له فإنَّ منْ [عمَّ علمُهُ][٤] ولطُفَ حَتَّى انتَهى إلى حيثُ علمَ ما تنقصُ الأرضُ من أجسادِ الموتَى وتأكلُ من لحومِهم وعظامِهم كيفَ يستبعدُ رجعُهُ إيَّاهمُ أحياءً كما كانُوا. عن النبيِّ ﷺ «**كُلُّ ابن آدم يبلَى إلا عجبَ [الذنبِ]**[٥]»[٦] وقيلَ ما تنقصُ الأرضُ منهمْ ما يموتُ فيدفنُ في الأرضِ منهم ﴿وعندنَا كتابٌ حفيظٌ﴾ حافظٌ لتفاصيلِ الأشياءِ كُلِّها أو محفوظٌ من التغيرِ، والمرادُ إما تمثيلُ علمِه تعالَى بكلياتِ الأشياءِ وجزئياتِها بعلم مَنْ عندَه كتابٌ محيطٌ يتلقى منْهُ كُلَّ شيءٍ أو تأكيدٌ لعلمِه تعالَى بها بثبوتِها في اللوحِ المحفوظِ عندهُ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ إضرابٌ وانتقالٌ منِ بيانِ شناعتِهم السابقةِ إلى بيانِ ما هُو أشنعُ منْهُ وأفظعُ وهو تكذيبُهم للنبوةِ الثابتةِ بالمعجزاتِ الباهرةِ ﴿لما جاءهم﴾ مِنْ غيرِ تأملٍ وتفكرٍ، وقُرِئَ لِمَا جاءَهُم[٧] بالكسرِ على أنَّ اللامَ للتوقيتِ أيْ وقتَ مجيئهِ إياهُم وقيلَ الحقُّ القرآنُ أو الإخبارُ بالبعثِ ﴿فهُمْ في أمر

---

(١) في خ: حين.

(٢) قرأ بها: ابن عامر، والأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وابن وثاب، وابن عتبة، والأعمش، وصفوان بن عمرو.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٢٠)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨١).

(٣) في خ: يعني الرجوع. (٤) في خ: غم عليه. (٥) سقط في خ.

(٦) أخرجه البخاري (٩/ ٥١٥) كتاب التفسير، باب: (٤)، الحديث (٤٨١٤)، ورواه في (٩/ ٦٩٩) في التفسير الحديث (٤٩٣٥)، ومسلم (٩/ ٣١٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، الحديث (٢٩٥٥)، وأبو داود (٢/ ٦٤٩) كتاب السنة، باب: في ذكر البعث والصور، الحديث (٤٧٤٣)، والنسائي (٤/ ١١١، ١١٢) كتاب الجنائز، باب: أرواح المؤمنين، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥) كتاب الزهد، باب: ذكر القبر والبلى، الحديث (٤٢٦٦)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٣٩)، كتاب الجنائز، باب: جامع الجنائز، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٢، ٤٢٨، ٤٩٩)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨) رقم (٣١٣٨، ٣١٣٩).

(٧) قرأ بها: الجحدري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢١)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٢).

﴿مريج﴾ أيْ مضطربٌ[(١)] لا قرارَ لهُ، منْ مَرَجَ الخاتمُ في أصبعِه حيثُ يقولونَ تارةً إنَّه شاعرٌ وتارةً ساحرٌ وأخرَى كاهنٌ **﴿أفلم ينظرُوا﴾** أيْ أغفلُوا أو أَعمُوا فلمْ ينظرُوا **﴿إلى السماء فوقهم﴾** بحيثُ[(٢)] يشاهدونَها كلَّ وقتٍ **﴿كيفَ بنيناها﴾** أيْ رفعناهَا بغيرِ عمدٍ **﴿وزيناها﴾** بمَا فيهَا منَ الكواكبِ المرتبةِ على نظامٍ بديعٍ **﴿وما لها منْ فروجٍ﴾** منْ فتوقٍ لملاستِها وسلامتِها من كُلِّ عيبٍ وخللٍ، ولعل تأخيرَ هَذَا لمراعاةِ الفواصلِ **﴿والأرضَ مددناهَا﴾** أي بسطناهَا **﴿وألقينا فيهَا رواسيَ﴾** جبالًا ثوابتَ مِنْ رسَا الشيءُ إذَا ثبتَ والتعبيرُ عنْهَا بهذَا الوصفِ للإيذانِ بأن إلقاءَها بإرساءِ الأرضِ بهَا **﴿وأنبتنا فيها من كُلِّ زوجٍ﴾** منْ كُلِّ صنفٍ **﴿بهيجٍ﴾** حسنٍ.

﴿تبصرةً وذِكْرى﴾ علتانِ للأفعالِ المذكورةِ مَعْنى وإنِ انتصبتَا بالفعلِ الأخيرِ أو لفعلٍ مقدرٍ بطريقِ الاستئنافِ أيْ فعلنَا ما فعلنَا تبصيرًا وتذكيرًا[(٣)] **﴿لكل عبدٍ منيبٍ﴾** أيْ راجعٍ إلى ربِّه متفكرٍ في بدائعِ صنائعِه وقولُه تعالَى: **﴿ونزلنا من السماءِ ماءً مباركًا﴾** أيْ كثيرَ المنافعِ، شروعٌ في بيانِ كيفيةِ إنباتِ ما ذكرَ منْ كُلِّ زوجٍ بهيجٍ وهو عطفٌ على أنبتنا وما بينهمَا على الوجهِ الأخيرِ اعتراضٌ مقررٌ لما قبلَهُ ومنبهٌ على ما بعدَهُ **﴿فأنبتنا به﴾** أيْ بذلكَ الماءِ **﴿جناتٍ﴾** كثيرةً أيْ أشجارًا ذواتِ ثمارٍ **﴿وحبَّ الحصيدِ﴾** [أي][(٤)]: حبَّ الزرعِ الذي شأنُه أنْ يُحصدَ من البُرِّ والشعيرِ وأمثالِهما، وتخصيصُ إنباتِ حبِّه بالذكرِ لأنُه المقصودُ بالذاتِ **﴿والنخلَ﴾** عطفٌ على جناتٍ. وتخصيصُها بالذكرِ معَ اندراجِها في الجناتِ لبيانِ فضلِها على سائرِ الأشجارِ وتوسيطُ الحبِّ بينهما لتأكيدِ استقلالِها وامتيازِها عنِ البقيةِ معَ ما فيهِ منْ مُراعاةِ الفواصلِ **﴿باسقاتٍ﴾** أيْ طوالًا أو حواملَ منْ أبسقتِ الشاةُ إذَا حملتْ فيكونُ منْ بابِ أفعلَ فهو فاعلٌ وقرئَ باصقاتٍ[(٥)] لأجلِ القافِ **﴿لهَا طلعٌ نضيدٌ﴾** أيْ منضودٌ بعضُه فوقَ بعضٍ، والمرادُ تراكُم الطلعِ أو كثرةُ ما فيهِ منَ الثمرِ، والجملةُ حالٌ من النخلِ كباسقاتٍ بطريقِ الترادفِ أو منْ ضميرِها في باسقاتٍ عَلى التداخلِ، أو: الحالُ هو الجارُّ والمجرورُ وطلعٌ مرتفعٌ بهِ عَلى الفاعليةِ.

وقولُه تعالَىٰ: **﴿رِزْقًا للعبادِ﴾** أيْ لنرزقَهُم[(٦)]، علةٌ لقولِه تعالَى **﴿فأنبتنا﴾** وفي تعليلِه بذلكَ بعدَ تعليلِ أنبتنَا الأولِ بالتبصرةِ والتذكيرِ تنبيهٌ على أنَّ الواجبَ على العبدِ

---

(١) في خ: مضروب.
(٢) في خ: حيث.
(٣) في خ: وذكروا.
(٤) سقط في خ.
(٥) قرأ بها: قطبة بن مالك، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٥)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٢).
(٦) في خ: لرزقهم.

أنْ يكونَ انتفاعُهُ بذلكَ من حيثُ التذكرُ(١) والاستبصارُ أهمَّ وأقدمَ من تمتعِه بهِ منْ حيثُ الرزقُ، وقيلَ رزقًا مصدرٌ منْ مَعْنى أنبتنَا لأنَّ الإنباتَ رزقٌ ﴿وأحيينا بهِ﴾ أيْ بذلكَ الماءِ ﴿بلدةً ميتًا﴾ أرضًا جدبةً لا نماءَ فيهَا أصْلًا بأنْ جعلناهَا بحيثُ ربتْ وأنبتتْ أنواعَ النباتِ والأزهارِ فصارتْ(٢) تهتزُ بهَا بعدَ ما كانتْ جامدةً هامدةً، وتذكيرُ ميتًا لأنَّ البلدةَ بمعنى البلدِ والمكانِ.

﴿كذلكَ الخروجُ﴾ جملةٌ قدمَ فيهَا الخبرُ للقصدِ إلى القصرِ [و](٣) ذلكَ إشارةٌ إلى الحياةِ المستفادةِ من الأحياءِ وما فيهِ من مَعْنى البعدِ للإشعارِ ببعدِ رتبتِها أيْ مثلَ تلكَ الحياةِ البديعةِ حياتُكم بالبعثِ منَ القبورِ لا شيءَ مخالفٌ لَها، وفي التعبيرِ عنْ إخراجِ النباتِ منَ الأرضِ بالإحياءِ وعنْ حياةِ المَوْتى بالخروجِ تفخيمٌ لشأنِ الإنباتِ وتهوينٌ لأمرِ البعثِ وتحقيقٌ للمماثلةِ بينَ إخراجِ النباتِ وإحياءِ المَوْتى لتوضيحِ منهاجِ القياسِ وتقريبهِ إلى أفهامِ الناسِ وقولُه تعالَى:

﴿كذبتْ قبلهم قومُ نوحٍ﴾ إلخ استئنافٌ واردٌ لتقريرِ حقيةِ البعثِ ببيانِ اتفاقِ(٤) كافةِ الرسلِ عليهم السلامُ عليهَا وتعذيبِ مُنكريْها ﴿وأصحاب الرَّسِّ﴾ قيلَ هُم ممنْ بعثَ إليهم شعيبٌ عليهِ السلامُ وقيلَ [وقيلَ](٥)، كما مرَّ في سورةِ الفُرقانِ على التفصيلِ ﴿وثمود * وعاد وفرعون﴾ أي هُوَ وقومُه ليلائمَ ما قبلَهُ وما بعدَهُ ﴿وإخوان لوط﴾ قيلَ كانُوا من أصهارِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ ﴿وأصحاب الأيكةِ﴾ هم ممنْ بعثَ إليهم شعيبٌ عليهِ السلامُ غيرَ أهلِ مدينَ ﴿وقوم تبع﴾ سبق شرحُ حالِهم في سُورةِ الدُّخانِ ﴿كلٌّ كذبَ الرسلَ﴾ أي فيمَا أرسلُوا بهِ منَ الشرائعِ التي منْ جُملتها البعثُ الذي أجمعُوا عليه قاطبةً أيْ كُلُّ قوم منَ الأقوامِ المذكورينَ كذبوا رسولَهُم أو كذَّبَ جميعُهم جميعَ الرُّسلِ بالمَعْنى المذكورِ وإفرادُ الضميرِ باعتبارِ لفظِ الكُلِّ أوْ كُلُّ واحدٍ منهمْ كذبَ جميعَ الرسلِ لاتفاقهم عَلى الدعوةِ إلى التوحيدِ والإنذارِ بالبعثِ والحشرِ فتكذيبُ واحدٍ منهمْ تكذيبٌ للكلِّ وهَذا على تقدير رسالةِ تبَّعٍ ظاهرٌ وأما على تقديرِ عدمِها وهُو الأظهرُ فمعنى تكذيبِ قومِه الرسلَ تكذيبُهم بمنْ قبلِهم من الرسلِ المجمعينَ على التوحيدِ والبعثِ وإلى ذلكَ كانَ يدعُوهم تُبَّعٌ ﴿فحقَّ وعيد﴾ أي فوجبَ وحَلَّ عليهمْ وعيدِي وهي كلمةُ العذابِ وفيه تسليةٌ للرسولِ ﷺ وتهديدٌ لهمْ.

﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ استئنافٌ مقررٌ لصحةِ البعثِ الذي حكيتْ أحوالُ

---

(١) في خ: التبصرة التذكرة.
(٢) في خ: فغادت.
(٣) سقط في خ.
(٤) في خ: إتيان.
(٥) سقط في خ.

المنكرينَ لَهُ من الأمم المهلكةِ، والعيُّ بالأمرِ العجزُ عَنْهُ يقالُ عيَّ بالأمرِ وعَيِيَ بهِ إذا لم يهتدِ لوجهِ عملِه، والهمزةُ للإنكارِ والفاءُ للعطفِ علَى مقدرٍ ينبئُ عنْهُ العيُّ من القصدِ والمباشرةِ كأنَّه قيلَ[١] أقصدنَا الخلقَ الأولَ فعَجزنا عنْهُ حتَّى يُتوهَم عجزُنَا عنِ الإعادةِ ﴿بلْ هُمْ في لبسٍ منْ خَلْقٍ جديدٍ﴾ عطفٌ على مقدرٍ يدلُّ عليهِ ما قبلَهُ كأنَّه قيلَ همْ غيرُ منكرينَ لقدرتِنا على الخلقِ الأولِ بلْ هُمْ في خلطٍ وشبهةٍ في خلقٍ مستأنفٍ لما فيهِ من مخالفةِ العادةِ وتنكيرُ خلقٍ لتفخيم شأنِه والإشعارِ بخروجِه عنْ حدودِ العاداتِ والإيذانِ بأنَّه حقيقٌ بأنْ يبحثَ عنْهُ ويُهتمَّ بمعرفتِه.

﴿وَلَقَدْ خلقنا الإنسانَ ونعلُم ما توسوسُ بِهِ نفسُه﴾ أيْ ما تحدثُه بِهِ نفسُه وهو ما يخطرُ بالبالِ، والوسوسةُ الصوتُ الخفيُّ، ومنْهُ وسواسُ الحُليِّ والضميرُ لِمَا إنْ جُعِلَتْ موصولةً والباء كما في صوّت بكذا أو للإنسانِ إنْ جُعِلَتْ مصدريةً والباءُ للتعديةِ ﴿ونحنُ أقربُ إليهِ من حبلِ الوريدِ﴾ أيْ أعلمُ بحالِه ممنْ كانَ أقربَ إليهِ من حبلِ الوريدِ، عبرَ عنْ قُربِ العلمِ بقُربِ الذاتِ تجوزًا لأنَّهُ موجبٌ لَهُ وحبلُ الوريدِ مثلٌ في فرطِ القربِ، والحبلُ العِرْقُ وإضافتُه بيانيةٌ والوريدانِ عرقانِ مكتنفانِ بصفحتيْ العنقِ في مقدِّمِها متصلانِ بالوتينِ يردانِ من الرأسِ إليهِ وقيلَ سميَ وريدًا لأنَّ الروحَ تَرِدُهُ ﴿إذْ يتلقى المُتلقيانِ﴾ منصوبٌ بَما فِي أقربُ منْ مَعْنى الفعلِ والمَعْنى أنَّه لطيفٌ يتوصلُ علمُهُ إلى ما لا شيءَ أخفَى منهُ وهُوَ أقربُ منَ الإنسانِ منْ كُلِّ قريبٍ حينَ يتلقَّى ويتلقنُ الحفيظانِ مَا يتلفظُ بهِ وفيهِ إيذانٌ بأنَّه تعالَى غنيٌّ عنِ استحفاظِهِمَا لإحاطةِ علمِهِ بما يخفَى عليهِمَا وإنما ذلكَ لما في كتبتهِمَا وحفظِهِمَا لأعمالِ العبدِ وعرضِ صحائفِهما يومَ يقومُ الأشهادُ وعلم العبدِ بذلكَ مع علمِه بإحاطتِه تعالَى بتفاصيلِ أحوالِه خبرًا[٢] من زيادةِ لطفٍ لهُ في الكَفِّ عنِ السيئاتِ والرغبةِ في الحسناتِ، وعنْهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ **«إنَّ مقعدَ ملكيكَ عَلى ثنيتيكَ[٣] ولسانُكَ قلمُهُمَا وريقُكَ مدادُهما وأنتَ تجرِي فيمَا لا يعنيك لاَ تستحي منَ الله وَلاَ منْهُمَا»**[٤]. وقَدْ جُوِّزَ أنْ يكونَ تلَقي الملكينِ بيانًا للقربِ عَلى معنى إنَّا أقربُ إليهِ مطلعونَ عَلى أعمالِه لأنَّ حفظتَنا وكتبتَنا موكلونَ بهِ ﴿عن اليمينِ وعنِ الشمالِ قعيدٌ﴾ أيْ عنِ اليمينِ قعيدٌ وعنِ الشمالِ قعيدٌ أيْ مقاعدُ كالجليسِ بمعنى المجالسِ لفظًا ومَعْنى فحذفَ الأولُ لدلالةِ الثاني عليهِ كَما في قولِ مَن قالَ: [الطويل]

رمَانِي بأمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ ووالِدِي بَريئًا، ومِنْ أجْلِ الطَّوِيِّ رَمَانِي[٥]

---

(١) في خ: يقول. (٢) في خ: خيرًا. (٣) في خ: كتفيك.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٩٩).

(٥) البيت لعمرو بن أحمر في ديوانه ص (١٨٧)، والدرر (٢/ ٦٢)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٢٤٩)، والكتاب (١/ ٧٥)، وله أو للأزرق بن طرفة بن العَمَرّد الفراصي في لسان العرب (جول).

وقيلَ: يطلقُ الفعيل عَلَى الواحدِ والمتعدِّدِ كما في قولِه تعالَى: ﴿والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهيرٌ﴾ [سورة التحريم؛ الآية: ٤] ﴿مَا يلفظُ مِنْ قَولٍ﴾ مَا يرمي بهِ منْ فيه منْ خيرٍ أوْ شرٍّ وَقُرِئ ما يُلْفظُ[١] عَلى البناءِ للمفعولِ ﴿إلَّا لديهِ رقيبٌ﴾ ملَكٌ يرقبُ قولَه ويكتُبه فإنْ كانَ خَيرًا فهو صاحبُ اليمينِ بعينِه وَإِلاَّ فهُوَ صاحبُ الشمالِ ووجْهُ تغييرِ العنوانِ غنيٌّ عنِ البيانِ والإفراد معَ وقوفِهما معًا عَلَى ما صَدَرَ عنْهُ لمَا أنَّ كلًا منهُمَا رقيبٌ لما فوضَ إليهِ لا لما فوضَ إلى صاحبِه كما ينبئُ عنْهُ قولُه تعالَى: ﴿عتيدٌ﴾ أيْ معدٌّ مهيأٌ لكتابةِ ما أمرَ بهِ من الخيرِ أو[٢] الشرِّ ومنْ لَم يتنبه لَه توهمَ أنَّ معناهُ رقيبانِ عتيدانِ وتخصيصُ القولِ بالذكرِ لإثباتِ الحكمِ في الفعلِ بدلالةِ النصِّ واختلفَ فيمَا يكتبانِه فقيلَ يكتبانِ كُلَّ شيءٍ حَتَّى أنينَهُ في مرضِه وقيلَ إنما يكتبانِ ما فيهِ أجرٌ أو[٣] وزرٌ وهو الأظهرُ كَما ينبئُ عنْهُ قولُه ﷺ: **«كاتبُ الحسناتِ عَلى يمينِ الرجلِ وكاتبُ السيئاتِ على يسارِه وكاتبُ الحسناتِ أميرٌ عَلى كاتبِ السيئاتِ فإذا عملَ حسنةً كتبَها ملكُ اليمينِ عشرًا وإذا عملَ سيئةً قالَ صاحبُ اليمينِ لصاحبِ الشمالِ دَعْهُ سبعَ ساعاتٍ لعلَّه يسبحُ أو يستغفرُ»**[٤].

﴿وَجَاءتْ سكرةُ الموتِ بالحقِّ﴾ بعدَ ما ذُكرَ استبعادُهُم للبعثِ والجزاءِ وأزيحَ ذلكَ بتحقيقِ قدرتِه تعالَى وعلمِه وبيَّنَ أنَّ جميعَ أعمالِهم محفوظةٌ مكتوبة عليهِمْ أتبعَ ذلك ببيانِ ما يلاقونَهُ لا محالةَ منَ الموتِ والبعثِ وما يتفرعُ عليهِ منَ الأحوالِ وَالأهوالِ وقد عبرَ عنْ وقوعِ كُلٍّ منَها بصيغةِ الماضِي إيذانًا بتحققِهَا وغايةِ اقترابِها، وسكرةُ الموتِ شدتُهُ الذاهبَةُ بالعقلِ والباءُ إمَّا للتعديةِ كَما في قولكَ جاءَ الرسولُ بالخبرِ والمَعْنى أحضرتْ سكرةُ الموتِ حقيقة الأمرِ والذَّي نطقتْ بهِ كتبُ الله ورسلُه

---

(١) قرأ بها: عبد الله، ينظر: مختصر شواذ القراءات (١٤٤).

(٢) في خ: و. (٣) في خ: و.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٩٠) رقم (٧٠٤٩، ٧٠٥٠، ٧٠٥١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢١٧، ٢١٨) رقم (٧٧٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٢٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ١٦٥) من حديث أبي أمامة.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٥٨، ٣٥٩) لابن راهويه في مسنده، وأبو نعيم في الحلية، وابن مردويه في تفسيره.

وروى الطبري في تفسيره (٧/ ٣٥٠) رقم (٢٠٢١١) من حديث كنانة العدوي قال: «دخل عثمان بن عفان على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد كم معه من ملك، قال: ملك على يمينك على حسناتك، وهو أمين على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كُتبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين: أكتب؟»، وذكر حديثًا طويلًا.

أوْ حقيقةَ الأمرِ وجليةَ الحالِ منْ سعادةِ الميتِ وشقاوتِه، وقيلَ الحقُّ الذي لاَ بدَّ أنْ يكونَ لا محالةَ منَ الموتِ أوِ الجزاءِ فإنَّ الإنسانَ خُلِقَ لَهُ وإما للملابسةِ كالتي في قولِهِ تَعالَى: ﴿تنبتُ بالدهنِ﴾ [سورة المؤمنون؛ الآية: ٢٠] أيْ ملتبسةً بِالحقِّ أيْ بحقيقةِ الأمرِ أو بالحكمةِ [و][1] الغايةِ الجميلةِ وَقُرِئ سكرةُ[2] الحقِّ بالموتِ وَالمَعْنى أنَّها السكرةُ التي كُتبتْ عَلَى الإنْسَانِ بموجبِ الحِكْمةِ وأنَّها لشدتِها توجبُ زُهُوقَ الروحِ أوْ تستعقبُه وقيلَ الباءُ بمعَنْى مَعَ وقيلَ سكرةُ الحقِّ سكرةُ الله تَعالىَ عَلى أنَّ الإضَافَةَ للتهويلِ [وقُرِئ][3] سَكَراتُ[4] الموتِ ﴿ذلكَ﴾ أي الموتُ ﴿ما كنتَ منْهُ تحيدُ﴾ أيْ تميلُ وتنفِرُ عَنْهُ والخطابُ للإنسانِ فإنَّ النفرةَ عنْهُ شاملةٌ لكُلِّ فردٍ منْ أفرادِهِ طَبْعًا ﴿وَنفخَ في الصُّورِ﴾ هيَ النفخةُ الثانيةُ ﴿ذلك﴾ أيْ وقتُ ذلكَ النفخِ عَلَى حذفِ المضافِ ﴿يومُ الوعيدِ﴾ أيْ يومُ إنجازِ الوعيدِ الواقعِ في الدُّنيا أيْ يومُ وقوعِ الوعيدِ على أنَّه عبارةٌ عن العذابِ الموعودِ وقيلَ ذلكَ إشارةٌ إلى الزمانِ المفهومِ منْ نُفِخَ فإنَّ الفعلَ كَما يدلُّ عَلى الحدثِ يدلُّ عَلى الزمانِ وتخصيصُ الوعيد بالذكرِ مَعَ أنَّه يومُ الوعدِ أيضًا لتهويلِه ولذلكَ بدئَ ببيانِ حالِ الكفرةِ.

﴿وَجَاءتْ كُلُّ نفسٍ﴾ منَ النفوسِ البرةِ والفاجرةِ ﴿مَعَها سائقٌ وشهيدٌ﴾ وإنِ اختلفتْ كيفيةُ السَّوقِ والشهادةِ حسبَ اختلافِ النفوسِ عملًا أيْ مَعها ملكانِ أحدُهما يسوقُها إلى المحشرِ والآخرُ يشهدُ بعملِها أو ملكٌ جامعٌ بينَ الوصفينِ كأنَّه قيلَ مَعَها ملكٌ يسوقُها ويشهدُ علَيها وقيلَ السائقُ كاتبُ السيئاتِ والشهيدُ كاتبُ الحسناتِ وقيلَ السائقُ نفسُه أو قرينُه والشهيدُ جوارحُه [أوْ][5] أعمالُه ومحلُّ مَعَها النصبُ عَلى الحاليِّةِ منْ كُلُّ لإضافتِه إلى ما هُوَ في حُكمِ المعرفةِ كأنَّه قيلَ كُلُّ النفوسِ أو الجرُّ عَلى أنَّه وصفٌ لـ (نفسٍ)[6] أو الرفعُ عَلى أنَّه وصفٌ لكلّ وقولُه تعالَى:

﴿لقد كنتَ في غفلةٍ منْ هَذا﴾ محكيٌّ بإضمارِ قولٍ هُو إمّا صفةٌ أُخرى لنفسٍ أو حالٌ أخرَى منْها أو استئنافٌ مبني على سؤال نشأ مما قبلَهُ كأنَّه قيلَ فماذا يفعلُ بها فقيلَ يقالُ

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو بكر الصديق، وعبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، وشعبة، وطلحة.
ينظر: الإعراب للنحاس (٣/ ٢١٧)، وتفسير الطبري (٢٦/ ١٠٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٤٣)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٣)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٨).

(٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: ابن مسعود.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٧).

(٥) في خ: و.

(٦) زاد في خ: أو حال أخرى.

لقدِ كنتَ في غفلةٍ إلخ، وخطابُ الكُلِّ بذلكَ لما أنَّه ما منْ أحدٍ إلا ولَهُ غفلةٌ ما عنِ الآخرةِ، وقيلَ الخطابُ للكافرِ وقُرِئَ كُنْتِ[١] بكسرِ التاءِ على اعتبارِ تأنيثِ النفسِ والتذكيرُ عَلى القراءةِ المشهورةِ بتأويلِ الشخصِ كما في قول جَبلةَ بنِ حُريث: [البسيط]

يــا نـفـسُ إنـكَ بـالـلـذاتِ مـسـرورُ فاذكرْ فهلْ ينفعَنْكَ اليومَ تذكيرُ[٢]

﴿فكشفنَا عَنْك غطاءكَ﴾ الغطاء: الحجابُ المُغطِّي لأمورِ المعادِ وهو الغفلةُ والانهماكُ في المحسوساتِ والألْفُ بها وقصرُ النظرِ عَلَيها ﴿فبصركَ اليومَ حديدٌ﴾ نافذٌ لزوالِ المانعِ للإبصارِ وَقُرِئَ بكسرِ الكافِ في المواضعِ الثلاثةِ ﴿وقالَ قرينُه﴾ أي الشيطانُ المُقيَّضُ لهُ مشيرًا إليهِ ﴿هَذا مَا لديَّ عتيدٌ﴾ أيْ هَذَا مَا عِنْدي وَفي ملكتِي عتيدٌ لجهنَم قدْ هيأتُه لهَا بإغوائِي وإضلالِي وَقيلَ قالَ المَلكُ الموكلُ بهِ مشيرًا إلى مَا معهُ منْ كتابِ عملهِ هذا مكتوبٌ عندِي عتيدٌ مهيأٌ للعرض، وما إن جعلت موصوفة[٣] فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل مِنْهَا أو خبرٌ بعدَ خبرٍ أو خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ ﴿ألقيا في جهنم كل كفار﴾ خطابٌ منَ الله تعالَى للسائقِ والشهيدِ أو للملكينِ منْ خَزَنةِ النارِ أو لواحدٍ عَلى تنزيلِ تثنيةِ الفاعلِ منزلَة تثنيةِ الفعلِ وتكريره كقولِ مَنْ قالَ: [الطويل]

فـإنْ تـزجُـرانـي يَـا ابْـنَ عـفـانَ أنـزجِـرْ وإنْ تـدعـانِـي أحـمِ عـرضًـا مـمـنَّـعـا[٤]

[أوْ][٥] عَلى أنَّ الألفَ بدلٌ منْ نونِ التأكيدِ على إجراءِ الوصلِ مجرَى الوقفِ ويؤيدُه أنه قُرِئَ أَلقِيَنْ[٦] بالنُّونِ الخفيفةِ ﴿عنيدٍ﴾ معاندٌ للحقِّ ﴿مناعٍ للخيرِ﴾ كثيرُ المنعِ للمالِ عنْ حقوقِه المفروضةِ وقيلَ: المرادُ بالخيرِ الإسلامُ فإنَّ الآيةَ نزلتْ في الوليدِ بْنِ المغيرةِ لما منعَ بَنِي أخيهِ منهُ ﴿معتدٍ﴾ ظالمٌ متخطٌّ للحقِّ ﴿مريبٍ﴾ شاكٌّ في الله وفي دينِه ﴿الذي جعلَ معَ الله إلهًا آخرَ﴾ مبتدأٌ متضمنٌ لمعنى الشرطِ خبرُهُ ﴿فألقياهُ في العذابِ الشديدِ﴾ [أو بدلٌ منْ كُلِّ كفار، وقولُه تعالَى: ﴿فألقياهُ﴾ تكريرٌ للتوكيدِ أو مفعولٌ لمضمرٍ يفسرُهُ فألقياهُ][٧]. ﴿قال قرينُه﴾ أي الشيطانُ المقيضُ لَهُ وإنما استؤنفَ استئنافَ الجملِ الواقعةِ في حكايةِ المقاولةِ لما أنه جوابٌ لمحذوفٍ دلَّ عليهِ قولُه

---

(١) قرأ بها: الجحدري، وينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) في خ: موصولة.
(٤) البيت لسويد بن كراع العكلي في لسان العرب (جزز) والتنبيه والإيضاح (٢/ ٢٣٩)، وتاج العروس (جزز) وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص ٨٣٩)، والمخصص (٢/ ٥).
(٥) في خ: و.
(٦) قرأ بها: الحسن، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٦)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٦)، والكشاف للزمخشري ص (٨١٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٤).
(٧) سقط في خ.

تعالَى ﴿ربنَا ما أطغيتُه﴾ فإنه منبئ عن سابقةِ كلام اعتذرَ بهِ الكافرُ كأنَّه قالَ هُو أطغانِي فأجابَ قرينُهُ بتكذيبهِ، وإسنادُ الطغيانِ إليهِ بخلافِ الجملةِ الأُولى فإنَّها واجبةُ العطفِ عَلَى ما قبلَها دلالةٌ على أَنَّ الجمعَ بينَ مفهوميهما في الحصولِ أعنِي مجيءَ كُلِّ نفسٍ معَ الملكينِ وقولَ قرينهِ ﴿ولكنْ كانَ﴾ هُو بالذاتِ ﴿في ضلالٍ بعيدٍ﴾ من الحقِّ فأعنتُه عليهِ بالإغواءِ والدعوةِ إليهِ منْ غيرِ قسرٍ وإلجاءٍ كما فِي قوله تعالَى: ﴿وما كانَ لي عليكُم منْ سلطانٍ إلا أنْ دعوتكُم فاستجبتُم لي﴾ [سورة إبراهيم؛ الآية: ٢٢].

﴿قالَ﴾ استئنافٌ مبنيٌّ علَى سؤالٍ نشأَ مما قبلَهُ كأنَّه قيلَ: فماذَا قالَ الله تعالَى فقيلَ قالَ ﴿لا تختصمُوا لديَّ﴾ أي في موقفِ الحسابِ والجزاءِ إذْ لا فائدةَ في ذلكَ ﴿وقد قدمتُ إليكُم بالوعيدِ﴾ عَلى الطغيانِ في دارِ الكسبِ في كُتبي وعَلى ألسنةِ رسلِي فلا تطمعُوا في الخلاصِ عَنْهُ بما أنتُم فيهِ من التعللِ بالمعاذيرِ الباطلةِ، والجملةُ حالٌ فيها تعليلٌ للنَّهي(١) عَلى مَعْنى لا تختصمُوا وقَدْ صحَّ عندكُم أنِّي قدمتُ إليكمْ بالوعيدِ حيثُ قلتُ لإبليسَ: ﴿لأملأنَّ جهنمَ منكَ وممنْ تبعكَ منْهُم أجمعينَ﴾ [سورة صَّ؛ الآية: ٨٥] فاتبعتمُوه معرضينَ عن الحقِّ فلاَ وجْهَ للاختصام في هَذا الوقتِ، والباءُ مزيدةٌ أوْ متعديةٌ عَلى أنَّ قدَّمَ بمَعْنى تقدَّمَ وقَدْ جوِّز أنْ يكونَ (قدمتُ) واقعًا عَلى قولِه تعالَى: ﴿مَا يبدلُ القولُ لديَّ﴾ . . . إلخ ويكونُ بالوعيدِ متعلقًا بمحذوفٍ هو حالٌ منَ المفعولِ أوِ الفاعلِ أيْ وقَدْ قدمتُ إليكمْ هَذا القولَ ملتبسًا بالوعيدِ مقترنًا بهِ أو قدمتُه إليكُم مُوعدًا لكُم بهِ فَلا تطمعُوا أنْ أبدلَ وعيدِي، والعفوُ عنْ بعضِ المذنبينَ لأسبابٍ داعيةٍ إليهِ ليسَ بتبديلٍ فإنَّ دلائلَ العفوِ تدلُّ عَلى تخصيصِ الوعيدِ وقولُه تعالَى: ﴿ومَا أنَا بظلامٍ للعبيدِ﴾ واردٌ لتحقيقِ الحقِّ عَلى الوجهِ الكليِّ وتبيينِ أنَّ عدمَ تبديلِ القولِ وتحقيقَ موجبِ الوعيدِ ليسَ منْ جهتِه تعالَى منْ غيرِ استحقاقٍ لهُ منهُمْ بَلْ إنما ذلكَ بما صدرَ عنْهم منَ الجناياتِ الموجبةِ لهُ حسبمَا أشيرَ إليهِ آنِفًا أي وَمَا أنَا بمعذبٍ(٢) للعبيدِ بغيرِ ذنبٍ منْ قبلِهم والتعبيرُ عنْهُ بالظلم معَ أنَّ تعذيبَهُم بغيرِ ذنبٍ ليسَ بظلم عَلى مَا تقررَ منْ قاعدةِ أهلِ السنَّةِ فضلًا عن كونِه ظلمًا مُفرطًا لبيانِ كمالِ نزاهتِه تعالَى عنْ ذلكَ بتصويرِه بصورةِ ما يستحيلُ صدورُهُ عنْهُ سبحانَهُ منَ الظلمِ وصيغةُ المبالغةِ لتأكيدِ(٣) هَذا المَعْنى بإبرازِ ما ذكرَ من التعذيبِ بغيرِ ذنبٍ في معرضِ المبالغةِ في الظلمِ وقيلَ: هيَ لرعايةِ جمعيةِ العبيدِ منْ قولِهم فلانٌ ظالمٌ لعبدهِ وظلاَّم لعبيدِه عَلى أنها مبالغةٌ كمًّا لا كيفًا ﴿يومَ نقولُ لجهنَّمَ هلِ امتلأتِ وتقولُ هَلْ مِنْ مزيدٍ﴾ سؤالٌ وجوابٌ جيءَ بهمَا عَلى منهاجِ التمثيلِ والتخييلِ لتهويلِ أمرِهَا والمَعْنى أنَّها مع

---

(١) في خ: لنهي. (٢) في خ: أبمعذب. (٣) في خ: من كيد.

اتِّساعِها وتباعدِ أقطارِها تطرحُ فيها منَ الجنَّةِ والنَّاسِ فوجًا بعدَ فوجٍ حَتَّى تمتلىء أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ، أو أنها لغيظِها عَلى العُصاةِ نطلبُ زيادتَهُم وقرئ[(١)] يقولُ بالياءِ، والمزيدُ إمَّا مصدرٌ كالمحيدِ والمجيدِ أو مفعولٌ كالمبيعِ ويومَ إمَّا منصوبٌ بـ (اذكُرْ) أوْ أنذِرْ أوْ ظَرفٌ لنُفِخَ فيكونُ ذلكَ حينئذٍ إشارةٌ إليهِ منْ غيرِ حاجةٍ إلى تقديرِ مضافٍ أو لمقدرٍ مؤخرٍ أيْ يكونُ منَ الأحوالِ والأهوالِ ما يقصرُ عنْهُ المقالُ ﴿وأزلفتِ الجنةُ للمتقينَ﴾ شروعٌ في بيانِ حالِ المؤمنينَ بعدَ النفخِ ومجيء النفوسِ إلى موقفِ الحسابِ، وقدْ مرَّ [سِرُّ][(٢)] تقديمِ بيانِ حالِ الكفرةِ عليهِ وهو عطفٌ عَلى نُفِخَ أيْ قربتْ للمتقينَ عنِ الكفرِ والمعاصِي بحيثُ يشاهدُونَها من الموقفِ ويقفونَ عَلى ما فيها من فنونِ المحاسنِ فيبتهجونَ بأنهُمْ محشورونَ إليها فائزونَ بها وقولُه تعالَى ﴿غيرَ بعيدٍ﴾ تأكيدٌ للإزلافِ أيْ مكانًا غيرَ بعيدٍ [بحيثُ يشاهدُونَها أوْ حالُ كونِها غيرَ بعيدٍ][(٣)] أيْ شيئًا غيرَ بعيدٍ ويجوزُ أنْ يكونَ التذكيرُ لكونِه على زنةِ المصدرِ الذي يستوِي في الوصفِ بهِ المذكرُ والمؤنثُ أوْ لتأويلِ الجنةِ بالبستانِ.

﴿هَذا مَا توعدونَ﴾ إشارةٌ إلى الجَنَّةِ، والتذكيرُ لَمَا أنَّ المشارَ إليهِ هُوَ المُسمَّى منْ غيرِ أنْ يخطرَ بالبالِ لفظٌ يدلُّ عليهِ فضلًا عنْ تذكيرِه وتأنيثِه فإنَّهُمَا منْ أحكامِ اللفظِ العربيِّ كَما مرَّ في قولِه تعالَى: ﴿فلما رَأى الشمسَ بازغةً قالَ هَذا ربِّي﴾ [سورة الأنعام؛ الآية: ٧٨] وقولُه تعالَى: ﴿ولما رأى المؤمنونَ الأحزابَ قالُوا هَذا ما وعدنَا الله ورسولُه﴾ [سورة الأحزاب؛ الآية: ٢٢] ويجوزُ أنْ يكونَ ذلكَ لتذكيرِ الخبرِ، وقيلَ: هُو إشارةٌ إلى الثوابِ وقيلَ: إلى[(٤)] مصدرِ أزلفتْ وقرئ[(٥)] يُوعَدُونَ والجملةُ إمَّا اعتراضٌ بينَ البدلِ والمبدلِ مِنْهُ وإمَّا مقدرٌ بقولٍ هُوَ حالٌ منَ المتقينَ أو منَ الجنَّةِ والعاملُ أزلفتْ أيْ مقولًا لهُمْ أو مقولًا في حَقِّها هَذا ما توعدونَ ﴿لكُلِّ أوابٍ﴾ أيْ رجّاعٍ إلى الله تعالَى بدلٌ منْ المتقينَ بإعادةِ الجارِّ ﴿حفيظٍ﴾ حافظٌ لتوبته من النقضِ[(٦)] وقيلَ: هُوَ الذّي يحفظُ ذنوبَهُ حتَّى يرجعَ عنْهَا ويستغفرَ مِنْها وقيلَ: هُو

---

(١) قرأ بها: نافع، وعاصم، والأعرج، وشيبة، والحسن، وأبو رجاء، وأبو جعفر، والأعمش، وشعبة، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٢٧)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٦٥)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٥).

(٢) سقط في خ.

(٣) سقط في خ.

(٤) في خ: هو.

(٥) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ١٢٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٥)، وتفسير الرازي (٢٨/ ١٧٩).

(٦) في خ: النقص.

الحافظُ[١] لأوامرِ الله تعالَى وقيلَ: لِمَا استودَعَهُ الله تعالَى مِنْ حقوقِه ﴿مَنْ خشيَ الرحمنَ بالغيبِ وجاءَ بقلبٍ منيبٍ﴾ بدلٌ بعدَ بدلٍ أو بدلٌ منْ موصوفِ أوابٍ ولا يجوزُ أنْ يكونَ فِي حُكْمِهِ لأنَّ (مَنْ) لا يوصفُ بهِ ولا يوصفُ إلاَّ بالَّذي أو مبتدأٌ خبرُهُ ﴿ادخلُوهَا﴾ بتأويلِ يقالُ لَهُمْ ادْخلُوهَا والجمعُ باعتبارِ مَعْنى مَنْ وقولُه تعالى بالغيبِ متعلقٌ بمحذوفٍ هُو حالٌ منْ فاعلِ خشيَ أو مفعولِه، أو صفةٌ لمصدرِه أي خشيةً ملتبسةً بالغيبِ حيثُ خشِيَ عقابَهُ وهو غائبٌ عنْهُ أو هُوَ غائبٌ عنِ الأعينِ لا يراهُ أحدٌ، والتعرضُ لعنوانِ الرحمانيةِ للإشارةِ[٢] بأنَّهمْ معَ خشيتِهم عقابَهُ راجونَ رحمتَهُ أوْ بأنَّ[٣] علمَهُم بسعةِ رحمتِه تعالَى لاَ يصدُّهم عنْ خشيتِه تعالَى وأنَّهم عاملونَ بموجبِ قولِه تعالَى: ﴿نبئ عبادِي أنِّي أنَا الغفورُ الرحيمُ وأنَّ عَذَابي هُو العذابُ الأليمُ﴾ [سورة الحجر؛ الآية: ٤٩] ووصفُ القلبِ بالإنابة لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حالٌ مِنْ فاعلِ ادخلوهَا أيْ ملتبسينَ بسلامةٍ منَ العذابِ وزوالِ[٤] النعم أو بسلامٍ من جهةِ الله تعالَى وملائكتِه ﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى الزمانِ الممتدِّ الذي وقعَ فِي بعضٍ مِّنْهُ ما ذُكِرَ منَ الأمورِ ﴿يومُ الخلودِ﴾ إذْ لا انتهاءَ لهُ أبدًا.

﴿لَهُم ما يشاءونَ﴾ منْ فنونِ المَطَالبِ كائنًا ما كانَ ﴿فيها﴾ متعلقٌ بيشاءونَ وقيلَ: بمحذوفٍ هُوَ حالٌ منَ الموصولِ أو مِنْ عائدِه المحذوفِ منْ صلتِه ﴿وَلدينَا مزيدٌ﴾ هُوَ ما لا يخطُرُ ببالِهم ولا يندرجُ تحتَ مشيئتِهم مِنْ معالِي الكراماتِ التي لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ عَلى قلبِ بشرٍ وقيلَ: إنَّ السحابَةَ تمرُّ بأهلِ الجنةِ فتمطرُهم الحُورَ فتقولُ نحنُ المزيدُ الذي قالَ تعالَى ولدينَا مزيدٌ ﴿وكمْ أهلكنَا قبلَهُم﴾ أي قبلَ قومِكَ ﴿مِنْ قرنٍ هم أشدُّ منْهم بطشًا﴾ أي قوةً كعادٍ[٥] وَأَضْرابِها ﴿فنقَّبُوا في البلادِ﴾ أيْ خرقُوا فيَها ودوخُوا وتصرفُوا في أقطارِها أو جالُوا في أكنافِ الأرضِ كُلَّ مجالٍ حذارَ الموتِ، وأصلُ التنقيبِ والنقبِ التنقيرُ عنِ الأمرِ والبحثُ والطلبُ والفاءُ للدلالةِ على أنَّ شدةَ بطشِهم أقدرتْهُمْ عَلى التنقيبِ قيلَ: هيَ عاطفةٌ في المَعْنى كأنَّه قيلَ: اشتدَّ[٦] بطشُهم فنقبُوا... إلخ وقرئَ[٧] بالتخفيفِ ﴿هلْ منْ محيصٍ﴾ أيْ هَلْ

---

(١) زاد في خ: الذي يحفظ. (٢) في خ: للإشعار. (٣) في خ: أن.
(٤) في خ: ودوام. (٥) زاد في خ: وثمود. (٦) في خ: أشد.
(٧) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، وأبو العالية.
ينظر: التبيان للطوسي (٩/ ٣٧٣)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٧)، وتفسير الرازي (٢٨/ ١٨٢).

لهُمْ منْ مُخلِّصٍ منْ [أمرِ][(١)] الله تعالَى والجملةُ إمَّا عَلى إضمارِ قولٍ هُو حالٌ منْ واوِ نقَّبُوا أيْ فنقَّبُوا فِي البلادِ قائلينَ هَلْ منْ محيصٍ أوْ عَلى إجراءِ التنقيبِ لِما فيهِ منْ مَعْنى التتبعِ والتفتيشِ مُجرى القولِ أوْ هُوَ كلامٌ مستأنفٌ واردٌ لنفي أنْ يكونَ لَهُم محيصٌ وقيلَ: ضميرُ نقَّبُوا لأهلِ مكةَ أيْ سارُوا في مسايرِهم وأسفارِهم في بلادِ القرونِ فَهلْ رَأَوا لهُمْ محيصًا حَتَّى يُؤمِّلُوا مثلَه لأنفسِهم ويعضدُهُ القراءةُ عَلى صيغةِ[(٢)] الأمرِ وقرئَ[(٣)] فنقبُوا بكسرِ القافِ من النقَبِ وهُوَ أنْ ينتقبَ خفُّ البعيرِ أيْ أَكْثروا السيرَ حَتَّى نقِبتْ أقدامُهم أو أخفافُ إبلِهم ﴿**إنَّ فِي ذلكَ**﴾ أيْ فيمَا ذكرَ من قصتِهم وقيلَ: فيما ذكرَ في السورةِ ﴿**لذكْرَى**﴾ لتذكرةً وعِظةً ﴿**لمنْ كانَ له قلبٌ**﴾ أيْ قلبٌ سليمٌ يدركُ به كُنْهَ ما يشاهدُه مِن الأمورِ ويتفكرُ فيهَا كما ينبغِي فإنَّ مَنْ كانَ له ذلكَ يعلمُ أنَّ مدارَ دمارِهم هُو الكفرُ فيرتدعُ عَنْهُ بمجردِ مشاهدةِ الآثارِ من غيرِ تذكيرٍ ﴿**أوْ أَلْقَى السمعَ**﴾ أيْ إلى مَا يُتلى عليهِ منَ الوَحْيِ الناطقِ بما جرَى عليهِمْ فإنَّ منْ فعلَهُ يقف عَلى جليةِ الأمرِ فينزجرَ عَمَّا يؤدِّي إليهِ منَ الكفرِ، فكلمةُ أَوْ لمنع الخلوِّ دونَ الجمعِ فإنَّ إلقاءَ السمعِ لا يُجدِي بدونِ سلامةِ القلبِ كَما يلوحُ بِهِ قولُه تعالَى ﴿**وهُوَ شهيدٌ**﴾ أيْ حاضرٌ بفطنتهِ لأنَّ منْ لاَ يَحْضُرُ ذهنُهُ فكأنَّه غائبٌ، وتجريدُ القلبِ عما ذكرَ من الصفاتِ للإيذانِ بأنَّ منْ عُرِّيَ قلبُه عنْهَا كمَنْ لاَ قلبَ لَهُ أصلًا.

﴿**ولقدْ خلقنَا السمواتِ والأرضَ وما بينهُما**﴾ منْ أصنافِ المخلوقاتِ ﴿**في ستةِ أيام وما مسنَا**﴾ بذلكَ معَ كونِه ممَّا لا يَفِي بهِ القُوَى وَالقُدَرُ ﴿**منْ لغوبٍ**﴾ مِنْ إعياءٍ [مَا][(٤)] ولاَ تعبٍ في الجملةِ وهَذَا ردٌّ على جَهَلةِ اليهودِ في زعمِهم أنَّه تعالَى بدأَ خلقَ العالمِ يومَ الأحدِ وفرَغَ منْهُ يومَ الجمعةِ واستراحَ يومَ السبتِ واستلقَى على العرشِ، سبحانَهُ وتعالَى عَمَّا يقولونَ عُلوًّا كبيرًا ﴿**فاصبر على ما يقولون**﴾ أيْ ما يقولُه[(٥)] المشركونَ في شأنِ البعثِ منَ الأباطيلِ المبنيةِ عَلى الإنكارِ والاستبعادِ فإنَّ مَنْ فعلَ هذهِ الأفاعيلَ بلا فتورٍ قادرٌ عَلى بعثِهم والانتقام منهُمْ أوْ ما يقولُه اليهودَ منْ مقالاتِ الكفرِ والتشبيهِ ﴿**وَسبح بحمدِ رَبِّكَ**﴾ أيْ نَزِّههُ تعالَى عنِ العجزِ عَمَّا يمكُن وَعَنْ وقوعِ الخُلفِ[(٦)] في أخبارِهِ التي

---

(١) سقط في خ.

(٢) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عباس، وابن يعمر، والحسن، وأبو العالية، والأصمعي، ونصر بن يسار، وأبو حيوة، والسلمي، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والبحر المحيط (٨/ ١٢٩)، وتفسير الطبري (٢٦/ ١١٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٢)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٤٨)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٥)، والمعاني للفراء (٣/ ٧٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٩)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١١).

(٤) سقط في خ. (٥) في خ: يقول. (٦) في خ: الحلف.

مِنْ جُمْلتها الإخبارُ بوقوعِ البعثِ وعنْ وصفهِ تعالَى بما يوجبُ التشبيه حَامدًا له تعالَى عَلى ما أنعمَ به عليكَ من إصابةِ الحقِّ وغيرِهَا ﴿**قبل طلوع الشمس وقبل الغروب**﴾ هُمَا وقتُ الفجرِ والعصرِ وفضيلتُهما مشهورةٌ ﴿**ومنَ الليلِ فسبِّحْهُ**﴾ وسَبِّحْهُ بعضَ الليلِ ﴿**وأدبار السجود**﴾ وأعقاب الصلواتِ جمعُ دُبُرٍ وقرئ[١] بالكسرِ مِنْ أدبرتِ الصلاةُ إِذَا انقضتْ وتمتْ ومعناهُ وقتُ انقضاءِ السجودِ وقيلَ: المرادُ بالتسبيحِ الصلواتُ فالمَرادُ بما قبلَ الطلوعِ صلاةُ الفجرِ وبما قبلَ الغروبِ الظهرُ والعصرُ وبمَا مِنَ الليلِ العشاءانِ والتهجدُ ومَا يصلَّى بأدبار السجودِ النوافلُ بعدَ المكتوباتِ ﴿**واستمعْ**﴾ أيْ لما يُوحَى إليكَ من أحوالِ القيامةِ، وفيهِ تهويلٌ وتفظيعٌ للمخبرِ بهِ ﴿**يومَ ينادِي المنادِ**﴾ أيْ إسرافيلُ أوْ جبريلُ عليهِمَا السلامُ فيقولُ أيتها العظامُ الباليةُ واللحومُ المتمزقةُ والشعورُ المتفرقةُ إنَّ الله[٢] يأمركُنَّ أنْ تجتمعنَ لفصلِ القضاءِ وقيلَ: إسرافيلُ ينفخُ وجبريل يُنادِي بالحشرِ ﴿**منْ مكانٍ قريبٍ**﴾ بحيث يصلُ نداؤُه إلى الكُلِّ [عَلى][٣] سواءٍ وقيلَ: من صخرةِ بيتِ المقدسِ وقيلَ: من تحتِ أقدامِهم وقيلَ من منابتِ شعورِهم يُسمَعُ منْ كُلِّ شعرةٍ ولعلَّ ذلكَ في الإعادةِ مثلُ كُنْ في البدءِ.

﴿**يومَ يسمعونَ الصيحةَ**﴾ بدلٌ منْ (يومَ يُنادِي)... إلخ وهي النفخةُ الثانيةُ ﴿**بالحقِّ**﴾ متعلقٌ بالصيحةِ والعاملُ في الظرفِ ما يدلُّ عليهِ قولُه تعالَى: ﴿**ذلك يوم الخروج**﴾ أيْ يوم يسمعونَ الصيحةَ ملتبسةً بالحقِّ الَّذي هُوَ البعثُ يخرجونَ منَ القبورِ ﴿**إنا نحنُ نحيي ونميتُ**﴾ في الدُّنيا منْ غيرِ أنْ يشاركَنَا في ذلكَ أحدٌ ﴿**وإلينَا المصيرُ**﴾ للجزاءِ في الآخرةِ لا إلى غيرِنا لا استقلالًا ولا اشتراكًا ﴿**يومَ تشققُ الأرضُ عنهم**﴾ بحذفِ إحْدَى التاءينِ منْ تتشققُ وقرئ بتشديدِ[٤] الشينِ وتُشَقَّقُ[٥] عَلى البناءِ للمفعولِ

---

(١) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وحمزة، وشيبة، وأبو جعفر، وخلف، وابن محيصن، والأعمش، وابن عباس، وعيسى، وطلحة، وشبل.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٨)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٢٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٠)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٠)، والتيسير للداني ص (٢٠٢)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٧)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٨٥).

(٢) زاد في خ: تعالى. (٣) سقط في خ.

(٤) قرأ بها: نافع، وابن عامر، وابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٠)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٧٣)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣١، ٣٣٢)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٧٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٧)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٧)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

(٥) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٠).

من التفعيلِ وَتنشقُ[١] ﴿سراعًا﴾ مسرعينَ ﴿ذلكَ حشرٌ﴾ بعث وجمعٌ وسوقٌ ﴿علينا يسيرٌ﴾ أيْ هينٌ وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ لتخصيصِ اليُسْرِ بهِ تعالَى ﴿نحنُ أعلمُ بما يقولونَ﴾ مِنْ نفْي البعثِ وتكذيبِ الآياتِ الناطقةِ بهِ وغيرِ ذلكَ مما لا خيرَ فيهِ ﴿وما أنتَ عليهم بجبارٍ﴾ بمتسلطٍ تقسرهُم[٢] علَى الإيمانِ أو تفعلُ بهمُ ما تريدُ وإنما أنتَ مذكرٌ ﴿فذكر بالقرآنِ منْ يخافُ وعيد﴾ وأما مَنْ عداهُم فنحنُ نفعلُ بهمُ ما توجبُهُ أقوالُهم وتستدعيهِ أعمالُهم من ألوانِ العقابِ وفنونِ العذابِ.

عنِ النبيِّ عليهِ الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ قرأَ سورةَ ق هَوَّنَ الله عليهِ ثأراتِ الموتِ وسكراتِه**»[٣].

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٠).

(٢) في خ: لقسرهم.

(٣) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

سورة الذاريات

مكيةٌ، وآيُها ستونَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

﴿والذارياتِ ذَرْوًا﴾ أي الرياحِ التي تذرُو الترابَ وغيره وقرئ بإدغام[1] التاء في الذال **﴿فالحاملاتِ وقْرًا﴾** أي السحبِ الحاملةِ للمطرِ أو الرياحِ الحاملةِ للسحابِ وقرئ[2] وَقْرا على تسميةِ المحمولِ بالمصدرِ **﴿فالجارياتِ يُسرًا﴾** أي السفنِ الجاريةِ في البحرِ أو الرياحِ الجاريةِ في مهابِّها أوِ السحبِ الجاريةِ في الجوِّ بسوقِ الرياحِ أوِ الكواكبِ الجاريةِ فِي مجاريها ومنازِلها ويُسْرًا صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ أيْ جريًا ذَا يُسْرٍ

(١) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، ويعقوب، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٣)، والكشف للقيسي (١/ ١٥١)، والنشر لابن الجزري (١/ ٢٨٨، ٣٠٠).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٣).

﴿فالمقسماتِ أمْرًا﴾ أي الملائكةِ الَّتي تقسّمُ الأمورَ منَ الأمطارِ والأرزاقِ وغيرِها [أو][(١)] السحبِ التَّي يقسمُ الله تعالَى بَهَا أرزاقَ العبادِ وَقَدْ جُوِّزَ أنْ يرادَ بالكُلِّ الرياحُ تنزيلًا لاختلافِ العنوانِ منزلةِ اختلافِ الذاتِ فإنَّها كما تذرُو ما تذرُوه تثيرُ السحابَ وتحملُه وتجْري في الجوِّ جريًا سهلًا وتقسمُ الأمطارَ بتصريفِ السحابِ في الأقطارِ، فإنْ حُملت الأمورُ المقسمُ بها على ذواتٍ مختلفةٍ فالفاءُ لترتيبِ الإقسامِ باعتبارِ ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمالِ القدرةِ وإلَّا فهيَ لترتيبِ ما صدرَ عن الريحِ مِنَ الأفاعيلِ فإنَّها تذْرو الأبخرةَ إلى الجوِّ حتَّى تنعقدَ سحابًا فتجريَ بهِ باسطةً لهُ إلى ما أمرتْ بهِ فتقسمُ المطرَ وقولُه تعالى: ﴿إنما توعدونَ لصادقٌ * وإنَّ الدِّينَ لواقعٌ﴾ جوابٌ للقسم، وفي تخصيصِ الأمورِ المذكورةِ بالإقسامِ بَها رمزٌ إلى شهادتِها بتحققِ مضمونِ الجملةِ المقسم عليهَا منْ حيثُ إنَّها أمورٌ بديعةٌ مخالفةٌ لمقتضَى الطبيعةِ فمَنْ قدرَ عَلَيها فهُو قادرٌ عَلَى البعثِ الموعودِ، ومَا مَوْصُولةٌ أوْ مَصدريةٌ ووصفُ الوعدِ بالصدقِ كوصفِ العيشةِ بالرِّضَا وَالدِّينُ الجزاءُ ووقوعُه حصولُه ﴿والسماءِ ذاتِ الحبكِ﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ[(٢)] وقتادةُ وعكرمةُ ذاتُ الخَلْقِ المُستوِي وقالَ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ ذاتُ الزينةِ وقالَ مجاهدٌ هيَ المتقنةُ البنيانِ وقالَ مقاتلٌ والكلبيُّ والضَّحاكُ ذاتُ الطرائقِ والمرادُ إمَّا الطرائقُ المحسوسةُ التَّي هيَ مسيرُ الكواكبِ أوِ[(٣)] المعقولةُ التَّي يسلُكُها النظارُ أوِ النجومُ فإنَّ لهَا طرائقَ وعنِ الحسنِ حَبْكُها نُجُومُها[(٤)] حيثُ تزينُها كما تزينُ المُوشَّى طرائقُ الوَشْي. وهيَ إمَّا جمعُ حِبَاكٍ أو حَبِيكةٍ كَمِثَالٍ ومُثُلٍ وطَريقةٍ وطُرُق وقرئَ الحُبْكِ[(٥)] بوزنِ القُفْلِ والحِبْكِ[(٦)] بوزنِ السِّلْكِ والحَبَكِ[(٧)] كالجَبَلِ والحَبْكِ كالبَرقِ والحِبَكِ[(٨)] كالنِّعَمِ والحِبِكِ[(٩)] كالإِبِلِ.

---

(١) في خ: و.
(٢) زاد في خ: رضي الله عنهما.
(٣) في خ: و.
(٤) ذكره الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٩٠).
(٥) قرأ بها: أبو عمرو، وابن عباس، والحسن، وأبو مالك الغفاري، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وأبو السمال، ونعيم.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٦).
(٦) قرأ بها: أبو مالك الغفاري، والحسن، وأبو حيوة.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٦).
(٧) قرأ بها: ابن عباس، وأبو مالك الغفاري.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٦).
(٨) قرأ بها: الحسن، ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٣٢).
(٩) قرأ بها: أبو عمرو، والحسن، وأبو مالك الغفاري، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٩)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٢)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٦).

﴿إِنَّكُم لفي قَولٍ مختلفٍ﴾ أيْ متخالفٍ متناقض وهُوَ قولُهم في حقِّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ تارةً شاعرٌ وأُخرى ساحرٌ وأخرى مجنونٌ وفي شأنِ القرآنِ الكريم تارةً شعرٌ وأُخرى سحرٌ وأُخْرى أساطيرُ، وفي هَذا الجوابِ تأييدٌ لكونِ الحبكِ عبارةً عَنْ الاستواءِ كَما يلوحُ بهِ ما نُقلَ عنِ الضَّحاكِ مِنْ أنَّ قولَ الكفرةِ لا يكونُ مستويًا إنَّما هُو متناقضٌ مختلفٌ، وقيلَ: النكتةُ في هذا القسمِ تشبيهُ أقوالِهم في اختلافِها وتنافِي أغراضِها بطرائقِ السمواتِ في تباعدِها واختلافِ غاياتِها وليسَ بذاكَ. ﴿يُؤفكُ عَنْه منْ أفكَ﴾ أيْ يُصرفُ عنِ القرآنِ أو[1] الرسولِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ منْ صُرفَ إذْ لا صرفَ أفظعُ منْهُ وأشدُّ وقيلَ: يَصرفُ عَنْهُ منْ صُرفَ في علم الله تعالَى وقضائِه ويجوزُ أنْ يكونَ الضميرُ للقولِ المختلفِ عَلى مَعْنى يصدرُ إفكُ منْ أَفكَ عنْ ذلكَ القولِ وقرئَ مَنْ أفكَ[2] أيْ مَنْ أفكَ الناسَ وهُم قريشٌ حيثُ كانُوا يصدونَ الناسَ عنِ الإيمانِ.

﴿قتلَ الخراصونَ﴾ دعاءٌ عليهمْ كقولِه تعالَى: ﴿قُتلَ الإنسانُ مَا أكفَرَه﴾ [سورة عبس؛ الآية: ١٧] وأصلُه الدعاءُ بالقتلِ والهلاكِ ثمَّ جَرى مَجرى اللعنِ والخرَّاصُونَ الكذَّابُونَ المقدرونَ ما لا صحةَ لهُ وهُم أصحابُ القولِ المختلفِ كأنَّه قيلَ قُتِلَ هؤلاءِ الخرَّاصُونَ وقرئَ قَتَلَ[3] الخَرَّاصِينَ[4] أيْ قتلَ الله ﴿الذين هُمْ فِي غمرةٍ﴾ منَ الجهلِ والضَّلالِ ﴿ساهُون﴾ غافلونَ عَما أُمروا بهِ.

﴿يسألونَ أيان يومُ الدينِ﴾ أيْ مَتَى وقوعُ يوم الجزاءِ لكنْ لا بطريقِ الاستعلامِ حقيقةً بلْ بطريقِ الاستعجالِ استهزاءً وقرئَ[5] إِيَّانَ بكسرِ الهمزةِ ﴿يومَ هُم عَلى النارِ يفتنونَ﴾ جوابٌ للسؤالِ أيْ يقعُ يوم هُم عَلى النارِ يحرقونَ ويعذبونَ ويجوزُ أنْ يكونَ يومَ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ أيْ هُوَ يومَ هم. . .إلخ والفتحُ لإضافتِه إلى غيرِ متمكنٍ ويؤيدُه أنَّه قرئَ[6] بالرفع ﴿ذوقُوا فتنتَكم﴾ أيْ مقولًا لهمُ هَذا القولُ وَقولُه تعالَى ﴿هَذا الذي كُنتم بهِ تَستعجلونَ﴾ جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ داخلةٌ تحتَ القولِ المضمرِ أيْ هذَا ما

---

(١) في خ: أو عن.
(٢) قرأ بها: قتادة، ينظر: مختصر شواذ القراءات ص (١٤٥).
(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ١٥).
(٤) في خ: الخراصون.
(٥) قرأ بها: المطوعي، وأبو عبد الرحمن السلمي.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٥).
(٦) قرأ بها: ابن أبي عبلة، والزعفراني.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨).

كنتُم تستعجلونَ بهِ بطريقِ الاستهزاءِ ويجوزُ أنْ يكونَ هَذا بدلًا منْ فتنتِكم بتأويل العذابِ والذي صفتُه.

المتقون وجزاؤهم

﴿إنَّ المتقينَ في جَنَّاتٍ وعيونٍ﴾ لا يبلُغ كُنهُها ولاَ يُقادرُ قَدْرُهَا ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ أي قابلينَ لما أعطاهُم راضينَ بهِ عَلَى مَعْنى أنَّ كُلَّ ما آتاهُم حسنٌ مَرضيٌّ يُتلقى بحسنِ القبولِ ﴿إنَّهم كانُوا قبلَ ذلكَ﴾ في الدُّنيا ﴿محسنينَ﴾ أيْ لأعمالِهم الصالحةِ آتينَ[1] بَها عَلى ما ينبغي فلذلكَ نالُوا ما [نالُوا][2] منَ الفوزِ العظيمِ ومَعْنى الإحسانِ بالإجمالِ ما أشارَ[3] إليهِ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بقولِه: «أنْ تعبدَ الله كأنَّكَ تراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراكَ»[4] وقَدْ فُسِّر بقولِه تعالَى: ﴿كانُوا قليلًا منَ الليلِ ما يهجعُونَ﴾ أيْ كانُوا يهجعونَ في طائفةٍ قليلةٍ منَ الليلِ على أنَّ قليلًا ظرفٌ أوْ كانُوا يهجعونَ هجوعًا قليلًا على أنَّه صفةٌ للمصدرِ[5] ومَا مزيدةٌ في الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلًا على الفاعلية أيْ كانُوا قليلًا منَ الليلِ هجوعهم أوْ مَا يهجعونَ فيهِ، وفيهِ مبالغاتٌ في تقليلِ نومِهم واستراحتِهم ذكرُ القليلِ والليلِ الذي هُوَ وقت الراحةِ والهجوعِ الذي هُو الغرارُ منَ النوم وزيادةُ مَا، ولا مساغَ لجعلِ ما نافيةً عَلى مَعْنى أنهُم لا يهجعونَ منَ الليلِ قليلًا بل يُحْيونَهُ كُلَّه لَما أنَّ مَا النافيةَ لا يعملُ ما بعدَهَا فيمَا قَبْلَها ﴿وَبالأسحارِ هُم يستغفرونَ﴾ أيْ هُم مع قلةِ هجوعِهم وكثرةِ تهجدِهمْ يداومونَ على الاستغفارِ في الأسحارِ كأنَّهم أسلفُوا ليلَهُم باقترافِ الجرائم، وفي بناءِ الفعلِ على الضميرِ إشعارٌ بأنَّهُم الأحقاءُ بأنْ يوصفُوا بالاستغفارِ كأنَّهم المختصونَ بِهِ لاستدامتِهم لهُ وإطنابِهم فيهِ.

﴿وفِي أموالِهم حَقٌّ﴾ أيْ نصيبٌ وافرٌ يستوجبونَهُ على أنفسِهم تقربًا إلى الله تعالى وإشفاقًا على النَّاسِ ﴿للسائلِ والمحروم﴾ للمستجدِي والمتعففِ الَّذي يحسبُهُ النَّاسُ غنيًّا فيحرمُ الصدقة ﴿وفي الأرضِ آياتٌ للموقنينَ﴾ أيْ دلائلُ واضحةٌ عَلى شؤونِه تعالَى عَلَى التفصيلِ منْ حيثُ إنَّها مدحوةٌ كالبساطِ الممهدِ[6] وفَيها مسالكُ وفجاجٌ للمتقلبينَ في أقطارِها والسالكينَ في مناكِبها وفَيها سهلٌ وجبلٌ وبرٌّ وبحر وقطعٌ متجاوراتٌ وعيونٌ متفجرةٌ ومعادنُ مفتنةٌ وأنها تلقحُ بألوانِ النباتِ وأنواع الأشجارِ وأصنافِ الثمارِ المختلفةِ الألوانِ والطعومِ والروائحِ وفيها دوابُّ مُنبثةٌ قد رتبَ كلَّها ودبَّرَ لمنافعِ ساكنِيها ومصالحِهم فِي صحتِهم واعتلالِهم.

---

(١) في خ: آيسين. (٢) في ط: بالوا. (٣) في خ: أشير.
(٤) تقدم تخريجه. (٥) في خ: بمصدر. (٦) في خ: عتد.

﴿وفي أنفسِكم﴾ أي وفي أنفسكم آياتٌ إذ ليسَ في العالمِ شيءٌ إلا وفي الأنفسِ له نظيرٌ يدلُّ دَلالَته على ما انفردَ بهِ من الهيئاتِ النَّافعةِ والمَناظرِ البهيةِ والتركيباتِ العجيبةِ والتمكنِ[١] من الأفعالِ البديعةِ واستنباطِ الصنائعِ المختلفةِ واستجماعِ الكمالاتِ المتنوعةِ ﴿أفلا تبصرونَ﴾ ألا تنظرونَ فلا تبصرونَ بعينِ البصيرةِ.

﴿وفي السماءِ رزقُكُم﴾ أيْ أسبابُ رزقكم أو تقديرُه وقيلَ: المرادُ بالسماءِ السحبُ وبالرزقِ المطرُ فإنَّه سببُ الأقواتِ ﴿وما توعدونَ﴾ منَ الثوابِ لأَنَّ الجنةَ في السماءِ السابعةِ أو لأنَّ الأعمالَ وثوابَها مكتوبةٌ مقدرةٌ في السماءِ وقيلَ: إنَّهُ مبتدأ خبرُهُ قولُه تعالَى: ﴿فوربِّ السماءِ والأرضِ إنَّه لحقٌّ﴾ عَلى أنَّ الضميرَ لَما وأمَّا عَلى الأولِ فإمَّا له وإمّا لما ذكرَ منْ أمر الآياتِ والرزقِ عَلى أنَّه مستعارٌ لاسم الإشارةِ ﴿مثلَ ما أنَّكُم تنطقونَ﴾ أيْ كَما أنَّه لا شكَّ لكُم فِي أنكُم تنطقونَ ينبغِي ألَا تشكُّوا في حقِّيتهِ ونصبُه عَلى الحاليةِ من المستكنِ في لحقٌّ[٢] أو عَلَى [أنَّه وصفٌ لمصدر محذوفٍ أيْ: إنَّه][٣] لحقٌّ حقًّا مثلَ نطقِكم وقيلَ: إنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لإضافتِه إلى غيرِ متمكنٍ وهُوَ مَا إنْ كانتْ عبارةً [عنْ شيءٍ][٤] وأن بما في حيزها إن جُعلت زائدة. ومحلُّه الرفعُ على أنه صفةٌ لحقٌّ ويؤيده القراءةُ بالرفع[٥].

﴿هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيمَ﴾ تفخيمٌ لشأنِ الحديثِ وتنبيهٌ على أَنَّهُ ليسَ مما علِمهُ رسولُ الله ﷺ بغيرِ طريقِ الوحي، والضيفُ في الأصلِ مصدرُ ضافهُ ولذلكَ يطلقُ عَلى الواحدِ والجماعةِ كالزَّورِ والصَّوْم وكانُوا اثني عشرَ ملَكًا وقيلَ: تسعة عاشرُهم جبريلُ وقيلَ ثلاثةٌ جبريلُ وميكائيلُ وملكٌ آخرُ معهمَا عليهمْ السَّلامُ وتسميتُهم ضيفًا لأنَّهم كانُوا في صورةِ الضَّيفِ حيثُ أضافَهُم إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ أو لأنهمُ كانوا في حسابِه كذلكَ ﴿المكرمينَ﴾ أي المكرمينَ عندَ الله تعالَى أو عندَ إبراهيمَ حيثُ خدمَهُم بنفسِه وبزوجتِه ﴿إذْ دخلُوا عليهِ﴾ ظرفٌ للحديثِ أو لما في الضيفِ منْ مَعْنى الفعلِ أو المكرمينَ إنْ فسِّر بإكرامِ إبراهيمَ ﴿فقالُوا سلامًا﴾ أي نسلم عليكَ سلامًا ﴿قال﴾ أيْ إبراهيمُ ﴿سلامٌ﴾ أيْ عليكُم سلامٌ، عُدِلَ بهِ إلى الرفعِ بالابتداءِ للقصدِ إلى الثباتِ

---

(١) في خ: التمكين. (٢) في خ: الحق.
(٣) سقط في خ. (٤) سقط في خ.
(٥) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وعاصم، والأعمش، وشعبة، وخلف، وابن أبي إسحاق، والحسن.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٩)، ص (٣٩٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٣٥)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣١)، والبحر المحيط (٨/ ١٣٦)، والتيسير للداني ص (٢٠٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨).

والدوام حتَّى تكونَ تحيتُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أحسنَ منْ تحيتهم وقُرئًا مرفوعينَ[١] وقرئ سِلْمٌ[٢] وقرئ منصوبًا[٣] والمعنى واحدٌ ﴿قوم منكرونَ﴾ أنكرهُمْ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ للسلام الَّذي هو عَلَمٌ للإسلام أو لأنَّهم ليسُوا ممنْ عهدَهُم منَ النَّاسِ أو لأنَّ أوضاعَهُم وأشكالَهمُ خلافُ ما عليه النَّاسُ[٤] ولعلَّه [عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ][٥] إنَّما قالَهُ في نفسهِ من غير أنْ يشعرَهُم بذلكَ لا أنَّه خاطبُهم بهِ جَهْرًا أو سألهم أنْ يعرِّفوُه أنفسَهُم كَما قيلَ وإلاَّ لكشفُوا أحوالَهُم عندَ ذلكَ وَلَمْ يتصدَّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لمقدماتِ الضيافةِ ﴿فراغَ إلى أهلِه﴾ أيْ ذهبَ إليهمْ عَلى خُفيةٍ منْ ضيفِه فإنَّ منْ أدبِ المضيفِ أنْ يبادرهُ بالقِرى ويبادرَ بهِ حذارًا مِنْ يكفه ويعذرهُ أو يصير مُنْتَظِرًا والفاءُ في قولِه تعالَى: ﴿فجاءَ بعجلٍ سمينٍ﴾ فصيحةٌ مفصحةٌ عنْ جُمَلٍ قَدْ حُذفتْ ثقةً بدلالةِ الحالِ عَلَيْها وإيذانًا بكمالِ سرعةِ المجيء بالطعام [كما][٦] في قولِه تعالَى: ﴿أن اضربْ بعصاكَ البحرَ فانفلقَ﴾ [سورة الشعراء؛ الآية: ٦٣] أيْ فذبحَ عجلًا فحنذَهُ فجاءَ بِهِ ﴿فقرَّبهُ إليهمْ﴾ بأنْ وضعَهُ لديهم حسَبما هُو المعتادُ ﴿قالَ ألاَ تأكلونَ﴾ إنْكارًا لعدم تعرضِهم للأكلِ ﴿فأوجسَ منْهمُ﴾ أضمرَ في نفسِه ﴿خيفةً﴾ لتوهم أنَّهم جاءُوا للشرِّ وقيلَ وقعَ في قلبِه أنَّهم ملائكةٌ جاءوا للعذابِ ﴿قَالُوا لا تخفْ﴾ قيلَ مسحَ جبريلُ عليهِ السلامُ العجلَ بجناحِه فقامَ يدرُجُ حتَّى لحقَ بأُمِّهِ فعرفَهُم وأمِنَ منهُم ﴿وبَشَّروه﴾ وفي سورةِ الصافاتِ وبشرناهُ أيْ بواسطتِهم ﴿بغلام﴾ هو إسحاقُ عليهِ السَّلامُ ﴿عليم﴾عند بلوغِه واستوائِه ﴿فأقبلتِ امرأتُه﴾ سارةُ لمَّا سمعتْ بشارتَهمُ إلى بيتِها وكانتْ في زاويةٍ تنظرُ إليهمْ ﴿في صَرَّةٍ﴾ في صيحةٍ من الصريرِ، ومحلُّه النَّصبُ عَلى الحاليّةِ أو المفعوليةِ إنْ جُعلَ أقبلتْ بمَعْنى أخذتْ كما يقالُ أقبلَ يشتمنِي[٧] ﴿فصكَّتْ وجهَها﴾ أيْ لطمتْهُ منَ الحياءِ لما أنَّها وجدتْ حرارةَ دم الطمثِ وقيلَ ضربتْ بأطرافِ أصابعِها جبينَها كما يفعلُه المتعجب ﴿وقالتْ عجوزٌ عقيمٌ﴾ أيْ أنَا عجوزٌ عاقرٌ فكيفَ ألدُ.

﴿قالُوا كذلكِ﴾ مثلَ ذلكَ القولِ الكريم ﴿قالَ رَبُّكِ﴾ وَإنَّما نحنُ معبرونَ نخبركِ بهِ عنْهُ تعالَى لاَ أنَّا نقولُه منْ تلِقاءِ أنفسِنا ﴿إنَّهَ هُو الحكيمُ العليمُ﴾ فيكونُ قولُه حقًا وفعلُه

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧).
(٢) قرأ بها: حمزة، والكسائي، وابن وثاب، والنخعي، وابن جبير، وطلحة.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٩٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٣٧).
(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٣٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ١٧).
(٤) في خ: السلام.
(٥) سقط في خ.
(٦) سقط في ط.
(٧) في خ: يتيمني.

متقنًا لا محالةَ. رُوِيَ أنَّ جبريلَ عليهِ السَّلامُ قالَ لهَا انْظُري إلى سقفِ بيتك[١] فنظرتْ فإذَا جذوعُه مورقةٌ مثمرةٌ، ولَمْ تكُنْ هذهِ المفاوضةُ معَ سارةَ فقطْ بلْ معَ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ أيْضًا حسبَما شُرحَ في سورةِ الحِجْرِ وإنَّما لَمْ يُذكرْ هاهنا اكتفاءً بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاءً بما ذكر هاهنا وفي سورةِ هودٍ.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ الْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿**قال**﴾ أيْ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ لَمَّا علَم أنَّهم ملائكةٌ أُرسلوا لأمرٍ[٢] ﴿**فَمَا خطْبُكم**﴾ أيْ شأنُكم الخطيرُ الذي لأَجْلِه أرسلتُم سوى البشارةِ ﴿**أيها المرسلونَ قالُوا إنَّا أرسلنَا إلى قومٍ مجرمينَ**﴾ يعنون قومَ لوطٍ ﴿**لنرسلَ عليهمْ**﴾ أيْ بعدَ ما قلبنَا قُراهُمْ وجعلنَا عاليَها سافلَها حسبَما فُصِّلَ في سائرِ السورِ الكريمةِ ﴿**حجَارةً مِنْ طينٍ**﴾ [أيْ طينٍ متحجرٍ][٣] هُوَ السجيلُ ﴿**مسومةً**﴾ مُرسلةً منْ أسمتُ الماشيةَ أيْ أرسلتُها، أو معلمةً منَ السُّومةِ وهيَ العلامةُ وقدْ مَرَّ تفصيلُه في سورةِ هُودٍ ﴿**عندَ ربِّكَ للمسرفينَ**﴾ المجاوزينَ الحدَّ في الفُجورِ وقولُه تعالَى ﴿**فأخرجنَا**﴾... إلخ حكايةٌ منْ

---

(١) في ط: بنيتك. (٢) زاد في خ: أيضًا. (٣) في خ: متحجرة.

جهتِه تعالَى لِمَا جَرى عَلى قومِ لُوطٍ عليهِ السَّلامُ بطريقِ الإجْمَالِ بعدَ حكايةِ ما جَرَى بينَ الملائكةِ وبينَ إبراهيمَ [عَليهِ السَّلامُ](١) من الكلامِ والفاءُ فصيحةٌ مفصحةٌ عنْ جُملٍ قدْ حُذفتْ ثقةً بذكرِها في مواضعَ أُخرَ كأنَّه قيلَ فَباشرُوا مَا أُمروا بهِ فأخرجنَا بقولِنَا فأسرِ بأهلِكَ. . .إلخ ﴿منْ كانَ فيهَا﴾ أيْ في قُرى قومِ لُوطٍ وإضمارُهَا بغيرِ ذكرٍ لشهرتِها ﴿منَ المُؤمنينَ﴾ ممنْ آمنَ بلوطٍ ﴿فَمَا وجدنَا فيهَا غيرَ بيتٍ﴾ أيْ غيرَ أهْلِ بيتٍ ﴿منَ المسلمينَ﴾ قيلَ هُم لوطٌ وابنتاهُ وقيلَ كانَ لوطٌ وأهلُ بيتِه الذينَ نجَوا ثلاثةَ عشرَ ﴿وتركنا فيهَا﴾ أيْ في القريةِ ﴿آيةً﴾ أيْ علامةً دالةً على ما أصابهُم من العذابِ قيلَ هيَ تلكَ الأحجارُ أوْ صخرٌ منضودٌ فيهَا أَوْ ماءٌ منتنٌ ﴿للذينَ يخافُون العذابَ الأليمَ﴾ أيْ مِنْ شأنِهم أنْ يخافُوه لسلامةِ فطرتِهم ورقةِ قلوبِهم دونَ مَنْ عَداهُم منْ ذَوي القلوبِ القاسيةِ فإنَّهم لا يعتدونَ بهَا وَلاَ يعدونها آيةً ﴿وفي مُوسى﴾ عطفٌ عَلى قولِه تعالَى وفي الأرضِ أو عَلى قولِه تعالَى وتركنَا فيهَا آيةً عَلى مَعْنى وجعلنَا في مُوسى آيةً كقولِ منْ قالَ: [الرجز]

علفتُها تبنًا وماءً باردًا(٢)

﴿إذْ أَرْسلناهُ﴾ قيلَ هُو منصوبٌ بآيةً وَقيلَ بمحذوفٍ أيْ كائنةً وقتَ إرسالِنا وقيلَ بتركْنا ﴿إلى فرعونَ بسلطانٍ مبينٍ﴾ هُو ما ظهرَ عَلى يديهِ منْ المعجزاتِ الباهرةِ ﴿فتولَّى بركنِه﴾ أيْ فأعرضَ عنِ الإيمانِ بهِ وازورّ كقولِه تعالَى: ﴿ونأَى بجانبِه﴾ [سورة الإسراء؛ الآية: ٨٣ وسورة فصلت؛ الآية: ٥١] وقيلَ فتولَّى بما يتقوَّى بهِ منْ مُلْكِه وَعساكِره فإنَّ الركنَ اسمٌ لمَا يركنُ إليهِ الشيءُ وقرىء برُكُنِهِ بضمِّ الكافِ ﴿وقالَ ساحرٌ﴾ أيْ هُو ساحرٌ ﴿أوْ مجنونٌ﴾ كأنَّه نسبَ ما ظهرَ على يديهِ [عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ](٣) من الخوارقِ العجيبةِ إلى الجنِّ وترددَ في أنَّه حصل باختيارِه وسعيِه أو بغيرِهما.

﴿فأخذناهُ وجنودَهُ فنبذناهُمْ في اليمِّ﴾ وفيهِ منَ الدلالةِ عَلى غايةِ عظمِ شأنِ القدرةِ الربانيةِ ونهايةِ قماءةِ فرعونَ وقومِه مَا لاَ يَخْفى ﴿وهوَ مُليم﴾ أيْ آتٍ بما يلامُ عليه منَ الكفرِ والطغيانِ والجملةُ حالٌ منَ الضميرِ في فأخذنَاهُ ﴿وفي عادٍ إذْ أرسلنَا عليهم الريحَ العقيمَ﴾ وصفتْ بالعُقم لأنها أهلكتهم وقطعتْ [دابرَهم](٤) أوْ لأنَّها لم تتضمنْ خيرًا ما منْ إنشاءِ مطرٍ أو إلقاحِ شجرٍ وهي النكباءُ أو الدبُورُ أو الجنوبُ ﴿ما تذرُ منْ شيءٍ أتتْ عليهِ﴾ أيْ جرتْ عَليهِ ﴿إلا جعلته كَالرَّميم﴾ هو كُلُّ ما رَمَّ وَبليَ وتفتت منْ عظمٍ أو نباتٍ أو غيرِ ذلكَ ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ وهُو قولُه

---

(١) سقط في خ.
(٢) تقدم.
(٣) سقط في خ.
(٤) سقط في خ.

تعالَى ﴿تمتعُوا في دارِكم ثلاثةَ أيام﴾ قيلَ قالَ لهُم صالحٌ عليهِ السَّلامُ تصبحُ وجوهُكُم غدًا مصفرةً وبعدَ غدٍ محمرةً واليومَ الثالثَ مسودةً [ثمَّ يصبحكُم][1] العذابُ ﴿فعتوا عنْ أمرِ ربِّهم﴾ أي فاستكبرُوا عن الامتثالِ بهِ ﴿فأخذتهمُ الصاعقةُ﴾ قيلَ لمَّا رأَوا العلاماتِ التي بيَّنها صالحٌ عليهِ السَّلامُ منَ اصفرارِ وجوهِهم واحمرارِها واسودادِها عمدُوا إلى قتلِه عليهِ السَّلامُ فنجاهُ الله تعالَى إلى أرضِ فلسطينَ، ولمَّا كانَ ضحوةُ اليوم الرابعِ تحنطُوا وتكفنُوا بالأنطاعِ فأتتهُم الصيحةُ فهلكُوا وقرئَ الصَّعقةُ[2] وهيَ المرةُ منَ الصَّعْقِ ﴿وَهُم ينظرونَ﴾ إليهَا ويعاينونَها ﴿فما استطاعُوا منْ قيام﴾ كقولِه تعالَى: ﴿فأصبحُوا في دارِهم جاثمينَ﴾ [سورة الأعراف؛ الآية: ٧٨، وسورة العنكبوت؛ الآية: ٣٧] ﴿وما كانُوا منتصرينَ﴾ بغيرِهم كَما لم يمتنعُوا بأنفسِهم.

﴿وَقومَ نوحٍ﴾ أيْ وأهلكنَا قومَ نوحٍ فإنَّ ما قبلَهُ يدلُّ عليه أَوْ[3] وَاذكُرْ ويجوزُ أنْ يكونَ معطوفًا علَى محلٍ في عادٍ ويؤيدُه القراءةُ بالجرِّ[4] وقيلَ هُو معطوفٌ عَلَى مفعولِ فأخذنَاهُ ﴿مِنْ قبلُ﴾ أيْ منْ قبلِ هؤلاءِ المُهلَكين، ﴿إنَّهم كانُوا قومًا فاسقينَ﴾ خارجينَ عنِ الحدودِ فيمَا كانُوا فيهِ من[5] الكفرِ وَالمعاصِي ﴿والسماءَ بنيناهَا بأيدٍ﴾ أيْ بقوةٍ ﴿وإنَّا لموسعونَ﴾ لقادرونَ منَ الوسعِ بمَعْنى الطاقةِ والموسعُ القادرُ عَلى الإنفاقِ أوْ لموسعونَ السماءَ أو ما بينَها وَبينَ الأرضِ أو الرزقِ ﴿والأرضَ فرشناهَا﴾ مهدناهَا وبسطناهَا ليستقروا علَيها ﴿فنعم الماهدونَ﴾ أيْ نحنُ ﴿وَمنْ كُلِّ شيءٍ﴾ أيْ منَ الأجناسِ ﴿خلقنا زوجينِ﴾ أيْ نوعينِ ذكرًا وأُنثى، وقيلَ متقابلينَ: السماءَ والأرضَ والليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والبرَّ والبحرَ ونحوَ ذلكَ ﴿لعلكم تذكرونَ﴾ أي فعلنَا

---

(١) في خ: يصيبكم.
(٢) قرأ بها: الكسائي، والحسن، وعثمان، وابن محيصن، وعمر بن الخطاب، وزيد بن علي، وحميد، ومجاهد.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٣٩٩)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٤١، ٢٤٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٤١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٨٩)، والتيسير للداني ص (٢٠٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨).
(٣) في خ: أي.
(٤) قرأ بها: أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، واليزيدي، والحسن، والأعمش، وابن محيصن، وعبد الله.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٤٢)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣١)، والتبيان للطوسي (٩/ ٣٩٢)، والتيسير للداني ص (٢٠٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦٠٩)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨).
(٥) في خ: في.

ذلكَ كُلَّه كي تتذكُروا فتعرفُوا أنَّه خالقُ الكُلِّ ورازقُه وأنَّه المستحقُّ للعبادةِ وأنَّه قادرٌ عَلى إعادةِ الجميعِ فتعملُوا بمقتضاهُ وقولُه تعالَى: ﴿ففروا إلى الله﴾ مقدرٌ لقولٍ خُوطبَ بهِ النبيُّ ﷺ بطريقِ التلوينِ. والفاءُ إما لترتيبِ الأمرِ عَلى ما حُكيَ من إثارةِ غضبه الموجبةِ للفرارِ منْهَا ومنْ أحكامِ رحمتِه المستدعيةِ للفرارِ إليهَا، كأنَّه قيلَ قُلْ لَهُم إذَا كانَ الأمرُ كذلكَ فاهربُوا إلى الله تعالى الَّذي هذِه شؤونُه بالإيمانِ والطاعةِ كيْ تنجوا من عقابهِ وتفوزُوا بثوابِه، وَإمَّا للعطفِ عَلى جُملةٍ مقدرةٍ مترتبةٍ عَلى قولِه تعالَى لعلَّكُم تذكرونَ كأنَّه قيلَ قُلْ لَهُم فتذكُروا ففرُّوا إلى الله تعالى . . . إلخ، وقولُه تعالَى: ﴿إني لكُم منْهُ نذيرٌ مبينٌ﴾ تعليلٌ للأمرِ بالفرارِ إليهِ تعالَى [أو لوجوبِ الامتثالِ بهِ فإنَّ كونَهُ عليهِ الصَّلاةُ وَ السَّلامُ مُنذِرًا منهُ تعالَى موجبٌ عليهِ عليهِ الصَّلاة والسَّلامُ أنْ يأمرَهُم بالفرارِ إليهِ](١) وعليهِمْ أنْ يمتثلُوا بهِ أي إنِّي لكُم منَ جهتِه تعالَى [منذرٌ بين كونه منذرًا منْهُ تعالَى أو](٢) مظهرٌ لما يجبُ إظهارُهُ منَ العذابِ المنذَرِ [بهِ، وفي أمرِه](٣) تعالَى للرسولِ ﷺ بأنْ يأمرَهُم بالهربِ إليهِ تعالَى منْ عقابِه وتعليلِه بأنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ينذرُهم منْ جهتِه تعالَى لا منْ تلقاءِ نفسِه. وعدٌ كريمٌ بنجاتِهم من المهروبِ وفوزِهم بالمطلوبِ وقولُه تعالَى: ﴿ولا تجعلُوا معَ الله إلهًا آخرَ﴾ نهيٌ موجبٌ للفرارِ منْ سببِ العقابِ بعدَ الأمرِ بالفرارِ منْ نفسِه كمَا يشعرُ بهِ قولُه تعالَى: ﴿إنِّي لكُم منْهُ﴾ أيْ منَ الجعلِ المنهيِّ عنْهُ ﴿نذيرٌ مبينٌ﴾ فإنَّ تعلقَ كلمةِ منْ بالإنذارِ معَ كونِ صلته الباءَ بتضمينِه معنَى الإفرارِ يقالُ فَرَّ منْهُ أيْ هربَ وأفرَّه غيرُهُ كأنَّه قيلَ وفِرُّوا منْ أنْ تجعلُوا معَهُ تعالَى اعتقادًا أَو قولًا إلهًا آخر وفيهِ تأكيدٌ لما قبلَهُ منَ الأمرِ بالفرارِ من العقابِ إليهِ تعالَى لكنْ لا بطريقِ التكريرِ كمَا قيلَ بَلْ بالنهي عنْ سببهِ وإيجابِ الفرارِ منْهُ(٤).

﴿كذلكَ﴾ أي الأمرُ مثلَ ما ذكرَ منْ تكذيبِهم الرسولَ وتسميتِهم لَهُ ساحِرًا أو مَجْنونًا، وقولُه تعالَى: ﴿ما أتَى الذينَ منْ قبلِهم﴾ . . . إلخ تفسيرٌ لهُ أيْ ما أتَاهُم ﴿منْ رسولٍ﴾ مِنْ رسلِ الله ﴿إلَّا قالُوا﴾ في حَقِّه ﴿ساحرٌ أَوْ مجنونٌ﴾ ولا سبيلَ إِلى انتصابِ الكافِ بأَتَى لامتناعِ عملِ مَا بعدَ (مَا) النافيةِ فيمَا قبلَها.

﴿أتواصوا بهِ﴾ إنْكارٌ وتعجيبٌ منْ حالِهم وإجماعِهم عَلى تلكَ الكلمةِ الشنيعةِ التي لاَ تكادُ تخطرُ ببالِ أحدٍ من العقلاءِ فضلًا عن التفوهِ بهَا أيْ أَأَوْصَى بهذَا القولِ بعضُهم بعضًا حتَّى اتفقُوا عليهِ.

وقولُه تعالَى: ﴿بلْ هُم قومٌ طاغونَ﴾ إضرابٌ عنْ كونِ مدارِ اتفاقِهم عَلى الشرِّ

---

(١) سقط في خ.
(٢) سقط في خ.
(٣) في خ: في قوله.
(٤) في خ: عنه.

تواصيهم بذلكَ وإثباتٌ لكونِه أمرًا أقبحَ منَ التَّواصِي وأشنعَ منْهُ منَ الطغيانِ الشاملِ للكُلِّ الدالِّ عَلى أنَّ صدورَ تلكَ الكلمةِ الشنيعةِ عنْ كُلِّ واحدٍ منْهُم بمقتضَى جبلَّتِه الخبيثةِ لا بموجبِ وصية منْ قبلهم بذلكَ منْ غيرِ أنْ يكونَ ذلكَ مُقْتضى[1] طباعِهم ﴿فتولَّ عنهُم﴾ فأعرضْ عنْ جدالِهم فقدْ كررتَ عليهِم الدعوةَ فأبَوا إلا الإباءَ ﴿فمَا أنتَ بملومٍ﴾ عَلى التولِّي بعدَ مَا بذلتَ المجهودَ وجاوزتَ في الإبلاغِ كُلَّ حدٍّ معهودٍ.

﴿وَذَكِّرْ﴾ أي: افعلْ التذكيرَ والموعظةَ ولا تدعهما بالمرةِ أو فذكرهُم وَقدْ حُذِفَ[2] الضَّميرُ لظهورِ[3] الأَمْرِ ﴿فإنَّ الذِّكْرَى تَنْفعُ المؤمنينَ﴾ أي الذينَ قدرَ الله تعالَى إيمانَهُم أوِ الذينَ آمنُوا بالفعلِ فإنَّها تزيدُهم بصيرةً وقوةً في اليقينِ ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدونَ﴾ استئنافٌ مؤكدٌ للأمرِ مقررٌ لمضمونِ تعليلِهِ فإنَّ كونَ خَلقِهم مُغيًا بعبادتِه تعالَى ممَّا يدعُوه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى تذكيرِهم ويوجبُ عليهمْ التذكرَ والاتعاظَ، ولعلَّ تقديمَ خلقِ الجَنِّ في الذكرِ لتقدمهِ على خَلْق الإنسِ في الوجودِ ومَعْنى خلقِهم لعبادتِه تعالَى خلقُهم مستعدينَ لَها ومتمكنينَ منْها أتمَّ استعدادٍ وأكملَ تمكنٍ معَ كونِها مطلُوبةً مِنهُمْ بتنزيلِ ترتبِ الغايةِ عَلى مَا هيَ ثمرةٌ لَهُ منزلةَ ترتبِّ الغرضِ عَلى ما هُو غرضٌ لَهُ فإنَّ استتباعَ أفعالِه تعالَى لغاياتٍ جليلةٍ ممَّا لاَ نزاعَ فيهِ قطعًا، كيفَ لاَ وهيَ رحمةٌ منْهُ تعالَى وتفضلٌ عَلى عبادِه وإنَّما الذي لا يليقُ بجنابهِ عَزَّ وجَلَّ تعليلُها بالغرضِ بمَعْنى الباعثِ عَلى الفِعْل بحيثُ لولاَهُ لم يفعلْهُ لإفضائِه إلى استكمالِه بفعلِه وهُوَ الكاملُ بالفعلِ منْ كُلِّ وجهٍ، وأمَّا بمَعْنى نهاية كمالية يُفْضِي إليهَا فعلُ الفاعلِ الحقِّ فغيرُ منفيٍّ من أفعالِه تعالَى بل كُلُّها جاريةٌ عَلى ذلكَ المنهاجِ، وعَلى هَذا الاعتبارِ يدورُ وصفُه تعالَى بالحكمةِ ويكفي في تحققِ مَعْنى التعليلِ - عَلى ما يقولُه الفقهاءُ ويتعارفُه أهلُ اللغة - هَذا المقدارُ وبِه يتحققُ مدلولُ اللامِ وأما إرادةُ الفاعلِ لَها فليستْ من مقتضياتِ اللامِ حَتَّى يلزمَ منْ عدمِ صدورِ العبادةِ عنِ البعضِ تخلفُ المرادِ عن الإرادةِ فإنْ تعوقَ البعضِ عنِ الوصولِ إلَى الغايةِ معَ تعاضدِ المبادي وتآخذِ المقدماتِ الموصلةِ إليهَا لا يمنعُ كونَها غايةً كمَا في قولِه تعالَى: ﴿كتابٌ أنزلنَاهُ إليكَ لتخرجَ الناسَ منَ الظُّلماتِ إلى النورِ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ١] ونظائِره، وقيلَ المَعْنى إلا ليؤمُروا بعبادتِي كما في قولِه تعالَى: ﴿وَمَا أمروا إلَّا ليعبدُوا إلهًا واحدًا﴾ [سورة التوبة، الآية ٣١] وقيلَ: المرادُ سعداءُ الجنسينِ كما أنَّ المرادَ بقولِه تعالَى: ﴿ولقدْ ذرأنا لجهنَم كثيرًا منَ الجنِّ والإنسِ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٧٩]

---

(١) في خ: تقتضي. (٢) زاد في خ: لأمر. (٣) في خ: بظهور.

أشقياؤُهما ويعضُده قراءةُ مَنْ قرأَ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ[(١)] منَ المؤمنينَ وقال مجاهد واختارَهُ البغويُّ معناهُ إلا ليعرفونِ ومدارُه قولُه ﷺ فيمَا يحكيهِ عنْ رَبِّ العزةِ: «**كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببتُ أنْ أعرفَ فخلقتُ الخلقَ لأعرفَ**»[(٢)] ولعلَّ السرَّ في التعبيرِ عنِ المعرفةِ بالعبادةِ عَلى طريقِ إطلاقِ اسم السببِ عَلى المسببِ التنبيهُ عَلى أنَّ المعتبرَ هيَ المعرفةُ الحاصلةُ بعبادتِه تعالَى لَا ما يحصلُ بغيرِها كمعرفةِ الفلاسفةِ. ﴿**ما أريدُ منهمْ منْ رزقٍ وما أريدُ أنْ يطعمونَ**﴾ [بيانٌ][(٣)] لكَونِ شأنِه تعالَى معَ عبادِه متُعاليًا عنْ أنْ يكونَ كشأنِ السَّادةِ معَ عبيدِهم حيثُ يملكونَهُم ليستعينُوا بهمْ في تحصيلِ معايشِهم وتهيئةِ أرزاقِهم أيْ ما أريدُ أنْ أصرفَهُم في تحصيلِ رزْقي ولا رِزْقِهم بلْ أتفضلُ[(٤)] عليهمْ برزقِهم وبَما[(٥)] يصلحُهم ويعيِّشهم منْ عندِي فليشتغلُوا[(٦)] بمَا خُلِقوا لَهُ منْ عِبادِتي ﴿**إنَّ اللهَ هُو الرزاقُ**﴾ الذي يرزقُ كلَّ ما يفتقرُ إلى الرزقِ، وفيهِ تلويحٌ بأنَّه غنيٌّ عنْهُ وقرئ إنِّي[(٧)] أنَا الرزاقُ ﴿**ذُو القُوَّةِ المَتينُ**﴾ بالرفعِ عَلى أنَّه نعتٌ لـ (الرزاقِ) أوْ لـ (ذُو) أوْ خبرٌ بعدَ خبرٍ أوْ خبرٌ لمضمرٍ وقرئ بالجرِّ[(٨)] عَلى أنَّه وصفٌ للقوةِ على تأويلِ الاقتدارِ أو الأيدِ.

﴿**فإنَّ للذينَ ظَلمُوا**﴾ أيْ ظلُموا أنفسَهمُ بتعريضِها للعذابِ الخالدِ بتكذيبِ رسولِ الله ﷺ أوْ[(٩)] وضعُوا مكانَ التصديقِ تكذيبًا وَهُم أهلُ مكةَ ﴿**ذَنُوبًا**﴾ أيْ نصيبًا وافرًا منَ العَذَابِ ﴿**مثلَ ذنوبِ أصحابِهم**﴾ مثلَ أنصباءِ نُظَرائِهم منَ الأممِ المحكيةِ

---

(١) قرأ بها: عبد الله بن مسعود، ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٥٥).

(٢) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (٢/ ١٧٣) بلفظ: «كنت كنزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فعرفتهم بي فعرفوني»، وفي لفظ: «فتعرفت إليهم فبي عرفوني» وقال: قال ابن تيمية: ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه الزركشي، والحافظ ابن حجر والسيوطي في اللآلئ، وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: ليعرفوني كما فسره ابن عباس -رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة: «كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فبي عرفوني» وهو واقع كثيرًا في كلام الصوفية، واعتمدوه، وبنوا عليه أصولا لهم...

(٣) سقط في خ. (٤) في خ: الفضل. (٥) في خ: وما.

(٦) في خ: فيشتغلوا. (٧) ينظر: تفسير الرازي (٢٨/ ٢٣٦).

(٨) قرأ بها: الأعمش، ويحيى بن وثاب.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٤٦)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٣)، وتفسير الطبري (٢٧/ ٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٦٠).

(٩) في خ: و.

وهُو مأخوذٌ من مقاسمةِ السُّقاةِ الماءَ بالذَنوبِ وهُوَ الدلُو العظيمُ المملوءُ ﴿**فلاَ يستعجلونِ**﴾ أيْ لا يطلُبوا منِّي أنْ أُعجِّلَ في المجيء بهِ يقالُ استعجَلهُ أيْ حثَّهُ عَلى العَجَلةِ وأمره بها ويقالُ استعجَلهُ أيْ طلبَ وقوعَهُ بالعجلةِ ومنْهُ قولُه تعالَى: ﴿أتى أمرُ الله فلا تستعجلُوه﴾ [سورة النحل، الآية ١] وهُو جوابٌ لقولِهم ﴿مَتَى هَذا الوعدُ إنْ كنُتم صادقينَ﴾ [سورة يونس، الآية ٤٨] ﴿**فويلٌ للذينَ كفرُوا**﴾ وضعَ الموصولَ موضعَ ضميرِهم تسجيلًا عليهم بِمَا في حيزِ الصلةِ منَ الكُفر وإشعارًا بعلةِ الحكمِ. والفاءُ لترتيبِ ثبوتِ الويلِ لهُم عَلى أنَّ لَهُم عذابًا عظيمًا كَما أنَّ الفاءَ الأُولى لترتيبِ النَّهي عن الاستعجالِ عَلى[1] ذلكَ، ومنْ في قولِه تعالَى: ﴿**منْ يومِهم الذي يُوعدونَ**﴾ للتعليلِ أيْ يوعدونَهُ منْ يوم بدرٍ وقيلَ يومُ القيامةِ وهُو الأنسبُ بما في صدرِ[2] السورةِ الكريمةِ الآتيةِ والأولُ[3] هُو الأوفقُ لما قبلَهُ منْ حيثُ إنَّهما منَ العذابِ الدنيويِّ.

عنِ النبي ﷺ: «**مَنْ قرأَ والذارياتِ أعطاهُ الله تعالَى عشرَ حسناتٍ بعددِ كُلِّ ريحٍ هبتْ وجرتْ في الدُّنيا**»[4].

---

(١) في خ: عن.

(٢) زاد في ط: في.

(٣) في خ: فالأول.

(٤) تقدم تخريجه.

سُورَةُ الطُّورِ

مكيةٌ وآيُها تسعٌ أوْ ثمانٍ وأربعونَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ
﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا
﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ
لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا
كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا
تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ
﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا
كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا
مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ
﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟
بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم
مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ
﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ
مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا
هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ الطُّورُ بالسريانية الجبلُ والمرادُ بهِ طورُ سينينَ وهُو جبلٌ بمدينَ سمعَ فيهِ مُوسى عليهِ السَّلامُ كلامَ[1] الله تعالَى[2]: ﴿وكتابٍ مسطورٍ﴾ مكتوبٍ على وَجْهِ الانتظامِ فإنَّ السطرَ ترتيبُ الحروفِ المكتوبةِ والمرادُ بِهِ القرآنُ أوْ ألواحُ[3] مُوسى عليهِ السَّلامُ وهُو الأنسبُ بالطُّورِ أو[4] مَا يكتبُ في اللوحِ أو ما يكتبُهُ الحفظةُ ﴿في رقٍ منشورٍ﴾ الرقُّ الجلدُ الذي يكتبُ فيه استعيرَ لما يكتبُ فيهِ الكتابُ منَ الصحيفةِ، وتنكيرُهُمَا للتفخيمِ أوْ للإشعارِ بأنَّهما ليسَا مما يتعارفُه النَّاسُ ﴿والبيتِ المَعْمورِ﴾ أي الكعبةِ وعمارتُها بالحُجَّاجِ والعُمَّارِ والمجاورينَ أو الضراحُ وهوَ في السماءِ الرابعةِ وعُمرانُه كثرةُ[5] غاشيتِه منَ الملائكةِ ﴿والسقفِ المرفوعِ﴾ أي السماءِ ولا يَخفَى حسنُ موقعِ العُنوانِ المذكورِ ﴿والبحرِ المسجورِ﴾ أي المملوءِ وهُو البحرُ المحيطُ أو الموقدُ منْ قولِه تعالَى: ﴿وإذا البحارُ سجرتْ﴾ [سورة التكوير، الآية ٦] فالمرادُ بهِ الجنسُ رُوي أنَّ الله تعالَى يجعلُ البحارَ يومَ القيامةِ نَارًا يسجرُ بَها نارَ جهنمَ.

﴿إنَّ عذابَ ربِّكَ لواقعٌ﴾ أَيْ لنازلٌ حَتْمًا جَوابٌ للقسمِ وَقولُه تعالَى: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافعٍ﴾ إمَّا خبرٌ ثانٍ لـ (إنَّ) أَوْ صفةٌ لواقعٍ وَمِنْ دافعٍ إمَّا مبتدأٌ للظرفِ أوْ مرتفعٌ بِهِ عَلى الفاعليةِ ومنْ مزيدةٌ للتأكيدِ. وتخصيصُ هذهِ الأمورِ[6] بالإقسامِ بها لِمَا أنَّها أمُورٌ عِظَامٌ تنبئ عنْ عِظَمِ قدرةِ الله تعالَى وكمالِ علمهِ وحكمتِه الدالَّةِ عَلى إحاطتِه تعالَى بتفاصيلِ أعمالِ العبادِ وضبطِها الشاهدةِ بصدقِ أخبارِه التي من جُملتِها الجملةُ المقسمُ عَليها وقولُه تعالَى: ﴿يومَ تمورُ السماءُ مَوْرًا﴾ ظرفٌ لواقعٌ مبينٌ لكيفيةِ الوقوعِ منبئ عنْ كمالِ هولِه وفظاعتِه، والمَوْرُ الاضطرابُ والترددُ في المجيءِ والذهابِ وقيلَ هُو تحركٌ في تموجٍ قيلَ تدورُ السماءُ كما تدورُ الرَّحا وتتكفأُ بأهلِها تكفؤَ السفينةِ وقيلَ تختلفُ أجزاؤُها ﴿وتسيرُ الجبالُ سيرًا﴾ أيْ تزولُ عن وَجْه الأرضِ فتصيرُ هباءً، وتأكيدُ الفعلينِ بمصدريهما للإيذانِ بغرابتِهما وخروجهما عنِ الحدودِ المعهودةِ أيْ مورًا عجيبًا وسيرًا بديعًا لا يُدركُ كُنْهُهما.

عاقبة المكذبين

﴿فويلٌ يومئذٍ للمكذبينَ﴾ أيْ إذَا وقعَ ذلكَ أوْ إذَا كانَ الأمرُ كَما ذكرَ فويلٌ يومَ إذْ يقعُ ذلكَ لَهُم ﴿الذينَ هُم في خوضٍ﴾ أي اندفاعٍ عجيبٍ في الأباطيلِ والأكاذيبِ ﴿يلعبونَ﴾ يلهوُن ﴿يومَ يدعُّونَ إلى نارِ جهنَم دَعًّا﴾ أيْ يدفعونَ إلَيها دفعًا عنيفًا

---

(١) في خ: ككلام. (٢) في خ: عز وجل. (٣) في خ: الألواح.
(٤) في خ: و. (٥) في خ: كثيرة. (٦) زاد في خ: بالظرف.

شديدًا بأَنْ تغلَّ أيديهمْ إلى أعناقِهم وتجمعَ[١] نواصيهِم إلى أقدامِهم فيدفعُوا إلى النارِ وقرئ يُدْعَوْنَ[٢] منَ الدُّعاءِ فيكونُ دعًّا حالًا بمَعْنى مدعوعينَ. ويومَ إمَّا بدلٌ منْ يومَ تمورُ أَوْ ظرفٌ لقولٍ مقدرٍ قبلَ قولِه تعالَى: ﴿هذهِ النارُ التي كُنْتم بَها تُكذبونَ﴾ أيْ يُقالُ لَهُم ذلكَ ومَعْنَى التكذيبِ بها تكذيبُهم بالوحيِ الناطقِ بها وقولُه تعالَى: ﴿أفسحرٌ هَذا﴾ توبيخٌ وتقريعٌ لَهُم حيثُ كانُوا يسمُّونَهُ سِحْرًا كأنَّه قيلَ كُنتم تقولونَ للقرآنِ[٣] الناطقِ بهذا سحرٌ فهَذا [أَيْضًا][٤] سحرٌ. وتقديمُ الخبرِ لأنَّه محطُّ الإنكارِ ومدارُ التوبيخ ﴿أَمْ أنتُم لاَ تُبصرونَ﴾ أيْ أَمْ أنتُم عُمْيٌ عنِ المُخبَرِ عَنْه كما كُنتم عميًا عن الخبرِ[٥]، أو أمْ سُدَّتْ أبصارُكم كما سُدَّتْ في الدُّنيا على زعمِكِم حيثُ كُنْتم تقولونَ ﴿إنَّما سكِّرتْ أبصارُنَا بَلْ نحنُ قومٌ مسحورونَ﴾ [سورة الحجر، الآية ١٥] ﴿اصلَوها فاصبِرُوا أَوْ لا تصبِرُوا﴾ أي ادْخلُوهَا وقاسُوا شدائدَهَا فافعلُوا ما شِئتُم منَ[٦] الصَّبرِ وعدمِه ﴿سواءٌ عليكُمْ﴾ أي الأمرانِ في عدم النفع لاَ بدفعِ العذابِ ولا بتخفيفهِ وقولُه تعالَى: ﴿إنما تجزونَ ما كُنتم تعملونَ﴾ تعليلٌ للاستواءِ[٧] فإنَّ الجزاءَ حيثُ كانَ واجبَ الوقوعِ حتمًا كان الصبرُ وعدمُه سواءً في عَدمِ النَّفعِ.

عاقبة المتقين

﴿إنَّ المتقينَ فِي جناتٍ ونعيمٍ﴾ أيْ فِي آية جناتٍ وأيِّ نعيم عَلى أنَّ التنوينَ للتفخيم أوْ في جناتٍ ونعيمٍ مخصوصةٍ بالمتقينَ عَلى أنَّه للتنويع ﴿فاكهينَ﴾ ناعمينَ متلذذينَ ﴿بَما آتاهُم ربُّهم﴾ وقرئ[٨] فكهينَ[٩] وفاكهونَ[١٠] علَى أنَّه الخبرُ [والظرفُ لغوٌ][١١] متعلقٌ بالخبرِ أوْ خبرٌ آخرُ ﴿ووقاهُم ربُّهم عذابَ الجحيمِ﴾ عطفٌ عَلى آتاهُم عَلى أنَّ مَا مصدريةٌ أوْ عَلى خبرِ إنَّ، أوْ[١٢] حالٌ بإضمارِ قَدْ إمَّا منَ المستكنِ في الخبرِ أو في الحال وإمَّا من فاعلِ أَتى أوْ منْ مفعولِه أو منهُما، وإظهارُ الربِّ في

---

(١) في خ: وتجعل.
(٢) قرأ بها: علي، وأبو رجاء، والسلمي، وزيد بن علي، وابن السميفع.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٤٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٦٤)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣).
(٣) في خ: للعذاب. (٤) سقط في خ. (٥) في خ: الخير.
(٦) في خ: عن. (٧) في خ: للاستقرار.
(٨) قرأ بها: أبو جعفر، والحسن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٠)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٦٥)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤).
(٩) زاد في خ: وفاكهين.
(١٠) قرأ بها: خالد، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٤٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣).
(١١) في خ: واللغو ظرف. (١٢) زاد في خ: على.

موقعَ الإضمارِ مضافًا إلى ضميرِهم للتشريفِ والتعليلِ ﴿كُلوا واشربُوا﴾ أيْ يقالُ لَهُم كُلواْ واشربُوا أكلًا وشربًا ﴿هَنيئًا﴾ أوْ طعامًا وشرابًا [هنيئًا][١] وهُو الَّذي لا تنغيصَ فيهِ ﴿بمَا كُنْتم تعملونَ﴾ بسببِه أو بمقابلتِه، وقيلَ: الباءُ زائدةٌ ومَا فاعلُ هنيئًا أيْ هَناكُم مَا كنتُم تعملونَ أي جزاؤه ﴿متكئينَ على سررٍ مصفوفةٍ﴾ مصطفةٍ ﴿وزوجناهُم بحورٍ عينٍ﴾ وقرئ بحورِ عينٍ[٢] على إضافةِ الموصوفِ إلى صفتِه بالتأويلِ المشهورِ [وقرئ[٣] بعيسٍ عينٍ][٤]، والباءُ معَ أن التزويجَ[٥] مما يتعدى إلى مفعولينِ لما فيهِ من مَعْنى الوصلِ و[الإلصاقِ][٦] أو للسببيةِ إذْ إن المَعْنى صيَّرناهُم أزواجًا بسببِهن فإنَّ الزوجيةَ لا تتحققُ بدونِ انضمامِهن إليهمْ.

وقولُه تعالَى: ﴿والذينَ آمنُو﴾ إلخ كلامٌ مستأنفٌ مسوقٌ لبيانِ حالِ طائفةٍ من أهلِ الجنةِ إثرَ بيانِ حالِ الكُلِّ وهُم الذينَ شاركتْهم ذريتُهم في الإيمانِ وهُوَ مبتدأٌ خبرُه ألحقنا بِهم وقولُه تعالَى: ﴿واتبعتهم ذريتُهم﴾ عطفٌ على آمنُوا وقيل: اعتراضٌ وقولُه تعالَى: ﴿بإيمانٍ﴾ متعلقٌ بالاتّباعِ [أيْ][٧] اتبعتْهم ذريتُهم بإيمانٍ في الجُملةِ قاصرٍ عن رتبةِ إيمانِ الآباءِ، واعتبارُ هذا القيدِ للإيذانِ بثبوتِ الحكمِ في الإيمانِ الكاملِ أصالةً لا إلحاقًا وقرئ[٨] ذرياتُهم للمبالغةِ في الكثرةِ وذِرياتهم بكسرِ الذالِ وقرئ وأتبعناهُم[٩] ذرياتِهم أي جعلناهُم تابعينَ لهم في الإيمانِ وقرئ[١٠] اتبعهم ﴿ألحقنَا بهمْ ذريَّتهم﴾ أيْ في الدرجةِ كَما رُوي أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «**إنَّه تعالَى يرفعُ ذريةَ المؤمنِ في درجتِهِ وإنْ كانُوا دونَهُ لتقرَّ بهم عينُه ثم تلاَ هذهِ الآيةَ**»[١١] ﴿وما ألتناهُم﴾ وما نقصنَا الآباءَ بهذَا الإلحاقِ ﴿منْ عملِهم﴾ منْ ثوابِ عملِهم ﴿منْ شيءٍ﴾

---

(١) سقط في خ. (٢) قرأ بها: عكرمة، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٤٨).

(٣) قرأ بها: عبد الله، وإبراهيم، ينظر: المجمع للطبرسي (٩/ ١٦٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٠).

(٤) سقط في خ. (٥) في خ: الرفع.

(٦) في خ: الاتصاق. (٧) سقط في خ.

(٨) قرأ بها: ابن عامر، ونافع، والحسن، ويعقوب، وسهل، وعبد الله.
ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والتيسير للداني ص (٢٠٣)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٦٤)، وتفسير الرازي (٢٨/ ٢٥٢).

(٩) قرأ بها: أبو عمرو، واليزيدي، وابن عباس، والحسن، وعبد الله، وابن جبير.
ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٠)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٥٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والتيسير للداني ص (٢٠٣)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٢)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٨)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤).

(١٠) ينظر: المعاني للفراء (٣/ ٩٢).

(١١) ورد هذا الحديث مرفوعًا وموقوفًا.
أما المرفوع، فأخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٠٢)، والبغوي في تفسيره (٤/ ٢٣٩)، وعزاه الزيلعي =

بأنْ أعطينَا بعضَ مثوباتِهم أبناءَهُم فتنقصَ مثوبتُهم وتنحطَّ درجتُهم وإنما رفعناهُم إلى منزلتِهم بمحضِ التفضلِ والإحسانِ وقرئ[١] أَلِتْنَاهُم بكسرِ اللامِ من أَلِتَ يأْلَتُ كعلم يعلم والأولُ كضَرَبَ يضرِبُ ولِتناهُم[٢] منْ لَاتَ يليتُ وآلتناهُم[٣] من آلَتَ يُؤلِتُ وولَتْناهُم[٤] منْ وَلَتَ يَلِتُ والكلُّ بمَعْنى واحدٍ.

هَذا وقدْ قيلَ الموصولُ معطوفٌ على حُورٍ، والمَعْنى قرنَّاهُم بالحورِ وبالذينَ آمنُوا أيْ بالرفقاءِ والجلساءِ منُهم فيتمتعونَ تارةً بملاعبة الحُورِ وأُخرى بمؤانسةِ الإخوانِ

= في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٢) للبزار في مسنده وابن عدي في الكامل وابن مردويه، والثعلبي في تفسيريهما، كلهم من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه إلى النبي ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن...».
وقيس بن الربيع الأسدي أبو محمد الكوفي ضعفه جماعة ووثقه آخرون، قلت: وهو إلى الضعف أقرب... فقال يحيى بن معين، ليس حديثه بشيء، وقال مرة: ضعيف الحديث لا يساوي شيئًا، وقال أبو زرعة: فيه لين، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال في موضع آخر: متروك الحديث، وقال البخاري، قال علي: كان وكيع يضعفه، راجع تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٥، ٣٨)، ت (٤٩٠٣)، وقال الحافظ في التقريب (٢/ ١٢٨): صدوق، لما كبر أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به، قلت: ومع ضعفه فقد خالف جبلين من جبال الحفظ، أوقفا هذا الحديث على ابن عباس هما: شعبة وسفيان الثوري.
الموقوف: أما رواية شعبة فأخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٨٧، ٤٨٨) (٣٢٣٣٨، ٣٢٣٤٢).
وأما رواية سفيان وهو الثوري: فأخرجها ابن جرير -أيضًا- في تفسيره (١١/ ٤٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٧)، وعنه البيهقي في كتابه الاعتقاد، ص (٨٩، ٩٠) من طرق عن الثوري عن عمرو بن مرة به.
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) -في رواية المرفوع-: رواه البزار وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤٠) (١٢٢٤٨)، والصغير (١/ ٢٢٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن غزوان ثنا شريك عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه...»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧): وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف.

(١) قرأ بها: ابن كثير، وابن محيصن، والحسن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٩٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧).

(٢) قرأ بها: ابن كثير، وقنبل، والحسن، وطلحة، والأعمش، وابن مسعود، وأبي، وشبل، وابن شنبوذ. ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٤٠٠، ٤٠١)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، والمعاني للفراء (٣/ ٩٢)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧).

(٣) قرأ بها: ابن هرمز، وأبو هريرة، ينظر: تفسير القرطبي (١٧/ ٦٧)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٦٤)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٠)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧).

المؤمنينَ. وقولُه[١] تعالَى ﴿واتبعتهم﴾ عطفٌ على زوجناهُم وقولُه تعالى بإيمانٍ متعلقٌ بما بعدَهُ أي بسببِ إيمانٍ عظيمٍ رفيعِ المحلِّ وهو إيمانُ الآباءِ ألحقنا بدرجاتِهم ذريَّتهم وإنْ كانُوا لا يستأهلونَها تفضلًا عليهم وعلى آبائِهم ليتِمَّ سرورُهم ويكملَ نعيمُهم أو بسببِ إيمانٍ دانِي[٢] المنزلةِ وهو إيمانُ الذريةِ كأنه قيلَ: بشيءٍ من الإيمانِ لا يؤهلُهم[٣] لدرجةِ الآباءِ ألحقناهُم بهمْ ﴿كلُّ امرئٍ بما كسبَ رهينٌ﴾ قيلَ: هو فعيلٌ بمَعْنى مفعولٍ والمَعْنى كلُّ امرئٍ مرهونٌ عندَ الله تعالى بالعملِ الصالحِ فإنْ عمِلَه فكَّه وإلا أهلكه وقيلَ: بمعنى الفاعلِ والمَعْنى كلُّ امرئٍ بما كسبَ راهنٌ أيْ دائمٌ ثابتٌ وهَذا أنسبُ بالمقامِ فإن الدوامَ يقتضِي عدمَ المفارقةِ بينَ المرءِ وعمله ومن ضرورتِه ألا ينقصَ من ثوابِ الآباءِ شيءٌ فالجملةُ تعليلٌ لما قَبْلها.

﴿وأمددناهم بفاكهةٍ ولحمٍ مما يشتهوُن﴾ وزدناهُم عَلى ما كانَ لَهُم منْ مبادِي التنعم وقتًا فوقتًا ما يشتهونَ من فنونِ النعماءِ وألوانِ الآلاءِ ﴿يتنازعونَ فيها﴾ أي يتعاطَون فيهاَ هُم وجلساؤُهم بكمالِ رغبةٍ واشتياقٍ كما ينبىءُ عنه التعبيرُ عن ذلكَ بالتنازع[٤] ﴿كأسًا﴾ أي خمرًا تسميةً[٥] لَها باسم محلِّها ﴿لا لغوٌ فيها﴾ أيْ في شُربها حيثُ لا يتكلمونَ في أثناءِ الشربِ بلغوِ الحديثِ وسقَطِ الكلامِ ﴿ولا تأثيمٌ﴾ ولا يفعلونَ ما يؤثَمُ به فاعلُه أي ينسبُ إلى الإثم لو[٦] فعَلَه في دارِ التكليفِ كما هو ديدنُ المنادمينَ في الدُّنيا وإنما يتكلمونَ بالحِكمِ وأحاسنِ الكلام ويفعلونَ ما يفعلُه الكرامُ، وقرئ لا لغوَ[٧] فيها ولا تأثيمَ بالفتح ﴿ويطوفُ عليهم﴾ أي بالكَأسِ ﴿غلمانٌ لهم﴾ أي مماليكُ مخصوصونَ بهم وقيلَ: هم أولادُهم الذين سبقوهُم ﴿كأنهم لؤلؤٌ مكنونٌ﴾ مصونٌ في الصَّدفِ من بياضِهم وصفائِهم أو مخزونٌ لأنه لا يخزنُ إلا الثمينُ الغالِي القيمةِ.

[قيلَ لقَتادة][٨]: هذا الخادمُ فكيفَ المخدومُ؟ فقالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيدِهِ إنَّ فضلَ المخدوم [على الخادم][٩] كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ»**[١٠]. وعنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«إنْ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً منْ يُنادي الخادمَ**

---

(١) في خ: فقوله. (٢) في خ: ذاتي. (٣) في خ: يوصلهم.

(٤) في خ: المتنازع. (٥) في خ: تشتهيه. (٦) في خ: أو.

(٧) قرأ بها: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن محيصن، ويعقوب،ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٥٣)، والبحر المحيط (٨/ ١٤٩)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤٠٥)، والتيسير للداني ص (٨٢)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٤)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٢).

(٨) في خ: قال قتادة. (٩) سقط في خ.

(١٠) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٩٢) (٣٢٣٧٠) كلاهما من طريق معمر عن قتادة في قوله: ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم...﴾ قال: بلغني أنه قيل: يا رسول الله هذا الخادم مثل اللؤلؤ فكيف المخدوم؟... فذكر الحديث، وأخرجه الطبري أيضًا (٣٢٣٦٩) من طريق سعيد عن قتادة به، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٣) للثعلبي عن الحسن مرسلًا.

من خدامِه فيجيبُهُ ألفٌ ببابِه لبيكَ لبيكَ»[١] ﴿وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلونَ﴾ أيْ يسألُ كلُّ بعضٍ منهم [بعضًا][٢] آخرَ عنْ أحوالِه وأعمالِه فيكونُ كلُّ بعضٍ سائلًا ومسؤولًا لا أنه يسألُ بعضٌ معينٌ منهم بعضًا آخرَ معينًا ﴿قالوا﴾ أي المسؤولُونَ وهم كلُّ واحدٍ في الحقيقةِ ﴿إنا كُنَّا قبلُ﴾ أي في الدُّنيا ﴿في أهلِنا مشفقينَ﴾ أرقاءَ القلوبِ خائفينَ من عصيانِ الله تعالى معتنين بطاعتِه أو وجلين من العاقبةِ ﴿فمنَّ الله علينا﴾ بالرحمةِ أو التوفيقِ للحقِّ ﴿ووقانا عذابَ السموم﴾ عذابَ النارِ النافذةِ في المسامِّ نفوذَ السمومِ وقرئَ ووقَّانا[٣] بالتشديدِ ﴿إنا كنا من قَبلُ ندعوهُ﴾ أيْ نعبدُه أو نسألُه الوقايةَ ﴿إنه هوَ البَرُّ﴾ المحسنُ ﴿الرحيمُ﴾ الكثيرُ الرحمةِ الذي إذا عُبدَ أثابَ وإذا سُئلَ أجابَ وقرئَ[٤] أنَّه بالفتحِ بمَعْنى لأنَّه ﴿فذكِّرْ﴾ فاثبُت على ما أنتَ عليهِ من التذكيرِ لما أُنزلَ إليك من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ ولا تكترثْ بما يقولونَ مما لا خيرَ فيه من الأباطيل.

رد أباطيل الكفار

﴿فما أنتَ بنعمةِ ربِّك﴾ بحمدِه وإنعامِه بصدقِ النبوةِ ورجاحةِ العقلِ ﴿بكاهنٍ ولا مجنونٍ﴾ كما يقولونَ قاتلهم الله أنَّى يُؤفكون ﴿أمْ يقولونَ شاعرٌ نتربصُ بهِ ريبَ المنونِ﴾ وهو ما يقلقُ النفوسَ [و][٥] يشخصُ بها من حوادثِ الدهرِ وقيلَ: المنونُ الموتُ وهو في الأصلِ فَعُولٌ من مَنه إذا قَطَعه لأنَّ الموتَ قطوعٌ أي بلَ أيقولونَ ننتظرُ به نوائبَ الدهرِ ﴿قُلْ تربصُوا فإنِّي معكُم من المتربصينَ﴾ أتربصُ هلاككُم كما تتربصونَ هلاكيَ وفيه عِدةٌ كريمةٌ بإهلاكِهم ﴿أم تأمرُهم أحلامُهم﴾ أي عقولُهم ﴿بهذا﴾ أي بهذا التناقضِ في المقالِ فإن الكاهنَ يكونُ ذا فطنةٍ ودقة نظرٍ في الأمورِ والمجنونَ مُغطى عقلُه مختلٌّ فكرُهُ والشاعرَ ذُو كلام موزونٍ متسقٍ مخيلٍ فكيفَ يجتمعُ أوصافُ هؤلاءِ في واحدٍ. وأمرُ الأحلامِ بذلكَ مجازٌ عن أدائِها إليهِ ﴿أم هم قومٌ طاغونَ﴾ مجاوزونَ

---

(١) عزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٣) للثعلبي في تفسيره من طريق وكيع بن الجراح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة...»، وذكره الديلمي في الفردوس (١/ ٢٦٧) (٨٣٠) بلفظ المصنف، وأخرج الترمذي (٤/ ٦٩٥) كتاب صفة الجنة (٣٩)، باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (٢٥٦٢) من طريق رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة...»، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

(٢) سقط في خ. (٣) قرأ بها: أبو حيوة، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٠).

(٤) قرأ بها: نافع، والكسائي، وأبو جعفر، والحسن، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٥٤)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٠)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٣)، والكشف للقيسي (٢/ ٢٩١)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٦٤).

(٥) سقط في خ.

الحدودَ في المكابرةِ والعنادِ لا يحومونَ حولَ الرشدِ والسَّدادِ، ولذلك يقولونَ ما يقولونَ من الأكاذيبِ الخارجةِ عن دائرةِ العقولِ والظنونِ وقرئ بَلْ[1] هُمْ ﴿أم يقولونَ تقوله﴾ أي اختلقَهُ من تلقاءِ نفسِه ﴿بل لا يؤمنونَ﴾ فلكفرهم وعنادِهم يرمونَ بهذه الأباطيل التي لا يخفى على أحدٍ بطلانُها، كيف لا وما رسولُ الله ﷺ إلا واحدٌ من العربِ فكيف أتى بما عجزَ عنه كافة الأممِ من [العربِ والعجمِ][2].

﴿فليأتوا بحديثٍ مثلِه﴾ مثلِ القرآنِ في النعوتِ التي استقلَّ بها من حيثُ النظمُ ومن حيثُ المَعْنى ﴿إنْ كانُوا صادقينَ﴾ فيما زعمُوا فإنَّ صدقَهم في ذلكَ يستدعي قدرتَهم على الإتيانِ بمثله بقضيةِ مشاركتِهم لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ في البشريةِ والعربيةِ مع ما بهم من طولِ الممارسةِ للخطبِ والأشعارِ وكثرةِ المزاولةِ لأساليبِ النظمِ والنثرِ والمبالغةِ في حفظِ الوقائعِ والأيامِ، ولا ريبَ في أن القدرةَ على الشيءِ منْ موجباتِ الإتيانِ به ودواعِي الأمرِ بذَلكَ ﴿أم خُلقوا منْ غيرِ شيءٍ﴾ أي أمْ أُحدِثُوا وقُدِّروا هذا التقديرَ البديعَ من غيرِ محدِثٍ ومقدِّرٍ؟ وقيل: أم خُلقوا من[3] أجلِ لا شيءٍ من عبادةٍ وجزاءٍ ﴿أم هم الخالقونَ﴾ لأنفسِهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانَهُ ﴿أم خلقُوا السمواتِ والأرضَ بل لا يوقنونَ﴾ أي إذا سئلوا منْ [خلقكم][4] وخلق السمواتِ والأرضَ قالوا الله وهم غيرُ موقنينَ بما قالُوا وإلا لما أعرضُوا عن عبادتِه ﴿أم عندهم خزائنُ ربِّك﴾ أي خزائنُ رزقِه ورحمتِه حتى يرزُقوا النبوةَ من شاءُوا ويُمسكوها عمَّن شاءُوا، أو عندَهم خزائنُ علمِه وحكمتِه حتى يختارُوا لها من اقتضتِ الحكمةُ اختيارَهُ ﴿أمْ هُم المسيطرونَ﴾ أي الغالبونَ على الأمورِ يدبرونَها كيفما شاءُوا حتى يدبروا أمرَ الربوبيةِ ويبنوا الأمورَ على إرادتِهم ومشيئتِهم، وقرئ المصيطرونَ[5] بالصادِ لمكانِ الطاءِ ﴿أم لهم سُلَّم﴾ منصوبٌ إلى السماءِ ﴿يستمعونَ فيه﴾ صاعدينَ إلى كلامِ الملائكةِ وما يوحَى إليهم من علم[6] الغيبِ حتى يعلمُوا ما هو كائنٌ من الأمورِ التي يتقوّلونَ فيها رجمًا بالغيبِ ويعلقونَ بها أطماعَهُم الفارغةَ ﴿فليأتِ مستمعُهم بسلطانٍ مبينٍ﴾ بحجةٍ واضحةٍ تصدّق استماعَه.

﴿أم له البناتُ ولكم البنونَ﴾ تسفيهٌ لهم وتركيكٌ لعقولِهم وإيذانٌ بأنَّ من هذا رأيُه لا يكادُ يعدُّ من العقلاءِ فضلًا عن الترقِّي إلى عالمِ[7] الملكوتِ والتطلعِ على الأسرارِ

---

(١) قرأ بها: مجاهد، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥١)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩١).
(٢) في خ: العجم والعرب. (٣) زاد في خ: غير. (٤) في خ: خلقهم.
(٥) قرأ بها: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وابن محيصن، وقنبل، وابن ذكوان، وحفص، وابن شنبوذ، والحلواني، وخلاد، ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٥٢)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٧٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٥)، والحجة لأبي زرعة ص (٦٨٤)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٨).
(٦) في خ: عالم. (٧) في خ: أسرار.

الغيبيةِ. والالتفاتُ إلى الخطابِ لتشديدِ[1] ما في أم المنقطعةِ من الإنكارِ والتوبيخِ.

﴿أمْ تسألهم أجرًا﴾ رجوعٌ إلى خطابه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وإعراضٌ عنْهُم أي بلْ أتسألُهم أجرًا على تبليغِ الرسالةِ ﴿فهُم﴾[2] لذلكَ ﴿من مغرم﴾ من التزام غرامةٍ فادحةٍ ﴿مثقلونَ﴾ محمّلونَ الثقلَ فلذلكَ لا يتبعونكَ ﴿أم عندَهُم الغيبُ﴾ أي اللوحُ المحفوظُ[3] المُثبَتُ فيه الغيوبُ ﴿فهم يكتبونَ﴾ ما فيه حتَّى يتكلمُوا في ذلكَ بنفي أو إثباتٍ ﴿أم يُريدون كيدًا﴾ هو كيدُهم برسولِ الله ﷺ في دارِ الندوةِ ﴿فالذينَ كفرُوا﴾ هم المذكورونَ، ووضعُ الموصولِ موضعَ ضميرِهم للتسجيلِ عليهم بما في حيزِ الصلةِ من الكفرِ وتعليلِ الحكم به، أو جميعُ الكفرةِ وهم داخلونَ فيهم دخولًا أوليًا ﴿هم المكيدونَ﴾ أي هُم الذينَ يحيقُ بهم كيدُهم أو يعودُ عليهم وبالُه لا مَنْ أرادُوا أنْ يكيدُوه وهو ما أصابَهُم يومَ بدرٍ أو هُم المغلوبونَ في الكيدِ من كايدتُه فكِدتُه ﴿أم لهم إلهٌ غيرُ الله﴾ يعينُهم ويحرسُهم من عذابِه ﴿سبحانَ الله عمَّا يُشركون﴾ أيْ عن إشراكِهم أو عن شركةِ ما يُشركونَهُ ﴿وإنْ يَرَوا كِسفًا﴾ قطعةً ﴿من السماءِ ساقطًا﴾ لتعذيبِهم ﴿يقولُوا﴾ من فرطِ طغيانِهم وعنادِهم ﴿سحابٌ مركومٌ﴾ أي هُم في الطغيانِ بحيثُ لو أسقطناهُ عليهم حسبَما قالُوا: ﴿أو تُسْقِطَ السماءَ كما زعمتَ علينا كِسفًا﴾ [سورة الإسراء: الآية: ٩٢] لقالُوا هذا سحابٌ تراكمَ بعضُه على بعضٍ يُمطرنا ولم يُصدِّقُوا أنه كِسَفٌ ساقطٌ للعذابِ ﴿فذرهُم حتَّى يُلاقوا﴾ وقرئ حتى يلقَوا[4] ﴿يومَهُم الذي فيهِ يُصعقونَ﴾ على البناءِ للمفعول من صعقتْهُ الصَّاعقةُ أو من أصعقتْهُ. وقرئ يَصعقُون[5] بفتحِ الياءِ والعينِ وهو يومُ يصيبُهم الصعقةُ بالقتلِ يومَ بدرٍ لا النفخةُ الأولى كما قيلَ: إذْ لا يُصعقُ بَها إلا مَنْ كانَ حيًّا حينئذٍ ولأنَّ قولَه تعالى: ﴿يومَ لا يُغني عنْهُم كيدُهم شيئًا﴾ أيْ شيئًا من الإغناءِ بدلٌ من يومَهم ولا يَخفَى أنَّ التعرضَ لبيانِ عدمِ نفعِ كيدِهم يستدعِي استعمالَهم له طمعًا في الانتفاعِ به وليسَ ذلكَ إلا ما دبرُوه في أمرِه ﷺ من الكيدِ الذي من جُملتِه مناصَبتُهم يومَ بدرٍ، وأما النفخةُ الأولى فليستْ ممَّا يجري في مدافعتِه الكيدُ والحيلُ وقيل: هو يومُ موتِهم وفيهِ ما فيهِ مع ما تأباهُ الإضافةُ المنبئةُ عن اختصاصِه بهم ﴿ولا هُم يُنصرون﴾ من جهةِ الغيرِ في دفعِ

---

(١) في خ: تشديد. (٢) زاد في خ: لأجل. (٣) زاد في خ: و.

(٤) قرأ بها: أبو جعفر، وأبو حيوة، ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠١)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٣)، والكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦)، والمعاني للفراء (٣/ ٩٣)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٠).

(٥) قرأ بها: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب. ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص (٤٠١)، والإعراب للنحاس (٣/ ٢٥٨)، والإملاء للعكبري (٢/ ١٣٢)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤١٥)، والحجة لابن خالويه ص (٣٣٤)، والغيث للصفاقسي ص (٣٥٩)، والسبعة لابن مجاهد ص (٦١٣).

العذابِ عنهم ﴿وإنَّ للذينَ ظلمُوا﴾ أي لهُم ووضعُ الموصولِ موضعَ الضميرِ لما ذُكرَ من قبلُ[١] أي وإنَّ لهؤلاءِ الظلمةِ ﴿عذابًا﴾ آخرَ ﴿دُونَ ذلكَ﴾ دُونَ ما لاقوه من القتلِ أي قبلَهُ وهو القحطُ الذي أصابَهُم سبع سنينَ أو وراءَهُ كما في قولِه: [الطويل]

تُـريـكَ الـقَـذَى مِـنْ دُونِـهـا ....[٢]

وهو عذابُ القبرِ وما بعدَه من فنونِ عذابِ الآخرةِ. وقُرئ دونَ ذلكَ قريبًا ﴿ولكنَّ أكثرَهُم لا يعلمونَ﴾ أنَّ الأمرَ كَما ذكرنَا، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ فيهم مَنْ يعلمُ ذلكَ وإنما يصرُّ على الكُفرِ عنادًا أو لا يعلمونَ شيئًا أصلًا.

﴿واصبرْ لحُكمِ ربِّكَ﴾ بإمهالِهم إلى يومِهم الموعودِ وإبقائِك فيمَا بينَهم معَ مقاساةِ الأحزانِ ومعاناةِ الهمومِ. ﴿فإنَّك بأعينِنا﴾ أي في حفظِنا وحمايتِنا بحيثُ نراقبُكَ ونكلؤكَ، وجمعُ العينِ لَجمعِ الضميرِ والإيذانِ بغايةِ الاعتناءِ بالحفظِ ﴿وسبحْ﴾ أيْ نزِّهه تعالَى عمَّا لا يليقُ به ملَتبسًا ﴿بحمدِ ربِّكَ﴾ على نعمائِه الفائتةِ للحصرِ ﴿حينَ تقومُ﴾ من أي مكانٍ قُمتَ. قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ وعطاءٌ أيْ قُلْ حينَ تقومُ من مجلسِكَ (سبحانَكَ اللَّهم وبحمدِك)[٣]، وقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهُمَا: معناهُ صلِّ لله حينَ تقومُ من منامِك[٤]، وقالَ الضحَّاكُ والربيعُ: «إذَا قُمتَ إلى الصَّلاةِ فقُلْ سُبحانَكَ اللَّهم وبحمدِك وتباركَ اسمُك وتعالَى جدُّك ولا إلَه غيرُكَ»[٥].

وقولُه تعالى: ﴿ومنَ الليلِ فسبحه﴾ إفرادٌ لبعضِ الليلِ بالتسبيحِ لما أنَّ العبادةَ فيه أشقُّ على النفسِ وأبعدُ عن الرياءِ كما يلوحُ به تقديمُه على الفعلِ ﴿وإدبار النجوم﴾ أي وقتَ إدبارِها من آخرِ الليلِ أي غيبتِها بضوءِ الصباحِ، وقيلَ: التسبيحُ من الليلِ صلاةُ العشاءينِ وإدبارُ النجومِ صلاةُ الفجرِ وقرئ أَدبارَ[٦] النجومِ بالفتحِ أي في أعقابِها إذا غربتْ أو خفيتْ.

عنِ النبيِّ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«مَنْ قرأَ سورةَ والطورِ كان حقا على الله تعالَى أنْ يُؤمِّنهُ من عذابِه وأنْ يُنعِّمهُ في جنتِه»**[٧].

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله سورة النجم

---

(١) في خ: قبله. (٢) تقدم. (٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ١٣٣).
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٢٤٣)، وفي خ: مقامك.
(٥) ينظر: المصدر السابق.
(٦) قرأ بها: المطوعي، وسالم بن أبي الجعد، والمنهال بن عمرو، ويعقوب، ومحمد بن السميفع، وزيد. ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٤٠١، ٤٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ١٥٣)، والتبيان للطوسي (٩/ ٤١٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٨٠)، والمجمع للطبرسي (٩/ ١٦٩)، والمحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٢).
(٧) تقدم تخريجه، وزاد في خ: والله الموفق بمنه وكرمه.

فهرس المحتويات